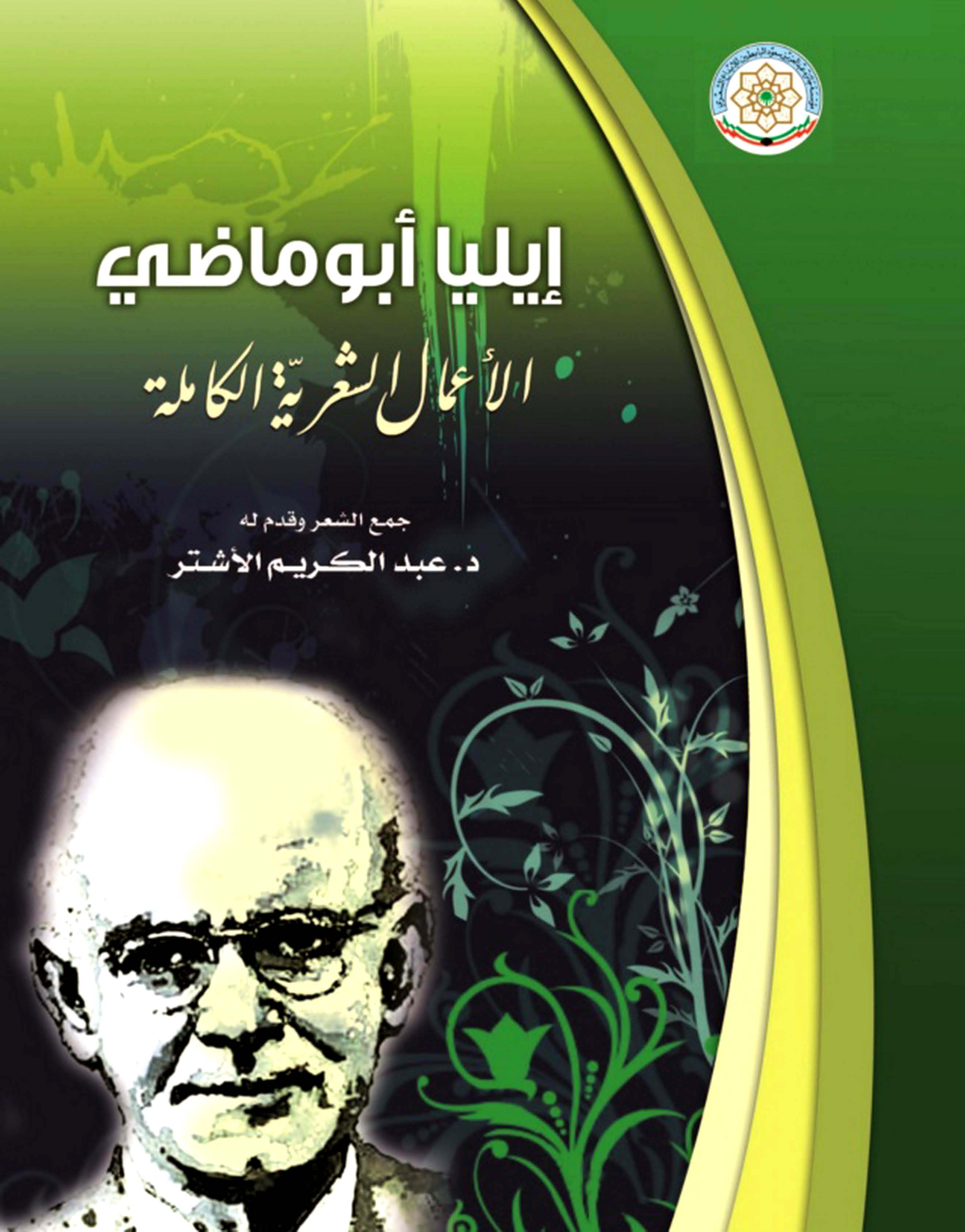

إيليا أبو ماضي
الأعمال الشعريّة الكاملة
جمع الشعر وقدم له
د. عبد الكريم الأشتر


الناشيء

إيليـا أبـو مـاضـي

(الأعمال الشعرية الكاملة)

جمـع الشعر وقـدّم له

د. عبد الكريم الأشتر

الكويت

2008

راجعـــه الباحث بالمؤسسة

محمود إبراهيم البجالي

الصـف والتـنـفـيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

تصميـم الغـــلاف

محـمـد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9566 الأشتر، عبدالكريم.

إيليا أبوماضي: حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة) جمع الشعر وضبطه وشرحه وقدم له د.عبدالكريم الأشتر. - ط1. - الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبـداع الشعري، 2008.

1167 ص ؛ 24 سم

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - لبنان - العصر الحديث.

2 - إيليا أبوماضي - دواوين وقصائد. أ - العنوان

ردمـــــك: ISBN : 978 - 99906 -72 - 55 - 8

رقم الإيداع : Depository Number: 2008 / 251

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail kw@albabtainprize.org

التصديـر

رأى مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن يتم اختيار عدد من الشعراء الذين وردوا في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» لإعادة إصدار إبداعاتهم وإنجازاتهم الشعرية كاملة... فوقع الاختيار على الشعراء عبدالغفار الأخرس (القرن التاسع عشر) من العراق، وإيليا أبي ماضي (الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥٧) من الشعراء المهجريين، وصقر الشبيب (القرن العشرين) من الكويت ليمثلوا شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

يُعد إيليا أبوماضي من رواد الشعر المعاصر وهو أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المهجر، فلقد أبصر النور في وطنه لبنان حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ونشأ في أحضان سهول وجبال بلدته «المحيدثة» الجميلة، فألهمته التفكر والتأمل في الحياة وفلسفتها، ثم ارتحل يافعًا إلى مصر، وهناك التقى بالمثقفين اللبنانيين الذين لجأوا إلى مصر هربًا من بطش السلطة العثمانية، وفيها نشر قصائده في المجلات والصحف اللبنانية الصادرة في مصر، كما أصدر فيها أول دواوينه الشعرية «تذكار الماضي» عام ١٩١١، وبعد ذلك حطّت به عصا الترحال في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعرف هناك إلى عدد من المفكرين والشعراء في المهجر وأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة «الرابطة القلمية» التي ذاع صيتها ومن خلالها كانت له ولزملائه شهرة واسعة.

لقد كان لمنشأ أبي ماضي وترحاله وهجرته أكبر الأثر في إبداعه الشعري من حيث المبنى والمعنى، ولقد صقلته تجربة المهجر الطويلة، وأثر عليه الموطن الجديد الذي اختاره وشهد من خلاله أهم أحداث العالم وراقب منه ما يحدث في وطنه العربي

الكبير، واهتم أبوماضي في مجمل شعره بوطنه لبنان معبرًا عن شوقه وحبه، لكنه لم ينس قضايا أمته، فتفاعل معها في شعره فهاجم الاستعمار والاحتلال مهما كان مصدره، وظلّ في قصائده محافظًا على شرقيته وعروبته رغم حياته في الغرب وتأثره بمجريات الحياة فيه اجتماعيّاً وأدبيّاً.

عزيزي القارئ

يسر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم لمحبي هذا الشاعر الكبير كل ما وصلت إليه من أعماله الشعرية من دواوينه المعروفة («تذكار الماضي بجزئيه» و«الجداول» و«الخمائل» و«تبر وتراب») إضافة إلى ما لم تجمعه هذه الدواوين، وهي القصائد التي وردت في كتاب (إيليا أبوماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة) للدكتور جورج ديمتري سليم، وبذلك فإن المؤسسة تقدم لأول مرة أعمال الشاعر كاملة في سفرٍ واحد، ويسعدني أن أقدم بالغ الشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم الأشتر الذي أعد هذا الكتاب ليكون متاحًا للجميع، والشكر موصول لكل من ساعد في إعداده ومراجعته.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 7 شعبان 1429هـ

الموافق 7 أغسطس 2008م

****

إيليا أبو ماضي

حياته وشعره

(الأعمال الشعرية الكاملة)

« دراســــة »

قدّم بها لمجموع شعره في دواوينه الستة

الدكتور عبد الكريم الأشتر


الناشيء

إيليا أبوماضي.. حياته وشعره
الأعمال الشعر الكاملــة
دراســــــة
(١)

لم تُولِ الدراسات، التي تناولت شعر الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي، الاهتمام الكافي بالجوانب المأساوية الحزينة، من حياته، وما خلفت من أثر في مواقفه وشعره، من الحياة وأحداثها، ومذاهبه في تصويرها وتفسيرها، ومواقفه من الأحياء ومسالكهم التي اختاروها لأنفسهم فيها، في حدود تكوينه الخاص من ناحية، وظروف نشأته وأدوار نموه النفسي والفكري، في البيئات التي خالطها وخضع لملابساتها في الوطن والمهجر، من ناحية أخرى.

فتح الطفل إيليا عينيه في لبنان سنة ١٨٨٩ - وكان في نهاية القرن التاسع عشر، ما يزال جزءاً من سورية - في قرية اسمها (المحيدثة)، من قرى المتن الشمالي فيه، قريبة من بكفيّا، في سفح جبل صنيّن، غارقة في الخضرة، منتشية بجمال الطبيعة الممتدة من حولها.

ولكن يد السلطة العليا فيها، منذ سنة ١٩٠٧، كانت للسلطنة العثمانية التي كان المتصرف (يوسف باشا فرنكو) يمالئها، فيما يقول معاصرو تلك المرحلة.

كانت الأوضاع السياسية مضطربة، والدولة العثمانية على وشك الانهيار، حتى لقد اصطُلح، في معجم السياسة الدولية، على تسميتها بـ«الرجل المريض»، فكانت ترقب فيه نشاط العناصر المسيحية بخاصة، على اختلاف مذاهبها، بحذر بالغ، يفسر إعجابَ أبنائها المستمر بثورة يوسف بك كرم الذي مثّل في أعينهم إرادة التحرر الوطني[1].

---

(١) في شعر إيليا أبي ماضي نص يحيي فيه هذا «البطل» لحّنه أحد الموسيقيين من المهاجرين اللبنانيين في أمريكة، وجعل (١٩٢٥) منه نشيداً ينشدونه في بعض المناسبات (ما لم تجمعه الدواوين: النص٣٧ «نشيد يوسف بك كرم»).

ففي هذه الظروف انفتح باب الهجرة إلى أمريكا التي كانت تستدعي إليها الراغبين في تأسيس حياة جديدة لأنفسهم، بعيداً من أوطانهم التي ضاقوا بأوضاعهم فيها، أو طمحوا إلى كسب فرص جديدة يجنون من خيراتها ما لم يتح لهم جَنْيه في أوطانهم.

ولكن الهجرة إليها من لبنان كانت تحكمها رقابة صعبة، فلجأ فريق من أهله إلى جعل مصر مرحلة من مراحل الهجرة إلى أمريكا. ويبدو أن أسرة الصبي إيليا، الذي لم يجاوز الحادية عشرة (١٨٨٩-١٩٠٠)[(١)]. لم تكن ميسورة. وكان أحد أقربائه (عمه «نعّوم») ينوي الرحيل إليها، فلم يجد الصبي ما يمنعه من صحبته. ثم إن أخاه (مراد) بِكر الأسرة، كان قد سبقه إلى الهجرة [(٢)]، وحلّ في أمريكا في مدينة سِنْسِنّاتي Cincinnati، من ولاية أوهايو، وزاول فيها مهنة تجارة السمانة.

ولسنا ندري، على التحقيق: هل كان الصبي، وهو في الإسكندرية، يتطلع إلى متابعة الهجرة إلى أمريكا، والالتحاق بأخيه فيها، فقد التحق به حقاً بعد أن جاوز العشرين (١٨٨٩- أواخر١٩١١)[(٣)]. ولكنه خلّف، على الحالين، في الإسكندرية، مرحلة غنية من مراحل نشاطه، في ميدان السياسة والشعر، لا يمكن تجاوزها، ولا يسهل الفصل معها في الحكم على ما كان نواه.

✡✡✡✡✡

نقف عند نهاية هذه المرحلة الأولى من هجرته، قبل أن يغادر الإسكندرية، نستخلص فيها حقائق نشأته: طفلاً في لبنان، وصبياً في الإسكندرية، وقد بلغ فيها مرحلة الشباب الأولى، قبل أن يتابع هجرته إلى العالم الجديد.

---

(١) تضطرب المراجع التي في أيدينا، في تحديد سنة ولادته في (المحيدثة)، ابتداءً من سنة ١٨٨٤ إلى ١٨٩٠ ؛ ولكنها تجتمع، في آخر الأمر، على اعتماد سنة ١٨٨٩

(٢) يبدو أنه سبق إيليا في الرحيل إلى مصر (الإسكندرية) لأن إيليا، بعد أن عمل في بيع الدخان والسجائر في دكان أبي الياس بمينا البصل، ثم في دكان أخرى، انتقل إلى العمل معه في حي العطارين، بالإسكندرية.

(٣) بعض المراجع تجعل رحيله إلى أمريكة سنة ١٩١٢، إذ زار لبنان قبل رحيله إليها، فمكث فيه بضعة أشهر، وقف فيها إلى جانب المعارضة للمتصرف العثماني (يوسف باشا فرنكو)، هرب بعدها، وفي جعبته واحدة من قصائده السياسية (انظر الديوان الثاني «وداع وشكوى» النص ٩، وسنعود إليها من بعد).

كان الطفل – وقد نشأ في وسط يفيض بجمال الطبيعة وقوّتها، في الجبال المكسوّة بالأشجار – يتردد على مدرسة القرية الصغيرة، ويدّخر من غنى ما يطالعه، من حوله، صوراً أخصبتْ بها نفسُه، وجد فيها – بعد أن استوى عوده، وأخذ يتمرس بالتعبير عمّا يحس، وهو في الإسكندرية – مشاهد حية من سِحْر الطبيعة وألوانها: زهراً وعطراً وندًى وطيراً وجدولاً وخريرًا.

يقول في ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي طبعه في الإسكندرية ١٩١١، من قصيدة بعنوان «قصيدة الطبيعة»[1] التي نسجها على منوالٍ لا بدّ يحفظه، من «ديوان العرب»:

روضٌ إذا زُرتَه كئيباً
نفّس عن قلبك الكُروبا
إذا بكاه الغمامُ شقّتْ
من الأسى، زهرُه الجُيوبا
وشّاهُ قَطرُ الندى فأضحى
رداؤه مُعْلَماً قشيبا
فمن غصونٍ تميس تِيهاً
ومن زهورٍ تضوعُ طِيبا
ومن طيورٍ إذا تغنّت
عاد المغني بها طَروبا
ونرجسٍ كالرقيب يرنو
وليس ما يقتضي رقيبا
وأقحُوانٍ يُريكَ دُرّاً
وجلّنارٍ حكى اللهيبا
وجدولٍ لا يزال يجري
كأنه يقتفي مُريبا

(١) النص ٢٣

تَسمعُ طوراً له خريراً
وتارةً في الثَّرى دبيبَا
وكلُّ معنىً به جميلٌ
يُعلِّم الشاعرَ النَّسيبا
أرضٌ إذا زارها غريبٌ
أصبح عن أرضه غريبا

ويقول، في المرحلة نفسها، يصف النيل، من قصيدة جعل عنوانها (يا نيل)[1]، فافتتح وصفه على هذا النحو الفخم القوي الجزل:

فثمّ جلالٌ يملأ النفس هيبةً
وثمّ جمالٌ يملأ العينَ باهرُهْ
وألحظُ شمسَ الأفق، وهْي مُطلّةٌ
تسايرُ فيه ظلَّها إذْ تسايره
إذا هيَ ألقتْ في حواشيه نورَها
رأى التِّبر يجري في حواشيه ناظرُهْ
يروحُ النسيم الرَّطبُ في جَنَباته
يداعبه طوراً، وطوراً يحاوره
وتقبِض من مبْسوطه نفحاتُه
كما قبضَ الثوبَ المطرَّزَ ناشرُه
كأني بها سِفْرٌ تدانتْ سطورُه
أوائلُهُ قد شُكِّلتْ، وأواخرُه

ومن هنا نجده، في دلالة مستمرة، يسمي ديوانه الثالث (الجداول)، وديوانه الرابع (الخمائل). ومن هنا أيضاً تتدخل الطبيعة في أغراض شعره، تعينه على تدفق خاطره الشعري فيه. فإذا بكى حجب الليلُ قمره، وإذا ضحك أضحك الدراري معه.

---

(١) النص ٥٢ من الديوان نفسه.

يقول يصف حال المحزون، في الديوان نفسه[1].

وأعــوزه عــلى الــبــلــوى مُــعــينٌ
وأعــوز لــيــلَه الــقــمــرُ الــتَّــمــامُ

فــضــاقَ فــؤاده بــالــهم ذرْعــاً
وضــاق بــهــمِّه وبه الــظلامُ

كــأن نجــومه أجــفــانُ بــاكٍ
كــأن الــلــيل صبٌّ مــســتــهــام

وبــالأقــمــار مــا بي، فــهْي مــثــلي
تحــاول أن تــنــام فلا تــنــام

كــأني قــارئٌ والــلــيل سِــفْــرٌ
لــه بــدءٌ ولــيس له اخــتــتــام

✡✡✡✡✡

أعــدى غــرامي الــنــجــومَ حــتى
أســهــرَهــا من الــدجى غــرامي[2]

✡✡✡✡✡

بدأ الفتى، وهو بعد في الإسكندرية، في أول تفتّحه ـ كما تقول بعض أخباره الأولى ـ يدرس قواعد النحو والصرف لنفسه، وفي بعض الكتاتيب القائمة في الإسكندرية يومذاك، وأخذ يقرض الشعر، وقد تحركت له نفسه، بحكم تكوينه، قبل كل شيء، ينسج قصائده، على مثال ما يقرأ من شعر العرب، كما رأينا، يلتزمه ويحاكيه، ويقف عند بعض قصائده وأعلامه، في المواقف التي اختار أن يقفها، منحازاً، ضمن الحزب الوطني الذي يرأسه مصطفى كامل، إلى الحركة الوطنية[3]، في ظل المقاومة التي أخذت تنشط، للاحتلال

---

(١) تذكار الماضي: النص ٤٩، وسيأتي الكلام على دواوينه الأخرى من بعد.

(٢) النص ٣٢ (أنا إمام الذين هاموا).

(٣) من اللافت: وقوفه إلى جانب الحركة التعليمية فيه (سميت باسم: مدارس الشعب) والحركة العمالية. وفي شعره ما يمثل لهذا التأييد ويجهر به بالرغم من ظهور خلافات جرّاءها، داخل الحزب.

الإنكليزي الذي أطبق على مصر منذ سنة ١٨٨٢، ورجاله وأتباعه، مهنئاً من يُفرَج عنه من رجالها (عبد العزيز جاويش)[١]، ومرحِّباً بمن يعود منهم من منفاه (محمد فريد)، وراثياً من يقضي من زعمائهم (مصطفى كامل)، إلى جانب رثائه رجال الفكر والإصلاح (الشيخ محمد عبده) والأدب (جرجي زيدان)، ومندداً بالسلطات العثمانية و«باستبدادها» بقومه، تنديداً ضارياً، معلناً شماتته بانكساراتها وهزائمها، محيياً خصومَها، مشيداً ببطولاتهم، وبمن يرجع إلى الحق والدستور من رجالها[٢].

وتقع، إلى جانبه، في الإسكندرية (١٩٠٩) فاجعة مبكرة: وفاة أخيه (طانيوس)[٣]، مفتتحاً بمأساته مأساة أخويه الآخرَيْن من بعد: واحدٍ إلى جانب أبي ماضي أيضاً، في مدينة سِنسِنَّاتي، في المهجر الأميركي، سنة قدومه إليها من مصر (ديمتري ١٩١٦)، منتحراً برصاصة أطلقها على نفسه، قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، وأخته (أوجيني- جيني) في لبنان، إثر ولادتها الأولى (١٩٢٣)[٤]، فضلاً عن موت فريق من أهل زوجته (دوروثي نجيب دياب) في سن مبكرة.

وقد أُتيحَ له، وهو بعدُ في هذه المرحلة من حياته في الإسكندرية، أن يصل صوتُه إلى بعض صحف المهجر، فنُشرت فيها بعض قصائده التي كانت بعضُ الصحف المصرية تنشرها «اللواء» و«الهداية» و«الشعب» و«القلم»، وهي قصائد تحمل شكواه الاجتماعية أو السياسية، ضمّها، من بعد، إلى (تذكار الماضي)، وتشير إلى ما تحمل نفسه من هموم الغربة وأوجاع الأحداث التي تقع من حوله، في الوطن الذي غادره (لبنان) والوطن الذي يعيش فيه (مصر)، وتحمل شكواه من بعض الوقائع العامة، ومن المعاناة الذاتية التي تضطرب بها نفسه.

---

(١) نشر سنة ١٩٠٩ في جريدة اللواء (وهي جريدة الحزب) كلمة عنيفة، في ذكرى واقعة (دنشواي)، فحكم عليه بالسجن.اندفع أبو ماضي، مخالفاً نصيحة الكثيرين، فنشر في (اللواء) قصيدةً، هنأه فيها بالإفراج عنه.

(٢) تراجع الأمثلة في هذا كله في ديوانيه: الأول (تذكار الماضي) والثاني (الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي)، إذ لا فائدة في إيراد نماذج منها هنا، أو في تحديد نصوصها

(٣) في (تذكار الماضي) قصيدة بعنوان «البدر الآفل» يبكيه فيها بكاء مراً: النص ٣٧.

(٤) في المراجع، بين أيدينا، نبأ عن موت أخ آخر له، سمته (إبراهيم)، لم أجد تفصيلاً عنه.

يقول، مثلاً، من قصيدة تحمل عنوان «شكوى فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في السن»، فصوّر بلسانها عجزها عن الرضا بما كُتب لها، وتطلعها إلى الحياة التي ترى نفسها أهلاً لها، حتى كأنه كان يحكي حكاية فُرقته عن أهله، وما كان يتطلع إليه ويرى نفسه قادراً على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أن يلفت إليها الناس:

زعَمـوا أنّ الـغـوانيْ لُـعَبُ
إنمـا الـلُّـعْـبـةُ، طـبـعـاً، لـلـصـبي
وأنـا مـازلتُ في شَـرْخِ الـصِّـبـا
فـلـمـاذا فـرَّط الأهـلـون بي؟
لـيَ قَـدٌّ وجـمـالٌ يـزدري
ذاكَ بـالـغُـصن، وذا بـالـكـوكب
قـد جـرى حبُ الـعلا مـجـرى دمي
فـهْيَ سـؤلي، والـوفـا من مَـشـربي
أنـا، لـو يـعـلـم أهـلي، درّةٌ
ظُـلـمتْ في الـبـيـع كـالـمُـخْـشَـلب[1]

على هذا النحو، نحسب عمله في الحقل السياسي، ودفاعه عن مصر وحقوقها، ونشره شعره في صحفها، واتصاله برجالها[2]، موصولاً باختيار السبيل إلى تعريف المصريين به، وبموهبته التي أصبح، من بعد، يعتزُّ بها غاية الاعتزاز[3]، ويرفعها، أحياناً، فوق مستواها الإنساني[4].

---

(١) تذكار الماضي: النص ٥، والمخشلب: الخرز، والحجر المزيف المصنوع.

(٢) في أخباره، عن هذه المرحلة اهتمامه بقضية المرأة، وقضية الإصلاح الديني ورجاله (الشيخ محمد عبده) والدعوة إلى الدستور، والانتصار للواقفين في وجه تمديد الترخيص لشركة قناة السويس البريطانية، أربعين عاماً (على حين أيّد أغلب الضيوف «الشوام « ضدّ الترخيص). ومن أخباره أيضاً، امتداحه ديواناً من الشعر كتبه علي الغاياتي، باسم (وطنيتي) صادرته سلطات الاحتلال البريطاني التي كان على رأسها المعتمد (سير الدون غورست). وفي شعر أبي ماضي ذكر له وتنديد به ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥٢ (مصر والاحتلال).

(٣) انظر الأبيات الأولى من قصيدته «١٩١٠» (من تذكار الماضي) والأبيات الأخيرة من النص٤٤ «مريض بالغرور».

(٤) انظر النص رقم ٥١، «إنّه الشاعر» (ما لم تجمعه الدواوين ص١١٢٥).

على أنه وصل، في نهاية هذه المرحلة، إلى أن أوصل صوته، عن طريق الصحف في الوطن والمهجر، إلى الناس من المحررين وأصحاب الصحف ومن يقرؤها، وأن يجد في نفسه القدرة على تكوين ديوانٍ من مجموع قصائده التي أجازها الرقيب، ودَّع به هذه المرحلة من حياته، وادّخر في جعبته قصائد أخرى سياسية لم يُجِزْ له الرقيب نشرها. وقال في آخر الديوان: إنه ينوي نشرها في «الجزء الثاني.. وإنّ نشْرها لقريب»[1].

فهكذا نرى أن صوته الخاص، في هذه المرحلة، لم يكن غائبًا عنها، كما توحي بعض الدراسات التي تناولت شعره فيها، وإن كان صوت الآخر هو الغالب عليه، في اختياره قوالب التعبير الفني لقصائده، على نحوٍ يذكّرنا، ونحن نقرؤها، بقصائد معينة لكبار شعرائنا القدامى.

ففي (تذكار الماضي) أصواتٌ يمكن أن نصل في تتبع أصداء مواقفها، إلى دواوينه الأخرى التي نشرها، في مراحل عمره التالية، مثل موقفه الشائع في شعره، من الإنسان وتعاليه على الطينة التي خلق منها[2]:

قالوا: ترقّى سليلُ الطين، قلت لهم: ... الآن تم شقاء العالَم الآنا

إن الحديدَ إذا ما لان صار مُدىً ... فكنْ على حذرٍ منه إذا لانا

والمرء وحشٌ، ولكنْ حسنُ صورتِه ... أنسى بلاياه مَن سمّاه: إنسانا

وموقفه من قيمة الإنسان الروحية، وتقديمها على صورته الظاهرة: «فالسرّ في الأرواح»، كما صار يقول من بعد[3]:

إذا كان حُسنُ الوجه يُدعى فضيلةً ... فإن جمالَ النفس أسمَى وأفضلُ

---

(١) ملاحظة وردت في آخر ديوانه (تذكار الماضي) ص٢٣١

(٢) تذكار الماضي: النص الأول (الإنسان والدين) وانظر فيه أيضاً النص رقم ٤٧ «الكبرياء خُلّة الشيطان». ونعود إلى الوقوف عليه، من بعد.

(٣) النص ١٢ في (الديوان الثاني) ص٢٩٦

وموقفه من رجال الدين الرهبان، في خطابه إلى لبنان وأهله[1]:

إنَّ الأبـــالس حــــين أعـــيـــا أمـــركُمْ
جـــاءتـــكمُ في صـــورة الـــرُّهـــبـــانِ

فــحــذارِ من أن تُــخــدعــوا بــلــبــاســهمْ
فــهمُ الــضــواري في لــبــاس الــضّــانِ

إن كــــان لــي ذنبٌ وهـم غــــفــــرانُه
آثــــرتُ أن أبــــقى بلا غــــفــــران

أو كــنت في الــنــيــران حــيث لــديــهمُ
مــنــهــا الــنــجــاةُ، رضِيتُ بــالــنــيــران

فإذا رجعنا إلى النظر في اختيار أساليب التعبير، وصوغ الجمل فيها، طغى صوت الآخر، وبدأت تتوارد على الذاكرة أسماء كبار شعراء تراثنا الشعري(المتنبي، أبو العلاء، بشار، أبو نواس، وغيرهم) على نحوٍ يشعرنا بمطالعات إيليا الجادّة لدواوينهم، واختيار القصائد السائرة، من شعرهم، في جمهور المتأدبين [2]

والذي ننتهي إليه أن الشاب، في أولى مراحله، كان يستكمل عدَّته، ويستعرض أسس ثقافته الشعرية، قبل أن يرتقي بها، من بعد انتقاله إلى العالم الجديد، وتأثره، في مراحله المقبلة، بأجوائه، وانتظامه عضوًا في(الرابطة القلمية)، والتقائه بكبار أعضائها: جبران ونعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة.

****

(١) انظر النص ٣٩ «في سبيل الإصلاح» (تذكار الماضي)

(٢) نلاحظ من بعد، أن ابا ماضي تعدى، في مطالعاته، شعراء العصر العباسي، إلى شعراء العصور المتأخرة (العصر الأيوبي والمملوكي، لحاقاً بشعراء مرحلته الزمنية :شوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل). وربما كان تأثره بكل واحد منهم يحتاج إلى درس خاص، حتى في اقتباس بعض معانيه!

(٢)

ولكنه قطع شوطًا آخر، مهّد له الطريق، نجد معالمه المتقدمة في ديوانه الثاني الذي نشرته له، في نيويورك جريدة (مرآة الغرب اليومية) سنة١٩١٩ . ففيه نستطلع المقدمات الحقيقية التي انتهى إليها في ديوانه الثالث (الجداول)، وشكّلت عالمه الشعري الرحب الذي دخل به تاريخ الشعر العربي من بابه الخاص، وأصبح معه مَعْلماً متقدماً من معالم التجديد في حياتنا الأدبية.

ولهذه المعالم، من هذا الجانب وحده، في هذا الديوان (الثاني)، رضي جبران أن يقدم له بمقدمة حفظ لأبي ماضي فيها قدرته على تخطي عالم الحس، وقرّبه من مفهومه الخاص للشعر، بأسلوبه المجازي المعروف: «الشعر عاطفة تتشوق إلى القصيّ غير المعروف، وتجعله قريباً معروفاً، وفكرةٌ تناجي غير المدرك، فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم... فالشعر يصعد إلى الملأ الأعلى على سُلّم أقوى وأبقى من الجبال ! يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبالٍ غير منظورة... يتمسك بحبال الفكر، ويملأ كأسه من عصير أرقّ من ندى الفجر، يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح... وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه سلالم بين المنطق وغير المنطق، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها ...».

وقد كان الفاصل الزمني بين الديوانين، الأول والثاني، ثماني سنوات (١٩١١-١٩١٩)، وهو عين الفاصل الزمني بين ديوانه الثاني هذا وديوانه الثالث (الجداول: ١٩١٩ – ١٩٢٧).

فأما الفاصل الفكري والنفسي والفني بين هذين الديوانين (الأول والثاني) فأبعد كثيراً من هذا الفاصل الزمني، وكان لانتقاله إلى العالم الجديد، لاشك، والتقائه بعض

أعضاء الرابطة أثر فيه، بالرغم من أن انتقاله من سِنْسِنّاتي[1] إلى نيويورك ١٩١٦[2] حين التقى بجبران ونعيمة وزملائهما، واختلط بهم، تمّ في سنوات قليلة، قبل ظهور هذا الديوان، أعني قبل أن يعاد تشكيل الرابطة القلمية[3]، وتعلِن عن برنامجها وتصدِر مجموعتها سنة١٩٢١

على أن الديوان الثاني اشتمل أيضاً على قصائد كان كتبها في الإسكندرية، ولم يتح له نشرها، لأسباب سياسية. وفيه، لاشك، قصيدة أو أكثر كتبها في زيارته لبنان، لبضعة أشهر، قبل أن يركب البحر إلى أمريكا، هارباً، على ما تقول بعض المراجع، من وجه السلطة العثمانية القائمة فيه آنذاك، بعد أن انضم إلى صفوف معارضيها[4]. منها قصيدته التي سماها «وداع وشكوى»[5]، شكا النوى في أولها، ووصف موج البحر الهائج الذي أحاط بمركبه، حتى ظن الموت قريباً منه. ثم قال، كأنه يخاطبه من الحال التي نعرفها في لبنان اليوم:

نيويوركُ يابنت البحار، بنا اقصِدي
فلعلنا في الغرب ننسى المشْرِقَا
وطنٌ أردناه على حب العُلا
فأبى سوى أن يَستكين إلى الشَّقا
أوَ كلما جاء الزمان بمُصلحٍ
في أهله، قالوا طغى وتزندقا

(١) انضم في سنسنّاتي إلى أخيه (مراد) في عمله التجاري، ولم يصدر له شيء خلال عمله معه، إلا أن يكون ما نشر في بعض الصحف والمجلات.

(٢) دعي، في انتقاله، إلى الإشراف على مجلة تُصدرها مجموعة من الشباب الفلسطينيين، باسم (المجلة العربية). ثم انتقل إلى العمل مع شكري بخّاش في المجلة التي كان يصدرها باسم (الفتاة)، إلى أن استقر اخيراً في العمل مع نجيب موسى دياب، في جريدته (مرآة الغرب اليومية)، وفيها تم طبع ديوانه الثالث (الجداول) أيضاً.

(٣) ظهرت (الرابطة) في منتصف عام ١٩١٦، ثم أعيد تشكيلها من بعد، لإبعاد (نجيب موسى دياب) صاحب (مرآة الغرب) عنها.

(٤) (إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهوله) لجورج ديمتري سليم، ص ١٧٧، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧

(٥) النص ٩ (الديوان الثاني) ص٢٧٩

هـــذا جـــزاءُ ذوي الـــنُّـــهى في أمـــةٍ
أخـذ الجـمـودُ عـلى بـنـيـهـا مَـوثـقـا
وطنٌ يـــضـــيق الحـــرّ ذَرْعـــاً عـــنـــدَهُ
وتـــراه بـــالأحـــرار ذرْعـــاً أضْـــيَـــقـــا
شـعبٌ كـمـا شـاء الـتـخـاذل والـهـوى
مـــتـــفـــرقٌ، ويـــكـــاد أن يـــتـــمـــزّقـــا
لا يـــرتـــضـي دينَ الإله مـــوفّـــقـــاً
بـين الـقـلـوب، ويـرتـضـيه مـفـرِّقـا
لم يـعـتـقـد بـالـعـلم، وهْـوَ حـقـائقٌ
لـكـنه اعـتـمـد الـتـمـائمَ والـرُّقى
وحـكـومـــةٌ مـا إن تـزحـزحُ أحـمـقـاً
عن رأسـهـا، حـتى تـولي أحـمـقـا
بـيـنـا الأجـانبُ يـعـبـثـون بـهـا كـمـا
عـبث الـصَّـبا سـحَـراً بـأغـصـان الـنَّـقـا
(بـغـدادُ) في خـطـر، و(مـصـر) رهـيـنـةٌ
وغـداً تـنـال يـدُ المـطـامع (جِـلّـقـا)!

ثم التفت يصف الحياة في مغتربه الجديد، في ردة الفعل لما وقع له في لبنان:

أصـبـحتُ حـيث الـنفسُ لا تـخـشى أذىً
أبـداً، وحـيثُ الـفـكـرُ يـغـدو مُـطـلَـقـا
هـذي هي «الـدنـيـا الجـديـدة» فـانـظـري
فـيـهـا ضـيـاءَ الـعـلمِ كـيف تـألّـقـا
إني ضــمِـنتُ لكِ الحـيـاةَ شـهـيـةً
في أهـلـهـا، والـعـيشَ أزهـرَ مُـونِـقـا
نـفسي! اخـلُـدي ودعي الحـنـينَ فـإنمـا
جـهلٌ بُـعـيـد الـيـوم أن نـتـشـوّقـا

وفي الديوان نصوص أخرى ـ نُشر بعضها في عدد (السائح) الممتاز التي كان عبد المسيح حداد يصدرها، وفي(الفنون) لنسيب عريضة ـ من نتاج هذه المرحلة التي سبقت مجيئه إلى نيويورك.

ثم تم، في آخر الأمر، انتقاله محرِّراً في جريدة (مرآة الغرب) أوائل سنة ١٩١٨، وتمت خطبتُه لابنة صاحبها «نجيب موسى دياب»: «دوروثي- دورا». لكنّ حادثاً آخر لاحقه، وقع في السنة نفسها لأخت خطيبته (أولغا)، اذ دهمتها سيارة، في بروكلن، ذهبت بحياتها.

هذه جملة مقدمات هذا الديوان، توحي بأن كثيراً من قصائده كانت كتبت، كما أشرنا، في المرحلة الأولى من حياته، في الإسكندرية، وجعلته يسميه باسم (الجزء الثاني)، كأنه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي).

وهذا إذن تفسير ما اتصفت به جملة قصائد هذا الديوان بما اتصفت به قصائد ديوانه الأول (تذكار الماضي)، من النزوع إلى تقليد الشعراء الكبار القدامى[1]: التمسك بالجزالة في الصياغة، والقوة في المطالع، وطغيان الحسّية، والذهاب إلى النهايات في مواقف النفس مما تشاهده أو تعانيه: الكلف بالمبالغات، والتزام مذهبهم في الوصف والتصوير واختيار التشابيه، بما يعني، في آخر الأمر، اقترابه منهم، في موقفه من صورة الحياة والإنسان في أنفسهم.

ولعل ما نقلناه هنا، قبل قليل، من قصيدته (وداع وشكوى) يمثل لما نقول. فالأبيات فيها وحدات مستقلة، تنفرد بمعانيها. والتراكيب تقريرية ذات خط بياني واحد، تدل على تماثل الرؤية، وإملاء الأحكام إملاءً يجعل المتلقي يتلقاها بفتور. ثم إن الصورة التشبيهية الوحيدة في الأبيات مقحمة، أملاها التزام التقفية، بل هي لا تخلو من التنافر، فعبثُ الأجانب المرذول بوطنه لا يُسيغ الإحساسُ السليم تشبيهه «بعبث الصَّبا، المرغوب سحراً، بأغصان النَّقا»!

(١) الرجوع إلى كتاب (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، يزود الباحث بأمثلة كافية، تمثل لهذا النزوع في شعر أبي ماضي، وتردّه إلى المتنبي حيناً، وإلى أبي العلاء حيناً، وإلى آيات من القرآن الكريم حيناً.

ومن نصوص الديوان المنتقاة قصيدته «أنا وأخت المهاة والقمر»[1] المصوغة على نحو يذكِّر المتلقي بقصيدة معروفة لبشار بن برد، إذ البناء في القصيدة واحد، والروح واحد، والموقف النفسي واحد. وقد اقتضى أن يتقارب فيها سياق المعاني والصور، وإن اختلفت المفردات.

وقصيدة «بلادي»[2] تفوح منها ريح خطابية وصياغات وأبنية تصلنا رأساً بالمناخ التقليدي في شعرنا القديم:

رويـــدك أيـــهـــا الّلاحي رويـــداً
لك الـــويلاتُ، لـــيت ســـواك لامـــا
رجـالَ الـتـركِ مـا نـبـغي انـتـقـاصـاً
لَـعَـمـرُكمُ، ولا نـبـغي انـتـقـامـا

وفيها ما يذكّرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم وأسلوب التفاخر فيه:

ألـــســـنـــا نـــحن أكـــثـــرَهم رجـــالاً
إذا عُـــدّوا، وأرفـــعَـــهم مـــقـــامـــا

وبالمعاني التقليدية، في مثل المواطن التي كانت تقال فيها:

وعِـــلْمُ المـــرءِ أنّ المـــوت آتٍ
يُـهـوِّنُ عـنـده المـوت الـزؤامـا

****

(١) النص ٥ من الديوان الثاني.
(٢) النص ٢٢

(٣)

بعد سنتين من صدور الديوان الثاني (١٩١٩ ـ ١٩٢١)، أصدرت (الرابطة القلمية) مجموعتها الأولى، من نتاج أعضائها العاملين (وقد سمتهم: «عُمّالا»)، وفيها خمسُ قصائد مختارة لأبي ماضي، ثلاث منها كانت صدرت في هذا الديوان الثاني «فلسفة الحياة» و«لم أجد أحداً» و«ابنة الفجر»[١] واثنتان تضمّنهما ديوانه الثالث الذي صدر بعد ست سنوات من صدور المجموعة (الجداول ١٩٢٧)، وهما: «المساء» و«نحن»[٢].

يعدّ اختيار هذه القصائد في مجموعة الرابطة، بمثابة براءة انتساب إلى الحركة الأدبية الجديدة التي «تتخذ من الأدب رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، لا معرضاً للأزياء اللغوية، والبهرجة العروضية»، على حد ما جاء في مقدمة المجموعة التي صاغها مستشارها وأمين سرها ميخائيل نعيمة، «يرى القارئ من نفسه [فيه] ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عيياً عن النطق به، فيقترب من نفسه، ويقترب من العالَم » [٣].

ضمن هذه المقدمات صدرت مجموعة أبي ماضي الشعرية الثالثة، (الجداول)، بعد أن مضى على صدور المجموعة الثانية، ثماني سنوات (١٩١٩-١٩٢٧) كما ذكرنا، أمضاها أبو ماضي في أجواءٍ أشاعتها قصائده المختارة التي أقبل القراء في الوطن العربي[٤] على قراءتها، وطلبة المدارس على حفظها.

وقد اختلطت الأحداث السارة في حياته، خلال هذه السنوات، بالأحداث الحزينة، فأمدته كلتاهما بالزاد الوجداني والفكري، وبالحافز الفني، في تأمل الحياة وتفسيرها

---

(١) انظر فيه، على التتابع، للنصوص التالية: ٣ و١١ و٧٩

(٢) النص ١٥ و١٩ وقد صدر النص الثاني «نحن»، في (الجداول)، بعنوان مغاير «العميان».

(٣) مجموعة الرابطة القلمية ص ١٨

(٤) كانت المجلات والصحف، في الوطن، تنقل نتاج المهجريين المختار إلى قرائها، على نحو ما كانت تُنقل في المهجر. وتقف (المقتطف) و(الهلال) في مقدمتها.

وتصوير معانيها وعِبرها، والنفوذ إلى حقائقها، في ضوء ما حاق به وأتيح له معاً:

فقد ماتت خلالها (١٩٢١) حماته (كاترين) بالسرطان، في أول العقد الرابع من حياتها، ورزق بعدها بسنتين (١٩٢٣) بأول أولاده (ريتشارد). ولكنه أصيب بعدها، بأشهر قليلة، بموت أخته (أوجين) في لبنان، في ولادتها الأولى، كما أشرنا، ووصل والداه إلى نيويورك، بعد وفاتها بأشهر. ورزق، في السنة التالية (١٩٢٤)، ولده الثاني المعوّق(إدوارد)، وصار خلالها وكيلاً لمجلة (المقتطف)، وخاض بعدها حرباً هجائية قاسية نعود إليها من بعد[1].

وكان ديوان (الجداول) نتاج ما خلّفته هذه الوقائع وتأمّل الحياة في أضوائها المتعاقبة، ومع ما اكتسب خلالها من قدرات فنية جديدة أرهفتها حقائق الحياة، في المحيط الجديد، وما أشاعه الرابطيون فيه، وبتأثيره، من حقائق العمل الأدبي ومعانيه الجديدة عندهم. فأبو ماضي، في هذا الديوان، طلْق الفكر، طلق الإحساس، طلق العاطفة، طلْق التعبير.

✡✡✡✡✡

وامتد الزمن، بعد (الجداول)، ثلاثة عشر عاماً، غادر خلالها عمله في (مرآة الغرب)، بعد أن أمضى فيه أكثر من عشر سنوات (١٩١٨-١٩٢٨). ثم تتابعت الأحداث: ففي الأخبار: أن خلافاً مالياً شب بينه وبين حميه (صاحب: مرآة الغرب) استوجب، سنة ١٩٣٣، اللجوء إلى المحاكم[2]. وفي الأخبار أن والده رجع إلى لبنان ١٩٢٨، بعد أن أمضى في أمريكا خمس سنوات، وخلّف زوجه (أم أبي ماضي: سلمى) فيها، حيث أمضت بقية حياتها! مما قد يعني أن خلافاً شديداً دب بين الزوجين، ماتا بعده، خلال هذه المدة، منفصلَين (مات أبوه سنة ١٩٣١، وماتت أمه، بعد وفاة زوجها باثني عشر عاماً ١٩٤٣)!

وفي أخبار هذه المرحلة أيضاً ما يشير إلى مكان جبران من نفسه، فقد كان في اللجنة التي هيَأت لحفل يوبيل جبران الفضي(١٩٢٩) في بروكلن - نيويورك. والخبر يعني

---

(١) نجد آثارها في الشعر الذي أغفله أبو ماضي وجورج صيدح، فلم يُجمع في الدواوين (انظر: مالم تجمعه الدواوين، النصّان المتتابعان: ٤٢ و٤٣).

(٢) انظر كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٨٠

أن تأثره بفكر جبران ينبغي أن يردَ في تقويم نتاجه، مهما بدا محدوداً عند بعض دارسيه. على أن الحدث العريض، في هذه المرحلة، هو إنشاؤه مجلة (السمير)، وصدورها (١٩٢٩) نصف شهرية، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية، بعد سبع سنوات من إنشائها (١٩٣٦)[١].

ولكن أباه توفي في لبنان، في بلدته (المحيدِثة)، بعد إصدار (السمير) بسنتين (١٩٣١)، وأُعلنت، بعد وفاته، بأقل من أسبوعين، وفاة جبران (١٩٣١/٤/١٠)، فخصصت (السمير) عدداً لذكراه. وتوفيت أخت زوجه (أولغا) في عقدها الثالث (١٩٣٢)، إثر عملية الزائدة المعوية. ولكنه رزق، في العام الذي تلا وفاتها (١٩٣٣)، بابنه (روبرت) ثالث أولاده.

خليط من الأحداث السارة والوقائع الحزينة، سنّة الحياة التي تُظِلُّ الناس جميعاً، ولكنها، في حياة أبي ماضي، تبدو، في الجملة، أشدّ كثافة وأكثر قَتاماً.

على أن الأخبار تتوارد أيضاً بتكريمه، في حفل خاص (١٩٣٥) رعته الجالية السورية. ويُطبع (الجداول)، في العالم العربي، من غير استئذان، في سورية والعراق، بما يفيد امتداد شهرته امتداداً لعل شاعراً آخر لم ينافسه فيه.

ومع هذه المقدمات أيضاً صدر ديوانه (الرابع: الخمائل ١٩٤٠)، وطبع في مطابع جريدته (السمير)، وأقيمت له حفلة نشرت (السمير) الكلمات التي ألقيت فيها. وتبع صدوره انتشارٌ بعض قصائد (الجداول) على ألسنة كبار المطربين في العالم العربي: فقد غنى محمد عبد الوهاب (١٩٤٤) مقاطع من قصيدة (الطلاسم)، واختارت أسمهان، في العام نفسه، أجزاءً من قصيدة (المساء) لتغنيها، لحنها لها رياض السنباطي، ولكنها ماتت قبل تسجيلها[٢].

✡✡✡✡✡

---

(١) ادرجنا، في آخر هذه الدراسة، عدداً من صفحاتها المصورة، تنقل بعض ما كان يكتبه فيها أبو ماضي.

(٢) خطوط هذه الأخبار كلها، وكثير غيرها، استقيت من المصدر السابق. وحيثما أُغفل ذكر المصدر، لوقائع من حياة أبي ماضي، فالمرجع فيها: كتاب جورج ديمتري سليم.

ثم عاد أبو ماضي فواجه، بعد صدور (الخمائل)، أيام الأحزان وأيام المسرّة التي حفلت بها حياته كلها، على النمط المختلط نفسه: فقد توفيت والدته (سلمى) بعد صدور الديوان بثلاث سنوات (١٩٤٣)، وشارك في تأبين بعض أصدقائه، ودشّن، في السنة نفسها، المبنى الجديد لجريدته (السمير)، وشارك أيضاً في بعض حفلات الزّفاف، ورأس، في الوقت نفسه، حفلة أقيمت لتأبين زميله في (الرابطة) الشاعر الحمصي: نسيب عريضة، ورثى، زميله الحمصي الآخر: ندرة حداد.

وأتيح له أن يزور وطنه لبنان في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت (١٩٤٨)، مع صدور الطبعة الثانية، من ديوان (الخمائل) فيها، فزار (المحيدثة) وأقيمت له حفلة تكريم في نادي مدرستها. وأذاعت الإذاعة مقتطفات من شعره كانت دعته إلى تسجيلها. وصدر، في هذه الأوقات السارة، مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق الفخري المذهّب. وأقيمت حفلة عُلِّق على صدره فيها وسام الأرز الوطني اللبناني، من مرتبة ضابط.

وزار سورية أول عام (١٩٤٩)، فأقيمت له في الجامعة السورية (جامعة دمشق) حفلة تكريم رعاها رئيس الجمهورية، وعلق على صدره فيها وسام الاستحقاق بدرجة ممتاز[١].

ثم مضى ما يقرب من ثماني سنوات بعدها، أمضاها أبو ماضي في رعاية جريدته (السمير). ولكنه مرض في نهايتها. ولم يلبث أن توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٥٧، بعد أن باع مطابع الجريدة وتخلى عنها، فأقيمت، في ذكراه، حفلات في سورية ولبنان ومصر والمهجر.

✡✡✡✡✡

وكان قد ترك، في الصحف والمجلات، نصوصاً شعرية، قيل: إنه جمع بعضها، قبل وفاته، فنهض صديقه جورج صيدح باختيار ما يرضيه منها، وكوّن منها ديواناً سمّاه (تبر وتراب)، نشرته دار العلم للملايين في بيروت، في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠، بعد عشرين

---

(١) كان كاتب هذه السطور في جملة من حضرها من طلبة الجامعة، ولكن القصيدة التي كتبها لهذه المناسبة لم يلقِها هو، فألقاها بالنيابة عنه، وهو يسمعها، الشاعر سليم الزركلي. وربما خشي أن يبين في إلقائه أثر الغربة الطويلة التي كان أمضاها في المهجر (١٩١١– ١٩٤٩).

سنةً من صدور (الخمائل)، وحوالي خمسين سنة من صدور ديوانه الأول، لم يحتجب ذكر أبي ماضي خلالها عن ضمير القراء العرب في الوطن والمهجر.

وقد ضم هذا الديوان الخامس تسعة وخمسين نصّاً شعرياً لم تُضِف لأبي ماضي شيئاً لم يُقَلْ فيه قبل صدوره، أو شيئاً لم نصل إليه.

وأكثر نصوصه قيل في مناسبات محدَّدة، بعضها ذو قيمة نفسية أو قيمة إنسانية ساطعة، مثل «وطن النجوم»[1]، في مخاطبة وطنه (لبنان)، وقد رأى النجوم (في زيارته له ١٩٤٨) تتلألأ في سمائه، بعد أن غادر سماء أمريكا التي تحجبها الأضواء المصنوعة، ومثل «تحية الشام»[2] التي ألقيت في دمشق (١٩٤٩) في حفلة التكريم التي أشرنا إليها، ومثل قصيدته «الشاعر والكأس»[3] التي تصوِّر، حالاً من أحوال النفس، يرى صاحبها من حوله كل ما يتطلع إليه، ولكنه لا يعبأ به، كأنه لا يراه ولا يريده:

كالتماثيل حوله — من نحاسٍ ومن رُخامْ
لا اكتئابٌ ولا رضا — لا بكاءٌ ولا ابتسامْ
فإذا الكون عنده — جدَثٌ كله رِمامْ

ومثلها، في أغلبه، مقطوعات قصيرة. أما قصائد المناسبات فطويلة، ولكنها مصروفة إلى غاياتها التي كتبت من أجلها. وربما جاء فيها بما كان يشغله ويصرف همَّه إليه. ففي قصيدته «تلك السنون»[4] التي ألقاها في حفلة اليوبيل الفضي لجريدته «السمير» (١٩٥٤) وصفٌ لما عانى في متابعة إصدارها:

إني أراني بعد ما كابدتُه
كالفُلْك خارجةً من الأنواء
وكسائحٍ بلغ المدينة بعدما
ضلَّ الطريق وتاهَ في البيداء

---

(١) النص ١ ص٨٤٩.
(٢) النص ٢ ص٨٥١.
(٣) النص ٣ ص ٨٥٦.
(٤) النص ٩ ص ٨٦٩.

وشكرٌ لمن عاونه في رفع شأنها، وتقديرٌ لقيمة ما بذلوه في رَفدها. ثم انعطف بعدها يقول، على عادته في خطاب من يسميهم «الأعداء» أو «الحسّاد»:

شكراً لأعدائي، فلولا عَيْثُهم
لم أدرِ أنهمُ من الغوغاء
نهشَ الأسى، لما ضحكتُ، قلوبَهم
عرسُ المحبةِ مأتَم البغضاء
نَنَبي إلى الحسّاد أني فُتُّهم
وتركتهمْ يتعثّرون ورائي

عفوَ المروءة والرجولة، إنني
أخطأتُ حين حسبتُهمْ نظرائي!

وفي الديوان، من مثل هذه المناسبات، عدد كبير، لحظَه بعض الدارسين، فعدّ الديوان به خطوةً إلى الوراء: شغَلَه الانصراف فيه إلى المناسبة، عن تأمل الحياة في معانيها العميقة ومجاليها الطلقة، واستجابةِ الفكر في تفسيرها وتصويرها وجلائها.

على أن هذا الحكم لا يصح، على إطلاقه. ففي الديوان قصائد كتبها أبو ماضي في بعض المناسبات، فكانت المناسبة فيها فرصة أتاحت له الوصول إلى عالَم جديد، أو فكرةٍ مبدَعة[1].

✲✲✲✲✲

ولو لم يندب جورج ديمتري سليم نفسه لجمع ما لم تجمعه الدواوين، من شعر أبي ماضي، لبقي جانب منه مطوياً عنّا. صحيح أن الصورة، في جملتها، لن تتغير علينا، ولكنها، في بعض أطرافها، لن تكتمل. ولن تكتمل صورة الحياة آنذاك، من جانبيها الاجتماعي والثقافي، في أوساط المهاجرين العرب. يكفي أن نذكر أن مجموع ما جمعه في

---

(١) انظر قصيدته التي كتبها في قدوم أحد الأعياد «الغبطة فكرة»، فانتهى فيها إلى أننا قادرون على استجلاب الإحساس بالغبطة عن طريق الفكر، باستذكار ما نحن فيه من نعمة الوجود والتمتع بقدرات الحواس وسلامتها - (الخمائل) النص ٤٤ ص٧٩٢ وسنقف أيضاً، من بعد، على قصيدته (إنه الشاعر) التي ألقاها في حفلة تكريم زميله في (الرابطة)، الشاعر نسيب عريضة (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١) وساقه الردّ على أصحاب «الكشاكيل» إلى صوغ مثاله (العير المتنكر).

كتابه هذا يزيد على خُمْس مجموع شعر أبي ماضي، وأنه يغطي أيام إقامته في الوطن (في مقامه في مصر ولبنان) وفي المهجر.

فقصيدته «مصر والاحتلال»، مثلاً، كتبها أيام إقامته في الإسكندرية (١٩١٠)، ولكنه لم ينشرها في ديوانه الأول الذي أصدره فيها، ونشرتها جريدة (الشعب)، وكانت تنطق بلسان الحزب الوطني الذي اتصل به أبو ماضي، كما علمنا، إلى حد الظن بانتسابه إليه[1]. ومثلها قصيدته في تهنئة الشيخ عبد العزيز جاويش بخروجه من السجن، وقصائد أخرى تتصل بالسلطة العثمانية ودستورها المعلن سنة ١٩٠٨، ويلزم أن تكون كلها مما كتبه أبو ماضي خلال إقامته في الإسكندرية، فهي تنتسب إلى الدور الأول من حياته، دور التقليد والمشي على خطا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل، وصوتهم فيها واضح تماماً.

ومثلها قصائد حنّ فيها إلى وطنه لبنان، وجرى فيها على بساط التقليد نفسه، مثل «نفثة مصدور» التي شكا فيها من الأوضاع القائمة فيه:

ولا أدري وقد طال اغترابي
لمن أشكو وقد طال انفرادي

فيالَهْفي على لبنانَ يُمْسي
وأهلوه على وشْك الحِداد
يسوم الساكنيه الخسْفَ غِرٌّ
غويّ ضلّ عن نهج الرشاد[2]

وقصيدته (نجوى لبناني)[3] التي طلع فيها طلعة تقليدية خالصة! ودعا فيها قومه إلى النهوض:

---

(١) كتاب جورج ديمتري سليم ص ٩٦

(٢) يعني سياسة المتصرف (يوسف باشا فرنكو) الذي قيل: إنه كان يمالىء العثمانيين.

(٣) النص ٦ ص ١٠٠٩

لا الـغِـيـدُ تُـصـبـيـني ولا الأقـداحُ
مـهـمـا تـغـالى فـيـهـمـا المُـدَّاحُ

إني امـرؤٌ كـلِفٌ بـإدراك الـعلا
دأبي الجـهـادُ وغـايـتي الإصلاحُ

أهـوى بلادي دانـيَـاً أو نـائـيَـاً
أعـليَّ في حب الـبلاد جُـنـاح؟

☼☼☼☼

وفي المجموعة، بعد هذه، قصائد تنتسب إلى المهجر، هاجم فيها مَنْ سماهم (حاملي الكشاكيل)[1] ممن يسعون إلى جمع المال باسم التبرعات الخيِّرة، وفيهم رجال كانوا يحملونها باسم الدين:

كـذا الـذي طاف عـلـيكم يسـتدر الـصدقهْ
ويـسـتـثـير الـدينَ فـيكم وهـو ربُّ الـزندقه

فـمـا تـراءى شـبحٌ مـنـكـمُ إلا لحِـقَه
ومـا رأى مـائـدةً إلا أمـالَ عـنـقَهْ

وفيها تفصيلات صغيرة من مجتمع المغتربين المتعلمين في المهجر. فعدا عمّن سماهم «أصحاب الكشاكيل»، أناس ندبوا أنفسهم للطعن على من تقدمَهم، باتهامهم بالسرقة، أو بارتكاب الأخطاء في اللغة. وقد رد عليهم أبو ماضي، من قصيدة طويلة عنوانها (ماذا؟)[2].

تبٌّ الـنُّـحـاةُ وتبّ المـؤمـنـون بـهمْ
أهلُ الـسَّخـافـاتِ والـتـضـلـيلِ والـكذبِ

(١) انظر النصين ٨-٩ (ص١٠١٥- ١٠٢٠). والكشكول جعبة يحملها صاحبها ليجمع فيها ما يحصّله من الآخرين..
(٢) النص ١٠ ص ١٠٢٤.

النحوُ والصَّرفُ والإعراب أجمعُها
سفاسفٌ لم تكن من قبلُ في العرَب

وربما اتسعت أوقاتهم للتطرُّف أيضاً، وإنشاء المواقف الضاحكة، والغمز، عن طريقها، ممن أساء إليهم من أهلهم، أو مَنْ آلمهم، على مثال قول أبي ماضي في أبياتٍ ملحقة بقصيدةٍ وصف فيها كلبه(١):

وأنتَ يا واو عمروٍ	حتّام تَتْبَع عَمْرا
ولستَ تجلبُ نفعاً	ولست تدفع ضُرّا
إن البليّة غرٌّ	أمسى يناصرُ غِرّا
لا تعذُلِ الشّعرَ إما	جنى عليك الأمَرّا
قد كنتَ قبل القوافي	أقلَّ عقلاً وقدْرا

وقد يشتد أُوار الخصام فيدخل حقل المهاجاةِ المُرّة. وهذا الذي دعا أبا ماضي، إلى ألاّ ينقل ما جاء في ردوده منها، في الدواوين التي أصدرها. وقال بعضهم: إنه كفَّ عنها، وفضَّل أن تبقى حبيسة الصحف التي نشرتها، سماحاً منه لأصحابها، وترفعاً عن إيرادها في دواوينه. وتبعه، صديقُه جورج صيدح الذي جمع نصوص ديوانه الخامس (تبر وتراب)، فأغفلها.

قال مثلاً، من قصيدة عنوانها «أيا عجل اليهود»(٢):

تَوعّدني مقلّد نِفطويه
كما تتوعدُ الأنثى الرِّجالا
ويعلم أنه دوني مَقاماً
ولكنْ ينبحُ الكلبُ الهلالا

(١) النص ١١ ص ١٠٢٩ «حكاية»، والأبيات في ص ١٠٣٢
(٢) النص ١٢ ص ١٠٣٣

ويــــــكــــــذبُ آدمٌ إمّــــــا ادّعـــــاهُ

فـــإن الـــنـــاس لا تـــلـــدُ الـــبِـــغـــالا

ويـــا لـــهفَ الـــصـــحـــافـــةِ يـــدّعـــيـــهـــا

حـــــمـــــارٌ طـــــالمـــــا لـــــبِس الجِلالا

أتـــنـــهق والـــغـــضـــنـــفـــرُ قِـــيـــدُ بـــاعٍ

وتحـــسَـــبه ومـــا عـــاف الـــقـــتـــالا

فـــلـــستُ بـــنـــابغِ الـــشـــعـــراء إن لم

أردّ عـــلـــيك جُـــلّك والـــسِّـــحـــالا[1]

زعـــانفُ لـــست أرضـــاهـــا مـــطـــايـــا

ولا أرضـى رؤوسَـــــهُمُ نِـــــعـــــالا!

وقد شُهِر من خصومه شاعر كان يعمل في الصحافة (وأغلب الظن أنه هو من وجّه إليه قصيدته السابقة)، واسمه أسعد رستم. وقد ختم بالرد عليه أبياته التي عنوانها «دعْه ينبح»[2] بقوله:

قل لمَن ســـبّه لـــئـــيمٌ كـــهـــذا

شبّ بل شـاب وهـو في الـلـؤم يـسـبحْ

عـــرِّفِ الـــكـــلب أنه الـــكـــلبُ لـــلـــنـــا

س، ودَعْه، من بـــعـــد ذلك، يـــنـــبحْ

ووجه إليه، في الرد على قصائدَ كان أسعد رستم نشرها في جريدة (الهُدى)،

---

(١) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان، والسحال: اللجام.

(٢) النص ٤٣ ص١١١٤

(٣) النص ٤٢ ص١١٠٩، وقد رد أسعد رستم عليها، من بعد، بقصيدة جعل عنوانها: «ها ها..الدور لي»!

قصيدة بعنوان» إلى النابح العاوي»[٣].

يـا أيـهـا الـنـابحُ الـعـاوي بلا سـببٍ
أمـا لـنـفـسِكَ ذو ودٍّ فـيـنـهـاهـا
إن كـان غـرّك أن الحِـلمَ شـيـمـتُـنـا
فـربمـا خـالـفتْ نـفسٌ سـجـايـاهـا

يـا كـلبَ سـوقٍ ويـا خِـنـزيـر مـزبـلـةٍ
يـا جـيـفـةً مـا تَـحـامى الـنـاس إلاهـا
عـلـى الـدروب كلابٌ مـالـهـا عـددٌ
لا شك أنكَ أعـداهـا وأغـواهـا

إنّ الـسـفـالـةَ لـو تـأوي إلى سـكَنٍ
كـالخـلْق لم يكُ إلا أنتَ مـأواهـا
أعـيـاكَ أن تـرتـقي حـتى تـرى بـشـراً
فـصـرتَ كـالـتـيس نـطّـاحاً وتـيّـاهـا

☼☼☼☼

على أن في المجموعة طائفة أخرى من القصائد التي غنّى فيها أبو ماضي جمالاتِ الطبيعة، وجعل منها أمثلة للعطاء السخي المكتوم، مثل «الجدول الطروب»[١]، وإطاراً لتكريم بعض النابغين من الشعراء من أصحابه، وسما بهم، في قدرتهم على الافتتان بجمال الطبيعة، إلى أن جعلهم من نسل الآلهة[٢].

وطائفة أخرى من قصائد المناسبات (رثاء، خطبة، عرس، توديع، تعميق، امتداح).

---

(١) النص٤٥ ص ١١١٦

(٢) النص ٥١ ص ١١٢٥ من قصيدته: «إنه الشاعر»، ونعود إليه بعد: انظر ص ٥١ – ٥٣ من هذه الدراسة.

(٣) النص ٤٧ ص ١١١٨ من قصيدته «يا ليتني»!

وطائفة من أبيات الغزل الرقيق[٣]، تبدو العودة فيه، إلى شعراء الغزل العرب لا معنى لها، فقوة الانفعال في موقفٍ مثله يمسّ القلب، تظهر الطبيعة فيه ناطقة:

إذا أطلَّ البدرُ مِن خِدرِهِ
فإنما يطلُعُ كي تنظُريهْ
وإنْ شَدا البلبلُ في وَكْرِهِ
فإنما يشدو لكي تَسمعيهْ
وإن يَفُحْ عطرُ زهورِ الرُّبا
فإنما يعبَق كي تَنشَقيهْ
يا ليتني البدرُ الذي تنظرينْ!
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين
أواه لو تصدق «يا ليتني»!

فقد حول الطبيعة وكائناتها إلى توابع لمن يحب، وحشد لها أجمل ما فيها نوراً وشدواً وعطراً، ونوّع في إيقاع الجمل والمفردات والقوافي استجابة لغنى الإيقاع النفسي.

ومثلها مقطوعته التي نهج فيها النهج نفسه[١]:

لمّا رأيتُ الوردَ في خديكِ
وشقائقَ النعمانِ في شفتيكِ
ونشَقتُ من فَوديكِ نَدّاً عاطراً
لما مشت كَفّاك في فَوديك
ورأيتُ رأسك بالأقاح متوجاً
والفلُّ طاقاتٍ على نهديكِ
أيقنتُ أنك جنةٌ خلاّبةٌ
فحننتُ، من بعد المشيب إليكِ

---

(١) الخمائل: النص ٣٠ (يا جنّتي).

ولــذاك قــد صــيّــرتُ قــلــبي نــحْــلــةً
يــا جــنّــتي، كــيــمــا يــحــوم عــلــيكِ
روحــي فــداؤكِ، إنــهــا لــو لــم تــكــن
في راحــتــيكِ هــوتْ عــلــى قــدمــيكِ!

لكنه هنا مشى على خطوات شعراء مرحلته في الوطن، الأخطل الصغير، مثلاً، فإن صوته يتردد فيها. ولكنه احتفظ لها بالطعم الذاتي، في إشارته إلى المشيب مع الحنين.

وطائفة من شعر المواقف السياسية والوطنية التي اعتاد أبو ماضي أن يقفها في أدوار حياته كلِّها، منذ أيامه في الإسكندرية، مثل «توديع رستم بك: السفير العثماني في واشنطن»، و«عيد الحرية العثماني»، و«النكبة في سورية»[(١)] وغيرها.

وطائفة تصور جلسات السمر في مجالسهم وبيوتهم، وهي المجالس التي كانوا يتبادلون فيها شعراً خفيفاً يجري على نغمة «انقر يا دف على الطارة»[(٢)].

****

(١) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٤ ص١٠٤٢ والنص ٤ ص١٠٠١ والنص ٢٥ ص ١٠٧٦، على التتابع.
(٢) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٦ ص٢٧ والنص ٢٦ ص ١٠٥٠

(٤)

على أن السؤال الكبير الذي يلزم أن تطرحه هذه الدراسة هو: بِم اكتسب شعر أبي ماضي مكانته في حياتنا الأدبية؟ ما هي خصائصه وصفاته الأولى؟ وما الجديد الذي جاء به ؟ وما الذي أضافته إليه الإقامة في المهجر؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي يجمع ما كنا أشرنا إليه في الفِقَر السابقة، نعود إلى المرحلة التي تخطاها أبو ماضي بسرعة، وهي مرحلة التمرس والتقليد والمران التي يمثل لها أكثر ما أورده في ديوانه الأول (تذكار الماضي) وكثير مما أورده في ديوانه الثاني.

ففي هذه المرحلة يطغى، كما كنا أشرنا من قبل، صوت تراثنا الشعري، بسماته الكبرى: جهارة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة، على صوت أبي ماضي الخاص. ولكن هذا ينبغي ألا يذهب ببوادر توحي بالقدرة على النماء والتفتح. منها الميل إلى القص والاسترسال العفوي في الحوار:

سفرتْ فقلت لها: أهذا كوكبُ؟
قالت: أجلْ! وأين مني الكوكبُ؟
وتبسّمتْ فرأيتُ رئماً ضاحكاً
عن لؤلؤٍ، لكنه لا يُوهَب
وتمايلتْ فالسمهريُّ مصمّمٌ
ورنَتْ، فأبصرتُ السهامَ تصوّبُ
قد كلّمتْ قلبي، ولم ترفُقْ به
واللحظُ ، لو دريتِ المليحةُ، مِخلبِ[1]

✵✵✵✵✵

(١) تذكار الماضي: النص ٣١، من قصيدته، «الحسن لا يُشرى ولا يُستجلب» ص١٦٩

وقــائـلــــةٍ مـــاذا لـــقـــيتَ مِن الحب؟

فقلتُ:الردى والخوفَ في البعدِ والقربِ

فــقــالت: عـــهـــدتُ الحبَّ يُــكــسِب ربَّه

شـــمـــائلَ غُــــرّاً لاتُــــنـــــال بلا حُبّ

فـقـلـتُ لـهـا: قـد كـان حـبّـاً، فـزاده

نـفـورُ المـهـا «راءً» فـأمـسيتُ في «حـرب»

لـقـد كـان لي قـلـب وكـنت بلا هـوىً

فـلـمـا عـرفتُ الحب صـرتُ بلا قـلـب[1]!

ومنها: سهولة النظم ويسر الخاطر عليه، حتى كأن اختيار الوحدات اللغوية وبناءها يتمان دون جُهد، وهي صفة يدركها قارىء شعره على الفور، وهي وإن لم تخلُ من إحساسه بضعف شحنها بانفعال كاتبها، تقرّبه، في الوقت نفسه، من الإحساس بامتلاء خاطره بها، بحكم التكوين. وإنما يكون الاكتساب لإغناء الأداة وصقلها والتمرُّس بها، وشحن الخاطر بالرؤى.

ومنها التلاعب بموسيقا الشعر، مستوحياً تلاعب الوشّاحين القدامى بها، على الصورة التي تطالعنا في قصيدته «طبيبي الخاص»[2]، وقد جعلها في مقاطع[3]: يشتمل كل مقطع منها على أربعة أبيات، والرابع فيها يجيء على الرويّ الذي صاغه في البيت الأول وأفرده في مطلع النص[4]، مع انتهاء صدور الأبيات، في كل مقطع، برويّ واحد:

بتُّ أرعى في الـــظلام الأنْـــجُـــمـــا

لـــيس لــــلــعـــشـــاق حظ في الـــكَـــرى

✵✵✵✵✵

(١) المصدر نفسه: النص ٢٥ ص١٥٢ من قصيدة «بلا قلب».

(٢) تذكار الماضي النص ٢٩ ص١٦٠

(٣) يسميها الوشّاحون: الأبيات.

(٤) هو المطلع في الموشح أيضاً، ثم هو القفل من بعد.

صــرعــتــني نــظــرة حــتى لَــقَــدْ
كِــدْتُ أن أحــسُــد من لا يــبــصــرُ
نــظــرة قــد أورثتْ قــلــبي الــكــمَــدْ
مــا بلاءُ الــقــلــب إلا الــنــظــرُ
لا رعــاكَ الــلــهُ يــا يــومَ الأحــدْ
لا ولا حــيّــاكَ عــنــي المــطــرُ
أنت من أطــلــعتَ هــاتــيكَ الــدُّمى
ســافــراتٍ فــتــنــةً لــلــشُّــعَــرا

والنص طويل يمتدّ فيه النفَس على أربعة عشر مقطعاً، على النحو الذي نراه. وقد أنهاه بهذا المقطع:

وجــعــلــنــا بــعــد أن طــال الــعــنــاقْ
نــتــنــاجَى بــأحــاديثِ الــقــلــوبْ
بــيــنــمــا نــحن عــلى هــذا الــوفــاقْ
قُــرِعُ الــبــابُ فــأوشَــكْــنــا نــذوبْ
فــأشــارتْ ليَ: قــد حــان الــفِــراقْ
فــانــقــطــعْــنــا وارتــدتْ ثــوبَ الــطــبــيبْ
أقــبــل الــقــومُ فــقــالــت: كلُّ مــا
كــان يــشــكــو مــنــه، عــنــه قــد ســرى!

✡✡✡✡✡

فأما في (ديوانه الثاني) فتبدأ تتجلى، في بعض نصوصه، حركة الفكر، والنزوع إلى التفلسف، وتناول موضوعات متصلة بمعنى الحياة، وتأمل مكان الإنسان منه، وكيف ينبغي أن يفهمه ويرعاه في مسلكه الذي يلزم أن يختاره بمقتضاه. ويقرب أن يكون (للرابطة) ورجالها، ـ وقد ظهرت، كما أشرنا، سنة ١٩١٦ في الوقت الذي غادر فيه أبو ماضي سِنسِنّاتي إلى نيويورك، بعد أن خالطهم طوال هذه السنوات الثلاث التي سبقت صدور

الديوان ـ أثر في التفاته إليها. وهو، في ظني، ما جعل جبران يقدم له على هذا النحو الذي وقفنا عنده من قبل، وجعل نعيمة يقدم للديوان الثالث (الجداول) من بعد.

وكنتُ سمعت من نعيمة ـ في الحوار الطويل الذي أجريته معه سنة ١٩٥٨ ـ ما يذهب هذا المذهب[1]. وقد أعاد نعيمة يومها الفضل فيه إليه، ونسب إليه المنحى الذي نحاه أبو ماضي في شعره، من بعد، صفة «التجديد»[2].

والحق أن استعداد أبي ماضي للذهاب في شعره مذهب المفكرين والمتفلسفين يكاد أن يكون نزعة من نزعاته المفطورة، فهو، بحكم التكوين، لا ينقطع عن التأمل والتفكر في مظاهر الحياة والطبيعة ومكان الإنسان منها. وقد بدا هذا النزوع في شعره منذ بدأ تفتحه في الإسكندرية.

ثم إن صبياً تضطره الحياة إلى مفارقة أبويه والهجرة إلى أرض جديدة يمارس فيها عملاً يقعده في بعض الحوانيت، يرقب منه الوقائع والأحداث، ويستقبل ما تنتهي إليه بعد أن بدأ يعي معانيها ويتتبع أثرها في الواقع القائم من حوله، ويجد نفسه، من بعد، على الدوام، عرضة للمصائب المقيمة والوافدة: موت أخوته الثلاثة واحداً إثر واحد، وبينهم المنتحر، إضافة إلى موت أخته وهي تضع مولودها، الأول، ووضع زوجه مولودها الثاني (ادوار) مريضاً معوّقاً حياته كلها[3]، يطالع إيليا وجهه صباح مساء، لا بدّ أن تجتذبه إلى التفكر وتوسّع من مساحته في العقل.

وما نستطيع أن ننكر، مع هذا، أن تأثره بجبران ونعيمة ونسيب عريضة، بعد هجرته إليهم، عمّق فيه هذا النزوع إلى التأمل في آفاق الحياة، وفي مجالي الطبيعة الساحرة التي نشأ في أحضانها، في سفوح جبل صنّين بلبنان، والتفكير في معنى الوجود وغايته، حتى جعل منه، في النهاية، مذهبه الأول في شعره، وهو المذهب الذي وقف عنده دارسوه، ووجدوا فيه مزيته الكبرى، وأعادوا إليه فتح صفحة التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) ينكر مراد أبو ماضي، أخو الشاعر، تأثر أبي ماضي بنعيمة، بحجة اختلاف الدربين والنزعتين، يؤيده في إنكاره صديق أبي ماضي: جورج صيدح (أوراق مهجرية   رسائل جورج صيدح إلى الكاتب، ص١١٩ – ١٢١).

(٢) المرجع نفسه ص ٧٨

(٣) كتاب جورج ديمتري سليم   انظر فيه خلاصة لوقائع حياة أبي ماضي ص ١٧٦ وما بعدها

ولعل قصيدته المشهورة، التي سماها(فلسفة الحياة)[1]، تمثل الطلعة الأولى لذهابه هذا المذهب الذي لامس قضايا الإنسان الكبرى، وتولى فحص نظرته إلى الوجود، وكيف ينبغي أن يجعل موقفه منه. وقد كان يمكن، بعد هذه الوقائع التي ذكرناها في حياته، أن ينكفئ إلى عالمه الداخلي، أو يسرح فيما وراء الحس. ولكنه حاول أن يرجع إلى عقله وإدراكه في فهمها، ويسعى وراء المعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحدْس، ويفلسف ما يهديه إليه تأمله في الطبيعة التي تحتويها، فوقع على أسلوب في مخادعة النفس، لفَتها عن الرسوف في الإحساس بالعجز عن كشف أسرار الوجود، انتهى معه إلى التمثل بالكائنات الأخرى من حولها، وسلوك مسلكها في تقبل الحياة والعمل على اختطاف حلاوات التمتع المباشر بما تعرض الطبيعة من صور الجمال في ألوانها ومشاهدها، متناسياً عن قصد وتصميم، ما ستصير إليه بعد وقت قصير، وملاحظة ما يفرق بينه وبين كائناتها الأخرى من الوعي والإدراك، يغفلهما في حرارة رغبته في إحكام الخديعة، والتستر على حقائق العملية الأولى:

أحْكَمُ الناسِ في الحياة أناسٌ
علّلوها فأحسنوا التعليلا
فتمتعْ بالصبح مادمتَ فيه
لا تخفْ أن يزولَ حتى يزولا
وإذا ما أظلَّ رأسَك همٌّ
قصِّرِ البحثَ فيه كي لا يطولا
أدركتْ كنهَها طيورُ الروابي
فمن العار أن تظلَّ جَهولا
تتغنّى وقد ملك الجوُّ
عليها، والصائدون السَّبيلا
فاطلبِ اللهو مثلما تطلب الأطيارُ،
عند الهجير، ظلاً ظليلا!

---

(١) الديوان الثاني: النص٣ ص٢٥٥

ولكنه، في هذا كله، لم يستطع آخر الأمر أن يبرح إحساسه بالعجز عن الوصول إلى الطمأنينة المبتغاة، وإسكات الصوت العميق المنبعث من الأعماق:

لا خـــلـــودٌ تحت الـــســـمـــاء لحيٍّ

فـــلـــمـــاذا تُـــراود المـــســـتـــحـــيلا؟

فالواضح أن أبا ماضي يطلب أن يغمض الإنسان عينيه عن مأساة الموت ويتجاهلها. الدواء عنده أن يتناسى الإنسان سيف القدر المسلط! فكيف يتهيأ للإنسان هذا النسيان؟ كيف يتهيأ له أن يكفَّ عقله عن السؤال وقلبه عن الإحساس بالمأساة المنتظرة؟ أو ليس السعي إلى معرفة الجواب هو منشأ الفلسفات والأديان؟.

إنّ ما يطلبه أبو ماضي من إشاعة التفاؤل في الناس، والنظر إلى الوجود من وجهه الباسم، لا يكون إلا مع الإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بصفته وجه الحياة الآخر الذي تتم به دورتها.... فحينذاك قد تكتسب أبياته معناها المقنع، وينتفي التفاؤل الكاذب الذي تستريح إليه البهائم والأشياء وحدها، ويصبح للّيل وللرياح السَّموم التي تسفي التراب معناها في جدلية الوجود والعدم، ويقع بيته الأخير في القصيدة موقعه الصحيح، إذ يجعل الجمال ينبع من داخل النفس المطمئنة:

أيـــهـــذا الـــشـــاكي ومـــا بك داءٌ

كن جـــمـــيلاً تـــرَ الـــوجـــود جـــمـــيلا[1]

على أنه استقلّ، وحده، بإعلانه العجز الصريح عن الوصول إلى الطمأنينة المطلقة، فجعله الإقرار يبدو أقرب إلى الحقائق الإنسانية، وأدْخلَ إلى حدود قدراتها. وجعل شعره قريباً من فهم القارئ العربي، إلى اليوم، وزاده قرباً من وضوح مقاصد شعره.

وما قلناه، حتى الآن، يثبت أن انصراف أبي ماضي إلى جلاء هذه المعاني في شعره، ونحوه فيها المنحى التأملي الفلسفي، ومحوره: الخروج إلى الطبيعة الحية، وخلط النفس بها لتفكيك الكآبة عنها، والتماس العزاء في الاستكانة إلى اليأس من قدرة العقل

---

(١) انظر كتابنا (في ديوان العرب - أحاديث في الشعر والشعراء، من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث) الجزء الثالث ص ٢٢٦

على فهم كنه الوجود، وفي التمثل بكائنات الطبيعة الأخرى[1]، قائم أساسه في النفس، أعانت، على تفتيحه وتقويته، عوامل متعددة استقوى أثرها، من بعد، في وقائع حياته العميقة الأثر من ناحية، وتأثره، في اتباع منهجه فيه، ببعض زملائه الذاهبين إلى ما وراء الحس، من أعضاء الرابطة، وفي رأسهم جبران ونعيمة من ناحية، وحياته في المجتمع الأميركي الجديد المنصرف، في ثقافته العامة يومذاك، إلى هذه الآفاق التي ورثوها عن كتّابهم وأدبائهم المعروفين بانتحائهم هذا المنحى في أدبهم (وِيتمان، وإمرسون، وثورو)[2].

كانت هذه صورة ما حاط بالديوان الثاني، وما استُقبل به في العالم العربي، فقد أقبل تلامذة المدارس على حفظ (فلسفة الحياة) في استظهاراتهم، وتناشدها الناس في محافلهم وندواتهم. لقد كانت على رأس محفوظاتنا، في الثلاثينيات من القرن الماضي. هذا ولم يمض على أبي ماضي في مغترَبه الجديد زمن طويل (١٩١١ – ١٩١٩) أضيفت إليه ثماني سنوات أخرى (١٩١٩ – ١٩٢٧)، قبل أن يصدر ديوانه الثالث، وفيه قصيدته التي أوشكت أن تتحول إلى «ملحمة نفسية» اختار لها عنواناً ذا رنين يرنُّ في أسماعهم (الطلاسم)، وختم مقاطعها بقرار واحد (لست أدري)، وشبح نفسَه فيها على حيطان الوجود، حائراً، ملتاعاً، مغمض العينين، يكاد يجهل من لغز الوجود والخلق والتكوين كل شيء، فهزت سوق الشعر يومذاك، حتى سماها أحد الباحثين «إحدى معلقات العصر»[3]، وراجت معها سوق الديوان، فأقبلت بعض دور النشر على معاودة طبعه، دون إذن من الشاعر.

والغريب أن الناس قبلوها من زاوية الصدق في خطابها وخطاب النفس معها، والتوفيق بين الفلسفة والشعر، وهزّتهم نغمة الإقرار بجهل حقائقها في مقاطعها التي زادت على السبعين. وتماسُكِ الشاعر أمامها، واحتفاظه معها بالنزوع إلى التفاؤل، وإن صرفه ذلك عن الانفعال، فبقي حديثه فاتر العاطفة، معوّضاً، قدراً من التعويض، بالوصف وبغناء الطبيعة، وبالتقرير في بعض الأحيان.

(١) المصدر السابق: الجزء نفسه ص ٢٢٧

(٢) انظر بعض التفصيل في دراسة صغيرة لصلاح عبد الصبور منشورة آخر طبعة دار العودة، من ديوان أبي ماضي (تذكار الماضي) – دار العودة بيروت ١٩٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩

اتسع إذن، في (الجداول) أفق الشاعر، في التفاته إلى الإنسان، في شعره، وتناول قضايا وجوده الكبرى. ونحسب أن ما لقيتْ بعض نصوص ديوانه الثاني من الرعاية، مثل «فلسفة الحياة» التي وقفنا عندها، وهي في الرأس، وقصيدة «الخلود»[١] و«١٩١٤»[٢]، حفزه إلى تعميق هذا الخط، وجعل صوت العقل والفكر والتأمل أعلى الأصوات في تناول هذه القضايا الكبرى في شعره، وهو الفتح المبين الذي كتبه لنفسه، وكتبه له دارسوه، وأعلَوْا من ذكره فيه، وزها به الشاعر، من بعد، زهواً شديداً[٣].

ففي مطوّلته «الطلاسم» التي نحن في ذكرها، حيرة فلسفية، يحكيها أبو ماضي ببساطة وحميمية، بلغة سهلة بعيدة تماماً عن الرغبة في اختيار المفردة ذات الوقع الخاص، وهي اللغة التي تميز بها شعره، أحياناً كثيرة، ووصمها بعض دارسيه «بالعقم» و«النثرية»، وبميل الشاعر فيها، إلى «العاميّة الساقطة»[٤].

والذي نراه: أنه يجنح في لغته، على العموم، إلى التعامل مع المفردة السائرة، حتى ليبدو، في هذا الموطن بعينه (الطلاسم)، رجلاً من عامة الناس، يشكو لمن يسمعه، ما هو فيه من الجهل بحقائق قائمة بين السمع والبصر، ولكنه لم يَمْرُن على تأملها ومراجعة العقل فيها:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشَيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لست أدري

---

(١) النص ١٩ ص ٣١٦.

(٢) النص ٣٠ ص ٣٦٣

(٣) انظر في كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٠٥ وما بعدها، رسالة بخطه، أرسلها، أو كان يزمع إرسالها إلى طه حسين الذي نقد (الجداول)، في (حديث الأربعاء)، من الجانب اللغوي، نقداً حاداً، وجاء فيها قوله: «هل رأيت، في كل ما رأيت، من الدواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية، قبل (الجداول)، ديواناً (كالجداول)، يحوي فكراً وشعراً وفلسفة، في قصائد لم يسبق ان نزل مثلها في ديوان الشعر العربي كله؟

(٤) إيليا الحاوي :(إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ، ص ٨٠ وما بعدها.

أ جـديـدٌ أم قـديمٌ أنـا في هـذا الـوجـودْ
هل أنـا حـرٌ طـلـيقٌ أم أسـيـرٌ في قـيـود
هل أنـا قـائـدُ نـفسي في حيـاتي أم مَقود
أتـــمـــنّى أنـــني أدري، ولـــكنْ

لـــست أدري

على هذا النحو المفطور يأخذ الشاعر يتساءل، كأنه يشير بيديه، عن حل معضلات الوجود الكبرى، لا يريد ممن يسمعه شيئاً على الإطلاق، بل هو لم يسْعَ إلى من يسمعه، ولكنْ يريد أن يحكي حكاية هذه «الطلاسمْ «التي يعذبه الوصول إلى فهمها، بلغته البسيطة التي تجري كما يجري الماء بطبيعته في الأرض. هكذا وقف يخاطب البحر ويسائله عن سر بقائه، على حين يمضي الشاعر إلى الفناء:

فـيك مـثـلي أيـهـا الجـبـار أصـدافٌ ورملُ
إنمـــا أنـت بـلا ظلٍ، ولـي في الأرض ظلُ
إنمـا أنت بـلا عـقلٍ ولـي يـا بـحـر عـقل
فـلـمـاذا يـا تـرى أمـضي وتـبـقى؟

لـــست أدري

ويمضي: فيقف على الدير، فيرى عقول رجاله آسنة، ويرى قلوب نسائه تموت في ظلمة الدير، فيسائلهم عن سر ما هم فيه. ثم يزور المقابر يسأل أهلها: هل وجدوا الراحة في حفائرهم؟ وهل، بعد هذه الحياة، حياة أخرى؟ وهل يصدُّقُ ما يسمعه عن دعوى البعث والخلود، أم هو الفناء لا شيء بعهده ؟

أ وراءَ الـقـبـر بـعدَ الموتِ بـعثٌ ونـشـورُ؟
فـحـيــاةٌ فـخـلــودٌ أم فـنــاءٌ ودثــور؟
أ كلام الـنـاس صـدق أم كلام الـنـاس زُوْر
أ صـحــيحٌ أن بـعضَ الـنــاس يـدري؟

لـــست أدري!

ويمضي، بعدها، في جولته التي تعمّ مملكة الإنسان حيث يكون، فيقف على الكوخ والقصر، فيرى صاحبيهما يتماثلان، على اختلاف نصيبيهما من الدنيا، في الشك واليقين، وفي رسوفهما في قيود الزمان والمكان. ويسائل نفسه عن حركة الفكر: أين يذهب بعدها؟ وكيف يبحث عنه وهو معه داخل نفسه؟ ويطرح، في نهاية القصيدة، سلسلة طويلة من الأسئلة عما يتبدل في نفسه، ويتصارع من حوله، ينتهي بعدها إلى اليأس والحيرة من جديد، فيتراءى له أن الجهل بما يسأل عن حله، واليأس من الوصول إليه، ربما تستريح النفس إلى عجزها فيه، فتجد نعيم الراحة عنده:

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ السِّترَ عني
وبلغتُ السرَّ، سرِّي، ضحكتْ نفسي مني
قد وجدتُ اليأس والحَيرةَ لكن لم أجِدْني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيم؟
لست أدري

ويختم مقاطع القصيدة بقوله:

إنني جئت وأمضي، وأنا لا أعلمُ
أنا لغز، وذهابي كمجيئي طِلْسَم
والذي أوجد هذا اللغز لغزٌ مبهم
لا تجادلْ ذو الحِجَا مَن قال: إني
لست أدري

✲✲✲✲✲

كان يمكن الإخفاق في التماس الرد على هذه الأسئلة، أن يُلجئ أبا ماضي إلى الانكفاء والانسحاب إلى عالمه الداخلي. ولكن الحياة العملية اجتذبته إليها، فلم ينقطع ما بينه وبينها، ولم يستسلم معها للعوالم الصوفية التي استسلم لها زميلاه جبران ونعيمة، وإن لامسها أحياناً. فبقي القلق والشك (بحكم تكوينه، وبحكم الضغوط التي أشرنا إليها، من قبل، في وقائع حياته، وبحكم التأثر بأجواء الثقافة الشائعة، قريباً من (الرابطة) وبعيداً

عنها، تعترض حياته، ويغالبها أبو ماضي مغالبة ظاهرها الرغبة في الانتصار عليها، وحقيقتها رسوفه في قيودها، على نحو ما قلناه في قصيدته «فلسفة الحياة».

✡✡✡✡✡

وإلى جانب هذه القصيدة «المُطوَّلة» تناقل الناس، في وطنه، قصائد أخرى سلك فيها المسلك نفسه، في الجمع بين الفكر الفلسفي والشعر عن طريق الأمثال التي تقرّبه من الناس، مثل قصيدة «العنقاء» و«الحجر الصغير» و«الطين» و«الغدير الطموح» و«الضفادع والنجوم» و«التينة الحمقاء» و«العَير المتنكر» وغيرها[1].

وتناقلوا في (الخمائل) قصائد أخرى، تقف على رأسها قصيدة طويلة اقتدى أبو ماضي، في اختتام الديوان بها (بالجداول) في «الطلاسم» هي قصيدة «الأسطورة الأزلية» صاغها على أبيات متسلسلة في مقاطع، يشمل المقطع منها من يمثل دوراً من أدوار العمر، أو صفة من الصفات التي تمثل هويته (الفتى، والشيخ، والحسناء، والجارية، والفقير، والغني، والأبله، والأريب)، وصاغ على ألسنتهم أبياتاً يعلنون فيها سخطهم على ما هم فيه من حدّ السن، أو الصفة، أو الغنى. ويختم الأسطورة بقوله:

لما وعى اللهُ شكايا الورى
قال لهم: كونوا كما تشتهونْ!
فاستبشرَ الشيخُ، وسُرَّ الفتى
والكاعب الحسناء، والحَيْزَبون
لكنهم لمّا اضمحلّ الدُّجَى
لم يجدوا غيرَ الذي كانا!

---

(١) نقصد بالأمثال هنا: المعنى الذي يقرّبها من الخرافات ذات المغزى التربوي أو التعليمي(**Les Fables**) على مثال خرافات لا فونتين (**la Fontaine**) مثل «خرافة الطيرين» و «الحمار والكلب» و «الحصان والحمار» (ونعتقد أن أبا ماضي اطّلع عليها قبل أن يكتب قصيدته «العَير المتنكر ») و«الأرنب والسلحفاة» الخ... وخرافات الحكيم اليوناني القديم (إيزوب **Aisopos**). ولكنها، في شعر أبي ماضي، تعدّت عالَم الحيوان (على نحو ما فعل شوقي وإيزوب) إلى عالَم النبات «التينة الحمقاء» و «الجماد الحجر الصغير» و«الطين»، وعالَم الطبيعة «الغدير الطموح»، وعالَم الإنسان (في الأسطورة الأزلية»). ونرى أنّ دراستَها، في شعره، تستوجب الدراسة.
(انظر الحاشية ١ ص ٤٨). وفي تراثنا، في الموضوع نفسه، رسالة «الصاهل والشاحج»لأبي العلاء المعري، ونظْم «كليلة ودمنة» لابن المقفع، شعراً، لوزير السلاجقة (ابن الهبّاريّة – ت ٥٠٩ هـ).

إذ تتساوى الأمور في آخر المطاف، في الصفة والحدِّ والمرتبة، أمام حقائق الحياة:

هم حـــدّدوا الـــقُــبحَ فـكـــان الجـــمـــالْ

وعـــرّفـــوا الخـــيـــرَ فـكـــان الــطلاحْ

ولـــــيس من نـــــقصٍ ولا من كـــمـــالْ

فـالـشـوكُ، في الـتـحـقـيق، مـثلُ الأقـاح

وذرّةُ الـــــرَّمـلِ كـــكلِّ الجــــبـــالْ

وكـــالـــذي عـــزّ الـــذي هــــانـــا!

وإذن فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، ونقص وكمال. وما تناقضها، في أعيننا، إلا من صنع الوهم.

ولكنّ هذه الثنائيات والمتناقضات التي يجمعها حيناً ويفرقها، حيناً، ويوحدها حيناً، ويقرّبها حيناً، ويبعدها حيناً، لم تصل به إلى الحقيقة التي تفسرها وتستريح نفسه إليها، ولم تذهب بحيرته أمام لغز الوجود وقضاياه الكبرى، وما زالت حياته نهباً للوساوس والأسئلة الحارة التي تذهب به في كل اتجاه، حتى يجد ألاّ مفرّ أمامها إلا بالاستسلام إلى الرؤى التي تولدها والفكرة التي تبدعها:

ســـرُّ الــســـعـــادةِ في الـــرؤى، إنَّ الـــرؤى

لا كفَّ تُـــثـــبـــتـــهـــا ولا تـــمـــحـــوهـــا[1]

(١) الجداول: «الكمنجة المحطّمة »: النص ١٦ وانظر قصيدته: «الغبطة فكرة» (الخمائل النص ٤٤) والتي أنهاها بقوله:

أيـهـا الـشـاكي الـلـيـالي إنمـا الـغـبـطـة فـكـرة
ربمـا اسـتـوطـنت الـكـوخ ومـا في الـكـوخ كَـسـرة
وخـلـت مـنـهـا الـقـصـور الـشـامـخـات المشـمـخرّة
تـلـمس الـغـصـن المـعـرّى، فـإذا في الـغـصـن نَـضـرة
وإذا رقّت عـلـى الـقـفـر اسـتـوى مـاءً وخُـضـرة
وإذا مــست حــصــاة صــقــلــتــهــا فــهي درّة
لك، مــا دامت لكَ، الأرض ومـــا فـــوق المجـــرّة
وإذا ضــيّــعــتــهــا فــالــكـون لا يــعــدل ذرّة!

ثم تعود نفسه إلى الشك في رؤاها التي ظن أنها أراحته من عذاب الحَيْرة، فيراها، بدورها، وهماً من الأوهام، وينتهي إلى أن للأقدار غايات تحققها فيما ينفعنا وما يضر بنا، ولكنّ النفس تظل في ظمئها الحار وتطلعها الدائم إلى شدة اليقين.

وفي تصوير هذا الصراع القائم في النفس الذي يجلوه شعره وفي تناوله وتأمله والتفكير في مآتيه ومعانيه وفي مداخله ومخارجه حيناً بعد حين، كتب أبو ماضي أجمل شعره، وأحفله بالإثارة، وأقدره على مزج الفلسفة بالشعر، والفكر بالوجدان، وكسب به شهرته الواسعة، حتى جعله بعض شعراء المرحلة (فدوى طوقان ونازك الملائكة) من أقدر شعرائها، وجعله آخرون (فدوى طوقان) أقدر الشعراء في قديم الشعر العربي وحديثه، بصرف النظر عمّا قالوه في دور العاطفة فيه ومكانها منه، بجانب قوة الفكر ودور العقل ومكانه منه.

وقد كان عالم الصوفية الذي يعتمد العرفان (المعرفة عن طريق الحدس الداخلي) قريباً منه، عالم جبران ونعيمة ورشيد أيوب، ولكنه كان، بحكم التكوين، وحكم الانغماس في الحياة العملية، كما ذكرنا، أقرب إلى العالَم الآخر، عالَم الفكر الحي والاتصال المباشر بالواقع القائم من حوله. وهذا الذي جعله يطمح إلى المعرفة، عن طريق المحاكمة العقلية والتأمل الواعي في الأشياء.

ولو استعرضنا حياته، منذ بدأ يعي الأشياء في عهد الصبا الأول في الإسكندرية، وانحيازه إلى جانب المعارضة ومدافعة الاحتلال والاستبداد بحقوق الشعب (على الجبهة العثمانية والجبهة الغربية)، بدت لنا رغبته في المجاهرة برأيه والقتال دفاعاً عنه، في وضح النهار، وفي ضوء الحقائق المعلنة.

وفي ضوء هذا الذي نقوله اكتسبت قصيدته وحدتها، إذ لا يمكن أن تتم المكاشفة إلا عن طريقها، ووردت فيها الأمثال المنتزعة من الواقع القائم من حول قارئها، فقربته منها مثل «التينة الحمقاء» و«الحجر الصغير» و«الضفادع والنجوم» و«العَيْر المتنكر». واتجه فيها إلى السرد، فكسب شعره به سِمة القَصّ الموحي، إلى جانب خروجه الدائم إلى

الطبيعة: زهرها وشجرها وسمائها ونجومها وقمرها، وخلْطِ النفس بها، بغية تفكيك الكآبة عنها، والتخفف من عبء القلق والحَيْرة، وإعمال العقل في فهم كنه الوجود.

وقد نجّى، ذلك كله، شعره التأملي، من أن يقع في حبائل الجفاف الذهني الذي يصيب الشعر المتجه إلى الفلسفة والتفكر، والطموح إلى كشف الأستار عن وجوه الأشياء والكائنات، فوصل بالقارئ إلى تذوق جمال الموقف الشعري الذي وقفه منها، وتقبُّل حيرته في فهم أسرارها، وربما استجاب له في دعوته إلى الفرح بها والاستجابة لمفاتنها.

ونقف هنا عند قصيدته «التينة الحمقاء»، ومقطوعته «العير المتنكر» اللتين سلك فيهما مسلك المثل المضروب: ففي «التينة الحمقاء» يقول: إن الإنسان ينمو بالعطاء (مماشاة سنة الطبيعة) لا بالمنع (مخالفة سنتها). فهذا معنى العطاء وجدواه.

وفي «العَير المتنكر» يدعو إلى أن يلتزم الإنسان حقيقته التي خُلق لها، فلا يتعدّاها.

ويعزز في قصيدة «المساء» دعوته إلى التفاؤل، على غير المسلك الذي سلكه في قصيدته «فلسفة الحياة»[1] التي عرضنا لها من قبل.

ففي «التينة الحمقاء»[2] تقول التينة، في آخر الصيف، لأترابها:

بئس القضاءُ الذي في الأرض أوجدَني
عندي الجمالُ، وغيري عنده النظرُ
كم ذا أكلِّفُ نفسي فوق طاقتها
وليس لي بل لغيري الفيْءُ والثمرُ

فتهزها هذه الحقيقة، وتقرر أن تكون لنفسها وحدها:

إنّي مفصِّلةٌ ظلّي على جسدي
فلا يكون به طولٌ ولا قِصَرُ

---

(١) الديوان الثاني النص ٣ ص٢٥٥

(٢) الجداول: النص ١٢ ص٥٨٥

ولـــست مـــثــــمــــرةً إلا عـــلـى ثـــقــــةٍ
أنْ لــيس يــطــرُقُــني طــيــرٌ ولا بــشــرُ!

فلما جاء الربيع واكتست الأشجار بخضرة أغصانها، في هذه الصورة الحية التي يرسمها الشاعر:

عـــاد الـــربــيــعُ إلى الــدنــيــا بمــوكــبهِ
فـازّيــنتْ واكـتـستْ بــالـسُّـندس الـشجـرُ
وظـلـت الــتـيــنــةُ الحــمــقــاءُ عــاريــةً
كـــأنـــهـــا وتِـــدٌ في الأرض أو حـــجـــرُ

كانت نهايتها على هذه الصورة البائسة:

ولـم يـطقْ صـاحبُ الـبـسـتـان رؤيـتَـهـا
فـاجـتـثّـهـا، فـهـوتْ في الــنـار تـسـتـعـر
من لـيس يسـخـو بمـا تـسـخـو الحـيـاةُ به
فـــإنه أحـــمـقٌ بـــالحـــرصِ يـــنـــتـــحـــر

فهي لو أعطت لم تختنق بما قصرته عن نفسها وكسبت بما أعطته لا بما حفظته.

وفي «العير المتنكر»[1]، بصفته مثلاً من الأمثال، يقرّب فيها ممن يقرؤه بعض الحقائق الإنسانية، لتكون، كما أشرنا من قبل، أفعلَ في نفسه، إذ تتشخّصُ بها الفكرة، وينهض بها موقفٌ يُصَوَّر أو حدث يُسرد. وتستحق، كما أشرنا منذ قليل[2]، درساً خاصاً إذ أدخلَ، عن طريقها، أيضاً، عنصر الحركة والتحليل وتصوير الشخصيات:

زعم المـــــؤدّبُ أن عَـــــيْـــــراً ســـــاءهُ
ألاّ يُـــــســـــارَ بـه إلى المــــيــــدان[3]

(١) الجداول: النص ٧ ص٥٧١ استُلت هذه الأبيات الستة من قصيدة طويلة بعنوان «يا نوح! أين دلائل الطوفان»؟ (ما لم تجمعه الدواوين النص ١٣ ص١٠٣٧).
(٢) الحاشية رقم ١ ص٤٨.
(٣) كما يسار بالحصان.

فـمـضَى فـقـصَّـرتِ الـقـواطعُ ذيـلَهُ
وسَـطَتْ مـواضـيـهـا عـلـى الآذان
حـتى إذا جـاء المـروِّض واعـتـلـى
مـتْـنـيه راب الـفـارسَ الـكـشْـحـان[1]
لـكـنـه مـازال غـيـرَ مُـصـدِّقٍ
حـتى علا صـوتٌ كـصـوتِ الجـان
فـاسـتلَّ صـارمَهُ فـطـاحَ بـرأسهِ
ورمى بـجـثـته إلى الـغِـربـان
مـادام يـصـحَبُ كلَّ حيٍ صـوتُه
فـالـعَـيْـر لا يُـخـفـيه جـلـدُ حِـصـان

وفي قصيدة «المساء»[2] يخاطب الإنسانَ عَبر فتاة سماها سلمى[3] وبدأها على نحوٍ أخاذٍ يجمع مظاهر الرهبة في الطبيعة:

السُّحْبُ تـركضُ في الـسـمـاء الـرحب ركضَ الخـائـفـينْ
والـشـمسُ تـبـدو خـلـفـهـا صـفـراءَ عـاصـبـةَ الجـبـين
والـبـحـرُ سـاجٍ صـامتٌ فـيه خـشـوعَ الـزاهـدين
لـكـنـمـا عـيـنـاكِ بـاهـتـتـان في الأفق الـبـعـيـدْ
سلـمى بمـاذا تَـفْـكُـرين؟
سلـمى بمـاذا تَـحْـلُـمين؟

جعل فيها المساء رمزاً للغروب والفناء، وصوّر، على هذا النحو الذي وصفه فيه، خوف الإنسان من فكرة العدم الزاحف قدَرُه على الروح: اختفاءَ النور، وانتشار الصمت، وانطفاءَ مظاهر الحياة في الكون، بما يعكِس ما يحسُّ الشاعر نفسُه من رهبتها، ثم خرج منها على ما نعرف من تهوين الموقف مما يخافه الإنسان وما يأسى له، إلى دعْوته إلى

(١) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(٢) الجداول: النص ١٥ ص٥٩٢
(٣) اسم أمه التي كان أبو ماضي، كما تقول أخباره، يحبها حباً جماً

تجاهل هذا الوجه الكئيب من وجوه الحياة، والتعلق بالوجه المستبشر الآخر، قبل أن يطويه ضباب العدم. ذلك أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ، في الوقت نفسه، الأحلام المرغوبة، وتنتشر في سمائه الكواكب النيِّرة، فلنتملَّ إذن من الليل هذا الوجه، ولنحاولْ أن ننسى وجهه المعتم الآخر! ثم إن مظاهر أخرى من مفاتن الطبيعة ما تزال حية في الليل:

إن كان قد ستر البلاد سهولَها ووعورَها
لم يسلُبِ الزهر الأريجَ ولا المياهَ خريرَها
كلا ولا منع النسائمَ في الفضاء مسيرَها
مازال في الورق الحفيفُ وفي الصَّبا أنفاسُها
للعندليب صُداحُهُ
لا ظُفرُه وجَناحُهُ

ولكن الشاعر لم يستطع أن ينسى، مع هذه الدعوى التي تتردد في شعره، كأنه ما يفتأ يسكِّن بها روعَه هو وهواجسَه، أن الفناء بالمرصاد، وأن الموت بالباب، ومن ثَم لا يجد في يديه غير دعوته التقليدية التي سُمِّيَ بها: شاعر التفاؤل: أن ندير ظهورنا له، ونقْصُر همَّنا على التمتع باليوم الذي نحن فيه، فينعطف يتابع خطابه لسلمى:

فاصغي إلى صوت الجداول جارياتٍ في السفوحْ
واستنشقي الأزهارَ في الجنات[1] مادامتْ تفوح
وتمتَّعي بالشهْب في الأفلاك ما دامت تَلوحْ
من قبل أن يأتي زمانٌ كالضباب أو الدخانْ
لا تبصرين به الغديرْ
ولا يلذُّ لك الخرير

ثم يختم النص بما اعتاد أن يختم دعوته إلى الفرح بالحياة: بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة، بدَل أن نُرجع البصر في بعض حقائقها، وأن نكفَّ من غرب[2] العقل، وننشد الاستراحة إلى اليأس من كشف المجهول:

---

(١) البساتين.

مـات الـنـهـار ابن الـصـبـاح فلا تـقـولي: كـيف مـاتْ ؟
إن الـتـأملَ في الـحـيـاةِ يـزيـد آلامَ الـحـيـاةْ
فـدعي الـحـكـايـةَ والأسى واسـتـرجـعي مـرحَ الـفـتـاةْ
قـد كـان وجـهُكِ في الـضـحى مـثلَ الـضـحى مـتـهـللا
فـيه الـبشاشة والـبهاءْ
لـيـكن كـذلك في المـسـاءْ

حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب «شاعر التفاؤل» في فلسفته للحياة، ودعوته الإنسان العربي إلى مواجهة ما يعتاده من الكآبة بالابتسام، وقصْره البحثَ في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: للموت والحياة، والخير والشر، والجمال والقبح، والحرب والسلام، والإنسان والآخر. وسلك في هذه السبيل مسلكاً يقوم على اعتماد بعض قوى النفس، من مثل عمل الإرادة والقدرة على صنع النسيان، برغم حقائق تكوينه التي تقفه موقف التساؤل الدائم من معرفة الحقيقة في خلق الكون والكائنات، واستخلاص عبرها عبر صورها المختلفة، وهو ما سماه، في الجملة «فلسفة الحياة».

وقد يذهب من يقرأ شعره في هذه الدعوة والسير على بساطها الممدود، إلى أن أبا ماضي يحاول أن يخرج من أزمته النفسية التي حاكتها الأحداث المأساوية التي وقعت في حياته. فدعوته نوع من «المناجاة» عن طريق تحويلها إلى «حوار بينه وبين الآخرين»، ينتهي دائماً إلى التعلل باليأس والوقوف على حَدِّه.

وقد استطاع أبو ماضي أن يستميل كثيراً من الناس بدعوته هذه برغم ما تستبطنه من الرغبة في تحويل خط العجز الذاتي، إلى وهْمِ الرضا بالواقع والاستكانة له، إذ وجدوا فيها صوتاً أفادوا من صداه في أنفسهم، ورأوا فيه الخلاص السهل مما يُعجِزهم تغييره، فتغنَوا به وردّدوه وحفظوه، وحفظوا للشاعر به ذكراً جميلاً.

وربح الشعر بما حقق من التوفيق بين الفكر والشعر، عن طريق الرموز المستوحاة من الطبيعة، وسلوك الكائنات الأخرى فيها، بما جعله يمتلك أيضاً قدرة التمثيل والتخييل والإثارة الجمالية، وهو أقصى ما يعمل له الشعر في كل أحواله.

ثم إن الشاعر، وإن لم يستطع النفوذ في شعره إلى استيعاب ما تعنيه دورة الحياة الأبدية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت، حتى يتعذر تصور الحياة دون الموت الذي هو البداية دورتها الجديدة ليقيم تفاؤله على هذا الأساس المكين الذي قد يستريح إليه العقل في آخر المطاف. قد استطاع في كل حال أن يحوّل الشعر العربي في عصره إلى الاحتفال بقضايا الإنسان الكبرى واستطاع من ناحية أخرى أن يصل بهذا الشعر إلى تحقيق وحدة القصيدة عن طريق رسم الدورات النفسية والانتهاء بها إلى نقطة المركز التي تتشعع عنها حين تتجلى في آخر النص الحقيقة الكبيرة التي تجمع خيوطه المتفرقة فيها.

✡✡✡✡✡

وينبغي ألا ننسى، في النهاية، أن أبا ماضي رفَدَ تكوينه الموهوب[١]، وقد طالعه في وقت مبكر من حياته حارَ بعض الدارسين في تصديقه[٢]، كما أشرنا، في الإسكندرية، على الدرس، لنفسه، في الليل، وفي بعض الكتاتيب، كما تقول الروايات. وشعره يُنبئ بأنه لم ينقطع أبداً عن الاطلاع المكين المتصل بتراث العربية شعراً ولغةً، إلى حد الوصول بتقليب بعض مواد اللغة العربية في المعاجم، على معانيها الدقيقة، للإفادة منها في تركيب جملته الشعرية واستكمالها. أعانه في ذلك – لا شك – ذاكرة قوية قادرة، أحياناً كثيرة، على إشاعة الحياة في التعبير الذي يواتيه، بما تملك من دقائق المعاني وألوان الظلال التي ترخيها عليها، وإيقاظ الإحساس بغنى الرجع النفسي الذي تثيره وبجماليّاته العميقة.

وعلى من يقرأ شعره ألا ينسى، إلى جانب هذا، أن أبا ماضي لم يستكمل مراحل تعلمه الأولية في مدرسة القرية (المحيدثة)، وأن ظروف الأسرة اضطرته إلى مغادرتها، والعمل في بلد بعيد، في بعض الدكاكين. فما وصل إليه، في تعلمه، هو نتاج الصبر العظيم، والرغبة القوية، والطموح العريض، والثقة العميقة بالنفس.

---

(١) لا يبعد أن يكون هذا الأمر متصلاً بحساسية موروثة تعدت أبا ماضي إلى بعض أفراد الأسرة الآخرين، فأخوه الأكبر (مراد) أصدر في مرحلة متأخرة (١٩٥٢)، ديوان شعر سمّاه (السنابل)، وكان له شعر في تأبين أخيه إيليا

(٢) يجسّد هذه الحَيرة خلافهم في تحديد سنة مولده على مدى خمس سنوات ! إذ لم يصدقوا أن يصل هذا الفتى إلى ما وصل إليه، في أكثر ما وصل إليه، في (تذكار الماضي)؟

ولعلنا نجد تصديقاً لهذه الصفات في الشعر نفسه، ففيه قدرة نفسية هيأته، برغم ما حاق به، للاستمرار في الصعود إلى الدرجات العالية التي وجدناه يذكرها لنفسه[1]. ونجد إشارة بالغة إليها في الرسالة التي كتبها إلى الدكتور طه حسين،[2] في أعقاب نقده الحاد لديوان (الجداول).

ويعود أكثر ما حصّل أبو ماضي، في هذا الجانب الثقافي، إلى الطموح الحار الذي عُرف به، وصدَّقه انخراطه في الحياة السياسية المصرية، وهو في هذه السن الصغيرة، أملاً في الحصول على مكانٍ يحفظه لنفسه في مغتربه الأول، ونشره قصائد من شعره في الصحف والمجلات (اللواء) و(العلم) و(الشعب) و(الزهور)، إضافة إلى ما كانت (مرآة الغرب) و(الهدى) في الوقت نفسه، تنشرانه له في المهجر!

ومازلنا، إلى اليوم، نعدُّ أبا ماضي صفحة مفردة في تاريخنا الأدبي، نتجاوز فيها، على الأغلب، شعره الوطني والاجتماعي والسياسي إلى شعره الإنساني وحده، تقريباً، إذ فيه يقع تميّزُه في الدعوة إلى جبر الروح المكسورة في الإنسان، والاستعلاء على الخوف والضعف، من خلال وقوفه أمام قضاياه الكبيرة القائمة، وثنائيات حياته المقلقة، عن طريق الفكر الشعري الحار الذي تحمله لغته السهلة القريبة من الحس، تأكيد إرثه، في الجانب الموروث من ثقافته الأدبية، مكّنه من يسر التعبير، ويسر التأليف بين الوحدات، ومن الرهافة العاطفية (إرث التكوين المفطور المتأثر بظروف حياته في المغتربات)، ومن الغنى الذي وفَرته لها ثقافة معجمية جادّة، مما يمكن أن يُعدَّ الجمع بين عناصره، توفيقاً بين صوت الأصالة وصوت العصر، في التجديد المعتدل الذي يقبله الناس، ويألفونه ويحبونه، ولا يحسون بالغربة معه.

وقد لا يصحّ أن يعني التحديث الواعي، في رأيه، تجاوز تراثنا الشعري والإفادة من طاقاته الإبداعية، الفكرية واللغوية، وكان المتنبي والمعري ركيزتيه فيه، بما ضمِن له قدرة

---

(١) انظر قوله مثلاً: إن الكواكب في منازلها ... لو شئتُ لاستنزلتها كِلَما
الديوان الثاني: النص ٦٤

(٢) انظر الحاشية ٣ من الصفحة ٤١ من هذه الدراسة.

التأثير الدائمة في القارئ العربي الذي ألِف مراجعة التراث الشعري (إذ إنّ كلاً منهما ينحو، بطريقته التي تتفق وتكوينه وظرفه، نحو العقل: يجمع المتنبي إليه عاطفته القوية، في حين يلجأ المعري إلى السخرية المبطنة والظاهرة، في التعليل لعجزه عن فهم أمور الخلق).

فالانصراف عن هذا التراث العظيم، والإزراء به، طمعاً في كسب صفة الحداثة لذاتها، فيما نكتبه، فهمٌ خاطئ لمعنى التحديث، يغرّبه في عيون الأجيال، ويقطع حركته الواعية عن امتصاص روح التراث والتعبير عنها، في تناول قضايانا التي نعيش همومها، ونتطلّع إلى الفوز بفهمها وجلاء مكانها من حياتنا.

إن أول ما يتطلبه هذا الفهم العميق لحركة التحديث في الأدب عامةً: امتلاك اللغة امتلاكاً سليماً ينفذ بنا إلى أعماق المفردة العربية، ويضع في يدنا زمامها، ويقربنا من القيم التي تكوّن جوهرها، فتجعلنا أقدر على مخاطبتها وإعادة تشكيلها في نتاجنا الإبداعي الذي تظل الموهبة «الموهوبة في التكوين» هي الأساس فيه، وفي كل عملٍ إبداعي.

والمعنى الذي يكرره الحداثيون في كتاباتهم، فيما يطلقون عليه «تفجير اللغة» يلزم أن يشرب من هذا النبع، حتى لا تتطاير أشلاء الكلمات من حولهم، في غير نفع، وتتحول النصوص التي نكتبها إلى مقابر أشباحٍ وهياكل عظمية، تغرينا بحفرها الرغبة في أن نطلع فيها طلعةً لافتة على حساب القيم الصحيحة الأخرى. وإن من يقرأ شعر أبي ماضي الباقي في ضمير الأجيال العربية، في ضوء هذا الفهم لحركة التجديد والتحديث، يدرك تماماً مبلغ ما وعى من حقائقها، وهو ما قرّبه من نتاج المهجريين الباقي أثره في النفس العربية إلى اليوم.

ولعل هذا هو الذي حبّب إليه الاحتفاظ بموسيقا الشعر الموروثة، في نظامه العمودي، ومن المحافظة على وقع القافية فيها، حتى لقد كرر القافية في صدر البيت وعجزه معاً، في بعض الأحيان. على أنه أفاد من التلاعب بموسيقاه الشعرية مقتدياً بالموشح الأندلسي. وجرّأه النجاح فيه على التلاعب بموسيقا الأبيات في القصيدة، على نحوٍ مميّز، ينفرد فيه بيت واحد، أحياناً، بمكانه في النص، أو يُترك شطر من شطريه طلْقاً في أواخر المقاطع.

ومكّن هذا الناس، من ناحيةٍ أخرى، من حفظ شعره وتناقله، فأعان على مدّ شهرته وتأثيره. ومكّن طلبة المدارس من إنشاده. وقد رجعت إلى نفسي، فوجدتُني أحفظ من شعره الذي حكى فيه بعض الحكايات، أو ضرب فيه بعض الأمثال، أكثر مما أحفظه للآخرين، منذ أيام التلمذة.

وما نستطيع، مع هذا، أن نُغفِل حبه للموسيقا وتعلقه بسماعها في جلساتها وحفلاتها، وسعيه إليها في البيوت التي شُهرت برعايتها. ولهذا انتُخب، في أوساط المهاجرين العرب في أميركا، رئيساً لنادي الموسيقا العربية (١٩٣٣). ولم ينس، وهو في دمشق سنة ١٩٤٩، أن يسهر في بيت النائب يومذاك، فخري البارودي، المعروف برعايته للموسيقا والموسيقيين[١]. وله، في سهرته تلك، أبياتٌ أصرّ فيها على أن تظل السهرة عامرة إلى الصباح:

لــتــنــعَس الأنجمُ في أفلاكِــهـا
ســنــســهــرُ الــلــيلَ ولا نــنــعسُ[٢]

فمما يمكن قَبوله إذن أن يجد في إيقاع القوافي المتتابعة، في القصيدة الواحدة، ما يدعوه إلى الحرص عليها. ثم إن ما انتهت إليه حركة التحديث الشعرية اليوم، في شعر التفعيلة، من إغفال القوافي المتتابعة، لم يكن منتشراً آنذاك، ولعله لم يكن، على نحوٍ ما، مقبولاً. وقد كان يسعه إغفالها، تأثراً بالشعر الغربي الذي لابد أن يكون قرأ أو سمع أطرافاً منه، ولكنه لم يفعل، مكتفياً بالتلاعب بها، على نحوٍ قريبٍ مما فعل الوشّاحون في الأندلس. لقد غلب عليه، في أدوار حياته كلّها، تأثُّره العميق بالشعر العربي، قديمه وحديثه على السواء، لدى الكبار منهم في الجانبين، وأرضته، في صوغ تعبيره عن فكره، جمالياته في البناء والتركيب والإيقاع المنتظم. وامتدّ هذا الشعور إلى حدّ المساس، في شعر المرحلة الأولى، بمن سماهم «الشبان المتفرنجين» من قومه، وهو يعيش إلى جانبهم، معهم، في دارٍ واحدة[٣].

✡✡✡✡✡

(١) يلزم أن نشير إلى تلحين بعض قصائده وإنشادها في أوساط المهاجرين العرب، من اللبنانيين وغيرهم، مثل قصيدته التي ذكرناها من قبل «نشيد يوسف بك كرم»، وقصيدتِه «بين الضحك واللعِب »، وقد لُحنت سنة ١٩٢١، وصدرت، مع لحنها، في ثماني صفحات.

(٢) (ما لم تجمعه الدواوين): النص ٦١

(٣) تذكار الماضي النص ٦

ليس معنى هذا الذي قلناه ونقوله، أنّا لم نقف في لغته عند مفردات ممسوحة تبدو كأنها منقولة مباشرة عن المعجم، لم ينفخ فيها أبو ماضي من روحه. وهو ما التفت إليه بعض دارسيه، ورموه بالجمع بين الشعرية والنثرية في بعض صياغاته ومفرداته(١). والسبب يعود، في رأينا، إلى أن حصيلة أبي ماضي من الثقافة اللغوية عامةً، وثقافة المفردات خاصةً، حصّلها بالمطالعة والجمع لا بالمعايشة الحيّة. فقد يقع القارئ، في لغته، على مفردات مقهورة، أدخلها في مواضع لا تريدها، فطغت فيها صفة النظم وخفّت صفة الشعر، أو انعدمت أحياناً.

ولكن الذي طغى على هذا كله، يقظة الفكر في شعره، ونجاحه، أحياناً كثيرةً، في التوفيق بين الفكر والشعور، أعني بين العقل والقلب، فبقي الفكر حينها، وتحصيل المعرفة عن طريقه، هو سيّد المواقف وتعليلها في شعره، وخفّت مكانة العاطفة والسؤالُ عنها، إذ خطف الفكر وتوهجُه، مكان الالتفات إليها، كما خطف مكان المفردة الحية.

☆☆☆☆☆

وقد كتب أبو ماضي الشعر في أغراض مختلفة، في الاجتماع والسياسة والتاريخ. تغنى بالوطن، وصوّر بعض الوقائع في حياته وحياة أصحابه، وردّ على منتقديه و«حسّاده». ولم ينقطع، في الوقت نفسه، عن عمله الصحفي، منذ هبط نيويورك ١٩١٦، وبعد أن تفرّد بإنشاء جريدته (السمير)(٢)، عن كتابة افتتاحياتها، كل ليلة، وتحرير بعض مقالاتها وردودها.

وهو، في هذا كله، لم يبلغ ما بلغه في تناول قضايا الإنسان الكبرى، من حيث الارتفاع إلى مستوى الشعر الذي يقرّب الإنسان من نفسه، ويحرّك، عن طريق الإيحاء،

---

(١) إيليا حاوي :(إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ص ١٠ وما حولها، وانظر الأمثلة التطبيقية التي وردت فيها.

(٢) في آخر الدراسة، كما أشرنا في الحاشية ١ ص ١٦ من هذه الدراسة، نماذج مصوّرة من الجريدة، تضم بعض افتتاحياته، ومقالاته وردوده. ومن المؤسف أن دور الكتب العامة عندنا لا تحتفظ بنسخة كاملة منها. وقد اضطررت أن أرجع إليها يوماً، فوجدت أعداداً منها في مكتبة مجلس النواب اللبناني ببيروت. انظر كتابنا (النثر المهجري- الجزء الأول) - المقدمة.

جُذوة الروح فيه، ويبعث قلق الرغبة في المعرفة، والإجابة عن أهم أسئلة الوجود الغامضة، ويعدّ صوته، في هذا الاتجاه، أحد أهم الأصوات وأعلاها في أدب المهجر الشمالي (الأمريكي) الذي عُني بمدّها حتى أصبحت سمةً من أبْيَنِ سماته، منذ انطلاقته الأولى، وأكثرَها وضوحاً في نتاجه. وقد يمكن أن تُعدّ تعبيراً عما أحس المهاجرون من أوجاع الغربة والضياع عن الذات المهاجرة القلقة المتشوّقة، في مخاضها العنيف الذي تعرضت له عَبْر الصراع، بين قيم الحضارة الجديدة وقيم المهاجرين القديمة، حتى شبّه بعضهم نيويورك ببابل القديمة التي «تبلبلت «فيها أصوات الشعوب[1].

يمكن أن نقول في الإجمال: إن أبا ماضي وسّع من مساحة الفكر في شعره، وكساه ثوباً لغوياً شفّ، في أسلوب طرحه، عن جماليات الطبيعة التي لم يبعد عنها حياته كلها، وقرّبه من وجدان القارئ في وقت واحد، وهيأه للتفكير في قضاياه واتخاذ موقفه منها. فبقي شعره، لهذا الذي نقوله، محتفظاً، في ساحة الشعر العربي، بقدرته على التأثير ومحتفظاً بخصائصه معاً.

✡✡✡✡

أمّا الأغراض العامة التي تناولها في شعره، فكثيرة، يطغى عليها، إلا في المختار منها، التقليد، يغيب فيها صوت الشاعر الخاص، ويعلو صوت الجماعة، لإحساسه بأنه يتحدث إليهم، أو نيابة عنهم. ولكنه يلطف في المختار منها، لدنوّها من نفسه.

قصيدته «بنت الدوالي»[2] من هذا المختار الذي يبين فيه صوته، وإنْ ظلَلْنا نذكر معه، على نحوٍ ما، بشار بن برد وأبا نواس معاً. وقد تلاعب بموسيقاها، في مقاطع تجتمع وتتفرق.

---

(١) انظر كتابينا (الأول والثاني) في درس النثر لدى أعضاء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي. وانظر بخاصة ص ١٦ من الكتاب الأول.

(٢) الديوان الثاني: النص ٣١ ص٣٦٧

هاتِ اسقني بالقدح الكبيرِ
صفراءَ لونَ الذهب المصهورِ
كأنها في أكؤس البَلُّور
شعلة نارٍ في بقايا نور

✡✡✡✡✡

عجبتُ للكأس التي تَحويها
كيف استقرَّتْ والحياةُ فيها
لو لم يُدِرْها بيننا ساقيها
دارتْ على القوم بلا مُديرِ

✡✡✡✡✡

بهذه اللغة السهلة الجارية التي يحملها الحسُّ على أجنحة الخيال، يصور ساعة من ساعات النشوة، يزيد الإيقاع السريع، واختيار المفردات والرويّ المكرور، من قدرتنا على تذوق نشوتها معه، وهو غاية ما يستطيع الشعر رفْع المتلقي إليه، وضمَّه، من الداخل، إلى تجربة الشاعر.

✡✡✡✡✡

ومنه قصيدته «موميات»[1] وقد اختار لها أيضاً إيقاعاً سريعاً ورويّاً طلْقاً مكروراً. فقد حركت فيه رؤية الفندق الفخم الذي لم ير فيه إلا عجائزَ فانيات، رؤية شعريّة تقوم على الجمع بين المتناقضات، وهو المعنى الكبير الذي وقف عنده في قصائد أخرى، وخرج منه إلى، رؤية فلسفية توحد بينها. ولكنه هنا، غاب عنها:

لمن يَضوعُ العبيرُ؟ لمن تغني الطيورُ؟
لمن تُصَفُّ القناني؟ لمن تُصَبُّ الخمورُ؟
ولا جمالٌ أنيقٌ! ولا شبابٌ نضيرُ!
بل مومياتٌ عليها أطالسٌ وحريرُ!

(١) الخمائل: النص ١١ ص ٧٠٢

اللغة هنا تكرّ على اللسان، كأنما يكلّم الشاعر فيها نفسه، دون أن يسعى إلى تحصيلها. وترد معانيها على الخاطر فور أن تقع العين على المشهد.

✡✡✡✡

ومنه، من شعر المناسبات، في تكريم أصحابه، قصيدة (سماها: «إنه الشاعر»)[1]، ارتفع فيها، من حدود المناسبة، إلى حدود الشعر الكونية، بل تعداها إلى خالق الكون نفسه، إذ هو صانع الجمال الذي يرضيه أن يتعبّده الشاعر فيه. وقد لزمه، في مطلع القصيدة، أن يصوّر بعض حواشي جماله:

عندما أنشأ الوجودَ اللهُ
في زمانٍ، في الدهر، ما أقصاهُ
وبدَتْ في النَّباتِ والماء والأحْـ
ـياء والصخر يقظةٌ وانتباهُ
فأطلّتْ من السماء الدّراري،
وتجارت على الصعيد المياه
وترامى النسيم، في صفحة النهـ
ـر، بأسرار وجْده وهواهُ
وسرى الفجرُ يوقظُ الروضةَ الوسْـ
ـنى ويُذري على المروج نَداهُ
ومشى الليلُ بعده يطمس الأشْـ
ـياءَ إلا أحلامَه ورؤاه
والورودَ الحسناءَ إلا شذاها
والغديرَ الطروب إلا صداه
نظر اللهُ في السَّماء وفي الأر
ضِ طويلا، فتمتمتْ شفتاه:

(١) ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١ ص ١١٢٥

«إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه
غيرَ أني نسيتُ أخلق شيئاً
لازماً لا يُتمُّه إلاّهُ
وهو عينٌ ترى الوجودَ كعيني
ولسانٌ يقول: ما أحلاه»!

مقدمة لا يظن قارئها أنها مرتبطة بتكريم صديقه الشاعر (نسيب عريضة)، وتكشف عن شعرية مفطورة، كأنما تجري معها كتابة الشعر دون إجهاد الخاطر، ويجري اختيار المفردات اللغوية وتشكيل الجمل، من أقصر الطرق، بالاستجابة الطبيعية لديه. وقد عُرف عنه أنه كان يُدعى، في بعض الحفلات، فيكاد يرتجل الشعر الذي يلقيه فيها ارتجالاً.

وإذن فقد «تمنى» الله أن يتدارك سَهوه:

فإذا كائنٌ له هيكلُ الطّيْـ
ـن، وفي هيكل التراب إله!
كل مَن يعشق الجمالَ أخوه
كلُّ أرضٍ فيها الهوى مغناه!

ويتساءل كأنه يريد أن يفجأ من يتتبعُه:

من تُراه هذا الذي صاغه الله كما يشتهيه لمّا اشتهاه؟

ويجيب على الفور:

إنه الشاعرُ الذي كلُّ دنيا
تنطوي قبلَ تنطوي دنياه

ويأخذ يصفه كأنه يصف نفسه:

وجد المال عاتياً مستبداً
فأبَى أن يكونَ من أسراهُ

لا تـقـولـوا: مــاذا اقــتــنى وحَــواه؟

أيُّ شيء خـــيـــاله مـــا حـــواه

إنه الــشــاعــر الـــذي ازدادت الـــدُّنْ

ـــيـــا بـــهـــاءً لمّـــا غـــدتْ مـــأواه

فـاشـربـوا يـا رفـاقُ سـرَّ فـتى الـعـا

صي، وحـــيّـــوهُ، إنه إيّـــاه!

ما أراده أبو ماضي، في هذه القصيدة، برغم ما أثارته عند فريق ممن درسوه، من ظن ادّعاء الألوهة، هو أن يُفرد الشاعر بخلق الرؤى والأفكار، وهو ما نسميه: الإبداع في الفن. والخلق من صفات الألوهة، فبهذا المعنى يكون الشاعر هو خالقَ الفكرة المبدعة، وهو هيكلها الترابي:

إنــني قــد خــلــقتُ كــونــاً بــديــعــاً

كلُّ شيءٍ فـــيــه كـــمـــا أهـــواه

غــيــر أني نــســيتُ أخــلق شــيــئــاً

لازمـــــاً لا يُـــــتـــــمّـه إلاّه

وليس الاعتداد بقدرة الخلق جديداً على الشاعر في هذا النص، فأبو ماضي شديد الاعتداد بقدراته الفنية. وما يضفيه على نفسه، في شعره، يزيد كثيراً على ما أضفاه الشعراء من قبله على أنفسهم، باستثناء محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) الذي وصل بالفكرة إلى أقصى ما تصل إليه، حتى تعدّى بها خلق الله[1]:

نُـشــاركُ الـــلـهَ، جلّ الـــلـهُ، قـــدرتَه

ولا نـضـيق بـهـا خَـلْـقـاً وإتـقـانـا

وأين إنــســانُه المـصــنـوعُ من حَـمَـأٍ

ممن خـلـقـنـاه أطـيـابـاً وألحـانـا

(١) الديوان - دار العودة - بيروت، ص ١٢٩

ولــو جلا حــسـنَه إنــســانُ قــدرتــنــا
لــودّ جــبــريــلُ لــو صُــغــنــاه إنــســانــا
وأيُّ نُــعــمــى نــرجِّــيــهــا لــدى بــشــرٍ
والـــلــهُ قـــرَّبـــنـــا مـــنــه وأدنـــانـــا

وليس يبعد تأثر أحد الشاعرين بالآخر. إن ذهب كلّ منهما، بالفكرة، في اتجاه.

****

(٥)

ونفضل أن ننهي هذه الدراسة المكثفة ببيان موقف أبي ماضي من وطنه الذي وسع الأرض العربية كلها، وهو موقف كاد أن يمتاز فيه، من زملائه، في (الرابطة القلمية)[١]، فقد كان دائم التفكير في لبنان وسورية، وفي مصر، وفي أرض الجزيرة العربية. يستجيب لآلامها وأحداثها، فإن من خصائص تكوينه الوفاء للأرض التي نمَته، والأرض التي ينتسب إليها، وتذكير المهاجرين معه بوطنهم الذي خلّفوه لئلا يناموا عنه (متى يذكر الوطن النوّم)[٢]؟.

وإن مراجعة سريعة لشعره في دواوينه الخمسة، وفي شعره خارج هذه الدواوين، تصلنا بفيض من القصائد احتفظت بعناوينها، أو بإشارات كثيرة وقعت ضمنها، تغنى فيها بالوطن، وحنّ إليه، وشكا آلمه مما يلقى من مستبديه ومستعمريه، منذ غادره إلى أن دفن في مهجره البعيد.

ففي ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي أهداه إلى «الأمة المصرية... لا طلباً للمثوبة ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحه من العطف عليها والتعلق بها»، دافع عن مناضليها وشارك في مدافعتهم المحتل ورثى زعمائها الذين قاوموه، وجمع إليها معاناة أهله في الشام وما بات يشكو من وجع الحنين إليهم[٣]:

تحِنُّ إلى بلاد الشام نفسي
أَقُطرَ الشامِ حيَّاك الغمامُ!
وما غيرُ الشآم وساكنيهِ
لبانَتُنا وإن بَعُدَ الشآم

---

(١) قد يلزم، أن نضيف إليه إلى حدٍّ كبير، صديقه الشاعر الحمصي (نسيب عريضة).

(٢) الديوان الثاني النص ٤٧.

(٣) تذكار الماضي: النص ٤٩.

ولـــولا أن في مـــصـــرٍ مُـــقـــامي
لـــعـــمـــرُ أبـــيك مـــا طـــال المُـــقـــام
ومـــا مـــصـــرُ الـــتي مـــلـــكت فـــؤادي
ولـــكنْ أهـــلُـــهـــا قـــومٌ كـــرام
يـــودُّ الـــطـــامـــعـــون بـــأرض مـــصـــرٍ
لـــو اَنـــهمُ بـــهـــا أبـــداً أقـــامـــوا!

ووصف النيل والشمس تنسكب عليه، وصفاً حياً يعجب القارئ أن يصل إلى كتابته شاب لم يتعدّ العِقد الثاني من عمره. ولكنّ ذلك يعود، مع قدراته المبكرة، إلى ارتباطه العاطفي بالنيل، ارتباطًا له دلالته القوية على ارتباطه بالأرض[1]:

فـــثمّ جلالٌ يملأ الـــنـــفسَ هَـــيـــبـــةً
وثَمّ جـــمـــالٌ يملأُ الـــعـــينَ بـــاهـــرُهْ
وألحظُ شـــمـــسَ الأفْقِ وهْيَ مُـــطـــلّـــةٌ
تـــســـايـــر فـــيه ظـــلُّـــهـــا إذ تُـــســـايـــره

إذا هيَ ألـــقتْ في حـــواشـــيه نـــورَهـــا
رأى الـــتِّـــبـــر يـــجـــري في حـــواشـــيه نـــاظرُه
أطـــالتْ به الـــتّـــحـــديقَ حـــتى كـــأنمـــا
تحـــاول مـــنـــه أن تَـــبـــين ســـرائـــره
كـــأني به ســـفْـــرٌ تـــدانتْ ســـطـــورُه
أوائـــلُـــه قـــد شُـــكِّـــلـــت وأواخـــره

وكانت له، في هذه المرحلة من حياته، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قصائد نال فيها من السلطة العثمانية وممثليها منالاً وصل به إلى مواجهة الهلال (رمز الدولة العثمانية) بالصليب (رمز قوى الغرب التي واجهتْها، على إطلاقه) وهي مواجهة قد لا تتفق مع ميوله

(١) (تذكار الماضي) النص ٥٢ ص٢٢٥

العلمانية الأصيلة (بصفة الهلال رمزاً إسلامياً) ولكن كرهه للعثمانيين الذين أذلّوا وطنه ـ فيما كان فريق كبير من الوطنيين مسيحيين ومسلمين يرونه ـ أورده هذا المورد.

ووقف موقفاً متشدداً جداً من المحتل الإنجليزي بعدهم، حتى لقد أيقظ النسب الذي يجمعه بأهلها[1]:

خلّني أستصرخُ القومَ النِّياما
أنا لا أرضى لمصرٍ أن تُضَاما

قَسَماً بالنيل لو أن به
ما بنفسي مِن جوىً سالَ ضِراما
حسْبُ مصرٍ أنها الأرضُ التي
أمَّنَ الله بها البيتَ الحراما

لستُ مصريّاً ولكن نسبةٌ
بيننا تجمع مصراً والشآما

ثم انثنى يخاطب المحتل:

كبِّلوا أقلامَنا جُهدَكمُ
وامنعوا الألسُن والصحْفَ الكلاما
وإذا عزّ عليكمْ أننا
في وئام فانشروا فينا الخِصاما!

وفي ديوانه الرابع (الخمائل) يأسى لموت فيصل «أبي غازي»[2] ويرثيه رثاءً أراع معه «البيت والبلد الحرام»، ومجّد «خُلُق الصحارى ومروءة الخِيام» التي خرج منها، وخاطب من سكتوا عن إسقاطه عن عرش الشام ورحيله عنها:

---

(١) ما لم تجمعه الدواوين   النص ٢ (مصر والاحتلال).
(٢) الخمائل: النص ٤٢ وراجع في كتابنا (النثر المهجري) موقفاً لزملاء أبي ماضي في (الرابطة)، من (فيصل)، في مؤتمر الصلح، بعد الحرب العالمية الأولى، ص ١٤٧ وما حولها.

فـقلْ لـلـسـاخـطـينَ عـلـى الـلـيـالي
ومَن سـكـنُـوا عـلـى يـأسٍ ونـامـوا
سـيـنْـحَـسـرُ الـضَّـبـابُ عن الـروابي
ويـبـدو الـوردُ فـيـهـا والخُـزام
ونُـرجِعُ أمـةً تُـرجى وتُـخْـشَى
وإن كَـرِهَ الـزعـانفُ والـطَّـغـام

وشغلته مأساة فلسطين وأهلها شغلاً دائماً[1]:

فـخـطْبُ فـلـسـطـينَ خـطْبُ الـعُلا
ومـاكـان رزءُ الـعُلا هـيِّـنـا
سـهـرنـا له فـكـأنَّ الـسـيـوفَ
تحـزُّ بـأكـبـادِنـا هـهُـنـا
وكـيف تـطـيبُ الحـيـاةُ لـقـومٍ
تُـسَـدُّ عـلـيـهم دروبُ الـمُـنَى
بلادهمُ عُـرضـةٌ لـلـضَّـيـاعِ
وأمَّـتُـهم عُـرضـةٌ لـلـفـنـا
لـقـد دافـعـوا أمسِ دونَ الحِـمى
فـكـانت حـروبُـهمُ حَـربَـنـا
وجـادوا بـكلِّ الـذي عـنـدهم
ونـحـن سـنـبـذلُ مـا عـنـدنـا
فـقل لـلـيـهـود وأشـيـاعِـهم
لـقـد خـدعـتـكمْ بُـروق المُـنى
فـإنـا سـنـجـعل من أرضـهـا
لـنـا وطـنـاً، ولـكم مَـدفـنـا

(١) المصدر نفسه: النص ٤٣.

كتب هذا الكلام وأصدره في ديوان نشره سنة ١٩٤٠، قبل قيام دولة الاغتصاب بثماني سنين، وفيه نستطيع أن نلمس الجرح المفتوح، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ثم إنه كتبه وقد أمضى في المهجر الأمريكي ثلاثين عاماً بعيداً عن المنطقة. ويلمس قارئه فيه حُرقة صادقة هي التي جعلت صلته بها لا تنقطع.

وقد زار لبنان بعدها وخاطبه الخطاب الذي أشرنا إليه في السابق، للرد على من نَسب إليه نِسْيانه، وذكر معه الفقر الذي عرفه فيه، مباهياً به[1]:

زعموا سَلوتُكَ...ليتَهمْ نسبوا إليَّ الممكنا
فالمرءُ قد ينسى المسيـ ءَ المفتري والمُحسنا
ومرارةَ الفقرِ المذِ لِّ بلى، ولذّاتِ الغنى
لكنه مهما سَلا هيهات ينسى الموطنا!

وكانت تعذبه فيه، حين يذكره، ما حمل معه من ذكرى الفتن الطائفية قبل تقسيم ديار الشام، وبعده. يقول في (ديوانه الثاني)، داعياً إلى التسامح:

ما كان أحوجَ سوريّا إلى بطلٍ
يردّ بالسيف عنها كل مفترسِ
ولا يزال بها والسيفُ في يده
حتى يطهرَها من كل ذي دَنَس
ويجعل الحبَّ دين القاطنين بها
دينٌ يقرِّبُ بين «البيت» والقُدُس
حتى أرى ضاربَ الناقوسِ يُطربُهُ
صوتُ الأذين، وهذا رنّة الجَرَس[2]

ولما زار دمشق، كما ذكرنا، مطلع سنة ١٩٤٩، وألقى فيها تحيته، وحيّا شهيدها يوسف العظمة الذي استُشهد على أبوابها، ونعى على قومه ما وقع في فلسطين، وكانت نكبتها حلّت بهم:

---

(١) تبر وتراب: النص ١ ص٨٤٩ (وطن النجوم).
(٢) الديوان الثاني: النص ٤٩ ص٤٣٦. والأذين هو الأذان. وارجع في المصدر نفسه (الديوان الثاني) إلى مطولّته التي سماها (يا بلادي) النص ٥٦ ص٤٦٣.

عــجــبــاً لــقــومي والــعــدوّ بــبــابــهمْ
كــيف اســتــطــابــوا الــلــهوَ والألــعــابــا
وتـــخـــاذلتْ أســيــافُــهمْ عن سَــحـــقه
فــي حــين كــان الــنــصــرُ مــنــهم قــابــا

دنـــيـــاكَ يـــا وطنَ الــعــروبـــةِ غــابـــةٌ
حَــشــدتْ عــلــيك أراقِــمَـــاً وذئـــابـــا
فـــالــبَسْ لـــهـــا مـــاءَ الــحــديــدِ مَــطــارفـاً
واجــعلْ لــســانَكَ مِــخْــلــبــاً أو نــابــا

ثم أخذ يصف مجد دمشق:

فــاســتـــنــطقِ الــتّــاريخَ هل في سِــفْــرهِ
مــجــدٌ يــضــاهي مــجــدَهــا الخلاّبــا
شـــابتْ حــضـــاراتٌ، ودالتْ وانـــطـــوتْ
أممٌ، ومـــجـــدُ أمـــيـــةٍ مـــا شـــابـــا

على أن في شعراء المهجر الشمالي مَنْ جارى أبا ماضي في هذا الميدان. ولكنّ في التاريخ إشاراتٍ لعلها لم تُكتب لغيره ممن زاملوه وعاصروه وغنَّوا وطنهم معه(١).صفحة لعله ينفرد بها في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية) خاصة. وقد تستأهل هذه الإشارات، أن تظلّ ريشةً في تاج الدور التاريخي الذي لعبه أبو ماضي في الحركة الشعرية المهجرية، في الشمال، إلى جانب بعض الشعراء المعروفين في المهجر الجنوبي (البرازيل والأرجنتين).

****

(١) انظر في انفراد أبي ماضي، في موقفه من الانتداب الفرنسي على سورية، بعد الحرب العالمية الأولى، مخالفاً زملاءه من أعضاء (الرابطة) في لجنة سمّيت (لجنة تحرير سورية ولبنان): كتابنا: (النثر المهجري - الكتاب الأول ص ١٥٣ وما قبلها وما بعدها).

الخـاتمـة

خلاصة ما ننتهي إليه، في هذه الصفحات، ألا شيء يخلّدُ معه العمل المبدع غير الصدق الذي يحييه ويشتقه من أضلاع المبدِع. وما النصوص الشعرية التي كتبها أبو ماضي، وبقيت إرثاً أدبياً ثميناً في تراثنا الشعري الحديث، إلا التعبير الصادق عن حيرته العميقة، في فهم مرامي الحياة، فيما عرض من صورها وتساءل عن حقائقها ومعانيها.

وقد تهيأ له بهذا أن يغزو ميداناً جديداً في تاريخ الشعر العربي، لم يتهيأ لشاعرٍ قبله، على امتداد عصورنا الأدبية أن يغزوه، أعني: ميدان الفكر والعقل والتفلسف، وصياغة الفكر الشعري الحارّ الذي يتناول أعقد ما يواجه عقل الإنسان ويتحدّاه: لغز الوجود، ومعنى الحياة مع الموت، وما وراء الموت. فغنّى الفكر، في تساؤله عنها، غناءً رقيقاً عذباً فُتن به الناس، وأقبلوا عليه، وتغنّوا به.

وقاده هذا التساؤل، الملحُّ بدوره، إلى صياغة المطوّلات الشعرية، وما داخَلها من تنوع المساءلات، وألوان التعبير عنها واختلاف الإيقاعات، في نظم الحكايات والأمثال، واتباع طرق السرد الشعري المكثّف السريع، في وصف الأحداث وتصوير شخوصها، وإدارة الحوار بينها، وتطوير مسالكه إلى النهاية المرسومة.

وحاول أن يتخفف من ضغوطه النفسية، على مدار حياته في لبنان ومصر والمهجر الشمالي، عن طريق التأمل والتفكر، فاتجه إلى دعوة الآخر إلى التفاؤل والابتسام، على ما عانى من قسوة الأقدار التي لاحقته، منذ طفولته إلى خاتمة حياته، وعلى ما كان فيه من الإحساس بالحاجة التي اضطرته إلى العمل ليل نهار، في ميدان الصحافة المتعب. وبدت، في دعوته هذه، على إخلاصه فيها، الرغبة في التغافل عن حقائق الواقع الإنساني، وحدود القدرات فيه، فانتهى، أخيراً، إلى التسليم بالعجز عن الوصول إلى أجوبة ما تساءل عنه. واتخذ من هذا التسليم سبيلاً إلى الرضا بما هو فيه، ودعا الناس إلى أن يحذوا حذوه.

عن هذه الطريق، حاول أن يقنع نفسه بنفي التناقضات والثنائيات التي يعذبه التفكير فيها، فليرض إذن بما كان يتمنى أن يتغير في حظوظ الخلق والتكوين، إذ لا سبيل، في النهاية، إلى تغييره. ولو تغير لتمنّى أن يعود إلى ما كان عليه، فالسعادة في الحياة، والفرح بالوجود، يتدفقان من داخل النفس، عن طريق التأمل فيما وُهِبَه، وفيما يستطيعه، بما يملك من القدرات والنِّعم (الغبطة فكرة).

ولم يبخل على قومه، مع هذا، بوصف ما هم فيه من أسباب التخلف والشقاق، فدعا إلى نفيها عن حياتهم. وحثّهم على التضامن ورصّ الصفوف، وحمل على مدّعي الصلاح منهم، ولو كانوا من رجال الدين، فسماهم «أصحاب الكشاكيل»، وحضَّ قومه على ردِّهم والوقوف في وجوههم.

وحمّل اللغة الشعرية هذا العبء كله، فجرت على قلمه ولسانه جرياناً سهلاً، بدت المفردات معه، في كثيرٍ من الأحيان، هامدةً لا روح فيها.

✡✡✡✡✡

يبقى أبو ماضي، في دوريه: التقليدي والمجدد، ظاهرةً تستحق الالتفات. فهذا رجلٌ خلقه الله، ولكنه صنع نفسه، وأخضع ظرفه، وشقّ طريقاً، في الشعر، يُنسب إليه. حاول أن يُسعِد الناس ويفيدهم ويمتعهم، عبر معاناته الذاتية، حتى لقد كاد، وهو يخاطبهم ويدعوهم إلى الفرحة بالحياة، يتخذ من خطابهم سبيلاً إلى خطاب الذات.

****

المصادر والمراجع

١ – تذكار الماضي: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ١٩٧٤

٢ – إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر (مع دراسة لزهير ميرزا) - دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٤

٣ – الجداول: إيليا أبو ماضي - نيويورك ١٩٢٧

٤ – الخمائل: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣

٥ – تبر وتراب: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٠

٦ – ديوان إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ٢٠٠٢

٧ – إيليا أبو ماضي (دراسات عنه وأشعاره المجهولة): جورج ديمتري سليم - القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٧

٨ – مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ – بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤

٩ – إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل: إيليا حاوي - بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٢

١٠ – إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث: عيسى الناعوري - بيروت (منشورات عويدات) دون تاريخ.

١١ – إيليا أبو ماضي: عبد اللطيف شرارة - بيروت (دار صادر) ١٩٦٥

١٢ – إيليا أبو ماضي: جميل جبر - بيروت (دار المشرق) دون تاريخ.

١٣ – إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب - صيدا - بيروت (منشورات المكتبة العصرية) دون تاريخ.

١٤ – الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٧

١٥ – شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج - القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤

١٦ – قراءة جديدة لإيليا أبي ماضي: صلاح عبد الصبور ـ ملحقة بديوان «الخمائل» – بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣

١٧ – شعر من المهجر: محمد قره علي ـ بيروت (دار الإنصاف) ١٩٥٤

١٨ – الشعر العربي في المهجر: محمد عبد الغني حسن ـ القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥

١٩ – أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية: جورج صيدح ـ بيروت ١٩٥٧

٢٠ – أوراق مهجرية: عبد الكريم الأشتر ـ دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢

٢١ – أدب المهجر: عيسى الناعوري ـ القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩

٢٢ – الأدب العربي في المهجر: حسن جاد حسن ـ القاهرة ١٩٦٢

٢٣ – التجديد في شعر المهجر: أنس داود ـ القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) دون تاريخ.

٢٤ – في ديوان العرب (أحاديث في الشعر والشعراء من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث)، الجزء الثالث (العصر العثماني والعصر الحديث): عبد الكريم الأشتر ـ حلب ٢٠٠٦

٢٥ – النثر المهجري (المضمون وصورة التعبير): عبد الكريم الأشتر ـ دمشق (دار الفكر الحديث) ١٩٦٤

****

كلمة موجزة

لا يحتاج هذا العمل، بعد الذي قدّمناه في درسه، إلى مقدمة طويلة، ففيه جِماع أعمال أبي ماضي الشعرية، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأميركة، واحتوته دواوينه الخمسة التي أصدر أولها (تذكار الماضي)، في الإسكندرية، قبل أن يغادر مصر (١٩١١)، وأصدر الدواوين الثلاثة بعده في نيويورك (الجزء الثاني من ديوانه ـ وهو «ديوانه الثاني» ١٩١٩ـ و«الجداول» ١٩٢٧، و«الخمائل» ١٩٤٠). ثم أصدر صديقه الشاعر المهجري جورج صيدح، ديوانه الخامس (تبر وتراب)، بعد وفاته (١٩٥٧) بثلاث سنين (١٩٦٠)، جمعه من الشعر المنشور في الصحف والمجلات، مما لم تجمعه دواوينه الأربعة، في الوطن والمهجر.

ثم تصدّى أحد الباحثين، ممن عاشوا زمناً في المهجر الأميركي، الدكتور جورج ديمتري سليم، لجمع ما لم تجمعه هذه الدواوين الخمسة المنشورة، فجمعه من الصحف والمجلات العربية، في الوطن والمهجر، بعد أن تتبّع ما نُشِر من شعر الشاعر فيها، في كتابٍ سماه: (إيليا أبو ماضي ـ دراسات عنه وأشعاره المجهولة[1]

وإذن، فالذي نقدمه اليوم، كتاب يجمع، للمرة الأولى، شعرَ الشاعر المنشور كله، ما جمعته دواوينه الخمسة، وما لم تجمعه. فيه صورة الشاعر، من وجوهها المختلفة، وفيه نصوص شعره، من جانبها المعروف لنا، وجانبها المحجوب عنا، منذ عرفنا الشاعر.

على أن المعروف من شعر الشاعر، لدى عامة القرّاء العرب، لم يكن يتعدّى، في الغالب، بعض نصوص شعره ومطولاته المعروفة، الذاهبة مذهب التأمل والتفكر في قضايا الوجود الكبرى، مثل قصيدته «فلسفة الحياة» ومطولتيه «الطلاسم» و«الأسطورة الأزلية»، وبعض الحكايات الرمزية والأمثال المسرودة سرداً شعرياً، مثل «الحجر الصغير»، و«التينة الحمقاء»، و «الشاعر والسلطان الجائر».

---

(١) نشرته دار المعارف بالقاهرة (١٩٧٧)

وما تعدّى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى ناشروه بضبطه وشرح معانيه، ومراجعة البعيد، من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر، أحياناً - وهو الذي لم يجاوز، في نشأته، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية - أن يلجأ إليها أحياناً، ليدل على اطلاعه على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطون المعاجم، على مثال «الأذين» «في مكان «الأذان»، و«الكِبا» مكان «البَخور»، و«السَّمَيْدع» مكان «السيد السخي»، و«الرقيع» مكان «الرقعة»، و «الإكدار» مكان «الكدَر» الخ.

ثم إنّ غير المعروف، من نصوص شعره، لم يحظَ بالمراجعة، إلى جانب حجبه وحجزه عن النشر في الدواوين. وما قدّمه الدكتور جورج ديمتري سليم، لم يتعدّ حدود الجمع، وإلقاء الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب إلقائه في الحفلات.

وقد رأيت أن أحفظ للدواوين الخمسة، صورتها التاريخية، لأحفظ لها موضعها من حياة الشاعر الإبداعية. ولكني توّجت النص برقْم يسهل الرجوع إليه. وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، يحمل رقْم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة. وبقيت أرقام الصفحات، في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب.

ويلزمني، في هذه الكلمة الموجزة، أن أنقل إلى القارئ بعض ما عانيت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر، في طبعاتها الأولى التي صدرت في حياته («تذكار الماضي»، والجزء الثاني - أعني «الديوان الثاني» – و«الجداول»)، وما وُفّقتُ في تحصيله، وما عَجزت عنه فعوّضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والخيبة الكبيرة كانت في الوصول إلى «الديوان الثاني»، إذ عانى الدارسون، قبلي، من خيبة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر[1] يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لِما سمّاه: «إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر»، إذ وفّرَها للقارئ في السوق! وما يزال الوصول إلى هذا الديوان - إذ لم

---

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤، وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧

يُطبع بعد طبعته الأولى، في نيويورك (١٩١٩) - متعذِّراً تماماً. وقد وجدتُ، وأنا أطلب وألحُّ في الطلب، بطاقةً تحمل اسمه، في (مكتبة الجامعة الأمريكية)، في بيروت، ولكني لم أجد الديوان!

فلجأتُ، مرة أخرى، إلى كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم، إذ أحصى - وكان الديوان في يده - نصوصَه، وسلسلها في صفحة منفردة، بعناوينها وأعداد أبياتها، في المراجع التي رجع إليها، بغية توثيقها، من ناحية، وإعانة الدارسين على الإحاطة بها، من ناحية أخرى. وقد تابعته، في إصدار (دار اليقظة العربية ١٩٥٤)، خطوةً خطوة. وامتنع عليّ، في النهاية، الوصول إلى نصين من نصوص هذا الديوان (نص الإهداء، ونص «معرّب» عن الإنجليزية، بعنوان «نشيد التباراري»). فحفظتُ لهما مكانهما في الكتاب[1]، لعلّي أصل إليهما يوماً، وإنْ لم يكن لهما، في ظني، قدْرٌ في الدرس.

ووجدت النسخة الأصلية من ديوان «الجداول» المطبوعة في نيويورك (١٩٢٧) في مكتبة المقاصد الإسلامية في طرابلس الشام بلبنان. ونجحت في الحصول على صورة لها. أمّا (تذكار الماضي)، ديوانه الأول الذي نشره في الإسكندرية (١٩١١)، فقد وجدت صورةً له في مكتبة جامعة حلب.

ولا أعرف مصدراً لجملة النصوص التي جمعناها في «ما لم تجمعه الدواوين» من شعره، غير كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم الذي أشرت إليه. ويهمّني أن يعرف القارئ العربي والدارس والباحث، أنّ هذا الكتاب يقرّب الشاعر منهم، على نحوٍ يلزم أن يُذكَرَ له[2] تبقى، بعد ذلك، كلمةٌ في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث، ومن حركة التجديد فيها. فهذا ليس موضعه هنا، وموضعه في الدراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب.

---

(١) أهدى الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك، وقد طُبع الديوان على نفقته، واسمه: نعمة تادرس وفي ديوان (ما لم تجمعه الدواوين) نص، من أربعة أبيات، كتبه الشاعر بعنوان: «توديع نعمة تادرس» (النص ٣٣ ص١٠٩٢) ورقم النص الثاني «نشيد التباراري» ٧٥ ص ٣٣د

(٢) كان صاحب الكتاب صديقاً لولد الشاعر الثاني (روبرت)، ومكّنه، بعد وفاة أبيه، من الرجوع إلى المخطوطات التي خلّفها. وعنها نقل صاحب الكتاب نصاً لم يُنشَر أبداً (ص ٢٢ من الكتاب). وفيها شعر آخر له، لم يُنشَر من بعد (ص٩٤ من الكتاب)

جـهد آسـأل الله أن يـجـعله في حـسنات العـمـر، ويـجـزيَني به. فـإني بدأت العـمل لا أقصد به غير الاستجابة لمن ندبني له. فلمّا بدأته أصبح شُغلي الشاغل، وأصبحت أراه، على نحوٍ ما، رسالةً أؤديها، لا عملاً أعمله فحسب.

والله وحده المسؤول أن ينفع به.

د. عبد الكريم الأشتر

****

الديوان الأول

الجزء الأول

(تذكار الماضي)

الطبعة الأولى (المطبعة المصرية ـ الإسكندرية ١٩١١)

يضم الديوان الأول «تذكار الماضي» ـ وهو، عند أبي ماضي، الجزء الأول من ديوانه، إذ أتبعه، بعد ثماني سنوات، من هجرته إلى أمريكة، بالجزء الثاني ـ أربعة وخمسين نصاً شعرياً، بين طويل، ومعتدل، وقصير

وقد طبعه في الإسكندرية، وكان مضى على هجرته إلى مصر حوالي عشر سنوات (١٩٠٠ – صيف ١٩١١) قبل هجرته، مرة أخرى، إلى أمريكة فعمره إذن، حين تمّ له طبع هذا الجزء الأول، لا يزيد كثيراً على العشرين (١٨٨٩ – ١٩١١)

****


الناشيء

إهداء الديوان

إلى الأمة المصرية

« أيتها الأمة الودود!

هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك، وبين مغانيك، أرفعه إليك، لا طلباً للمثوبة، ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك..

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضي الحق، ويرضيك، ويرضي هذا الفن الجميل..

ولقد يكون لي أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوي الفضل، جرياً مع العادة، ولكني رأيت المجموع خيراً وأبقى»

(إيليا)

****

١ - الإنسان والدين

[البسيط]

إني عرفتُ من الإنسان ما كانا
فلستُ أحمدُ بعدَ اليوم إنسانا

بلوتُهُ، وهْوَ مشتدُّ القوى، أسداً
صعبَ المراس، وعند الضَّعفِ ثُعبانا

تعوَّدَ الشَّرَّ حتى لو نبَتْ يدُهُ
عنه إلى الخير سهواً، بات حَسْرانا

خَفْهُ قديراً وخَفْهُ لا اقتدارَ له
فالظلمُ والغدرُ إما عزَّ أو هانا

القتلُ ذنبٌ شنيعٌ غيرُ مُغتَفَرٍ
والقتلُ يغفرُه الإنسانُ أحيانا

أُحِلَّ قتلُ نفوسِ السَّائماتِ له
والطيرِ، والقتلُ قتلٌ حيثما كانا

أذاقَ ذئبَ الفلا من غدره طَرفاً
فلا يزالُ مدَى الأيام يقظانا

ونفَّرَ الطيرَ حتى ما تلمُّ به
إلا كما اعتادتِ الأحلامُ وسْنَانا

سرورُه في بكاءِ الأكثرينَ له
وحزنُه أن ترى عيناهُ جَذْلانا

كأنما المجدُ ربٌّ ليس يعطفُهُ
إلا إذا قدَّمَ الأرواحَ قُربانا

هوالذي سلبَ الدنيا بشاشَتَها
وراحَ يملؤها همّاً وأحزانا
لا تصطَفيهِ وإن أثقلتَهُ مِنناً
يغْدُو عليك وإنْ أولاكَ شُكْرانا
قالوا ترقّى سليلُ الطّينِ قلتُ لهمْ
الآن تم شقاءُ العالمِ الآنا
إن الحديدَ إذا ما لانَ صار مُدًى
فكنْ على حذرٍ مِنْه إذا لانا
والمرءُ وحشٌ، ولكنْ حُسنُ صورتِه
أنسى بلاياه من سمّاهُ إنسانا
قد حاربَ الدينَ خوفاً من زواجرِه
كأن بين الورَى والدينِ عُدوانا
وراحَ يهدمُ ما الرحمنُ شيّدَهُ
وليس ما شيّدَ الرحمنُ بنيانا
إني ليأخذني من أمره عجبٌ
أكلّما زاد عِلماً زادَ كُفرانا ؟
وكلّما انقادتِ الدنيا وصار له
زمامُها إنقاد للآثام طغيانا
يرجوالكمالَ من الدنيا وكيف له
نيلُ الكمالِ من الدنيا وما دانا
إذا ارتدى المرءُ ما في الأرض من بُرُدٍ
وعافَ للدين برداً عاد عُريانا
هوالحياةُ التي ما غادرت جسداً
إلا اغتدى الميْت أحيا منه وجدانا

وهوالضـــيـــاءُ الذي يمحـــو الظلامَ فـمَن

لا يهـــتــــدي بسَناهُ ظلَّ حـــيـــرانا

والمنهلُ الرائقُ العـــذبُ الورودِ فـــمَن

لا يســـتَـــقي منه دامَ الدهرَ عطشـــانا

ليس المبـــذِّرُ من يقْلِي[1] دراهمَـــــهُ

إنّ المبـــذِّر مَن للدِّينِ مـــا صـــانا

ليس الكفـــيفُ الذي أمـــسى بلا بصـــرٍ

إني أرى من ذوي الأبصَـــارِ عُـــمـــيـــانا



١) قلاه – يقليه: أبغضه.

٢ - المرأة والمرآة

[الطويل]

أقامتْ لدى مرآتِها تتأمَّلُ
على غَفْلَةٍ مِمَّن يلومُ ويعذِلُ

وبَين يديْها كلُّ ما ينبغي لِمَن
يصوّرُ أشباحَ الورى ويمثِّلُ

مِنَ الغِيْدِ تَقْلي كلَّ ذاتِ مَلاحةٍ
كما باتَ يَقلي صاحِبَ المالِ مُرْمِلُ

تَغارُ إذا ما قِيْلَ: تلكَ مليحةٌ
يَطيبُ بها للعاشقينَ التَغزُّلُ

فتحمرُّ غَيظاً ثمَّ تحمرُّ غَيْرةً
كأنها حُمَّى تجيء وتُقْفِلُ

وتُضْمِرُ حقداً للمحدِّث، لودَرَى
به ذلكَ المسكينُ ما كادَ يهزِلُ

أثارَ عليهِ حِقدَها غيرَ عامِدٍ
وَحِقْدُ الغَواني صارمٌ لا يُفَلَّلُ

فلو وَجَدتْ يوماً على الدَّهر غادةٌ
لأوشكَ مِنْ غُلْوائهِ يتحوَّلُ[1]

فتاةٌ هي الطاووسُ عُجْباً وذيلُها
- ولَمْ يكُ ذيلاً - شعرُها المتهدِّلُ

---

(١) وجَدَ عليه موجدةً: حقد. والغُلواء: الغلوّ (يريد: حقد الغواني، في البيت السابق).

سعَتْ لاحتكارِ الحُسْنِ فيها بأسْرِهِ
وكمْ حاولتْ حسناءُ مالا يؤمَّلُ
وتجهلُ أنَّ الحسنَ ليس بدائمٍ
وإن هوَ إلا زهرةٌ سوف تَذْبُلُ
وأنَّ حكيمَ القومِ يأنَفُ أنْ يُرَى
أسيرَ طِلاءٍ بعْدَ حينٍ سينصُلُ
وكلُّ فتى يرضى بوجهٍ منمَّقٍ
مِنَ الناعماتِ البيضِ فهو مُغفَّلُ
إذا كان حُسْنُ الوجهِ يُدعى فضيلةً
فإنّ جمالَ النفسِ أسمَى وأفضلُ
ولكنَّما أسماءُ بالغيدِ تَقْتدي
وكلُّ الغواني فِعْلَ أسماءَ تفعلُ
فلو أمِنتْ سُخطَ الرجالِ وأيقَنَتْ
بسُخطِ الغواني أوشكتْ تترجَّلُ[1]
قدِ اتخذَتْ مرآتَها مُرشداً لها
إذا عنَّ أمرٌ، أوتعرَّض مُشكلُ
وما ثَمَّ مِنْ أمرٍ عويصٍ وإنَّما
ضعيفُ النُّهى في وهْمِهِ: السَّهْلُ معضلُ
تُكَتِّمُ عمَّن يعقلُ الأمرَ سرَّها
ولكنَّها تُفْشيهِ ما ليس يعقلُ
فلو كانتِ المرآةُ تحفظُ ظلَّها
رأيتَ بعينيكَ الذي كنتَ تجهلُ
وزادَ بها حبُّ التبرُّج أنَّهُ
حبيبٌ إلى فتيانِ ذا العَصْرِ، أوَّلُ

(١) ترجّل (في اللغة): مشى راجلاً والقصد هنا: أوشكت تكون رجلاً.

أَلَمُّوا به حتى لَقد أشبهوا الدُّمى

فما فاتَهُمْ، والله، إلا التكحُّلُ

فَتَى العصرِ أضحى في تطرّيهِ حُجَّةً

تُقاتلنا فيها النساءُ فَتَقْتُلُ

إذا ابتذلَتْ حسناءُ ثمّ عذلتَها

تولَّتْ وقالتْ كلُّكُمْ متبذِّلُ

****

٣ - المودّة

[الخفيف]

مــــــا لِهنْدٍ وكلُّ حـــــسناءَ هندُ
كلَّ يومٍ تبــــدو بزيٍّ جـــديدِ

تلبَسُ الثّــوبَ يومَـــهَــا وهي تُطْريـ
ـهِ وتُطريهِ عندَها كلُّ خُـــودِ[١]

فــإذا جـــاء غــيــرُهُ أنكرتْهُ
فرأينا الحميدَ غيرَ حميدِ

أولعتْ نفـــسَـــهـــا بكلِّ طريفٍ
ليـتَـهــا أُولعَتْ ببعضِ التّليدِ[٢]

أصـــبحتْ تعشقُ المِشدَّ[٣] ولم أبـ
ـصرْ طليقاً متيّماً بالقيودِ

رحــمــةً بالخصورِ أيتها الغِيـ
ـدُ ورفـقـاً رفـقـاً بتلكَ القدودِ

مـــا جنَتْــهُ الزنودُ حـــتى ينالَ الـ
ـعُــرْيُ منهــا، يا عــارياتِ الزنودِ؟

وعـــلامَ الأذيالُ أمـــستْ طوالاً
كليــالي الصُّــدودِ أوكــالبُنُودِ؟[٤]

---

(١) الأصل: خَود، وهي الحسناء.

(٢) القديم.

(٣) «الكورسيه».

(٤) الأعلام.

لوتكونُ الذيولُ أعمارَ قومٍ

لَضمنَّا لهُمْ نوالَ الخلودِ

قصَرتْ همَّها الحسانُ على اللهـ

ـوِ، ويا ليت لهوَها بالمفيدِ

ساء حالُ الأزواجِ في عصرنا هـ

ـذا، وساءت أحوالُ كلِّ وليدِ

كلُّ زوجٍ شاكٍ، وكلُّ صغيرٍ

دامعُ الطرفِ كارهٌ للوجودِ

يظلُمُ الدهرَ حين يعزو إليه الـ

ـبُؤسَ، والبؤسُ كلُّ أمٍ كَنودِ(١)

لا رعى اللهُ زوجةً تنفقُ الأمْـ

ـوال والعمرَ في اقتناء البُرُود

ليس في اللهو والبَطالةِ فخرٌ

إنما الفخرُ كلُّ عِرسٍ كدودِ(٢)

****

(١) كافرة بالنعمة.

(٢) شديدة في العمل.

٤ - عن مصر

[البسيط]

لا آخِذُ الدّهرَ مهما ضنّ أوبخِلا
تاللهِ يحملُ وزري وهو ما عقلا[1]

جنى عليّ طلابُ العلم في فئةٍ
لا تعرف المرءَ إلا بالغنى رجلا

وكان للحرّ أن يُثري ثراءهمُ
لوكان يرضى به من عِرضه بدلا

أهوى الحياة فإن عنّت على ضَعةٍ
صدفتُ عنها كأني أعشقُ الأجَلا

ليست حياةُ الفتى إلا كرامتُه
ساء الذليلُ مُقَاماً أينما نزلا

يا رُبَّ معترضٍ في قلبه مرضٌ
وافى يسوق لي التعنيف والعَذَلا

حتَّامَ تدفعُ عن مصرٍ ولست لها
بابنٍ ولا ناقةً تبغِي ولا جملا

فلُذتُ بالصَّمتِ حتى لاح لي علَمٌ
ضافٍ تداعبُه أيدي الصَّبا جَذلا

وقلت: أُنظر، فولّى شطرَهُ فرأى
رسمَ الهلالِ[2] فوارَى وجهَه خجلا

---

(١) لا يعقل.

(٢) إشارة إلى الراية العثمانية.

وعدتُ أرثي له مما ألمَّ به

وعاد يعثرُ في أذياله خَبَلا

وقائلٍ: كيف ترقى مصرُ؟ قلت له:

حَسْبُ الكنانةِ شعبٌ يعشقُ العملا

يقظانُ لا جَزعَاً مما يحاذرهُ

فمَن يخفْ فشلاً في سعيه، فشِلا

ثبْتُ العزيمةِ لا يَلوي بهمّته

كيد الطَّغَام ولا بُعد المَرام، ولا

خيرُ المحبِّين صبٌّ لا سلوّ له

لا خيرَ فيمن إذا حُمَّ الفراقُ سَلا

شعبٌ يسابقُ نحو المجدِ هاجسَهُ

إنّي وجدتُ التّواني يخلقُ الكسلا

ولا يني إنْ عَراهُ حادثٌ جللٌ

حتى يكونَ عليه حادثاً جللا

حوادثُ الدهر إعصارٌ تهبُّ، فما

يَبقى عليها سوى من أشبَهَ الجبلا

ولو أقال الفتى من غمرةٍ وجَلٌ

لم تلقَ في الناس من لم يعرفِ الوجَلا

شعب أحبُّ إليه الموتُ محترماً

من أن يعيش طَوال الدّهر مُبتَذَلا

ما أجملَ الحكمَ بين القومِ مشتركاً

فالمرءُ منفرداً لا يأمنُ الخطَلا

لا يَعجَبِ النّاسُ إما سوّدوا رجلاً

فسامهمْ ما يَسوم الجازرُ الهَمَلا

فالبدرُ يكسِفُ نورُ الشمسِ طلعتَهُ

والبدرُ لولا ضياءُ الشمسِ ما كمَلا

إنّ الممالكَ قد تحيا بلا مَلِكٍ

إذا أرادتْ ، ولا تحيا الملوكُ بلا...[1]

وإنْ سرَى الجهلُ في شعبٍ فضعضَعهُ

فالعلمُ خيرُ دواءٍ يُصلحُ الخللا

بحرٌ لئن غاضَ[2] ماتَ الخلقُ من ظمأٍ

وكوكبٌ تُظلِمُ الدّنيا إذا أفلا

هوالجُرازُ[3] الذي ما مَسّه فلَلٌ

وكلُّ عضْبٍ نرى في حَدّه فللا

بلى هوالسيفُ لكن لا يُريق دماً

وليس يكسوه غِمدٌ إذا نَصَلا[4]

لولاه لمّا نر الأمواجَ حاملةً

من الحديدِ جبالاً تحمل القُلَلا[5]

من كلِّ سابحةٍ في اللُّجِّ تَحسَبُها

ذا حاجةٍ راحَ يعدو نحوها عَجِلا

جزءٌ من الأرض فوقَ الماء منتَقلٌ

فيه من الناس جزءٌ بات مُرتَحِلا

ولا القطارُ الذي أضحى يخُبُّ بنا

في كل فجٍّ يروض الحَزْن والسَّهلا

---

(١) الملوك لا تحيا بلا شعوب.

(٢) جف.

(٣) السيف.

(٤) نصل: ظهر نصله.

(٥) أعالي الجبال.

من كلِّ مضطربٍ في الأرض ذي لجَبٍ

يُنسيكَ منظرةُ الأحداجَ[1] والإبلا

لا يشتكي في السُّرَى أيْناً ولا لغَباً[2]

وتشتكي الأرضُ جهراً عبءَ ما حمَلا

سِوى عجائب لا يُحصى لها عددٌ

حتى يَعُدَّ يَراع الكاتب الرمَلا[3]

ولو يُطيف ذووها بالأُلَى درَجُوا

من قبلنا حسِبَتْهم رُسْلُهم رُسُلا

ما كان يخطر في قلبي ولا خلَدي

أنّي أرى المرءَ في الأفلاكِ منتَقِلا

سما إلى الأفق فارتاعتْ فراقدُه

حتى اغتدَى زُحَلٌ يخشى به زُحَلا

وأيقن الليثُ أن لا حصن يعصمُه

فكاد من ذعرهِ يستعطفُ الحمَلا

وأصبح الحوتُ ملتاعَ الفؤاد أسى

كالحوت في الماء يخشى النارَ والأسَلا[4]

كذلك العلمُ يُعلي قدر صاحبِهِ

في الناس حتى يُرى بالشهب منتعلا

انظر إلى الشرق في جهلٍ وخذ عظةً

وانظر إلى الغرب في علمٍ وخذ مثلا

****

(١) ما تحمله الجمال من بيوت الراحلين.
(٢) الأيْن واللغَب: التعب والإعياء.
(٣) يقصد التمهّل في العد.
(٤) الرماح.

٥ - شكوى فتاة

نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في العمر.

[الرمل]

لي بعلٌ ظنَّهُ الناسُ أبي
صدِّقوني، إنّه غيرُ أبي
واعدِلوا عن لومِ مَنْ لو مَزَجَتْ
ما بها بالماءِ لم يُستعْذَبِ
رُبَّ لومٍ لم يفدْ إلا العَنَا
كم سهام سُدِّدَتْ لم تُصِبِ ؟
يشتكي المرء لمن يَرثي لَهُ
رُبَّ شكوى خففتْ من نَصَبِ

زعموا أن الغواني لُعَبٌ
إنّما اللعبةُ طبعاً للصّبي
وأنا ما زلتُ في شَرخِ الصِّبا
فلماذا فرّطَ الأهلونَ بي؟
لي قدٌّ وجمالٌ يزدري
ذاكَ بالغُصنِ، وذا بالكوْكبِ
قد جرى حبُّ العُلا مجرى دمي
فهْي سُؤلي والوفَا من مَشرَبي
أنا لو يعلمُ أهلي درّةٌ
ظُلِمَتْ في البيعِ كالمُخشلَبِ[1]

---

(١) الخرز

أخـــــــــــذوا الـديـنـارَ مـنّـي بَـدلاً

أتُـرانـي سـلـعـــــــــــةً لـلـمكـسـبِ ؟

لا، ولـكن راعـــــهُمْ عـــــصـــــرٌ بـه

ســـاد في الفـــتـــيـــانِ حبُّ الذهـبِ

لـيـس لـلآداب قـــــــــدرٌ بـيـنـهـمْ

آهِ لـوكـــــان نُـضـــــاراً أدبـي !

حَـــسِـــبـــوني حين لازمتُ البكا

طفلـةً أجـــــهـلُ مـــــا يَـدري أبـي

ثـمَّ بـالـغُـــــــــولِ أبـي هـدَّدنـي

أين مِـنْ غـــول المنايا مَـــهْـــرَبي ؟

أشـــيـبٌ لـو أنـه يغـــشـى الدُّجى

شـــابَ ذعـــراً منهُ رأسُ الغَـــيْـــهَبِ[1]

لـيـت مــــــا بـيـنـي وبـين الـنـوم مِـنْ

فُـــرقـــةٍ بـيـنـي وبـينَ الأشـــيـبِ

يا لـه فظّاً كـــثـــيـــرَ الحـــزنِ، لا

يـعـــــــرفُ الأنـسَ، قـلـيـلَ الـطَرَبِ

يَخْـضِبُ الشَّـــعـــرَ ولكنْ عـــبـــثـــاً

ليس تخـــفى لغـــةُ المســـتـــعـــربِ

قل لأهل الأرض: لا تخـــشُـــوا[2] الردى

إنه مـــــشـــــتـــــغـلٌ في طلبي

ولمنْ يـعــــجـبُ مِنْ بُـغــــضـي لـه:

أيّهـــا الجـــاهلُ أمـــري، اتّـئبِ[3]

---

(١) الظلمة.

(٢) الأصل: تخشوا.

(٣) اتأب: تأنّى وتمهّل واستحيا

إنّمـــا الغـــصْنُ إذا هبَّ الـهـــوا

مـــالَ لـلأغـــصـــانِ لا لـلحطبِ

وإذا المرءُ قـــضـى عـــصـــرَ الصِّـــبـــا

صـــارَ أولـى بـالـردَى فـي مَـــــذهَبي

****

٦ - إلى الشبان المتفرنجين

[الكامل]

يا أيها الشرقُ التعيسُ، انظُرْ إلى الـ
قومِ الذين شدَدْتَ أزرَكَ فيهمُ

ما زلتَ تكلؤُهم بطرْفٍ ساهرٍ
يُحيي الظّلامَ وهمْ هجودٌ نوّمُ

والغربُ يرنو خائفاً أن يَخلفوا
أجدادَهُمْ ويودُّ لو لم يَنْعَموا

حتى إذا طرَّتْ شواربُهم وبا
تَ من الشبابِ لهُم طرازٌ مُعْلَمُ

خرجوا عليكَ وأنتَ لا تدري وهمْ
لا يشعرون ولو دروا لتندّموا

يا طالما مثَلوا لديك كأنّهم
أسْدُ الشَّرَى فنسيتَ أنكَ تحلُم

ورجوتَ ما يرجوهُ كل أبٍ لدى
أبنائِه، إنّ العقوقَ مذمَّمُ

ولطالما شِدْتَ القصور مِنَ المُنى
خابَ الرجاءُ وساء ما تَتَوهَّمُ

ألهتْهُمُ الدُّنيا فهذا بالطّلا
صبٌّ، وهذا بالحِسانِ متيَّمُ

والخمرُ فاتكةٌ فكيف بناعمٍ
ترفٍ يكادُ من النسائمِ يُسْقَمُ

قـد أصـبـحـوا وقـفـاً على شـهـواتِهِم
يسـتـسلمـون لهـا ولا تَسْـتَـسلمُ
لم يفـهـمـوا مـعنى الحـيـاةِ وكُنْهَـهـا
إن البليّـةَ أنّهمْ لم يفـهـمـوا
فليُـقلِعـوا عـن غِـيِّـهم، إنّي أرى
خَـوَرَ الشـيـوخِ بهم ولـمّـا يهـرمـوا
قـد قلّدوا الـغـربيَّ في آفـاتِـه
تقليـدُهُ الشـرقيُّ فـيـمـا يَعْـصِمُ
فـتنتـهُمُ لغـةُ الأعـاجمِ إنّمـا
لغـةُ الأعـاجمِ منـهُمُ تتـبـرَّمُ
أمـسى الـذي تُـهـدى إليـه لآلـئٌ
وكـأنّمـا هـو بالحـجـارةِ يُرجَمُ
لا تعـذلِ الشُّـعـراءَ إن بخلوا بهِ
إنّ القـريض على الغـبيِّ مُـحَـرَّمُ
بتْنا وباتَ الشـرقُ يمشي القَـهْـقَـرى
مع ذاكَ نـحـسَبُ أنَّنا نتـقـدَّمُ!

****

٧ - هديتي

إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (وهي مدارس كان الحزب الوطني قد أنشأها بالمدينة)

[الكامل]

مــــا للهُــمـــومِ الطَّارقـــاتِ ومـــا لـي
أســــهَــــرْنني ورقـــدْنَ عن أوجـــالـي

أمـــسـينَ ملءَ جـــوانحي، مـــا نابني
خـطبٌ، ولا خـطرَ الـغـــرامُ ببَــــالـي

أهوَى وقـــد عـــبثَ المشــيبُ بمَفــرِقي
ليس الغِـــواية للكبـــيــــر البـــالي

مــــــا ثَمّ داءٌ يُســــــــتطار له الكرى
مـــا ثمَّ غـــيـــرُ كـــآبةٍ ومَـــلالِ

أرعى الثــواقبَ[1] فــي الظّلام كـــأنّهـــا
زَهـرُ الحـــدائقِ أو نـثـــيــــرُ لآلِ

وكـــأنما شـوكُ القَـتَـــادِ بمضــجـعي
وكـــأنّ حَـــشـــوَ وســـادتي بَلْبـــالي[2]

حـــتى إذا عكفتْ عليّ وســـاوسي
ونبَـــا الفـــراشُ نزعتُ للتَّـــجْـــوال

فـــخـــرجتُ كـــالمنشـــور بعـــد مماتِه
وركـــبتُ متنَ الليل غـــيـــرَ مُـــبَـــال

(١) الثاقب: صفة للشهاب (شهاب ثاقب) أراد: النجوم الثواقب (جمع: ثاقبة).
(٢) قلقي.

وذهبتُ اخــتــرقُ المســالكَ مــدْلجــاً[1]

وكـــأنما أُطلـقت من أغـــلال

أســعى ومــا من غــايةٍ أســعَى لهــا

ســـعــيًــا إلى أملٍ من الآمـــال

فــاسْـتـوقَـفـتني ضـجَـةٌ في حــانةٍ...

حــبـستْ مـقــاعـدَها على الجّــهــال

حــامـوا على الصـُهـبـاء يرتشـفُـونَـهـا

كــالطيـر حــولَ مــصــفّقِ السّلســال[2]

في غـــفلةِ العُـــذّال في غـــسَق الدجى

إنّ الســـعـــادةَ غـــفلةُ العُـــذّال

نـهَب الكؤوسُ عـــقــولَهمْ ونُضـــارَهـم

نـهْب المديرِ الخــادعِ المحــتـــال

أمـــسى يســـوقُ إليـــهـمُ آجــالهـم

وحــتُــوفـــهمْ في صـــورة الجـريال[3]

شـرُ الشـرابِ الخـمـرُ، يصـبح صبُّـهـا

قــيــدَ الضّنَى، ويبــيُت رهنَ خَــبــال

يــا ســـــالـب الأرواحِ بـعض تـرفُـقٍ

يـكفـــيكَ أنّك ســــالبُ الأمـــوال

لا تـدفـــعنْ تلك النفـــوس إلى الردى

إنّ النفـــوس وإن صـــغُـــرْنَ غـــوال

وإذا بمخـــمـــورٍ يتــيـــه مُـــعـــربداً

خـــبَلٌ به، مـــا زال تِيـــهُ دلال

---

(١) سائراً بالليل.

(٢) تصفيق الشراب. تحويله من إناء إلى آخر.

(٣) الخمر

حـــيـــرانَ مـــضطربَ الخُطا فكأنما
قـــد راح يمشي فـــوق جـــمـــرٍ صَـــال
مـــتـــخـــمِّطٍ[1] في ســـيَـــرِه مـــتـــأودٍ
كـــالغـــصن بين صَـــبـــا وبين شَـــمـــال
عـــقَـــدَ الشُـــرابُ لســـانَهُ ولقـــد يُرى
طلْقـــاً، وفكُّ مـــجـــامـــعَ الأوصـــال
فكَبَـــا كـــمـــا يكبـــو الجـــوادُ على الثُـــرى
شُـــدّت عليـــه فـــوادحُ الأثقـــال
وتقـــدَّم الشـــرطيُّ يمشـــي نحـــوَهُ
مـــشي الفـــخـــورِ بنفـــســـه، المخْـــتَـــال
مـــتلفـــتـــاً عن جـــانبـــيـــه كـــعـــاشقٍ
مُـــتلفِّتٍ حـــذرَ الرقـــيبِ القَـــالي[2]
ورأيتُـــــه وبنانُه في جَـــــيـــــبِـــــهِ
فـــعَلِمتُ ســـرَّ تلفُّتِ المحـــتـــال
لا تعـــجَـــبُـــوا ممَّا أحـــدِّثُكُمْ به
كم تحت ذاك الثـــوبِ من نشَّـــال
ثم انثنى مـــتـــبـــســـمـــاً وإذا فـــتىً
غضّ الإهـــاب ممـــزَّقَ الســـــربال
وأتى فـــحـــركَـــهُ فـــألفى جـــثَّـــةً
همَـــدتْ فـــأَجـــفلَ أيَمـــا إجـــفـــال
وحنَا عليـــه يضـــمُّـــه ودمـــوعُـــهُ
تـــنـــهـــلُّ مـــثـــلَ العـــــارضِ الهطَّال

(١) نوع من أنواع السير.
(٢) الكاره.

وأتى ذويهِ نعـــيُّـــه فـــتـــألَّبُـــوا

والغـــيـــدُ تُعْــولُ أيُّمـــا إعـــوال

أرخـــصـنَ مـــاء الجَـــفنِ ثمّ أذلْنَه[1]

ولقـــد يكون الدمعُ غـــيـــرَ مُـــذَال

ولقـد شــهــدتُ صِغــارَهُ في حَـيـرةٍ

من أمـــرِهِمْ، لهــفي على الأشـــبـــال

لا يفــقـــهـــون الحــزنَ غـــيـــرَ تأوّهٍ

مـــا الحـــزنُ غـــيـــرُ تأوّهِ الأطفـــال

مـــا كنتُ أعلم قـــبلَ مـــا حـــقّـــوا به

أنّ الشـــقـــيَّ الجَـــد[2] ربُّ عِـــيـــال

أسـفي عليــه مُـضـرَجـاً لم تمتـشقْ

يدُهُ الحـــســـامَ ولم يسِـــرْ لقِـــتـــال

أودَى ضَـــحـــيَّـــةَ جـــهلِهِ، كم يائسٍ

أودى شـــهـــيـــدَ الجـــهلِ والإهمـــال

فـــرجـــعتُ مـــصـــدُوعَ الفـــؤاد أبثّكُمْ

شَـــجْـــوي وأندبُ حـــالةَ العـــمّـــال

بـاتـوا مـن الأرزاء بـين مـــــخَـــــالـبٍ

من دونهـنَّ مـــخـــالبُ الرِّئبَـــال[3]

خَطَرانِ من جـــهلٍ وفـــقـــرٍ، مـــا الرَّدَى

غـــيـــرُ اجـــتـــمـــاعِ الجـــهل والإقـــلال

فـــخُـــذوا بناصِـرهمْ فـــإنّ حـــيـــاتَهم

فـي مـــــأزقٍ حـــــرجٍ مـن الأهـوال

---

(١) الإذالة: الإهانة. اذاله: اهانه.

(٢) الحظ.

(٣) الأسد.

مـــا أجـــدر الجـــهـــلاءَ أنْ يتـــعـلّمـــوا

فـــالعلمُ مـــصـــدرُ هيـــبـــةٍ وجَـــلال

فـــاسـعَـــوا لنشـــر العلم فـــيـــهمْ إنّمـــا

فـــضلُ الغـــمـــام يَبِينُ في الإمْـــحـــال(١)

إنّ الجَـــــهـــــولَ إذا تعلّم واهتـــــدَى

بثّ الهـــدَى في صـــحــــبِـــــه والآل

يا قـــومُ إن لم تســـعـــفـــوا فـــقـــراءَكُمْ

فَلِمَ ادّخـــــاركمُ إذًا لـــلمـــــــال

هلاّ رضـــيـــتمْ بالمحَـــامـد قُنيَـــةً

إنّ المحـــامـــدَ قُنيَـــةُ المفْـــضَـــال

أولســـــتمُ أبناء مَن ســـــارتْ بهمْ

في الـمُكْرَمـــاتِ روائـعُ الأمــــثـَـــال

جُـودوا فـغـيـرُ الحـمـد غـيـرُ مـخلّدٍ

مـــا المالُ؟ إن المالَ طيفُ خـــيـــال

هيـهـاتَ ! مـا يبـقى ولوعـددَ الحـصى،

أنّـــى يـــدومُ وربُّـــه لـــــزوال؟

****

(١) الجدب.

٨ - الرجل والمرأة

[البسيط]

يا رُبَّ قــــائلةٍ، والقـــولُ أجـــملُه
مــا كــان من غــادةٍ حــتى ولو كَــذِبا

إلامَ تُحــتَــقَــرُ الغـــاداتُ بينكـمُ
وهـنَّ في الكون أرقَى منكمُ رُتَبـــا

كنّا[1] لكمْ سـببًــا في كـلِّ مكرُمَــةٍ
وكنتمُ في شَـقــاء المرأةِ السَّــبَـبــا

زعــمــتمُ أنّهنَّ الخـــامــلاتُ نُهى
ولوأردنَ لصــيِّــرنَ الثَّــرى ذهَبــا

فـــقلتُ لو لم يكنْ ذا رأيَ غـــانيــةٍ
لهاجَ عند الرّجال السُّخطَ والغَضَبا

لم تنصِــفــينا وقــدْ كنّا نؤمِّل أن
لا تُنصــفِـينا لهــذا لا نرى عَــجَـبــا

هيــهــاتَ تَعــدِلُ حــسناءُ إذا حكَمتْ
فــالظلمُ طبعٌ على الغــادات قد غلَبــا

يحــارب الرجلُ الدنيــا فـيـخـضـعُـها
ويفــزع الدّهرُ مــذعــوراً إذا غــضــبــا

يرنو فــتــضْطَربُ الآســادُ خــائفــةً
فـــإنْ رنتْ ذاتُ حـــسنٍ ظلّ مُــضْطربا

---

(١) إشباع الحركة (كنّا) لضرورة الوزن.

فـــإن تشـــأ أودعتْ أحـــشـــاءَهُ بَرَداً

وإنْ تشـــأ أودعتْ أحـــشـــاءَه لـهَـــبـــا

يُفـنـي الـلـيــــــالي فـي هـمٍّ وفـي تـعـبٍ

حِــذارَ أن تشــتكي من دهرها تعَــبــا

ولـو درَى أن هذي الشُّـــهبَ تزعـــجُـــهـــا

أمــسى يروِّع فـي أفــلاكــهـا الشُّـهَـبـا

يشــقى لتــصــبحَ ذاتُ الحلْي ناعــمــةً

ويحـــملُ الـهمّ عنهـــا راضــيـــاً طَرِبا

فـــمـــا الذي نفــحَــتْــهُ الغــانيــاتُ به

سِــوى العــذابِ الذي في عَــينه عــذُبا

هذا هـو المرءُ يا ذاتَ العـــفـــافِ، فـــمن

ينصـــفْـــهُ لاشك فـيـــه يُنصفُ الأدبا

عنّفـــتِـــه وهـو لا ذنبٌ جناهُ سِـــوى

أنْ ليس يرضى بأن يغـــدو لـهـــا ذَنَبا!

****

٩ - عبّاد الذهب

[البسيط]

مـا سـاء نفـسي مـن الدنيـا سِـوى نفَـرٍ
لا خـيـرَ فـيـهمْ ولكنْ شـرُّهـمْ عَـمَمُ

مـاتتْ ضـمـائرُهـمْ فـيـهمْ أنانيَـةً
فليس تَنشـرُ حـتَّى تُنشَـرُ الرِّمم

سـاءتْ خـلائقُـهُمْ، أوْلاَ خـلاقَ لهم
إلا الشـراهـةُ والإيـثـارُ والنَّـهم

إذا رأوا صـورةَ الـديـنـارِ بـارزةً
خـرّوا سُـجـوداً إلـى الأذْقَـانِ كلُّهمُ

قـدْ أقـسـمـوا أنهمْ لا يُشـركـونَ بهِ
بئس الإلـهُ وبئس القـومُ والقَـسَم

****

١٠ - (الإنسان والدنيا)[١]

[الكامل]

المرءُ فـي غَـفَـلاتِـه وسُـبَـاتـهِ
والـدّهرُ كـالرئبـالِ[٢] في وثَبـاتـهِ
والعـمـرُ ظِلٌّ والزمـانُ يَجِـدُّ فـي
إخـفَـائه، والمرءُ فـي إثبـاتـه
والحـربُ لا تنفكُّ بينهـمـا ولا
ينفكُّ هذا المرءُ في حَـسَـراته
لا تعـجـبـوا مـن جَـهله وغُـروره
وتعـجَّـبُوا إنْ حَـالَ[٣] عـن حَـالاته
يسـعى ولا يدري إلى حـيث الردى
وكـذا الفَـراشُ يحـوم حـولَ مماتِه
وتُحـبِّبُ الدنيـا إليـه نفـسَـهُ
فَـيُطيـعُـهـا، والنَّفسُ من آفـاته
ويَضـيـرُهُ إفـلاتُه من قـيـدهـا
وسـعـادةُ الإنسـان فـي إفـلاته
يلقى الضَّـراغِمَ[٤] غـيـرَ مكتـرثٍ بهـا
فـإذا سطَتْ ضـربتْ على سطواته
مـا قـاتِلُ البطلِ النّجـيـدِ غـضنفـرٌ[٥]
إنّ الغـضنفـرَ مَنْ عـصى شـهـواتِه

****

(١) هذه القصيدة في الأصل بلا عنوان.

(٢) الأسد (٣) تغيرعنها

(٤) الأسود. (٥) أسد.

١١ - وردة وأميل

[الكامل]

يا ليــتـــمـــا خُلقَ الزمـــانُ أصــيـــلا
إنّي أراهُ كـــالشــبـــابِ جـــمـــيـــلا

ولّى فـــودّعتِ الســـمــــاءُ بهـــاءَهــا
مــن بعـــده، وهوى النــهـــارُ عليـــلا

جنَحتْ ذُكــاءُ[١] إلى الغــروب كــأنّمــا
تبـــغي رُقَـــاداً أوتريدُ مَـــقِـــيـــلا[٢]

وتناثرتْ قطعُ السَّـحـــابِ كـــأنهـــا الـ
جـــيشُ اللُّهـــام[٣] إذا انْثَنى مـــفلولا[٤]

هذا وقـــــدْ بسطَ السكونُ جناحَــــــهُ
والليلُ أمـــسى ســـتـــرُه مَـــسْـــدولا

قـــد بات كلُّ مـــســـهّـــدٍ طوعَ الرُّقَـــا
دِ وكلُّ جَـــــفنٍ بالكرَى مكحُــــــولا

إلا مـــهـــفـــهـــفـــةً[٥] بهـــا نزل الهـــوى
ضــــيـــفـــاً ولكن لا يريدُ رحـــيـــلا

غـــيـــداءَ قـــد وصلتْ ذوائبُـــهـــا الثَّـــرَى
إنّـي لأحـــســـدُ ذلك الموصـــــولا

---

(١) الشمس.
(٢) القيلولة: الراحة، وعادة تكون بعد الظهر
(٣) الكثير العدد، كانه يلتهم كل شيء.
(٤) يريد: الكسرة.
(٥) ضامرة البطن.

تحكي المدامـــةَ رقّـــةً وقـــســـاوةً

تحكي المهَـــاةَ لواحظاً وتليــــلا[1]

مـــاءُ الحـــيـــاةِ يجـــولُ من وجَناتِهـــا

فكأنَّ في تلك الكؤوس شَــــمـــــولا[2]

والخـــــدُّ أبهجُ مـــا يكون مُـــورَّداً

والطرفُ أفتنُ مـــا يكونُ كــحِــيــلا

نظَرتْ ورُبَّ منيَّــــــــةٍ مـــن نظرةٍ

قــد كـان عنهـا ربُّهـا مشـغـولا

فـــهَـــوتْ، ورُبَّ هوًى تُنالُ به المنى

وهوًى يُنالُ بـه الحِـــمَــامُ نبـيـــلا

والحبُّ مـــصـــدرُه العـــيـــونُ وربما

تَخِـذَ السَّــمـاعَ إلى القلوب سـبـيـلا

فـإذا عــشـقتَ فـلا تلُمْ أحـداً سِوى

عـــينيكَ إنَّ من العــــيـــون قَـتــولا

ودَّتْ وقــــد نال الذبولُ خـــدودهـا

لـو أن في الشَّـــوق المقـــيـمِ ذُبولا

وإذا تملَّكَتِ الصَّـــبـــابةُ في امـــرئٍ

لم يُجْـدِ عَـذلُ العـاذلينَ فـتـيــلا

ســمـــعتْ دوياً في الظلام فـهـرولتْ

مـــذعـــورةً بعـــد الوقـــوفِ طويلا

وأنينَ مــحـــتــضَـــرٍ يقــول قـتلْتِني

ثكلـتكِ أمُّكِ لم أنَلْ مـــــأمـــــولا

تعـــدو وتجــذِبُهـــا روادفُـــهـــا إلى

خلفٍ فـتُـجـهـدُ خصرَها المتبـولا[3]

---

(١) العنق

(٢) الخمر

(٣) السقيم. و يعني هنا النحيف.

فكأن في ذاكَ الوشَـــاحِ مُــتــيَّــمًــا

وكــــــأن فـي ذاك الإزار عَــــــذُولا

تَخِــذَتْ من الليل المخــيِّم صــاحــبــاً

ومــن الأنــين إلــى الأنــين دلــيــــــــلا

تبــغي الوقــوف على حــقــيــقــةِ أمــرهِ

تبــــغي جليــــلاً لا تــراهُ جليــــلا

وتديرُ فـي تلك البَنانِ مُــــسَــــدَّســــاً

تركت قــذائفُــه السّــهــامَ فــضــولا

في طَرْفِــــهِ كَــــمَنَ الهــــلالُ فلو رَنا

طرْفُ الزمــــانِ إليــــه عــــاد كَلِيــــلا

قـــد أسكَنتْ أكــرُ الرّصــاصِ جــفــونَهُ

فكأن أكــــبـــــاداً تُجِنُّ غَليــــلا

يحــمي الضــعــيف من القــويِّ وربما

قـــتلَ الجــبــانُ به الفــتى البُــهلولا[1]

ومن الأسَى لم تَعــرفِ الحــسناءُ هل

قطعتْ ذراعـــاً في السُّــرى أم مــيــلا

حــــتّى إذا رأت المرادَ ومــــا رأت

إلا خــيــالاً واقـــفــاً مــجــهــولا

حــسِــبــتْــهُ قـــاتلَ من تحبُّ وأيقنتْ

أنّ الذي علــقتْ بـه المقــــــتُــــــولا

فـــدَنتْ وأطلقتِ المســـدس نحـــو من

بصُــرت به عَــرَضــاً، فــخَــرّ قــتــيــلا

صــرعتْ فــتًى صــرَعَ الرقــيبَ، وجندلتْ

أســـداً يخِـــرُّ له الهـــزبْرُ ذليــــلا

---

(١) العزيز الجامع لكل خير.

كـالبـدرِ حُـسناً، كـالغـمـامِ سـمـاحـةً،
كـالغـصـن غـضـاً، كـالحـسـام صـقـيـلا
ثـبْـتُ الجَـنـانِ قـــــويُّـه، عـفُّ الإزا
رِ نقـــيُّـــه، مـــا خـــان قطُّ خليـــلا
هذا هـوالـدَّنِفُ[1] الذي أرضـى الهــــوى
فـــيــهـــا، وأغـضـب كـاشـحـاً وعـذولا
مـــا نال بعـــدَ جـــهـــاده إلا الرّدى،
والبـدرُ يُكسـبُـه المسـيـرُ أُفُـولا
لـم تَعْلَمِ الحـسناءُ أنّ قـــتـيلَـهـا
مَن لم ترَ[2] أبداً سِـواهُ جـمـيـلا
عـرفتْ، وذلك عندمـا طلـعَ الضُّـحى،
ورأت عِـيـانـاً نعـشَـه مـحـمـولا
لـم يبلغـوا القـبـرَ المعـدَّ لدفنه
إلا وقـد بلـغ الرّدى العُطْبـولا[3]
يا صـاحـبي إنْ جُـزتَ في قـبـريْهِـمـا
فَـاتْلُ السـلامَ عليـهـمـا ترتيـلا
من شـاعـرٍ مـا حـرّك الغـصنَ الهـوا
إلا تـذكَّـرَ «وردةً وأمـيـلا»

****

(١) المريض.
(٢) مد حركة الراء للضرورة.
(٣) المرأة الممتلئة.

١٢. أنا هو

[الكامل]

كـــانت قُـــبـــيلَ الــعــصــرِ مـــركـــبـــةٌ
تجـــري بمن فـــيـــهـــا من السَّـــفْـــرِ[١]
مـــــا بـين مـنـخـــــفِضٍ ومـــــرتـفـعٍ
عــــالٍ وبـين الـسَّــــهـلِ والـوعـــــر
وتَـخُـطُّ بالـعــــجـــــلات ســــــائرةً
فـــي الأرض أســـطـــاراً ولا تـــدري
كـــتـــبتْ بلا حـــبـــرٍ، وعـــزَّ على
الأقـــلام حـــرفٌ دونما حِـــبْـــر
ســـيـــارةٌ في الأرض مـــا فَـــتـــئتْ
كـــالطيـــر من وكْـــرٍ إلى وَكْـــر
تـــأبـــى وتـــأنــفُ أن يَـلُـمَّ بـــهـــا
تـعبٌ، وأن تشكو ســـوى الزّجـــر
حـــملتْ من الـرُّكّـــاب كلَّ فـــتًـى
حـــسَنَ الـرُّواء[٢] وكلَّ ذي قـــدْر
يتــــحـــدثونَ، فـــذاكَ عن أملٍ
آتٍ، وذا عـن ســـالفِ الـعُـــمْـــر
يتــــحـــدّثونَ وتلك ســـائرةٌ
بالـقـــوم لا تـلـوي عـلى أمـــر
فكأنما ضـــرَبتْ لـهـــا أجَـــلاً
أن تلتـــقي والشـــمس في خِـــدْر

---

(١) المسافرون
(٢) المظهر

حــــتى إذا ســـــارت بداحــــيـــةٍ[1]
ممدودةٍ أطرافُـــهَـــا صِـــفْـــر

ســـقطتْ من الـعـــجـــلاتِ واحـــدةٌ
فــتـــحطَّمتْ إرْباً على الصّـــخـــر

فــتَـــشـــاءمَ الـركّـــابُ واضطربوا
ممـا ألـمَّ بـهـمْ مـن الـضُّـــــر

وتفـــرقـــوا بـعـــدَ انتظامـــهمُ
بـدداً، وكـم نـظْـم إلـى نَـثـــر

والشـــمسُ قـــد مـــالتْ أشـــعـــتُـــهَـــا
تكســـو أديمَ الأرض بالـتِّـــبْـــر

والأفْـقُ مُـــحـــمـــرٌّ كـــأن بـه
حـنـقَـــــاً عـلـى الأيّـام والـدهـر

والـقـــومُ واجِـــفـــةٌ قلوبُـهمُ
قلقـــاً كـــأنهمُ على الجـــمـــر

قـــد كـــان بين الجَـــمع ناهدةُ الثْـ
ـثَـــديينِ ذات مَـــلاحَـــةٍ تُغْـــري

تبكي بكـاءَ الـقـــانطِينَ، ومـــا
أســـخى دمـــوعَ الـغـــادةِ الـبِكْر!

وقـــفتْ وشـــمسُ الأفْقِ غـــاربةٌ
تذري عُـــلاً كـــالورد.. كـــالقَطْر

شـــمـــســـانِ لولا أن بينهـــمـــا
صلةً لما بكَتَـــا من الهَـــجْـــر

وتديرُ عـــينيـــهـــا على جَـــزَعٍ
كـــالظبيِ مُلتـــفِـــتـــاً من الذُّعْـــر

---

(١) الأرض المنبسطة

وإذا فتًى كالفجْر طلعتُهُ

بل ربّما أربَى[1] على الفجر

وافَى إليها قائلاً عجَباً

ممَّ البُكاءُ شقيقةَ البدر؟

قالتْ أخافُ الليلَ يَدهمُنِي

ما أوحش الظلماءَ في القَفْر

وأشدُّ ما أخشَاهُ سفكُ دمي

بيَدِ الأثيم اللصِّ ذي الغَدر

«هنري» اللعينُ. وما الفتى «هنري»

إلا ابنُ أمّ الموتِ لو تدري

رصدَ السبيلَ فما تمرُّ به

قدَمٌ، ولا النسماتُ إذ تسري

وا شِقْوتي إن الطريق إلى

سَكَني على مُسْتَحسَنِ النُّكر

إني لأعلَمُ أنّما قَدَمي

تسعى حثيثاً بي إلى القَبْر

قال الفتى: هيهاتَ خوفُكِ لن

يُجديكِ شيئاً ربَّةَ الطُّهر

فَتشَجَّعي وعليَّ فَاتَّكِلي

فأنا الذي يحميكِ من «هنري»

قالت: أخافُ من الخَؤونِ على

هذا الشبابِ الناعمِ النَّضْر

فأجابها: لا تجزَعي وثِقي

إني على ثقةٍ من النّصْر

(١) زاد.

عـــادتْ كـــأنْ لم يَعْـــرُهَـا خَلَلٌ
تَخِـدُ[1] القـفـارَ، سـفـينةُ البَـرِ[2]
والليلُ مـعـتكرٌ يجـيشُ كـمـا
جـاشتْ همـومُ النفس في الصَّدر
فكأنّـهُ الآمـالُ واسـعـةً
والبـحـرُ في مَـدٍّ وفي جَـزْر
وكـأنَّ أنجـمَـهُ وقـد سطعتْ
دمـعُ الـدلال ونـاصـعُ الـدُّرّ
والبـدرُ أسـفـرَ رغمَ شـامـخـةٍ
قـد حـاولتْ تطويه كـالسِّـر
ألقَى أشـعَّـتَـه فكان لـهـا
لونُ اللُّجَـيـنِ ولؤلؤِ الثَّـغْـر
فكأنَّـهُ الحـسناءُ طـالعـةً
من خِـدْرِها أو دُمـيـةُ القَـصْـر
وكـأنما جُـنحُ الظلامِ جَـنَـى
ذنبـاً فـجـاء البـدرُ كـالعُـذْر
وضَـحَتْ مـسَـالكُ للمطيَّـة قـدْ
كـانت شَـبـيـهَ غَـوَامضِ البَـحْـر
فـغَـدَتْ تُحَـاكي السَّـهمَ منطلقـاً
في جَـرْيهـا والطيف إذ يسـري
والقـومُ في لـهـوٍ وفي طرَبٍ
يتناشـدونَ أطايبَ الشِّـعـر
حـتى إذ صـارتْ بمنعَـرجٍ
وقـفَتْ كـمنْتَـبـهٍ من السُّكْر

(١) تشق. (وخد - يخد)
(٢) عادت السيارة إلى السير.

فتـرجّلتْ «ليـزا» وصاحبُها
ومشَتْ وأعقَبَها على الإثْر
واستأنفتْ تلك المطيَّةُ ما
قد كان من كَرٍّ ومن فَرِّ
مشت المليحةُ وهي مُطْرِقةٌ
ما ثمّ من تيهٍ ولا كِبْر
أنَّى تَتِيهُ وقد أناخ[1] بها
همٌّ وبعضُ الهمِّ كالوِقْر[2]
لم تحتسِ خمراً وتحسَبُها
مما بها نشوَى من الخمر
في غابةٍ تحكي ذوائبَها
في لونها والَّلفِ والنَّشْر
ضاقتْ مسالكُها فما انفرَجتْ
إلا لِسَيْرِ الذئبِ والنَّمْر
كالليلةِ الليلاءِ ساجيةً
ولربّ ليلٍ ساطعٍ غرّ
قد حاول القمرُ المنيرُ بها
ما حاولَ الإيمانُ في الكُفر
تحنو على ظبْيٍ وقَسْوَرَةٍ[3]
أرأيتمُ سرّين في صدر ؟
صقرٌ وورقَاءٌ[4] ومِن عجبٍ
أن تحتمِي الوَرْقاءُ بالصقر

(١) ثقل عليها.
(٢) الثقل.
(٣) أسد.
(٤) حمامة.

هـذا وأعـــجَـبُ أنـهـــا سَـلِـمـتْ

منـه على مـــا فـــيــــه من غَـــدْر

ظلَّتْ تـســيــرُ وظلَّ يتــبــعُــهَـــا

مـــــــــا ثَـمَّ مــن إثـمٍ ولا وزر

طال الـطريقُ وطـال ســيــرُهُـمــا

لكنّ عُــمْــرَ الليلِ فـي قُــصْــر

حــتى إذا ســفَــرَ الصَّــبـاحُ وقــد

رُفِـعَ الـظلامُ وكـــان كـــالسِّـــتْـــر

والـغـــابُ أوشك أن يـبــوحَ بـهـــا

وبـه بـلا حَـــذَرٍ إلـى الـنـهــــر

نَـظرتْ إلـيــــه بمقلَـةٍ طـفَـــحـتْ

سِـحــراً ووجــهٍ فــاض بالبِــشْــر

قـــــالـتْ لـه: لـم يـبـقَ مــن خـطَـرٍ

جَـمٍّ[1] نُـحــــــــاذِرُه ولا نَـذْر[2]

انـظـر فــــإنَّ الـصُّــــبحَ أوشـك أن

يمحـــو ضــيـــاءَ الأنْـجُمِ الـزُّهْـر

وأراهُ دَبَّ إلــى الـظـلام فـــــــهـل

هـذا دبيبُ الشَّــيبِ فـي الشَّــعْــر؟

واســمعْ فــأصــواتُ الطيــورِ علَت

بين النَّقَــا والـضَّـــالِ والسِّـــدْر[3]

---

(١) كثير.

(٢) قليل.

(٣) أسماء شجر بالبادية.

قـــال الفـــتى. «أوَ كنتِ في خطرٍ؟»

قـــالت له: عـــجـــبـــاً ألـم تدْرِ؟

فـــأجـــابهـــا: «مـــا كـــان في خطرٍ

من كـــان صـــاحـبُـه الفـــتى هنري»

فـتـقـهـقـرتْ فـزَعـاً فـقـال لهـا

لا تـهْلَعي واصْـــغِي إلى حُـــرٍّ

مـــــا كـنتُ بـالشِّـــريـر قطُّ ولا

الـرجـلِ الـذي يـرتـاحُ لـلـشـــرِّ

لـكـنـنـي دهـرٌ يـجـــــورُ عـلـى

دهـرٍ يـجــــورُ عـلـى بـنـي الـدَّهـر

بل إنـنـي خَـطَرٌ عـلـى فـــئـــةٍ

مـنـهـــا على خـطَرٍ ذووا الـضُّـــرِّ

قـــتلوا أبي ظُلْمـــاً، فـــقـــتلهمُ

عَـدْلٌ وحـــسـبي العَـدْلُ أن يجـري

لا سـلْـمَ مـــا بـيـنـي وبـيـنـهـمُ

لا سلْـمَ بـيْنَ الـهـــرِّ والفـــأر

ســيَـــرونَ فيَّ الموتَ منتـــقـــمـــاً

لا شـــافعٌ في الأخـــذِ بالثَّـــأر

تـا اللـهِ مـــا أنســـاكَ يـا أبـتـي

أبـداً ولا أُغْـــضِـي عـلـى الـوتْـر

قـــالت لـه: هيَّـــجْـتَ لي شـــجـناً

فـــإليكَ مـــا قـــد كـــان من أمـــري

بـعثَ المليكُ إلى أبـي فـــمـــضَى

وأخي مـــعـــاً توّاً إلى القَـــصـــر

فـــإذا أبـي فـي الـقـــبـــرِ مـــرتَـهنٌ
وإذا أخـي فـي ربْـقَـــــةِ الأسْــــــــر

يا ســـاعـــديَّ بُتِـــرْتُمـــا ويدُ الدْ
ـدَهْرِ الخَـــؤونِ أحـقُّ بالبَـــــتْــــــر

نَـابـي وظفـــري بِتُّ بـعـــدكُـــمـــا
وحـــــدي، بـلا نـابٍ ولا ظُـفْـــــــر

ويـلاهُ مِـن جَـــوْرِ الـزمـــان بـنـا
والـويـلُ مـنـه لـكـلِّ مُـــغْــــتَــــرّ

وكـــــــأنـنـا والمـوتُ يـرتـعُ فـي
أرواحِنا، مَـــرعًى، ومُـــســـتَــمْـــري

لــمَّـــا انتـــــهتْ وإذا بـه دَهِـشٌ
حَـــيـــرانُ كـــالمأخُـــوذِ بالسِّـــحْـــر

شـــــاء الـكـلامَ فـنـالَـهُ خَـــــرَسٌ
كلُّ البــلاغـــةِ تحت ذا الحُـــصْـــر[1]

وكـــذلك الـغـــيـــداءُ أذهلَـهـــا
مَــــيْلٌ إلـى هـذا الفـــتى الغِـــرِّ

قـــالـت أخـي واللهِ. واقـــتـــربتْ
تـرنـو إلـيــــه بمقْـلَـةِ العُــــفْـــــر[2]

وإذا بـه ألـقَـى عـــــبـــــاءَتَـه
بَـرِحَ الخـــفـــاءُ بـهـــا عن الجـــهـــر

صـــاحتْ أخي فكتـــورُ.. و اطَرَبي
روحي.. شـقـيـقـي.. مـهـجـتي ذخـري

---

(١) قلة الكلام.

(٢) واحدة الأيائل، وهي نوع من الغزلان جميلة المنظر.

وتعـــانقَـــا فـــبكَى الفـــتى فـــرحـــاً

إن البـــخـــارَ نتـــيـــجـــةُ الحَـــرِّ

وتســـاقطتْ في الخـــدِّ أدمـــعُـــهَـــا

كـــــالقَطْرِ فـــــوق نواضِـــــرِ الزَّهْر

قـــل لـــلأُلَـــى يـــشـــكـــون دهـــرَهُـــمُ

لا بـــدَّ مِـــن حـــلـــوٍ ومِـــن مُـــــــــــــــرِّ

صـــــبـــــراً إذا جَـــلَـــلٌ أصـــــابكمُ

فـــالعُـــسْـــرُ آخِـــرُه إلى اليُـــسْـــر

****

١٣ - ضيف ثقيل

[الطويل]

أقصُّ عليكمْ مـــا جــــرى لـي بالأمسِ
فليْ قَــصَصٌ تجلو الهــمــومَ عن النَّفسِ
إذا قلتُ، قـــال الدهرُ «أحــسنتَ يا فـتًى»
ولو كـــــان ذا حسٍّ لـغــــابَ عن الحس
فـــــدونكُمُ هذا الحــــديثُ فـــإنه
ألذُّ وأشـــهى من مُــعَـــاقـــرةِ الكأس
جلستُ إلى طِرسي[١] وقد عسعس الدجى
أسطِّرُ مــا تُوحـيــه نفـسي في طِرْسي
وليس سِــوى نورٍ ضـــئـيلٍ بجــانبي
يلوح ويَخــفى كـــالرجـــاء لدى اليَـــأْس
وكــــالنّقعِ في جـــوفِ الدواةِ أوالدُّجى
وكـــالهِندُواني[٢] بين أنُملي الخَـــمْس
فــصـــاحـــةُ قُسٍّ[٣] أودِعَتْ في لســـانه
وحكمـةُ لقـمـانٍ[٤] ويُحـسَبُ في الخُـرس
ضــعـيفُ الخطى بادي النحــولِ كـأنما
يُشَــدُّ إلى قـــيـدٍ، يُشَـــدُّ إلى حَــبْس
أقلِّـبُــــــهُ فـــــوقَ الطـروس وإنمـا
أُقلِّبُ فـوقَ الطِّرسِ ســعـديَ أو نحـسي

---

(١) ورقي
(٢) السيف
(٣) خطيب من خطباء الجاهلية اشتهر بالفصاحة (قُسّ بن ساعدة الإيادي).
(٤) حكيم ورد ذكره في القرآن الكريم.

فَنبَّـــهني طَرْقٌ على باب غـــرفـــتي
وصــوتٌ ضــعـيفٌ وهو أقــربُ للهــمس

نـهــضتُ ولكن مـــثلمـــا ينهضُ الذي
بـه نشـــــوةٌ أو من يفـــــيقُ مِن المسِّ

ولـمّــا فــتـحتُ البـابَ أبصــرتُ راهبـاً
ولو كنت طفـــلاً قلت: غـــولٌ من الإنس!

فـــأزعـــجَني مَــراَهُ حـــتى كـــأنما
رسـولُ الردى قـد جـاء ينعَى لي نفـسي

فـــقلتُ: وقـــاني اللهُ شــرّكَ مـــا الذي
أتى بك يا مــشـؤومُ في ســاعــة الأُنْس؟

أجـابَ: كُـفـيتَ السُّـوءَ جـئـتُكَ طالبـاً
مــديحَكَ لي بين الأعـــاربِ والفُـــرس

فــقلتُ: وحقِّ الشِّــعـرِ مــدحُكَ واجبٌ
ومـــثلي يقْــضِـيــه على العين والرأس

خـبَـرتُ بني الدنيـا وفـتّـشتُ فـيـهمُ
فلم تر عَـــــيْني قَطُّ.. أثقلَ من قَس

****

١٤ . قتل نفسه

[المتقارب]

تــأمّلَ فــي أمـــــــســـــهِ الدابــرِ
فكـاد يُـجَـنُّ مـن الحــــــــاضـــــــرِ
أهـاجَ الـتـــــذكُّـــــرُ أشـــجـــانَـهُ
وكـم لـلـسَّـــــعــــادةِ مـن ذاكِـــــر
فـــــتًى كــــان أنعـمَ من جـــاهـلٍ
فـــــأصـــبحَ أتعـس مـن شـــاعـــر
أضـــاعَ الـغِنَى، وأضـــاعَ الـصِّـــحـــابَ
ورُبَّ مـــــــــــريـضٍ بــلا زائــر
ويـا طالمـا أحــــدَقُـــــوا بـالفــــتى
كــــمـــا تُحْــدِقُ الجـندُ بالظَّـافــــر
فلمَّـــا انقــضَى مــجــدُه أعــرضـــوا
ومـــــا الـنـاسُ إلا مـعَ الـقـــــادر
ومـــا الـنـاسُ إلا عـــبـــيـــدُ الـقــويِّ
فكُـنْ ذاكَ أو كُـنْ بـلا شـــــاكـــــر
أشـــــــدُّ مـن الـدهـرِ مـكـراً بَـنـوهُ
فــــويـلٌ لمـن لـيـس بـالمـاكــــــر
فكـن بـيـنـهـمْ خَـــــاتـلاً غــــادراً
ولا تـشـــتَـكِ الـغـــدر مِن غـــادر
تعـــيـسٌ تُعــــانـقُـــه الـنـائـبــاتُ
عِـنـاقَ الحَـــبـــائـلِ لـلـطـائـر

كـثـيـرُ الهـمـومِ بلا ناصـرٍ

كـسـيـرُ الفـؤادِ بـلا جَـابر

قـضـى ليلَهُ سـاهيـاً سـاهراً

إلـى كـوكبٍ مـثلِه سـاهر

يُفـتِّشُ عن آفـلٍ فـي الثَّـرَى

ومـا كـان فـي الأفْقِ بالسَّـافـر

وتـاللـهِ يُجـدي فـتًى بائسـاً

كـلامُ المنجِّم والسـاحـر

ولـمَّـا توارتْ درارِي السَّـمـاءِ

وغـاب الـهـلالُ عـن الـناظر

بكـى ثم صـاح: أحـتَّى النجـومُ

تَصُـدُّ عـن الـرجـلِ الـعـاثِـر ؟

إلامَ أعـاندُ هـذا الـزمـانَ

عِـنـادَ السَّـفـينـةِ للزاخـر؟

وأدعـو ومـا ثَمّ من سـامعٍ

وأشـكـو ولـكنْ إلـى سـاخـر

وأرجـو الوفـاءَ وتـأبـى النفـوسُ

وأنّـى الـولادةُ لـلعـاقِـر

سـئـمتُ الحـيـاةَ فليتَ الحِـمَـامَ

يـعـيـدُ إلـى أصـلِه سَـائري

فـتنطلقُ النفسُ من سـجنِهَـا

ويُسـجَنُ تحت الثَّـرَى ظاهري

وزاد سـوادُ الدُّجـى يأسَـهُ

وقـد كـاد يُسـفِـرُ عن بَـاهر

فـــــشـــــاء التَّـــــخلُص من دهرِه الْـــ

ـــخَـــؤونِ ومن عـــيـــشِـــه الحَـــازر[1]

فــــأغـــــمــــدَ في صـــدره مُـــدْيةً

أشـــــدَّ مــــضــــاءً من البَــــاتـر

وكم مـــــثلُه قــــد قـــضَى نحــــبَـــهُ

شـــهــيـــدَ التَّـــأملِ في الغَـــابر

****

(١) الحامض، يعني الكريه.

١٥ - ذكرى وعبرة

[الكامل]

عـاطيـتُـهـا فـي الكأسِ مـثـلَ رُضَـابِـهـا
تـسـري إلـى قلب الجـبـانِ فَـيَـشْـجُـعُ
يطفـو الحَـبَـابُ على أديمِ كـؤوسِـهـا
فـكـأنَّ تِـبـــــراً بـالـلُّـجـيـنِ[١] يُـرصَّـع
وكـــــــأنمـا تـلـك الـكـؤوسُ نـواظـرٌ
تـبـكـي، وهـاتـيـكَ الـفـــــواقـعُ أدمـع
مـشـمـولـةٌ تُـغـري بصُـفْـرتِـهـا الـبـخِـيْـ
ـلَ بـهـا، فـيـطمـعُ بالنُّضـارِ[٢] وتطمع
شـــمطاءُ إلا أنهـــا مـــحـــجـــوبـةٌ
عـــــذراءُ إلا أنـهـــــا لا تَـمـنَـع
مـا زلتُ أسـقـيـهـا إلى أن أخـضـعتْ
منهـــا فـــؤاداً للـهـــوَى لا يَـخـــضَـع
فـــعَلتْ بـهـــا مـــثلَ الذي فـــعلتْ بنا
ألحـــاظُهـــا، إن اللِّحـــاظ لتَـــصـــرَع
لـمَّـا انتـشتْ ومـضَـى الخـفـاءُ لشـأنهِ
بـاحــتْ إلــيَّ بمــا تُــكــنُّ الأضــلُــع
بَـرَحَ الحـــيـــاءُ وأعلـنـتْ أســـرارَهـا
إن الحـــيـــاءَ لـكلِّ خَـــوْدٍ[٣] بُـرْقُـع

---

(١) الفضة
(٢) الذهب
(٣) الحسناء

فَعَلمتُ أني قد خُدعتُ بحبِّها
زمناً، وكنتُ أظنني لا أُخدَع
ما كنتُ أعلمُ قبل أن أسكرتُها
أنَّ الفؤادَ بحبِّ غيري مولَع
فتركتُها نشوَى تغالبُ أمرَها،
والأمرُ، بعد وقوعِه، لا يُدفَع
ورجعتُ عنها واثقاً من أنَّ ما
قدْ كان من حبي لها لا يَرجع
وبكيتُ لو أنَّ البكاءَ أفادني،
وندمتُ لو أنَّ الندامَة تنفَع

****

١٦ ـ مصرع حبيبين

[الكامل]

فـي ذلـك الـروضِ الأغـنِّ بـدا فــــــتًـى
قــد يبلغُ العــشــرينَ عــامــاً ذو نُهَى
كـــــالبـــــدرِ إلا أنه مُـــــتكتمٌ
والـغُــــصـنِ إلا أنـه غـــــصـنٌ ذَوَى[1]
كــتبَ الضَّنَى في وجـــهِـــه هذا الذي
كـــاد الـغـــــرامُ به يَـؤولُ إلـى الـفَـنـا
دَنِفٌ تروّعُـــه الغـــصـــونُ إذا انثَنتْ
طرباً، ويقلقُـــه النَّســيمُ إذا جَـــرَى
حــيــرانُ، يُقــعِـدُه الـهـوَى ويقـيـمُـه،
فكأنه علَمٌ يداعـــــبُـــــه الـهَـــوا
فـــــإذا رنـا لـلأفْـق ظنَّ نجـــومَــــهُ
عِــقــدَ التي مَن رامَــهــا، رام السَّـمَـا
وتوهَّمَ القـــمـــرَ المحلِّقَ وجـــهَ من
ضـنَّتْ وجـــادتْ بـاللـقـــاءِ وبـالنَّوى
حَـجبَ الغــمــامُ البـدرَ عند مـسـيـرِه
فكأنه (أســمـــاءُ) تســري في الدُّجَى
حـسناءُ قــد عَـشِقَ المحبُّ عـفـافَـهــا
وتعـــشـــقتْ آدابَهُ فــهُــمــا سَــوا
كـالغـصـنِ قـامـتُـهـا إذا الغـصـنُ انثنَى
وجـبـينُهـا يحكي الـصـبـاحَ إذا انجلَى

(١) ذبل.

وقـــعتْ غـــدائرُها على أقـــدامِــهـــا

فكأنهــا قـــد عَـضـَّـــهـــا نابُ الـهـــوَى

خَـــوْدٌ إذا نطقتْ حـــسِــبتَ حـــديثَـــهـــا

دُرّاً ولـكـن لـيس ممـا يُـشـــــتَـــــرَى

وقـــفتْ تحـــيطُ بـهـــا الزهورَ كـــأنما

قـــمـــرٌ تحـــيط به الكواكبُ في الفـــضَـــا

ومـــشتْ تحُفّ بـهـــا الغـــصـــونُ كـــأنهـــا

ملِـكٌ تحُـفُّ بـه الجـنـودُ إذا مـــــشَـى

لله زورتُـهـــا وقـــــد قَـنَطَ[1] الفـــتـى

فكأنهـــا روحٌ جـــرَى فـــيـــمَن ثوَى[2]

هيـــهــــاتَ مـــا ظَفَـــرُ المؤمِّلِ بالغنى

بـألذَّ مِن ظَفَـــرِ المتـــيَّم بـاللِّقَـــا

فَـــدَنا يطارِحُـــهـــا تحـــيـــةَ عـــاشقٍ

ويقـــول: أهلاً بالحـــبـــيب اللَّذْ أتى[3]

بينا تصـــافحُ من يصـــافـــحُـــهـــا ، إذا

بدمـــوعـــهـــا سَـحّتْ فـصـــافَـحتِ الثَّرى

مـــا للعـــيـــون تَـحـــدَّرتْ عـــبـــراتُهـــا

وعـــلامَ هذا الحـــزنُ يا ذات البَـــهـــا

قـــالت: حـــبـــيـــبي لو ترى مـــا قـــد جـــرى

في ربْعِنا[4] شـــاركْـــتَني فـــيـــمـــا ترى

جـــارَ القـــضـــاءُ عليَّ في أحكامـــه

مـــا حـــيلةُ الإنســـانِ إن جـــارَ القـــضـــا

---

١) يأس.

٢) دفن.

٣) [اللذ] بمعنى الذي، وهو من الشواذ

٤) بيتنا

فـــــابكِ مـــــعي فلربما نفـعَ البُكا
إنّ الليـــالي لا تدومُ على الصَّـــفـــا
قـــال الفـــتى والدمعُ منتـــثـــرٌ على
خـدّيه: يا «أسـمـاءُ» قـولي مـا جـرى
فَـتلفَّـتَتْ في الروض خِـيـفَـةَ سـامعٍ
فكأنهـــا الظَّبيُ الـغـــريرُ إذا رنـا
وتـردَّدَتْ بـكـلامِـــــهــــــا فكـأنما
تبـــغي ولا تبـــغي الـتـــفـــوّه بالنبـــا
قـــالت ودمعُ العينِ يخنُقُ صـــوتَهـــا:
وشَتِ الحـــواسِـدُ عند مَن نخـشَى بنا
وغـداً يعـودُ الشَّـملُ منفـصِمَ العُـرا
هذا هو الخـبـــرُ الـيـقينُ بلا خَـفَـا
قـــد أنبـــأتْهُ بالفُـــراقِ ومـــا درت
أنَّ الفــراقَ حِـمـــامُ مَن عَـرف الهــوى
فكأنما ســـــهمٌ أصـــابَ فــــؤادَهُ
وكـــأنه لـمّـــــا ارتمى طوْدٌ[1] هوى
أمـا الفـتـاةُ فـراعَـهَـا مـا صـار في
مـحـبـوبِهَـا وكـأنهـا ندمتْ على...[2]
جـــعلتْ تُناديه بصـــوتٍ مُـــحـــزنٍ
فـيـجـيـبُـهـا كندائِهـا رَجْعُ الصَّـدى
حـــتى إذا قَنَطتْ دنَتْ منه كـــمـــا
يدنو أخـــو الداء العُـــضـــال مِن الدوا
وَحنَتْ فـــحـــرَّكتِ الفـــتى وإذا به
جـــسِمٌ ولكن لا حـــيـــاةَ به ولا

(١) جبل.
(٢) نوع من البديع يقال له: الاكتفاء، وهو الإتيان بكلمة من العبارة، يستدل على باقيها بالسياق.

قــد فــارقَ الدنيــا فــفــارقَــهــا الرَّجَــا
وهَوتْ تعـــانقُــــه فـــفَـــارقتِ الورَى
قــمــرانِ ضَـمَّــهـمَـا الـتـرابُ ومــا عــرفْـ
ـتُ سِـواهمـا قــمـرينِ ضـمَّــهـمـا الـثَّـرى

****

١٧ ـ معركة شمولبو[1] (بين اليابان وروسيا)

[الكامل]

دبَّتْ وقــــد ألقى الظلامُ ســــتــــارا
ولطالما كــــتَمَ الدُّجى الأســــرارا

ســــفنٌ هي الأطوادُ لولا سَــــيْــــرُها
أعَــهِــدْتُمُ جــبــلاً مــشى أو ســارا؟

كــالطيــرِ أســراباً ولكن إن عَــدَتْ
نفَتِ الرياحَ، وتَسْــــبقُ الأطيــــارا

مــــثلُ الكواكب في النظام وإنهــــا
لكمــــا الكواكبُ تَبــــعثُ الأنوارا

هي كــالمدائنِ غــيــر أن نزيلَهــا
أبداً بــهــا يتــــوقعُ الأخطارا

وأظنُّهــا فــقــدتْ حــبــيــبــاً أو أخــاً
ولذلك ارتدتِ الســوادَ شِــعــارا

تغــشَى الميــاهَ لعلَّ مــا في قلبــهــا
يُطفــا فــتَــزدادُ الضلوعُ أُوارا[2]

وَتميــــدُ حــــتى لا يُشَكُّ بأنهــــا
سكَرى ولم تذُقِ السُّــفنُ عُــقَــارا[3]

وتُسَــرُّ إنْ رأتِ الثــغــور كــأنهــا الْـ
مــقــرورُ أبصــرَ بعــد جــهــدٍ نارا

---

(١) بين اليابان وروسيا (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) انتصرت فيها اليابان فحيّا نصرَها بعض شعراء العرب وجرى أبوماضي على نسقهم

(٢) اشتعالاً وحرارة

(٣) الخمر

وبوارجٌ قد سُيِّرتْ كالجَحفَلِ الـ
جَرّارِ تحملُ جحفلاً[1] جرَّارا

حملتْ أناساً كالقرودِ، وجوهُهُمْ
صفراءَ يحكي وجهُهَا الدينارا

فُطْس الأنوفِ، قصيرةٌ قاماتُهمْ،
هيهاتَ لا تتجاوزُ الأشْبارا

قد قادَها «طوغو»[2] فقادَ ذلولةً
تهوَى الصِّعابَ وتعشقُ الأسْفَارا

في قلبِه نارٌ وفي أحشائها
مثلُ الذي في نفسه قدْ ثارا

ما زال يدفعُها البخارُ فترتمي
كالسَّهم أُطلقَ في الفضاء فَسارا

طَوْراً تراها في السَّحاب، وتارةً
في القاعِ يُوشكُ جِرمُها[3] يتوارى

حتى دنتْ من ثَغْر «شولبو»[4] الذي
جمع الأُلى لم يعرفوا ما صارا

نَفَرٌ من «الروس» الذين سمعتُ عن
أفعالِهمْ فيما مضَى الأخبارا

مِن كلِّ مغوارٍ إذا زار الوغى
زار الحِمَامُ الفارس المغوارا

ما كان غيرُ «الفارياج»[5] لديهمُ
وسفينةٍ أخرى أخفُّ دِثَارا

---

(١) جيشاً
(٢) قائد ياباني
(٣) جسدها
(٤) اسم الميناء
(٥) اسم بارجة

قـــال الـعـــدوُّ لـهم وقــــد داناهُـمُ

وكـــــــفَـى بمـا وافـى بـه إنـذارا

إمـا الـقـتـالُ فَـتُلْحـقـونَ بمن مـضَـوا

أوتُحــسنونَ فَـــتــؤخــذُون أُسَـــارى

كــــان الجـــوابُ قـــذائفـــاً نـاريةً

تـهـــوى الـورودَ وتـكرهُ الإصْـــدارا

مـــثلَ الـرجـــوم إذا هوَتْ لكنّهـــا

لا تـعـــرفُ الأخـــيـــارَ والأشــــرارا

وأقلُّهــا خَطْبـــاً – فكيف أشــدُّها –

لـو نـالتِ الجـــبلَ الأشمَّ انْـهَـــارا

حَــفَّتْ بهم ســـفنُ العــدوِّ وأحـــدقتْ

حـــتى لكِدْتُ إخـــالُهـــا أســـوارا

مــــا بـين بـارجـــــةٍ وطـرّادٍ إلـى

نسَـــافــــةٍ والكلُّ يَـقـــذفُ نـارا

مـــلأ الـفـضـــاءَ دخـــانُهــا، وذُكـــاءُ احـ

ـتَــجَـــبتْ ومـــا برحِ النهــارُ نهـــارا

والجـــوُّ أظلمَ واكــــفَـــهــــرَّ أديمُهُ

حـــتى كـــأن على الســـمـــاء ســـتـــارا

والـبـــحـــرُ خُـضبَ بالدمـــاء وأصـــبـحتْ

أمـــواجُـــه، وهي اللُّجين، نُضَـــارا

ذا والـــقـــنـــابـــلُ لـم تـــزلْ مُـــنــهـــلَّـــةً

منهـــا تحـــاكي الصَّـــيب المِـــدرارا

والمركـــبـــانِ «الفـــارياجُ» وأخـــتُـــهـــا

في هبـــوةٍ[1] لا يعـــرفـــان قـــرارا

---

(١) الغَبَرة وهي الغبار، (والهبْو ما همد من لهيب النار).

إحـــداهُـمَــا ظَفِــرَت بـهـــا مــقـــذوفــــةٌ
فكأن صـــــاعــــــقـــــةً أصــــابتْ دارا

فــهــوَتْ بمن فــيــهــا وقــد فَــتــحتْ لـهـا
الأمــــــواجُ صَــــدْراً يكتمُ الأســــرارا

هبَطتْ وزاد هبـــوطُهـــا المتـــقـــاتليـ
ـنَ على مــــداومـــــةِ الوغَى إصــــرارا

لكنمـــا الأخـــرى أصـــيـــبتْ بالأذى
حـــتى غــدَت لا تملكُ التَّـــســـيـــارا

فـــرأى الفـــتى رُبّانُـهـــا أن يفـــتـــدي الْـ
ـجندَ الكرامَ من المـــــاتِ فــــرارا

قــــدْ فَـــــرَّ بعـــضُــــهمُ ولكنْ جلُّهمْ
طلبــوا الفـــرارَ من الفِـــرارِ خَـــيـــارا

أوْدَواْ بـهـــا نسْـــفـــاً ومـــاتوا عندها
غَـــرَقـــاً ويأبى البـــاسلون العـــارا

هـذي حـكـايـتُـــــــهُـمْ أُسَـطِّـرُها لـكمْ
لا درهـــمـــــــــــاً أبــغــي ولا ديــنــارا

فلَئنْ أفـــادتكُمْ فــــخــــيــــرٌ جـــاء مِن
شَـــــــــرٍّ وإلا فـلـتـكُـنْ تَـذكَــــــــارا

****

١٨ - رسم سياسي

(في وصف رسم سياسي رآه في «جريدة النيل» الأسبوعية القاهرية)

[البسيط]

رسمٌ تعلّمَ منه ناظري الوَلعَا
كأن طرفي قلبي فيه قد وُضعا

يُمثِّلُ «البيضَ» حولَ «الصين» قد وقفوا
وذلك «الدب» في «منشوريَا» رتَعَا

مشى به نحوَها في نفسه أملٌ
وراحَ يمشي إلى ما بعدَهَا جَشَعا

كالنار تأكل أكلاً ما يصادفُها
والسيلُ يَجْرفُ ما يلقاهُ مُندفِعَا

فقام (بالصُّفْرِ)داعٍ من حليفَتِهمْ
مليكةِ الهند، أن هبُّوا فقد طَمِعَا

قالت: أحذِّرُكمْ من أن يُخادِعَكُمْ
فطالما خُدعَ الإنسانُ فانخَدَعا

إني محضْتُكمُ نُصحَ الصديق عسى
خيراً يُفيدكُم فالنصْحُ كم نفَعا

وغيرُ منتفعٍ بالنصحِ غيرُ فتى
إذا تحدَّثَ ذوعقلٍ صَغا[١] ووَعى

سارت إليهمْ فتاةٌ وانثَنتْ رجلاً
وما رأى أحدٌ هذا ولا سمعا

---

(١) مال (صغا - يصغو)

حــتى اذا عــا رأتْ «منشـوريا» اخــتنقَتْ

بالقـوم ضـيـقـا وخـرْق الشـرّ مُـتَّـسِـعـا

كــادت تطيــرُ ســروراً بالنجــاح وقــد

كـادت على الهند تقـضي قبل ذا جـزَعـا

نُبِّـــــئتُ أنّ الوغى في الصين دائرةٌ

فـمـا لهـا صــادفتْ في النيلِ مُـرتَبَـعـا؟

****

١٩ ـ الكرنفال

[المنسرح]

أمستْ ثيابي وكلُّها خِرقُ
تُشبهُ روضاً ألوانُه فِرَقُ
من أزرقٍ كالسماء جاورَهُ
أحمرُ قانٍ كأنه الشَّفَق
وأبيضٍ ناصعٍ وأسودَ فا
حمٍ فذاك الضُّحى وذا الغَسَق
كأنَّ قوس السحاب بات على
جسمي رداءً وما أنا الأفُق
بُرْدٌ عجيبٌ قد خاطَهُ لَبِقٌ
فليس بدعاً له أن حازه لبِق
لما تنكرتُ لم يَعُدْ صُحُبي
يدرون أني الصديقُ إنْ رمَقُوا
لذاك لم يُشفِقُوا على جسدي
من الرَّمايا[1] ولو دَرَوا شفِقوا
مررتُ بالحَانقينَ فابتسموا
لما رأوني وكلُّهم قَلِق
لو علموا أنني عدوّهُمُ
أوشك يقضي عليهمُ الفَرَق[2]

---

(١) من البذور والورق، كما يقول بعد. كأنما مفردها: رَمْية.

(٢) الخوف.

أرخـى الـدجـى ذيـلَـه ورُحـتُ أَجـــــــرْ

رُ الذيل عُـــجْـــبـــاً وغـــيـــريَ النَّزِق

والجـــمـعُ حـــولي يضِجّ مـــبـتـــهـجـاً

كـــــــأنـه الـســــــيـلُ حـين يـنـدفـق

تـألّـبُّـــوا كـــــالـغَـــــمَـــام واتصلوا

بـعضٌ ببـــــعضٍ كـــــــأنـهـم حَـلَـق

وانـتـــــثـــــروا والـدروبُ واســــعـــــةٌ

كـــــالأنجُـمِ الـزُّهـرِ حـين تَـنْـبَـــــثِق

أطلقتُ نفـــسـي من القـــيـــود إلى

أن صـــــرتُ كـــــالسَّــــهمِ حين يـنطلِق

وبتُّ والقـــومُ كلّمـــا اجـــتـــمـــعـــوا

رمـــيـــتُـــهُم (بالبـــذور) فـــافـــتـــرَقـــوا

أســـــخـــــرُ منهمْ لأنهم سَــــخِـــروا

منّـي، اخـــــتلفْنَا ونحن نتّـــــفق

والحـــــربُ بيني وبينهم نشِـــبَتْ

حـــربٌ ولكنْ سِـــهـــامَـــهـــا الورَق

فـــلا رمـــاحٌ هناك مُـــشْـــرعَـــةٌ

ولا ســـيـــوفٌ هناك تُـمـــتَـــشَق

لم أخشَ غـــيـــرَ الحـــسَـــانِ ناظرةً

أشـــدُّ فـــعـــلاً من الظُّبى الحَـــدَق

هذا هو الكرنفـــالُ فـــاســـتَـــبِـــقُـــوا

إليـــه فـــهـــو الســـرورُ يُخـــتَلَق

****

٢٠ ـ أنا .. وهي

[الطويل]

جلستُ إليها والتَّرامُ[1] بنا يعدو
إلى حيثُ لا واشٍ هناك ولا ضِدُّ

قدِ انتظمتْ هذي القطاراتُ في الثَّرى
كأن الثرى جِيدٌ وتلك له عِقْدُ

بَلى هي عِقْدٌ، بل عقودٌ ألا ترى
على الأرض أسلاكاً تدور فتمتدُّ

يسير فيطوي الأرض طيّاً كأنما
دواليبُه أيدٍ كأنّ الثرى بُرْدُ

فكالطّودِ الا أن ذيّاك ثابتٌ
وكالريح الا أن هاتيك لا تبدو

توهَّمتُهُ من سرعة السير راكداً
وأن الدُّنا فيمن على ظهرها تعدو

تحوم عليه المركباتُ كأنه
مليكٌ، وتلك المركباتُ له جُنْد

تُقَصِّرُ عنه الريحُ إمّا تسابقا
فكيف تُجاريه المطهَّمةُ الجُرْدُ[2]

على أنه في كف عبدٍ زمامُهُ
فيا من رأى مَلْكاً يُصرِّفُه عبدُ!

كأني به، يا صاحِ، دارُ ضيافة
يغادرُه وفْدٌ ويقصِدُه وَفْدُ

---

(١) كان الترام حديث العهد في المدينة

(٢) يريد الخيل. والمطهم: المدوَّر الوجه، والاجرد: القصير الشعر

خَـلَـوتُ بمـن أهـوى بـه رُغْـمَ عــــــاذِلـي
ولـم يكُ غـيــر القُــربِ لـي ولهــا قَـصْـد

فــســـار بنا في الأرضِ وخْــداً[1] كــأنما
دَرَى أنّ مـــا نبـــغِـيــهِ منه هو الوَخْــد

فـــمــــا راعني واللـهِ إلا وقـــوفُـــه
فـقـد كنتُ أخـشى أن يفـاجِـئنا وَغْـد

ولما انتــــهى من ســـيـــرِه وإذا بنا
على شــاطىء البَـحْـر الذي مــا له حـدّ

هناك وقـــفنا والشـــفــــاهُ صـــوامتٌ
كــأن بنا عِــيّـــاً[2] وليس بنا وجْـــد

سكَتْنا ولكنّ الـعـــــيــــونَ نواطِقٌ
أرقُّ حـــديثٍ مـــا العــيــونُ به تشـــدو

سَكِرنا ولا خـــمــــرٌ ولكنه الهـــوَى
إذا اشـتـدَّ في قلبِ امـرىء صـفّق الرُّشْـد

فـقــالت. وفي أجـفــانِها الدمعُ جـائلٌ
وقـد عـاد مـصـفـرّاً على خـدِّها الورد

ألا حـــبّــذا يا صـــاحـــبي الموتُ ههنا
إذا لـم يـكـنْ مـن أنْ نـذوقَ الـردى بُـدّ

فــيـــا لكَ من فكرٍ مُـــخـــيفٍ وهائلٍ
ويـا لكَ مـن مــــرأًى يـرقُّ لـه الصّلْد[3]

فـــقلتُ لهـــا انـي مـــحبٌ لكل مـــا
تُحـــبينَ. إن السمَّ منكِ هوالشُّـــهْـــد

(١) نوع من السير
(٢) عدم القدرة على الكلام.
(٣) الحجر

فـــقـــالت: أمِنْ أجلي تحنُّ إلى الردى
دَعِ الهـــزْلَ، إن المرءَ حِليـــتُـــه الجِـدّ
فـــقلت لـهـــا: لوكنتُ في الخُلْدِ راتعـــاً
ولستِ مـــعي، والله مـــا ســـرَّني الخُلْد
فـــإن لم يكن مـــهـــدٌ إليكِ يضـــمُّني
فــيــا حــبّــذا يا «هند» لوضـــمَّنا لحـد!
فـــقـــالتْ: لَعَـــمْـــرِ الحقِّ إنك صـــادقٌ
فـــــــــــدُمـتَ علـى ودٍّ ودام لـك الـوُدُّ
فلو لم أكن من قـــبلُ أعـــشقُ حُـسنَهـــا
لهِـمتُ بهـــا، واللهُ حـــســـبي مِن بعـــدُ!

****

٢١ - طفلة والقمر

[الرَّمل]

دمــــيــــةٌ حــــسناءُ تُغــــري النَّظَرا
أم مــــلاكٌ طاهــرٌ فــــوق الثَّــــرَى

طفلــةٌ ســــاذَجــــةٌ أطهــــرُ مِن
زهـرةِ الـرَّوض وأنـقـى جَــــــوهَـرا

شَــرُفَتْ أصــــلاً، وطابتْ عُنصُــــرا
وارتـقتْ نـفْــــسَــــاً، وراقـتْ مـنظرا

حـــملتْ قلبًــــا أبَى أن يحــــملَ الْـ
حـــقــــدَ أو يكتمَ حــسّــــاً كَــدُرا

تجــــهلُ الشــــرَّ، ولا تُحــسنُ أن
تخــــدعَ الغَــــيــرَ، ولا أن تَغــــدُرا

لا تـبــــــــالـي بـبـنـات الـدَّهــرِ إن
أقــــبلَ الـدهـرُ بـهــــــا أو أدبـرا

يَعظُمُ الكون لـدينا جِــــرمُــــــهُ
وتـراهُ عـنـدهـا قــــد صَــــغُــــرا

إنمـا الـدنيـــــا لـديهـــــا كلُّهـــــا
أبـواهـا وهــمــــــــا كـلُّ الـورَى

جُــــؤذُرٌ لـكنهــــــا آنِســــــةٌ
لم يَرُعْــــهــــا مــــا يَروعُ الجُــؤذُرا[1]

---

(١) ولد البقرة الوحشية وعيناه جميلتان.

سُـــرِقَ الـتـــفـــاحُ مِن وجنتِـــهـــا

واســـتـــعـــارَ الظبيُ منـهـــا الحَـــوَرا

ذاتُ شَـــــــعْـــــــرٍ ذهـبـيٍّ لـونُـه

قـــد حكى نور الضُّـــحى مُنتـشِـــرا

وعـــــيــــونٍ بـالنُّهى عـــابثــــةٍ

جَـــذَبَ الغُنجُ إليـــهـــا الخَـــفَـــرا

شُـــغِـــفتْ بالبـــدر حـــبًّـــاً فـــهي لا

تَعـــرِفُ الغُـــمض إلى أن يُســـفِـــرا

وقـــــفتْ ترقـــــبـــــه في ليلةٍ

مـــــثلِ حظِّ الأدباء الشُّـــعَـــــرا

تكتـمُ الظلمـــــاءُ مـن لألائـهـــــا

أيُّ بدرٍ في الظلام اسْـــــتَـــــتـــــرا

أرسلتْ نحـــــو الدَّراري لفــــتـــــةً

أذكَـــرتْ تلك الدراري القـــمـــــرا

واذا بالبـــــدرِ قـــــد مَـــــزَّقَ عن

وجـــهِـــهِ برقُـــعَـــهُ ثمَّ انبـــرَى

فـــأضـــاءَ الجـــوُّ والأرض مـــعـــاً

نورُه الفـــــضيُّ لـمّـــــا ظَهَـــــرا

فـــرنتْ عن فـــاترٍ، وابتـــســـمتْ

عن نـظيـمٍ قـــــــــد أكَنَّ الدُّررا

ثم قـــالت: يا حـــبـــيـــبي مـــرحـــبـــاً

لا رآك الـطَّـرفُ إلا نَـيِّـــــــــــرا

قفْ قليـــلاً أوكـــثـــيـــراً فـــعـــسى

نورُكَ البـــاهـرُ يجلو البَـــصَـــرا

إن تغِبْ فـــالصـــبحُ عندي كـــالدُّجَى
والدجى إن جـــئتَ بـالصُّـــبحِ ازدرَى
لمْ تُحبَّ الســـيـــر لـيـــلاً فـــإذا
ذَرَّ قَـــرنُ الشـــمسِ عـــانقتَ الكرى؟
أتخـــافُ الشـــمس أم أنت كـــذا
تعـــشقُ الليل وتهـــوَى الســـهـــرا؟
ثم نـاجتْ نفـــســـهـــا قـــائلةً
أتُـــرى أبـــلُـــغُ مـــنـــه وطَـــرَا
ليت لـي أجنحـــةً بل ليـــتني
نجـــمـــةٌ أتبـــعُـــه أنّى ســـرَى
وَهِمَ البـــعضُ فـــقـــالوا درهـمٌ
مـــا أرى الـدرهمَ إلا حـــجـــرا
ولقـــد أضـــحكَني زعـــمـــهُمُ:
إنه يُشـــبـــه في الحـــجم الثُّـــرَى
زعـــمـــوا مـــا زعـــمـــوا لكنّمـــا
هو عندي لعـــبـــةٌ لا تُشْـــتَـــرى!

****

٢٢ - فنون الوصف

[الطويل]

كـــــأنـي فـي روضٍ أرى المـاءَ جـــــاريـاً
أمـــامي وفــوقي الغــيمُ يَجــهَــدُ بالنَّشْــرِ
توهَّمـــــتُــــه همّـــــاً فــــقلت له: انْجلِ
فـإنَّ همـومي ضـاقَ عن وصْـفِـهـا صَـدري
بربك سِـــــرْ حـــــيثُ الخَـلـيّ فــــإنني
فــتًى لا أرى غــيــرَ المصــائبِ في دهـري
فــــــأقـــــشعُ حـــــتى لم أشكَّ بأنـه
أصـــاخَ إلى قـــولي، ومـــا شكَّ في أمـــري
رعى اللهُ ذيَّاكَ الغَـــــمـــــامَ الذي رعى
عـــهـــودي، وأولاني الجـــمـــيلَ، ولم يدرِ
تظلَّلْتُ بالأشــــجـــار عند اخـــتـــفـــائِهِ
ويا رُبَّ طَلٍّ كـــــان أجـــــملَ من قَطْر
جلستُ أبثّ الزهرَ ســرّاً كــتــمــتُـــه
عن النـاس حـتى صــرتُ أخـفى من السـرِّ
ولـمّـــا شكوت الوجــدَ، وجْـدي، تمايلَتْ
كــأن الذي أشكوه ضــربٌ من الخَـــمـــر
وأدهشَــهَـا صــبـري، فـأدهشني الهـوَى،
دُهشتُ لأن الزَّهـرَ أدهشَـــهَـــا صـــبـري
ولـمّـــــا درَتْ أني مـــــحبٌ مـــــتــيَّمٌ
بكتْ وبكاني كلُّ ضـــــاحك مُــــفْـــتــــرٍّ

عـجـبتُ لهـا تبكي لما بي ولم يكن
عـجَـيـبًـا على مـثلي البكاءُ من الصَّـخـر

كـأنـي بدرٌ والـزهـورُ كـواكبٌ
وذا الروضُ أفقٌ ضـاءَ بالبـدر والزَّهر

كـأني وقـدْ أطلقتُ نفـسـي من العَنا
مليكٌ لي الأغـصـانُ كـالعسكَرِ المَـجْر[1]

فـمـا أسـعـدَ الإنسـانَ في سـاعـةِ المُنى!
ومـا أجـملَ الأحـلامَ في أوَّل العُـمْـر!

وهاتفـةٍ قـد أقلقَـتني بنوحِـهَـا
فكنتُ كـمـخـمـورٍ أفـاقَ من السُّكْر

تُرى رُوِّعتْ مـثلي من الدهر بالفِـرا
قِ أمْ بُدِّلتْ مـثلي من اليُسـر بالعُـسْـر؟

بـكـيـتُ ولـو لـم أبـكِ مما بـكـتْ لـه
بكيتُ لما بي من سَـقَـامٍ ومن ضُـرّ

ونـهـرٍ إذا والى التَّـجـعُّـدَ مـاؤُه
ذَكَـرتُ الأفـاعي إذ تلوّى على الجـمـر

تحـيطُ به الأشـجـارُ من كلِّ جـانبٍ
كمـا دار حـول الجـيـدِ عِـقْـدٌ من الدُّرِّ

وقـد رفـعتْ أغـصـانُهـا في أديمهِ
كـتـاباً من الأوراق سطراً على سطر

كـأن دنانيـراً تسـاقطُ فـوقَـهُ
وليس دنانيـرُ سِـوى الورَقِ النَّضْـر

كـأني به المرآةُ عند صـفـائهـا
تُمـثِّل مـا يدنو إليـهـا ولا تدري

(١) الكثيف أو الكثير.

فـمــا كــان أدرَى الغــصنَ بالنظم والنثــرِ

ومــا كــان أدرى الماءَ «بالطيِّ والنَشْــر»[1]

ذَرِ المدحَ والتــشــبــيب بالخــمــر والمهــا

فـــاني رأيتُ الوصف أليقَ بالشِّـــعــــر

ومــا كـــان نظمُ الشِّــعــر دأْبي وإنَّمــا

دعـــاني إليـــه الحب، والحب ذو أمــــر

ولي قلمٌ كـــالرمح يهـــتـــزُّ في يدي

الى الخـيـر يسـعى، والرمـاحُ الى الشَّـر

وتفــتُك هاتيك الأسنَّةُ في الحـــشَــــا

ويحـيـا الحشَـا إن راحَ يفـتُك بالحـبـر

إذا مــا شـــدا في الطِّرسِ أذهب شـــدوُهُ

همـومَ ذوي الشكوى، ووَقـر ذوي الوِقْـرِ[2]

تبــخـــتـــر فــوق الطِّرسِ يســـحبُ ذيلَهُ

فــقــالوا. به كِــبْــرٌ، فــقلتُ عن الكِبْــر

لكلٍّ من الدنيـــا حـــبــيبٌ وذا الذي

أَشُــــدُّ بـه أزري، ويـعلـو بـه قـــــدْري

ويبـــقَى به ذكـــري إذا غـــالَني الرَّدَى

وحـسـبُ الفـتى ذكـرٌ يدوم إلى الحـشـر

****

---

(١) من مصطلح العروض.

(٢) الوِقر الحِمل والوزن. والوَقر. الثقل في الأذن.

٢٣ - قصيدة الطبيعة

[مخلع البسيط]

روضٌ إذا زرتَهُ كـئـيـبـا
نـفَّـس عـن قـلـبِـكَ الـكُـروبَـا
يُعـيـدُ قلب الخلي مـغـرَى
ويُنسي العـاشقَ الحـبـيـبـا
إذا بكاهُ الغَـمـامُ شـقَـتْ
من الأسى زهرُه الجُـيـوبا
تلقى لديه الصَّـفـا ضـروباً
ولستَ تلقَى له ضَـريبَـا[1]
وشَّـاهُ قَطرُ الندى فـأضـحى
رداؤه مُـعْلَـمـاً قَـشِـيـبـا
فَـمِن غـصـونٍ تميسُ تيـهـاً
ومن زهورٍ تضُـوعُ طِيـبـا
ومن طـيـورٍ إذا تـغـنَّـتْ
عـاد المعنَّى بـهـا طَروبا
ونرجسٍ كـالرقـيـب يرنـو
وليس مـا يقـتـضي رقـيـبـا
وأُقْـحـوانٍ يُـريك دُرَّاً
وجلَّنارٍ حكى اللَّهِـيـبـا
وجـدولٍ لايزال يـجـري
كـأنه يقـتـفي مُـرِيبـا

---

(١) مثيل.

تســــــــمعُ طوراً لـه خَـــــــريـرًا

وتـارة فـي الـثــــرى دبيــــــبــــــا

إذا تـرامــى عـلــى جــــــــــديـبٍ

أمــسى به مَــرْبعًــا خَــصــيــبــا

أو يتـــــجنَّى على خَــــصــــيبٍ

أعــــادَهُ قــــاحـــــلاً جَـــدِيبــــا

صَـحَّ فـلــو جـــــــــــاءه عَـلـيـلٌ

لم يـأتِ بعــــــدُ منه طبــــيــــبــــا

وكلُّ مَـــــــعنًى به جـــــــمــــيلٌ

يُعلِّمُ الشـــاعـــرَ النَّسِــيــبــــا

أرضٌ إذا زارهـــا غــــــــــريــبٌ

أصــــبح عن أرضِـــه غــــريبــــا

****

٢٤ ـ سقوط بورت آرثور(١)

[الخفيف]

مَنْ أُسُـــودٌ تســـربلتْ بالحـــديدِ ؟
ومَـــنِ الجـــنُّ فـــي رداء الجـــنــودِ ؟
يَنشـــدونَ الوغى ومـــا يَنشدُ الـ
حـــسناءَ غـــيـــرُ المتَـــيَّمِ المعـــمُـــود
كلُّ قَـــرْمٍ(٢) عليـــه درعٌ من الصَّـــبْ
ـرِ ودرعٌ مـــســـرودةٌ من حـــديد
تحـــتـــه أجـــردٌ أشـــد حنيناً
واشـــتـــيـــاقـــاً الى الوغى من نَجـــيـــد
ســـابحٌ عنده العـــســـيـــرُ يســـيـــرُ
والقـــصـــيُّ القـــصـــيُّ غـــيـــرُ بعـــيـــد
لو صَـــبـــا للنجـــوم مِن قـــدْ عَـــلاهُ
أصـــبح الجـــو تحـــتـــه كـــالصَّـــعـــيـــد
تحـــسبُ الأرض قـــد جـــرتْ حين يجـــري
وتـــراه كـــــأنّـــه فـــي ركـــــود
إنمـا يـركبُ الجـــــوادَ جــــــوادٌ
ويصـــونُ الذِّمـــارَ غـــيـــرُ بليـــد
وخَـــمـــيسٍ(٣) يحكي النجـــومَ انتظامـــاً
عـــجـــبـــاً من كـــواكبٍ في بِيـــد

(١) Port Arthur ميناء في شمالي الصين (منشوريا) احتله الروس ١٨٩٨، خلال الحرب اليابانية الروسية، فحاصر اليابانيون الأسطول الروسي واضطروا الروس إلى الجلاء، في النهاية، عن منشوريا، سنة ١٩٠٥

(٢) شجاع.

(٣) جيش.

أوقعَ الرُّعب في قلوب الضَّواري
فاسْتكَانتْ كأنها في قيود
أصبحتْ تهجرُ المياه وكانت
لا ترى الماءَ غيرَ ماءِ الورود
خافقَاتٍ أعلامُهُ، أرأيتمْ
كقلوبِ العشَّاقِ عند الصُّدود؟
قادَهُ ذلك الغضنفرُ «توجي»[1]
ويناطُ الحسامُ بالصِّنديد
رجلٌ دونَهُ الرجالُ مقاماً
مُشْبِهٌ في الأنام بيتَ القصيد
كلُّ سيفٍ في غيرِ قبضةِ «توجي»
فهْو عند السيوفِ غيرُ حديد
يا يَراعي سَلْ «بورت آرثر» عنه
إنَّ تلك الحصون خيرُ شهود
معقلٌ أصبحتْ جحافلُ «ميتو»[2]
حولَه كالعُقودِ حولَ الجِيد
هجموا هجمةَ الضراغم لمّا
حسِبُوها فريسةً للأُسُود
وتعالى الضَّجيجُ للأفْقِ حتَّى
كاد ذاك الضَّجيجُ بالأفقِ يُودي
وتوالى هجومُهُمْ، والمنايا
ضاحكاتٌ، فيا لها من صيود!
كَمْ جريحٍ مُضرَّجٍ بدماهُ
وقتيلٍ على الثَّرَى ممدود

---

(١) قائد ياباني
(٢) امبراطور اليابان

وأســيــر الى أســيــرٍ يُســاقُــو

نَ تبــاعــاً إلى الشَّــقــاء العــتــيــد

أمـطرتْـهُـمْ مــــدافعُ الـروس نـاراً

أصــبــحــوا بعــدها بغــيــرِ جُلود

دامتِ الحــربُ أشــهــراً كلَّمــا قِــيْـ

ـلَ خَــبَتْ نارُها ذَكتْ من جــديد

والمنايا تحــومُ حــولَ السَّــرايا

حَــومــةَ العــاشِــقينَ حــولَ الغِــيــد

حــيثُ حظُّ المِــقْــدامِ مــثلُ ســواهُ

وكَــحَظِّ الكبــيــرِ حظُّ الوليــد

صــبَــر الروسُ صــبْــر أيوب للبَلْـ

ـوَى على ذلك العــدوِّ العنيــد

غــيــر أنَّ الأيامَ طالتْ و«ســتــو

سلَ»[1] يُمني أجــفــانه بالهُــجــود

فــتــولاهمُ القنوطُ من النَّصْـ

ـرِ فــردُّوا أســيــافَــهُمْ للغُــمــود

كــان هذا للصُّــفْــرِ عــيــداً وعند الرْ

روس ضــرباً من الليــالي السُّــود

قلعــةٌ صــانهــا الزمــانُ فلولا

كَــيــدُ «توجي» لبُــشِّــرَتْ بالخُلود

****

(١) قائد روسي

٢٥ - بلا قلب

[الطويل]

وقـــائلةٍ: مـــاذا لقِـــيتَ من الحبِّ
فقلتُ:الردى والخوفُ في البُعدِ والقربِ

فـقـــالت: عـــهـدتُ الحبَّ يُكسب ربَّهُ
شـــمـــائلَ غُـــرّاً لا تُنال بلا حب

فـقلت لهـا: قـد كـان حبّـاً فـزادَهُ
نفـورُ المهـا «راءً» فـأمسـيتُ في حـرب

وقـــد كـــان لي قلبٌ وكنتُ بلا هوًى
فلمَّـــا عـــرفتُ الحبَّ صِـــرتُ بلا قلب

****

٢٦ - لقاء وفراق

[البسيط]

صبراً على هَجْرها إن كان يُرضِيها
غيرُ المليحةِ مملولٌ تَجنّيها

فالوصلُ أجملُه ما كان بعد نوًى
والشمسُ بعد الدُّجى أشهَى لرائيها

أسلمتُ للسُّهد طرْفي والضنى بدَني
إن الصبابةَ لا يُرجَى تلافِيها

إن النساءَ إذا أمرضْنَ نفس فتًى
فليس غيرُ تدانيهنَّ يَشفِيها

فاحذرْ من الحبِّ إن الريحَ ما خَفيتْ
لولا غرامٌ عظيمٌ مُختَفٍ فيها

يمضي الصَّفاءُ ويبقى بعدَهُ أثرٌ
في النفسِ يؤلمها طوراً ويُشجِيها

مرَّتْ ليالٍ بنا ما كان أجملَها!
تمَّتْ، فما شَانها إلا تلاشِيها

تلك الليالي لا أرجو تذكُّرَها
خوف العناء، ولا أخشى تناسيها

أصبو إليها، وأصبو كلّما ذُكِرَتْ
عنديَ اشتياقاً إلى مصرٍ وأهليها

أرضٌ سماءُ سِواها دونَها شَرَفاً
فلا سماءٌ ولا أرضٌ تحاكيها

رَقَّتْ حَواشيُها واخْضرَّ جانبُها

وأجملُ الأرضِ ما رقَّتْ حَواشِيها

كأنَّ أهرامها الأطوادُ باذخةً

هذي الى جنبها الأخرى تُساميها

كأنها كعبةٌ حجَّ الأنامُ لها

لولا التُّقَى قلت فيها: جلّ بانيها

ونِيلُهَا العذْبُ ما أحلى مناظرَهُ

والشمسُ تكسوه تِبراً في تواريها

وما أُحَيلَى الجواري[1] الماخِراتِ به

تُقلّ من أرضه أحلَى جَواريها

مِن كلِّ رُعْبُوبَةٍ[2] عَبْلٍ[3] روادفُها

تأبى القعودَ فتأبى أن تجاريها

ضحُوكَةِ الوجهِ يُغرينا تَبَسُمُها

إن نجتديها ويَثنينا تثنّيها

وناهدٍ حُجِبتْ عن كل ذي بصرٍ

حُشاشتي خِدرُها والقلبُ ناديها

في كل جارحةٍ مني لها أثرٌ

«والدارُ صاحبُها أدرى بما فيها»

وفي الكواكب جزءٌ من محاسنها

وفي الجآذِرِ[4] جزءٌ من معانيها

إن عنّفوني فإني لا أعنّفُها

وإنْ أُسَمِّ فاني لا أسمّيها

---

(١) المراكب.

(٢) البيضاء الناعمة.

(٣) ممتلئة.

(٤) الجؤذر ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان

يمَّمْــتُــهــا ونجــومُ الأفقِ تلحَظُني
في الســيـر شَـزراً كـأني من أعـاديهـا
كــادتْ تَســاقَطُ غــيظًا عندمــا علِمتْ
أنـي أؤمُّ التـي بـالـنفس أَفـــديـهـــا
أسْــرِي إليــهــا وجنحُ الليل مــضطربٌ
كـــأنه مـــشـــفِقٌ ألاّ ألاقــيـــهـــا
والشــوقُ يدفــعُني، والخــوفُ يدفـعني
هذا إليــهـــا، وهذا عن مــغــانيــهـــا
أطوي الـديـاجـي وتَـطوينـي علـى جـــزَعٍ
تخشى افتضاحي وأخشى الصبحَ يطويها
فـمــا بلغتُ مــغــاني مَن شُـغــفتُ بـهـا
إلا وقــد بلغتْ نفــسي تَراقِــيــهـــا[١]
هناك ألقــيتُ رحْلِي وانتــحــيتُ إلى
خَـوْدٍ[٢] يرى الدُّمـيـةَ الحـسناءَ رائيـهـا
بيضٌ ترائِبُــهـــا[٣] ســودٌ ذوائِبُـــهـــا
زُجٌّ[٤] حــواجــبــهـــا كُـحلٌ مــآقــيــهـــا
نــهـــودُها من ثنايا الثـــوب بـارزةٌ
كـــأنهـــا تشـــتكي مما يواريهـــا
والثـوبُ قـد ضـاق عن إخـفـائها فنَبَـا
عنهـــا، فــيـــا ليـتني بُردٌ لأحــمــيــهـــا
وتحت ذلك خَــــصــــرٌ يَســـتـــقلُّ به
دِعصٌ[٥] تَرجْـرَجَ حـتى كـاد يلقـيـهـا

---

(١) الترقوة العظم الواصل بين ثُغرة النحر والعاتق. وجمعها التراقي
(٢) الشابة الحسناء
(٣) الترائب موضع القلادة من الصدر (المفرد تريبة).
(٤) زجحت المرأة حواجبها دققتها وطولتها
(٥) الرمل

قـــامت تُصــــافــحُني والرِّيفُ يمنَعُـــهـــا

والوجــدُ يدفـــعُـــهـــا والقـــدُّ يَثنيـــهـــا

دُهـشتُ حـــــتى كـــــأني قطُّ لم أرهـا

وكـــدتُ واللهِ أنسى أن أُحَـــيِّـــيـــهـــا

باتتْ تكلمُني منهــــا لواحظُهَـــــا

بما تكنّ وأجـــفَـــاني تُناجـــيـــهـــا

حـــتى بدا الفـــجـــرُ واعـــتلّتْ نســـائمُـــه

وكـــاد ينشُـــرُ أســـراري ويفـــشـــيـــهـــا

بكتْ دمـــوعـــاً وأبكتني الدمـــوعُ دمـــاً

ورحتُ أكـــتُم أشـــيـــاءً وتبـــديهـــا

كـــأنهـــا شـــعـــرتْ في بُعـــدنا أبداً

فـــأكـــثـــرتْ من ودَاعي عند واديهـــا

فـــمـــا تعَـــزَّتْ بأنَ الدهرَ يجـــمـــعُنا

يومـــاً، ولا فـــرحتْ أني أمنّيـــهـــا

تقـــولُ والدمعُ مـــثلُ الطلِّ منتـــثِـــرٌ

على خـــدودٍ خـــشـــيتُ الدمع يُدمـــيـــهـــا:

وَا لَـهْف نفـــســـي على أُنسٍ بـلا كـــدَرٍ

تُرى ننال من الدنيـــا أمـــانيـــهـــا؟

فـــقلت: صـــبـــراً على كـــيـــدِ الزمـــان لنا

فكلُّ حَـــافـــرِ بئـــرٍ واقـــعٌ فـــيـــهـــا

****

٢٧ - بنت الفرقدين [١]

[الطويل]

أزورُ فَتَقصينَ[٢] وأنأى فتَعْتِبُ
وأوهَمُ أني مذنبٌ حين تَغضَبُ

وأرجو التَّلاقي كلّما بخِلْتِ به
كذلك يُرجى البرقُ والبرقُ خُلَّب

وأعجبُ من لاحٍ[٣] يُطيل مَلامَتي
ويَعجَبُ مني عاذلي حين أَعجَب

هوالبخلُ طبعٌ في الرجال مُذمَّمٌ
ولكنه في الغِيدِ شيءٌ مُحَبَّب

كلِفْتُ بها بيضاءَ سَكْرَى من الصِّبا
وما شربتْ خمراً ولا هي تَشرب

لها الدُّرُّ ثغرٌ واللجَينُ ترائبٌ[٤]
وشمسُ الضحى أمٌّ وبدرُ الدُّجى أب

خليلَيَّ أمَّا خدُّها فمورَّدٌ
حياءً وأمَّا ثَغرُها فهْوَ أشْنَب[٥]

لئن فرّقتْ بين الغواني جمالَها
لدام لها ما يَجعلُ الغيدَ تَغضب

---

(١) الليل والنهار

(٢) قصا يقصو: بعُد.

(٣) لائم.

(٤) موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).

(٥) الشنب: بياض الأسنان وبرودتها

ولو أنَّ رهبـــانَ الصَّـــوامعِ أبصـــرُوا

مـــلاحَـــتَـــهـــا، واللهِ، لم يتـــرهَّبُـــوا

تُكَلِّفِنـي في الحبِّ مـــا لا أطيـــقُـــه

وتضـــحكُ إمَّـــا جـــئـــتُـــهـــا أُتَعَـــتَّب

أ فَـــاتِنَتي حـــسْبُ المتـــيَّمِ مـــا به

وحـــســـبُكِ أنـي دون ذنْبٍ أُعـــذَّب

أحـــبُّكِ حبَّ النازحِ الفـــرْدِ أهلَـهُ

فـــهل منكِ حبُّ الأهلِ مَن يتـــغـــرَّب

وهَبـــتُكِ قلبي واسْـــتَـــعـــضْتُ به الأسى

وهبـــتُكِ شـــيـــئـــاً في الورَى ليس يُوهَب

فـــإن يكُ وصلٌ فـــهْـــوَ مـــا أتطلَّبُ

وإن يكُ بُـعْـــدٌ فـــالمنيَّـــةُ أقـــرب

****

٢٨ - أخت ليلى

[الكامل]

ولقــدْ عَلِقتُ من الحِســانِ مليــحــةً
تحكي الهــلالَ بحــاجبٍ وجَــبينِ
كلِفتْ بهــا نفــسي ودونَ وِصــالها
وصْلُ المنُونِ، وثَمّ ليثُ عــــرين
حــسناءُ أضــحى كلُّ حُــسنٍ دونَها
ولِذاك عُــشّــاقُ الـمَــحــاسنِ دوني
قـد رُوِّعتْ حــتى لَتَــخــشى بُرْدَها
مــن أن يبــوحَ بســرِّها المكْنُون
وتُريبُــهــا أنفــاسُــهــا، ويُخــيــفُــهــا
عند اللقــاء تنهُّدُ المــحــزون
هـجــرتْ فكلُّ دقــيــقــةٍ من هَجْــرها
عندي تُعــدّ بأشــهــرٍ وسنين
يــا هذه! لا تجــحــدي حــقّي فــقــد
أصْليتِ قلبي بالنّوى فــصلِيني
أطلقتِ دمــعــاً كــان قــبلُ مــقــيَّــداً
وســجنتِ قلبــاً كــان غــيــر ســجين
أشــبــهتِ «ليلى العــامــريّةَ» فــاكــتُــمــي
خــبــر الذي قــد صــار كــالمجنون[1]

****

(١) ليلى العامرية معشوقة قيس الذي فتن بها ورفض أهلها زواجها منه، فأصابه الجنون حتى اشتهر به.

٢٩ ـ طبيبي الخاص

[الرَّمل]

بتُّ أرعَى في الظَّلام الأنجُمَا
ليس للعشَّاقِ حظٌّ في الكَرَى

صرعتْني نظرةٌ حتى لقد
كدتُ أن أَحسُدَ من لا يُبْصِرُ
نظرةٌ قد أورثتْ قلبي الكمدْ
ما بلاءُ القلبِ إلا النظرُ
لا رعاكَ اللهُ يا يومَ الأحدْ
لا ولا حيّاك عنّي المَطَر
أنتَ من أطلعْتَ هاتيكَ الدُّمى
سافِراتٍ فتنةً للشُّعَرا

هِمتُ في من حَسُنتْ صورتُها
مثلما قد حسُنت منها الخصالْ
أخجلتْ شمس الضحى طلعتُها
واستحى من لحظِها لحظُ الغزال
كل ما فيها جميلٌ يُشتهَى
ما بها عيبٌ سوى فرْطِ الجمال
لو رآها لائمي فيها لما
لامني في حبّها، بل عَذَرا

ذاتُ حـــسنٍ خـــدُّها كـــالورد في
لـونـهِ والـطِّـيبِ فـــي نـكـهـــتـــهِ
زهـرةٌ لـكـنّـهـــــا لـم تُـقْـطـفِ
وجـــمـــالُ الزّهـرِ في روضـــتِـــهِ
درّةٌ مـــا أُخـــرجتْ من صـــدف
تُرخِصُ الدرَّ على قـــيـــمـــتِـــهِ
بَضَّـــةُ الخَـــدينِ والنَّهـــدينِ، مـا
ســـفـــرتْ إلا رأيتَ القـــمـــرا

ذاتُ شَـعْـرٍ مُـسْـبَلٍ كـالأُفْـعُـوَانْ
يتـــهـــادى فـــوقَ ردفٍ كـــالكثـــيبْ
وقَـــوامٌ لو رآه الـغـــصـــنُ بـانْ
خـــجـــلاً من ذلك الغُـــصنِ الرطيب
كـــاد لولا مـــا بـه من عُنفـــوانْ
يـقـفُ الـوُرقُ بـه والـعـنـدلـيـب[1]
وجـفـونٍ أشـبـهـتني سَـقَـمـا
كـمَنَ السّـحـرُ بهـا واسـتَـتَـرا

تبـــعَـثُ الحبَّ إلى قلب الخَلِيّ
وهو لا يَدري ولا يَســـتـــشـــعـــرُ
والهـــوَى في بَدْئه عـــذبٌ شـــهِيّ
كلُّ شيءٍ بعـــدَه مـــحـــتـــقَـــرُ
كلُّ مَن لا يعـــرف الحبَّ شَقِيّ
لا يرى فـي دهرهِ مـــا يُشكَرُ

(١) الورْق: الحمائم (الورقاء)، والعندليب: الهزار من الطير.

يصْــرِفُ العــمْــرَ ولكنْ ســئِـمــا

عــبــثــاً يَطلبُ ألا يَضْــجَــرا

لم أكنْ أعــرفُ مــا مــعنى الهنا

قــبلَ أن أعــرف مــا مــعنى الغــرامْ

يضــــحكُ الناسُ ســــروراً وأنا

عــابسٌ حــتى كــأني في خِـصــامْ

عَـــجِــبــوا مني وقـــالوا علَّنَــا:

قــد رأينا الصَّــخــرَ في زِيِّ الأنام

أوشكوا أنْ يحــســبــوني صنَمَــا

لو رأوا[1] الأصنامَ تُخــفِي كَــدَرا

لــم أزلْ في ربْقــةِ اليــأسِ إلــى

أن أعــادَ الحبُّ لي بعض الرَّجــا

كنتُ قــبل الحبِّ أَســري في ظَلا

م ولا ألقَى لنفــسي مَــخْــرجــا

فَــجَــلاهُ الحبُّ عنّي فــانجلَى

مــثلمــا يجلو سَنا الشَّــمسِ الدُّجَى

باتَ قلبي بالأمــاني مُــفْــعَــمَــا

وهوَ قــبــلاً كــان منهــا مُــقْــفِــرا

روّعــتْنِي بالنَّوَى بعــد اللقــاءْ

وكــذا الدُّنيــا دنوٌ وافــتِــراقْ

---

(١) يلزم أن تُقرأ: رؤوا، للضرورة.

غـضِبَ الدهرُ على كـأسِ الصَّفَـاءْ
مُـذ رآهـا فـأبـى ألاّ تُـراقْ
ولـو أنَّ الـدَّهـرَ يدري بـالـشَّـقـاءْ
سـاعـدَ الصبُّ على نَيل التَّـلاق
لم أجـد لي مُـشـبِـهـاً تحت الـسـمـا
في شَـقَـائي لا ولا فـوق الـثَّـرَى!

وأبي! لـو أنَّ مـا بي بـالجـبـالْ
أصـبـحتْ تهـتـزّ من مَـرِّ النسـيمْ
فـاعـذروني إن أكنْ مـثلَ الخـيـالْ
واعـذُلوني إن أكنْ غـيـرَ سَـقـيم
إنّ دائـي جـاء من صـادٍ ودالْ
ودواءُ الـقـلـبِ في ضَـادٍ ومِـيم
بات صـبـري مـثلَ جـسـمي عَـدَمـا
إنّمـا يصـبِـرُ مَن قـد قَـدَرا

رُبَّ ليلٍ عـادَنِي فـيـه السُّـهـادْ
ونـأى عن مُـقْـلَـتـي طِيبُ الـكَرى
هـاجتِ الذكـرى شُـجـوناً في الفـؤاد
فـبكى طَرْفي عـقـيـقـاً أحـمـرا
نـبَّـهَ الأهلَ بكـائي والـعـبـادْ
فـأتَوا يسـتطلعـونَ الخَـبَـرا
قلت: داءٌ في الفـؤاد اسْـتـحكَمـا
كـاد قـلـبـي مـنـه أن يـنـفـطِرَا

صـــدّقــوا مـــا قلتُـــه ثم مــضَى
واحـــدٌ منهمُ يَســتــدعي الطبــيبْ
ســـار والكلُ على جــمــرِ الغَــضَـا
وأنـــا بـين أنـينٍ ونَـحــــــــــيبْ
لــم يكـن إلا كـــــبـرقٍ ومَـــضَـا
وإذا (الدكــتــورُ) مِن مَـــهــدِي قــريبْ
قـال للجــمــهـور مــاذا الاجـتِـمَـاع؟
اخـــــرجـــــوا أوْ زدتمُوه خَـطَرا

خــرجَ الكلُ فــأمــستْ غــرفــتي
مـــثلَ قلبِ الطِّفلِ أو جَـــيبِ الأديبْ
فَـــــدنَـا يســـــألني عن علّتي
وأنـا أســـمعُ لكن لا أُجـــــيبْ
فنَضَــا الثــوبَ فــأبصــرتُ التي
كــاد جـســمي في هواها أن يغــيب
خلعتْ عنهـــا لبـــاس الحُكَمَـــا
فــرَأتْ عـــيناىَ بدراً نيّـــرا

واعْــتَــرتْني دهشـــةٌ لكنهــا
دهشـــةٌ ممزوجـــةٌ بـالفـــرحِ
كِـــدتُ أن أخـــرجَ عن طَور النُّهَى
رُبَّ سُكـرٍ لـم يكـن مـن قَـــــدَحِ
يا لـهـــا من ســـاعـــةٍ لو أنهـــا
بقـــيتْ كـــالدهر لم تُســتــقـبح

عـــــانقـــــتْني وأنا أبكي دمًـــــا

وهْـــي تـــبـــكـــي لـــبُـــكـــائـــي دُرَرا

وجـــــعلنا بـعـــــد أن طال الـعـنـاقْ

نـتـنـاجَى بـأحـــــــاديـث الـقـلـوبْ

بـيـنـمـــــا نـحـنُ عـلـى هـذا الـوفـــاقْ

قُــرِع الـبـــــابُ فـــــأوشكـنـا نـذوبْ

فـــأشـــارتْ لـي. قـــد حـــانَ الـفـــراقْ

فـــانقطعنا وارتـدتْ ثوب الـطبـــيب

أقـــبـل القـــومُ فـــقـــالت. كلُّ مـــا

كـــان يـشـكـو مـنـه عنـه قـــد ســـرى

****

٣٠. حنّة مشتاق

[الطويل]

ألا أيهــا البــاكي فــديتُكَ باكــيــا
عــلامَ وفــيــمــا تســتَـحثّ المآقِـيــا؟
رويدكَ مـــا أرضى لك الحـــزنَ خُلّةً
وهيــهــاتَ أن أرضــاكَ بالحــزن راضِيــا
يعنّفُنِي من كنتُ أدعــوه صــاحــبــاً
فــمــا انفكّ حــتى بتُّ أدعــوه لاحــيــا
دعــــوتُ لـربِّي إنْ دعـــاني لائمٌ
ولم أعصِ ألا يســتــجــيبَ دُعــائيــا
لقــدْ أرخص العُــذّالَ عنديَ قــولُهم:
إذا هَمَتِ العــينانُ أرخــصْتَ غــاليــا
أأمنعُ مــاءً مــا يُروِّي أخــا صَــدًى
وقــد كنتُ لا أحــمي المناهلَ صَــاديا[١]
علــيَّ البُكا والنوحُ ضـــربةَ لازبٍ
وإنّي لأبكي أنني لستُ باكـــيــا
وكــيف ارتيــاحي بعــد هندٍ وبيننا
مَــهَــامِــهُ[٢] لا تلقى بهــا الريحُ هاديا
يظلُّ بهـا السِّرحـانُ[٣] يعـوي من الطَّوَى
نهـــاراً ويطوي ليلَهُ الخــوفُ طاويا[٤]

---

(١) عطشان.(صَدِيَ - يصدى).
(٢) قفار ومفازات واسعة (مَهْمه).
(٣) الذئب.
(٤) جائعاً

لقــــد كنتُ أخــشى أن يُفَــرَّقَ بيننا

فـأصـبـحتُ أخـشى اليـومَ ألاّ تلاقِـيا

فـــيــا مَن لِقلبٍ لا تنامُ همــومُـــه

ويا مَن لعينٍ مـــا تنامُ الليـــاليـــا

رأيتُ الليـــالي مـــا تزالُ تَروعُني

بأحـداثهـا، مـا لِليـالي ومـا لِيـا!

ولم يبقَ عند الدهر خطْبٌ أخــافُـــهُ

فكيف اعـتـذارُ الدهرِ إنْ رحتُ شـاكـيا؟

إذا لم تكنْ لي آسِـيـاً أومـؤاسـيـاً

فــلا تكُ لوّامــاً، وذرْني ومـــا بِيَــا

فـــإنّي رأيتُ اللومَ يُذْكِي صَـبَــابتي

كـذاك عَـهـدتُ الزَّندَ بالقَـدْحِ واريا[1]

ألا حـبـذا مِن سالفِ العيش ما مـضَى

ويا حــبّــذا لو كـــان يَرجعُ ثانيـــا

زمــانٌ كـقلب الطفل صــافٍ وكـالمُنى

لذيذٌ ولكن كـــان كـــالحُلم فــانيــا

أحِنُّ إليـــه في العَـــشِيِّ وفي الضُّـحَى

حنينَ غــريبٍ جـاءه الشـوقُ داعــيـا

وأذكُــرُه ذكـرى العــجـوزِ شـبـابَهـا

وأبكي لدى ذكـــراهُ أحــمــر قـــانيـا

ولولا أمــــورٌ في الفـــؤاد أُسِــرُّها

جـعلتُ عليـه الدهر وقْـفـاً لِسَـانيا

خليليَّ أعـــوامُ السُّـــرور دقـــائقٌ

وأيـامُـــه كـــادت تكونُ ثوانيـــا

---

(١) الزَّند. العود الذي يُقدَح به. والواري. المشتعل.

وأجــملُ أوقــاتِ الفــتى زمنُ الصِّــبــا
وخــيْـرُ الصِّـبـا مـاكـان في الحبّ نامـيـا
رعى اللهُ أيامي التي قــد أضــعــتُــهـــا
فكنتُ كــأني قـــد أضـــعتُ فـــؤاديا
ليـــاليَ لا «هندُ» تُصـــدِّق واشـــيـــاً
ولا هـي تخــشى أن أصــدِّقَ واشِـيـــا
ويــا طــالمـا بِـتْـنـا ولا ثــالــثٌ لــنـــا
ســوى الراحِ نُدنيــهـا فـتُـدْنَى الأمـانيـا
ودارَ حـــديثُ الحبِّ بيني وبيـنـهــــا
فطَوراً مناجـــاةً وطوراً تشَـــاكِـيـــا
ألـم ترَ أني قـــد نظمتُ حــديثَـــهـــا
لآلِـئَ غنّاها الرواةُ قـــوافِـــيـــا
تولّى زمــانُ اللهــوِ كــالطَّيفِ في الكَرَى
فلستَ تراني بعـــدَهُ الدهرَ لاهِيــا
ســئـمتُ لَذاذاتِ الحـيـاةِ جـمـيـعَـهـا
ولو رضـيتْ هندٌ سـئـمتُ شـبـابيـا
ســلامٌ على «هندٍ» وإن فـات مَـسـمَـعِي
ســلامُ التي أُهدي إليــهــا ســلامـيـا
ترى عندها أني على العـــهـــد ثابتٌ
وإن يكُ هـذا البَينُ أوْهَى عظامِـــيَـــا
فَـواللهِ مـا أخـشى الحِـمَـامَ على النَّوى
ولكنَّنِي أخـــشى خلوديَ نـائِيَـــا

****

٣١ - الحُسن لا يُشرى ولا يُسْتجلَب

[الكامل]

سَفَرتْ فقلتُ لها: أهذا كوكبُ؟
قالت: أجَلُ وأين منِّي الكوكبُ؟

وتبسَّمتْ فرأيتُ رِئماً[1] ضاحكاً
عن لؤلؤٍ، لكنَّهُ لا يُوهَب

وتمايلتْ فالسَّمْهَريُّ[2] مصمِّمٌ
ورنَتْ فأبصرتُ السِّهامَ تُصوَّب

أنشبتُ ألحاظِي بورْدِ خُدودِها
لمَّا رأيتُ لحِاظَها بي تُنشَب

قد كلَّمتْ قلبي ولم ترْفُقْ بهِ
واللحظُ، لو درَتِ المليحَةُ، مِخْلَب

بيضاءُ ناصعةٌ كأن جبينَها
صُبحٌ، وطُرّتَها عليه غَيْهَب

يا طالما اكْتَسبَ الحريرُ مَلاحَةً
منها، ويُكسِبُ غيرَها ما يُكسِب

ولطالما بعضُ النساءِ حَسَدنَها
ولطالما حسدَ السليمَ الأجرب

بين الطِّلاء وبينهنَّ قَرَابةٌ
مشهورةٌ، عنها الجميلةُ تَنكُب[3]

---

(١) الظبي الخالص البياض.
(٢) الرمح.
(٣) تعدِل عنها

إن الملاحَةَ عندها عربيةٌ
وجمالُ هاتيك الدُّمَى مُستَعرِب
قلْ للغواني: إنها خُلقتْ كذا
الحُسنُ لا يُشْرَى ولا يُستَجلَب
فإذا بلغتنَّ الجمالَ تَطرّياً[1]
فاعلمْنَ أن بقاءَه مُستَصْعَب
هيهاتَ، ما يُغني الملاحَ الحسنُ إن
كانت خلائقُهنَّ لا تُستَعذَبُ
إني بَلوتُ الغانياتِ فلم أجدْ
فيهنَّ قطُّ مليحةً لا تَكْذب
وصَحِبتهنَّ فما استفدتُ سِوى الأسَى
ما يُستَفادُ من الغواني يُتْعِب
وخَبِرْتُهُنَّ فما لبِكرٍ حُرمَةٌ
تُرعى، وأغدَرُ مَن رأيتُ الثَّيِّب
لا يخدعنَّكَ ضَعْفُهُنَّ فإنما
بالضَّعفِ أهلكتِ الهِزبرَ[2] الأرنبُ!

****

(١) صناعة التجميل
(٢) الأسد

٣٢ - أنا إمام الذين هاموا

[مخلع البسيط]

لُمْني إذا حُلتُ عن عُـــــهـــــودي
ولا تَلُمْني على هُـيَـــــامـي

مـــــا كنتُ أخـــشى من المنايا
فكيف أخـــشى من الـمَــــلام؟

قـــــد نزلَ الحبُّ في فـــــؤادي
ضَـــيــــفـــــاً ولكنْ على الدوام

فـــبـــاتَ قلبي له طعـــامـــاً
وبِتُّ أنأى عن الـطـعــــــام

أعـــدَى غـــرامي النجـومَ حـتى
أسـهــرَها من الدُّجى غَـــرامي

لو تعـرِفُ الشمسُ مَـا الهَـوَى لم
تبِنْ لطَرْفٍ من السَّـــقَـــام

أصـــاب سـهـمُ الفـراقِ قلبي
وأخطأتْ قلبَـــهُ سِـهَــامي

وكــــان خـــوفي من التنائي
خـوف كـفـيـفٍ من التِّـرام[1]

إنَّ فـــراقَ الحَــبـيبِ عندي
أشدُّ وقـــعـــاً مـن الحِــمَـــام

لو يبـعُـدُ البـعـدُ عن حـبـيبٍ
مـا عَنَّ يومـاً لِمُـسـتَـهَـام

(١) كانت الإسكندرية حديثة العهد بوجود الترام، ومن هنا كان خوف الأعمى شديداً لقرب عهده به

أنـا إمَـــــامُ الـذيــن هَـامُـــــوا

وأيُّ قـــــــومٍ بـلا إمــــــام؟

فـلـيـس قـــــبـلـي ولـيـس بـعـــــدي

ولا ورائـــي ولا أمَـــــــــــــامـي

****

٣٣ - الرزء الأليم

[البسيط]

في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي

عَـــدِمتُ قلبي إذ لم يَعـــدَم الجلَدا
ونالَ نفــسي الرَّدى إن لم تذُبْ كَـمــدَا

آهاً ولو نفَــعتْ «آهًا» أخَـــا شَـــجنٍ
لم يبْـتغِ غـيـرَها، عند الأسَى، عَـضُـدا

آهَـاً ولـو لـم يـكـنْ خَـطْـبٌ ألـمّ بـنـا
مـا سطَّرتْهـا يدي في كـاغَـدٍ[١] أبدا

المرءُ مـجـتـهـدٌ والموتُ مـجـتـهـدٌ
أن ليس يَتـرُك فـوق الأرض مُـجْـتـهـدا

سـاوى الرضـيعُ به مَن شـاب مـفـرِقُـه
والعـبـدُ سـيّـدَه والثـعلبُ الأسـدا

قـد غـادر الفـضلَ بالأحـزان منفـرداً
من كـان بالفـضل دون الناس منفـردا

مـات البـيـانُ بموت «اليـازِجيّ» فـمن
لم يبكِ هذا بكى ذاك الذي فُـقِـدا

واللهِ مـا ولَدتْ «حـواءُ» أطهـرَ من
هذا الفـقـيـدِ فـؤاداً، لا ولن تلِدا!

ابن «الضـيـاء»[٢] الذي زانَ البـلادَ كـمـا
يُزيِّنُ البـدرُ في جُنح الدُّجى الجِلِدَا[٣]

---

(١) الورق.

(٢) اسم المجلة التي كان اليازجي يصدرها

(٣) جِلْد السماء أديمُها في سفر التكوين !

أين اليـــراعُ الذي قـــد كـــان يُطْرِبُنا

صَـــريرُه في أديمِ الطِّرْسِ مُنتـــقِـــدا

وأين أينَ ســـجـــاياهُ التـي حُـــسِـــدَتْ

من أجلِه، وكـــذا من أجلِهـــا حُـــسِـــدا

حقٌّ على العلم أن يَبكي عليـــه كـــمـــا

يبكي الشَّـــقـــيقُ أخـــاً والوالدُ الولَدا

أقـــســـمتُ مـــا اهتـــزَّ فـــوق الطِّرْسِ لي قلمُ

إلا جـــعلتُ له من مَـــدْمَـــعي مَـــدَدا

ولا اتَّخـــذتُ أخـــاً في الدهر يؤنسُني

بعـــدَ الخليلِ سِـــوى الحـــزنِ الذي وُجِـــدا

****

٣٤ - الخطبُ الفادح

[الكامل]

رثى بها المغفور له الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية[١]

هيهاتَ بَعدَكَ ما يُفيدُ تَصبُّرُ
ولئن أفادَ فأيُّ قلبٍ يَصبِرُ؟

إنَّ البكاء من الرجال مُذَمَّمٌ
إلا عليكَ فتَركُهُ لا يُشكَر

لو كان لي قلبٌ لقلتُ له ارْعَوِ
إنّي بلا قلبٍ فأنّى أُزجَر؟

لازَمتُ قبركَ والبكاءُ مُلازِمي
والليلُ داجٍ والكواكبُ سُهَّر

أبكي عليك بأدمعٍ هطّالةٍ
ولقد يقِلُّ لك النَّجيعُ[٢] الأحمر

ووددْتُ من شَجوي عليكَ وحَسْرتي
لو أنَّ لَحْدَكَ في فؤاديَ يُحْفَر

إني لأعجبُ كيف يعلوك الثَّرَى
أنّى ثوى تحت الرَّغامِ[٣] النَّيِّر

أمسيتَ مُستتِراً به لكنَّما
آثارُ جودِكَ فوقه لا تُسْتَر

مرِضَ الندى لما مرِضْتَ وكاد أن
يقضي من اليأس المُلمِّ المُعْسِر

---

(١) توفي في الإسكندرية سنة ١٩٠٥

(٢) الدم.

(٣) التراب.

يرجــوكَ أنّك أنت جــابرُ كــسْــرِهِ
فــإذا فُــقِــدْتَ فكَســرُه لا يُجــبَــر
وعلَتْ على تلك الوجــوه ســحــابةٌ
كــدْراءُ لا تصــفــو ولا تُســتَــمطَر
كم حــــاولوا كــتْمَ الأسى! لكنه
قــد كــان يخــترقُ الجــسومَ فــيَظهَــر
حَــامتْ حــواليكَ الجــمــوعُ كــأنما
تبــغــي وِقَــاءَ الشَّــرقِ مما يَحــذَر
الكلُّ يســأل: كــيف حــالُ إمــامِنا؟
مــاذا رأى حكمــاؤُنا؟ مــا أخْــبَــروا؟
والداءُ يقــوَى ثم يضــعُفُ تارةً
فكأنه يَبلو القلوبَ ويَســبُــر[1]
أوردْتَهُ عــذْباً فــأوْرَدَكَ الرَّدى
تبّتْ يداهُ فــذَنْبُــه لا يُغــفَــر
هيــهــاتَ مــا يَثني المنيــةَ جــحــفلٌ
عــمَّن تؤمُّ[1] ولا يُفــيــد العــسكر
رصَــدَ الردى أرواحَنا حــتى لقــد
كِــدنا نُعــزِّي المرءَ قــبل يُصــوَّر
نهــوى الحــيــاةَ كــأنما هي نِعــمــةٌ
وســوى الفــواجعِ حــبُّــهــا لا يُثــمــر
ونظنُّ ضِــحْكَ الدَّهرِ فــاتحــةَ الرِّضــا
والدهرُ يَهــزأُ بالأنام ويَســخَــر
أفــقَــيــدَ أرضِ النيلِ! أُقــسمُ لودرَى
بالخطبِ أوشكَ مــاؤُه يتَــسَــعَّــر

---

(١) يجسّ.

(٢) تقصد.

وضــعُــوكَ في بطْنِ التُّــرابِ ومــا عَــهِــدْ

تُ البــحْــرَ قــبلَكَ في الصَّــفـائحِ يُدْخَــر

ورأوْا جـــلالَـك في الـضَّـــريحِ فكلُّهمْ

يهـــوى ويَرجـــو لومكانَك يُقـــبَــــر!

لم تخلُ من أسفٍ عليك حُـــشـــاشـــةٌ

أبداً فـــيــخلو من دمــوعٍ مِــحــجَـــر

آبُوا[1] ومـــــا آبَ الـعَـــزاء إلـيـــهِمُ

والحُــــزن يُنظَم والمدامعُ تُنثَــــــر

والكلّ، كـــيـف يكون حـــالُ بـلادهم

من بعـــدِ مـــا مـــات الإمـــامُ، يُفكّر

لم يبلُنا هـذا الزمـــان بفـــقـــدِه

لو كـــان ممَّن بالـرَّزيةِ يَشـــعُـــر!

****

(١) رجعوا

٣٥ - فقيد الوطنية

[الطويل]

(رثى بها فقيد المنابر، الطيب الذكر، المغفور له مصطفى كامل)

بكيتُ ولكن بالدُّمـــوعِ السَّـــخـــينَةِ
ومــا نفِـدَتْ حــتى بكَيتُ بمُهـــجَــتي

على الكاملِ الأخـلاقِ والنَّدْبِ[1] مـصطفى
فــقــد كــان زَينَ العــقلِ زَينَ الفُــتُــوَّةِ

نَعـــــاهُ لنا الـنـاعي فكادت بنا الدُّنا
تَمـــيـــدَ لهَــولِ الخطْبِ، خطْبِ المروءة

وذابتْ قلوبُ العَـــالَـمـينَ تلهُـــفًـــا
وســالتْ دمــوعُ الحــزنِ من كلّ مُــقْلة

أجل قــد قــضى في مــصــرَ أعظمُ كــاتبٍ
فــخلّف في الأكــبــادِ أعظمَ حَــسْــرة

فـــتًى، وأبي، لو أنَّ في الناس مِـــثلَه
لهـــانَ علينا وَقْــعُ هــذي الرزيئَـــة

ولوكـــان يُفــدَى بالنفــوس من الرَّدى
جــــعلْنا فِــداهُ كلَّ نفسٍ أبيَّـــة

فــتًى مــات غضَّ العُــمــرِ لم يَعــرفِ الخَنَا
ولم ينطوِ في نفــسِـــه حُبُّ رِيبـــة

وقــد كـان مــقــدامــاً جــريئـاً، ولم يكـن
ليــبـغي الردى غــيـرُ النفـوس الجـريئـة

---

(١) الذي ينتدب في الشدائد.

وكـــان جـــواداً لا يَضِنُّ بحـــاجـــةٍ
لذلك أعطى روحَــــه للمنيّـــــة
ســلامٌ على مــصــر الأسِـيـفَـةِ بعدَهُ
فـقـد أودعتْ أمـالَهَـا جـوف حُـفْـرة
خطيب بلادِ النيل! مـــالَكَ ســاكِــتـــاً
وقـــد كنتَ تُلقي خُطبـــةً إثرَ خُطْبَـــة؟
تطاولتِ الأعناقُ حـــتى اشـــرأبَّتِ
فــهل أنت مُــسْــدِيهـــا ولو بعضَ لفْظَة؟
نَعمْ كنتَ، لولا الموتُ، فـــارِجَ كــرْبَهـــا
فـيـــا لَلردى من غـــاشمٍ مــتـــعنِّت!
تَفطَّرتِ الأكـــبـــادُ حــزناً كـــأنما
مماتُك ســـهمٌ حلَّ في كل مُـــهـــجـــة
ومـــا حـــزنتْ أمٌّ بفــقـــدِ وحـيــدِها
بأعظمَ من حـــزني عليكَ ولوعَـــتِي
تناديكَ مـــصـــرُ الآن: يا خـيــر راحلٍ
ويا خـــيــــر مَن يُرجَى لدفع المُلمَّـــة
عـــهـدتُك تأبى دعــوةً غـيــرَ دعــوتي
فــمـــا لك تأبَى (مــصطفى) كلَّ دعــوة؟
فَــقـــدْتُكَ ريّاناً فــيـــا طول لَهْــفَــتي
لقـد كنتَ سـيـفي في الخُطوب وَجُنَّتي[1]
أجلْ طالما دافـعتَ عن مـصـر مـثلمـا
يـدافـعُ عن مـأواهُ نَـحلُ الخليَّـــــة
فــأيقظتَــهـــا من رقــدةٍ بعـــد رقْـــدةٍ
وأنهـضْـتَــهـــا من كَـبْـوة تِلْو كَـبْـوة

(١) وقايتي.

وقَـــوَّيتَ في أبنائهـــا الحبَّ نحـــوَها

وكنتَ لـهــــا في ذاك أفـــضلَ قُـــدْوة

رفــعتَ «لواءَ»[1] الحقِّ فــوق ربوعِــهـــا

فــــضــمَّ إليــــه كلَّ ذي وطنيَّـــــة

لئن تكُ أترعتَ القلوبَ مـــحـــبّــــةً

فــإنك لم تُخلَقْ لغَـــيـــرِ المحَـــبَّـــة

فنمْ آمناً وفَّـــيتَ قـــومَكَ قِـــسْطَهم

فـــيـــا طالما نامـــوا وأنت بِيـــقْظَة!

ســيُــبـقِي لك التــاريخُ ذِكْــراً مُــخلَّداً

فـقـد كنتَ خـيـرَ الناس في خـيـرِ أمَّـة

عليك من الرحـــمن ألفُ تحـــيّـــةٍ

ومن أرض مـــصـــرٍ ألفُ ألفِ تحـــيـــة

****

---

(١) اسم الجريدة التي كان الحزب الوطني، بزعامته، يصدرها آنذاك.

٣٦ - كلُّ مَن عليها فان

[الطويل]

بعث بها إلى صديقه السيّد أفندي فهمي يعزيه وقد فُجع بموت والدته وكريمته وشقيقه، في أسبوع واحد.

فديناكِ لو أنَّ الرَّدى قَبِلَ الفِدا
بكلِّ نفيسٍ بالنفائسِ يُفتَدَى

أبَى الموتُ إلا أن ينالَكِ سهمُهُ
وألا يرى شمْلَ السَّخاءِ مُبدَّدا

فأقْدَمَ لا يبغِي سِواكِ، وكلَّما
درَى أنه يبغي عظيماً تشدَّدا

دهاكِ الرَّدى لكن على حين فجأةٍ
فتبَّت يداهُ غادرٌ صَرعَ النَّدى

دهاكِ ولم يُشفِقْ على الصِّبيَةِ الأُلى
تَركتِهِمُ يبكونَ مَثْنى ومَوْحدا

فُقِدْتِ وأوجَدتِ الأسَى في قلوبنا
أسًى كاد لولا الدمعُ أن يتَوقَّدا

بكيناكِ حتى كاد يبكي لنا الصَّفا[1]
وحتى بكتْ مما بكَينا له العِدا

وما كاد يَرقَا[2] الدمعُ حتى جَرى به
غدٌ عَنْدَماً[3] يا ليتَنا لم نرَ[4] غدا

---

(١) صفائح الحجر.
(٢) يجف.
(٣) نبات أحمر
(٤) تُشبع حركة الرّاء للضرورة.

قضَتْ طفلةٌ تحكي المَلاكَ طهارةً

وألحقَها الموتُ الزؤامُ بمن عَدا

لقد ظَعنَتْ تبغي لقَاكِ كأنما

ضَربتِ لها قبلَ التفرُّق موعدا!

كأنَّ لها نذْراً أرادتْ قضاءَه

كأنكِ أنتِ الصوتُ جاوبهُ الصَّدى

مشتْ في طريقٍ قد مشى فيه بعدها

فتاكِ الذي أعددتِ منه المهنَّدا

فتى طابَ أخلاقاً وطابَ محامِداً

وطاب فؤاداً مثلَما طاب مَحْتِدا

فتًى كان مثلَ الغصنِ في عنفوانِه

فللهِ ذاك الغصنُ كيف تأوّدا

تعوّد أن يلقاكِ في كلِّ بُكرةٍ

فكان قبيحاً تركُ ما قد تعوَّدا

فُجِعْنا به كالبدرِ عند تَمامَه

ولم نر بدْراً قبلَه الأرض وُسِّدَا

فلم يبقَ طرْفٌ لم يَسِلْ دمعُه دماً

ولم يبقَ قلبٌ في المَلا، ما تصعَّدا

كوارثُ لو نابتْ جبالاً شواهِقاً

لخرَّتْ لها تلك الشواهقُ سُجَّدا

ولو أنها في جلْمدٍ صار سائلاً

ولو أنها في سائلٍ صار جَلْمَدا

(أفهمي)، فإن الصبر أليَقُ بالفتى

ولا سيَّما من كان مثلَك (سيِّدا)

فكن قُدوةً للصابرين. فإنما

بمثلك في دفْع المُلمَّات يُقتدى

لعَمْرُكَ ما الأحزانُ تنفعُ ربَّها

فَيَجْمُل بالمحزونِ أن يتَجلَّدا

فما وُجِد الإنسانُ إلا ليُفْقَدا

وما فُقِدَ الإنسانُ إلا ليُوجَدا

وما أحدٌ تنجو من الموتِ نفسُه

ولو أنه فوقَ السِّمَاكَيْنِ أصْعَدا

فلا يَحزنِ الباكي ولا تَشمَتِ العِدا

فكل امرئٍ يا صاحِ غايتُه الرّدى

****

٣٧ - البدر الآفل

[الوافر]

بكى فيها شقيقه المغفور له طانيوس ظاهر أبي ماضي وقد مات شاباً[1]

أ بَعْدَكَ يَعرِفُ الصَّبر الحزينُ
وقد طاحتْ بمهجتِهِ المَنونُ!

رمتْكَ يدُ الزَّمان بشرٍّ سهمٍ
فلَّما أن قضِيتَ بكى الخَؤون

رماكَ وأنت حبَّةُ كلِّ قلبٍ
شريفٍ، فالقلوبُ له رنين

ولم يكُ للزمان عليكَ ثارٌ
ولم يكُ في خِلالِكَ ما يَشين

ولكنْ كنتَ ذا خُلُقٍ رَضِيٍ
على خَلْقٍ لغيرِكَ لا يكون

وكنتَ تُحيطُ عِلْماً بالخَفايا
وتمنعُ أن تُحيطَ بك الظُّنون

كأنك قد قتلتَ الدهر بحثاً
فعندكَ سرُّه الخافي مُبِين

حكَيتَ البدرَ في عمُرٍ ولكنْ
ذكاؤُكَ لا تكوِّنُه قُرون

عجيبٌ أن تعيش بنا الأماني
وأنّا للأمَاني نَستَكِين

---

(١) مات في الإسكندرية (عن عشرين عاماً) سنة ١٩٠٩، وكان أول إخوته الثلاثة الذين فقدَهم إيليا، واحداً إثر واحد.

ومـــــا أرواحُـنـا إلاّ أُسَـــــارَى

ومـــا أجــســـادُنا إلاّ ســـجـــون

ومــــا في الكون مـــثلُ الكون فـــانٍ

كــمــــا تَفنَى الديارُ، كـــذا القطِين

لقـــدْ عَلِقَـــتْكَ أســـبـــابُ المنايا

وفِـــيّـــاً لا يُخـــانُ ولا يَخـــون

أيـدري الـنـعشُ أيَّ فـــتًى يُواري

وهذا القـــبــرُ أيَّ فـــتًى يَصـــون

فـتًى جُـمِـعتْ ضُـروبُ الحُـسْنِ فـيـه

وكـــانت فـــيـــه للحُـــسْنى فنون

فـــبــــعضُ صـــفـــاتِه ليثٌ وبدْرٌ

وبـعـضُ خِــــلالـه شَـــــمَـمٌ ولِين

أمَـــاراتُ الشـــبـــابِ عليـــه تبـــدو

وفـي أثـوابِـه كــــــــــهـلٌ رزيـن

ألا لا يـشْـــــمتِ الأعـــــداءُ منّـا

فكلُّ فـــتًى بمصْـــرَعِـــه رَهـين

أيـا نورَ الـعـــيـــونِ بَعُـــدْتَ عنّا

ولـمّـــا تمتلئ منكَ الـعُـــيـــونُ

وعـــاجَلَكَ الحِـــمَـــامُ فلم تُوَدِّعْ

وَبِـنْـتَ فـلـم يـودِّعْكَ الـقَـــريـن

ومــــا عِـــفْتَ الوداعَ قِلى ولكنْ

أردتَ ولـــم يُـــرِدْ دهـــرٌ ضَـنـــين

فـــيـــا لَـهَـــفِي لأمِّكَ حينَ يَدْوي

نَعِـــيُّكَ بعــــدَ مــــا طال السُّكون

ولَـهْف شـــقـــيـــقِكَ النائي بعــيـــداً[1]

إذا مـــا جـــاءهُ الخـــبَـــرُ اليـــقين

سَـــتـــبكِيكَ الكواكبُ في الدَّياجي

كـــمـــا تبكيكَ في الرَّوضِ الغـــصـــون

ويبكي إخـــوةٌ قـــد غِـــبْتَ عنهُمْ

وأمٌّ ثـــاكـــلٌ وأبٌ حـــــــــــزيـــن

فـــمـــــا تَنْدى لنا أبَداً ضـلوعٌ

عليكَ، ومـــا تَجِفُّ لنا شـــؤون[2]

قـــد ازدانتْ بِكَ الفـــتـــيـــانُ طفـــلاً

كـــمـــا يـزدانُ بالتَّـــاجِ الجـــبين

ذَهَبْتَ بزينةِ الدنيـــا جـــمـــيـــعـــاً

فـــمـــا في الدَّهرِ بعـــدَك مـــا يَزِين

وكنتَ لنا الرجـــاءَ فـــلا رجـــاءٌ

وكنتَ لنا المُـــعينُ فـــلا مُـــعين

أبعـــــدَكَ، يا أخـي، أبغي عـــــزاءً

إذًا شُلَّتْ يســـــاري واليـــــمينُ؟

يـهـــــونُ الرُّزْءُ إلا عند مِـــــثْلي

بمثلِكَ، فـــهـــو رُزْءٌ لا يـهـــون

عليكَ تُقَطِّعُ الحَـــسَـــرَاتُ نفـــسي

وفـــيـكَ أطاعني الدَّمـعُ الحـــرون

فـــملءُ جـــوانحي حـــزنٌ مـــذيبٌ

وملءُ مَـــحَـــاجِـــري دَمْعٌ ســـخين

ومـــا أبقى المصـــابُ على فـــؤادي

فـــــأزعـمُ أنّـه دامٍ طَـعِـين

---

(١) يقصد أخاه الأكبر مراد في أمريكة، وقد سبقهم جميعاً إليها

(٢) العروق التي تدرّ الدمع في العين.

يذودُ الدمعُ عن عيْني كَرَاهاً

وتأبى أن تقارِفه الجُفون

لقد طالَ السُّهادُ وطالَ ليلي

فلا أدري الرُّقادُ متى يكون

كأنَّ الصُّبحَ قد لبِس الدَّياجي

عليك أسى لذلك ما يَبِين

جزاكَ اللهُ عنّا كلَّ خيْرٍ

وجادَ ضريحَكَ الغيثُ الهَتُون

****

٣٨ - أنا والنجم

[السريع]

مِثلي هذا النجمُ في سُهدِهِ
ومِثلُهُ المحبوبُ في بُعدِهِ

يختالُ في عُرْضِ السَّما تائهاً
كأنما يختالُ في بُرْدِهِ

إن شئتَ فهو الملْكُ في عَرْشِهِ
أوشِئْتَ فهْوَ الطِّفلُ في مهدِهِ

يَرمُقُني شذْرَاً كأني بهِ
يَحْسبُني أطمعُ في مجدِهِ

يسعى ولا يسعى إلى غايةٍ
كَمَن يرى الغايةَ في جِدّه

كأنما يبحثُ عن ضائعٍ
لا يستطيعُ الصَّبر من بَعْدِه

طال سُرَاهُ وهْوَ في حَيْرةٍ
كأنه المحزونُ في وجْده

في جُنحِ ليلٍ حَالكٍ فَاحِمٍ
كأن حَظْي قُدَّ من جِلده

لا يحسِدُ الأعمى به مُبصِراً
كلاهما قد ضلّ عن قَصْدِه

ساورَني الهمُّ وساورتُه
ما أعجزَ الإنسانَ عن ردّه!

مـــــا أعـــــجب الدّهـرَ وأطوارَه

فـي عَين مَن يُمْـــعِنُ في نَقْـــدِهِ!

جـــرّبتُـــهُ دهراً فـــمـــا راقني

مِـن هــزْلِه شــيءُ ولا جـِــــــدّه

أكـــــبَــــرَ مـنـي أنـنـي زاهـدٌ

مـــــــا زَهِـدَ الـزاهـدُ فـي زُهـده

أكـــبــــرَ مني ذا وأكـــبـــرتُ أن

يَـطـمـعَ، أن أطـمـعَ فـي رفْــــــدِه

وعـــــدّني أعـــجـــوبةً في الـورى

مُـــذْ رحتُ لا أعــجبُ من حِـــقـــدِه

يـا رُبَّ خِـلٍّ كـــــان دونـي نُـهًـى

عــجـبْتُ من نَحْــسي ومن سَــعْــدِه

وعــــائشٍ يخطُر فـــوق الثَّـــرَى

أفـــضلُ منه الميْتُ في لحَـــده

أصـــبح يَجني الوردَ من شـــوكِـــهِ

وبِتُّ أجـنِـي الشَّـــوكَ مـن ورده

أكـــذبُ إن صـــدّقـــتُـــه بعـــدمـــا

عـــرفتُ منه الكِذْبَ في وعْــــدِه

لا أشــــتكي الضُّـــرّ إذا مَـــسَّني

مـنــه، ولا أطـربُ مـن رَغْـــــــده

أعلمُ أنّ البـــؤس مُـــسْـــتَنفَــدٌ

والرَّغْــدَ، مـــا لابدّ من فـــقْـــدِه

إذا الليـــالي قَـــرّبتْ نازحـــاً

وكنتُ مـــشـــتـــاقًـــا إلى شـــهـــدِه

أملِكُ عنه النفس في قُربِهِ

خوفاً من الوَحشَةِ في صَدّه

وأنْ أرى الحُزنَ على فائتٍ

أضرَّ بِي الحُزنُ ولم يُجْدِهِ

****

٣٩ - في سبيل الإصلاح

[الكامل]

حَــيَّـــا الـصَّـــبَـــا عني رُبا لـبنانِ
حـــيثُ الـهـــوى ومـــراتـعُ الـغِـــزلانِ

ورعَى المهـــيـــمنُ ســـاكنيـــه فـــإنهمْ
في خَـــيْـــرِ أرض، خـــيـــرةُ السّكان

قـــومٌ صَـــفَتْ أخـــلاقُـــهُمْ ووجـــوهُهُمْ
فـــالحُـــسنُ مـــجـــمـــوعٌ إلى الإحـــسَـــان

لـهمُ الأيـادي الـبـــيـضُ والشِّـــيَـمُ التي
لومُـــثِّلتْ كـــانت عُـــقـــودَ جُـــمَـــان[١]

شِـــيَمُ الكرامِ قـــصـــائدٌ في الكون غُـــرْ
رٌ، وهْي في شـــيـم الكرام مَـــعـــان

قـــــومٌ إذا زار الـغــــريـبُ بـلادَهُـمْ
جـــــعـلوهُ مـنـهـمْ فـي أجـلِّ مـكـان

إن خِـــفتَ شـــرَّ طوارقِ الحِـــدْثان فَـــاقْـ
صِـــدْهُمْ تَخَـــفْكَ طوارقُ الحِـــدْثان

لـو أنّ في كـــيـــوانَ[٢] دارُ إقـــامـــتي
لـهـــجـــرتُ كِـــيـــواناً إلى لبنان

قـــيَّـــدتُ قلبي في هـواهُ فلم أعـــدْ
أهـوى الـسِّـــوى إذ ليس لي قـلبـــان

والحبُّ يجـمُلُ في الشـبـيـبـةِ والصِّـبـا
كـــجـــمـــالِ زهـرِ الروضِ في نَيْـســـان

---

(١) الجمان: اللؤلؤ
(٢) المريخ

هو جنّةُ الخُلْدِ التي مُنِّي بها
رُسلُ الهدَى قِدْماً بني الإنسان
خلَتِ الدهورُ ولا يزال كأنما
بالأمسِ شادتْهُ يدُ الرحمن
يا ساكنيه تحيّةً من نازحٍ
إنَّ التحيّةَ لَهْيَ جُهدُ العَاني[1]
أصبحتمُ فوق الممالكِ رفعةً
لولا وجودُ معَاشرِ (الغِربان)[2]
قومٌ قَدِ اتخَذوا الدِّيانةَ بينكمْ
شرَكاً لِصيدِ الأصفَرِ الرَّنان
فتظاهروا بالزهدِ حتى أوشكتْ
تَخفى دخائلُهُمْ على اليقظان
وتفنَّنوا بالمكرِ حتى أصبحوا
وغبيُّهمْ أدهى من الشيطان
ضربوا على الشعب الرسومَ شراهةً
حَسْبُ التعيسِ ضرائبُ السلطان
كفروا بنعمتِه التي أسداهمُ
ورمَوْه بالإلحادِ والكُفْران
ولقد تفانَوا في انتهاكِ حقوقِه
وهو المُحبُّ رضاهُمُ، المُتَفَاني
حتى حَسِبنا أنه ينحطُّ عن
كَسَلٍ، ولم يكُ قطُّ بالكَسلان
لكنه يسعى ويذهبُ سعيُهُ
للقَس والشمّاسِ والمَطران

---

(١) المتعب
(٢) يقصد رجال الدين.

لولا احـتــرامي مـذهبـاً عُــرِفــوا بـهِ
لَكَشَــفْتُ مَــســتُــوراتِهمْ ببَــيَــان
فـــتنبـــهُـــوا إن كنتمُ في غَـــفلةٍ
فـــالدهـرُ بالمِرصـــادِ للـغـــفْــلان
إن الأبالس حين أعَـــيــا أمـــرُكُمْ
جـــاءتكُمُ في صـــورة الرُّهبـــان
فـــحَـــذارِ من أن تُخْـــدَعُـــوا بلبَـــاسِـــهمْ
فـــهُمُ الضـــواري في لبـــاسِ الضّـــان
مَن يتْـبعِ العِــمـيــانَ حُــبـاً بالهُــدى
لا يـأمـنـنَّ تـعـــثُّـــر العـــمْـــيَـــان

فجعل قوماً يلومونه على ذلك فقال

إنْ كـــان لـي ذنْبٌ وَهُمْ غُـــفـــرانُهُ
آثـرتُ أن أبـقـى بـلا غُـــــفْــــــرانِ
أو كنتُ في النِّيـــرانِ حــيثُ لديهِمُ
منهـــا النجـــاةُ، رضــيتُ بالنِّيــران
أشـــهى إلى نفـــسي من الذلّ الرَّدى
لا يـرتضـي بـالذلِّ غَـــيــرُ جَـــبـــان

****

٤٠ ـ الحريّة

[الخفيف]

فَتَنَتْهُ محاسنُ الحريّهْ
لا سُليمى ولا جمالُ سُميّهْ
هي أمنيّةُ الجميع ولكن
قلَّ من نال هذه الأمنيَّهْ
ليس هذا الإنسان عبداً ولكن
أرهقتْه الطبيعةُ البشريه
وعجيبٌ أن يُخلقَ المرءُ حرّاً
ثم يأبى لنفسِه الحريّه
غادةٌ ما عرَفتُ قلباً خليّاً
مِن هواها، حتى القلوب الخَليَّه
غرسَتْ في فؤاده الحبّ طفلاً
فنما الحبُّ والفؤادُ سَويّه
ثمّ لمّا فشَا الغرامُ وذاعتْ
عنهما في الورى أمورٌ خفيّه
حجبُوها عساه يسلو ولكنْ
كان قيساً وكانت العامريّه
بات يشكو النوى الشقيَّ وتشكو
مانعيها من أن تراه الشّقيّه
مُستَهَامٌ قضى زماناً طويلاً
في عناءٍ من القيود القويّه

وعليــــه من الـزمـــــان رقـــــيبٌ

عـــاشقٌ لـلســـيـــادة الـوهْـمــــيَّـــــه

ولـكـلٍّ مـطـامِـعُ وأمـــــــــــــانٍ

يبـــذُل الـنفس دونَـهـــا لـلمنيّــــــه

ويـراهَـا لـديـه أشـــــــرف شـــيءٍ

وهْـي أدنـى مـن الأمـــــور الـدنـيّــــــه

زعـــمـــوا أنّه الـمَـليكُ المفـــدّى

بـالـرعـــايا، من شّـــرِّ كلّ بلـيّـــــه

إنما تـفــتـــدي الرعـــيّــــةُ مَلْكاً

باذلاً نفـــسَــــه فِــدى لـلـرعـــيّــــه

ظَلَمَ الـقـــومَ من توهـّمَــــهُ الـقــــو

مُ نصـيـــراً لـلأمّـــة (الـروســـيـــه)

وإذا أَحـــرجَ الـضــــعـــاف قـــويٌّ

نَسِـيتْ ضَـعـفَـهـا الـنفـوسُ الأبيّــه!

****

٤١ ـ تحية الدستور العثماني

[الطويل]

إلى حـــيثُ ألقتْ[١] يا زمـــانَ الـمَظالمِ
ولا عُـدْتَ يا عـــهـدَ الشَّــقـا المتـقــادمِ

ذهبتَ فـــلا باكٍ وأنّى بكى العَـــمى
كــفـــيفٌ رأى الأضــواءَ مِلءَ العـــوالِمِ

ومـــا عـــجبٌ أن ليس في القـــوم نادبٌ
ولكنْ عـــجــيبٌ أن أرى غـــيــرَ باسم

نزلتَ على الشـــرقيّ فـــانحطّ شـــأنُهُ
وقـد كــان غضَّ الفـــخــر، غضّ المكارم

فــفــرّقتَ حــتى ليس غــيــرَ مُــفــرِّقٍ
وخـاصـمْتَ حـتى ليس غـيـرَ التـخـاصُم

أقـــــمتَ فـــــخـلّـى أهلَـه وبلادَهُ
إلى كلّ فجٍّ من خــصـــيبٍ وقـــاحم[٢]

نأى كــاظِمـــاً للغـيظ خـوف شـمـــاتةٍ
ولم يطلُبِ الإنصـــاف خِـيــفـــةَ لائم

ولوشـــاء لم يختَـرْ سِوى الشرِّ مـركـبـاً
فـقـد كـانت الأحـقــادُ ملءَ الحَـيـازم[٣]

صــحـــبناك لا خـوفـاً ثلاثينَ حُـجّـةً[٤]
ولكنهـــا الدنيـــا وضـــعفُ العـــزائم

---

(١) أصبح مثلاً بالدعوة إلى الهلاك.

(٢) قاحل.

(٣) الحيزوم. وسط الصدر

(٤) المدة التي قضاها السلطان عبدالحميد الثاني في الحكم.

ومـا ذاك عن حبٍّ فـمـا فـيك شـيـمـةٌ
تُـحَبّ، ولـسنـا مـن غُـواةِ المـآثـم
فكنتَ وكـان الجـهـلُ أحـسنَ خَلَّةٍ
لنـا، ونجـاةُ الحـقّ إحـدى الـغنـائم
وكنتَ ومـا فـينا فـتى غـيـرُ ناقمٍ
عليك، ولا ذو سلطةٍ غـيـرُ غـاشم
ثلاثـون عـامـاً والنـوائبُ فـوقَـنا
مـخـيِّـمـةٌ مـثل الغُـيـومِ القَـواتم
فـلا العِلْمُ مَـرمـوقٌ، ولا الحقّ نافـذٌ
ولا حُـرمـةٌ تُرعى لغـيـرِ الدراهم
ومـا ثَمّ غـيـرُ البَـغيِ والظلمِ والأذى
فـقُبِّحتَ من عصرٍ كثيرِ السَّخائم[1]
فـأغـرُبْ، شـقـيتَ الدهر غـيـرَ مـودّعٍ
من القـوم إلا بـالظُّبى والصَّـوارم
فَـواللهِ مـا ترضَى قـيـودَك أمّـةٌ
من الناس إلا أصـبـحتْ في البَـهـائم
ويا أيهـا الدسـتـورُ أهلاً ومـرحـبـاً
«على الطائر الميـمـون يا خـيـرَ قـادم»[2]
طلعتَ علينا كـوكـبـاً غـيـر آفلٍ
على حين أنّ الشّـرقَ مُـقـلةُ هـائم
فـقـرَّتْ عـيـونٌ قـبلُ كـانت حـسـيـرةً
وجـادتْ سـروراً بالدمـوعِ السَّـواجِم
وضجّ الورى في الشـرق والغـرب ضـجّـةً
أفـاق لهـا، مُـسـتـيـقِظاً، كلُّ نائم

(١) الأحقاد (المفرد. سخيمة).
(٢) من شعر البهاء زهير

أهبتَ فـــفـــرَّ الظلمُ في الأرض هارباً
ونَكَّس خِـــزياً رأسَـــــه كلُّ ظالم

وفـاضتْ على ثغرِ الحـزين ابتـسـامـةٌ
تُخـــبِّـــرُ أن الحــــزنَ ليس بدائم

وأُطلقَتِ الأقــلامُ بعــد اعــتـقَــالـهـا
فـأسْـمَـعَتِ الأكـوانَ سـجْعَ الحَـمَـائم

ولـم يبـقَ عـــــانٍ[1] لم يُفَكَّ إســـــارُهُ
ولـم يبـقَ جـــانٍ لم يَـفُـــزْ بـالمراحم

وكنـا نـرى الأحــــزانَ ضَـــربـةَ لازبٍ
فــصِـرنا نرى الأفــراحَ ضــرْبَةَ لازم

تـوهَّـمَ قـــــومٌ أنما الـشـــــرقُ واهـمٌ
وأنك يا دســتــورُ أضــغــاثُ حــالم

ورجَّـمَ قـــومٌ أنما تلك خُـــدعَـــــةٌ
فَـــعُــــذنا بربِّ الناس من كلِّ راجم

تجلَّيتَ فـاسْـودتْ وجـوهٌ وأسـفـرتْ
وجــوهٌ، وأمــسى غــانماً كلُّ غَــارِم

ومـا عـدتَ حتى كـاد يَشـتـجـرُ القنا
لأجلكَ والخَطِّيُّ[2] أعــــدلُ حـــاكم

وأوشك أن يهـــتـــزَّ في كل ســـاعـــدٍ
لكلِّ أبـيٍّ، كلُّ ســــيفٍ وصـــــارم

أبـى الجــــيشُ إلا أن تكونَ مــــؤيَّداً
وتأبى سِـوى تأييـدِ جـيشٍ مُـسَـالم

فَــبـــورِكـــتُـــمــا من ســاعــدٍ ومُــهنَّدٍ
برغم خَـــؤونٍ مـــارقٍ مُـــتــشـــائم

(١) الأسير (السجين).
(٢) الرمح.

ولا برِحَ الأحـــرارُ يَشـــدو بذكـــرهـمْ
بنو الشرق، فخراً، في القُرى والعواصم
رجـــالٌ لـهـم ذكـــرُ الـرجـــالِ وإنما
جـسـومـهمُ فـيـهـا نفـوسُ ضَـراغم
هـمُ قَـــيَّـدُونا بالعـــوارفِ[1] والنَّدَى
وهُمْ أطلقـونا من عِـقَـالِ المغَـارم
فلم يبقَ فـينا حـاكمُ غـيـرُ عـادلٍ
ولـم يبقَ فـينا عـادلٌ غـيـرُ حـاكم

****

(١) العارفة: المكرمة.

٤٢ ـ عبد الحميد بعد إعلان الدستور

[الطويل]

أبا الشَّــعبِ! اطلعْ من حــجــابِكَ يلتقِ
بطرْفك مــثلُ العــارضِ[١] الـمُــتَــدفِّقِ

جـمـاهيـرُ لا يُحْـصـي اليـراعُ عـديدَها
هـــي الــرَّمــلُ إلا أنّــه لــم يُــنــسَّــق

هو الشـعبُ قـد وافـاكَ كـالبـحـر زاخـراً
وكـــالجـيشِ يقــفــو فـيلقٌ إثرَ فَــيلَق

تَطلَّعْ تجـدْه حــول قــصــرِكَ واقــفـــاً
يـحـــــدِّقُ تحـــــديقَ المحبِّ الموفَّق

لقــد ألبَــســتْــهُ الأرضُ حَلْيَــاً كــأنّه
أياديكَ فـــيــــــه لم تـزلْ ذاتَ رونَـق

وألقتْ عليـــه الشـــمسُ نظرةَ عـــاشقٍ
غـــيــورٍ تلقَّـــاها بنظْرةِ مُــشــفق

يــهَشُّ لمـرآكَ الـوسِــــــــيمِ وإنمـا
يـهشُّ لمرأى الكوكبِ الـمُـــتَــــألِّق

ويعـــشقُ منك البـــأس والحِلمَ والنَّدى
كـــذلك من ينظرْ إلى الحُــسْن يَعــشَق

يكاد به يرقَى إليك اشـــتـــيـــاقُــــهُ
فـيـا عـجـبـاً: بحـرٌ إلى البـدر يرتَقِي!

تفـــرَّقَ عنك المفـــســـدون وطالما
رموا[٢] الشعبَ بالتفـريق خوف التـفرّق

---

(١) السحاب المطر.

(٢) تُقرأ بضم الميم للضرورة.

وكم أقلقــوا فـي الأرض ثم تـراجــعــوا
يقــولون: شــعبٌ مــقلِقٌ أيُّ مــقلِق

وكم زوّروا عـنـه الأراجــيـف وادّعَــوْا
وأيَّـدكـم ذيّـاكُـمُ الـزاهـدُ الـتَّــــــقِـي

لمن يرفـعُ الشّكوى وقــد وقــفــوا لـه
على البــاب بالمرصَــادِ، فـاســألْه يَنْطِق

وأمّــا ولا واشٍ ولا مــتــجــسِّسٌ
فـقـد جـاء يسـعى سـعي جـذْلانَ شـيّق

يـطـارِحُـك الحـبَّ الـذي أنـت أهـلُـه
وحــســبُكَ منه الحبُّ غــيــرَ مــزوّق

فــهــا جــيــشُكَ الطّامي يضجّ مكبِّـراً
بما نـال من عــــهـــدٍ لديك ومَــوْثِق

يُطأطئُ إجــلالاً لشــخــصِكَ أرْؤسـاً
يطأطئ إجــلالاً لـهــا كلُّ مــفْــرِقِ

لُهَــامٍ(١) مــتى تُنذِرْ به الدّهرَ يَصَّــعِقْ
وإن يتــعــرضْ للحــوادثِ تَفْــرَق

يفــاخــرُ بالسِّلم الجــيــوشَ، وإنّه
لأَضــربُها بالسَّــيفِ في كلّ مــأزق

وأشــجــعُــهــا قلبــاً وأكــرمُــهــا يداً
إذا قــال لم يتــركْ مــجــالاً لأحــمق

ألا أيهــا الجــيشُ العظيمُ ترفُّــقــاً
ملكتَ قلوبَ الناس بالعُــرْفِ(٢) فَــارْفُق

ويا أيّـهــا الـمَلْكُ المقــيمُ (بيلدز)(٣)
أرى كلَّ قلبٍ سُــــدّةً(٤) لك فـــارْتَق

---

(١) كثير العدد.
(٢) بالمعروف.
(٣) قصر يلدز: قصر النجم.
(٤) عرش.

ألا حــبّــذا الأجنادُ غَــوثاً لخــائفٍ
ويا حــبّــذا الأحــرارُ وِرْداً لِمُــسْــتَقِ

ويا حــبّــذا عــيــدُ الجلوس فــإنه
أجلُّ الذي ولّى وأجــمــلُ مــا بقي

****

٤٣ ـ الذئاب الخاطفة

[الكامل]

ما بالُهمْ نقضوا العهودَ جِهَارا
وتَعمّدوا الإيذاءَ والإضْرَارا

واستأسَدُوا لمّا رأوا ليْثَ الشَّرَى
عاف الزئيرَ وقلَّمَ الأظفارا

داروا به والشرُّ في أحداقِهمْ
ذا يدّعي حقًّا، وذلك ثارا

لُؤمٌ لَعَمرُ أبيكَ لم يَرَ مثلَه التْـ
ـتَاريخُ منذُ اسْتقرَأَ الأخبارا

وخيانةٌ ما جاءها القوم الأُلَى
تَخِذوا مع الوحشِ القِفارَ ديارا

أمسَى يحرّضُ (عاهلَ الألمان) مَن
أمسى يحرضُ في الخَفا (البُلْغارا)

أَمَعَاشرَ الإفرنجِ ليس شهامةً
ما تفعلون، إذا أمِنْتُمْ عارا

أمِنَ المروءةِ أن يُساءَ جِوارُنا
في حينِ أنّا لا نُسيء جوارا

أمِنَ المروءةِ أن يطأطِئ تاجَهُ
مَلِكٌ ليَملِكَ في الثَّرى أشْبارا؟

البَغْيُ مرتَعُهُ وخيمٌ فاعلموا
والظلمُ يُعْقِبُ للظَّلومِ دمَارا

إن تُخْرِجوا الرئبالَ في عِرِّيسهِ[1]
يذرِ السكوتَ ويركبِ الأخطارا
وكما علِمتمْ ذلكَ الجيش الذي
دكَّ العروش ودوّخَ الأقطارا
جيشٌ يهزّ الراسياتِ إذا انتحَى
الهَيجَا ، وهزَّ الصَّارمَ البتَّارا
وكمَا علِمتمْ ذلك الشعب الذي
يأبى ويأنَفُ أن يُرى خوّارا
فالويلُ للدنيا إذا نفض الكرى،
والويلُ للأيام إمّا ثارا
إني أرى ليلاً يخيّمُ فوقَنا
لا ينجلي حتى نُشِبَّ النَّارا
فحذارِ ثم حذارِ من يومٍ به
يجري النَّجيعُ على الثَّرى أنهارا
يومٍ تباعُ به النفوسُ رخيصةً
يوم يقصّرُ هولُه الأعمارا
يومٍ يكون به الجميعُ عساكراً
والكلّ يدخل في الوغَى مُختارا

****

---

(١) عرينه أو غابته.

٤٤ ـ مريض بالغرور

[الكامل]

وقال ينقد أحدهم

لـمّـا سكتُّ حَـسِـبتَ أنّك ناجِ
هيهاتِ، إني كـالمنون أُفـاجي

تالله تطمعُ بالسلامـةِ بعـد مـا
ألقـاك جـهلُك في يدِ الأمـواج

إنْ كـان داخلَكَ الغـرورُ فـإنـه
مـا انفكّ في البُسطاءِ والسُّذّاج

إني أنا الأسـدُ الهصـورُ بسـالةً
ويلٌ لقـومٍ حـاولوا إحْـراجي

حـاولتَ أن تهـتـاجَني عن مَـرْبِضي
لتنال ذِكْـراً، خِـبتَ يا ذا الراجي

عـارٌ إذا أنشـبتُ فـيك مـخَـالبي
إذ ليس من خُلُقي افـتـراسُ نِعَـاج

وظننتَ أنكَ بـالـغٌ شـأْوي إذا
رُمتَ القَـريض فـمـا ظَفِـرتَ بحَـاج[1]

إنّ القـوافيْ كـالخـرائدِ[2] مِنْعـةً
وتَفـوقُـهـا في نبْـذِ كل مُـدَاج

والشِّـعـرُ تاجٌ لوعلمتَ ولم تكن
مِـمَّن يَليقُ بحـملِ هذا التَّـاج

---

(١) حاجة أو رغبة.

(٢) الخريدة: اللؤلؤة قبل أن تُثقب.

خـذها مـثـقـفـةً إذا وقـعتْ على

جـبلٍ لأُزعـجَ أيَّمَـا إزعـاج

أنا خـيـرُ من قـال القـوافي، مـادحـاً

أنا خـيـرُ من قـال القـوافيَ، هاجي

قـد كنتُ أزهدُ في الهِـجَـا لو لم يكنْ

لك يا مـريض العُـجْبِ خـيـرُ عـلاج

****

٤٥ـ عفو بغير مقدرة

وقال فيه أيضاً

[البسيط]

سكتُّ خوفاً، وقلت: الصفحُ من خُلُقي!
ونمت جُبْنًا، وقلت الحلمُ من شيمي!

وإنما أنت والأقوامُ قد علموا
لولا خُمولُك لم تسكتْ ولم تنَم

لم تمتَنعْ أنْفةً[1] لكن قد امتنعتْ
عليك أشباهُ ما قد صاغَهُ قلَمي

حاولت وِجدان عيبٍ لي فكنت كَمَنْ
يحاول الماءَ في البركان ذي الضَّرم

فقلت للقوم ـ في ما قلت ـ تخدعُهُمْ:
لقد هجاني وبعضُ الهجْو كالوصم

الذمّ عارٌ ولكنْ ذمُّ ذي كَرمٍ،
والحمدُ لله لم نذمُمْ أخَا كرم

سأحبِسنَّ[2] لساني عنك، عن شَممٍ،
وحرمةً لأُهَيل الوُدّ والذِّمم

قومٌ لَعمرُ أبي، لو كان سفْكُ دمي
– ولا مغالاةَ – يُرضيهمْ، سفكتُ دمي

إني أجِلّهمُ عن أن يُغيِّرهم
كلام ذي حسدٍ أوقولُ متَّهم

---

(١) يريد: أنَفَة، وسكّن للضرورة.

(٢) جاء بها في موضع: (لأحبسنّ).

مـا الـعـجـزُ أقـعـدني لـمـا كـفـفـتُ يـدي،

لـكنْ لأجـلـهمُ نـهْـنـهتُ[1] مِن كَـلـمي

ولـو أشـاءُ ملأتُ الأرض قـاطـبـةً

قـوافـيـاً، والـفـضـاءَ الـرحب بـالحـكَم

ولـستُ أعـجبُ إن لم تـشـتك ألـمـاً

إنَّ الجـمـاداتِ لا تـشـكـو من الألم

****

(١) نهنهه: كفّه.

٤٦ ـ فتنة ١٣ أبريل[١]

[المديد]

بــورك الــصــمْــصــامُ من حــكَمِ
بــين مــحــكُــومٍ ومــحــتــكمِ

إنَّــنــي بِــعــتُ الــيــراعَ به
لا أبــيــعُ الــسَّــيف بــالــقــلم

صــاحِ إن الــعــزَّ ممــتــنِعٌ
نــيْــلُــه إلا عــلــى الخَــذِم[٢]

إنمــا الــضــرغَــامُ ســوَّدَهُ
نــابُهُ المــرهــوبُ في الــبــهم

لــو يُــســمّى الــســيفُ ثــانــيــةً
بــات يُــدعى: مُــنــقــذَ الأمم

فَــلَــهُ في الــغــرب مــأثَــرةٌ
مــثــلُــهــا في الــتُّــرك والــعــجم

ضــيف (ســالــونــيكَ)[٣] مــا لكَ في
ســجــنــهــا ضــيْفٌ ســوى الــسَّــأم

ذاك ضــيــفٌ غَــيــرُ مُــحــتــشِمٍ
إنْ تحــاولْ طــرده يُــقــم

قــد خــلــتْ (يــلــديــز)[٤] مــنك ومــا
ذكــرُهــا يُــخــلــيك من ألــم

---

(١) خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولية السلطان رشاد (باسم محمد الخامس) سنة ١٩٠٩

(٢) سرعة القطع. يريد السيوف.

(٣) السلطان عبد الحميد وقد نزل سجيناً بسالونيك بعد خلعه.

(٤) قصره في استانبول.

زُلت عـــنــهـــا وهْـي بـــاقـــيـــةُ

عـــظـــةً لــلـــخَـــلْقِ كـــلِّـــهِم

إن تـــكنْ تـــبـــغِي الـــرجـــوع لـــهـــا

ذاك مـــقـــضـيٌّ لـــدى الحُـــلُم

مـــرتـعُ الـــغـــيـــد الأوانس بل

مـــربَعُ الـــواشـــين والـــتُّـــهم

خـــبـــريـــنـــا إن فـــيكِ لـــنـــا

حـــكـــمـــةً تـــعـــلـــو عـــلى الحـــكَم

خـــبـــريِـــنـــا كـــيف عـــاقـــبـــةُ الـ

ـــبـــغـيِ: هل كـــانت ســـوى نـــدم؟

جُـــرت يـــا عـــبـــد الحـــمـــيـــد بـــنـــا

غَـــيـــر أن الجـــور لـم يـــدُمِ

كـــنت كـــالأيـــامِ مـــا قـــصـــدتْ

بـــالـــرزايـــا غـــيـــر ذي شـــمـم

ظَـــلْت تَـــقـــري[1] الحـــوت من جُـــثَثٍ

أوشـــكَتْ تُـــبـــلـــيه بـــالـــتُّـــخَم[2]

نـــعمٌ لـــلـــبـــحـــر.. تـــطـــرحُـــهـــا

يـــا لـــهـــا في الـــبـــر من نـــقَم

وَلَـــكَمْ حـــلَّـــلْت من حُـــرمٍ

ولـــكَمْ أفـــســـدت من ذمـم

لم تـــراعِ قـطُّ ذا صـــلـــة

لا ولم تُـــشـــفق عـــلى رحـم

راعكَ الـــدســـتـــور مـــنـــتـــصـــراً

فَـــأثَـــرْت الجُـــنـــد (بـــالـــعـــمم)[3]

---

(١) تطعم (من. القِرى).

(٢) قيل عن السلطان عبد الحميد: إنه كان يأمر بإلقاء خصومه السياسيين في خليج البسفور المطل عليه قصره طعاماً لحيتانه التي أعدت لهذا الغرض؛ والمدافعون عنه يقولون. إنه ألقى فيه رجلاً واحداً اغتصب ابنته، فكبُر عليه إثمه.

(٣) أصحاب العمائم.

كـــاد يــــلــــقَى مـــنك مــــصــــرعَهُ
وهْـــــو لـم يـــــبــــلُغْ إلى الحُـــــلُم
ربَّ لــــــيــلٍ بتَّ تَـــــرقْــــــبُهُ
رِقْــبــةَ الــســرحــانِ[1] لـــلــغَــنم
ونــــــهــــــارٍ كـــــدْت فـــــيه له
غـــيـــر خـــاشٍ كـــيْـــد مـــنـــتـــقم
أحـــســـبت الـــقـــوم قـــد غَـــفَـــلــوا
ونـــسُـــوا مـــا كـــان في الـــقـــدم
أم ظــــنـــنت الـــشـــعب حنَّ إلى
إمْـــرَةِ الخــــصْـــيـــانِ والخــــدم
أم حـــســـبت الجـــيش مـــبـــتـــعـــداً
وهــــــو أدنى من يـــــــدٍ لِــــــفَم
لم يُـــطقْ صـــبـــراً عـــلى مـــضضٍ
فـــأتى يـــســـعى عـــلى قـــدم
عـــــلَمٌ من خــــلــــفه عــــلَمُ
وكَـــميٌّ [2] يـــقـــتـــفـــيه كَـــمي
حـــاطَ «يـــلـــديـــزا» فـــكـــان لـــهـــا
كَــــســــوارٍ غـــيـــرِ مـــنـــفـــصـــم
ورأتْ عـــيـــنـــاك غـــضـــبـــتَهُ
فــــبـــكـــتْ خـــوف الـــرَّدى بـــدم
ثلَّ مـــنك الـــتـــاج مـــهـــتـــضـــمـــاً
من يُـــعـــاد الـــشَّـــعب يُـــهـــتَـــضم[3]

---

(١) الذئب.
(٢) شجاع.
(٣) يُخذل وينكسر

بتَّ لا جيشٌ ولا علَمُ

يا صريع الجيشِ والعلَم

وفَشا ما كنت تُضْمرُه

فعرفنا ناقض القَسم

كنت مسلوب الكَرى حذِراً

ولقد أُعطيتَه فَنَم!

ودعِ الدُّنيا وبهجتَها

ما أرى الحسناءَ للهرِم!

لست من طرسِي ولا قلَمي

إنْ كَبا في حلْبة قلمي

قل لمن راموا مُساجلَتي

ليس غيري تاجرُ الكَلِم

✡✡✡✡✡

يا رشاد المُلْك(١) تهنئةً

بالذي أوتيت من نعم

إن تكن ذاك السَّجينُ فيا

ربَّ عانٍ(٢) غير مُجتَرم

أنت كالصدّيق(٣) أسكنَهُ

فضلُه في السجن من قدم

كن لهذا الشعب «يوسُفَهُ»

ينجُ من عُدْمٍ ومن عدم

لست ترضى أن يقال: كَبا

دونَ شعبٍ هام بالصَّنَم

---

(١) السلطان محمد رشاد الخامس الذي ولي الملك بعد عبد الحميد

(٢) العاني. هو الأسير أو السجين.

(٣) النبي يوسف، ومعروف أنه كان سجيناً قبل أن يلي تموين مصر.

أنت لـــــلــــشُّـــورى نُــــعــــوذُهــــا

بـكَ مـن عـــــــاتٍ ومـن نَـــــــهِـم

فــــتـــقـــلــــدْ ســـيف جـــدِّك «عُـــثـ

ـــمـــانَ»[1] جـــدِّ الـــبِـيضِ والخُـــذُم[2]

وتـــــولَّ الـــــمُـــــلـكَ مـن أمَـمٍ

وبـــحـــبل الـــلـه فـــاعْـــتَـــصِـم

قـــد شـــفَـــا مـــرآك مـــقـــلـــتَـه

مـن عـــــمـى ، والأذنَ من صـــــمـم

دمـت يـــا خـــيـــر المـــلـــوك لـه

غـــيـــر مـــا هـم ولا ســـقَـم

****

(١) عثمان أرطغرل المؤسس الأول لدولة سميت باسمه في آسيا الصغرى «العثمانيون»

(٢) البيض. السيوف. والخذم: سرعة القطع. يريد السيوف القاطعة.

٤٧ - الكبرياء خُلّة الشيطان

[الكامل]

لي صاحبٌ دخل الغرورُ فؤادَهُ
إن الغُرور أُخي من أعدائي

أسديتُه نُصحي فزاد تمادياً
في غَيِّه وازداد فيه بلائي

أمسى يُسيءُ بي الظنونَ ولم تسؤْ،
لولا الغرورُ، ظنونُهُ بولائي

قد كنتُ أرجو أن يُقيم على الوَلا
أبداً، ولكنْ خاب فيه رجائي

أهوى اللقاءَ به ويهوى ضدَّه
فكأنما الموتُ الزُّؤامُ لقائي

إني لأَصحبُهُ على علاّته
والبدرُ من قدمٍ أخو الظَّلْماء

يا صاحِ إنَّ الكِبْر خُلْقٌ سيءٌ
هيهات يوجد في سوى الجُهَلاء

والعُجْبُ داءٌ لا يُنالُ دواؤُهُ
حتى يُنالَ الخلْدُ في الدُّنياء[1]

فاخفضْ جناحَك للأنامِ تَفُزْ بهم
إنَّ التواضع شيمةُ الحُكماء

لو أُعجِب القمرُ المنيرُ بنفسه
لرأيتَه يهوِي إلى الغَبْراء

****

(١) يريد. الدنيا، ونمدّها للضرورة.

٤٨ ـ أيها القلم

[البسيط]

ماذا جنيت عليهمْ أيها القلمُ
والله ما فيكَ إلا النّصْحُ والحكَمُ
إني ليحزُنُني أن يسجنوك وهم
لولاكَ في الأرض لم تثبُتْ لهم قَدم
خُلقت حُراً كموج البحرِ مندفعاً
فما القيودُ وما الأصفادُ واللُّجُم
إن يحبِسوا الطائر المحكيَّ في قفصٍ
فليس يُحبسُ منه الصوتُ والنَّغَم
اللهَ في أمة جار الزمانُ بها
يفنَى الزمانُ ولا يفنى لها ألَم
كأنما خصَّها بالذلِّ بارئُها
أو أقسم الدَّهرُ لا يعلو لها علَم
مهضومةُ الحقِّ لا ذنبٌ جنتْه سوى
أنَّ الحقوق لديها ليس تَنهضِمِ
مرَّتْ عليها سنونٌ كلها نقَمٌ
ما كان أسعدها لو أنها نعم
عدُّوا شكيّتها ظلماً، وما ظلَمتْ،
وإنما ظلمُوها بالذي زعموا
ما ضرّهُمْ أنها باتت تسائلُهُمْ
أين المواثيقُ؟ أين العهدُ والقَسم؟

أمـــا كـــفـى أنّ في آذانـــهم صـــمـــمـــاً

حـتى أرادوا بـأن يـنـتـابـهـا الـصـَّمم

كـــأنمـــا ســئـــمـــوا ألاّ يـــزالَ بـــهـــا

روحٌ عـلى الـدهـر لم يـظـفـر بـهـا الـسَّأَم

فـقـيـدوهـا لـعل الـقـيـد يُـسـكـتُـهـا

وعـزَّ أن يـسـكُت الـمـظـلـومُ لـو عـلـمـوا

وأرْهَـــقُـــوا الـــصـَّـحْف والأقلامَ فـي زمنٍ

يــكــاد يُــعــبـدُ فــيه الـطِّـرسُ والـقـلـم

إن يمـنـعُـوا الـصُّـحف فيـنـا بثَّ لـوعـتـنـا

فـكـلُّـنـا صـحُـفٌ في مـصـر تَـرتـسِم

إنـــا لــقـــومٌ لـــنـــا مـــجـــدٌ ســـنـــذكُـــرُه

مـــا دام فـــيـــنـــا لـــســـانٌ نـــاطقٌ وفمُ

كـيف الـسـبـيلُ إلى سُـلْـوانِ رفـعـتـنـا

وهْي الـتي تـتـمـنَّى بـعـضـهـا الأمم

يـأبَى لـنـا الـعـزّ أن نـرضى الـمـذلّـةَ في

عـصـرٍ رأيـنـا به الـعـبْـدانَ تُـحْـتَـرم

لَـلـمـوتُ أجـملُ من عـيشٍ عـلى مـضضٍ

إن الحـــيـــاةَ بلا حـــريّـــة عـــدمُ

****

٤٩ . مصر والشام

[الوافر]

أ طَالَ اللَّيلُ أم طَالَ المُقَامُ؟
أم المحزونُ خَامَرَهُ الهُيَامُ ؟

فَبَاتَ يُصَعِّدُ الزفَرَاتِ وجداً
وإمَّا نَاحَ أسعَدَهُ[1] الحَمَام

تَعَوَّدَ جِسمُه الأسقَام حتى
ليحذَرَ أن يُزَايِلَهُ السَّقَام

وأغرى جفنَه بالسُّهد حتى
لَيُشفِقَ أن يُطيف به المنام

تجمَّعتِ الهُمومُ عليه تَتْرى
كما اجتمعتْ على الماء السَّوَام[2]

وأعْوَزَهُ على البلوى مُعِينٌ
وأعوزَ ليلَهُ القمرُ التَّمام

فضَاقَ فؤادُه بالهمّ ذَرْعاً
وضَاقَ بهمِّه وبه الظلام

كأنَّ نجومَهُ أجفانُ باكٍ
كأن الليل صَبٌّ مُستَهام

أبِالأقمارِ ما بي، فهْي مثلي
تحاولُ أن تنام فلا تنام؟

أبتْ إلا السكوت وبتُّ أشكو
وأنّى يصحبُ الوجْدَ اكْتتَام

---

(١) أسعفه وأنجده.

(٢) السوام: الماشية التي ترعى.

وليس بنافعي منها سكوتٌ
وليس بنافعِ الشُّهبِ الكلام
كأني قارئٌ والليلُ سِفْرٌ
له بدءٌ وليس له ختام
كذاك الهمُّ أعسر ما تراهُ
إذا سكَن الدُّجى وغَفَا الأنام
تحنُّ إلى بلاد الشام نفسي
أقُطْر الشَّامِ حيّاك الغَمام
وما غير الشآم وساكنيه
لبانَتُنا[1] وإنْ بعُد الشَّآم
ولولا أنَّ في مصْرٍ مُقامي
لعمرُ أبيكَ ما طال المُقَام
مضى عامٌ علي بأرض مصرٍ
وذا عامٌ وسوف يجيء عام
وما مصرُ التي ملَكَتْ فؤادي
ولكنْ أهلُها قومٌ كرام
وِدادُهُمُ على الأيام باقٍ
وجارهمُ عزيزٌ لا يُضام
ومن أخلاقهمْ لينُ الحُميّا[2]
إذا انتسبتْ إلى اللِّينِ المُدام
وتُبْصرُ في صدورهِمُ أناةً
إذا الأحلام[3] طاح بها الخصام

(١) غرضنا
(٢) الخمرة.
(٣) العقول (الحلم).

أبَتْ إلا عنادَهُمُ الليالي
فما يئسوا الغداةَ ولا استَناموا
يودُّ الطامعونَ بأرضِ مصْرٍ
لوأنهمُ بها أبداً أقاموا
فلا عجبٌ إذا خَفَروا ذماماً[1]
شديدُ البطش ليس له ذمام
نُلام على الكلام وقد أصبْنا
وقد ضلّوا الصواب فلم يُلاموا
أقانوناً قيودُهُمُ تُسمّى ؟
إذًا قد أنّثَ الرجلَ اللثامُ
إلاما تُمنعُ الدستور مصرٌ
وقد كادتْ تفوز به (سيام)[2]
بني مصرٍ على الأحداثِ صبراً
فقَبلَ الصبحِ يجتمعُ الغمامَ
ولا يلحقْ بكم ضجرٌ فإني
رأيتُ الظلم ليس له دوام
فإن الليلَ يعقُبُه صباحٌ
وإن الحرب آخرُها سلام

****

(١) العهد.
(٢) من دول الشرق الأقصى. وتمد ميم (إلامَ) في أول البيت للضرورة.

٥٠ - (عام ١٩١٠)

[الكامل]

إني سـكتُّ ومـا عـدمتُ الـمـنـطـقـا
لـولا أخـوك سـبـقتُ فـيك الأسـبـقـا
وهـززتُ أوتـار الـقـلـوبِ بـصـامتٍ
يـشـتـاقُ كلُّ مـهـذبٍ أن يـنـطـقـا
فـبـعـثتُ في أفـواهـهمْ مـثل الـطِّلا
ونـفـثتُ في أسـمـاعـهم شـبه الـرُّقَى[1]
وألـنْتُ قـاسِي الـشِّـعـرِ حـتى يُـبـتـغَى
وشـددتُ مـنه الـلِّـينَ حـتى يُـتَّـقَى
وجـلَـوْتُ لـلأبـصـار كلَّ خَـريـدةٍ[2]
عـصـمـاءَ تحـسُـدهـا الـنـفـوسُ تـألُّـقـا
تـبـدو فَـتـتْـرُكُ كلَّ قـلـبٍ شـيِّقٍ
خـلْـواً وتـتـركُ كلَّ خـالٍ شـيـقـا
ولّـى أخـوكَ فـمـا أمـضَّـني الـنـوى
ولـقـد قـدمت فـمـا هـشـشتُ إلى الـلـقـا
أقـبـلـت والـدنـيـا إلـي بـغـيـضـةٌ
هلاَّ سـبـقـت إلـيَّ أسـبـاب الـشَّـقـا
حـنـقـت بـلا سـببٍ عـلـيّ، وإنه
سـببٌ جـديـرٌ عـنـده أن أحـنَـقـا

---

(١) الطلا: الخمر. والرقيّة: العوذة (والجمع. رُقى).
(٢) اللؤلؤة قبل أن تثقب. يريد القصيدة من شعره.

عـلـقَتْ أخي كفُّ المـنـونِ وكـدتُ أن
أسـعى عـلـى آثـارِهِ لـولا الـتُّـقَى
مـا أشْـفـقَتْ نـفـسي عـلـي وإنمـا
أشْـفقتُ أن أبـكي الـصَّديقَ المشْـفقـا
ودّعـتُه كـالـبـدرِ عـنـد تـمـامه
والـبـدرُ لـيس بـآمنٍ أن يُـمـحـقـا
ولـقـد رجـوتُ له الـبـقـاءَ وإنمـا
يـدنـو الـحـمـامُ لمن يُـحبُّ له الـبـقـا
أصـبـحتُ مـثلَ الـنَّـسْـرِ قُصّ جـنـاحُهُ
فـهـوى ولـو سـلم الجـنـاحُ لحـلَّـقـا
نـائي الـرجـاء فلا أسـيـرٌ مـوثَقٌ
أرجـو الـفَـكَـاك، ولـستُ حُـرّاً مـطـلـقَـا
ولـقـد لـبـستُ من الـسَّـواد شـعـائـراً
حـتى خـضـبتُ من الـحـداد الـمـفْـرِقـا
وزجـرتُ عـيـني أن تُـسـرّ بمـنـظـرٍ
ومـنـعتُ قـلـبي بـعـدَهُ أن يـخـفـقـا
لا أظـلـمُ الأيـام في مـا قـد جـنتْ
لا تـأمنِ الأيـام أن تـتَـفَـرَّقـا
كنْ كـيف شـئت فـلـستُ أسـكنُ لـلـمُـنى
بـعـد الـحـبـيبِ ولـستُ أحـذَرُ مـوْبـقـا[1]
عـامُ نـسـيتُ سُـعـوده بـنُـحـوسه
قـد يـحـجُبُ الـلـيلُ الـهلالَ الـمُـشْـرِقـا
لم أنس طـاغـيـةَ المـلـوك وقـد هـوى
عن عـرشه وأسـيـره لـمّـا ارتـقَى

(١) الموبق: المهلك (وبق – يبِق: هلك)

والشاهُ منخلعُ الحُشاشة واجفٌ
أرأيت «شاهاً» قطُّ أصبح «بيْدقَا»
ما زال يحتقرُ الظُّبا حتى غدا
لا تُذكَرُ الأسيافُ حتى يُصْعقا[1]
بِتْنا إذا التركيُّ ضجّ مُهلِّلاً
عبثَ الهوى بالفارسيّ فصفَّقا
ذكْرى تُحركُ كلَّ قلبٍ ساكنٍ
حتى ليعشقَ بعدها أن يعشقا
فيما على النِّيلِ النحوسُ ولم يكن
دونَ الخليجِ ولا الفُراتِ تدفَّقا
إن لم أذُدْ عن أرض مصر موفَّقاً
أوْدَى بآمالي الزمانُ موفَّقا
ما بالُها تشكو زوالَ بهائها
وهي التي كانت تَزين المشرقا
قد أخلفتْ كفُّ السياسة عهدها
إن السياسةَ لا تُراعي موثِقا
كَذَبوا على مصرٍ وصُدِّقَ قولُهم
والشرُّ أن تجد الكَذوب مُصدَّقا
وأبَوا علينا أننا لا ننتهي
من مأزقٍ حتى نصادف مأزِقا
سلكُوا بنا في كلِّ وادٍ ضيِّقٍ
حتى قنطنا أن يصيبوا ضيِّقا
منعوا الصحافةَ أن تبثّ شكاتَنا
منعوا الكواكب أن تَبين وتُشْرقا

---

(١) الظُبة: حد السيف والسنان والخنجر (والجمع: ظُبا وظبات وظبون)

لـوأنـصـفـوا رفـعـوا الـقـيـود فـإنمـا

يـشـكـو الأسـيـرُ الأسـر إمّـا أُرهـقـا

وسـعـوْا إلـى سـلْبِ الـقـنـاة فـأخـفـقُـوا

سـعـيـاً، وشـاء الـلـهُ أن لا نُـخـفـقـا

عـرض الحـسـاب المسـتـشـارُ ولم يـكن

لـولا الـسـيـاسـةُ حـاسـبـاً ومـدقِّـقـا

أيـكـونُ غـاصـبـنـا ويـزعُم أنه

أمـسى عـلـيـنـا مُـحـسـنـاً مـتـصـدِّقـا

أبَـني الـكـنـانـة! لـسـتُمْ أبـنـاءهـا

حـتّى تَـقُـوا مـصـر الـبلاءَ الـمُـطْـبِـقـا

إن تحـفـظـوهـا تحـفـظـوا في نَـسـلـكُمْ

ذكْـراً يُـخـلَّـدُ فـي الـلـيـالي رونَـقـا

****

٥١ - دعابة [١]

وقال يداعب صديقاً له يعشق التمثيل:

[الكامل]

نُبِّئتُ أنك تعشقُ التَّمثيلا
عشقاً يمثِّلُ في حشاكَ فُصولا

وتكاد من فَرْط الصَّبابة والجوى[٢]
أن تهجُر المشروب والمأكولا!

علّلت نفسك بالمُحال فأصبحتْ
في غمرةٍ، وغدوت أنت عليلا

والنفسُ تقنعُ بالقليل فحبّذا
لو أنت صيّرت القليلَ السُّولا[٣]

تأبَى «المراسحُ»[٤] أن تُنيلَكَ وُدَّها
إن «المراسح» لا تحبُّ ثقيلا!

****

(١) هذا العنوان لا يوجد بالأصل.
(٢) الجوى. الحرقة وشدة الوجد.
(٣) السول هو السُّؤل، أي الشيء الذي يريده الإنسان.
(٤) هكذا كانت تُنطق هذه الكلمة، أحياناً، في ذلك العصر !

٥٢ - أيا نيل

[الطويل]

وقـفتُ ضـحـى في شـاطئ الـنـيل وقِـفـةً
يـضنُّ بـهـا إلا عـلـى الـنـيل شـاعـرُهْ

تـهـلّلَ حـتى كـاد يـبـدو ضـمـيـرُهُ
وعـبَّس حـتى كـاد يُـشْـكلُ ظـاهـرُه

فـطـوراً أُجِـيلُ الـطَّـرْف في صـفـحـاته
وطـوراً أجِـيلُ الـطرف فـيـمـا يُـجـاوره

فـثَمَّ جلالٌ يملأ الـنـفس هـيـبـةً
وثَمَّ جـمـالٌ يملأ الـعـينَ بـاهـره

وألحظُ شـمس الأفْق وهي مُـطـلَّـةٌ
تـسـايـرُ فـيه ظـلَّـهـا إذ تُـسـايـره

فـأحـسـبُـهـا فـيه تُـسـاهـمُـني الـهـوى
وتُـحـسـبُـني فـيـهـا الـغـرام أُشَـاطـره

إذا هـي ألـقتْ في حـواشـيه نـورهـا
رأى الـتِّـبـر يـجـري في حـواشـيه نـاظرُه

أطـالتْ به الـتَّـحـديقَ حـتى كـأنمـا
تحـاولُ مـنه أن تَـبـينَ سـرائـره

فـيـا لـهـمـا إلـفَـيْنِ بـاتـا بمـعـزِلٍ
يـخـامـرُهـا من حُـبّه مـا يـخـامـره

يـروحُ الـنـسـيمُ الـرطْبُ في جـنَـبـاته
يـداعـبُه طـوراً، وطـوراً يـحـاوِره

وتَقبضُ من مبسوطه نفَحاتُهُ
كما قبض الثوب المطرَّزَ ناشرُه

فيصدفُ عنه وهو داجٍ مقطّبُ
كأن عدواً بالنسيمِ يُحاذِره

كأني به سفْرُ تدانتْ سطورُهُ
أوائلُه قد شُكِّلتْ وأواخرُه

إذا ما جَلا للناظرين رموزَهُ
تجلّى لهم ماضي الزمان وحاضره

أيا نيلُ! نبئْني أحاديثَ من مضوْا
لعلّ شفاءَ النفسِ ما أنت ذاكرُه

حيالكَ صبٌ بالخطوب مهدَّدٌ
جوانحُه رهنُ الهمومِ وخاطرُه

أطاع شجُوناً لو أطاع فؤاده
عليها لفاضتْ بالنَّجيعِ محاجِرُه

يحُثُّ إليّ الدهرُ كلَّ رزيئَة،
على عجلٍ، حتى كأني واترُه

وما أنا بالعبد الذي يرهبُ العصا
ولكنني حُرٌّ تَروعُ بوادره

أيا نيلُ! فَامنحْنِي على الحقّ قوةً
فما سوَّدَ الضرغام إلا أظافرُه

وهبنِي بأساً يسكنُ الدهرُ عندَهُ
فقد طالما جاشت علي مناخره

إذا لم تكنْ عونَ الشجي على الأسى
فخاذلُه فيه سواءٌ وناصرُه

قني اليأس، وامنعْ شعبَكَ الضعف يتّقي

ويُنصفُه من حُسّاده من يُناكره[1]

هو الدهرُ من ضدّين: ذُلٍّ وعزّةٍ

فمن ذلَّ شاكيَهُ، ومن عزَّ شَاكرُه

وللقادر الماضي العزيمة حُلوُهُ

وللعاجزِ الواهي الشكيمة حازِرُه[2]

وما الناسُ إلا القادرون على العُلا

وليست صنوفُ الطِّيرِ إلا كواسرُه

ألم ترَهُ مُنذُ استُلينَتْ قناتُه

تمشَّتْ إليه الحادثاتُ تُساوره

فأُرهِقَ حتى ما يبينُ كلامُه

وقُيِّد حتى ليس تَسْري خواطره

ولو ملكوا الأقدار، أستغفرُ الذي

له المُلْك يؤتيه الذي هو آثره

لما تركوا شمس النهار يزورُه

سناها، ولا زُهر النجوم تُسامره

يريدون أن يبقى ويذهب مجدُه

وكيف بقاءُ الشعب بادتْ مآثره

فـ«غورسْتُ»[3] في مصرٍ يسدّدُ سهمَهُ

إليه، وقنّاصُ الوحوشِ يُضافره

يلجّون في إعْناته، فإذا شكا

يصيحون أن الشعب قد ثار ثائره

(١) ينكر حقه في الحياة.
(٢) الحزر من اللبن: أشد من الحامض.
(٣) غورست هو المعتمد البريطاني في ذلك العهد.

لقد هزئوا لمّا تنبَّه بعضُه
فلِمْ ذُعروا لمّا تنبَّه سائره؟
يقولون: جانٍ لا يحلُّ فَكاكُه
ولو أنصفوه حُمِّل الإثم آسره
عجبتُ لقومٍ يُنكرون شعورَهُ
وهاتا مجاليه وتلك مظَاهرُه
ألم يكُ في يوم القَناة ثباتُه
دليلاً على أنْ ليس تُوهى مرائره[1]
يعزّ على المصريِّ أن يحملَ الأسى
وحاضرُه يأبى الهوانَ وغابرُه
لئن تكُ للتاريخ والله زينةٌ
فما زينةُ التاريخ إلا مفَاخره
رعى اللهُ من أبنائه من يذودُ عن
حماهُ، ومن أضيافه من يُظاهره[2]
همُ بعثوا فيه الحياةَ جديدةً
فشُدَّتْ أواخيه[3] وعزّتْ أواصره
وهمْ أسمعوا الأيام صوتاً كأنما
هو الرعدُ تدوي في السماء زَماجِرُه
وهمْ أطلقوا أقلامهمْ حين أصبحتْ
مكبَّلةً أقلامُهُ ومحابره
كذلك إن يعدَمْ أخو الظلمِ ناصراً
فلن يعدم المظلومُ حرّاً يناصرُه

****

(١) المِرّة: القوة وشدة العقل.
(٢) يسانده أو يساعده يقصد السوريين الذين وقفوا إلى جانب المصريين في المطالب الوطنية.
(٣) الآخيَة: عروة تُربط إلى وتد وتُشد فيها الدابة.

٥٣ ـ شكاة إلى صديق[(١)]

[مجزوء الكامل]

وقال وقد أرسلها إلى صديق

يـــا مـن قَــرُبت من الـــفُــؤا
دِ وأنت عن عــيــنـي بــعــيــدْ

شــــوقـي إلـــيك أشـــدُّ من
شــوق الـسّـلـيم[(٢)] إلى الـهُـجُـود[(٣)]

أهــوى لــقــاءك مـثـلَـمـا
يـهـوى أخـو الـظَّـمـأ الـوُرود

وتَـصـدُّني عـنك الـنَّـوى
وأصـدُّ عن هـذا الـصـدود

وردتْ نَـمـيـقـتك[(٤)] الـتي
جـمـعتْ من الـدُّرر الـنَّـضـيـد

فـكـأنَّ لـفـظَك لـؤلـؤٌ
وكـأنمـا الـقـرطـاسُ جِـيـد

أشـكـو إلـيـك ولا يُـلا
مُ إذا شـكـا الـعـاني الـقـيـود

دهـراً بـلـيـداً مـا يُـنـيـ
ـلُ وداده إلا بـلـيـد

ومـعـاشـراً مـا فـيـهمُ

---

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصل.

(٢) الملدوغ.

(٣) النوم.

(٤) رسالتك.

إن جـــئـــتـــهـمْ، غـــيـــرُ الـــوعـــود
مُـــتَـــفــرنِـــجــينَ ومـــا الـــتَّـــفَـــرْ
نُجُ عـــنـــدهمْ غـــيـــرُ الجُـــحـــود
لا يـــعـــرفـــونَ من الـــشَّـــجـــا
عـــة غـــيـــر مـــا عـــرف الـــقـــرود
ســـيّـــانِ قـــالـــوا بـــالـــرضـــا
عـــنـي أوالـــسُّـــخط الـــشـــديـــد
من لـــيس يـــصـــدُق في الـــوعـــو
د فـــلـــيس يـــصـــدق في الـــوعـــيـــد
نـــفـــرٌ إذا عُـــدّ الـــرجـــا
لُ عـــددْتَـــهم طيّ الـــلُّـــحـــود
تـــأبى الـــســـمـــاح طـــبـــاعُـــهم
مـــا كلُّ ذي مـــالٍ يـــجـــود
أســـخـــاهمُ بـــنُـــضـــارِه
أقـــسى من الحـــجـــر الـــصـــلـــود
جـــعْـــدُ الـــبـــنـــان بـــعـــرضه
يـــفـــدي الـــلُّـــجـــين من الـــوفـــود[1]
ويـــخـــافُ من أضـــيـــافه
خـــوف الـــصـــغـــيـــرِ من الـــيـــهـــود[2]
تَـــعـــس امـــرؤٌ لا يـــســـْ
ـــتَـــفـــيـــدُ من الـــرجـــال ولا يُـــفـــيـــد
وأرى عـــديم الـــنَّـــفـــعِ أنّ
وجـــودَهُ ضـــررُ الـــوجـــود

(١) جعودة البنان: كناية عن خصلة الكرم. والنضار: الذهب. واللجين: الفضة.
(٢) الشائعة التي تقول: إن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بالفطير في الفصح.

٥٤ - الشعر والشعراء

[الوافر]

بعَيشِكَ هل جُزيتَ عن القوافي
بغيرِ «أَجَدْتَ» أو «لا فُضَّ فُوكا»

جزاؤك من كريمٍ أو بخيلٍ،
رقيقاً كان شِعرُك أو ركيكا

كلامٌ ليس يُغني عنكَ شيئاً
إذا لم يَقتُلِ الآمالَ فيكا

ورُبَّتَما يَمُنّ عليك قومٌ
كأنك قد غدوتَ به مَليكا

إذا أرسلتَ قافيةً شَرُوداً(١)
فقد أيقظتَ في الناس الشُّكُوكا

وقد تُبلَى بأحمقَ يدّعيها
فإن تغضبْ لذلكَ.. يَدّعِيكا

وقال معاتباً [البسيط]

إن كان ذنبي دفاعي عن حقوقكمُ
فلستُ أدري وربِّي كيف أعتَذِرِ

أُعيذكمْ أن يقولَ الناسُ: قد مُدحوا
فما أثابوا على قولٍ ولا شَكروا!

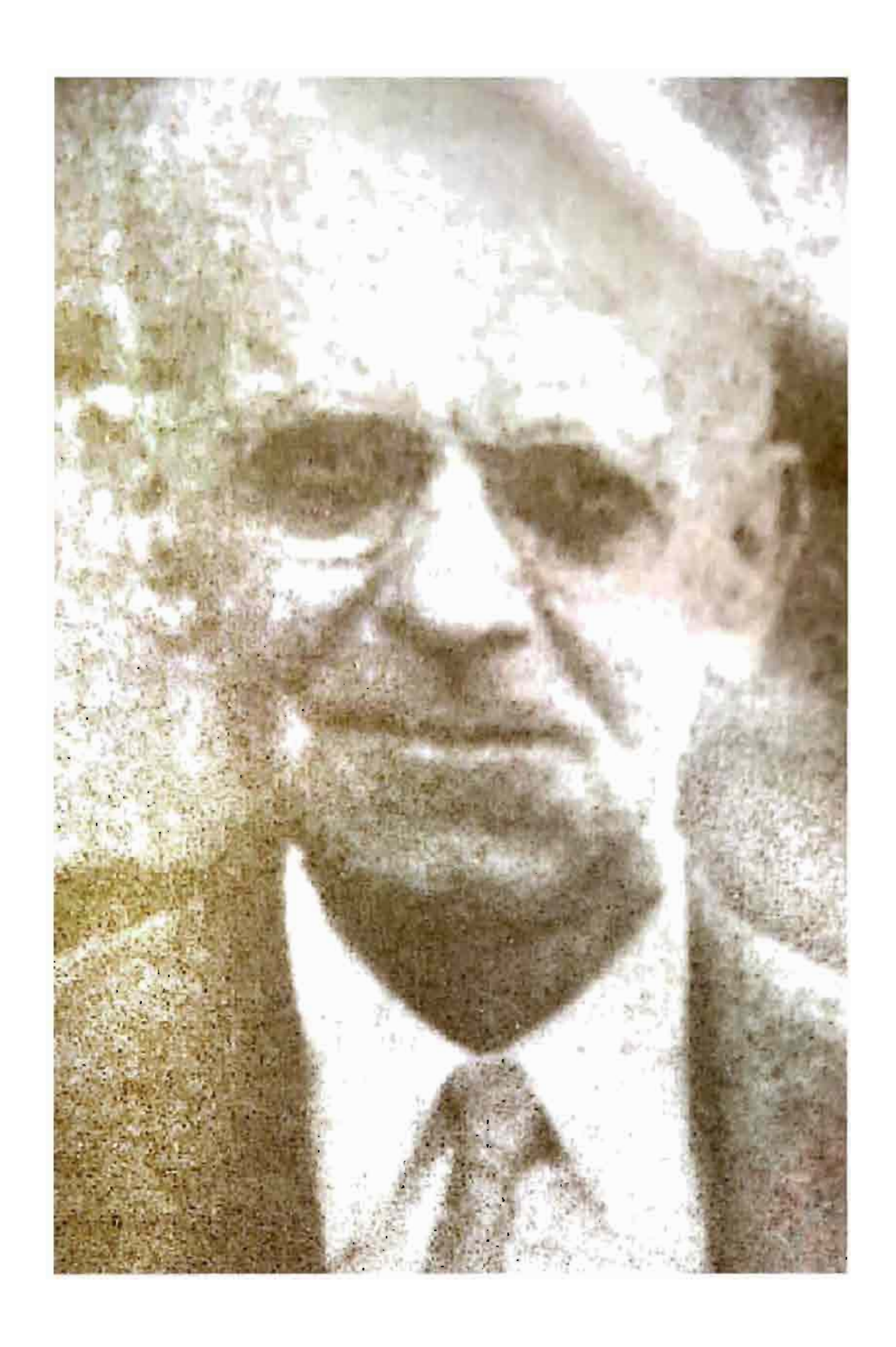
ملاحظة:

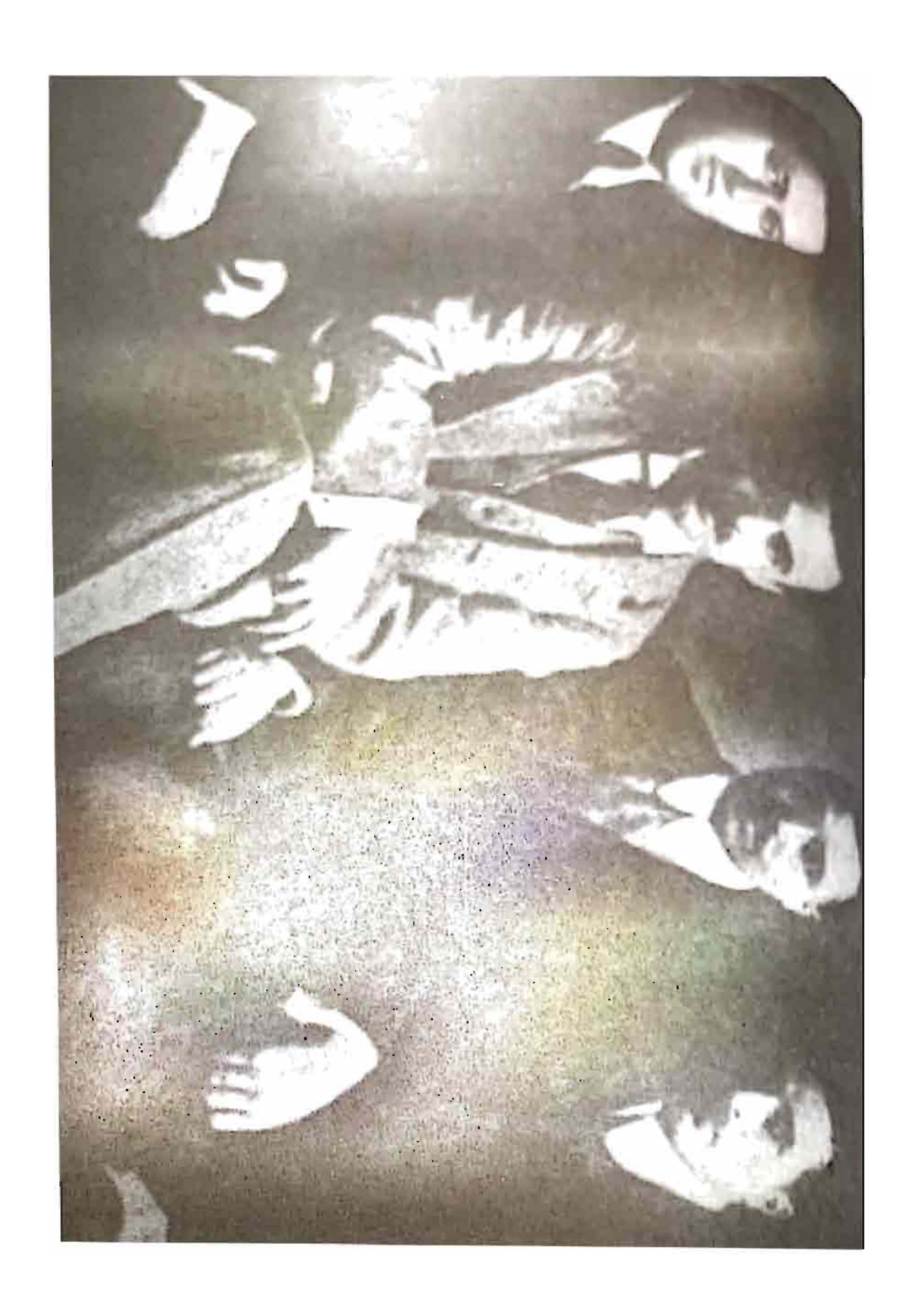
ختم إيليا أبوماضي ديوانه هذا بهذه العبارة: « تنبيه - لا يزال لدينا طائفة من القصائد التي كنا قد أعددناها لهذا الجزء، وموعدنا بها الجزء الثاني، وإنه لقريب

****

---

(١) قافية مشتهرة.







تذكر شركة دير دبوان التجارية

(لصاحبيها)

« حمدان عبد الحميد غنام و حسن محمود »

اكبر مصادرها في اوروبا ·

وغيرها · فان شركة دير دبوان تستورد كل هذه الاصناف من

اذا كنت تريد الربح· واذا كنت تريد ان تكون بضاعتك هي

البضاعة الرائجة المرغوب فيها · واذا كنت تريد ان تتعامل

مع قوم يحرصون على مصلحتك حرصهم على مصلحتهم

تعامل مع « شركة دير دبوان »

فهي الشركة التي تستحق ان توليها ثقتك اولا لاستقامة اصحابها

ثانيا لخبرتهم الطويلة في عالم التجارة · ثالثا لما اشتهروا به من

المقدرة في انتقاء السجاد الايطالي والفرنسوي والتابستري

والسكاروات واغطية الفرشة والطاولات من كل الانوع والقيامات

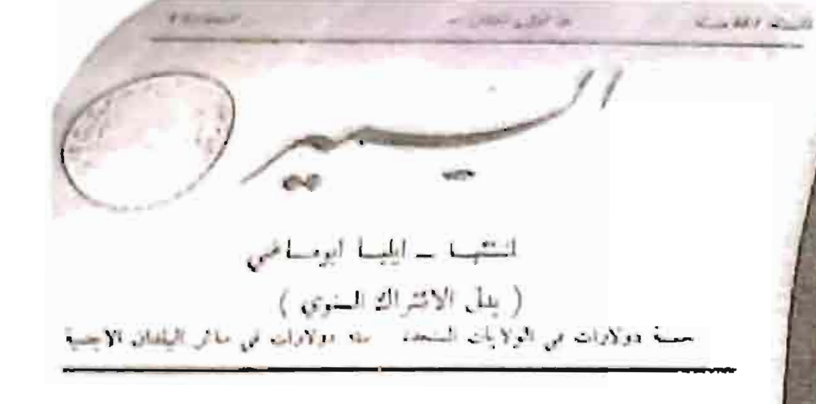
وخصوصاً التي عليها الكتابات العربية والنقوش والصور الشرقية

DARDEBWAN TRADING CO.

10 WEST 33rd ST NEW YORK CITY

(مطبعة السمير التجارية)

اطبع مطبوعاتك في السمير مرة تطبعها كل مرة



السمير

لمنشئها — ايليا ابو ماضي

(بدل الاشتراك السنوي)

خمسة دولارات في الولايات المتحدة ستة دولارات في سائر البلدان الاجنبية

افندي — بيك — باشا

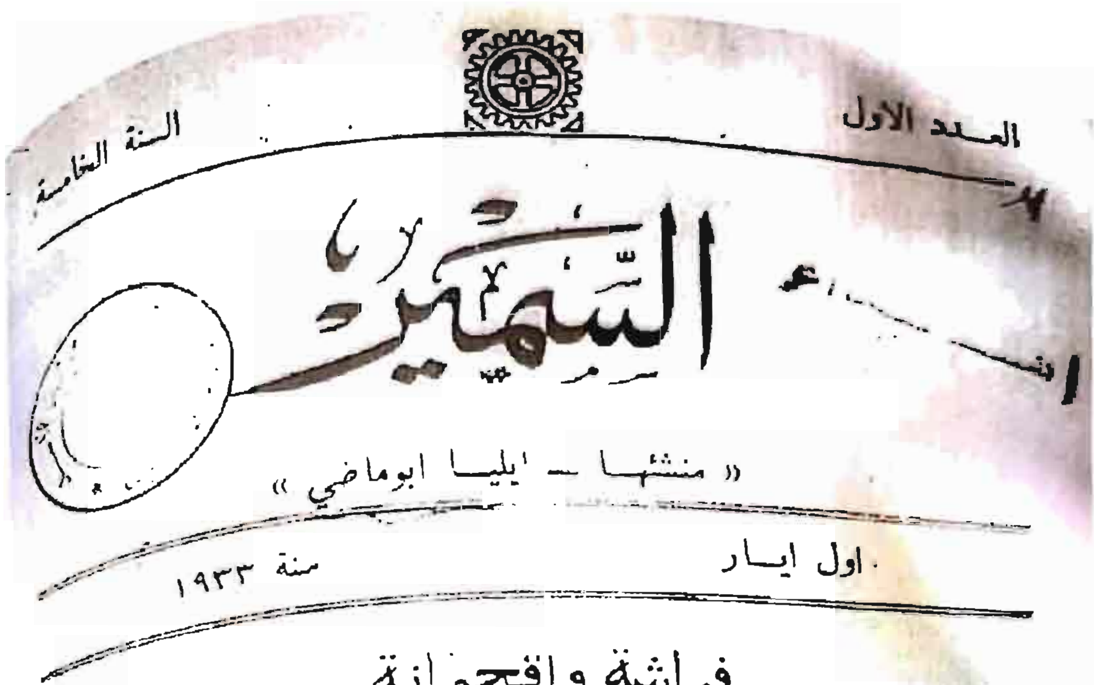
تركيا تلغيها ونحن نشتهيها

من الامور التي تجري عندنا على غير قياس نشوء جمهور كبير من ابناء الاصقاع العربية بالالقاب والنعوت التي جاءتهم من تركيا الارستوقراطية البائدة وهي الحكومة التي ابغضوها حتى حاربوها ، وحاربوها حتى أطلوت اعلامها من سمائهم ·

اليس من الشذوذ في المنطق، والحيف على القومية ان يكره قوم دولة ما وفي الوقت ذاته يتشوقون القابها ويحرصون على ما عندهم منها حرصهم على تذكارات ثمينة من حبيب غال؟

بلى· واغرب ما تقدم ان يلغي الاتراك هذه الالقاب لاستهجانهم اياها وهي القاب في ارضهم نشأت ومنها خرجت · ويصعب علينا نحن ان نتناولها فتبقى عندنا وهي غريبة عنا ودخيلة علينا !

قرأنا منذ عهد قريب ان حكومة الغازي في انقره وجدت ان ...



العدد الاول — السنة الخامسة

السمير

« منشئها — ايليا ابوماضي »

اول ايار — سنة ١٩٣٣

فراشة واقحوانة

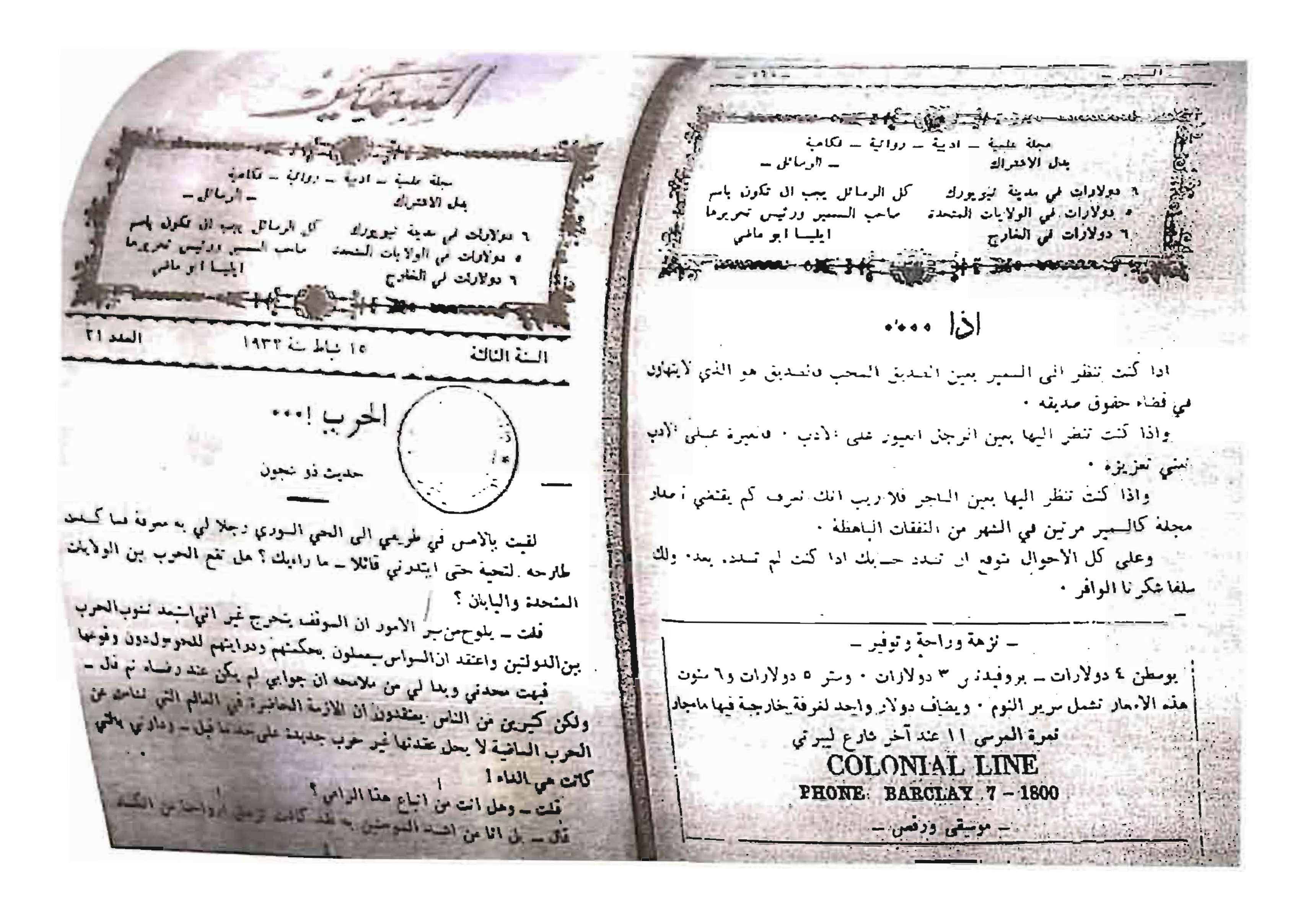
في يوم من ايام الصيف الذهبية سمعت فراشة تهمس في اذن اقحوانة:
— يامسكينة لو كنت مجنحة مثلي لما امتدت اليك ايدي الصبيان
فاجابتها الاقحوانة: يامتكبرة لو كنت مثلي غير مجنحة لما تراكض الصبيان خلفك لامساكك ..

—(())—

وفي ليلة من ليالي الشتاء الكالحة جلست امام الموقد اصطلي وفتحت كتاباً اتسلى بالمطالعة فوجدت في الكتاب عظتين صامتتين جناحا فراشة . واوراق اقحوانة !

—(())—

وعادت مواكب الصيف الى الارض مرة اخرى، فخرجت الى الحقل فاذا في الحقل فراشة تقول لاقحوانة: ليتك مجنحة مثلي . فتقول لها الاقحوانة: ليتك مثلي غير مجنحة ....!



السمير — ٢٠ —

مجلة علمية — ادبية — روائية — فكاهية

بدل الاشتراك — الرسائل —

٦ دولارات في مدينة نيويورك — كل الرسائل يجب ان تكون باسم

٥ دولارات في الولايات المتحدة — صاحب السمير ورئيس تحريرها

٦ دولارات في الخارج — ايليا ابو ماضي

اذا ....

اذا كنت تنظر الى السمير بعين الصديق المحب فالصديق هو الذي لا يتهاون في قضاء حقوق صديقه .

واذا كنت تنظر اليها بعين الرجل الغيور على الادب . فغيرة على الادب تقضي تعزيزه .

واذا كنت تنظر اليها بعين التاجر فلا ريب انك تعرف كم يقتضي لمجلة كالسمير مرتين في الشهر من النفقات الباهظة .

وعلى كل الاحوال نتوقع ان تسدد حسابك اذا كنت لم تسدده بعد ولك سلفا شكرنا الوافر .

— نزهة وراحة وتوفير —

يوسطن ٤ دولارات — بروفيدنس ٣ دولارات . وستر ٥ دولارات و٦ سنوت هذه الاسعار تشمل سرير النوم . ويضاف دولار واحد لغرفة خارجية فيها ماجاد

نمرة المرسى ١١ عند آخر شارع ليبرتي

COLONIAL LINE

PHONE: BARCLAY 7 – 1800

— موسيقى ورقص —

السمير

مجلة علمية — ادبية — روائية — فكاهية

بدل الاشتراك — الرسائل —

٦ دولارات في مدينة نيويورك — كل الرسائل يجب ان تكون باسم

٥ دولارات في الولايات المتحدة — صاحب السمير ورئيس تحريرها

٦ دولارات في الخارج — ايليا ابو ماضي

السنة الثالثة — ١٥ شباط سنة ١٩٣٢ — العدد ٢١

الحرب !...

حديث ذو شجون

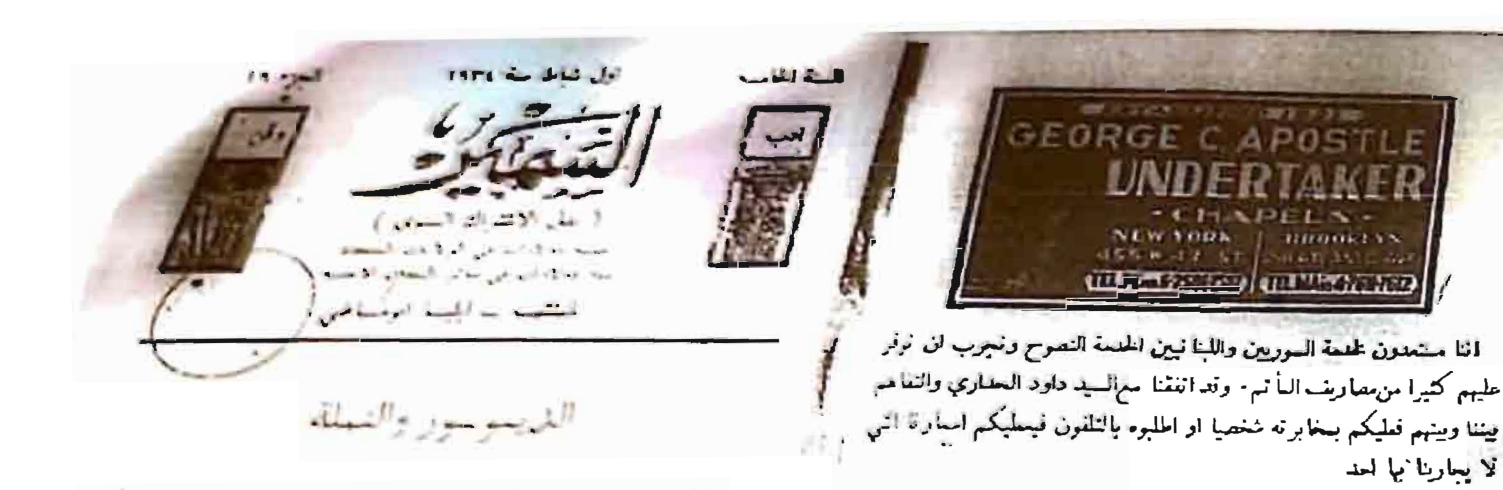
لقيت بالامس في طريقي الى الحي السوري رجلا لي به معرفة فما كاد طارحه التحية حتى ابتدرني قائلا — ما رايك ؟ هل تقع الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ؟

قلت — يلوح من سير الامور ان الموقف يتحرج غير انها ستمد نشوب الحرب بين الدولتين واعتقد ان الساسة يعملون بحكمتهم ودرايتهم للحيلولة دون وقوعها

فبهت محدثي وبدا لي من ملامحه ان جوابي لم يكن عند رضاه ثم قال — ولكن كثيرين من الناس يعتقدون ان الازمة الحاضرة في العالم التي تناسلت عن الحرب الماضية لا يحل عقدتها غير حرب جديدة على حد ما قيل — وداوني بالتي كانت هي الداء !

قلت — وهل انت من اتباع هذا الرأي ؟

قال — بل انا من اشد المؤمنين به ...



GEORGE C. APOSTLE
UNDERTAKER
CHAPELS
NEW YORK
BROOKLYN

انا متمدون لخدمة السوريين واللبنانيين الخدمة النصوح ونجرب ان نوفر عليهم كثيرا من مصاريف المأتم - وقد اتفقنا مع السيد داود العطاري والتفاهم بيننا وبينهم فعليكم بمخابرته شخصيا او اطلبوه بالتلفون فيعطيكم اسعارة التي لا يباريا بها احد

عندنا اجمل واوسع محلات للمآتم في النقاط والاوساط التي نحن بها واستعدادنا تام لارضاء اي كان ونعطي اسعارا خصوصية للفقراء

ومن احب مخابرة معتمدنا السيد داود العطاري فيكون ذلك الى فرعنا الموجود تحت رقم ٢١٩ اتلانتك انيو بروكلن ونمرة التلفون — ماين ٤ — ٧٦١١ وماين ٤ — ٧٦١٢

— موسيقى ورقص —

كولونيل لاين هي الشركة التي يلذ للمرء السفر في بواخرها المتقنة قد خفضت اسعارها مؤخرا فصارت هكذا —

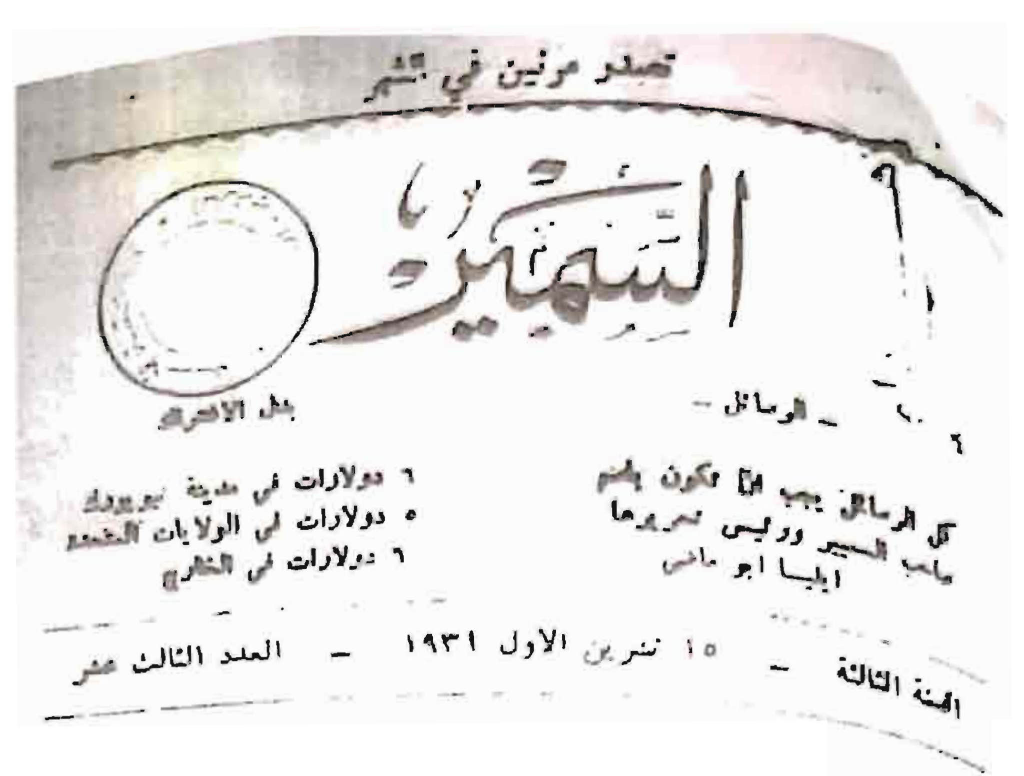
من نيويورك الى بروفيدنس ذهابا او ايابا ثلاثة دولارات ونصف و ٥ دولارات ذهابا وايابا

ومن نيويورك الى بوسطن ٤ دولارات ونصف . وستة دولارات ذهابا وايابا . فاغتنموا هذه الفرصة واكتبوا الينا رأسا او بواسطة مجلة السير

COLONIAL LINE

ان موجودا وافرض ... لا يعلمون متى انقرض فقد اثبتوا دعواهم بالعظام التي وجدوها ... ذلك الهيكل الضخم ذو العنق الطويلة، ... والارجل التي تزيد في الضخامة على ارجل الفيل، والراس الذي لاتناسب في الحجم بينه وبين بقية الاعضاء الاخرى . مما نراه في الصور التي تنشرها الصحف والمجلات .

الى هنا وصل العلم في حديثه عن الدينوسور ووقف حائرا .



تصدر مرتين في الشهر

السمير

الرسائل

كل الرسائل يجب ان تكون باسم
صاحب السمير ورئيس تحريرها
ايليا ابو ماضي

بدل الاشتراك

٦ دولارات في مدينة نيويورك
٥ دولارات في الولايات المتحدة
٦ دولارات في الخارج

السنة الثالثة — ١٥ تشرين الاول ١٩٣١ — العدد الثالث عشر

— رجيع الصدى —

وقف رجل بابنه مرة عند جبل وقال له ارفع صوتك · فرفع الولد صوته واذا بالصدى يجاوبه · فقال له — ما هذا ؟ قال — الصدى ·

فنظر اليه وقال : يا بني لو رفعت صوتك هازئاً ساخراً · لعاد اليك الصدى هازئاً ساخراً · ولو ارسلت صوتك مترنماً لرجع اليك مترنماً ·

مثلما تعطي تاخذ · فاعرف اذن كيف تعطي الذي يرضي سواك لكي يعود اليك ما يرضيك · فانت لا سواك الذي يسعد نفسه ويشقيها · واعلم ان لا شيء في هذه الحياة يذهب سدى وان كل ما يفرحك ويغمك · ويريحك ويتعبك هو منك واليك ·

واعلم فوق ذلك ان المال وان كثر في يديك معار · وان الشهرة لا تدوم وان الاصحاب يتغيرون ولا يبقى الا انت · فلا تعمل الا حسناً ولا تصنع الا خيراً فانك ملاقٍ غداً كل ما عملت اليوم · وسيعود اليك كما عاد الصدى ·

توبــة جبـران ؟! ...

قرأنا في كثير من الاستغراب والدهش مقالاً في جريدة البشير يدخل الوهم على القارىء الساذج بان جبران خليل جبران كان ضالاً فاهتدى ، وكافراً فارتد الى الايمان ، ومتشككاً فتاب ، وليس من هذا الذي ذكرته البشير شيء ، فجبران الكافر في نظر رجال الدين لم يكن كافراً عند نفسه لكي يتوب ويرتد ، وهو في كتاباته الأخيرة مثله في كتاباته الاولى ، ذلك الشاعر الرسام المتصوف ذو الايمان الواسع الذي تضمحل لديه الحدود المكانية وتختفي الفوارق المذهبية الموروثة وقد بقي على ايمانه هذا الى آخر لحظة من حياته .

وقد رأينا تنويراً للقارىء ان ننقل من مقال البشير اهم النقاط التي اثارت استغرابنا ويطالع كلمتنا فيها بعد ان ينتهي منها .

كلام البشير

« فنحن ان كنا مع رؤساء الطائفة الاجلاء شكرنا الله على ـ ارتداد ؟ فقيد لبنان الى حظيرة الايمان ، واعلانه ـ صراحة او ضمناً ، بكتاباته الاخيرة ، وما اظهره قبل موته ؟ انه جحد تلك المبادىء والنظريات التي اشرنا اليها .. نرى من واجبنا تنبيه القراء الى ان توبة جبران ؟ ... لا تسوغ مطالعة الكتب التي حارب بها العقائد والشرائع وتحامل فيها على رجال الدين ، وان ما حرمت قراءته من مؤلفاته لا يزال محرماً بالشدة التي استقبل بها ..

فليحذر الشبان ، وطلبة المدارس ، وكل المطالعين التعرض لمخالفة اوامر الدين ونواهيه ، ظناً منهم ان التوبة اصلحت المحظوظ من كتاباته المضللة . وبناء بما جادت به قريحة جبران من الاقوال الصائبة نرى ان يعمد الى تنقية كتاباته من بذور الضلال ، ويجمع الصالح منها في كتب لسد الخلو

على كل صاحب موهبة ان يعنى من الجوهر [illegible] ، ولا [illegible] ثمرات ذلك الفكر الخصب ، وعند ذلك يتحقق على [illegible] ورغائب نفيسة الفاقدة التقية ..

كلمتنا

لجريدة البشير التي تنطق بلسان رجال الدين ان تعتبر جبران كافراً او زائغاً او مضللاً فهذا رأي لها لا [illegible] ولا [illegible] منها ، ولكن [illegible] لها عن توبة جبران يجمع بين المضحك والمبكي [illegible] من جبران كافراً ومؤمناً في وقت واحد ، بل [illegible] هو [illegible] لا من الكافرين ولا من المؤمنين ولما كانت سيرة اديب كبير كجبران يجب ان تكون خالية من شوائب [illegible] عن نزوات الوهم ، سواء عده رجال الدين مؤمناً ام عدوه كافراً ، [illegible] بعض كتاباته ام شجبوها كلها ، رأينا نحن الذين عاشرنا جبران زمناً طويلاً نروي ما نعرفه عنه من هذه الناحية حتى اذا ما قام مؤرخ بسرد سيرة جبران استطاع ان يسردها كما هي بلا غثاء وان يأتي بها صريحة لا غموض فيها ولا [illegible]

عاش جبران لا ينتمي الى مذهب من المذاهب الدينية لا في اقواله ولا في اعماله بل كوّن لنفسه عقيدة خاصة مستقلة تختلف في كثير من وجوهها عن [illegible] التي ولد فيها وتربى عليها ، وهي مبثوثة في كتبه وقصائده ورسومه ، وقد مات دون ان يعدل عنها او يعدل شيئاً منها ، وهذا نقوله لجريدة البشير التي [illegible] ان ترده الى حظيرة الايمان بعد ان عقل الموت لسانه وشل مواهبه . فنحن عشراؤه الادنون لم نسمع منه ولم نقرأ له كلمة تدل على انه جحد شيئاً من نظرياته ومبادئه ، بل الذي نعرفه انه لم يرجع في حياته الى [illegible]

[illegible] من الافراد التي عرضنا الكنيسة على ابنائها المؤمنين [illegible] تختلف عن اراء البشير كثيراً ، ومناسبات [illegible] في [illegible]

[illegible] كان [illegible]

حدث التوبة مكتوب ومنصوص عليه . فعد شيء على مبادئه حتى الطبق الردى اجمالة فلما كانت التوبة التي اشارت اليها البيني فسحدثت بمعوقاته فتلك اعجوبة يصعب تصديقها حتى على البخير . •

واخيرا ان جبران لم يعتقد قط انه زائغ بالمعنى المفهوم من رجال الدين لكي يتوب . او كافر ليرتد الى حظيرة الايمان . ولكنه كان يومن بالله على طريقته . فلرجال الدين ان يعتبروها خروجا على الدين او الحادا وانما لا يسوغ لهم ان يقبلوا من جبران بعضه وينبذوا بعضه الآخر فجبران واحد لا اثنان . وبعبارة اخرى لا يفيدهم شيئا ان ياخذوا شهرته كرجل ممتاز ويشجبوا كتاباته ويحظروا مطالعتها فجبران ليس ذلك الرجل الممتاز الا بكتاباته . فاذا حجبوها حجبوه . اما ان يعمد الى تنقية كتاباته فامر لا ينطبق على رغائب الفقيد الاخيرة ولا سبيل اليه لان هذه الكتابات قد اصبحت ملك الجمهور والتاريخ وليس لاحد مهما احب جبران او ابغضه ان يجيز لنفسه التصرف بشيء ليس له ولا يملك حق التصرف به غير صاحبه وهو الآن بين يدي ربه .

ادعياء الادب

ليس احب الى هذه المجلة من تشجيع اي ناشيء تنزع به النفس الى ان يكون كاتبا او مؤلفا او شاعرا . ولكننا لا نقدر ان نخلق من غير الكاتب كاتبا ولا من غير الشاعر شاعرا . ولا ان نجعل من العيي ملسانا فصيحا . فلله وحده هذه الامور .

في بلدة ولبنى من ولاية وست فرجينيا عاب، لا نسميه ولكننا نقص حكايته لعله اذا قرأها ينتبه من غفلته ويفيق من سكرة الغرور ثم لعل في سردها رادعا لامثاله ممن يزين لهم ان الشهرة امر ميسور لكل من استطاع ان يبرز اسمه مطبوعا فيؤدي ذلك به الى سرقة او منتحل وان مجرد نشره اي كلام في جريدة يؤهله لان يحشر نفسه في صف الكتاب .

حكاية هذا الفتى المخدوع هي انه قرأ قصة بالانكليزية للكاتب الهندي احمد عبادة فوسوست له النفس الامارة بالسوء ان يترجمها الى العربية على جهله اللغتين . وظن ان القاموس يسهل امامه الصعاب وبذلك الحسبان فاستعان بقاموس انكليزي عربي وانكب على ترجمة القصة فجاء التعريب ليس فيه شيء من روح العربية ولا الانكليزية وجاءت القصة كانها حدث الترجم او غير ذلك لانه لم يتوفر على تعريبها غير مترجم واحد لا دماغ وهو حضرة القاموس . . .

وكان بعد ذلك ان القصة وصلت الى ادارة جريدة عربية في نيويورك وفي اولها كلمة يهدي فيها المترجم قصته الى محرر تلك الجريدة . ولكن المحرر لم يكن من الذين يقبلون مثل هذه الرشوة فبعد اهمال الرويه اعاد القصة الى معربها معتذرا بكلمة لطيفة ان المقام لا يسمح بنشرها في الجريدة وكان ذلك من المحرر اشفاقا على احساس الفتى . ولم ينس هذا المحرر بانه من الخدع فتوهم ان للادعياء احساسا !

وكانت النتيجة ان ذلك الفتى المغرور المخدوع قطع الجريدة وطفق يشنع على المحرر بانه غبي لا يقيم للاشياء الحميدة وزنا . وبعضه ان احمد عبادة كاتب كبير وان السجلات الاميركية سرت بقصته . ولكنه نسي انه هو الذي ترجمها . وان احمد عبادة لو عرف بجنايته على قصته لرجمه في المحاكم !

وما هي غير فترة قصيرة من الزمن حتى رجعت القصة من ولنبي فرجينيا الى نيويورك وحلت ضيفا ثقيلا في ادارة صحيفة عربية . فما فتحها المحرر حتى اغلقها ثانية واعادها الى صاحبها معتذرا عن نشرها بانها لا تتفق ومنهاج الصحيفة .

وتوقع المحرر ان يكون ذلك الفتى لبيبا فيفهم بالاشارة . غير انه لم يفهم . وهو الآن يتحدث الى اصحابه واترابه الذين حسبوه شيئا . فيقول ان الجهال الذين يحررون الجرائد والسجلات العربية لا يفهمون !

صدق الفتى . فالصحافة لا يفهمون الا لغات البشر !! . .

المحتـــوى

الديوان الأول / الجزء الأول (تذكار الماضي)

****

الديوان الثاني

(ديوان إيليا أبي ماضي - الجزء الثاني)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩١٩) وأعيد طبعه[1] في كتاب عنوانه: (إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر) دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٥٤

أكبر دواوين أبي ماضي، يزيد ما جُمع فيه على ألفي بيت، موزعة على تسعة وسبعين نصاً شعرياً، ضم نتاج السنين الثماني التي أعقبت صدور ديوانه الأول - وعدّه هو الجزء الأول (١٩١١ - ١٩١٩) - إلى ما امتنع عن نشره فيه، وهو في مصر، لدواع مختلفة. وقدّم له - وقد سماه: الجزء الثاني من ديوانه - جبران خليل جبران، بعد ظهور الرابطة القلمية (١٩١٦) وقبل نشْرِها مجموعتِها المعروفة (١٩٢١) بسنتين.

****

(١) باستثناء نصين لم أقع عليهما في مكان آخر. إهداء الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك (نعمة تادرس - ١٢ بيتاً)، وقصيدة معربة عن الإنجليزية عنوانها (نشيد التباراري - ٢١ بيتاً). ونصين آخرين، وقعتُ عليهما في الديوان الذي نشرته دار العودة، بيروت ٢٠٠٢

مقدمة

الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الآذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة، فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السَّيف الصقيلِ بريقُهُ
وله ضجيجُ الجحْفلِ الجرّارِ

أبداً يرشُّ صخوره بدموعه
أتُراهُ يغسلُها من الأوزارِ

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء، فيصرخ

أبكي وتُصغي إلى بكائي
يا ربِّ هل تعشقُ النجومُ؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وددتُ الإفاضةَ قبلَ اللقاء
فلمّا لقيتُك لم أنبسِ

وبِتُّ وإيّـــــاك فـي مـــــعـــــزِلٍ
كـــأنـي وإيــاك فـي مـــجـــلس

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة، فتقول في ذاتك: يا له من خيالي مجنون، يتمسك بخيوط العنكبوت ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جرّته من ندى الصباح، بل من السراب! إي، فالشاعر يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال – يصعد بعزم الروح، ويتمسك بحبال غير منظورة، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد – يتمسك بحبال الفكر، ويملأ كأسه من عصير أرقُّ من ندى الفجر – يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض، لا تستطيع المسير إلا على قدميك، ولا الصعود إلا على سلم من خشب، ولا السُّكْر إلا من عصير العنب، ولا المسرّة إلا بالربح، ولا الألم إلا بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يُفلت من الحقول العلوية، ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحنّ إلى وطنه الأول، فيغرّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى، مع أنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشفّها تظل ظمآناً حتى تمل الآلهة البشر، فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران

****

١ - إهداء الديوان(*)

(ثلاثة عشر بيتاً) إلى الثري «نعمة تادرس» تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد تمّ طبع الديوان على نفقته.

(٢ / ٦ / ١٩١٩ وهو تاريخ صدور الديوان)

****

(*) لم نعثر عليها

٢ - الشاعر

[مختلط]

قالتْ وصفْت لنا الرحيقَ وكوبها
وصريعها ومُديرها والعاصرَا
والحقلَ والفلاّح فيه سائراً
عند المسا يرعى القطيع السائرا
ووقفت عند البحر يهدُر موجُه
فرجعت بالألفاظ بحراً هادرا
صوَّرت في القرطاس حتى الخاطرا
فَخَلبتَنا وسحرْت حتى السَّاحرا
وأَريتَنا في كلِّ قَفْرٍ روضةً
وأريتَنا في كلِّ روضٍ طائرا
لكنْ إذا سأل امروٌ عنك امرأً
أبصرت محتاراً يخاطبُ حائرا
من أنت يا هذا؟ فقلتُ لها: أنا
كالكهرباء أُرى خفيَّاً ظاهرا
قالت: لعمُرُك زدت نفسي ضلَّةً
ما كان ضرّك لو وصفت الشاعرا؟

✡✡✡✡✡

فأجبتُها: هو من يسائلُ نفسَهُ
عن نفسه، في صُبحه ومسائه
والعين سر سُهادها ورُقَادها
والقلب سرّ قُنوطه ورجائه

فيحارُ بين مجيئه وذَهابِه
ويحارُ بين أمامه وورائه
ويرى أفُولَ النجمِ قبلَ أفولِه
ويرى فَناءَ الشيءِ قبلَ فَنائه
ويسيرُ في الروض الأغنِّ فلا تَرى
عيناهُ غير الشُّوك في أرجائه
إنْ نام لم ترقُدْ هواجسُ روحه
وإذا استفاقَ رأيتَه كالتَّائه
ما إنْ يُبالي ضحْكَنا وبُكاءَنا
ويُخيفُنا في ضحْكه وبكائه
كالنار يلتهمُ العواطف عقلُه
فيُميتُها ويموتُ في صحرائه!

✡✡✡✡

قالتْ: أتعرفُ من وصفْتَ؟ فقلتُ: من؟
قالت: وصفت الفيلسوف الكافرا
يا شاعر الدنيا وفيك حصافةٌ
ما كان ضرَّكَ لو وصفت الشاعرا؟

✡✡✡✡

فقلتُ: هو امرؤ يهوى العُقَارا(١)
كما يهوى مُغازلةَ العذارى
إذا فرَغتْ من الرَّاحِ الدِّنانُ
توَّهم أنّ ما فرغَ الزمانُ
يُعاقرُها على ضوء الدّراري(٢)
فإنْ غَربتْ، على ضوء النهار

(١) العُقار. الخمر. والعُقّار (بالتشديد) أصل الدواء، والعقّار (بالفتح والتخفيف): الأرض والضياع والنخل.

ويحسبُ مهْرجانَ الناسِ مأتمْ
بلا خمرٍ، وجنَّتهُمْ جهنّمْ
ملولٌ لا يدومُ على ولاءِ
ولكنْ لا يدومُ على عداء
أخو لُب ولكن لا إرادهْ
وذو زهدٍ ولكن بالزَّهادَهْ
يميل إلى الدُّعَابة والمُزاحِ
ولو بين الأسنَّة والصفاحِ
ويوشكُ أنْ يُقَهقهَ في الجنازهْ
ويرقُص كالعواصف في المفَازهْ
إذا بصُرتْ به عينُ الأديبِ
فقد وقعتْ على رجلٍ مُريبِ
يُعنِّفهُ الصحابُ فلا يُنيبُ
ويزْجُرُه المشيبُ فلا يتوبُ
فقالت: جئت بالكلمِ البديعِ
ولكن ما وصفت سوى «الخليعِ»!

✡✡✡✡

وخفْتُ إعراضها عني فقلتُ: إذن
هو الذي أبداً يبكي من الزمنِ
كأنّما ليس في الدنيا سواه فتًى
معرَّضٌ لخطوبِ الدهرِ والمحنِ
يشكو السَّقام وما في جسمه مرضٌ
والسُّهد وهْو قريبُ العهد بالوسنِ
والهجر، وهو بمرأى من أحبّته
والأَسْر، وهو طليقُ الروح والبدنِ

ولا يــرى حــســنــاً في الأرض يــألــفُهُ

أو يـشـتـهـيه، وكم في الأرض من حـسنِ!

يـنـوحُ في الـرَّوضِ والأشـجـارُ مـورقـةٌ

كـمـا يـنـوحُ عـلى الأطلال والـدمنِ

فـقـاطـعـتْـنِي وقـالتْ: قـد بـعُـدْت بـنـا

ما ذي الـصـفاتُ صـفاتُ الـشـاعرِ الـفَطِنِ

✡✡✡✡✡

قـلـتُ: مـهلاً إذا ضـلـلـتُ وعـذراً

ربمـا أخـطـأ الـحـكـيمُ وضَلاَّ

هـو من تَـرْسُمُ الجـمـالَ يـداهُ

فـنـراه في الـطّـرْسِ أشـهى وأحـلَى

لـوْذَعِيٌّ(١) الـفـؤاد يـلـعب بـالألْـ

ـباب لـعْـبـاً إن شـاء أن يـتـسـلّى

ويُـريـنـا مـا لـيس يـبـقَى سـيـبـقَى

ويُـريـنـا مـا لـيس يـبْـلَى سـيـبلى

يـطـبعُ الـشُّـهب لـلأنـامِ نـقـوداً

وهـو يـشـكـو الإملاقَ كـيف تـولّى

أفـهـذا من تـبـتـغـينَ وأبـغِي

وصْـفَهُ؟ قـالت المـلـيـحـةُ: كلاَّ!..

✡✡✡✡✡

يـا هـذه إني عـيِـيتُ بـوصْـفه

وعـجـزتُ عن إدراك مـكـنـونـاته

لا تـسـتـطـيع الخـمـرُ سـرْدَ صـفـاته

والـروضُ وصْف زهـورِهِ ونَـبـاته

---

(١) اللوذعي: الحديدُ الفؤادِ واللسان، الظريفُ السريعُ الإدراك (من اللذْع: حدّة النار).

هــو من نــراهُ ســائــراً فــوق الــثَّــرى
وكـــأنّ فـــوق فـــؤاده خـــطـــواتـه
إنْ نـــاح فـــالأرواحُ فـي عـــبـــرَاتـه
وإذا شَـــدا فـــالحبّ في نـــغَـــمـــاتـه
يــبــكي مـع الــنــائي عــلى أوطــانـه
ويـــشـــاركُ المحـــزونَ في عـــبـــرَاته
وتُـــغـــيـــرُ الأيـــامُ قـــلب فـــتـــاته
ويـــظلّ ذا كَـــلَف بـــقـــلب فـــتَـــاته
هــو من يــعــيشُ لــغــيــرهِ ويــظــنُّهُ
من لــيس يــفــهــمُهُ، يــعــيشُ لــذاته!!!

****

٣ - فلسفة الحياة

[الخفيف]

أيــــهـــذا الـــشَّـــاكي ومـــا بك داءٌ
كــيف تـــغــدو إذا غـــدوت عـــلـــيلا؟

إنَّ شــــرَّ الجُـــنــــاة في الأرض نـــفسٌ
تــتــوقّى، قــبلَ الــرحــيلِ، الــرحــيلا

وتــرى الــشّــوك في الــورود، وتَــعــمى
أن تــرى فــوقَــهــا الــنَّــدى إكــلــيلا

هـــو عبءٌ عـــلى الحـــيـــاة ثـــقـــيلٌ
من يــظنّ الحـــيـــاةَ عـــبْـــئـــاً ثـــقـــيلا

والـــذي نـــفـــسُهُ بـــغـــيـــرِ جـــمـــالٍ
لا يــرى في الــوجــود شــيــئــاً جــمــيلا

لــيس أشــقَى مــمّن يــرى الــعــيش مُــرّاً
ويــظنُّ الـــلَّـــذاتِ فـــيه فُـــضُـــولا

أحْـــكَمُ الـــنــاس في الحـــيـــاة أنـــاسٌ
عـــلّـــلـــوهـــا فـــأحـــســـنـــوا الـــتَّـــعـــلـــيلا

فـــتـــمـــتعْ بـــالـــصُّـــبحِ مـــا دُمت فـــيه
لا تـــخـــفْ أن يـــزولَ حـــتـــى يـــزولا

وإذا مـــــــــــــا أظـــلَّ رأســـك هـــمٌّ
قـــصـــرِ الـــبـــحثَ فـــيه كَـــيلا يـــطـــولا

أدركتْ كُـــنْـــهـــهـــا طـــيـــورُ الـــرّوابي
فَـــمن الـــعـــارِ أن تـــظلّ جـــهُـــولا

مــا تــراهـــا، والحــقلُ مــلْكٌ ســواهــا
تــخــذتْ فــيه مــســرحـــاً ومــقـــيلا
تَــتــغــنَّى، والــصــقــرُ قــد مــلَك الجــوَّ
عــلــيــهــا، والــصــائــدونَ الــسَّــبــيلا
تــتــغــنَّى، وقــد رأتْ بــعــضــهـــا يُــؤْ
خَــذُ حــيّــاً والــبــعض يــقــضــي قــتــيلا
تـــتـــغــنَّى، وعـــمـــرُهَـــا بـــعضُ عــامٍ
أفَـــتـــبــكِي وقـــد تـــعـــيشُ طـــويلا؟
فــهْي فــوقَ الــغــصــون في الــفــجــرِ تــتــلــو
سُــور الـــوجـــد والـــهـــوى تـــرتـــيلا
وهْي طـــوراً عـــلــى الـــثَّـــرى واقـــعـــاتٌ
تــــلـــــقُطُ الحبَّ أو تجـــــرُّ الـــــذيـــــولا
كــلَّـــمـــا أمــسكَ الــغــصـــونَ ســكـــونٌ
صــفَّــقَــتْ لــلــغــصُــونِ حــتى تَــمــيلا
فـــــإذا ذهَّب الأصـــــيلُ الـــــرّوابي
وقـــفتْ فـــوقـــهــــا تُـــنــــاجي الأصـــيلا
فــاطــلُبِ الــلّــهــو مــثــلــمــا تــطــلبُ الأطْـ
ــيــارُ عــنــد الــهــجــيــرِ ظلاً ظَــلــيلا
وتــعــلَّمْ حبَّ الــطَّــبــيــعــة مــنــهـــا
واتـــرك الـــقـــالَ لـــلـــورى والـــقـــيلا
فـــالـــذي يـــتّـــقي الـــعـــواذلَ يـــلـــقى
كلَّ حـــــين، في كلّ شـــــخصٍ، عـــــذُولا
☆☆☆☆☆
أنــت لــلأرضِ أولاً وأخـــــــيـــــــراً
كــنت مــلْــكـــاً أو كــنت عــبــداً ذلــيلا

لا خـــلـــودٌ تحت الـــسَّـــمـــاء لحي

فـلــمــاذا تُــراودُ المــسْــتَــحــيلا؟..

كلُّ نجـمٍ إلـى الأفُـــــول ولـــــــكنْ

آفــةُ الـــنــجم أن يــخـــاف الأفُـــولا

غــايـــةُ الـــوَرْدِ في الــريــاضِ ذُبـولُ

كنْ حـكـيـمــاً واسـبِقْ إلـيه الـذُّبـولا

وإذا مـــــا وجـــــدت فـي الأرض ظلاً

فـــتــفــيّـــأْ به إلى أن يـــحُــــولا

وتـــوقّعْ، إذا الـــسـمـــاءُ اكـفــهــرّتْ

مـطَـراً في الـسُّـهولِ يُـحـيي الـسُّهُولا

قلْ لــقــومٍ يــســتـنـزفــونَ المــآقي

هل شَـفـيْـتُمْ مع الـبـكـاء غَـلـيلا؟

مــا أتــيـنــا إلى الحـيــاة لـنَـشـقَى

فـأريـحـوا، أهلَ الـعـقـولِ، الـعُـقُـولا

كلُّ من يــجـمعُ الـــهــمــوم عــلــيه

أخَـــذَتْهُ الـــهــمــومُ أخـــذاً وبِـــيلا

✲✲✲✲✲

كنْ هـــزَاراً في عُــشّه يــتــغـــنَّى

ومع الـكَـبْلِ لا يـبــالي الـكُـبُـولا

لا غُـــرابـــاً يــطــاردُ الـــدُّود في الأرْ

ضِ، وبـومــاً في الـلـيل يـبـكي الطُّـلولا

✲✲✲✲✲

كنْ غـديـراً يـسـيـر في الأرض رَقْـرا

قـاً فـيـسـقي مِن جـانـبـيه الحُـقـولا

تــســتــحمُّ الــنـجـومُ فـيه ويـلــقَى

كلَّ شـــخـصٍ وكلَّ شيء مــــثـــيلا

لا وعـــاءً يـــقـــيـــدُ المـــاءَ حـــتى

تـــســـتـــحـــيلَ المـــيـــاهُ فـــيه وحُـــولا

✡✡✡✡

كنْ مع الـــفـــجـــر نَـــســـمـــةً تُـــوسِعُ الأزْ

هـــار شـــمَّـــاً، وتـــارةً تَـــقْـــبـــيلا

لا ســـمُـــومـــاً من الـــسَّـــوافي[1] الـــلـــواتي

تـــمـــلأ الأرض في الـــظلام عـــويلا

ومع الـــلـــيلِ كـــوكـــبـــاً يـــونِسُ الـــغَـــا

بـــاتِ والـــنَّـــهـــر والـــرُّبـــا والـــسُّـــهـــولا

لا دجى يـــكـــرهُ الـــعـــوالم والـــنَّـــا

س فـــيُـــلـــقي عـــلى الجـــمـــيع سُـــدُولا

✡✡✡✡

أيـــهـــذا الـــشَّـــاكي ومـــا بك داءٌ

كنْ جـــمـــيلاً تـــر الـــوجـــود جـــمـــيلا

****

(١) السافية: الريح التي تسفي التراب (تذروه).

٤ - أم القرى

[الكامل]

أبصرتُها، والشمسُ عند شُروقها
فرأيتُها مغمورةً بالنّار
ورأيتُها عند الغروب غَريقةً
في لُجَّة من سُنْدُسٍ ونُضارِ[١]
ورأيتُها تحت الدُّجى، فرأيتُها
في بُردَتَيْنِ: سكينة ووقارِ
فتنبَّهتْ في النفس أحلامُ الصِّبا
وغرقتُ في بحرٍ من التَّذْكار

✡✡✡✡

نفسي لها من جنَّة خَلاّبة
نسجتْ غلائلَها يدُ الأمطار
أنّى مشيتُ نشَقْتُ مسْكاً أذفَراً[٢]
في أرضها وسمعتُ صوت هزار[٣]

✡✡✡✡

ذات الجبالِ الشَّامخَاتِ إلى العُلا
يا ليت في أعلى جبالك داري
لأرى الغزالةَ قبل سُكّان الحمى
وأُعانقَ النَّسماتِ في الأسْحار

---

(١) السُندس: رقيق الديباج ورفيعه. والنضار: الذهب الخالص.
(٢) النفَر: شدة ذكاء الريح من الطيب.
(٣) الهزار: طائر العندليب.

لأرى رُعَاتَك في المُروج وفي الربُا
والشَّاءَ سارحةً مع الأبقار
لأرى الطيور الواقعاتِ على الثَّرى
والنحلَ حائمةً على الأزهار
لأساجلَ الورْقَاءَ في تَغريدها[1]
وتهزَّ روحي نفحةُ المزمار
لأسامر الأقمار في أفلاكها
تحت الظلام إذا غَفا سُمّاري
لأراقب «الدلّوار» في جريانه[2]
وأرى خيالَ البدْر في «الدلْوار»

✡✡✡✡

بئس المدينةُ إنها سجن النُّهى
وذوي النُّهى، وجهنَّمُ الأحرار
لا يملكُ الإنسانُ فيها نفسَهُ
حتى يروِّعَهُ ضجيجُ قطار
وجدتْ بها نفسي المفاسد والأذى
في كلِّ زاوية وكلِّ جِدار
لا يخدعنَّ الناظرينَ بُروجُها
تلك البروجُ مخابئٌ للعار
لو أنّ حاسد أهلها لاقى الذي
لاقَيتُ لم يحسُدْ سوى «بشّارِ»[3]
غفرانَكَ اللهمَّ ما أنا كافرٌ
فَلما تُعذّبُ مُهجتي بالنار؟

✡✡✡✡

(١) الورقاء: الحمامة.
(٢) الدلوار: نهر جارٍ في المنطقة.

لله ما أشهى القُرى وأحبَّها
لفَتًى بعيد مطارح الأفكار
إن شئت تَعْرى من قيودك كلِّها
فانظرْ إلى صدْر السماء العاري
وامشِ على ضوء الصباح، فإنْ خَبا
فامشِ على ضوء الهلال السَّاري
عشْ في الخَلاء تعش خَليّاً هانئاً
كالطَّير.. حُرّاً، كالغدير الجاري
عشْ في الخَلاء كما تَعيشُ طيورُه
الحُرُّ يأبى العيش تحت ستار!

✡✡✡✡✡

شلاّلُ «ملفردْ» لا يقرُّ قَرارُه[1]
وأنا لشوقي لا يقرُّ قراري
فيه من السَّيف الصقيلِ بريقُه
وله ضجيجُ الجحفلِ الجرّار
أبداً يرُشّ صخوره بدموعه
أتُراه يغسلُها من الأوزار؟
فإذا تطاير ماؤهُ متناثراً
أبصرت حول السَّفح شِبْهَ غُبار
كالبحر ذي التيار يدفع بعضَه
ويصولُ كالضرغام ذي الأظفار
من قمّة كالنِّهد، أيُّ فتًى رأى
نهداً يفيض بعارضٍ مدرار؟

---

(١) هي التي يُسميها (أم القرى) في أمريكة.

فكأنما هي منْبرٌ وكأنه
«ميرابٌ» بين عصائبِ الثوّار[1]
من لم يُشاهد ساعةً وَثَباته
لم يدْرِ كيف تَغطْرُس الجبَّار
ما زلتُ أحسب كل صمْتٍ حكْمةً
حتى بصُرتُ بذلك الثَّرثار
أعددتُ، قبل أراه، وِقفَة عابرٍ
لاهٍ فكانت وِقفَةَ استعْبار!..

✡✡✡✡✡

يا أخت دارِ الخُلْد، يا أمَّ القرى،
يا ربةَ الغاباتِ والأنهار
لله يومٌ فيك قد قضّيتُه
معْ عُصْبة من خيرة الأنْصار
نمشي على تلك الهِضاب ودونَنا
بحرٌ من الأغراس والأشجار
تَنساب فيه العيْن بين جداولٍ
وخمائلٍ ومسالكٍ وديار
أناً على جبلٍ مكينٍ راسخٍ
راسٍ، وأناً فوقَ جُرْفٍ هارِ[2]
تهوِي الحجارةُ تحتَنا من حالقٍ
ونكاد أن نهوِي مع الأحجار
لو كنت شاهدَنا نُهرولُ من علٍ
لضحكت منا ضحْكَةَ استهتَار

---

(١) ميرابو. خطيب الثورة الفرنسية (١٧٨٩).

الـــريحُ ســـاكـــنـــةٌ ونـــحن نـــظـــنُّـــنـــا
لــلــخــوف مـــنـــدَفـــعـــين معْ إعـــصـــار

والأرضُ ثـــابـــتـــةٌ ونـــحن نَـــخـــالُـــهـــا
تـــهـــتـــزّ معْ دفْـعِ الـــنَّـــســـيمِ الـــسّـــاري

مـا زال يــسـنُـد بـعـضُـنـا بـعـضـاً كـمـا
يـــتـــمـــاسكُ الـــرّوادُ في الأسْـــفـــار

ويـــــشـــــدُّ هـــــذا ذاك من أزراره
فـــيـــشـــدُّني ذيّـــاك من أزْراري

حـــتى رجـــعـــنـــا ســـالمـــين ولـم نـــعُـــدْ
لـــو لم يـــمُـــدَّ الـــلـه في الأعـــمـــار

ولـــقـــد وقـــفتُ حـــيـــال نـــهـــرك بُـــكـــرةً
والـــطَّـــيـــرُ في الـــوُكُـــنـــاتِ والأوْكـــار[1]

مُـــتـــهـــيـــبـــاً فـــكـــأنـــني في هـــيـــكلٍ
وكـــأنّـه ســـفْـــرٌ من الأسْـــفَـــار

مـــا كـــنتُ من يـــهـــوى الـــســـكـوت وإنمـــا
عـــقَـــلَتْ لـــســـاني رهـــبـــةُ الأَذْهـــار

مـــرّ الـــنـــســـيمُ به فـــمـــرّت مُـــقْـــلـــتي
مـــنه بـــأســـطـــارٍ عـــلى أسْـــطـــار

فـــالـــقـــلْبُ مُـــشـــتـــغلٌ بـــتَـــذْكـــاراته
والـــطَّـــرفُ مـــنـــدفعٌ مع الـــتَّـــيّـــار

حـــتى تجـــلّتْ فـــوق هـــاتـــيكَ الـــرُّبـــا
شـــمسُ الـــصـــبـــاح تـــلـــوحُ كـــالـــديـــنـــار

فـــعـــلى جـــوانـــبِه وشـــاحُ زَبَـــرْجـــدٍ[2]
وعـــلى غـــواربِه وشـــاحُ بـــهـــار[3]

---

(١) الوَكن: عش الطائر في جبل أو جدار، وجمعه "وُكُن وأوكُن
(٢) الزبرجد: الزمرد.

لـو أبـصـرتْ عـيـنـاكَ فـيه خـيـالَـهـا

لـرأيت مـرآةً بـغَـيـرِ إطـار

يـمَّـمْـتُه سـحـراً وأسـراري مـعي

ورجـعتُ في أعـمـاقه أسـراري!...

✡✡✡✡

إني حـسـدْتُ عـلى الـقُرى أهلَ الـقُرى

وغـبـطتُ حـتى نـافخَ المـزْمـار

لـيلٌ وصُـبْحُ بـين إخـوانِ الـصَّـفَـا

مـا كـان أجـملَ لـيـلـتي ونـهـاري!

✸✸✸✸

٥ - أنا وأخت المهاة والقمر

[المنسرح]

آهٍ مـن الحبّ، كـــلُّه عـــبـــرُ
عــنــدي مــنه الــدمــوعُ والــسَّــهــرُ
وويـح صـــرعى الـــغَـــرامِ إنـــهمُ
مــوْتى، ومــا كُــفِّــنــوا ولا قُــبــروا

✵✵✵✵

يــمْــشــونَ في الأرض لــيس يــأخُــذُهمْ
زَهْــوٌ ولا فـي خُــدودهم صــعــرٌ[1]
لـــو ولَـج الـــنـــاسُ في ســـرائـــرهمْ
هــانتْ، وربي، عــلــيــهمُ ســقَــرُ

✵✵✵✵

مـــا خَــفَــروا ذمّـــةً، ولا نَـــكَـــثُـــوا
عـــهـــداً، ولا مـــالَـــؤوا ولا غَـــدروا
قــد حــمــلــوا الــهُــونَ غــيــر مــا ســأمٍ
لــولا الــهــوى لــلــهــوان مــا صــبــروا

✵✵✵✵

لم يُـبقِ مــني الــضّــنَى ســوى شــبحٍ
يــكــاد، لـــولا الـــرجـــاءُ، يـــنـــدثـــرُ
أمــسى وِســادي مــشــابــهــاً كَــبِــدي
كلاهُــمــا الــنــارُ فــيــه تَــســتَــعــر

✵✵✵✵

---

(١) إمالة الخدّ من الكِبْر.

أَ كُلُّ صب، يـــا لـــيلُ، مـــضـــجـــعُهُ

مـــثـــلـي فـــيه الـــقَـــتَـــادُ والإبَـــر

لـــعلّ طـــيـــفَـــاً من هـــنـــد يـــطـــرُقُـــنِي

فـــعـــنـــد هـــنـــدٍ عن شـــقْـــوتي خـــبـــر

✲✲✲✲✲

مـــا بـــالُ هـــنـــدٍ عـــلي غـــاضـــبـــةً

مـــا شـــاب فَـــودي ولـــيس بي كـــبـــرُ

مـــا زلتُ غَضَّ الـــشـــبـــاب لا وهنٌ

يـــا هـــنـــدُ في عـــزْمـــتي ولا خَـــور

✲✲✲✲✲

لا دَرَّ دَرُّ الـــوُشـــاة قـــد حـــلـــفُـــوا

أن يُـــفـــســـدوا بـــيـــنـــنـــا وقـــد قَـــدِروا

واهـــاً لأيـــامـــنـــا.. أراجـــعـــةٌ؟

فـــإنـــهنّ الحُـــجـــولُ والـــغُـــرر(١)

✲✲✲✲✲

أيـــام لا الـــدّهـــرُ قـــابضٌ يـــده

عـــني، ولا هـــنـــدُ قـــلـــبُـــهـــا حـــجـــرُ

✲✲✲✲✲

لـم أنس لـــيلاً ســـهْـــرَتُهُ مـــعـــهـــا

تحـــنـــو عـــلـــيـــنـــا الأفـــنـــانُ والـــشَّـــجـــرُ

غـــفـــرتُ ذنب الـــنَّـــوى بـــزَوْرتِـــهـــا

ذنْبُ الـــنَّـــوى بـــالـــلـــقـــاء يُـــغـــتَـــفـــر

✲✲✲✲✲

(١) الحجْل: الخلخال. والغرّة: البياض والشرف. كناية عن جمال الأيام وامتيازها

بِــتْــنــا عن الــراصــدِين يــكــتُــمُــنــا
الأسْـــودانِ: الـــظلامُ والـــشَّـــعــرُ
ثلاثـــةٌ لـــلـــســرور مـــا رقَـــدُوا
أنـــا وأختُ المـــهـــاةُ[1] والـــقَـــمــر

✡✡✡✡✡

فــمـــا لــهــذي الــنــجــومِ ســاهــيــةٌ
تــرنــو إلــيــنــا كــأنــهــا نُــذُرٌ؟...
إنْ كـــان صُــبحُ الجــبــين روّعَـــهـــا
فـــإنّ لـــيلَ الـــشُّــعــورِ مُــعْــتَــكِــر

✡✡✡✡✡

أو انــتــظــامُ الــعُــقُــود أغــضــبــهــا
فـــإنّ دُرَّ الـــكلام مُـــنـــتـــثـــر
ومــا لــتــلك الــغــصــونِ مُــطــرقَــةٌ
كـــأنـــهـــا لـــلـــسلام تُــخــتَــصــر

✡✡✡✡✡

تـــبـــكي كـــأنّ الـــزمـــان أرهـــقَـــهـــا
عُــسْــراً، ولــكنْ دمــوعُــهــا الــثــمــر
طَــوراً عــلــى الأرض تــنــثــني مــرحــاً
وتـــارةً في الـــفـــضـــاء تَــشــتَــجِــر

✡✡✡✡✡

وجــفَـــلَتْ هـــنـــدُ عـــنـــد رؤيـــتـــهـــا
وقـــد تَـــروُعُ الجـــآذر الـــصُّـــورُ
هـــيــفــاءُ لـــو لم تَــلــنْ مــعــاطِــفُــهــا[2]
عــنــد الــتَّــثَــني خَــشــيتُ تَــنــكَــســر

✡✡✡✡✡

(١) البقرة الوحشية، كناية عنها لجمال عينيها
(٢) العِطف: الجانب، من الرأس إلى الورِك. لأن الانعطاف يكون عنده (المِعطَف).

مِن اللواتي – ولا شبيهَ لها –
يزينُهنَّ الدَّلالُ والخَفَرُ
في كلِّ عضوٍ وكلِّ جارحةٍ
معنى جديدٌ للحُسْن مبتكَرُ

✡✡✡✡✡

تبيتُ زُهرُ النُّجوم طامعةً
لو أنها فوق نَحْرِها دُرَر
رخيمةُ الصوت إن شدتْ لَفتَتْ
لها الدّراريْ وأنصت السَّحر

✡✡✡✡✡

أبثُّها الوجد وهْي لاهيةٌ
أذهلَها الحبُّ فهْي تَفْتكرُ
يا هندُ كم ذا الأنامُ تَعذلُنا
وما أثِمْنا ولا بِنا وِزَر(١)

✡✡✡✡✡

فابتدرتْ هندُ وهي ضاحكةٌ
ماذا علينا وإن هُمُ كثُروا
فدتك نفسي لو أنهم عقَلوا
واستشعروا الحبَّ مثلَنا عذروا

✡✡✡✡✡

ما جحد الحبَّ غيرُ جاهله
أيجحدُ الشمس من له بصرُ؟
ذرْهمْ وإن أجلَبوا وإن صخبوا
ولا تلُمْهُمْ فما همُ بشر!

✡✡✡✡✡

---

(١) أراد (الوِزر) بمعنى: الإثم. أما (الوَزَر) فهو الملجأ

سرنا الهُوينا وما بنا تَعبٌ
وقد سكَتْنا وما بنا حصر[١]
لكنَّ فرْطَ الهُيام أسْكَرنا
وقَبْلَنا العاشقونَ كم سكروا!

✡✡✡✡

فقلْ لمن يُكْثرُ الظنونَ بنا
(ما كان إلا الحديثُ والنظَر)
حتى رأيتُ النجوم آفلةً
وكاد قلبُ الظلام ينفَطر

✡✡✡✡

ودَّعتُها والفؤادُ مضْطَربٌ
أُكفْكفُ الدمع وهو ينهمرُ
وودعتْني ومن محاجرِها
فوق العقيقِ الجُمانُ ينحدر[٢]

✡✡✡✡

قد أضحكَ الدهر ما بكَيْتُ له
كأنما البيْنُ عنده وطَرُ
كانت ليالي ما بها كَدرٌ
والآن أمستْ وكلُّها كَدر

✡✡✡✡

إن نفد الدَّمعُ من تذكُّرِها
فجادَها بعد أدمعي المَطَرُ
عسى الليالي تَدري جِنايتَها
على قتيلِ الهوى فتَعتذِر

✱✱✱✱

---

(١) الحصر. العِيّ (حصِر - يحصر).
(٢) الجمان: اللؤلؤ (يريد. الدمع). والعقيق: أراد به لون خديها

٦ - الشاعر والأمة

[الرمل]

خَــيــرُ مــا يــكــتــبُه ذو مــرْقَمٍ[١]
قــصــةٌ فــيــهــا لــقــومٍ تَــذْكِــرَهْ

✡✡✡✡✡

كــان في مــاضي الــلــيــالي أمّــةٌ
خَــلع الــعــزُّ عــلــيــهــا حــبِــره[٢]

يــجــدُ الــنَّــازلُ في أكــنــافــهــا
أوجُــهــاً ضــاحــكــةً مُــســتَــبــشــره

ويــســيــرُ الــطَّــرفُ من أرْبــاضــهــا
في مــغَــانٍ حــالــيــاتٍ نَــضــره

لم يــقسْ شــعبٌ إلى أمــجــادهــا
مــجــده الــبــاذخَ إلا اســتــصــغَــره

هــمُّــهــا في الــعــلم تُــعــلي شــأنَه
بــيــنــهــا، والجــهلِ تَــمــحــو أثــره

مــا تــغــيــبُ الــشــمسُ إلا أطــلــعتْ
لــلــورى مــحْــمــدَةً أو مــأثُــره[٣]

فــتــمــنّى الــصــبحُ تــغــدو شــمــسَهُ
وتــمــنّى الــلــيلُ تــغــدو قــمــره

---

(١) المرقَم: القلم. والرَقْم: الكتابة.
(٢) الحَبَرَة: بُرد يماني (جمعه: حِبر).

ومشى الدهرُ إليها طائعاً
فمشتْ تائهةً مُفتَخره

☆☆☆☆☆

كان فيها ملكٌ ذو فطْنة
حازمٌ يصفحُ عند المَقْدِرهْ
يعشقُ الأمر الذي تعشقُهُ
فإذا ما استنكرَتْهُ استنكَره
بلغتْ في عهده مرتَبةً
لم تنلْها أمّةٌ أو جمْهره[1]
فإذا أعطتْ ضعيفاً موْثقاً
أشفقتْ أعداؤه أن تَخْفره
وإذا حاربها طاغيةٌ
كانت الظّافرةَ المنتَصره
مات عنها، فأقامت ملكاً
طائش الرأي كثير الثَّرثَره
حولَه عُصْبةُ سُوْءٍ، كلّما
جاء إدّاً أقبلتْ مُعتَذِره[2]
حسَّنتْ في عينه آثامَهُ
وإليه نَفْسَهُ المستَكْبِره
وتمادى القومُ في غفلتهمْ
فتمادى في الملاهي المُنكَره
زحزح الأمةَ عن مركزها
وطوى رايتَها المنتشره

(١) الجماعة من الناس.

ورأت فـيـهـا الـلـيـاليْ مـقـتَلاً

فـرمـتْـهـا فـأصـابتْ مـدْبَـره[1]

فـهـوت عن عـرشـهـا مـنـعـفـرَهْ

مـثـلـمـا تُـرمى بـسـهمٍ قُـبَّـره[2]

☼☼☼☼

كـان فـيـهـا شـاعـر مُـشْـتَـهـرُ

ذو قـوافٍ بـيـنـهـا مُـشْـتَـهـرهْ

كـلّـمـا هـزّت يـداهُ وتـراً

هـزّ من كلّ فـؤادٍ وتَـره

تَـعـسُ الحظِّ، وهل أتـعـسُ من

شـاعـرٍ في أمَّـة مُـحْـتَـضـره؟

يـقـرأ الـنـاظـرُ في مُـقـلـته

ثـورةً طـاهـرةً مـسْـتَـتـره

مـا يـراه الـنـاسُ إلا واقـفـاً

في مـغـاني قـومه الـمُـنـدثـره

حـائـراً كـالـريح في أطلالـهـا

بـاكـيـاً والـسُّـحب المـنـهـمـره

وهْي في أهـوائـهـا لاهـيـةٌ

وكـذاك الأمـةُ الـمُـسْـتَـهـتـره

مـا رأتْ مُـهـجـتَهُ الـمُـنـفـطـرهْ

لا ولا أدمُـعـهُ المـنـحـدِره

فـشـكـاهُ الـشّـعـرُ ممـا سـامَهُ

وشـكـاهُ الـلـيلُ ممّـا سـهِـره

---

(١) الدّبْر: الهلاك والموت، ومنها المَدْبَرة.

(٢) طير القبَّرة (وجمعها: قنابر).

ثم لما عبث اليأسُ به
مزّق الطِّرس وشجَّ المحْبره!!

✡✡✡✡✡

مر يوماً فرأى أشياخَها
جلسوا يبكون عند المقْبره
قال ما لَكُمُ؟... ما خطبُكُمُ
أيُّ كنزٍ في الثَّرى أو جوهره؟
ومنْ الثّاوي الذي تبكونَه
قيصرٌ، أم تُبَّعٌ، أم عنتَره؟
قال شيخٌ منهمُ مُحْدودِبٌ
ودموعُ اليأسِ تَغشى بصره
إن من نبكيه لو أبصرَهُ
قيصرٌ أبصر فيه قَيْصره
كيف يا جاهلُ لا تعرفُهُ
وحُداةُ العيسِ[1] تروي خَبره؟
هو مَلْكٌ كان فينا ومضى
فمضتْ أيامُنا المزدهره
ولَبثْنا بعده في ظُلَمٍ
داجِياتٍ فوقَنا مُعْتكره
والذي كان بنا «معرفةً»
لصروف الدهر أمسى «نَكره»
فَانْتهى التاجُ إلى مُعتَسِفٍ
لم يزلْ بالتاج حتى نثَّره

---

(١) العيس: الإبل البيض (المفرد. أعيس – عيساء).

كل ما تَصبو إليه نفسُهُ

مُعْصرٌ أو خمرةٌ معتَصره

مُستهينٌ بالليالي وبنا

مستعينٌ بالطَّغَام الفَجره

كلّما جاء إليه خائنٌ

واشياً قرَّبَهُ واستوزَرَه

فإذا جاءَ إليه ناصِحٌ

شكَّ في نيّته فانتَهره

مُستَبِدٌ باذلٌ في لحظة

ما ادّخَرناهُ له وادّخَره

يهبُ المرء وما يملكُهُ

وعلى الموهوبِ أن يستغفره

هزَأ الشاعرُ منهمْ قائلاً:

بلَغ السُّوسُ أصولَ الشَّجره

رحمةُ الله على أسلافكُمْ

إنهم كانوا تُقاةً بررة

رحمةُ الله عليهم، إنهم

لم يكونوا أمّةً منشطره

إنّ من تبكونَهُ يا سادتي

كالذي تشكون فيكم بطَره

إنما بأسُ الأُلى قد سلَفوا

قتلَ النهمةَ فيه والشَّره

فاحبِسُوا الأدمع في آماقكمْ

واتركوا هذي العظام النَّخره

لــــو فَــــعـــــلــــتُمْ فـــعْل أجــــدادكُمُ
مـــا قـــضى الــظــالمُ مــنــكم وطَــره
مـــا لـــكم تـــشـــكُــونَ من مُــحْــتــكِمٍ
رُضْــتُمُ ألــسُــنَــكُمْ أن تَــشـــكُــره؟
وجـــعـــلـــتمْ مـــنــكمُ عـــســـكَــرَهُ
وحــلــفــتُمْ أن تُــطــيــعــوا عــسْــكَــره؟
كـــيف لا يـــبْــغِي ويـــطــغَى آمــــرٌ
يــتَّــقِي أشــجــعُــكُمْ أن يــنــظُــره؟
مـــا اســتــحـــالَ الــهِــرُّ لَــيــثـــاً إنمـــا
أسُــــدُ الآجـــــامِ صـــــارتْ هــــرره
وإذا الـــــلــــــيثُ وهتْ أظْـــــفــــارُه
أنــــشب الـــســـنَّـــوْرُ فـــيه ظُــفُـــره!!

****

٧ - وأني...

[الخفيف]

نـــــظَـــــرتْ مـــــرّةً إلـي وقــــالت:
مــا يــقــول الحُــسّــادُ عــنكَ وعــنّي؟
قــلتُ: مــاذا عــســاهُمُ أن يــقــولــوا
غـــيــر أنّي جُـــنــنْتُ فـــيك. وأنّي...

****

٨ - أمّا أنا...

[الكامل]

لا تَـنـثَني في الـروضِ أغـصـانُ الـشـجـرْ
حـتى تـدغـدغَـهـا الـنـسـائم في الـسَّـحـر
وأنـــا كـذلك لا يـفـــارقُـنـي الـضَّـجـر
حـــتى تـــداعب لِـــمَّـتِي[1] بـــيـــديـــهـــا

✡✡✡✡

الـشـمسُ تُـلـقي في الـصـبـاح حـبـالَـهـا
وتـبـيتُ تـنـظـرُ في الـغـديـر خَـيـالَـهـا
أمَّـــا أنـــا فـــإذا وقـــفتُ حـــيـــالـــهـــا
أبـصـرتُ نـور الـشَّـمس في خـدّيـهـا

✡✡✡✡

الـطَّـودُ يـقـرأ في الـسـمـاء الـصـافـيهْ
سـفْـراً، جـمـيلٌ[2] مـتْـنُهُ والـحـاشـيه
أمَّـــا أنـــا فـــإذا فـــقَـــدْتُ كـــتَـــابـــيَه
أتـــلـــو كـــتـــاب الحبّ في عـــيـــنـــيـــهـــا

✡✡✡✡

الـطّـيـرُ إن عـطـشتْ ولجَّ بـهـا الـظَّـمـا
هـبـطتْ إلى الأنـهـار من عُـلْـو الـسـمـا
أمـــا أنـــا فـــإذا ظـــمـــئْتُ فـــإنمـــا
ظمـأي الـشـديـدُ إلى لَـمى[3] شـفـتـيْـهـا

✡✡✡✡

---

(١) الشعر. لأنه يلمّ بالكتف.

(٢) الصحيح: جميلاً

النَّدُّ يطلبُهُ الخلائقُ في الرُّبا
بين الورود وفي نُسيماتِ الصَّبا
أما أنا فألذُّ من نشْر الكَبا
عندِي، الذي قد فاح من نهديها

✡✡✡✡✡

الرَّاحُ تَصْرفُ ذا العنَاء عن العنا
وتطيرُ بالصُّعلوك في جوِّ المُنى
فيرى الكواكب تحته، أما أنا
فتظلّ أفكاري تحوم عليها

✡✡✡✡✡

فيها ومنها ذلّتي وسَقَامي[1]
وبها غرامي، القاتلي ؛ وهُيامي
أشتاقُها في يقْظَتي ومنامي
وا طُولَ شوقِ المُستَهام إليها!

****

(١) المرض.

٩ - وداع وشكوى

[الكامل]

أزِف الـرحـيلُ وحـانَ أن نـتـفـرّقـا
فـإلى الـلِّقـا يـا صـاحـبيَّ إلى الـلِّقـا

إنْ تـبـكـيـا فـلـقـدْ بـكـيتُ من الأسى
حـتّى لـكـدتُ بـأدمـعي أن أغْـرَقـا

وتـسـعَّـرتْ عـنـد الـوداع أضـالـعي
نـاراً خـشـيتُ بـحـرهـا أن أُحـرَقـا

مـا زلتُ أخـشى الـبـين قـبل وقـوعه
حـتى غـدوتُ ولـيس لي أن أفـرَقـا[1]

يـوم الـنَّـوى، لـله مـا أقـسى الـنَّـوى
لـولا الـنّوى مـا أبـغضتْ نفسي الـبقـا

رُحـنـا حـيـارى صـامـتـينَ كـأنمـا
لـلـهـولِ نـحْـذَرُ عـنـده أن نـنـطـقـا

أكـبـادُنـا خـفّـاقَـةٌ وعـيـونـنـا
لا تـسـتـطـيع، من الـبـكـا، أن تَـرمُـقـا

نـتـجـاذبُ الـنـظـراتِ وهي ضـعـيـفـةٌ
ونـغـالـبُ الأنـفـاس كَـيلا تُـزهـقـا

لـو لم نـعـلِّلْ بـالـلـقـاء نـفـوسـنـا
كـادتْ مع الـعـبـراتِ أن تـتـدَفَّـقـا

---

(١) الفرَق: الخوف.

يا صاحبيَّ تصبَّرا فلربما
عُدْنا وعاد الشَّملُ أبهى رونْقا
إن كانتِ الأيامُ لم تَرفُقْ بنا
فَمن النُّهى بنفوسنا أن نَرفُقَا
إن الذي قَدر القطيعةَ والنّوى
في وُسْعه أن يجمع المُتفرِّقا!..

✡✡✡✡✡

ولقد ركبتُ البحر يزأرُ هائجاً
كالليثِ فارقَ شبلَه بل أَحنَقَا
والنفسُ جازعةٌ ولستُ ألومُها
فالبحرُ أعظمُ ما يُخافُ ويُتَّقى
فلقد شهدتُ به حكيماً عاقلاً
ولقد رأيتُ به جهُولاً أخْرَقا
مُسْتَوفزٌ ما شاء أن يلهو بنا
مترفِّقٌ ما شاء أن يترفَّقَا
تتنازعُ الأمواجُ فيه بعضها
بعضاً على جهلٍ تُنازعُنا البقَا
بيْنا يراها الطَّرْفُ سُوراً قائماً
فإذا بها حالتْ فصارتْ خَنْدقا
والفُلْكُ جاريةٌ تشُقُّ عُبابَه
شَقّاً، كما تَفْري رداءً أخْلَقا[1]
تعلو فنحسبُها تَؤمُّ بنا السَّما
ونظن أنّا راكبون مُحلِّقَا

(١) خَلُق وأخلق: بلي.

حتى إذا هبطَتْ بنا في لُجَّة
أيقنتُ أن الموت فينا أحدَقا
والأفْقُ قد غطّى الضبابُ أديمَه
فكأنما غشي المداد المُهْرَقا
لا الشمسُ تسطعُ في الصباح، ولا نرى
إما استطالَ الليلُ بدراً مُشرِقا
عشرون يوماً أو تَزيد قضيتُها
كيف التَفَتُّ رأيتُ ماءً مُغدقا
(نيويورك) يا بنت البُخار، بنا اقصُدِي
فلعلّنا بالغرب ننسى المشْرِقا
وطنٌ أردناه على حُبِّ العُلا
فأبى سوى أن يستكينَ إلى الشَّقَا
كالعبد يخشى، بعد ما أفنى الصِّبا
يلهو به ساداتُه، أن يُعتَقَا
أوَ كلّما جاء الزمانُ بمُصلحٍ
في أهله قالوا طغى وتزنْدَقا؟
فكأنما لم يكفه ما قد جنَوْا
وكأنما لم يكفهمْ أنْ أَخفَقا
هذا جزاءُ ذوي النُّهى في أمَّة
أخذَ الجُمودُ على بنيها موْثِقا
وطنٌ يضيقُ الحُرُّ ذَرْعاً عندَهُ
وتراه بالأحرار ذَرْعاً أضْيقا
ما إن رأيتُ به أديباً مُوسراً
فيما رأيتُ، ولا جهولاً مُمْلقَا
مشَتِ الجهالةُ فيه تسحبُ ذيلَها
تيهاً، وراح العلْمُ يمشي مُطْرِقا

أمسى وأمسى أهلُه في حالة
لو أنّها تعرو الجماد لأشفقا
شعبٌ كما شاء التخاذلُ والهوى
مُتفرِّقٌ ويكادُ أن يتمزَّقا
لا يرتضي دين الإله مُوفِّقاً
بين القلوب، ويرتضيه مُفرِّقا
كَلفٌ بأصحاب التعبُّد والتُّقى
والشَّرُّ ما بين التعبُّد والتُّقى
مُستضعَفٌ، إن لم يُصبْ متملِّقاً
يوماً تَملّقَ أن يرى مُتملقا
لم يعتقدْ بالعلم وهو حقائقٌ
لكنه اعتقد التمائم والرُّقَى!
ولربما كَره الجمود وإنما
صعبٌ على الإنسان أن يتَخلَّقا!..
وحكومةٌ ما إنْ تُزَحْزحْ أحمقاً
عن رأسها حتى تُولِّي أحمقا
راحتْ تُناصبُنا العداء كأنما
جئنا فَرِيّاً أو ركبنا مَوْبقاً[1]
وأبتْ سوى إرهاقنَا فكأنما
كلُّ العدالة عندها أن نُرْهَقا
بينا الأجانبُ يعبثونَ بها كما
عبِثَ الصَّبا سحراً بأغصانِ النَّقا[2]
(بغدادُ) في خطرٍ و(مصرُ) رهينةٌ
وغداً تَنالُ يدُ المطامعِ (جِلَّقَا)

(١) الفريّ: المصنوع المختلق (من: الفِرية: الاختلاق). والمَوْبق: المهلكة. وبَق وبوقاً: هلك.

ضعُفتْ قوائمُها ولمّا ترعوي

عن غَيّها حتى تزولَ وتُمْحقا

قيل: اعشقوها، قلت: لم يبْقَ لنا

معها قلوبٌ كي نُحبَّ ونَعشَقا

إن لم تكن ذاتُ البنين شفيقةً

هيهات تلقى من بنيها مُشْفقا

أصبحتُ حيث النفسُ لا تخشى أذى

أبداً، وحيث الفكرُ يغدو مُطلَقا

نفسي اخلُدي، ودعي الحنينَ، فإنما

جهْلٌ، بُعيد اليومِ، أن نتَشوّقا

هذي هي «الدنيا الجديدةُ» فانظري

فيها ضياءَ العلمِ كيف تألّقَا

إني ضمنتُ لك الحياةَ شهيةً

في أهلها، والعيش أزهر مُونِقَا

****

١٠ - عصر الرشيد

[الكامل]

كم بين طيّاتِ العُصور الخاليهْ
عظةٌ لأبناء الدهور الآتيَهْ

عبرُ الليالي كالليالي جمّةٌ
لكنما النَزْرُ القلوبُ الواعيه

الدهرُ يُفنينَا ونَحسبُ أنهُ
يُفني بنا أيامه ولَياليَه

فإذا مشى فينا الفناءُ فراعنا
خَلَقَ الخيالُ لنا الحياةَ الثانيه

إن الحياةَ قصيدةٌ، أبياتُها
أعمارُنا، والموتُ فيها القافيه

كم تعشقُ الدنيا وتنكر عهدها
أنسيت أن الخُلْفَ طبعُ الغانيه؟

وتودُّ لو يبقَى عليكَ نَعيمُها
أجهِلْت أنَّ عليكَ ردُّ العاريه؟

خلِّ الغُرور بما لديكَ فإنما
دنياك زائلةٌ ونفسُك فانيه

إنّ الأُلى وطئتْ نعالُهُمُ السُّها
وطئتْ جِباهَهُمُ نعالُ الماشيه

لو أن حيّاً خالداً فوق الثَّرى
ما مات «هارونٌ» وزال «معاويه»

أوَ كــان عــزٌّ دائــمــاً مــا أصــبــحتْ
«بــغــدادُ» في عــدد الــطُّــلــولِ الــبــالــيه
أخــنَتْ عــلــيــهــا الحــادثــاتُ، فــدُورُهــا
خــربٌ تُــعــاودهــا الــريــاحُ الــسَّــافــيه
يــأوي إلــيــهــا الــبــومُ غــيــر مُــروَّعٍ
من كلِّ نــعّــابٍ أحمِّ الخَــافــيه[1]
نــزل الــقــضــاءُ فــمــا حــمــاهــا ســورُهــا
ولــطــالمــا ردّ الجــيــوش الــغــازيه
واجــتــاح مُــجــتــاحُ الــعُــروشِ مــلــوكَــهــا
فــكــأنــهــمْ (أعــجــازُ نَــخْــلٍ خــاويه)
أين الــقــصــورُ الــشــاهــقــاتُ وأهــلُــهــا
بــاد الجــمــيــعُ، فــمــا لــهــمْ من بــاقــيه
درستْ مــعــالــمُــهــا وغــيَّــرهــا الــبِــلَى
ولــقــد تُــرى حُــلَلُ المحــاسنِ كــاســيه
أيــــام لا دوحُ المــــعــــارفِ ذابلُ
ذاوٍ، ولا دُورُ الــصــنــاعــة خَــالــيه
أيــام لا لــغــةُ «الــكــتــابِ» غــريــبــةٌ
فــيــهــا، ولا هــمَمُ الأعــاربِ وانــيَه
أيــامَ كــان الــعــلْمُ يــغــبِطُ أهــلَهُ
أهلُ الــثَّــراء، ذوو الــبُــرُود الــضَّــافــيه
أيــامَ كــان لــكلّ حُــسْنٍ شــاعــرٌ
كَــلِــفٌ به ولــكلّ شــعْــرٍ راويه
أيــام «دجــلــةُ» مُــطــمــئنٌ هــادئٌ
جــذلانُ يــهــزأ بــالــبُــحــورِ الــطّــامــيه

---

(١) الأحمّ: الأسود من كل شيء. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. مفردها: خافية.

«النِّيلُ» خادمُه الأمينُ، وعبْدُه

«نهرُ الفراتِ» وكلُّ عينٍ «جاريه»

تهوى الكواكبُ أنها حصْباؤُه

أو أنها شجرٌ عليه حانيه

وتودُّ كلُّ سحابةٍ مرّتْ به

لو أنه سُحُبٌ عليها هاميَه[1]

وترى الغزالةُ طيفَها عند الضُّحى

في سطْحه فتَبيتُ عطشى راويه

أيامَ كان الشَّرقُ مرهوب الحمى

يكسو الجَلالُ سهولَه وروابيَه

أيامَ تحسُدُها العواصمُ مثلَما

حسد العواطلُ أختَهنّ الحاليه

ولطالما كانت تُنازعها

«مصر»، وتحمي ذكرها «أنطاكيه»

☆☆☆☆☆

أيام «هارونٌ» يُدير شؤونَها

يا عصر «هارونٍ» عليكَ سلاميَه

ملكٌ أدالَ من الجهالة علْمُهُ

وأذلَّ صارِمُه الملوكَ العاتيه

ومشتْ تُطوِّفُ في البلاد هِباتُهُ

تغشَى حواضرها وتغشى الباديه

ملأ البلاد عوارفاً ومعارفاً

والأرض عدْلاً والنفوس رَفاهيه

---

(١) همى. سال، من مطر وغيره.

فتحضّر البادون في أيامه
واستأنستْ حتى الوحوشُ الضّاريه
وتسربلتْ «بغدادُ» ثوب مهابة
ليستْ تَراه أو «تُراه» ثانيه
هاتيك أيامٌ تلاشَتْ مثلَما
تمحو من الرَّقّ الحروف الماحيَه[1]
لم يبقَ إلا ذكْرُها يا حُسنَها
ذكرى تَهشُّ لها العظامُ الباليه
لو أن هذا الدهر سفرٌ كنت يا
عصر الحضارةِ متْنَهُ والحاشيه
عصرٌ لئن جاء البشيرُ بعوْده
فلأخلعنَّ على البشير ثيابيه!..

✲✲✲✲✲

إيه «أبا المأمون» ذكرُكَ ابدٌ
في الأرض مثل الشامخَاتِ الراسيه
باقٍ على مرّ العصور بقاءَها
وكذاك ذكْرُ ذوي النفوس السَّاميه
إن لم يكن لكَ من مثالٍ بيننا
فلأنّ روحك كلَّ حينٍ دانيه
هي في الخمائلِ زهرةٌ فيّاحةٌ
هي في الكواكب شمسُها المُتَلاليه
إني لأعجبُ كيف مُتَّ وفي الورى
حيٌّ وكيف طَوتْكَ هذي الطَّاويه
ومن الزَّمانِ يهُدُّ ما شيَّدْتَهُ
ويْح الزَّمانِ، أما تهَّيب بانيَه!

(١) الرّق. الصحيفة البيضاء. وأراد بالحروف الماحية: الحروف التي تذهب بأثرها

تشكو إليك اليوم نفسي شَجوها
فلأنت مفْزَعُ كلِّ نفسٍ شاكيه
أتُراكَ تعلَمُ أنّ دارَك بُدِّلتْ
مِن صوت «إسحقٍ» بصوت الناعِيه؟[1]
أتُراك تعلَمُ أن ما أثّلْتَهُ
قد ضيّعتْهُ الأنفسُ المُتَلاهيه؟
يا ويح هذا الشَّرقِ بعدَك، إنه
للضعف بات على شفيرِ الهاويه
ما كان يقنَعُ بالنجومِ وسائداً
واليوم يقنَعُ أهلُه بالعافيه!
مُسْترسلُونَ إلى الذُّهول كأنما
سُحروا أو اصطُرِعُوا ببنتِ الخَابيه
مُسْتَسلمونَ إلى القضاء كأنما
أُخذوا ولمّا يؤخَذوا، بالغَاشيه
المجدُ إدراكُ النفيسِ، وعندهمْ
ما المجدُ إلا شادنٌ أو شاديه
يهوى الحياةَ الناسُ طوعَ نفوسهمْ
وهُمُ يريدونَ الحياةَ كما هيه
صغُرتْ نفوسُهُمُ، فبات عزيزُهُمْ
يخشى الجبانَ، كما يخافُ الطاغِيه
حملوا المغَارم ساكتين كأنما
كَبِرتْ على أحنَاكهمْ «لا» النَّاهيه
لم تَسْمعِ الدنيا بقومٍ قبلَهُمْ
ماتوا وما برِحوا الديار الفانيه

[1] اسحق الموصلي: المغني أيام الرشيد

الـلـهَ، لـو حـرصُـوا عـلى أمـجـادهمْ
فَـلَـتـلك عُـنـوانُ الـشـعـوبِ الـراقـيه
مـلَكَ «الـعُـلُـوجُ» أمـورهـمْ ومـتـاعـهُمْ
حـتى سـوامـهُمُ وحـتى الآنـيه
واخَـجْـلَـةَ الـعـربيِّ منْ أجـدادهِ
صـارتْ عـبـيـدُهُمُ الـطَّـغَـامُ مـوالـيَه!..

☆☆☆☆

أبـنِي الـغَـطَـارِفَـةِ الجـبـابـرةِ الأُلى
وطـئـوا «الـلُّـوار» ودوّخـوا «إسـبـانـيْه»[1]
من حـولِـكُمْ وأمـامـكُمْ تـاريـخُـهمْ
فـاسـتـخْـبِـروه فـذاك أصـدقُ راويه
قـادوا الجـيـوش فـكلُّ سـهْلِ ضـيِّقٌ
ورمُـوا المـعـاقلَ فـهْي أرضٌ داحـيه[2]
وسـطَـوْا فـأَسْـقـطت الـعروش مـلوكَها
رُعـبـاً وأَجْـفـلتْ الـصُـروحُ الـعـالـيهْ[3]
ومـشـوْا عـلى هـامِ الـنـجـوم فـلم تـزلْ
في الـلـيل من وجَلٍ تُـحـدِّقُ سـاهـيه
وردتْ خـيـولُـهمُ المجـرّةَ شُـزَّبـاً
والـشُّـهبُ من حـولِ المجـرّةِ صـاديه[4]
أعـطـاهُمُ صـرْفُ الـزمـانِ زِمـامَه
أمـنُـوا ومـا أمن الـزَّمـانُ دواهـيه

---

(١) اللوار: أطول أنهار فرنسة (Loire) وعنده جرت المعارك بين العرب (عبد الرحمن الغافقي) والفرنجة في القرن الثامن الميلادي.

(٢) دحا: بسط يريد هنا المدحوّة. (تحويل المعاقل إلى أرض مبسوطة).

(٣) أجفل: شرد فذهب.

(٤) ضامرة (الشازب: الضامر)، وخيل شزّب: ضامرة البطن. وصدي يصدى: عطش.

لا أسْتَفزُّكُمُ لِمِثْلِ فُتوحِهِمْ

لكنْ إلى حفظ البقايا الباقيه

أتَذلُّ آنافَ الملوكِ جُدودُكُمْ

وتَسومُكُمْ خَسفاً رُعاةُ الماشيه؟

كم تَصبِرونَ على الهوان كأنكمْ

في غبْطةٍ والذّلُّ نارٌ حاميه

يا لَلرجالِ! أما علمتمْ أنَّكمْ

إن لم تثوروا، أمةٌ مُتلاشيه؟

✵✵✵✵

«دار السلامِ» تحيةً من شاعرٍ

حسدتْ مدامعُه عليك قوافيه

فَأَراقَ ماءَ شؤونه ولو انَّه

في الغَادياتِ أراقَ ماء الغاديه[1]

لو كان مجدُك مُسالِماً سالبكا

قطرتْ محاجرُه الدماءَ القانيه

فعليك تذهبُ كلُّ نفسٍ حسْرةً

ولمثل خَطْبك تُستعارُ الباكيه!!

✵✵✵✵

(١) الغادية: السحابة تنشأ عند الصباح.

١١ - لم أجد أحدا...

[الكامل]

قـــالت: ســـكَتَّ ومـــا ســـكتَّ سُــدى
أعْــيــا الـــكلامُ عـــلــيك أم نَـــفــدَا؟
إنّـــا عـــــرفـــنـــا فـــيك ذا كَـــرمٍ
مـــا إن عـــرفـــنـــا فـــيك مُـــقـــتَـــصـــدا
فَـــاطـــلـقْ يـــراعك يـــنـــطـــلقْ خَـــبـــبـــاً
واحـــلُـلْ لـــســـانَك يـــحـــلُـل الـــعُـــقَـــدا
مـــا قـــيـــمـــةُ الإنـــســـانِ مُـــعـــتَـــقـــداً
إن لم يـــقلْ لـــلـــنـــاسِ مـــا اعـــتَـــقَـــدا؟
والجـــيشِ تحت الـــبـــنْـــد مُـــحـــتَـــشـــداً
إن لم يـــكنْ لـــلـــحـــرْب مُـــحـــتـــشـــدا؟
والـــنـــورِ مُـــســـتـــتـــراً؟ فـــقـــلتُ لـــهـــا:
كُـــفِّي المَلامـــةَ واقـــصُـــري الـــفَـــنَـــدا[1]
مـــاذا يُـــفـــيـــدُ الـــصـــوتُ مـــرتـــفـــعـــاً
إن لم يـــكن لـــلـــصـــوت ثَمّ صـــدى؟
والـــنـــورُ مُـــنـــبـــثـــقـــاً ومـــنـــتـــشـــراً
إن لم يـــكنْ لـــلـــنـــاس فـــيـــه هُـــدى؟
إن الحـــوادثَ في تـــتـــابُـــعـــهـــا
أبـــدلْتَـــنـــي من ضـــلّـــتِي رَشَـــدا

---

(١) قصُر: ضد طال (يقصُر - قِصراً) والفنَد هنا: اللوم والعذَل.

مــــا خـــــانَـــنِي فـــكْـــرِي ولا قـــلَــمِي
لـــكنْ رأيتُ الـــشِّـــعــر قـــد كَـــســـدا!

☆☆☆☆☆

كـــــان الــــــشَّـــبـــــابُ، وكـــــان لـي أمَلٌ
كـالــبـحــر عُــمْـقــاً، كـالـزمــانِ مـدى
وصــــحـــابـــةٌ مـــثلُ الـــريـــاضِ شـــذاً
وصــــــواحبٌ كـــــوُرودهــــــا عـــــددا
لـــــكـــنّـــني لــــمَّـــا مـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طَـــــرْفي لم أجــــدْ أحــــدا!...

☆☆☆☆☆

ذهب الــصـبــا ومـضى الــهـوى مـعَهُ
أصـــبـــابـــةً والـــشَّـــيبُ قـــد وَفَـــدا؟
فـــالـــيـــوم إن أبـــصــرتُ غـــانـــيـــةً
أُغْـــضِي كـــأنَّ بمــــقــــلــــتي رمــــدا
وإذا تُـــدارُ الـــكـــأسُ أصــــرِفُــــهـــا
عـــــنـي، وكـــــنتُ ألــــومُ من زَهــــدا
وإذا ســـــمــــعتُ هُـــتـــاف شـــاديـــة
أمـسـكتُ عـنـهـا الـسَّـمْعَ والـكَـبِـدا
كـــفّـــنتُ أحلامي وقـــلتُ لــــهــــا:
نـــــامي! فـــــإنّ الحبَّ قـــــدْ رَقَــــدا
وقْـعُ الخُــطــوبِ عـــليّ أخْـــرســـنـي
وكــذا الـعـواصفُ تُـسـكتُ الـغَـرِدا
عـــمـــرُو صـــديقُ كـــان يـــحـــلفُ لي
إن نُــــحتُ نــــاح وإن شــــدَوْتُ شَــــدا
وإذا مــــشَــــيْتُ إلى المَــــنــــون مــــشى
وإذا قـــعـــدتُ لـــحـــاجـــة قَـــعـــدا

صـــدّقْـــتُه، فـــجـــعـــلـــتُه عـــضُـــدي
وأقـــمتُ من نـــفْـــسي له عـــضُـــدا
لـــكـــنَّـــني لـــمّـــا مـــدَدْتُ يـــدي
وأدَرْتُ طَـــرْفي لم أجـــدْ أحـــدا!..

✡✡✡✡✡

هـــنـــدٌ، وأحـــســـبُـــني إذا ذُكـــرتْ
أطـــأُ الأفـــاعي، أو أَجُسُّ مُـــدى[1]
كـــانت إلـــهـــاً، كـــنتُ أعـــبُـــدُه
وأُجِـــلّه، والحُـــسْنُ كَمْ عُـــبِـــدا
كم زُرتُـــهـــا والحيُّ مـــنـــتـــبِـــهٌ
وتـــركـــتُـــهـــا والحيُّ قـــد هـــجـــدا
ولـــكم وقـــفتُ عـــلى الـــغَـــديـــر بـــهـــا
والـــريحُ تـــنـــسِج فـــوقَه زَرَدا
والأرضُ تـــرقُص تحـــتـــنـــا طَـــربـــاً
والـــشُّـــهبُ تـــرقُصُ فـــوقـــنـــا حـــســـدا
ولـــكم جـــلـــسْـــنـــا في الـــريـــاض مـــعـــاً
لا طـــارئـــاً نَـــخْـــشى ولا رصـــدا
والـــلـــيلُ فـــوق الأرض مـــنْـــســـدِلٌ
والـــغـــيْمُ فـــوق الـــبـــدْر قـــد جـــمـــدا
قـــد كـــاشـــفـــتْـــني الحبَّ مُـــقـــتـــرِبـــاً
وشـــكتْ إلـــيّ الـــشَّـــوقَ مـــبْـــتـــعـــدا
لـــكـــنَّـــني لمـــا مـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طَـــرْفي لم أجـــدْ أحـــدا!..

✡✡✡✡✡

(١) المُدية: السكين (والجمع: مُدى).

قـــومـي، وقـــد أَطــربـــتُــهـمْ زمــنـــاً

ســـاقـــوا إلـيَّ الحُـــزْنَ والـــكَـــمــــدا

هـم عـــاهـــدونـي إنْ مـــددتُ يـــدي

لَـــيـــمُـــدُّ كلُّ فـــتًى إلـي يـــدا

قـــالـــوا غـــداً تـــهـــمي ســـحـــائـبُــنـا

فـــرجـــعـــتُ أدراجي أقـــول غـــدا

وظـــنـــنـــتُ أنـي مـــــدركٌ أَرَبـي

إن غـــار تحت الأرض أو صـــعـــدا

فـــذهـــبتُ أمـــشي في الـــثَّـــرى مـــرِحـــاً

مـــا بـــين جلاّسـي، ومُـــنـــفـــرِدا

تـــيـهُ المجـــاهـــد نـــال بُـــغْـــيـــتَه

أو تـــيـهُ مـــســـكـــينٍ إذا سُـــعـــدا

لـــكـــنـــنـي لمـــا مـــددتُ يـــدي

وأدرتُ طَـــرْفـي لم أجـــد أحـــدا!..

✡✡✡✡✡

هُمْ هـــدّدونـي حـــينَ صـــحـتُ بـــهـمْ

صـــيْـــحـــاتي الـــشَّـــعـــواء مـــنْـــتـــقـــدا

ورأيـتُ فـي أحـــــداقـــــهـمْ شـــــرراً

ورأيـتُ فـي أشـــــداقـــــهـمْ زَبَـــــدا

وســـمـــعتُ صـــائـــحـــهمْ يـــقـــول لـــهـمْ:

أَنْ أُقْـــتُـــلـــوهُ حـــيـــثُـــمـــا وُجـــدا

فـــرجـــعـــتُ أحـــســـبُـــهـمْ بـــرابـــرةً

فـي مـــهْـــمـــه وأظـــنُّـــنـي وَلَـــدا[1]

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة (والجمع: مهامه).

مـــرَّتْ لـــيـــالٍ مـــا لـــهـــا عـــددٌ
وأنـــا حـــزينٌ بـــاهتٌ كَـــمـــدا[1]
أرتـــاعُ إن أبـــصـــرتُ واحـــدهمْ
ذُعـــر الـــشُّـــوَيْـــهـــة أبـــصـــرتْ أَســـدا
وإذا رقَـــدتُ رقـــدتُ مـــضـــطـــربـــاً
وإذا صـــحـــوتُ صـــحـــوتُ مُـــرتَـــعـــدا
لـــكـــنـــنـــي لـــمّـــا مـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طـــرْفـــي لـــم أجـــد أحـــدا!..

✡✡✡✡✡

لا تـــذكـــروهم لـــي، وإن ســـألـــوا
لا تـــذكـــرونـــي عـــنـــدهم أبـــدا
لا يـــملأ الـــســـربـــالَ واحـــدُهُمْ
ولـــه وعـــودٌ تـــمـــلأ الـــبـــلَـــدا[2]
يـــا لـــيـــتَـــنـــي ضـــيّـــعت مـــعْـــرفـــتي
من قَـــبـــلِ أعـــرف مـــنـــهـــمُ أحـــدا[3]

✸✸✸✸

(١) الكَمِد والكميد: الحزين الذي يكتم حزنه.
(٢) السربال: القميص.
(٣) التقدير: أن أعرف.

١٢ - السرُّ في الأرواح

[الكامل]

قــال الــغــرابُ وقــد رأى كَــلَفَ الــورى
وهُــيــامــهُمْ بــالــبــلــبل الــصَّــدّاحِ:

«لِم لا تَــهــيمُ بي المــســامعُ مــثــلَهُ
مــا الــفــرقُ بــين جــنــاحه وجــنــاحي؟

إني أشــدّ قُــوى وأَمــضى مــخْــلــبــاً
فــعلام نــام الــنــاسُ عن تَــمْــدَاحي»؟

✡✡✡✡✡

أمُــفــرّقَ الأحــبــابِ عن أحــبــابــهم،
ومــكــدّر الــلــذّاتِ والأفــراح!

كم في الــســوائل من شــبــيه بــالــطِّلا
فــعلام لــيس لــهــا مــقــامُ الــراح؟

لــيس الحُــظُــوظُ من الجــســوم وشــكــلــهــا
الــسِّــرُّ كلُّ الــســر في الأرواح

والــصــوتُ من نــعمِ الــســمــاء، ولم تــكن
تــرضى الــسَّــمــا إلا عن الــصَّــدّاح

حُكْمُ الــقــضــاء فــإن نَــقــمْت عــلى الــقَــضــا
فَــاضْــرِبْ بــعــنــقكَ مُــدْيَــةَ الجــرَّاح

****

١٣ - بنت سورية

[الرمل]

لـيس يـدري الـهمَّ غـيـرُ الـمُـبْـتَـلي[١]
طـــال جـــنحُ الــلــيل أو لم يــطُلِ

مـا لــهـذا الـنجمِ مـثـلي في الـثرى
طــائـــر الـــنـوم شــديـــد الـــوجَل

أتُـــراهُ يـــتّـــقي طـــارئَـــةً
أم بـه أنّي غَــريـبُ المـــنـــزل؟

كـلّـمـا طـالـعتُ خَـطْـبـاً جـلَلاً
جــاءني الـدهــرُ بــخــطبٍ جــلَل

أشـــتـكي الــلــيلَ ولــو ودّعــتُه
بتُّ من هــمّي بــلــيلٍ ألْــيَل[٢]

يــا بـنــات الأفْقِ مــا لـلـصبِّ مِن
مُـسْـعـدٍ في الـنـاس؛ هلْ فـيـكنّ لي؟

لا عــرَفـــتُنّ الـــرزايــا إنـــهــا
شـــيّـــبتْ رأسـي ولـم أكـــتَــهِل

سـهِـدتْ سُـهـدي الـدَّراري[٣] إنمــا
شــدَّ مـا بـين الـمُـعـنّى والخَــلي

لـيت شـعـري مـا الـذي أعـجـبـهـا
فـهْـي لا تـنـفكُّ تَـرنـو من عَلِ

---

(١) يريد: المبتلى.

(٢) شديد الظلمة

(٣) النجوم لأنها تلمع في السماء كالدُّرَر.

أنـــا لا أغـــبِـــطُـــهـــا خـــالـــدةً
ولـــقـــدْ أحْـــسُـــدُهـــا لم تَـــعْـــقل

كـــلّـــمـــا راجـــعتُ أحلام الـــصـــبـــا
قـــلت: يـــا لـــيت الـــصـــبـــا لم يـــزل!..

أيـــهـــا الـــقـــلبُ الـــذي في أضـــلُـــعي
إنمـــا الـــلـــذةُ جـــهلاً فـــاجـــهلِ[1]

تَـــجْـــمُلُ «الـــرِّقَّـــةُ» في الـــعـــضْبِ فـــإنْ
كـــنت تـــهـــواهـــا فـــكن كـــالـــمُـــنْـــصُل[2]

هـــي في الـــغـــيـــد الـــغَـــواني قـــوَّةٌ
وهـــي ضـــعـــفٌ في فـــؤاد الـــرجل

لا يـــغُـــرَّ الحـــسنُ ذا الحُـــسْنِ فـــقـــد
يـــصـــرعُ الـــبـــلـــبلَ صـــوتُ الـــبـــلـــبل

تُـــقـــتَلُ الـــشـــاةُ ولا ذنْب لـــهـــا
هـــي، لـــولا ضـــعـــفُـــهـــا، لم تُـــقـــتل

إن تـــكنْ في الـــوحش كنْ لـــيثَ الـــشّـــرى[3]
أو تـــكنْ في الـــطـــيـــر كنْ كـــالأَجْـــدَل[4]

أو تـــكنْ في الـــنـــاس كن أقـــواهُـــمُ
لـــيـــست الـــعـــلـــيـــاءُ حظَّ الـــوُكَّل![5]

✡✡✡✡✡

مـــا لـــقـــومِـــي - لا وهـــى حـــبْـــلُـــهـــمُ -
قـــنـــعـــوا من دهْـــرهـــمْ بـــالـــوَشَل[6]

(١) الصحيح: إنما اللذة جهل.. إلا إذا لجأنا إلى التقدير!
(٢) النصل: حديد السيف، والمنصل: السيف.
(٣) موضع تُنسب إليه الأسود.
(٤) الصقر.
(٥) أرادها جمعاً للوَكِل. البليد الجبان، المتكل على غيره.

أنـــا من أمـــرهِمُ في شُـــغُلٍ
وهُمُ عن أمـــرِهمْ في شُـــغُل

كـلّـما فـكَّـرتُ في حـاضـرِنا
عـاقَـني اليأسُ عن المسـتقبَل

نـحن في الجـهل عـبيدٌ للـهوى
ومع الـعـلْم عـبـيدُ الـدُّوَل

نـعشقُ الشَّمس ونَـخشى حرَّها
مـا صعـدْنـا وهي لـمّـا تَـنْـزِل

قد مشى الغربُ على هامِ السُّها
ومشينا في الحضيضِ الأسْفل

سجَّلَ العار علينا معشَرُ
سجّلوا المرأةَ بين الهمَل

فـهي إمّا سـلعةٌ حاملةٌ
سلَعاً أو آلةٌ في معْمَل

أرسلُوها تـزرعُ الأرض خُطَى
وتُباري كلَّ بيتٍ مـثل[1]

تـتَهاداها المـوامي والربُّا[2]
فـهي كالدينار بين الأنْمُل

لا تُبالي القيظَ يشوي حرُّه
لا ولا تحذرُ بـرْدَ الشَّمْأَلِ

ولها في كل بابٍ وقْفَةٌ
كامرئ القيس حيالَ الطَّلَل[3]

(١) في عجز البيت ركاكة وغموض. لم أجد له في النسخ بين يدي، صورة أخرى!
(٢) المُوماة: المفازة الواسعة، والفلاة التي لا ماء فيها (وجمعها: الموامي).
(٣) إشارة إلى مطلع معلقته التي طلب فيها من صاحبيه الوقوف على الحبيب ومنزله، بسِقط اللوى.

تتَّقي قولَ «اغرُبي» خَشيتَها
قولةَ القائلِ «يا هذي ادخُلي»
فهي كالعصفور وافى صادياً[1]
فرأى الصيَّاد عند المَنْهل
كامناً، فانصاعَ يُدنيه الظَّما
ثم يُقصيه اتِّقاءُ الأجَل
ولكَمْ طافتْ به آملَةً
وانثنتْ تقطعُ خيطَ الأمل
ولكَمْ مدَّتْ إلى الرِّفْد[2] يداً
خُلقتْ في مثلها للقُبَل
ما بها؟ لا كان شراً ما بها
ما لها من أمرِها في خَبَل؟
سائلوها أو سلوا عن حالها،
إنْ جهلتمْ، كلَّ طفلٍ مُحْوِل[3]
في سبيل المال أو عُشَّاقه
تكدحُ المرأةُ كدْح الإبِل
ما تَراها وهي لا حوْل لها
تحت عبْءٍ فادحٍ كالجبَل
شدَّتِ الأمراس في ساعدها
من رأى الأمراس حول الجدْول؟
جشَّمُوها كلَّ أمرٍ مُعْضِلٍ
وهي لم تُخلَقْ لغيرِ المنزل

(١) صدي - يصدى. عطش. والصادي: العطشان.
(٢) الرِفد: العطاء.

فـــإذا فـــارقت الـــدار ضُـــحى

لم تـــعُـــدْ إلا قُـــبـــيلَ الـــطَّـــفَل[1]

ألـــفَتْ مـــا عـــوّدوهـــا مـــثـــلَـــمـــا

تـــألَفُ الـــظَّـــبـــيـــةُ طـــعْمَ الحـــنْـــظل!

بـــنت سُـــوريّـــا الـــتي أبـــكي بـــهـــا

هـــمّـــةَ الـــلـــيثِ ورُوح الحـــمَل

مـــا أطـــاعـــوا فـــيك أحـــكـــام الـــنُّـــهى

لا ولا قـــولَ الـــكـــتـــاب الـــمُـــنـــزَل

قـــد أضـــاعُـــوك ومـــا ضـــيَّـــعـــتـــهمْ

فـــأضـــاعـــوا كلَّ أمٍّ مُـــشْـــبِل[2]

****

(١) الدخول في المساء.

(٢) قامت على أولادها بعد زوجها، ولبؤة مشبل: معها أولادها

١٤ - الفقير

[الفقير]

هـمٌّ ألـمَّ بـه مـع الـظّـلـمـاء
فـنـأى بمـقـلـتـه عن الإغْـفَـاء

تـعـسٌ أقـام الـحـزنُ بـين ضـلـوعه،
والـحـزنُ نـارٌ غـيـرُ ذات ضـيـاء

يـرعى نجـوم الـلـيلِ لـيس بـه هـوى
ويـخَـالُه كَـلـفـاً بـهنّ الـرائي

في قـلـبـه نـارُ (الخـلـيل) وإنمـا
في وجـنـتـيـه أدمعُ (الخـنـسـاء)[1]

قـد عـضَّهُ الـيـأسُ الـشـديـدُ بـنـابهِ
في نـفـسه، والجـوعُ في الأحـشـاء

يـبـكي بـكـاءَ الـطـفلِ فـارقَ أمَّهُ
مـا حـيـلـةُ المحـزونِ غـيـرُ بـكـاء!

فـأقـامَ حـلْس الـدار وهـو كـأنّهُ
- لخـلـوِّ تـلـك الـدارِ - في بـيـداء

حـيـرانَ لا يـدري أيـقـتـلُ نـفـسَهَ
عـمْـداً فـيـخَـلص من أذى الـدُّنـيـاء[2]

أم يـسـتـمـرُّ عـلى الـغَـضـاضـة والـقَـذَى
والـعـيشُ لا يـحـلـو مـع الـضـرّاء

---

(١) النبي إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر سورة الأنبياء في القرآن الكريم الآية ٦٩ والخنساء الشاعرة المخضرمة التي بكت أخاها (صخراً) بكاءً مرأً

(٢) أرادها جمعاً (الدنيء).

طرد الكرى وأقام يشكو ليلَهُ

يا ليلُ طُلْت، وطالَ فيك عنائي!

يا ليلُ قد أغريت جسمي بالضَّنا

حتى لَيؤلِمُ فقدُه أعضائي

ورميتَني يا ليلُ بالهمّ الذي

يفري الحشا، والهمُّ أعسرُ داء

يا ليلُ! مالك لا تَرِقُّ لحالتي

أتُراك والأيامَ من أعدائي؟

يا ليلُ! حسبي ما لقيتُ من الشَّقَا

رحماكَ لستُ بصخرةٍ صمَّاء

بِنْ[1] يا ظلامُ عن العيون فربمّا

طلع الصباحُ وكان فيه عزائي

وارحمتا للبائسينَ فإنهمْ

موتى وتحسبُهمْ من الأحياء

إني وجدتُ حظوظَهمْ مُسودّةً

فكأنما قُدّت من الظَّلْماء

أبداً يُسرُّ بنو الزمان وما لهم

حظٌ كغيرهمُ من السَّراء

ما في أكفِّهمِ من الدنيا سوى

أن يُكثروا الأحلامَ بالنَّعماء

تدنو بهم آمالُهمْ نحو الهنا

هيهات يدنو بالخيال النائي

بطر الأنامُ من السُّرور وعندهم

أنّ السُّرور مرادفُ «العنقاء»

---

(١) بانَ، يبين: بَعُد.

إنِّي لأحــزنُ أن تــكــونَ نــفــوسُــهم
غــرض الخــطــوب وعُــرضــةَ الأرزاء
أنــا مــا وقــفتُ لــكي أشــبِّب بــالــطِّلا
مــا لي ولــلــتــشــبــيب بــالــصــهــبــاء؟
لا تــســألــوني المــدْح أو وصْف الــدُّمَى
إني نــبــذتُ ســفــاسف الــشُّــعــراء
بــاعــوا لأجلِ المــالِ مــاءَ حــيــائــهمْ
مــدْحــاً وبِتُّ أصــونُ مــاءَ حــيــائي
لم يــفــهــمــوا مــا الــشِّــعــرُ، إلا أنه
قــد بــات واســطــةً إلى الإثــراء
فــلــذاك مــا لاقــيتُ غــيــر مــشــبّبٍ
بــالــغَــانــيــاتِ وطــالبٍ لــعــطــاء
ضــاقتْ به الــدنــيــا الــرحــيــبــةُ فــانــثَــنَى
بــالــشِّــعــر يــســتــجــدي بــني حــواء
شــقــي الــقــريضُ بــهم ومــا ســعــدوا به
لــولاهمُ أضــحــى من الــسُّــعــداء
نــاَوْا عــلــيــنــا بــالمحــبــة والــهــوى
وصُــدورُهمْ طُــبــعت عــلى الــبــغــضــاء
ألــفُــوا الــريــاءَ فــصــار من عــاداتــهمْ
لــعنَ المــهــيــمنُ شــخص كلِّ مُــراء!
إن يــغــضــبــوا ممــا أقــول فــطــالمــا
كــرِه الأديب جــمــاعــةُ الــغَــوغــاء
أو يــنــكــروا أدبي فلا تــتــعــجــبُــوا
فــالــرُّمْــدُ يُــؤلمــهمْ طــلــوعُ ذُكَــاء[1]

---

(١) ذكاء: الشمس. والرُّمْد: من الرَّمد (أرمد ورمداء).

أوَ كلما نصر الحقيقةَ فاضلٌ
قامت عليه قيامةُ السُّفهاء!
أنا ما وقفتُ اليوم فيكمْ موقفي
إلا لأندُبَ حالةَ التُّعساء
علِّي أُحرِّكُ بالقريضِ قلوبكمْ
إن القلوب مواطنُ الأهواء
لهفي على المحتاج بين ربوعكُم
يُمسي ويُصبحُ وهْو قَيْدُ شقاء
أمسى سواءً ليلُه وصباحُه
شتانَ بين الصُّبحِ والإمْساء
قطع القنوطُ عليه خيطَ رجائه
والمرءُ لا يحيا بغيرِ رجاء
لهفي! ولو أجدى التعيس تلهّفي
لسفكتُ دمعي عنده ودمائي
قل للغنيِّ المُستَعزِّ بماله:
مهلاً لقد أسرفْت في الخُيَلاء
جُبل الفقيرُ أخوك من طينٍ ومِن
ماءٍ، ومن طينٍ جُبلت وماء
فَمِن القساوةِ أن تكونَ مُنعّماً
ويكونَ رهن مصائبٍ وبلاء
وتظلَّ ترفُل بالحرير أمامَه
في حين قد أمسى بغيرِ كساء
أتضنُّ بالدينار في إسعافه
وتجودُ بالآلاف في الفحشاء
انصرْ أخاكَ فإن فعلت كفَيتَه
ذُلَّ السؤال ومنّةَ البُخلاء

أذَوي اليسارِ! وما اليسارُ بنافعٍ
إن لم يكن أهلُوه أهلَ سخاء
كم ذا الجحُودُ وما لُكم رهنُ البِلى
وبم الغُرورُ وكلكم لفَناء؟
إن الضَّعيف بحاجة لنُضاركمْ
لا تقعُدوا عن نُصرةِ الضعفاء
أنا لا أذكّرُ منكمُ أهلَ النَّدى
ليس الصحيحُ بحاجة لدواء
إن كانت الفقراءُ لا تَجزيكمُ
فاللهُ يجزيكمْ عن الفقراء

****

١٥ - بين الكاس والطاس

[الرمل]

حملَ الشَّمس إلينا قمرُ
في سماءٍ نحن فيها أنجُمُ
شادِنٌ حكَّمَهُ الحُسنُ بنا
وسوى الحُسْنِ بنا لا يحكُمُ
أسْبلَ الشّعر فيا عيني اسْهرِي
إنه ليلٌ طويلٌ مظلمُ
واحذري يا مُهجتي منه فما
ذلك الأسْودُ إلا أرقمُ[1]
كاد أن يُشبِهَ جسمي خَصرُه
إنّما رقّتُه بي سقَمُ
يتَلظَّى الخالُ في وجنته
أرأيتمْ كيف يصلَى المُغرَمُ؟
صنمٌ في خدّه النارُ وفي
كفِّه ضرّتُها تَضْطَرِمُ[2]
بنتُ كَرْمٍ لم يهِمْ فيها سوى
كلُّ صبٍّ هام فيه الكَرَمُ
حُبِستْ في دَنِّها من قدمٍ
ما لها ذنبٌ ولكنْ ظَلَمُوا

---

(١) الحيّة فيها سواد وبياض.

(٢) يقصد الخمرة وما تفعل حرارتها في النفس.

حـرَّمُـوهـا حـيـنـمـا خـافـوا عـلـيْـ
ـهـا سـواهُـمْ فـاسـقـني مـا حـرَّمـوا
إنـــهـــا ســـرٌّ فَـــشـــا بـــين الـــورى
وإذا الـــســـرٌّ فَـــشـــا لا يُـــكْـــتَـم

****

١٦ - في السفينة

[مجزوء الوافر]

تَسيرُ بنا على عجَلِ
وإنْ شاءتْ على مهْلِ

وتسعى سعْيَ مُشتاقٍ
بلا قلْبٍ ولا عقْلِ

وتمشي في عُباب الما
ء مشْيَ الصِّلِّ في الرَّمْلِ[1]

فما تعبِسُ للحزْنِ
ولا تضحكُ للسَّهلِ[2]

أبَتْ أن تَعْرفَ الشَّكْوى
من التَّرحال والحلِّ

فطوراً في قَرارِ اليم
للغامض تَستَجلي

وآونةً تُناجيها
دراري الأفْق بالوصل[3]

وأحياناً تُوالي سيْ
رها ساكنةَ الظّلّ

وللموجِ حوالَيْها
زئيرُ الليثِ ذي الشِّبْل

---

(١) الصِّلّ: الحية التي تقتل، من ساعتها، إذا نهشت.

(٢) الحزن: غلظة الطريق.

(٣) الدراري: النجوم لأنها تضيء في السماء، مثل الدرر.

رَكــــبـــنَـــاهــــا ونـــارُ الـــشَّـــوْ
قِ في أحــشــائـــهـــا تَـــغـــلي

فَـــيـــا لـــلـه حـــتى الـــسُّـــفْ
ـنُ مِـــثـــلي مـــا لـــهـــا مُـــسْلْ(١)

فلا تـــــعـــــجـبْ إذا أُعْـــجِـ
ـب من أطـــوارهـــا مـــثْـــلي

فـــمـــا أعـــرفُ مـــركـــوبـــاً
ســـــوى الأفـــــــراسِ والإبـل

ومـــــا أعـــــلـمُ قـــــبْلَ الآ
نَ أنَّ الـــــطَّـــــوْد نـــــاقُ لـي(٢)

تـــركـــنـــا «غـــادةَ الـــشَّـــرقِ»
إلـى «لـــبـــنـــانَ» ذي الـــفـــضْل

فـــــــــــــمن وطـنٍ إلـــى وطـنٍ
ومـــــن أهـــــلٍ إلـــــى أهـــــلِ

****

(١) أسلاه عن همّه فتسلى (من السلوان).
(٢) يريد. ناقة لي، وقد شبه السفينة بالجبل.

١٧ - يا صاح !...

[السريع]

يــــا صـــاحِ كم تـــفَّـــاحـــة غـــضّـــةٍ
يــحــمــلــهــا في الــرَّوض غُــصنٌ رطــيبْ

نـــاضـــجـــة تـــرتجّ في جـــوّهـــا
مــثْلَ ارتجــاجِ الــشَّــمسِ عــنــد المَــغــيبْ

حـــرَّضَك الـــوجـــدُ عـــلـــى قـــطْــفــهـــا
لـــمَّـــا غـــفـــا الـــواشي ونـــام الـــرقـــيب

لـــــــكـــنْ لأمــــــــرٍ أنـــت أدرى بـــه
رجـــعـــت عـــنـــهـــا رجْـــعـــةَ الـــمُـــسْـــتـــريب

تـــقـــول لـــلـــنـــفسِ الـــطَّـــمـــوحِ: اقـــصـــري
مـــا ســـرْقـــةَ الـــتـــفـــاح شـــأنُ الأرِيْب

✡✡✡✡

وربَّ صـــفـــراءَ كـــلـــون الـــضُّـــحى
يـــنـــفي بـــهـــا أهلُ الـــكـــروبِ الـــكـــروبُ

دارتْ عـــلـــى الـــشَّـــرْب بـــهـــا غـــادةٌ
كـــأنّـــهـــا ظـــبيُ الـــكـــنـــاسِ الـــرَّبـــيب[1]

في طـــرفك الـــســـاجي هُـــيـــامٌ بـــهـــا
وبـــين أحـــشـــائكَ شـــوقٌ مُـــذيب

لـــــــكـــنْ لأمــــــــرٍ أنـــت أدرى بـــه

---

(١) الكِناس: موضع الظبي في الشجر، يكتنّ فيه ويستتر. والربيب: المربوب (من:ربّه: أنشأه).

رجعت عنها رجعةَ المستريب

تقولُ للنفسِ الطَّموحِ اقصري

ما غُر بالصهباء يوماً لَبيب

إيّاك إيّاك وأكوابَها

أختُ الخَنَا هذي وأمُّ الذّنوب

وكم شفاهٍ أرجُوانيّة

كأنها مخضوبةٌ باللهيب

ساعدكَ الدّهرُ على لَثْمها

ورشف ما خلّف اللهيبِ العجيب

لكنْ لأمرٍ أنت أدرى به

رجعت عنها رجعةَ المُستَريب

تُعنّفُ القلب على غَيّه

وتَعذلُ العينَ التي لا تُنيب

قَتلْت نزْعاتك في مهْدها

ولم تُطعْ في الحبّ حتى الحبيب

✡✡✡✡✡

والآن لمّا انجاب عنكَ الصبا

ولاح في المفْرِق ثلْجُ المشيب

واستسلم القلبُ كما استسلمتْ

نفسُك لليأس المخوف الرّهيب

أراك للحسرةِ تبكي كما

يبكي على النائي الغريبِ الغريب

تودُّ لو أنّ الصبا عائدٌ

هيهات قد مرّ الزمانُ القَشيب

✡✡✡✡✡

خَلِّ الـبُـكـا يـا صـاحـبي والأسى

الـليلُ لا يُـقـصـيه عـنكَ الـنَّـحيب

لا خـيـر في الـشيء انـقـضى وقـتُه

مـا لـقـتـيلٍ حـاجـةٌ بـالـطـبـيب!

****

١٨ - بلاء أم نعمة

[المتقارب]

أحبُّ معانقةَ النرجسِ
لعينيك يا ابنةَ كُولَمبُسِ[١]

وأهوى الشَّقيقَ ولثْمَ العقيقِ
لخدِّك والثَّغَرِ الألعسِ[٢]

أعندك إن غبْتِ عن ناظري
مشيتُ من الصبح في حنْدس

وأنّ الظلام على هوْله
إذا جئتِ حالَ إلى مُشْمس

وفي الصَّدرِ قلبٌ ولا كالقلوبِ
متى شئتِ يسعدُ أو يتْعسِ

ودِدْتُ الإفاضةَ قبل اللقاء
فلمّا لقيتُك لم أنْبِس

وبتُّ وإيّاك في معْزلٍ
كأني وإيّاك في مجلس

ولو أنّ ما بي بالطّود دُكّ
وبالأسد الورْد لم يفْرِس[٣]

همَمْتُ فأنكَرَني مقْولي
وشاء الغرام فلم أهجِس[٤]

---

(١) وجّهها إلى زوجته دوروثي، بصفتها مقيمة في أمريكة مع والدها نجيب موسى دياب صاحب (مرآة الغرب)
(٢) اللعس: لون الشفة إذا مال إلى السواد
(٣) الفَرْس. الكسر ودق العنق.

كـــأنــي لـــــستُ أمـــيـــر الـــكلامِ
ولا صـــاحب المـــنـــطقِ الأنْـــفَسِ
جلالُـك، والـــلـــيلُ في صـــمْـــته
فلا غَـــرْوَ أن رُحتُ كـــالأخـــرس
ومـــرّتْ بـــنـــا ســاعـــةٌ خـلْـتُـنــا
خَـلَـعْـنَــا الجـــسوم عن الأنـــفُس
وأنّـــا من الـــروض في جـــنَّـــة
وأنّـــا من الـــعُـــشْب في سُـــنـــدُس
كـذاكَ الـــهـوى فـعْـلُه في الـنـفـوس
كـــفـــعل الـــمُـــدامـــة في الأرْؤُس
تـــنـــبّهَ فـــيـــهـــا وفيَّ الـــهـــوى
فَـــلَـــو نَـــعِس الـــنـــجمُ لم نَـــنْـــعس
وكلٌّ فـــؤادٍ شـــديـــد الـــغُـــرامِ
إذا رُضْـــتَه بـــالـــهـــوى يُـــسْـــلس
فـــمـــالت فـــطـــوّقَـــهـــا ســـاعـــدي
مُـــنـــعَّـــمـــةً بـضَّـــةَ الـــمـــلـــمس
وإنّ الـــعـــفـــاف لَـــفي بُـــرْدهـــا
وإن الإبـــاءَ لَـــفي مـــعـــطـــسي
وقـــلتُ وكـــفّي فـي كـــفِّـــهـــا:
ألا صـــرحي لـي أو فـــاهْـــمـــسي
بـلاءٌ هـــو الحبُّ أم نـــعـــمـــةٌ؟
أجـــابتْ: تجـــلّـــدْ ولا تـــيْـــأسِ!

****

١٩ - الخلود

[الرمل]

غــــلطَ الــــقـــائلُ: إنّـــــا خـــــالـــــدونْ
كــــلّـــنـــا، بــــعـــد الــــرّدى، هـيٌّ بن بيّْ[١]

✡✡✡✡✡

لــو عــرفــنـــا مـــا الـــذي قـــبلَ الـــوجــودْ
لــعــرَفْــنـــا مـــا الـــذي بـــعــد الـــفـــنـــاءْ
نــحن لــو كــنّـــا «كــمـــا قـــالـــوا» نــعــودْ
لم تَــخفْ أنــفُــسُــنـــا رَيْب الــقــضـــاءْ
إنّـــمـــا الـــقــولُ بـــأنّـــا لـــلـــخـــلـــودْ
فـــكـــرةٌ أوجـــدهـــا حبُّ الـــبـــقـــاءْ
نــــعــــشقُ الـــبُــــقْـــيـــا لأنّـــا زائـــلـــونْ
والأمــــــانـي حــــــيّـــــــةٌ فـي كلّ حـيّْ

✡✡✡✡✡

زَعـــمـــوا الأرواح تـــبــقَـــى ســـرْمـــدا
خَـــدعُـــونـــا... نـــحن والـــشـــمْعُ ســواءْ
يـــلـــبثُ الـــنـــورُ بـــهـــا مُـــتَّـــقـــدا
فـــإذا مـــا احْـــتَـــرقَتْ بـــاد الـــضِّـــيـــاءْ
أين كـــــان الـــــنــــورُ؟ أنّـى وُجِـــــدا؟
كـــيف ولّـى عـــنـــدمـــا زال الـــبـــنـــاءْ؟
شـــمـــعـــتي فـــيـــهـــا لـــطّلابِ الـــيـــقـــينْ
آيــــةٌ تَــــدفعُ عــــنـــــهـمْ كلَّ غَـيّْ[٢]

✡✡✡✡✡

---

(١) هيٌّ بن بي: كناية عمّن لا يُعرف ولا يُعرف أبوه.
(٢) الضلال (غوى - يغوي فهو غوِيّ).

لـيـست الـرُّوحُ سـوى هـذا الجـسـد
مـعهُ جـاءت ومـعْـه تَـرجِـعُ
لم تـكن مـوجـودةً قـبلَ وُجـد
ولـهـذا حـين يمـضـي تَـتْـبعُ
فـمن الـزُّورِ المـوشَّى والـفَـنَـدْ[1]
قـولـنـا: الأرواحُ لـيـست تُـصْـرعُ
تـلـبثُ الأفـيـاءُ مـا دام الـغُـصـونْ
فـإذا مـا ذهـبتْ لم يـبقَ فَـيْ

✡✡✡✡

لـو تـكـونُ الـروحُ مـا لا يـضْـمحلْ
مـا جـزِعـنـا كـلّـمـا جـسمُ هـمـدْ
لـو تـكـون الـروح جـسـمـاً مـسـتـقلْ
لـرآهـا من يـرى هـذا الجـسـدْ
كلُّ مـا في الأرض من عـينٍ وظلْ
سـوف يـنـحلُّ كـمـا انـحلَّ الـزَّبـدْ
ولـئن صحّ بـأنّـا مُـنـشـرُونْ
جـاز أن يـعْـقُبَ ذاك الـنـشـر طيْ

✡✡✡✡

لـيت من قـالـوا بـأنّـا كـالـزُّهـورْ
خـبّـرونـا أين تـمـضـي الـرائـحهْ؟
أتُـرى تـبـقـى كـألحـان الـدُّهـورْ؟
أم تَلاشَى مـثْلَ صـوت الـنـائـحهْ؟
لـيت شـعـري أيُّ خُـلْـدٍ لـلـبُـذورْ
بـعـد أن تُـلـقـى بـنـارٍ لافـحهْ؟

---

(١) الفند: الكذب (أفند: كذب).

قل لمن يــخــبِطُ في لَــيلِ الــظُّــنــونْ

لــيس بــعــد المــوتِ لــلــظــامِئ رِيّْ

✡✡✡✡

مــثــلــمــا يــذهبُ لــونُ الــورقةْ

عــنــدمــا تَــيْــبس في الأرض الأصــولْ

مــثــلــمــا يُــفــقَــدُ نــورُ الحــدَقَةْ

حــين أَقــضــي.. هــكــذا نــفْــسي تَــزولْ

كــتلاشي الــشــمــعــةِ المحــتــرقَةْ

تــتــلاشى بــين ضــحْــك وعــويــلْ

أنــا بــعــد المــوت شــيــئــاً لا أكــونْ

حــيثُ إني لم أكن من قــبلُ شَيْ!

✡✡✡✡

إيه أبــنــاءَ الــثَّــرى نَــسْلَ الــقُــرودْ[1]

عــلِّــلــوا أنــفــســكُمْ بــالــتُّــرّهــاتْ

إلــبسُــوا في صــحــوِكمْ ثــوب الجــمــودْ

واحــلَــمُــوا في نــومــكُم بــالمُــعْــجِــزاتْ

فــســيــأتي زمنٌ غــيــرُ بــعــيــدْ

تــتــهــادى بــيــنــكم فــيــه أيــاتْ[2]!

ويــحُــلُّ الــلــه في مــاءٍ وطــيــنْ

فــيــراه الــشــيخُ والــشــابُ الأَحــيْ![3]

✱✱✱✱

(١) إشارة إلى نظرية داروين في أن أصل الإنسان قرد.

(٢) قرأناها: أيات - آيات!

(٣) الأكثر حياة (صيغة خاصة بالشاعر).

٢٠ - عيناكِ

[السريع]

عـيـنـاك والـسـحـرُ الـذي فـيـهـمـا
صـيَّـرَتَـانـي شـاعـراً سـاحـرا
عـلَّـمـتـانـي الحبَّ علّـمـتُهُ
بـدر الـدُّجى والـغـصن والـطـائـرا

✡✡✡✡✡

إنْ غـبتِ عن عـيـنـي وجنَّ الـدُّجى
سـألتُ عـنك الـقـمـر الـزّاهـرا
وأطـرُقُ الـروضـةَ عـنـد الـضّـحى
كـيـمـا أنـاجي الـبلـبلَ الـشـاعـرا

✡✡✡✡✡

وأنـشقُ الـوردةَ في كُـمـهـا
لأنّ فـيـهـا أَرَجـاً عـاطـرا
يُـذكِّـرُ الـصَّبَّ بـذاك الـشَّـذا
هل تـذكـرين الـعـاشقَ الـذاكـرا؟

✡✡✡✡✡

كم نـائمٍ في وَكـرِه هـانئٍ
نَـبَّـهـته من وَكْـرِهِ بـاكـرا
أصـبح مـثـلي تـائـهـاً حـائـراً
لـمّـا رآني في الـرُّبـا حـائـرا

✡✡✡✡✡

وراح يـــشـــكـــو لي وأشـــكـــو لـه

بـطْش الـهـوى والـهـجْـر والـهـاجِـرا

وكـــوكبٍ أســـمـــعْـــتُه زفـــرتي

فـبـات مـثـلي ســاهـيـاً ســاهـرا

✡✡✡✡

زجـرتُ حـتى الـنـوم عن مُـقـلـتي

ولـم أُبـــالِ اللائم الـــزّاجـــرا

يـــا لـــيت أني مـــثَلٌ ســـائـــرٌ

كـيـمـا تـقـولي المـثلَ الـسَّـائـرا

✸✸✸✸

٢١ - ١٩٣١

[المتقارب]

لــيــطْــرب من شــاء أن يــطْــربــا
فــلــستُ بمــســتــمــطــرٍ خُــلَّــبــا[١]

عــــرفتُ الـــــزمــــانَ قـــريب الأذى
فــــصـــــرتُ إلى خــــوفه أَقْــــربـــــا

وهــــذا الجـــديـــدُ أبـــوه الـــقـــديمُ
ولا تــــلـــــدُ الحـــيَّـــــةُ الأرنَــــبـــــا

أرى الـــكـــونَ يـــرمُـــقُه ضـــاحـــكـــاً
كــمن راءَ في تــيــــهِه كــوكــبــــا[٢]

ولـــو عـــلـم الخَـــلْقُ مـــا عـــنـــده
أهــــلّــــوا إلى الـــله كي يــغــــرُبـــا[٣]

ولـــو عـــلـم الـــعـــيـــدُ مـــا عـــنـــدهمْ
أبى أن يمـــــزِّقَ عـــــنــه الخـــــبـــــا

ألا لا يــــغُـــــرَّك تَـــهـــلـــيـــلُـــهمْ
وقــــولـــتُــــهُمْ لكَ: يـــــا مـــــرحـــــبـــــا!

فــقــدْ لَــبِــســوكَ لــكي يــخــلــعــوكَ
كــمـــا تَــخــلَـعُ الــقَــدَمُ الجــوْربـــا

وَلُــوعُــونَ بـــالـــغـــدر من طـــبْـــعـــهمْ

---

(١) ليطربْ: تُحرَك الباء بالفتح ليستقر الوزن.
(٢) راءَ: رأى.
(٣) أهلّوا إلى الله: أرادها هنا بمعنى: رفع الصوت بالدعاء.

فمنْ لم يكنْ غادراً جرَّبا

وكائنْ فتًى هزَّني قولُه
أنا خدْنُك الصَّادقُ المُجْتَبى

أُرافقُ من شكله ضيْغَما
يُرافق من نفسه ثَعلبا

هُمُ القومُ أَصحبُهم مُكرهاً
كما يصحبُ القمرُ الغَيْهبا[١]

أراني أوحد من ناسكٍ
على أنني في عداد الدَّبى[٢]

وأمرحُ في بلدٍ عامرٍ
وأحسبُني قاطناً سبْسبا[٣]

وقال خليلي: الهناءُ القصورُ
وكيف وقد مُلئتُ أذؤُبا

ألفتُ الهموم فلو أنني
قَدرتُ تمنّعتُ أن أطْربا

كأن الجبالَ على كاهلي
كأنَّ سروري أن أغضبا

وكيف ارتياحُ أخي غُربةٍ
يُصاحبُ من همّه عقْربا

عتَبْتُ على الدهر لو أنني
أمنْتُ فؤادي أن يعتَبا

✡✡✡✡

(١) الغيهب: شدة سواد الليل. أو الظلمة إطلاقاً
(٢) الدّبى. الجراد قبل أن يطير.

وجـــدتُك والـــشَّــيبُ في مـــفْـــرِقي
ووَدَّعــــنـي وأخـــوك الــــصــــبــــا

فـــلــيس بُــكــائي عــامـــاً خَلا
ولـــكنْ شــبــابِي الـــذي غُــيــبــا

فــيــا فــرِحــاً بمــجيء الـــســنــين
تجيءُ الـــســنــونَ لــكي تــذهــبــا

عـــجــيبٌ مــشــيــبي قـــبْل الأوانِ
وأعــــجبُ ألاّ أُرى أشْـــــيــــبــــا

فـــإنّ نـــوائب عـــاركْـــتُــهـــا
تَــرُدُّ فــتى الــعــشْــرِ مُــحْــدودبــا

ويــا بــنت «كــولمب» كم تــضــحــكــينَ
كــأنك أبــصــرتِ مُــســتــغــربــا[1]

ألــيس الــبــيــاضُ الــذي تــكــرهــينَ
يُــحــبِّــبُــني ثَــغــرَك الأشْــنَــبــا[2]

فـــمن كـــان يـــكـــرهُ إشـــراقَهُ
فـــإنـي أكـــرَهُ أن يُـــخــضــبــا

أحــبُّك يــا أيــهــا الــمُــسْــتــنــيــرُ
وإن تَـكُ أشْـــمتَّ بـي الـــربْـــربـــا[3]

وأهـــوى لأجـــلــكَ لَـــمْع الـــبُــروقِ
وأعـــشـقُ فـــيكَ أقـــاح الـــرُّبـــا

✡✡✡✡✡

ويــا عـــامُ هل جــئــتَــنــا مُــحْــرِمــاً
فــنــرجــوك أم جــئــتَــنــا مُــحْــرِبــا

---

(١) إشارة إلى أنها تسكن أمريكة (كريستوف كولمب).
(٢) الشنب: برودة تُحمد في الأسنان.
(٣) الربرب: القطيع من بقر الوحش (في الأصل).

تـــولّى أخـــوكَ وقـــد هـــاجـــهـــا
أقلُّ سلاحِ بـــنـــيـــهـــا الـــظُّـــبى
يُـجـنـدلُ فـيـهـا الـخـمـيسُ الخـمـيس
ويـصْـطـرِعُ الـمـقْـنَبُ الـمـقْـنَـبا[1]
إذا ارتـــفـع الـــطّـــرْفُ في جـــوِّهـــا
رأى من عـــجـــاجـــتـــهـــا هـــيْـــدبا[2]
وجـــيـــاشـــة بـــرْقُـــهـــا رَعْـــدُهـــا
تـــدُكُّ من الـــشـــاهق الـــمـــنـــكـــبا
يـــســـيـــر بـــهـــا الجُـــنـــدُ مـــحـــمـــولـــةً
قـــضـــاءٌ عـــلـــى عـــجَل رُكِّـــبـــا
يـــودُّ الـــــفـــــتى أنه هـــــاربٌ
ويمـــنـــعُـه الخـــوفُ أن يـــهـــرُبـــا
وكـــيـف الـــنـــجـــاةُ ومـــقْـــذوفُـــهـــا
يـــطـــولُ مِن الـــشَّـــرْق من غَـــرَّبـــا؟
ولـــو أنَّه في ثـــنـــايـــا الـــغُـــيـــومِ
لَـــمـــا أمِن الـــغـــيْمُ أن يُـــطـــلـــبـــا
تَـــسُحُّ فـــلَـــوْ أنَّ تَـــهْـــتـــانَـــهـــا
حـــيـــاً أنـــبت الـــقـــاحلَ الـــمُـــجْـــدبـــا[3]
فـــمـــا الـــمـــنـــجـــنـــيقُ وأحـــجـــارُه
ومـــا الـــمـــاضـــيـــاتُ الـــرِّقـــاقُ الـــشَّـــبـــا؟[4]

✡✡✡✡✡

(١) أقنَبت الخيل نحو العدو. تجمعت وصارت مقنباً
(٢) العجاجة: الغبار (وجمعها: عجاج). والهَيْدَبَ: السحاب القريب من الأرض.
(٣) التهتان والحيا: المطر الخفيف.
(٤) الماضيات: السيوف. وشباها: حدّها.

أإن شكتِ الأرضُ حر الصَّدى
سقاها النَّجيع الورى صيبا[٥]
فَيا لَلحروب وأهوالها
أما حانَ يا قومُ أن تُشْجبا
هو الموتُ آتٍ على رَغْمكُمْ
فألَقُوا المسدَّس والأشْطَبا[١]
وللخالقِ المُلْكُ والمالكون
فلا تَتْبعوا فيكمُ أشْعبا[٢]
ولم أنس مصرع «تيتَانكٍ»
ومصْرعنَا يوم طار النَّبا[٣]
فَمنْ شدَّة الهولِ في صدْقه
رغبنا إلى «البرْق» أن يكذِبا
ليالي لا نَستطيبُ الكَرى
ولا نَجدُ الماءَ مُستعذَبا
وبات فؤادي، به صدْعُها
وبِتُّ أحاذِرُ أن يُرأبا
وليْ ناظرٌ غَرِقٌ مثلُها
من الدَّمع، بالبحر مُسْتَوثِبا
إذا ما تذكَّرتُها هجْتُ بي
أسى تَتَّقيه الحشا مخلبا
فأُمسِي على كبِدي راحتي
أخافُ مع الدَّمع أن تَسْربا[٤]

(١) السيف يترك خطوطاً في الجسم (وهي الشُطَب، الواحدة: شُطبة).
(٢) رمز الطمع في تراث العرب (ت ١٥٤ هـ).
(٣) تيتانك: الباخرة المعروفة التي غرقت في رحلتها الأولى.
(٤) سَرَب: ذهب على وجهه في الأرض.

خُـطُـوبٌ يــراهـا الــورى مــثـلَــهـا
لــذلك أُشــفـقُ أنْ تُــكــتــبـا

✡✡✡✡

لــقــد نَــكب الــشَّــرقَ نــكْــبــاته
وحــاول أن يــنــكُب الــمــغــربـا
وأشــقـى نــفــوس بــنـي آدمٍ
لــيُـرضي الــســراحـينَ والأعْـقُـبـا[١]
ولــو جــارَ بــين الــضُّـحى والــدُّجى
لــقــاتلَ فــيه الــضُّـحى الــغَـيْـهـبـا
لــعــلّك تــمــحــو جِــنَــايــاته
فــنـنْــسى بك الــذَّنب والــمُـذنـبـا
إذا كــنت لا تــســتــطـيعُ الخُــلــود
فــعشْ بــيــنــنــا أثــراً طــيــبـاً
فــــإنـك فـي إثْــــره راحــلٌ
مــشــيت الــسِّــواكَ أو الــهــيْـدبى![٢]

****

(١) السرحان: الذئب. والأعقُب: العُقبان (جمع عُقاب).
(٢) السواك: السير الضعيف. والهيدبى: ضرب من مشي الخيل.

٢٢ - بلادي

[الوافر]

تركت النجم مثلَك مُستَهاما
فإنْ تسْهُ سها أو نمْت ناما

بنفسكَ لوعةٌ لو في الغَوادي
لصارتْ كلُّ ماطرةٍ جهاما[1]

وفيك صبابةٌ لو في جمادٍ
لأشْبَهَ دمعَك الجاري انْسجاما

هوى بك في العظامِ له دبيبٌ
أشَابَك[2] وهْو لم يبرحْ غُلاما

يظنّ الليلُ يحوي فيك شخصاً
وما يحوي الدُّجى إلا عظاما

نفيْت الغمض عن جفنيكَ يأتي
كأنك واصلٌ فيه الملاما

أتأرَقُ ثم ترجو الطّيف يأتي
شكاكَ الطيفُ لو ملَك الكلاما

شجتْك النائحاتُ بجُنحِ ليلٍ
فبتَّ تُساجِلُ النَّوح الحماما

لَكدت تُعلِّمُ الطير القوافي
وكدت تُعلِّمُ الليلَ الغَراما

---

(١) السحاب الذي لا ماء فيه

(٢) جعل الشيب يلحق بك.

إذا ذُكـــر الـــشَّـــآمُ بـــكـــيت وجْـــداً

وما تـــنـــفكُّ تَــدكُّــرُ الـــشـــآمـــا

وكـــنت ســـلـــوتَهُ إلا قـــلـــيلاً

وكـــنت هـــجـــرتَه إلا لـــمـــامـــا

*****

رُويـــدَك أيـــهـــا اللاحي رويـــداً

لك الـــويلاتُ لـــيت ســـواك لامـــا

أأرقُـــدُ والخـــطـــوبُ تـــطـــوفُ حـــولْي

وأقـــعُـــد بـــعـــدمـــا الـــثَّـــقَلانِ قـــامـــا

ويـــشـــقَى مـــوطـــني وأنـــامُ عـــنه

إذاً مَن يـــدفـــعُ الخـــطـــر الجُـــســـامـــا؟

بـلادي! لا عـــــــرَا شـــــــرٌ بـلادي

ولا بـــلـــغَ الـــعـــدَا مـــنـــهـــا مـــرامـــا

لـــبِستُ الـــليل إشـــفـــاقـــاً عـــلـــيـــهـــا

وإن شـــاءت لـــبستُ لـــهـــا الـــقَـــتـــامـــا

وقـــفـــتُ لـــهـــا الـــيـــراعَ أذبُّ عـــنـــهـــا

فـــإن يـــكْـــهَـــمْ[1] وقـــفـــتُ لـــهـــا الحُـــســـامـــا

ســـقَى قُـــطْـــر الـــشـــآمِ الـــقَـــطْـــرُ عـــني

وحـــيَّـــا أهـــلَه الـــصـــيـــد الـــكـــرامـــا

دوتْ صـــيـــحـــاتُـــهم في كل صُـــقْـــعٍ

فـــكـــادتْ تـــنـــشـــرُ الـــموتى الـــرمـــامـــا

وتَـــطـــبعُ في الـــمُـــحـــيَّـــا الجـــهْمِ بِـــشْـــراً

وتُـــغـــلـــق في فمِ الـــثَّـــكـــلَى ابـــتـــســـامـــا

فـــحـــوَّلتِ الـــقـــنـــوطَ إلى رجـــاءٍ

وصـــيَّـــرتِ الـــوَنَى فـــيـــنـــا اعـــتـــزامـــا

(١) يعني: البطء والتراخي في النجدة (كهُمَ - يكهم).

غَـدونــا كــلّـــمــا ذُكــروا طَــرِبــنــا
كــأن بــنــا الـمـعــتَّـقَــةَ الــمُــدامــا
ولم أر كــالــضــمــيــر الحــرِّ فــخــراً
ولم أر كــالــضــمــيــرِ الــعــبــد ذَامــا
إذا غــاب الـــذّلــيلُ الـــنــفسِ عـــنـي
نــظــرتُ إلى الــذي حــملَ الــوِســامــا
إذا جـــلَب الـــكلامُ عـــلي عـــاراً
هـــجــرتُ الــنُّــطقَ أحــســبَهُ حــرامـــا
وأجــفــو الــقــصــر يُــلــزِمــني هــوانــاً
وأهـــوى الــعــزَّ يُــلــزمُــني الحــمــامــا

✡✡✡✡✡

رجــالَ الــتُّــرك مــا نــبــغي انــتــقــاضــاً
لَــعــمــرُكُمُ ولا نــبــغي انـــتــقــامــا
ولـــكــنَّـــا نُـــطـــالــبُــكُمْ بـــحقٍّ
ونــكــرَهُ من يــريــد لــنــا اهْــتــضــامــا
حــمــلــنــا نــيــر ظُــلــمــكُمُ قــرونــاً
فَـــأبلاهــــا وأبلانــــا ودامــــا
رعــيــتُمْ أرضــنــا فــتــركــتُــمــوهــا
إذا وقــع الجــرادُ رعــى الـــرَّغَــامــا[1]
فــبــات الـــذئبُ يــشــكــوكم عُــواءً
وبــات الــظــبيُ يــشــكــوكم بُــغَــامــا[2]
جـــريـــتُمْ (بــالـــهلال) إلى مـــحـــاقٍ
ولـــولا جــهــلُـكُمْ بــلــغ الــتَّـمــامــا

---

(١) الرغام: التراب.

(٢) البغام: صوت الظبية.

وكنتمْ كلَّما زِدْنا ليانا

لنَسبُر غورَكُمْ زِدْتُمْ عُرَاما

فما راقبتُمُ فينا جِواراً

ولا حفظتْ لنا يدُكم ذماما

أثرتُمْ بيننا الأحقاد حتى

لَيقتُلُ بعضُنا بعضاً خصاما

وشاءَ الله كيدَكُمُ فبِتْنا

كمثل الماء والخمرِ التئاما

فجهلاً تبعثون الرُّسْلَ فينا

تَديفُ لنا مع الأَرْيِ السماما[1]

سنرمُقُهمْ إذا طلعوا علينا

كأنّا نرمُقُ الداءَ العُقاما[2]

فإن عُرى شَددناها وَثاقاً

نموتُ ولا نُطيق لها انفصاما

خَف التُّركي يحلفُ بالمَثاني

وخَفْهُ كلّما صلّى وصاما

ومَنْ يستنزلِ الأتراكَ خيراً

كمَنْ يستقْبِسُ الماءَ الضّرَاما

هُمُ نزعوا لواء المُلْك منّا

ونازَعَنا طَغامُهُمُ[3] الطَّعاما

وقالوا: نحن للإسلام سُورٌ

وإنّ بنا الخلافةَ (والإماما)

---

(١) داف: خلط. والأرْي: العسل. والسُّم: القاتل، وجمعه: سِمام.

(٢) الداء الذي لا برء منه.

(٣) الطغام: الغوغاء.

فــــهل في دِين أحـــمـــد أن يـــجـــوروا
وهل فـي دِين أحــمــد أن نُــضـــامــا؟
إلـى كـم يــحــصُــرون الـحــكـم فــيــهمْ
وكـم ذا يــبـتــغـون بــنــا احــتــكـامــا
ألــسْـــنــا نــحـن أكـــثــرهمْ رجـــالاً
إذا عُـــدّوا وأرفـــعـــهُمْ مـــقـــامـــا
إذا طـــلـــعتْ ذُكـــاءُ فـــلـــيس تـــخـــفَى
ولـــو حـــاكُـوا الـــظلامَ لـــهـــا لـــثـــامـــا

✡✡✡✡

مـــخــوِّفَــنــا الـمـــثــقَّــفَــةَ الـــعـــوالي
لـــقـــد هـــدَّدتْ بـــالجـــمْـــر الـــنَّـــعــامــا[1]
ســنــوقــدُهــا تُـــعــيــر الـــشــمس نــاراً
ويُـــعْـــيي أمـــرُهـــا الجـيش الـــلُّـــهــامــا[2]
وعــــــلْـمُ المـــــرءِ أنّ المـــــوت آتٍ
يُـــهـــوِّنُ عـــنـــده المـــوت الـــزُّؤامـــا

✱✱✱✱

(١) المعروف أن النعامة تدفن رأسها في الرمال الحارّة.
(٢) اللُّهام: الجيش الكثيف الذي يلتهم كل شيء.

٢٣ - البلبل السجين

[مخلع البسيط]

يـــا رُبَّ لـــيلٍ بلا ســنــاءِ[١]
كـــأنّـــمـــا بـــدرُهُ يـــتـــيمُ
مـــشى به الـــيـــأس في الـــرّجـــاء
كـــأنّه الـــنـــارُ والـــهـــشـــيم

✡✡✡✡✡

لـــيت الـــدُّجى رقّ لـــلـــمـــحب
أو لـــيت لي مـــهـــجـــةً حـــجـــرُ
أقَض هـــذا الـــفـــراشُ جـــنْـــبي
كـــأنّ في مـــضْـــجـــعي الإبِـــرُ[٢]
هـل بك يـــا نجمُ مـــثلُ كَـــرْبي؟
أم أنت من طَـــبـــعك الـــســـهـــرُ؟
ســـهـــرت شـــوقـــاً إلى ذُكـــاء؟
أم عـــنـــدك الـــمُـــقْـــعـــدُ المـــقـــيـــمُ؟
أبـــكي وتُـــصـــغي إلى بـــكـــائـــي
يـــا ربِّ! هل تـــعـــشقُ الـــنـــجـــومُ؟

✡✡✡✡✡

قـــد نـــال فَـــرْط الـــسُّـــهـــاد مـــني
واشـــتـــاق طَـــرْفي إلى الـــهُـــجـــوعِ

---

(١) يريد: السنا، وهو النور.
(٢) أقض المضجعُ، وأقضّ عليه المضجع: خشُن، أو جعله خشناً.

وقـــرَّح الجـــفنَ مـــاءُ جـــفْـــني
في الحبِّ، مـــا فـــاض من دمـــوعي
وشـــاب رأسي من الـــتـــجـــنِّي
يـــا لـــيت ذا الـــشَّـيب في الـــوُلـــوع[1]
لـــعلّ في ســـلـــوتي شـــفـــائـــي
هـــيـــهـــات داءُ الـــهـــوى قـــديـــمُ
مـــا يـــحـــسب الـــنـــاسُ في ردائـــي؟
في بُـــردتـــي هـــيـــكلٌ رمـــيـــم!

✵✵✵✵✵

قـــد طـــال يـــا لـــيلُ فـــيك صـــبـــري
وأشـــبـــهتْ ســـاعُك الـــقُـــرونـــا
فـــقلْ لـــهـــذي الـــنـــجـــومِ تَـــســـري
أو فـــاســـأل الـــصُـــبح أن يـــبـــيـــنـــا
وإن تـــشـــأ أن تـــكـــون قَـــبْـــري
فـــكنْ كـــمـــا شـــئت أن تـــكـــونـــا
فَـــبي ســـكـــونٌ إلـى الـــبـــلاءِ
قـــد يـــألف الـــعـــلّـــةَ الـــسَّـــقـــيـــمُ
من كـــان في قـــبـــضـــة الـــهـــواء
هـــانَ عـــلـى نـــفـــسه الـــنَّـــســـيـــمُ!

✵✵✵✵✵

قـــرّب بـــين الـــضَّـــنى وجِـــســـمي
مـــا أبـــعـــد الـــنـــوم عن جُـــفُـــوني
يـــا لـــيلُ فـــيك الـــرّقـــادُ خَـــصْـــمي
يـــا لـــيلُ مـــا فـــيك من مُـــعـــينِ

---

(١) الوَلوع: مثل الولع (ولِع – يولَع – ولَعاً).

سـوى شجٍ همُّه كَهمّي
يُنشدُ والليلُ في سُكونِ
أيمرحُ البومُ في الخَلاء
وتُمسك البلبلَ الهُمومُ ؟
هذا ضلالٌ من القضاءِ
فلا تلُمْني إذا ألومُ

☆☆☆☆☆

يا سيد المُنشدين طُرّا
وصاحب المنطقِ المُبينِ
لو كنت بوماً أو كنت نَسْرًا
ما بِتَّ في أسْرِك المهينِ
خُلقت، لمَّا خُلقْت، حُرّاً
فَزَجَّك الحُسْنُ في السُّجونِ
وأطلقَ البوم في الفضاءِ
زعْمُ الورى أنه دميمُ
وأنّه غيرُ ذي رُواء
ولا له صوتُك الرَّخيمُ!

☆☆☆☆☆

تيَّمك الروضُ فيه حتى
تَخذت باحاته مُقَاما
رأيت فيه النعيم بحْتَا
ولم تر عنده الأناما
مُدّوا الأحابيلَ فيه شتّى
أقلّها يجلبُ الحماما

لو كنت كالبُوم في الجفاءِ
ما صادكَ المنظرُ الوسيمُ
أصبحت تبكي من الشَّقاء
ليضحك الآسرُ المُضيمُ!

✡✡✡✡✡

والمرء وحشٌ فإن تَرَقَّى
أصبح شَرّاً من الوحوشِ
فَخَفْهُ حُرّاً وخَفْهُ رِقّا
وخَفْه مُلْكاً على العُروشِ[1]
فالشرُّ في الناس كان خَلْقًا
وأيُّ طيرٍ بغير ريشِ؟
ما قام فيهم أخو وفاءِ
يحفظُ عهداً ولا رحيمُ
فكلُّ مُستضعَفٍ مُراءٍ
وكلُّ ذي قوةٍ غَشُومُ!

✡✡✡✡✡

إن كان للوحشِ من نُيُوبِ
فالناسُ أنيابُهمْ حديدُ
ما كان، والله، للحُروبِ
لولا بنو آدمٍ وجودُ
لو امّحى عالمُ الخُطوبِ
لقام منهمْ لها مُعيدُ
قد نسبوا الظلم للسماءِ
وكلّهمْ جائرٌ ظَلومُ

(١) يريد بالرِّق: الرقيق.

لم يخْلُ منه أخو الثَّراء
ولا الفتى البائسُ العديمُ

✡✡✡✡

أعجبُ ما في بني التُّرابِ
قتالُهمْ فوقَه عليه
قد صيّروا الأرض كالكتابِ
وانحشروا بينَ دَفَّتيه
واستعجلوا الموت بالعذابِ
وكلُّهُمْ صائرٌ إليه
ما خاب داعٍ إلى العداءِ
ولم يفُزْ ناصحٌ حكيمُ
ما رغب الناسُ في الفناء
لكنّما ضاعتِ الحُلُومُ![1]

✡✡✡✡

لو لم يكُ الظُّلمُ في الطبائعْ
ما استنصر العاجزُ العدالَهْ
لو عدَلَتْ فيهِمُ الشرائعْ
ما استحدَثُوا للقتال آلَهْ
عجبتُ للقاتل المُدافعْ
جزاؤه الموتُ لا محالَهْ
لكنّما سافكُو الدّماء
يوم الوغى قادةٌ قُرومُ[2]

---

(١) الحُلوم: العقول، مفردها: حِلْم.
(٢) القَرْم: السيد المكرم.

وهكذا المُجرمُ الفدائي

في عُرفهمْ فاتحٌ عظيمُ!

✡✡✡✡✡

أقبحُ من هذه الضلالهْ

أن يحكم الواحدُ الأُلوفا

ويدّعي الفضلَ والنَّبالهْ

من يسلُبُ العاملَ الرغيفا

يا قومُ ما هذه الجهالهْ

قد حانَ أن تُنصفوا الضعيفا

فراقبوا ذمّة الإخاء

ولْتنْس أحقادها الخُصومُ![1]

لا تتبعوا سنّةَ البقاء

فإنّها سنّةٌ ظَلومُ !

****

(١) جعل الخصوم في مقام الجماعة.

٢٤ - أنتِ....

[الخفيف]

مــهـبِطَ الــوحْيِ مــطــلـع الأنــبـيــاء
كــيـف أمــســيـتِ مـــهـــبِطَ الأرْزاء؟

فـي عُــيــونِ الأنــام عــنك نُــبُــوٌّ
لم يـكن في الــعـيـون لــو لم تُـسـائي

أنتِ كــالحُــرّة الــتي انــقــلب الــدّهْـ
ـرُ عـلـيـهـا فـأصـبـحتْ في الإمـاء

أنتِ كــالـبُــردة الــمُــوشّــاة أبـلـى الـطْ
ـطَيُّ والــنــشــرُ مــا بــهــا من رُواء

أنتِ مــثلُ الخــمــيــلــة الــغــنّـــاء
عُــرّيتْ من أوراقـــهـــا الخـــضـــراء

أنتِ كــالــلـيث قــلَّمَ الــدهــرُ ظـفـريْـ
ـه وأخــنَى عــلــيه طــولُ الــثَّــواء

أنت كــالــشَّــاعـرِ الــذي ألف الــوحْـ
ـدةَ.. في مــحــفلٍ من الــغَــوغــاء

أنتِ مــثل الجـبّــار يـرسُفُ في الأغْـ
ـلال، في مــشــهــدٍ من الأعــداء

لـــو تــشـــائـــين كــنتِ أرفَهَ حـــالاً
أو لـــستِ قـــديـــرةً أن تَــشـــائي

أنـــا مـــا زلتُ ذا رجـــاءٍ كـــثـــيـــرٍ
ولـــئـن كـــنتُ لا أُرى ذا رجـــاء

قــد بـكـى الـتَّـارِكُـوك مـنك قُـنـوطـاً
فـبـكـى الـسَّـاكـنـوك خـوف الـتـنـائي
كــثُــر الــنــائــحــون حــولَك حــتى
خــلـتُ أني في حــاجــة لــلــعــزاء
بــذلــوا دمــعــهُمْ وصُــنْتُ دمــوعي
إنّــمــا الــيــائــســون أهلُ الــبـكــاء
لــو تُـفـيـد الـدمـوعُ شـيـئـاً لأَحـيتْ
كلَّ عــافٍ[1] مــدامعُ الــشــعــراء
أنت فـي حــاجــة إلى مــثل (مــوسى)
لــستِ في حــاجــةٍ إلى (إرْمــيــاء)[2]

☆☆☆☆☆

مُـقـلــةَ الـشَّــرقِ! كم عـزيـزٌ عـلـيـنـا
أن تــكــوني رمــيَّــة الأقــذاء[3]
شــرّدتْ أهــلَك الــنــوائبُ في الأرْ
ضِ وكــانــوا كــأنجُمِ الجــوْزاء
وإذا المــرءُ ضــاقَ بــالــعـيش ذَرْعــاً
ركب المــوت في ســبـيل الــبــقــاء
لا يُــبــالي مُــغــرَّبٌ في نَويهِ
أن يــراه نووه فـي الــغُــربــاء

☆☆☆☆☆

أرض آبــائــنــا عــلــيك سلامٌ
وســقـى الــلــهُ أنــفُس الآبــاء

---

(١) العافي. طالب المعروف، والجمع عُفاة.

(٢) النبي موسى سعى في خلاص شعبه، أما إرمياء (وهو من كبار أنبياء بني إسرائيل - القرن السابع ق.م) فعكف يبكي ما هم فيه بعد أن تنبأ بسقوط (أورشليم) في يد البابليين. نسب إليه كتاب يجمع مراثيَه!

مـــا هـــجـــرنـــاك إذ هـــجـــرْنـــاك طَـــوعـــاً
لا تـــظـــنّـــي الـــعـــقـــوقَ في الأبـــنـــاء
يُـــسْـــأمُ الخُـــلْـــدُ والحـــيـــاةُ نـــعـــيمٌ
أفَـــتَـــرضى الخـــلـــود في الـــبـــأســـاء؟
هـــذه أرضُـــنَـــا بَلاقعُ، تـــمـــشي
فـــوقـــهـــا كلُّ عـــاصفٍ هـــوجـــاء[1]
هـــذه دُورنـــا مـــنـــازلُ لـــلـــبُـــو
مِ وكـــانت مـــنـــازلَ الـــوَرْقَـــاء[2]
بـــدّلـــتـــهـــا الـــســـنـــونَ شـــوكـــاً من الـــزّهْـ
ـــرِ، وبـــالـــوحش من بـــنـــي حـــوّاء
مـــا طَـــوتْ كـــارثـــاً يـــدُ الـــصُّـــبح إلا
نَـــشَـــرَتْهُ لـــنـــا يـــد الإمـــســـاء
نـــحن في الأرض تـــائـــهـــون كـــأنّـــا
قـــومُ مـــوسى[3] في الـــلـــيـــلـــة الـــلّـــيْلاء
تـــتـــرامى بـــنـــا الـــركـــائبُ في الـــبـــيْـ
ـــداء طَـــوراً؛ وتـــارةً فـــي المـــاء
ضُـــعـــفـــاءُ مُـــحـــقَّـــرونَ كـــأنّـــا
مـــن ظلامٍ والـــنـــاسُ مـــن لألاء
واغـــتـــرابُ الـــقـــويِّ عـــزٌّ وفـــخـــرٌ
واغـــتـــرابُ الـــضَّـــعـــيف بـــدْءُ الـــفَـــنـــاء
عـــابَـــنـــا الـــبِـــيضُ أنّـــنـــا غـــيـــرُ عُـــجْمٍ
والـــعـــبِـــدَّى[4] بـــالـــسِّـــحـــنَـــة الـــبـــيـــضـــاء

(١) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لاشيء فيها وأراد بالعاصف: العاصفة.
(٢) الورقاء: الحمامة
(٣) يشير إلى تيه موسى وقومه، في صحراء سيناء، بعد خروجهم من مصر.
(٤) العبِدّى: أحد جموع العبد، وهي كثيرة.

ويح قـومي قـد أطـمع الـدهـرُ فـيـهمْ
كلَّ قـومٍ حـتى بـني الـسَّـوداء
فـإذا فـاتـنـا عـدوٌّ تجـنّى
فـأَرانـا الأحـبـاب في الأعـداء
أطـربـتْـنـا الأقلامُ لـمّـا تـغـنّتْ
بـالمـسـاواة بـيـنَـنـا والإخـاء
فـسـكـرْنـا بـهـا فـلـمّـا صـحـوْنـا
مـا وجـدنـا مـنـهـا سـوى أسـمـاء!

✡✡✡✡

نـحن في دولـة تلاشت قُـوَاهـا
كـالـنُّـضـار[1] المـدفـونِ في الـغَـبْـراء
أو كَـمـثلِ الجـنـينِ مـاتتْ به الحـا
ملُ حـيّـاً يـجـول في الأحـشـاء
عـجـبـاً كـيف أصـبح الأصلُ فـرعـاً
والـضُّـحى كـيف حلَّ في الـظَّـلْـمـاء
مـا كَـفَـتْـنـا مـظـالمُ الـتُّـرك حـتى
زحـفـوا كـالجـراد أو كـالـوبـاء
طُـرِدوا من رُبـوعـهمْ فـأرادوا
طَـرْدَنـا من رُبـوعـنـا الحـسـنـاء[2]
مـا لـنـا، والخـطـوبُ تـأخـذُ مـنّـا
نَـتـلَـهَّى كـأنـنـا في رخـاء
ضـيم أحـرارُنـا وريع حـمـانـا
وسـكـتْـنـا، والـصَّـمتُ لـلـجُـبـنـاء

---

(١) الذهب الخالص.

(٢) يعني: اليهود.

نـــهـــضـــةً تـــكـــشفُ الـــمذلّـــةَ عـــنّـــا

فـــلـــقـــد طـــال نـــومُـــنـــا في الـــشـــقـــاء

نـــهـــضـــةً تـــلـــفت الـــعـــيـــونَ إلـــيـــنـــا

إنّ خـــــــوف الــــــبلاء شَــــــرٌّ بلاء

نـــهـــضـــةً يـــحـــمل الأثـــيـــرُ صـــداهـــا

لـــــلـــــبـــــرايـــــا في أوّلِ الأنـــــبـــــاء

نـــهـــضـــةً تُـــبْـــلـــغُ الـــنـــفـــوس مُـــنـــاهـــا

فـــهْـــي مـــشـــتـــاقـــةٌ إلى الـــهـــيـــجـــاء

إنّ ذا المُـــلـــكَ هـــيـــكلٌ نـــحـــن فـــيـــه الْـ

ـــقـــلـــبُ، والـــقـــلـــبُ ســـيِّـــدُ الأعـــضـــاء

زعم الخـــائـــنـــون أنّـــا بمـــا نـــبْـــغـ

ـــيه نـــبـــغـــي الـــوصـــولَ لـــلـــعـــنْـــقـــاء[1]

ســـوف يـــدرون أنمـــا الـــعُـــربُ قـــومٌ

لا يُـــبـــالـــون غـــيـــر ربِّ الـــســـمـــاء

يـــوم لا تُـــنـــبتُ الـــســـهـــولُ ســـوى الـــنّـــا

سِ، وغـــيـــر الأســـنّـــة الـــسَّـــمـــراء

يـــوم تـــمـــشي عـــلـــى جـــبـــالٍ من الأشْـ

ـلاء، تـــمـــشي في أبـــحُـــرٍ من دمـــاء

يـــوم يـــســـتـــشـــعـــرُ المـــراؤون مـــنّـــا

إنّـــمـــا الخـــاســـرون أهلُ الـــريـــاء

****

(١) أصل العنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، خلقته المخيّلة، وأصبح يعني: الداهية.

٢٥ - معركة بورغاس[١]

[الكامل]

هذي الوغَى مشبوبةُ النيرانِ
مشدودةُ الأسبابِ والأقرانِ[٢]

شَابتْ مفارقُها وكانت طفلةً
عذراءَ منذُ دقائقٍ وثوان

طُوِيَ السلامُ فليس يُنشرُ بعدها
أو يُبعثَ المَلحودُ في الأكفان

شُقُّوا الطُّروس وحطِّموا أقلامكُمْ
اليوم يومُ شواجِرِ المُرَّان[٣]

هانتْ على الصَّمصام كلُّ يراعة
ما لليراعة في الحروب يدان[٤]

يا صاحبي! ليس الوغى من مذهبي
هاتيك وسْوسةٌ من الشيطان

فالناسُ إخوانٌ وليس من النُّهى
أن يفتك الإخوانُ بالإخوان

لو تَعقلُ الأجنادُ أنّ ملوكَها
أعداؤها انقلبتْ على التِّيجان

---

(١) Burgos مدينة في شمال إسبانية كانت فيها وقعة بين الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية، بعد سقوط مقدونيا (في شبه جزيرة البلقان) في القرن الرابع عشر.

(٢) يريد: مشدودة حبالها: السبب والقَرْن، كلاهما يعني: الحبل.

(٣) المُرّان: الرماح الصلبة اللدْنة. واشتجرت: دخل بعضها في بعض، كأغصان الشجر. كناية عن المواجهة.

(٤) اليراعة: القصبة، والجمع: يراع.

قـومٌ إذا شـاؤوا الـصـعـود لـمـطـلَبٍ
تَـخـذوا مـراقـيـهمْ من الأديـان
أوَ إن كـرهت الـحـرب كـنت يـراعـةً
وإذا قـتـلت أخـاك غـيـر جـبـان؟
إن كـان قـتْـلِي الـنفس غـيـر مُـحـرَّمٍ
مـا الـفـرقُ بـين المـرءِ والحـيـوان؟
الحـربُ مـجـلـبـةُ الـشَّـقـاوة لـلـورى
والحـربُ يـعْـشـقُـهـا بـنـو الإنـسـان
لمن الخَـمـيسُ خـوافـقٌ رايـاتُه
مُـتـمـاسكُ الأجـزاء كـالـبُـنـيـان
مـتـألبٌ كـالـلـيل جنَّ سـوادُه
مُـسـتـوفِـزٌ كـالـقـدْرِ في الـغَـلَـيـان
مُـتـدفِّقٌ كـالـسَّـيل في الـغُـدْرانِ
مـتـدفِّعٌ كـالـعـاصف المـرْنـان[1]
تـتـزلـزلُ الأطـوادُ من صـدمـاته
وتـظلّ مـنه الأرضُ في رجـفَـان
عـجلانُ يـكـتـسحُ الـبلاد وأهـلَـهـا
إن الـشَّـقي الـعـاجـزُ المـتَـواني
في كلّ سـرْجٍ ضـيـغمٌ مـتـحـفّـزٌ
في كـفّه مـاضي الـشَّـبـاة يـمـانِ[2]
سـمْحٌ إذا ضنَّ الجـبـانُ بـروحه
فـكـأنّـمـا في جـسـمه رُوحـان
مـا صـانَ مُـهـجـتَهُ الـتي في صـدرِه
إلا لـيـبـذُلـهـا بـيـومِ طـعـان

(١) ذو الرنين، لخفق رياح العاصفة.
(٢) الشباة: الحدّ. يريد. الحد الماضي.

لا شيء، يــوم الــروع، أجــملُ عــنــده
من أن يُــرى والــقــرْنَ يــصْــطَــرعــانِ[١]

✡✡✡✡✡

يــا رُبَّ مــعــركــة تَــراكم نَــقْــعُــهــا
حــتى اخــتــفى في ظلّــهــا الجــيــشــان[٢]
بــاتتْ صــقــالُ الــهــنــد في أفْــيــائــهــا
كــالــبــرقِ يــســطَعُ من خلال دُخــان
والخــيلُ طــائــرةً عــلى أرســانــهــا
تــهــوى لــو انــعــتــقَتْ من الأرســان
دوت المــدافعُ كــالــرعــود قــواصــفًــا
نَــطقَ الحــديــدُ فــعيَّ كلُّ لــســان[٣]
تــرمي بــأشــبــاه الــرُّجوم تَــخــالُــهــا
حــمــراءَ قــد صــيــغَتْ من المَــرْجــان
مــا إن تَــطــيشُ وإن نَــأتْ أغــراضُــهــا
ولــكَمْ تَــطــيشُ قــذائفُ الــبُــركــان
صــخَّــابــةً تــذرُ الحــصــونَ بلاقــعــاً
وتــدكُّــهــا دَكّــاً إلى الأركــان
تــنــقضُّ والــفــرســانُ في آثــارهــا
تــنــقضُّ مــثْلَ كــواســرِ الــعُــقْــبــان[٤]
هي وقــعــةٌ ضــجّتْ لــهــا الــدنــيــا كــمــا
ضــجّتْ وضجَّ الــنــاسُ في «ســيــدان»

---

(١) القِرن: هو القرين المساوي.
(٢) النقع: غبار المعركة. والجيشان هما الجيش العثماني وقوى أوروبة الشرقية.
(٣) عيَّ وعيي – يعيا: من الإعياء والتعب.

مشت المنايا حاسراتٍ عندها
تتطلّبُ الأرواح في الأبدان
فعلَى أديمِ الجوِّ ثوبٌ أسودٌ
وعلى أديم الأرض ثوبٌ قانِ
وإذا نظرت إلى الجُسوم على الثَّرى
أبصرت كُثباناً على كُثْبان
لمّا رأوا (بورغاس) ضرّةَ (مَكْدنٍ)
حملوا عليها حملَةَ اليابان[1]
وقد انجلتْ فإذا الهلالُ منكَّسٌ
علَمٌ طَوَتْهُ رايةُ الصُّلبان
رجحتْ قُواهمْ أيَّما رُجْحانِ
فيها، وشالَ التُّرْكُ في الميزان
نفروا لَكالحُمُرِ[2] التي روَّعتَها
بابن الشَّرى المتجهمِ الغَضْبان
وقلوبهمْ قد أسرعتْ ضرباتُها
وتظنُّها وقفتْ عن الخفقان
مُتلفِّتين إلى الوراء بأعينٍ
تَتخيَّلُ الأعداءَ في الأجفان
يتلَمَّسون من المنيّة مهْرباً
هيهات إنّ الموت كلُّ مكان
والله ما ينجُونَ من أشراكه
ولو استعاروا أرْجُلَ الغزلان

(١) يريد. مكدونيا (مقدونية) Macédoine التي سقطت في يد العثمانيين في القرن الرابع عشر.
(٢) يُجمع (الحمار) على حُمْر وحُمُر وأحْمِرة.

أسلابُهمْ للظافرين غنيمةٌ

وجُسومهمْ للحاجلِ الغَرْثان[1]

إنْ يأمنوا وقْعَ الأسنّة والظُّبى

فالذُّعرُ طاعنُهمْ بشر سنان

✡✡✡✡✡

ما أنس لا أنسى عصابةَ خُرَّدٍ

في الله مسعاهنَّ والإحسانِ[2]

عفْن الوثير إلى وسائد قَضّة

ونزحْن عن أهلٍ وعن أوطان[3]

ووقفن أنفسهُنّ في الدنيا على

تأمين مُلْتاعٍ ونُصرةِ عانِ

يحملْن ألويةَ السلام إلى الأُلى

حملوا لواء الشَّر والعُدوان

كم من جريحٍ بالنَّجيعِ مُخَضّبٍ

في الأرض لا يحنو عليه حانِ

ما راعَهُ طيفُ المنيَّة مثلَما

راعتْ حشاهُ فُرقةُ الخُلاّن

فلَهُ، إذا ذَكَر الديار وأهلَهُ،

آهُ الغريبِ وأنةُ الثُّكْلان

نفَّسْن من بُرحائه، وأَسوْنَهُ

وأعضْنَهُ من خوفِه بأمان[4]

---

(١) حجَل - يحجِل: مشى مشية المقيّد. والغرثان: الجائع (غرث - يغرث: جاع).

(٢) الخريدة: البكر من النساء.

(٣) القضّة: من قضّ المضجع وأقض: نبا وخشن.

(٤) البُرَحاء: الشر والعذاب الشديد. أسَوْنه: من أساه (داوينه). أعضْنه: عوّضنه.

مــا حــبَّب الجــنّــاتِ عــنــدي أنــهــا

مــثــوى سلامٍ، مُــســتــقَــرٌّ حــســان

لــولا حــنــانُ الــغــانــيــاتِ وعــطــفُــهــا

مــا كــانت الــدنــيــا ســوى أحــزان

☆☆☆☆☆

من مُــســمِــعُ الأيــام عــنّــي نَــبْــأةً

يــرتــاعُ مــنــهــا كلُّ ذي وُجْــدان

إنّ الأُلى جــبُــنُــوا أمــامَ عُــداتــهمْ

شَــجُــعــوا عــلــى الأطــفــال والــنِّــسوان

وصــوارِمــاً قــد أُغــمــدتْ يــوم الــوغى

شُــهِــرتْ عــلــى الأضــيــاف والــقُــطّــان

أكــذا يُــجــازَى الآمــنــون بــدُورِهمْ

أوْ هــكــذا قــد جــاءَ في الــقــرآنِ؟

☆☆☆☆☆

أخــنَــى عــلــى الأتــراك دهْــرٌ حُــوَّلٌ

أخــنَــى عــلــى الــيــونــان والــرومــان

وطــوى مــحــاسن «يــلْــدزٍ» قَــدَرٌ طــوى

ربَّ الــسَّــديــرِ وصــاحب الإيــوان[1]

فــالــيــوم لا أســتَــانــةٌ أســتَــانــةٌ

تــزهــو ولا الــسلــطــانُ بــالــسُّــلــطــان[2]

دارتْ دوائــرُه عــلــيــهــا مــثــلَــمــا

دارتْ دوائــرُه عــلــى «طَــهْــران»

---

(١) (يلدز): قصر السلطان عبد الحميد الثاني. و(السدير) أخو (الخورنق) في الحيرة عاصمة المناذرة. و(الإيوان) إيوان كسرى وهو قائم إلى اليوم.

أمُنبهي الأضغانِ كيف هجعْتُمُ
لمّا تنبّهَ نائمُ الأضْغان
وحكومةَ الأشْياخِ ويحك ما الذي
خالفتِ فيه عُصْبةَ الفتيان
قالوا: لنا المُلْكُ العريضُ وجاهُهُ
كَذَبوا، فإنّ المُلْك للرحمن
ما بالُ قومي كلما استصرخْتُهُمْ
وضعوا أصابعهم على الآذان
أبناءَ سوريّا الفتاة تضافروا
وخُذوا مثالَتكُمْ عن البلْقان[1]
ما التركُ أهلُ أن يُسودوا فيكمُ
أو تُحْكَمَ الآسادُ بالظُّلْمان[2]
هم ألبسُوا الشرقيَّ ثوب غَضاضة
وسقَوهُ كأسيْ ذلّة وهوان
فإذا جرى ذكرُ الشُّعوبِ بموضعٍ
شمختْ، وطأطأ رأسه العثماني!..

****

(١) أراد بالمثألة: المِثال (في المعاجم: حسن الحال).
(٢) الظليم: ذكر النعام (وجمعه: ظِلمان).

٢٦ - خير شيء

[الوافر]

ذهـــبتُ مُـــســـائلاً عن خَـيـــر شيءٍ
لأعـــرف كُـــنهَ أخلاقِ الـــبـــريّهْ

فـقـالت لي الـكـنـيـسـةُ: خـيـرُ شيءٍ
هـو الـزُّهـدُ الـذي يمـحـو الخـطـيَّهْ

وقـالت لي الـشَّـريـعـةُ: خـيـرُ شيءٍ
شُـمـولُ الـعـدلِ أبـنـاءَ الـرّعـيّهْ

وقـال: الـشُّـهـرةُ، الجـنـديُّ، خـيـرٌ
وإن كـانت تـقـودُ إلى المـنـيّهْ[1]

وقـال أخـو الحـصـافـة: خـيـرُ شيءٍ
هـو الحقّ المـبـينُ بلا مـريّه

وقـال أخـو الجـهـالـة: خـيـرُ شيءٍ
سـرورُ الـنـفس في الـدُّنـيـا الـدّنـيَّه

وقـال لي الـفـتى: وصْلُ الـصَّـبـايـا
وقـالت لي: الـهـوى، الـبـنتُ الـصّـبيّهْ[2]

ولـمّـا أنْ خـلَـوتُ سـألتُ نـفـسي
لأعـرف رأيَّـهـا في ذي الـقـضـيّه

فـقـالت: لا أرى خـيـراً وأبـقى
من الإحـسـان لـلـنـفس الـشَّـقـيّه

****

(١) فاعل الفعل في البيت، هو الجندي.
(٢) فاعل الفعل هي البنت الصبية.

٢٧ - حكاية حال

[مجزوء الكامل]

الحشدُ ملءُ الدار لـ ـكنْ لم يرَ أحداً سواها

فَتَّانَةٌ خَلاّبَةٌ كالياسمينة في شذاها

أوفَى عليها وهي تَخْـ ـطرُ كالفراشة فاشتهاها

شكَتِ الصَّبابةَ مُقلتا هُ فجاوبتْه مُقلَتاها

حتى إذا ما اختار كُلْـ ـلُ فتى رفيقتَه اصطفاها

ورأتْ به من تبتغي وكما رأته كذا رآها

وتقدّما للرقص يقـ ـرَأُ ناظريْه ناظراها

متلاصقِي[1] الجسمين يسْـ ـنُدُ ساعديْه ساعداها

وتكاد لولا الخوفُ تَلْـ ـمسُ وجنتيه وجنتاها

متدافعيْن كموجتَيْـ ـنِ، خُطاه تتبعُها خُطاها

(١) يريد: «متلاصِقَي».

يمـــــشـي فـــــتَـــمـــــشي وهـي تحْـ
ـــســبُهُ يـــســيـــر عـــلى حـــشـــاهـــا
هـي فـي لــــــثـــــامٍ كـــــالــــدُّجـى
مُـــحْـــلَـــولكٍ وكـــذا فَـــتَـــاهـــا
لـــــكـــنّـــمـــا الألحـــــاظُ تَـــخْـ
ـــتَـــرِقُ الــــسُّـــتــور ومـــا وراهـــا
فـــاض الـــــغـــرامُ فـــــقـــــال آ
ه وقـــــالـتِ الحـــســـــنـــــاءُ آهـــا
فـــــانـــــسلّ مـن أصـــــحـــــابـه
ســــرّاً، وأغْــــضتْ جـــارتـــاهـــا
ومـــــشـى بـــــهـــا فـي روضـــــة
قـــد نـــام عـــنـــهـــا حـــارِســاهـــا
حـــتى إذا أمـــــنّـــــا الـــــورى
وشـــكـــا الـــهـــوى وشـــكَتْ هـــواهـــا
طـــارتْ بـــبُـــرقُـــعـــهـــا وبُـــرْ
قُـــعـه عـــلى عـــجَـلٍ يـــداهـــا
كَـــيـــمـــا تُـــقَـــبِّـلُ ثَـــغْـــرَهُ
ويُـــقَـــبِّلُ المـــعـــشـــوقُ فَـــاهـــا
فـــــرأى المـــــتـــيَّمُ بـــــنـــتَـه
ورأتْ مـــلـــيـــحـــتُـــنـــا أبـــاهـــا!

✱✱✱✱

٢٨ - شكوى

[الرمل]

نَسيتْ عهدي، فلمّا جئتُها

زعمتْ أني تناسيتُ العهودْ

وادّعتْ أني خلي زاهدٌ،

أنا لو كنت كذا كنتُ سعيدْ

✡✡✡✡

رغبتْ في الصَّد عني بعدما

بتّ لا يحزُنني مثلُ الصُّدود

مثلما أنكر ثَغريْ خدُّها

أنكرتْ فاتنَتِي تلك الوعودْ

✡✡✡✡

يا شهودي عندما كنّا معاً

ذكّروها.. أين أنتم يا شُهودْ؟

سكت البدرُ الذي راقبنا

وذوتْ في الرّوض هاتيك الورودْ

✡✡✡✡

ومشَتْ ريحُ الصَّبا حائرةً

في المغاني حيْرةَ الصّبِّ العميدْ

يـــا هـــواهـــا قلْ مـــتى تـــتـــركُـــني

قـــال: أو تَـــصـْـــفـــرٌّ[1] هـــاتـــيكَ الخـــدودْ

✡✡✡✡✡

أنـــا لا أدعـــو عـــلـــيـــهـــا بـــالـــضَّـــنَى

أتّـقي أن يـشـمت الـقـالِي[2] الَـحـسـود...

✸✸✸✸

(١) التقدير: لن أتركك أو تصفرَّ.

(٢) المبغض (قلاه - يقليه).

٢٩ - بائعة الورود

[البسيط]

مِن الفرَنْسيسِ قَيْد العين صورتُها
عذراءُ قد مُلئتْ أجفانُها حورا

كأنما وهبتْها الشمسُ صفحتَها
وجهاً، وحاكَتْ لها أسلاكُها شعرا

يدُ المنيّة طاحتْ غبَّ مَوْلدها
بأمّها، وأبوها مات منتحرا

في قرية من قُرى باريس ما صغُرت
عن الفتاة، ولكنْ همُّها كَبُرا

والنفسُ تَعشقُ في الأهلينَ موطنَها
وليس تعشقُه يحويهِمُ حُفَرا

وتعظُمُ الأرضُ في عينيك محترماً
وليس تعظُمُ في عينيك مُحتقَرا

فَغادَرَتْها وما في نفسها أثَرٌ
منها، ولا تركتْ في أهلها أثرا

إلى التي تَفتِنُ الدنيا محاسنُها
وحُسْنُ من سكَنوها يفتِنُ البشرا

إلى التي تَجمعُ الأضْداد دارَتُها
ويحرُسُ الأمْنُ في أرجائها الخَطَرا[1]

إذا رآها تقيٌّ ظنَّها «عدَناً»

---

(١) الدارة أخَص من الدار. وهي الهالة من حول القمر أيضاً

وإن رآهـا شـقـيٌّ ظـنّـهـا «سـقَـرا»

تـودّ شـمسُ الـضُّـحى لـو أنـهـا فـلَكٌ

والأفْقُ لـو طـلَـعتْ في أوْجِهِ قَـمـرا

والـغـربُ لـو كـان عُـوداً في مـنـابـرهـا

والـشرقُ لـو كـان في جُـدرانـهـا حـجـرا

في كلّ قـلبٍ هـوى مـنـهـا كـأن له

في أهلـهـا صـاحـبـاً، في أرضـهـا وطَرا

(بـاريسُ) أعـجـوبـةُ الـدنـيـا وجـنَّـتُـهـا

وربَّـةُ الحُـسْن مـطـروقـاً ومـبـتَـكَـرا

☆☆☆☆☆

حـلَّتْ عـلـيـهـا فـلـم تُـنـكـرْ زخـارفَـهـا

فـطـالمـا أبـصـرتْ أشـبـاهـهـا صُـورا

ولا خلائقَ أهـلـيـهـا وزِيَّـهُـمُ

فـطـالمـا قَـرأتْ أخلاقَـهـمْ سـيـرا

وإنمـا أنـكَـرتْ في الأرض وحـدَتَـهـا

كـذلك الـطـيـرُ إمَّـا فـارقَ الـوَكَـرا

يـتـيـمـةٌ مـا لـهـا أمٌّ تـلـوذُ بـهـا

ولا أبٌ إن دعـتْه نـحـوهـا حـضـرا

غـريـبـةٌ يـقـتـفـيـهـا الـبـؤسُ كيف مـشتْ

مـا عـزّ في أرض «بـاريسٍ» من افـتَـقَـرا

مـرّتْ عـلـيـهـا لـيـالٍ وهي في شُـغُلٍ

عن سـالف الـهم بـالـهمِّ الـذي ظـهـرا

حـتى إذا عـضَّـهـا نـابُ الـطَّـوى نـفـرتْ

تـسـتـنـزلُ الـرزقَ فـيـهـا الـفـرْدَ والـنَّـفَـرا

تجـني الـلُّـجـينَ ويـجـني الـبـاذلـوه لـهـا

من كفّها الورْدَ منظوماً ومنتثرا

لا تتّقِي اللهَ فيه وهو في يدها

وتتّقي فيه فوقَ الوجنة النَظَرا

تغارُ حتّى من الأرواح ساريةً

فلو تمُرّ قَبولٌ[1] أطرقتْ خَفَرا

أذالتِ الورد قانيه وأصفرَهُ

كيما تصونَ الذي في خَدّها نَضرا[2]

حمتْه عن كل طرْفٍ فاسقٍ غَزِلٍ

لو استطاعتْ حمتْهُ الوهْمَ والفكَرا

تُضاحكُ الخَلْقَ لا زَهْواً ولا لَعباً

وتجحدُ الفقر لا كبْراً ولا أَشرا[3]

فإن خَلَتْ هاجتِ الذكرى لواعجها

فاسْتنفدتْ طَرْفَها الدّمع الذي ادَّخَرا

*****

تعلَّقَتْهُ فتًى كالغصن قامتُهُ

حلو اللسان أغرَّ الوجه مُزدهرا

وهام فيها تُريه الشمس غُرّتُها

والفجر مرتصفاً في ثغرها دُرَرا

إذا دنا رغبتْ ألاّ يُفارقَها

وإن نأى أصبحتْ تشتاقُ لو ذُكرا

تُغالبُ الوجْد فيه وهو مقتربٌ

وتهجرُ الغَمض فيه كلّما هجرا

كانت توقَّى الهوى إذ لا يُخامرُها

---

(١) القَبول: ريح الصَّبا (ضد: الدَّبور).

(٢) أذال: أهان وامتهن. نَضر: حسُن ونعُم.

(٣) البَطر (أشِر - يأشَر).

فـأصـبـحـت تَـتـوقّـى في الـهـوى الحـذَرا

قـد عـرّضتْ نـفـسـهـا لـلـحب واهـيـةً

فـنـال مـنـهـا الـهـوى الجـبّـارُ مُـقـتـدِرا

والحبُّ كـــالـــلّص لا يُـــدريك مــوعـــدَهُ

لـكـنّـه قـلّـمـا، كـالـسَّـارقِ، اسـتَـتَـرا

✡✡✡✡✡

ولـيـلـة من لـيـالي الـصـيف مُـقْـمـرةٍ

لا تـسـأمُ الـعـينُ فـيـهـا الأنجُمَ الـزُّهُـرا

تَلاقَـيـا فـشـكـاهـا الـوجـد فـاضـطـربتْ

ثم اسـتـمـرّ فـبـاتـتْ كـالـذي سُـحـرا

شـكـا فـحـرّك بـالـشـكـوى عـواطـفَـهـا

كـمـا تُـحـرِّكُ كفُّ الـعـازف الـوتَـرا

وزاد حـتى تـمـنّتْ كلُّ جـارحـةٍ

لو أصبحتْ مسْمعاً أو أصبحت بصرا

ران الـهُـيـامُ عـلى الـصَّـبَّـيْن فـاعـتـنـقـا

لا يمـلـكـان الـنُّـهى وِرْداً ولا صـدرا[1]

«وكـان مـا كـان ممـا لـستُ أذكـرُه»

تـكـفي الإشـارةُ أهلَ الـفـطْـنـة الخَـبـرا

✡✡✡✡✡

هـامتْ به وهْي لا تـدري لـشَـقْـوتِـهـا

بـأنـهـا قـد أحـبّتْ أرقَـمـاً ذَكَـرا[2]

رأته خَـشْـفـاً فـأدنَـتْـهُ، فـراءَ بـهـا

(١) يعني: لا أخذاً ولا رداً.

(٢) الحية فيها بياض وسواد. ويريدها هنا أن تكون. الثعبان.

(٣) راءَ من (رأى - راءةً) - راءَ - يَرْء.

شــاةً، فــأنــشب فــيــهــا نــابَهُ نَــمــرا[٣]

مــا زال يــؤمنُ فــيــهــا غــيــر مــكــتــرثٍ

بــالــعــاذلــينَ، فــلــمّــا آمــنتْ كَــفَــرا

جنى عــلــيــهــا الــذي تَــخْــشى، وقــاطَــعــهــا

كــأنّــمــا قــد جــنَــتْ مــا لــيس مُــغْــتــفَــرا

كــانتْ وكــان يــرى في خــدّهــا صــعــراً

عــنه، فــبــاتت تَــرى في خــدّه صــعــرا[١]

فــكــلّــمــا اســتــعــطــفــتْه ازور مُــحْــتَــدمــاً

وكــلــمــا ابــتــســمتْ في وجــهه كَــشَــرا

طــال الــنِّــفــارُ و«فــرجــيــني» عــلــى مــضضٍ

تجــرّع الأنــقَــعــيْن: الــصّــاب والــصّــبِرا[٢]

قــالت، وقــد زارهــا يــومــاً، مُــعــرِّضَــةً:

متى، لــعــمرُك، يــجــني الــغــارسُ الــثــمــرا؟

كم ذا الــصُّــدودُ ولا ذنبُ جــنــتْه يــدي

أرجــو بك الــصَّــفْــو لا أرجــو بك الــكَــدرا

تَــركــتَــني لا أذوقُ المــاءَ من وَلَــهي

كــمــا تــركت جــفــوني لا تَــذوقُ كَــرى

أشْــفــقْ عــلــي ولا تَــنس وعــودَك لي

فــإنّ مــا بي لــو بــالــصّــخــرِ لا نــفَــطَــرا

أطــالتِ الــعــتْب تــرجــو أن يــرقَّ لــهــا

فــؤادُه فــأطــالَ الــصّــمت مُــخــتــصــرا

وأحْــرجــتْهُ لأنّ الــهمَّ أحْــرجــهــا

وكــلَّــمــا أحــرجــتْه راغَ مــعــتــذِرا

وضــاق ذَرْعــاً بمــا يُــخــفي فــقــال لــهــا:

---

(١) صعر خده: أماله من الكِبْر.

(٢) يريد. النقيعين، لأنهما يُنقَعان في الماء. الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته: صابة). والصبِر: مثله.

إلامَ ألزمُ فيك السعي والحصرا

أهواك صاحبةً.. أمّا اقترانُك بي

فليس يخطُرُ في بالي ولا خَطَرا

أهوى رضاك ولكنْ إن سعيتُ له

أغضبتُ نفسي والديّانَ والبشَرا

عنَيْتُ ما لي من قلبين في جسدي

وليس قلبي إلى قسمين مُنشطرا

تُطالبِيني فؤادي وهْو مرتَهَنٌ

في كفّ غيرِك، رُمْتِ المَطْلب العسرا

يكفيك أني فيك خُنتُ إمرأتي!

ولم يخُنْ قلبُها عهدي ولا خَفَرا

قد كان طيشاً هُيامِي فيك بل نَزَقاً

وكان حبُّك ضعفاً منك بل خَورا

قالت: متى صرت بعْلاً؟ قال: من أَمَدٍ

لا أحسبُ العمر إلاه وإن قَصُرا

يا هولَ ما أبصرتْ! يا هولَ ما سمعتْ!

كادت تُكَذّبُ فيه السَّمع والبصرا

لولا بقيّةُ صبرٍ في جوانبِها

طارتْ له نفسُها من وقْعه شذَرا

يا لَلخيانة! صاحتْ وهي هائجةٌ

كما تهيَّج ليثُ بابنه وُتِرا

الآن أيقنتُ أني كنتُ واهمةً

وأنّ ما كلُّ برْقٍ يصحبُ المطرا

وهبت قلبك غيري وهو ملْكُ يدي

ما خفْت شَرْعاً ولا باليت مُزْدَجرا

ليستْ شرائعُ هذي الأرضِ عادلةً

كـان الـضـعـيفُ ولا يـنـفكُّ مُـحـتـقَـرا

قـد كـنتُ أخـشى يـد الأقـدارِ تَـصـدَعُـنـا

وكــان أجــدر أن أخــشــاكَ لا الــقَــدرا

وصــلْـتَـنِي مـثلَ شـمسِ الأفْقِ نـاصـعـةً

وعـفْـتَـنِي مـثلَ جُـنحِ الـلـيل مُـعـتـكـرا

كـمـا تـعـافُ الـسَّـراةُ الـثَّـوب قـد بـلـيتْ

خـــيـــوطُه والـــرُّواةُ المَــورد الــقَــذِرا

خـفت الأقـاويلَ بي قـد نـام قـائـلُـهـا

هـلاَّ خـشـيت انـتـقـامي وهْـو قـد سـهـرا

يـا سـالـبي عـفَّـتِي من قَـبلِ تـهـجـرَني

أُرْدِدْ عـلـي عـفـافي واردُد الـطُّـهُـرا[1]

هـيـهـات هـيـهـات مـا من عـفّـتي عـوضٌ

لاح الـرّشــادُ وبـانَ الـغَـي وانـحـسـرا...

✡✡✡✡✡

وأقــبـلتْ نــحــوه تَـغْـلِي مــراجـلُـهـا

كــأنــهــا بــركــانٌ ثــار وانــفَــجــرا

في صـدرهـا الـنارُ، نـارُ الحـقـد، مُـضْـرمةٌ

لـكـنّـمـا مُـقـلـتـاهـا تـقـذفُ الـشَّـررا

وأبـصـر الـنـصلَ تُـخـفـيه أنـامـلُـهـا

فـراح يـركضُ نـحـو الـبـاب مُـنـذعـرا

لـكـنـهـا عـاجـلـتْه غـيـر وانـيـة

بـطـعـنـة فَـجّـرتْ في صـدره نَـهـرا

فــخَـرّ في الأرض جـسـمـاً لا حـراك به

---

(١) أراد. من قبل أن تهجرني.

لـكنَّ «فـرْجـينَ» مـاتتْ قـبـلـمـا احـتُـضـرا

جُـنَّتْ مِن الـرُّعبِ والأحـزان فـانـتـحـرتْ

مـا حـبَّتِ المـوت لـكن خـافت الـوضـرا

✲✲✲✲✲

كـانت قُـبـيلَ الـرّدى مـنـسـيـةً فـغـدتْ

بـعـد الـحـمـامِ حـديثَ الـقـوم والـسَّـمـرا

تـتـلـو الـفـتـاةُ عـظـاتٍ في حـكـايـتـهـا

كـمـا يـطـالـعُ فـيـهـا الـنـاشئُ الـعـبـرا

✱✱✱✱

٣٠ - ١٩١٤

[الرّمل]

طُـوي الـعـامُ كـمـا يُـطـوى الـرَّقـيمْ[١]

وهـوى في لُـجَّـة المـاضي الـبـعـيـدْ

☆☆☆☆☆

لم يـكنْ.. بل كـان لـكنْ ذَهَـبـا

وانـقـضـى حـتّى كـأنْ لم يـكُنِ

لـو درى حـين أتى الـمُـنْـقَـلَـبـا[٢]

لَـتـمـنَّى أنه لم يـبِنِ[٣]

أيُّ نجمٍ شـارقٍ مـا غـربـا

أيُّ قـلبٍ خـافقٍ لم يـسْـكُنِ

جـاهلٌ من حـسب الآتي يـدومْ

أحـمقٌ من حـسب المـاضي يـعـودْ

☆☆☆☆☆

مـا لـنـا يـأخـذُ مـنّـا الـطّـربُ

كـلّـمـا عـامٌ تلاشـى واضْـمـحلْ

أفَـرِحـنَـا أنـنـا نـقـتـربُ

من غـدٍ؟ إنّ غـداً فـيـه الأجلْ

عـجبٌ هـذا ومـنـه أعـجبُ

إنّـنـا نَـفـنَى ولا يـفـنى الأملْ

---

(١) الرقيم: الكتاب.

(٢) حيث ينقلب مبتعداً

فكأنّا ما سمعنا بالحُتومْ
أو كأنّا قد نعِمْنا بالوجودْ

☼☼☼☼☼

يا رعاهُ اللهُ من عامٍ خَلا
فلقد كان سَلاماً وأمانْ
صافح الجحْفَلُ فيه الجحْفَلا
واستراح السيفُ فيه والسنانْ
ما انجلَى حتى رأى النَّقْعَ[1] انجلى
وخبتْ نارُ الوغَى في «البلقَانْ»[2]
لستُ أنسى نهضةَ الشعبِ النَّؤومْ
إنّ فيها عبرةً للمستفيدْ

☼☼☼☼☼

والتقَى البحران فيه بعدما
مرَّتِ الأجيالُ لا يلتقيانْ
أصبح السّدُّ الذي بينهما
تُرعةً يزخرُ فيها الأزرَقانْ
فلتدُمْ (آميركا) ما التطَما
ما لهذا الفتّحِ في التاريخ ثانْ
ولتعش رايتُها ذاتُ النجومْ
أجملُ الرّايات، أولى بالخلودْ.!

☼☼☼☼☼

واعتلى الناسُ به متْن الهواءْ
فهُمُ حول الدّراريْ[3] يمرحونْ

---

(١) الغبار (غبار المعارك).
(٢) هي المنطقة الجبلية في جنوب أوروبا وتضم رومانيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وصربيا والجانب الأوروبي من تركية.
(٣) النجوم المضيئة بلون الدر.

يمخُرُ المنطادُ فيهمْ في الفضاءْ
مثلما يمخُرُ في البحرِ السَّفينْ
معجزاتٌ ما أتاها الأنبياءْ
لا ولم يطمحْ إليها الأقدمون
سخَّر العلمُ لهم حتّى الغيومْ
فهُمُ، مثلُهُمُ، فوق الصَّعيدْ[1]

✡✡✡✡✡

حلَّقَ الغربيّ فوق السَّمواتْ
ولبثنا نندبُ الرّسم المحيل[2]
فإذا ما قال أهلُ المكرُمَاتْ
ما وجدْنا، وأبيكُمْ، ما نقولْ
لو فَقهنا مثلَهمْ معنى الحياةْ
ما أضعناها بكاءً في الطُّلولْ
ألفتْ أنفسُنا الضَّيْمَ المُقيمْ
مثلما يستعذبُ الظّبيُ الهبيدْ![3]

✡✡✡✡✡

أدركتْ غاياتِها كلُّ الشّعوبْ
نهض الصّيني وما زلْنا نيامْ
عبثَتْ فينا الرَّزايا والخطوبْ
مثلما يعبثُ بالحُرّ اللِّئامْ
صودِرَ الكاتبُ منّا والخَطيبْ
مُنعتْ ألسُنُنَا حتّى الكلامْ

---

(١) الصعيد: التراب، يريد: سطح الأرض.
(٢) المحيل: حال عليه الحول، يريد الزمان على الإطلاق. يشير إلى بكاء الديار وأطلالها عند الشعراء العرب في القديم.
(٣) الهبيد: الحنظل، أو حبّه (يُطبخ بعد أن ينقع في الماء لتذهب مرارته)!

نحن في الغفلة أصحابُ الرّقيمْ[1]
نحن في الذِّلَّة إخوانُ اليهودْ[2]

✡✡✡✡

ليت أنَّا حينَ ماتَ الشَّمَمُ
لحقتْ أرواحُنا بالغابرينْ
ما تمرّدنا على من ظَلموا
لا ولم نفكُكْ وثاقاً عن سجينْ
ليس يمحو عارَنا إلا الدّمُ
فإلى كم نذرِفُ الدّمع السَّخين؟
قام فينا ألفُ جبّارٍ غَشومْ
غير أنّا لم يمتْ منّا شهيدْ

✡✡✡✡

يا لَقومي بلغ السّيل الزُّبَى[3]
واستطالَ البغْيُ واستشرى الفسادْ
فاجعلوا أقلامكُمْ بِيض الظُّبا[4]
واستعيروا من دم الباغي المداد
كتَبَ السيفُ.. اقرؤوا ما كتَبا:
«لا يُنالُ المجدُ إلاّ بالجهادْ»
أيْ رجالَ الشّرقِ أبناءَ القُرومْ![5]
لا تناموا. آفةُ الماء الرُّكود!!

****

---

(١) يشير إلى قصة «أهل الكهف» الذين « لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً» انظر سورة الكهف، في القرآن الكريم (الآية ٩).
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة «وضُربت عليهم الذلة والمسكنة » سورة البقرة، الآية ٦١
(٣) الزُّبية: الرابية لا يعلوها الماء.
(٤) الظبة: حد السيف. والجمع: الظبا

٣١ - بنت الدوالي

[الرجز]

هـاتِ اسـقـني بـالـقَـدح الـكـبـيـرِ
صـفـراءَ لـونَ الـذّهب المـصْـهـورِ
كـأنـهـا في أكـؤس الـبـلُّـورِ
شُـعـلـةُ نـارٍ في بـقـايـا نـورِ

✲✲✲✲✲

عـجـبتُ لـلـكـأس الـتي تَـحـويـهـا
كـيف اسـتـقـرّتْ والحـيـاةُ فـيـهـا
لـو لم يُـدِرْهـا بـيـنـنـا سـاقـيـهـا
دارتْ عـلـى الـقـوم بلا مُـديـرِ

✲✲✲✲✲

هـاتِ اسْـقـنـيـهـا مـثلَ عـينِ الـديك
صـافـيـةً تـنـهضُ بـالـصُّـعـلـوك
حـتّى يـرى الـتّـيهَ عـلـى المـلـوك
ولا يُـبـالـي سـطـوةَ الأمـيـرِ

✲✲✲✲✲

بـنت الـدّوالي ضـرّةَ الـرُّضـابِ[1]
أخت الـتّـصـافي زوجـةَ الـسَّـحـابِ
أنـتِ، وإن لام الـورى شـرابي
في الخـالـدَيْنَ: الـقَـر والـهـجـيـرِ[2]

✲✲✲✲✲

---

(١) الرّيق. يريد. طيبه حين يرشفه.

أشــرَبُــهــا بل أشــربُ الإكــســيــرا[1]
تَــخْــلُقُ في شــاربــهــا الــسُّــرورا
فــقل لمن يــحــســبُــهــا غُــرورا
مــا الــعــيشُ إلاّ ســاعــةُ الــغُــرور

****

(١) الشراب.

٣٢ - الطيران

[الخفيف]

لــــو رأى «آدمٌ» فـــتـــاهُ لـــزال الْـ

ــحـــقــدُ من قــلــبه عــلى حــوّاء

صــيّــر الأرض جــنــةً دونــهــا الجــنْـ

ـنَــةُ في الحُــسْن والــبــهــا والــرُّواء

مــا أظنّ الــنــعــيم فــيه الــذي في الْـ

أرضِ من بــهــجــة ومن لألاء

كلّ مــا في الــوجــود لــلــمــرء عــبْــدٌ

وهــو عــبــدُ الــشَّــهْــواتِ والأَهْــواء

كــائــنٌ كلُّ كــائــنٍ حــار فــيه

فــهــو حُــلْــوٌ مُــرٌّ ودانٍ نــاء

وهــو طــوراً يــكــون نــصف إله

وهــو طــوراً أدنى من الــعــجْــمــاء

عــجــبــاً كــيف طــاعَهُ الــطّــينُ والمــا

ءُ ومــا كــان غــيــر طــينٍ ومــاء؟

ســاد في الــكــون مــثــلــمــا ســاد فــيه

خــالقُ الــكــون مُــبــدعُ الأشــيــاء

فــهــو في المــاء ســابحٌ وعــلى الــغَــبْـ

ــراء مــاشٍ وطــائــرٌ في الــفــضــاء

تــخــذَ الجــوَّ مــلــعــبــاً ثمّ أمــسى

راكــضــاً في الــهــواء ركْض الــهــواء

فهو فوق السّحاب يحكيه في مسْـ
ـراهُ لكنّه أخو خُيَلاء
وهو بين الطيور تَحسبُه العنْـ
ـقاءَ لولا استحالةُ العنقاء
أبصرَتْهُ فأكْبرتْ أن ترى في الـ
ـجوِّ صيّادَها على الغَبراء
فاسْتوى في قلوبها الذّعرُ حتى
كاد يحكي البلاءَ خوفُ البلاء
وتناجتْ تَبغي النجاةَ فراراً
أين أين المفرُّ منْ ذا القضاء
ويح هذي الطُّيورِ تجني على المو
تَى وترجو سلْماً من الأحياء
اهْبِطي أو فحلّقي أو فسيري
إنّما المنتهى إلى الأرزاء!

✡✡✡✡✡

وهو بين النجوم يسترقُ السّمـ
ـع ولا يتّقي رجوم السماء
مشهدُ روّعَ الدّراري فباتتْ
حائراتٍ في القُبّة الزّرقاء
نافراتٍ كأنّها ظَبياتٌ
رأتِ القانصينَ في البيداء
سائلاتٍ أ ذا رسولُ سلامٍ
من بني الأرض أم نذيرُ فناء؟
هالَها أن ترى من الإنس قوماً
يتهادونَ مثلَها في الفضاء
فرأيت الجوزاءَ تشكو الثُّريّا
والثُّريّا تشكو إلى الجوزاء

لا تُراعي يا شهبُ منّا فإنّا
ما حملْنا إليك غير الولاء

قد كرِهْنا المُقامَ في الأرض لمّا
قيلَ إنّ السّما مقرُّ الهناء

إنّما شوقُنا إليك الذي أسْـ
ـرى بنا لا الهُيامُ في الإسراء

فَصليِنَا نزددْ غَراماً ووجْداً
غيرُ مُسْتحسنٍ كثيرُ الإباء

نحن يا شهبُ في حماك ضيوفٌ
وجميلٌ رعايةُ الغُرباء

أكرمي ذلكَ المحلِّقَ فوق السّـ
ـسُحْبِ يُثني عليك خير ثناء

وأنيري طريقَه إن دجا اللّيـ
ـلُ ودبّتْ عقاربُ الظلماء

صاغَك الله شعلةً من ضياءٍ
وبرَا المرء شُعلةً من ذَكاء

تَخذيه أخاً يكنْ لك عوْناً
كلُّ نفسٍ محتاجةٌ للإخاء

لا تفاخرْ بالواخدات ولا بالخَيْـ
ـلِ من أدهمٍ ومن شَهْباء[1]

هانَ عصرُ النِّياقِ والرّاكبيها
عند عصرِ البُخار والكَهْرباء!

****

---

(١) الوخْد: سعة المشي والإسراع فيه

٣٣ - العاشق المخدوع

[الكامل]

أبصرتُها في الخمسِ والعشْرِ
فرأيتُ أُختَ الرئمِ والبدرِ
عذراءُ ليس الفجرُ والدها
وكأنّها مولودةُ الفَجْرِ
بسّامةٌ في ثغرها دُرَرٌ
يهفو إليها الشاعرُ العصري
ولها قَوَامٌ لو أُشبِّهُهُ
بالغصنِ باءَ الغصنُ بالفَخرِ
مثلُ الحمامةِ في وداعتها
وكزهرةِ النِّسْرينِ في الطُّهرِ
مثلُ الحمامةِ غيرَ أنّ لها
صوتَ الهزارِ ولفتةَ الصَّقْرِ

✲✲✲✲✲

شاهدتُها يوماً وقد جلستْ
في الرّوضِ بين الماءِ والزّهرِ
ويدُ الفتى «هنري» تطوّقُها
فحسدتُ ذاك الطّوقَ في الخَصْرِ
وحسدتُ مقلتَهُ ومسْمعَهُ
لجمالِها وكلامِها الدُّرِّي
أغمضْتُ أجفاني على مضضٍ
وطويتُ أحشائي على الجمْرِ

وخَشيتُ أنّ الوجْد يسلُبني
حلْمي[1]، ويغلبُني على أمْري
فرجعتُ أدراجي أُغَالبُهُ
باليأس آونةً وبالصَّبْر
ثم انقضى عامٌ وأعقبَهُ
ثانٍ وذاك السرُّ في صدري
فعجبتُ، مني كيف أذكُرُها
وقد انقضى حولانِ من عُمري
خلْتُ الليالي في تتابُعها
تُزري بها عندي فلم تُزْر
زادتْ ملاحتُها فزِدْتُ بها
كَلَفاً، وموجِدةً على «هنري»

☆☆☆☆☆

وسئمتُ داري وهي واسعةٌ
فتركتُها وخرجتُ في أمر
فرأيتُ فتيانَ الحمى انتظَمُوا
كالعقْد، أو كالعسْكرِ المَجْر[2]
يتَفكَّهُونَ بكلّ نادرةٍ
وعلى الوجوهِ علائمُ البِشْر
ساروا فأعْجبني تدفُّقُهُمْ
فتَبعتُهمْ أدري ولا أدري
ما بالُهم؟ ولأية وقفوا؟
لمن البناءُ يلوحُ كالقَصْر

---

(١) الحِلم: العقل.
(٢) الجيش العظيم.

أوَّاهُ! هــــذي دارُ فَــــاتـــــنَـــــتِي
من قــال: مــا لــلــشــمس من خــدْرٍ؟
وعــــرفتُ من «فــرْجِـــينَ» جــارتِـــهــا
مــــا زادني ضُــــرّاً عـــلى ضُــــر
قــد كـــان هـــذا يــوم خُــطــبــتــهــا
يـــا أرضُ مــيــدي! يــا ســمــا خُـري
ورأيتُ ســـاعـــدهـــا بـــســـاعـــده
فَـــوددتُ لـــو غُـــيِّــبْتُ في قَـــبْـــر
وشَـــعـــــرْتُ أن الأرض واجـــفــــةٌ
تحـــتي، وأنّ الـــنـــار في صـــدري
وخـــشــيتُ أن الــوجْــد يــســلُــبــني
حــلــمي ويــغــلــبُــني عــلى أمــري
فـــــرجــــعتُ أدراجــي أغــــالــــبُهُ
بــالــيــأسِ آونــــةً وبــالــصـــبــر

✡✡✡✡✡

قــالــوا: الــكــنــيــســةُ خــيــرُ تــعــزيــة
لمن ابــتُــلي في الحبّ بــالــهــجْــر
فــنــذرتُ أن أقــضــي الحــيــاةَ بــهــا
وقَــصــدتُــهــا كَــيــمــا أَفِي نَــذْري
لازمــتُــهــا بــدْرينِ مــا الــتــفــتتْ
عـــيـــني إلى شــمــسٍ، ولا بــدْرِ
أتــلــو أنــاشــيــد الــنــبي ضُــحى
وأطــالــعُ الإنجــيلَ في الــعــصْــر
حــيــنــاً مع الــرُّهــبــانِ، آونــةً
وحــدي، وأحــيــانــاً مع الحــبْـــر[1]

---

(١) الحَبْر. واحد الأحبار من رجال الكنيسة.

في الغابِ فوقَ العشب مضطجعاً
في السّفحِ، مُستنداً إلى الصَّخر
في غرفتي، والريحُ راكدةٌ
بين المَغارسِ، والصَّبا تَسري
حتى إذا ما القلبُ زايلَهُ
تبريحُه، وصحوتُ من سُكري
وسلوتُها وسلَوتُ خاطبها
وألفْتُ عيش الضَّنْك والعُسْر
عاد القضاءُ إلى مُحاربتي
ورجعتُ للشكوى من الدّهر

☆☆☆☆☆

في ضحوةٍ وقف النسيمُ بها
متردّداً في صفحة النّهر
كالشاعر الباكي على طَلَلٍ
أو قارئٍ حيرانَ في سفْر
والشمسُ ساطعةٌ ولامعةٌ
تكسو حواشِي النَّهرِ بالتِّبْر
والأرضُ حاليةٌ جوانبُها
بالزّهر من قانٍ ومُصْفَر
فكأنّها بالعشب كاسيةٌ
حسناءُ في أثوابها الخُضْر
وعلا هُتافُ الطيرِ إذ أَمنتْ
بأس العُقَابِ وصولةَ النَّسْر
تتلو على أهل الهوى سُوراً
ليست بمنظومٍ ولا نَثْر

يحنو الهزارُ على أليفَته
ويداعبُ القُمريّةَ القُمْري[1]
وانْساب كلُّ مصفّقٍ عذِبٍ
واهتزّ كلّ مُهفْهفٍ نَضْر
فتذكّرتْ نفسي صبابَتَها
ما أولَع المَهْجور بالذِّكر
أرسلتُ طرفي رائداً فجرى
وجرى على آثارِه فكْري
حتى دوى صوتُ الرئيس بنا
فهُرِعتُ والرهبانُ في إثري
وإذا بنا نلقى كنيستَنا
بالوافدين تَموجُ كالبحر
وإذا «بها» وإذا الفتى «هنري»
في حُلّة بيضاءَ كالفجر
تمشي ويمشي بين ذي أدبٍ
حُلْوٍ، وبين مليحة بِكْر
رفع الرئيسُ عليهما يده
وأنا أرى ويدي على صدري
يا قلبُ ذُبْ! يا مُهجتي انفَطري
يا طَرْفُ فضْ بالأدمُعِ الحُمْر
أغمضتُ أجفاني على مضضٍ
وطويتُ أحشائي على الجمْر
وخشيتُ أنّ الوجْد يسلُبني
حلْمي، ويغلبُني على أمري

---

(١) القُمري. طير أبيض. ومؤنثه قُمرية.

فرجعتُ أدراجي أغالبُهُ

باليأسِ آونةً وبالصَّبْرِ

وخرجتُ لا ألوي على أحدٍ

ورضيتُ بعد الزُّهد بالكُفْرِ

✡✡✡✡✡

أشفقتُ من همّي على كَبِدي

وخشيتُ من دمعي على نَحْري

فكلفْتُ بالصَّهباء أشربُها

في منزلي، في الحان، في القَفْرِ

أبغي الشفاءَ من الهموم بها

فتَزيدُني وقْراً على وقْرِ[1]

وتَزيدُني ولَعاً بها وهوى

وتزيدُني حقداً على «هنري»

قال الطبيبُ وقد رأى سقَمي

لله من فعْلِ الهوى العُذري

ما لي بدائكَ يا فتى قبَلٌ

السحرُ محتاجٌ إلى سحْرِ[2]

ومضى يقلّبُ كفّهُ أسفَاً

ولبثتُ كالمقتولِ في الوكْرِ

ما أبصرتْ عيناي غانيةً

إلا ذكرتُ إلى الدُّمى فَقْري

✡✡✡✡✡

وسئمتُ داري وهي واسعةٌ

فتركتُها وخرجتُ في أمْرِ

---

(١) الثقل.

فــرأيــتُــهــا فـي الــســوق واقــفــةً

ودمــوعُــهــا تــنــهلُّ كــالــقَــطْــر

فـي بُــردةٍ كــالــلــيل حــالــكــة

لَــهــفي عــلــى أثــوابــهــا الحُــمْــر

فَــدنــوتُ أســألُــهــا وقــد جــزِعتْ

نــفــسي، وزلــزلَ حــزنُــهــا ظــهــري

قــالت:قــضى «هــنــري»! فــقــلــت: قــضى

مــن كــاد لــي كــيْــداً ولم يــدْر

لا تــكــرهــوا شــرّاً يُــصــيــبُــكُمُ

فــلَــربّ خــيــرٍ جــاء من شــر

وهــفــا هــواهــا بي فــقــلــتُ لــهــا:

قــد حلّ هــذا المــوتُ من أســري

قــالــت: ومن أســري! فــقــلــتُ: إذن

لــي أنتِ؟ قــالــتْ: أنت ذو الأمْــر

فــأدرتُ زَنــدي حــول مــنــكــبــهــا

ولــثــمــتُــهــا في الــنــحْــر والــثَّــغــر

وشــفَــيتُ نــفــسي من لــواعــجِــهــا

وثــأرتُ بــالــتــصــريح من ســرّي

ثمّ انــثــنــيتُ بــهــا عــلــى عــجَلٍ

بــاب الــكــنــيــســة جــاعلاً شــطْــري[1]

وهــنــاك بــاركَــنــي وهــنّــأني

من هــنَّــؤوا قــبــلِي الــفــتى «هــنــري»

✡✡✡✡

---

(١) جعله شطره: اتجه نحوه.

من بـــعـــد شـــهـــرٍ مـــرَّ لي مـــعـــهـــا
أبـــصـــرتُ وضْح الـــشَّـــيبِ في شَـــعـــري
مـــا كـــنـتُ أدري قَـــبلَ صُـــحْـــبـــتـــهـــا
أنَّ المَـــشـــيـب يـــكـــونُ في شـــهْـــر
فـــكّـــرتُ في «هـــنـــري» وكـــيـف قَـــضى
فـــوجـــدتُ «هـــنـــري» واضـح الـــعُـــذْر
يـــا طـــالمـــا قـــد كـــنـتُ أحـــسُـــدُه
والـــيـــوم أحـــسُـــدُه عـــلى الـــقـــبـــر!

****

٣٤ - أهلها عرب

[مجزوء الوافر]

أقـــــــــاحٍ ذاك أم شـــــــــــنَبُ
وريـــقٌ ذاك أم ضـــــــــــــــــــربٌ[١]

ووجْــهٌ ذاك أم قـــــــــمـــــــــرُ
وخَــــــــــــــــدٌ ذاك أم ذهـــبُ

جـــمـــــالٌ غـــيــــرُ مـــكـــتـــسـبٍ
وبـــعضُ الحُـــسْنِ يُـــكْـــتَـــسب

ثَـــكـــلْتِ الـــظَّـــرف، عـــاذلـــتي
أهـــذا الحـــسْنُ يُـــجـــتَـــنَب؟

عـــددْتُ لـــهـــا الـــعـــيــوب ولـــيـ
ـــس إلاّ الـــــظَّـــــــرْفُ والأدبُ

فـــتـــاةٌ بـــين مـــبْـــســـمـــهـــا
وبـــين عُـــقُـــودهـــا نَـــســب

لـــواحـــظُـــهـــا نمـــتْـــهـــا الـــهِـــنْـ
ـــدُ لـــكنْ أهـــلُـــهـــا عـــرب

مـــــرنَّـــــحـــــةٌ إذا خـــطـــرتْ
رأيـت الـــغـــصـن يـــضـــطَـــرب

مـــــشــتْ ووَنَــتْ روادفُـــــهـــــا
فـــكـــاد الخَـــصْـــر يـــنْـــقَـــضِب[١]

---

(١) الضرب: العسل الأبيض. والشنب: صفة في الأسنان: برودتها

يُســــــــرُّ الـــــعـــــاذلـــــون إذا
نـــــأتْ ويــــعــــودُني الــــوصب[1]
ويـــــصـــــطَــــخــــبـــون إن قَـــرُبتْ
وعـــنـــدي يـــحُـــسن الـــطَّـــرب
فـــأبـــكي كـــلّـــمـــا ضـــحـــكـــوا
وأضـــحكُ كـــلّـــمـــا غَـــضـــبـــوا!

****

(١) الوجع.

٣٥ - صاحب القلم

[البسيط]

أشقى البريّة نفْساً صاحبُ الهِممِ
وأتعسُ الخَلْقِ حظّاً صاحبُ القلمِ

عاف الزّمانُ بني الدّنيا وقيّدَهُ
والطّيرُ يُحبسُ منها جيّدُ النّغم

وحكّمتْ يدُه الأقلام في دمه
فلم تَصُنْه ولم يعدلْ إلى حكَم

فيا له عاشقاً طاب الحمام له
إن المحبَّ لَمجنونٌ فلا تَلُم

لكلّ ذي همّةٍ في دهره أَمَلٌ
وكلٌّ ذي أَمَلٍ في الدّهر ذو أَلَم

ويلَ الليالي لقد قلّدْنَني ذَرِباً
أدنى إلى مُهجتي من مهجة الخَصمِ[1]

ما حدَّثتني نفسي أن أحطّمَهُ
إلاّ خشيتُ على نفسي من النّدم

فكلَّما قلتُ: زُهدي طاردٌ كَلَفي
رجعتُ والوجْدُ فيه طاردٌ سأمِي

يأبى الشَّقاءُ الذي يدعونه أدباً
أن يضحكَ الطِّرسُ إلاّ إنْ سفكتُ دمي

لقد صحبتُ شبابي واليراعَ معاً

(١) اللسان الذرِب. الحادّ (ذرِب لسانه - يذرب: فصُح).

أودى شبابي.. فهل أُبقي على قلمي
كأنّما الشّعراتُ البيضُ طالعةً
في مفْرِقي، أنجُمٌ أشرقْن في الظُّلَم
تَضاحكَ الشّيبُ في رأسي فعرَّض بي
ذو الشّيبِ عند الغواني موضعُ التُّهم
فكلُّ بيضاءَ عند الغيد فاجعةٌ
وكلُّ بيضاءَ عندي ثَغْرُ مُبتَسِمِ
قل للّتي ضحكتْ من لمَّتي: عجباً
هل كان ثَمَّ شبابٌ غيرُ منصرِمِ؟
أصبحتُ أنْحَلَ من طيفٍ، وأحْير من
ضيفٍ، وأسْهر من راعٍ على غَنَم
وليلة بِتُّ أَجني من كواكبها
عقداً كأنّي أنالُ الشُّهْب من أَمَم[1]
لا ذاقَ جفْنِي الكَرى حتى تنالَ يدي
ما لا يفوزُ به غيري من الحُلُم
ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي
ولا البكاءُ على ما فات من شيمي
لكنّ (مصراً)، وما نفسي بناسية
مليكةَ الشّرقِ ذات النِّيل والهرم
صرَفتُ شطر الصبا فيها فما خَشِيتْ
نفسي العثّار، ولا نفسي من الوصم
في فتية كالنجوم الزُّهرِ أوجهُهُمْ
ما فيهمُ غيرُ مطبوعٍ على الكرم
لا يقبِضون مع اللأواء أيديهمْ

(١) يعني. طوع يده (من أمامه).

وقــلّــمــا جـــاد ذو وَفْـــرٍ مع الأَزَم[٢]

حــسـبي من الــوجْـد همٌّ مــا يُـخـامـرُني

إلاّ وأشْــرقَــني بــالــبــارد الــشَــبِمِ[١]

في ذمّــة الــغــرب مــشــتــاقٌ يُـنــازعه

شــوقٌ إلى مـــهــبِط الآيـــات والحـــكَم

مــا تــغـرُب الــشـمسُ إلاّ أدمـعي شَـفَقٌ

تَـنـسى الـعـيـونُ لـديه حُـمـرةَ الـعـنَم[٢]

ومــا ســرتْ نــســمـاتُ نــحـوهـا ســحـراً

إلاّ وددْتُ لـــو أني كـــنتُ في الـــنَّـــسم

مــا حــالُ تـلك الـمـغـاني بـعد عـاشـقـهـا

فـــإنّــني بــعــدهـــا لـــلــهمّ والــسَّــقَم

جـــاد الـــكـــنـــانـــةَ عـــنّي وابلُ غَــدَقٌ

وإن يكُ الــنّــيل يُــغــنــيــهـــا عن الــديم

الـــشَّــرقُ تـــاجٌ، ومـــصـــرُ مـــنه دُرّتُهُ

والــشَّـرقُ جـيشٌ، ومـصـرُ حـاملُ الـعـلَم

هـيـهـات تَـطـرُفُ فـيـهـا عـينُ زائـرِهـا

بــغــيـــر ذي أدبٍ أو غـــيـــرِ ذي شـــمـم

أحــنَى عــلـى الحُــرِّ من أمٍّ عـــلى ولـــدٍ

فـالحُرُّ في مـصـر كـالـورْقَـاء في الحـرم[٣]

مـــا زلتُ والـدّهـرُ تـنـبـو عن يـدي يـدُهُ

حـتى نـبتْ ضِـلّـةً عن أرضــهـا قَـدمي[٤]

أصـبـحتُ في مـعـشـرٍ تَـقْذى الـعـيونُ بـهم

---

(١) الشَبِم. البارد (تأكيد للماء البارد)

(٢) العنم: أطراف الخرنوب الحُمر، أو هو الزُّعرور.

(٣) الورقاء: الحمامة.

(٤) الضلّة: الغيبوبة في خير أو شر.

شـــرٌ من الـــدّاء في الأحـــشــاء والـــتُّــخَم

مـــا عـــزَّ قـــدْرُ الأديب الحُـــرِّ بـــيـــنـــهمُ

إلاّ كـــمـــا عـــزَّ قـــدْرُ الحيِّ في الـــرمم

من كلّ فَظٍّ يُـــريك الـــقـــرْدَ مـــحـــتـــشـــمـــاً

ويـــضـــحكُ الـــقـــردُ مـــنه غـــيـــر مُـــحـــتَـــشِمِ

إذا بـــــــصُـــــــرْت به لا فـــــاتَـــهُ كَـــــدَرٌ

رأيت أســـــمج خـــــلْقِ الـــــله كـــــلّـــــهِمِ

من الأعـــــارِبِ لـــــكنْ حـــــين أُنـــــشِـــــدُه

جـــواهـــر الـــشّـــعـــرِ ألـــقـــاهُ من الـــعـــجم

مـــا إنْ تُـــحـــرّكُهُ هـــمّـــاً ولا طَـــربـــاً

كـــأنّـــمـــا أنـــا أتـــلـــوهـــا عـــلى صـــنَم

لا عـــيب في مـــنـــطـــقي لـــكنْ به صـــمَمٌ

إنّ الـــصَّـــوادحِ خُـــرْسٌ عـــنـــد ذي الـــصّـــمم

حـــجـــبتُ عن كلّ مـــعـــدومِ الـــنُّـــهى دُرَري

إني أضـــنُّ عـــلـــى الأنْـــعـــام بـــالـــنِّـــعم

قـــومٌ أرى الجـــهلَ فـــيـــهمْ لا يـــزال فـــتًى

في عُـــنـــفـــوانِ الـــصِّـــبـــا، والـــعـــلْمَ كـــالـــهـــرم

****

٣٦ - إلى الله راجعون

[مخلع البسيط]

بـــيـــنـي وبـــين الـــعـــيـــون ســـــرٌّ

الـــلـهَ في الـــســـر والـــعـــيــــونْ

إذا عـــصـتْ فـــكـــرتي الـــقـــوافي

أوحتْ لـــنـــفـــسي بـــهـــا الجُـــفـــونْ

هـــات اســـقـــني الخـــمـــر جـــهْـــرا

ولا تـــبـــالِ بمـــا يـــكـــونْ

إن كـــان خـــيـــرٌ أو كـــان شـــر

إنّـــا إلى الـــلـه راجـــعـــونْ!!

****

٣٧ - نزوة ألم

[الوافر]

دعي لَـــومي وقَـــاك الـــلـهُ مـــا بي
فـغـيـرُ الـحُـرّ أولى بـالـعـتـابِ

إلى كم تَـعـجـبـينَ من انـفـرادي
وكم ذا تَـعـذُلـينَ عـلى اكْـتـئـابي

وإنك لـو خَـبـرْتِ الخَـلْقَ خُـبْـري
زهـدتِ الخَـلْقَ زُهْـد أبي تُـراب[1]

هُـمُ إمّـا غَـبـيٌّ لـيس يـدري
وذو عـلـمٍ وَلـوعٌ بـالـتَّـغَـابي

لـهـمْ صُـور الملائك والأنـاسي
وأخلاقُ الأبـالسِ والـذِّئـاب

أَعـاذلَ، ربمـا مـرَّت بـرأسي
خـطـوبٌ لا يـمُـرُّ بـهـا حـسـابي

أبتْ نـفـسي الـنـزولَ إلى الـدَّنـايـا
وقـلـبي أن يمـيلَ إلى الـتَّـصـابي

فـمـا دانـيتُ أقـداح الحُـمـيَّـا
ولم أهْـمِمْ بـغـانـيـة كَـعـاب[2]

ومـا مـنَـع الـزَّهـادةَ فيَّ أنّي
حـديـدُ نـاظـري، غضٌ إهـابي

---

(١) كنية للإمام علي بن أبي طالب

(٢) الحميّا: الخمرة. والكعاب: التي كَعَب ثديها (بدا للنهود).

وما كان الشبابُ ليزْدَهيني
لأني ما أمنتُ على شبابي
أضنُّ به على الشَّهواتِ ضنِّي
على «هنْدٍ» بشعْري «والرَّباب»
ربيعُ العُمْر إن يذهبْ جُزافاً
أكُنْ من بعده صفْر الوِطاب[1]
ذَرينِي أضطربْ في الأرض، إني
رأيتُ السيف يصدأُ في القِراب[2]
وما أنا بالغَريبِ الدَّارِ وحْدي
فكلُّ الناس عندي في اغْتراب
أفكِّرُ كيف جئتُ، وكيف أمضي
على رغمي، فأَعْيا بالجواب
أتيتُ ولم أكن أدري مجيئي
وأذهبُ غيرَ دارٍ بالإياب
إذا كان المصيرُ إلى التلاشي
فلِمْ جئنا وكنّا في حجاب؟
وإن كان المصيرُ إلى خُلودٍ
فما معنى المنية والتَّباب؟[3]
أمورٌ لا يُحيطُ بهنّ فكْرٌ
ولو أمسى يُحيط بكلِّ باب
أرِقْتُ لها وأصحابي هُجودٌ
بليلٍ مثلِ خافيةِ الغُراب[4]

---

(١) الوِطاب: سقاء اللبن – آنية الزاد (ومثله: الوطَب).
(٢) القِراب: غمد السيف والسكين (الجمع: قُرُب).
(٣) التباب: الهلاك.
(٤) خافية الغراب: ريشة تختفي تحت جنح كل طائر.

سـجـا فـازْوَرَّت الأقـمـارُ ذُعـراً
كـمـا رُعت الحـمـائمُ بـالـعُـقَـاب(١)
فـبتُّ أبـثُّـهـا هـمِّي وبـاتتْ
مُـسـهَّـدةً كـأن بـهـا مُـصـابي
وألحـظُـهـا زهـوراً في رياضٍ
وأقـرؤهـا حُـروفـاً في كـتـاب
ومـا هـمِّي سـوى شـعبٍ تـعـيسٍ
شـتـيتِ الـشَّـملِ جمِّ الإضْـطـراب
يـحـاول رزْقه في المُـدْن آنـاً
وآنـاً في الـسَّـبـاسبِ والـهـضـاب(٢)
ولـو عـرف الـسـحـاب يُـدِرُّ مـالاً
لأصـبح راكـبـاً مـتْن الـسـحـاب
رمـتْه الحـادثـاتُ بـكل سـهْمٍ
وخـدَّشه الـزمـانُ بـكلِّ نـاب
فـراح كـأنمـا هـو شَـعْب مـوسى
غـداةَ الـتِّيه في الـقَـفْـر الـيـبـاب(٣)
نـأى عن أرض مـصـر حـذار ضـيمٍ
فـفـر من الـعـذاب إلى الـعـذاب

✡✡✡✡

بـلـيَّـتُـنـا صـحـافيٌّ مُـراءٍ
يُـداجـيـنـا ومـاليٌّ مُـرابِ
وصـحفٌ لـستُ أدعـوهـا بـصـحفٍ
فـمـا هي بـالـقـشـور ولا الـلُّـبـاب

---

(١) سجا الليل: سكن وامتدّ
(٢) السبسب: المفازة الواسعة، لا شيء فيها

أرى أنهارها فأظنُّ ماءً
كذاك العينُ تُخدعُ بالسَّراب

فلم أعثُرْ على لفظٍ سليمٍ
ولم أظفَرْ بمعنى مُسْتَطاب

ولا حُسْنٌ هناك ولا رُواءٌ
وأنّى الحُسنُ للطلَلِ الخَراب[1]

فإنْ تَشْكُ من القُرّاء عاباً
شكا القراءُ منها ألف عابِ[2]

✲✲✲✲✲

ذوي الأقلامِ إنّا في احتياجٍ
إلى غيرِ الشَّتائمِ والسباب

فهل من قائدٍ فيكمْ حكيمٍ
يسيرُ بنا إلى القَصْدِ الصَّواب

فنظفر بالرجاء على يديْه
ويظفر بالأماني والثَّواب!

✲✲✲✲

---

(١) الرُّواء: المنظر.
(٢) العاب: العيب.

٣٨ - الكأسان

[الرجز]

كانَ على خِوانِ ربِّ المالِ

كأسان: من خمرٍ ومن زُلال[1]

هاتيك في الحُمرةِ مثلُ العنْدم[2]

وتلك في بياضها كالدِّرهمِ

فقالتِ السُّلافةُ الثَّرثارهْ

عندي حديثٌ فاسْمعي يا جارهْ

أنا التي تَخضعُ لي الرُّؤوسُ

أنا التي يعبُدني المجوسُ

كم قائدٍ أضحكتُ منه جُنْدَهُ

وسيِّدٍ حكَّمتُ فيه عبدَهُ!

وملكٍ أسقطتُ عنه التّاجا

وساكنٍ هيَّجتُهُ فهاجا

وزوجةٍ علَّمتُها الخيانهْ

ووالدٍ أنسيتُه الأمانهْ

وحدثٍ خدعتُه فانْخَدعا

حتّى إذا ما شبَّ عضَّ الإصبعا

إنَّ الغنَى والصّيت والذّكاءَ

متى أُرِدْ صيَّرتُها هباءَ

---

(١) الماء الزلال: الصافي.

(٢) العندم: نبات يُستخرج منه صباغ أصفر.

فــــســــمِـع المــــاءُ فـــهـــاج غَــضــبــا
وقـــال: مــهـلاً، بــلـغ الـــسَّــيلُ الـــزُّبَـى[1]
إنْ تـــفـــخــري، يـــا جـــارتي، بـــالـــشَّــر
فـــإنّ بـــالـــفـــعل الجـمــيلِ فــخــري
أنـــا الـــذي تُــغــسَلُ بي الــكُــلــومُ[2]
ويــرتــوي الــظّــامئُ والمَــحْــمــومُ
يُــحــبُّــني المــالك والمــمــلــوكُ
والــسّــيــدُ المُــطــاعُ والــصُّــعــلــوكُ
حــيث أكــونُ جــاريــاً يــكــونُ
اَلــورْدُ والأقــاحُ والــنِّــسْــريــنُ
إنّ المــروج الخــضــر لا يُــحــيــيــهــا
غــيــرُ وجــودي حــولَــهــا وفــيــهــا
كم ســرتُ في الــوادي وفي الــغَــديــر
عــلـى شــبــيه الـــدُّرّ والــكــافــورِ[3]
وجــلـس الــعــشــاقُ حــولي في الــسَّــحــرْ
عــلـى بــســاط الــعُــشْب في ضــوءِ الــقــمــرْ
كم اشــتــهــوا، إذ ســمــعــوا خَــريــري،
لــو أنــنــي أســيــرُ في الــصُّــدورِ
أنـــا الـــذي لـــولاهُ مـــات الـــنـــاسُ
والــطــيــرُ والأســمــاكُ والأغْــراسُ
يـــا خــمــرُ كَمْ ذا تــدّعــينَ الــفَــضْلا

---

(١) يقال: بلغ السيل الزبى. أي اشتد الأمر، والزُّبية: الهضبة التي لا يصل إليها الماء.
(٢) الجراح (مفردها: كَلْم)
(٣) نبات له زهر أبيض.

وبـــالمـــيـــاه تُـــقْـــتَـــلـــينَ قَـــتْلا
وأمُّك الـــكَـــرْمَـــةُ يـــا صـــهْـــبـــاءُ[1]
مـــا وُجِـــدتْ فـي الأرض لـــولا المـــاءُ!

****

(١) الخمرة للونها الأصهب.

٣٩ - أقوى من الشيب والهرم

[البسيط]

مــا زلتُ أحــسـبُ أنَّ الحبَّ زايــلَــني
حـتى نـظـرتُ إلـيـهـا وهْي تَـبْـتـسمُ

✡✡✡✡

فـاهـتـزَّ قـلـبي كـمـا تَـهـتـزُّ نـابـتَـةٌ
في الـقـفـر مـر عـلـيهـا الـنُّورُ والـنَّسَمُ[1]

✡✡✡✡

يـا حُـبَّـهـا لا تَـخفْ شـيـباً ولا هـرماً
فـلـيس يـقـوى عـلـيك الـشَّـيبُ والـهـرَمُ

****

(١) النَسم والنسمة: نَفَس الروح.

٤٠ - لأرفعنَّ للسَّما احتجاجي

[الرجز]

جاء الشتاءُ جِيْئَةَ المُفاجِي

كأنَّما قد كان في الرِّتاجِ

فجمد السائلُ في الزُّجاج

واكتَست الأرضُ بمثل العاج

فامتنع المرْعى على النِّعاج

وامتنع الحبُّ على الدَّجاج

وامتنَع السَّيرُ على النّواجي[1]

رُبَّ جوادٍ لاحقٍ همْلاج[2]

مُعوَّدِ الإلجام والإسراج

والوخَد والذَّميلِ والإهماج[3]

أصبح مثلَ العرْقِ في اختلاج

مُنعرِجاً في غيرِ ذي انعراج

لو هاجه الرّاكبُ بالكُرباج

لما مشى به سوى اعوجاج

لولا الجليدُ طار بالمهْتَاج

مثلَ البُراقِ بفتى المعْراج

---

(١) الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بمن يركبها (وجمعها: النواجي).

(٢) حسن السير في سرعة وبخترة.

(٣) الوخد والذميل والإهماج: ضروب من عدو الإبل.

وحـــــطَّهُ والـــــشــــمسُ فـي الأبـــــراج

لـــــكــــنه مـــــنه عـــــلى الـــزَّجـــاج[1]

✡✡✡✡✡

وأمـــــسكَ الــــنــــاسُ عن الـــلَّـــجـــاج

أمـــــا تـــــرى نــــداءَهُمْ تَـــنَـــاج

كــــأنَّـــمـــا الجـــمـــوعُ في الـــملاجي

عـــلى « مــــنى » مــــواكبُ الحُـــجَّـــاج

ورغب الـــمُـــثْـــري عن الـــديـــبـــاج

إلى الـــلِّـــبـــاس الخَـــشنِ الـــنِّـــسَّـــاج

وكــــان أنْ جـيء لـه بـــالــــتَّـــاج

أعـــــــــرض عـــــــــنـه وارِم الأوداج[2]

✡✡✡✡✡

وانـــقَـــبض الـــنـــهـــرُ عن الـــهِـــيـــاج

وكـــان مـــثلَ الـــزَّاخـــرِ الـــعـــجَّـــاج

يـــصـــارعُ الأمـــواج بـــالأمـــواج

يـــا مـــســـبح الإوزّ والــــدُّرّاج

كـــيف غـــدوت مـــوطئ الأحـــداج[3]

ومـــعْـــبـــر الخَـــلْقِ إلى الخَـــراج؟

✡✡✡✡✡

مـــا لي والـــصّـــبحُ عـــلى انْـــبِلاج

أخـــبِطُ كـــالـــعـــشـــواء في الـــدَّيـــاجي

إذا أردتُ الـــسَّـــيـــر في مـــنْـــهـــاجي

---

(١) بسبب الجليد.

(٢) الودج: عِرْق في العنق (وهما ودجان)

(٣) الحِدْج: المحفّة، من مراكب النساء.

طالَ عِثاري فيه وانزلاجي

كأنني أمشي على زِجاج

محتذياً بالزِّئبق الرَّجْرَاج

خُيِّل لي، لشدّة ارتجاجي

أنّ دمي يرتجّ في أوشاجِي[1]

أرى الدُّنا ضيِّقةَ الفجاج

ولم تضقْ، لكنّما احتياجي

إلى طريقٍ واضحِ الشِّجاج[2]

أسلُكُ فيه غير ما انزعاج

وحاجتي بالكوكب الوهّاج

كحاجة الأعمى إلى سراج!

إن لجّ هذا القُرُّ في إحراجي

لأرفعنّ للسّما احتجاجي!

****

(١) وشج وشْجاً ووشيجاً: تداخل وتشابك. والوشائج: عروق الأذنين.

(٢) أصل الشجّة: الجرح في الوجه والرأس، وجمعه شِجاج. يريد هنا المسالك.

٤١ - أنتم معي

[الكامل]

في المـــنـــزلِ المــــهـــجـــورِ أذكـــركُمْ
فـــإخَـــالَـــنِي في جِـــنّـــة الخُـــلْـــد

✫✫✫✫

أنـــــتم مـــــعي فـي كـلّ آونـــــة
والــــنّـــاسُ تَـــحـــسبُ أنّـــني وحْـــدي!

****

٤٢ - الحرب العظمى

[الكامل]

لــو أســتــطــيعُ كــتــبتُ بــالــنــيــرانِ
فــلــقــد عــيــيتُ بــكُمْ وعي بــيــاني

ولــكــدتُ أســتــحْــيي الــقــريض وأتّــقي
أن يــســتــريب يــراعــتي وجــنــاني

أمــسى يُــعــاصــيــني لــمــا جــشّــمــتُه
فــيــكمْ، وكــنــتُ وكــان طــوعَ بــنــاني

يــشــكــو إلي وأشــتــكي إعــراضــكُمْ
الــلــهَ في عــانٍ يــلــوذُ بــعــانِ

عــاهــدتُهُ ألا أُثــيــر شُــجــونَه
أو يــســتــثــيــر كــوامِنَ الأشــجــان

يــا طــالمــا اسْــتَــبكــيــتُه فــبكَى لــكُمْ
لــولا الــرجــاءُ بــكــيــتُه وبــكــاني

كم لــيــلــة أحــيــيــتُــهــا مُــتــمــلــملاً
طــرْفي وطَــرْفُ الــنّــجم مُــلــتــقــيــان

تحــنــو عــلى قــلــمي يمــيــني، والــدُّجى
حــانٍ عــلى الــفَــتَــيــاتِ والــفــتــيــان

أجــلــو عــرائــسه لــكم وأزُفُّــهــا
مــا بــين بِــكــرٍ كــاعبٍ وعــوَان[١]

مــتــألمــاً فــيــكمْ وفي أبــنــائــكمْ
وهمُ وأنــتم نــائــمــو الأحــزان

---

(١) العوان: النّصَف (الجمع: عُون).

مــا غــالَ نــومي حُبٌّ مــعــســولِ الــلّــمى

ممــــنـــوعه، لـــكنْ هـــوى الأوطـــان

أنـــفـــقتُ أيّـــامَ الـــشـــبـــاب عـــلـــيـــكُمُ

في ذمّـــة المــاضي الــشــبــابُ الــفــاني

✵✵✵✵✵

كم تـــســـألـــوني أن أُعـــيـــد زمـــانَه

يـــا قـــومُ، مـــر زمـــانُه وزمـــاني

هــانَ الــيــراعُ عــلى الــبــواتــر والــقَــنــا

مـــا تـــصـــنعُ الأقلامُ بـــالـــمُـــرّان[1]

لـــيس الـــكلامُ بـــنـــافعٍ أو تـــغـــتـــدي

حُـمْـرُ المَـضــارب خـلْف كلِّ لــســان[2]

والـــشـــعبُ لـــيس بمـــدركٍ آمـــالَهُ

حـتى يـسـيـر عـلى الـنّـجـيع الـقـاني!.

✵✵✵✵✵

صَلَّ الحـديـدُ وشَّـمـرتْ عن سـاقـهـا

وتـــنـــكَّـــر الإخـــوانُ للإخـــوان[3]

فــالخــيلُ غــاضــبــةٌ عــلى أرســانــهــا

والــبِــيضُ غــاضــبــةٌ عــلى الأجــفــان[4]

والمـــوتُ من قُـــدّامـــهـمْ وورائـــهـمْ

والـــهـــوْلُ كلَّ ثـــنـــيّـــة ومـــكـــان

بــســطَتْ جــنــاحــيــهــا ومــدّتْ ظــلَّــهــا

فــإذا جــنــاحــا الــسَّلمِ مــقــصُــوصــان

---

(١) المُرّان: الرماح (واحدها: مرّانة)

(٢) المضرب: ما ضُرب به، والجمع: مضارب.

(٣) صلّ وصلصل: صوّت.

تَــغــشى مــواكــبــهــا ثلاثُ غــيــاهبٍ
من قَـــسْـــطَلٍ ودُجُـــنَّــــة ودُخـــان[1]
ويـــردّ عـــنـــهـــا كلَّ خــائضٍ لُـــجَّــة
ســـيْلانِ: من مـــاءٍ ومن نـــيـــران
أنّى الـــتَـــفَتَّ رأيت رأســـاً طـــائـــراً
أو مـــهـــجـــةً مــطــعــونــةً بــســنــان
يمـــشي الـــرّدى في إثــر كلّ قــذيــفــة
فــكــأنّــمــا تَــقْــتــادُه بــعــنــان
فـــالجـــوُّ ممّـــا فـــاض من أرواحـــهمْ
لا تـــســـتـــبـــينُ نُـــجــومَه عــيــنــان
والـــنـــهـــرُ ممّـــا ســـالَ من مُـــهـــجــاتــهمْ
يـــجـــري عـــلى أرضٍ من المَـــرْجـــان
والأرضُ حـــمـــراءُ الأديمِ كـــأنّـــهـــا
خـــدُّ الحـــيـــيّـــة أو خَـــضـــيبُ بـــنـــان
كم من مُـــبـــيحٍ لـــلـــضـــيــوف طــعــامَه
أمـــسى طـــعـــام الأجْـــدَلِ الـــغَـــرْثـــان[2]
ومـــقـــاتلٍ نـــاش الـــكـــتـــيـــبـــةَ، نـــاشَهُ
ظُـــفْـــرُ الـــعُـــقـــابِ ومـــخْـــلَـــبُ الـــسرحـــان
ومُـــحـــلّقٍ بـــين المَـــجـــرّةِ والـــسُّـــهـــا
صـــعـــد الحـــمـــامُ إلـــيه في الـــطَّـــيران
ومُـــشَـــيَّـــدٍ وقف الـــزمـــانُ حـــيـــالَه
مُـــتـــحـــيّـــراً بـــجـــمـــاله الـــفـــتّـــان

---

(١) القسطل: الدخان.

(٢) الأجدل: الصقر، والغرثان: الجائع.

أخــنَى عــلى ذكْــر «الخَــورنَقِ» ذكْــرُهُ
وسـمـا عـلـى «الحـمـراء» و«الإيـوان»[1]
وقـضى الـعـصـور الـنـاسُ في تـشـيـيده
أودتْ بـه مـقـذوفـةٌ وثَـوان
ومـديـنـةٌ زهـراءُ آمـنـةُ الحِـمى
هُـدمتْ مـنـازلُـهـا عـلـى الـسـكّـان
خَرِستْ بلابلُـها الـشـوادي في الـضُّحى
وعَلا صـيـاحُ الـبُـومِ والـغـرْبـان
وتـعـطـلّتْ جـنّـاتُـهـا وقُـصـورُهـا
ولـقـد تـكـون بـغـبـطـة وأمـان
حـربٌ أذلَّ بـهـا الـتّـمـدُّنُ أهـلَهُ
وجنَى الـشـيـوخُ بـهـا عـلى الـشُّـبـان
سحقَ الـقـويّ بـهـا الـضـعـيف وداسَه
ومـشـى عـلـى أرضٍ من الأبـدان
بـئس الـوغى، يـجـني الجـنـودُ حُـتـوفَـهمْ
في سـاحـهـا، والـفـخـرُ لـلـتـيـجـان
مـا أقـبح الإنـسـانَ يـقـتلُ جـاره
ويـقـول هـذي سُـنّـةُ الـعـمـران
بـلي الـزمـانُ وأنت مـثـلُك قـبـلَه
يـا شـرْعـةً قـد سـنّـهـا الجـدَّان
فـالـقـاتلُ الآلاف غـازٍ فـاتحُ
والـقـاتلُ الجـاني أثـيمٌ جـان
لا حقَّ إلا مـا تـؤَيّـدُه الـظُّـبـا
مـا دام حبُّ الـظـلْـمِ في الإنـسـان

---

(١) (الخورنق والسدير): قصرا المنذر في الحيرة، و(الحمراء) في غرناطة. والإيوان (إيوان كسرى) في العراق.

لو خُيِّر الضعفاءُ لاختاروا الرَّدى

لكنّ عيش الأكثرين أَمَاني

✡✡✡✡✡

ما بالُ قومي نائمين عن العُلا

ولقد تنبّه للعُلا الثَّقَلان

تُبَّاعُ أحمد والمسيحِ، هوادةً

ما العهدُ أن يتنكّر الأخَوان

اللهُ ربُّ الشِّرعتَين وربُّكُمْ

فإلى متى في الدِّين تَختصمان؟

مهما يكن من فارقٍ، فكلاكما

يُنْمى إلى قحطانَ أو غسّانِ[1]

فخذوا بأسباب الوِفاقِ وطهّروا

أكبادَكمْ من لُوثة الأضْغَان

في ما يحيقُ بأرضكُم ونفوسكُمْ

شُغْلٌ لمشتَغلٍ عن الأديان

نمتُمْ وقد سهر الأعادي حولَكُمْ

وسكنتمُ والأرضُ في جيشان

لا رأي يجمعُكم إذا اختلف القَنا

وتلاقت الفرسانُ بالفرسان

لا رايةٌ لكمُ يدافِعُ دونَها

مُرْدُ العوارضِ، والحُتوفُ دواني[2]

لا ذنب للأقدار في إذلالكم

هذا جزاءُ الغافلِ المُتَواني

---

(١) نماه وأنماه: نسبه.

لــو لم يــعــزَّ الجــهلُ بــين ربــوعــكُم

مــا هــان جــمــعــكُمُ عــلــى الحــدْثــان

المــرءُ، قــيــمــتُه المــعــارفُ والــنُّــهى

مــا نــفعُ بــاصــرةٍ بلا إنــســان

مــا بــالُــكمْ لا تــغــضــبــونَ لمجــدكمْ

غَــضْــبــاتِ مــلــطــومِ الجــبــين مُــهــان

أو لــســتمُ كــالــنّــاس أهلَ حــفــائظٍ

أم أنــتمُ لــســتمْ من الحــيــوان؟

أبــنــاؤكُم، لَــهــفَي عــلــى أبــنــائــكم

يــلــهــو بــهم أبــنــاءُ جــنــكــيــز خــان

الــنّــازعــون الــمُــلْك من أيــديــكُمُ

الــعــابــثــونَ بــكمْ وبــالــقــرآن

أوَ كــلّــمــا طــلــعتْ عــلــيــهم أزْمــةٌ

هــاجــوا ضــغــائــنَكم عــلى الــصُّلْبان

لا تــخــدعــنّــكُم الــســيــاســةُ إنّــهــا

شــتّــى الــوجــوهِ كــثــيــرةُ الألــوان

لــو تــعــقــلــونَ عــمــلْــتُمُ لخلاصِــكُم

من دولــة الــقَــيْــنَــاتِ والخــصْــيــان

عــارُ عــلــى نــسلِ المــلــوك بــني الــعُلا

أن يــســتــذلَّــهمُ بــنــو الــرُّعْــيــان

ثــوروا عــلــيــهم واطــلــبــوا اســتــقلالَــكم

وتــشــبّــهــوا بــالــصــرْب والــيــونــان

مــاذا يــروعُ نــفــوســكُمْ، مــا فــيــكمُ

---

(١) الوكِل. البليد والجبان.

وَكِلٌ ولا في التُّرك غيرُ جبان[1]

وهبوهُمُ الرُّومانَ في غُلَوائهمْ

أفما غلَبْتُمْ أمَّةَ الرّومان[1]

ما الموتُ ما أعيا النِّطاسي ردُّه

موتُ الذليل وعيْشُهُ سيّان[2]

****

(١) الغُلَواء: الغلوّ، وحدة الشباب.

(٢) النُطاسي: العالم الماهر، والطبيب الحاذق.

٤٣ - دموع وتنهدات

[الطويل]

ألا لـيت قـلـبـاً بـين جـنـبي دامـيـا
أصـاب سُـلُـوّاً أو أصـاب الأمـانـيـا
أجنَّ الأسى حـتى إذا ضـاقَ بـالأسى
تـدفّقَ من عـيـنيَّ أحـمـر قـانـيـا[1]
تَـهـيجُ بي الـذكـرى الـبـروقُ ضـواحـكـاً
وتُـغـري بي الـوجـد الـطـيـورُ شـواديـا
فـأبـكي لمـا بي من جـوى وصـبـابـة
وأبـكي إذا أبـصـرتُ في الأرض بـاكـيـا[2]
فلا تحـسـبـاني أذرِفُ الـدمع عـادةً
ولا تحـسـبـاني أُنـشـدُ الـشِّـعـر لاهـيـا
ولـكـنـهـا نـفـسي إذا جـاش جـأشُـهـا
وفـاض عـلـيـهـا الـهـمُّ فـاضتْ قـوافـيـا
يـشُقُّ عـلى الإنـسـان خـدْعُ فـؤاده
وإن خـادع الـدنـيـا وداجى الـمُـداجِـيـا[3]
طـلـبتُ عـلى الـبـلـوى مُـعـيـنـاً فـفـاتَـني
يُـؤاسـيكَ من يـحـتـاج فـيكَ مـؤاسـيـا
ومن لم تُـضـرِّسْهُ الخـطـوبُ بـنَـابِـهـا
يـظنُّ شـكـايـاتِ الـنـفـوسِ تَـشَـاكـيـا

---

(١) أجنَّ: ستر وأخفى.
(٢) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من الهوى أو الحزن.

رُمــيْتُ من الــدنـيــا بمــا لــو قَـلـيـلُهُ

رمــيْتُ به الأيــامَ صــارتْ لــيــالــيــا

فلا يــشــتك غـيــري الـبُـؤوس فــإنــني

ضـمـنتُ الـرزايـا، واحـتـكـرتُ الـعواديا[1]

تــمــرُّ الــلــيــالي لــيــلــةً إثْــر لــيــلــة

وأحــزانُ قــلــبي بــاقــيــاتٌ كــمــا هــيــا

ولــو أنَّ مــا بي الـخـمــرُ أو بــاردُ الــلَّــمى

ســـلـــوتُ، ولـــكنْ أمَّـــتي وبِلاديـــا[2]

إذا خــطــرتْ من جــانبِ الــشــرْقِ نــفــحــةٌ

طــربتُ فــألْــقَى مـــنــكــبــاي رِدائــيــا

أَحنُّ إلـى تــلك الـــمــغــاني وأهـــلـــهـــا

وأشــتــاقُ من يــشــتــاقُ تــلك الــمــغــانــيــا

ومـــا ســـرَّني أن المَلاهي كـــثـــيـــرةٌ

وفي الـشَّـرق قــومٌ يــجــهــلــون الــمَلاهــيــا

إذا مــثُّــلــوا والــنــومُ يــأخــذ مُــقــلــتي

بــأهــدابــهــا، أمــسـيــتُ وسْــنــانَ صــاحــيــا

وكــيف اغــتــبــاطُ المــرءِ لا أهلَ حــولَه

ولا هــو من يــســتــعــذبُ الــصَّــفْــو نــائــيــا

✡✡✡✡✡

تــبــدَّلتِ الــدنــيــا من الــسِّــلْم بــالــوَغى

وصــار بــنــوهــا الــعــاقــلــون ضــواريــا

فــمــا تُــنــبتُ الــغَــبــراءُ غــيــر مــصــائبٍ

ومـــا تُـــمـــطـــرُ الأفلاكُ إلا دواهـــيـــا

---

(١) العوادي. ما يشغل الإنسان عن أموره (المفرد. عادية).

(٢) اللَّمى: سواد مرغوب في الشفة، لامتلائها بالدم.

وناكر حتى الليلُ زُهْر نُجومه
وماءُ الخضَمِّ المُنشآتِ الجواريا
وبات سبيلٌ كان يسري به الفتى
بلا حارسٍ، يمشي به الجيشُ خاشيا
تَقطَّعتِ الأسبابُ بيني وبينهمْ
فليس لهم نَحوي وصولٌ ولا ليا
وكان لنا في الكُتْب عونٌ على الأسى
وفي (البرْق) ما يُدني المدى المُتَراميا
فلم تأمنِ الأسرارُ في (السّلْك) سارقاً
ولم تأمنِ الأخبارُ في الطِّرسِ ماحِيا[1]
إذا قيلَ هذا مُخْبِرٌ ملّتْ نحوه
بسمعي ولو كان المُحدِّثُ واشيا
وتَعلمُ نفسي أنه غيرُ عالِمٍ
ولكنني أستدفِعُ اليأس راجيا
سرى الشكُّ حتى ما نُصدِّقُ راوياً
وطالَ فبتنا ما نُكذِّبُ راويا
أُقَضّي نهاري طائر النَّفس حائراً
وأقطَعُ ليلي كاسف البالِ ساهيا
فما هُمْ بأمواتٍ فنبكي عليهِمُ
ولا هُمْ بأحياءٍ فنرجو التَّلاقيا

✵✵✵✵✵

كأني بهمْ قد أُخْرجوا من بُيوتهمْ
حُفاةً عراةً جائعين صواديا[2]
كأني بالغَوغاء ثارتْ عليهِمُ
وبالجُند تعطي الثائرين المواضيا

---

(١) يعني: أسلاك البرق.
(٢) الصوادي: العطاش (صدي – يصدى).

كـأني بـهم قـد أُعـملَ الـسَّـيفُ فـيـهِمُ
كـأن الـدَّمَ الـقـاني يـسـيل سـواقـيـا
كـأني بـالـدُّورِ الحـسـان خـرائبٌ
كـأني بـالجـنّـاتِ صـارتْ فَـيـافـيـا[1]
مـشـاهـدُ لاحتْ لي فـهـزّتْ فَـرائـصي
كـمـا ذُعـر الـمـلْـسـوعُ راءَ الأفـاعـيـا[2]
فـبِتُّ كـأنّ الـسَّـهم بـين أضـالـعي
كـأني أُقلُّ الـشَّـاهـقـاتِ الـرَّواسـيـا
ولـو أجـنـبيٌّ لاتّـقـيـنـا سـهـامَهُ
ولـكـنـمـا الإخـوانُ صـاروا أعـاديـا
أطـاعـوا طُـغـاةَ الـتُّـرك فـيـنـا وطـالمـا
عـصى فـيـهِمُ الـتُّركي وفـيـنـا الـنَّـواهـيـا
وكم راغَ مـا بـين الـمـسـيحِ وأحـمـدٍ
وحـارب «بـالـسُّوري» أخـاهُ «الـيـمـانـيـا»[3]
فـإن يـنْس «حـوْرانـاً» فـتـاهُ وجـارهُ
فـإنّ رُبـا حـوْران لم تـنْس (سـامـيـا)[4]
ألا لـيت من بـاعـوا عـلى الـغَـبْن وُدَّنـا
من الـتُّـرْك بـاعـوا ذلك الـوُدَّ غـالـيـا
ويـا لـيت من بـاع الـبلاد وأهـلَـهـا
«بـفلـكَين» لـم يـخـتَرْ لـها الـبُؤس شـارِيا[5]

✡✡✡✡✡

---

(١) الفيفاء (الفيافي) البراري الواسعة البعيدة من الماء.

(٢) الفريصة: لحمة عند منبض القلب. وراء: رأى.

(٣) راغ: حاد ومال إليه سراً (والاسم الروغان).

(٤) يبدو أنه اسم علم لرجل كانت له صلة معروفة بحوران.

(٥) (الفلك) من العملة العثمانية.

فيا أمةً قد طالَ عهدُ سُباتها
متى يكشفُ الإصباحُ عنك الدَّياجِيا
إلى كم تَودّين البقاءَ لمعشرٍ
بقاؤهُمُ يُدني إليك التَّلاشيا
ثلاثةُ أجيالٍ تقضّت وأنتمُ
تُسامونَ منهم ما تُسامُ المواشيا
أما آن أن يسترجع التَّاج أهلُه
ويسترجع التاجُ المهابةَ ثانيا
متى كان (جنكيزٌ) «لقطحانَ» سيّداً
فيُمسي بنو هذا لذاكَ مواليا؟

✡✡✡✡

ويا عقلاءَ العُرْب هذا زمانُكُمْ
فكونوا لمن ضَلَّ المحجّة، هاديا[1]
إذا عذَر الأعمى الورى في ضَلاله
فلا يعذُرون الناظر المُتَعاميا
أرى ظُلُماتٍ مُطْبِقاتٍ حوالكاً
فإن تطلُعوا فيها رأيتُ الدَّراريا[2]
غداً ينشرُ التاريخُ عنكمْ حديثَهُ
ويتلو الذي يتلوه ما كان خافيا
فإن شئتُمُ أمسى عليكمْ محامداً
وإنْ شئتمُ أمسى عليكمْ مساوِيا

✡✡✡✡

ويا أيُّها الجالونَ إنّ بلادَكمْ
تُناديكُمُ لو تَسمعونَ مُنادِيا

---

(١) المحجة: الطريق المقصودة.

لقد عقَّدتْ فيها الخطوبُ عجاجةً

وساق عليها جيشَهُ الجوعُ غازيا[1]

وبات ذَووكُمْ يجهلون مصيرهُمْ

كأنهمُ ماءٌ أضاع المجاريا

من العار أن يغشى الرُّقادُ جُفونَكمْ

على حينِ يغشى الدمعُ تلك المآقيا

من العار أن يَكْسو الحريرُ جسومَكُمْ

ولم تُبْقِ منهمْ شدَّةُ الضَّنك كاسيا

من العار أن يبقى عليكمْ جُمودُكمْ

وقد بلغتْ تلك النفوسُ التَّراقيا[2]

إذا المالُ لم يُنفِقْهُ في الخيْر ربُّه

رآهُ عليه العالَمون مخازِيا

إن المرءُ لم يسع لخيرِ بلاده

يكنْ كالذي في ضُرِّها بات ساعيا

****

(١) العجاجة: الغبار والدخان.

(٢) التراقي. جمع (الترقوة): العظم الواصل بين ثغرة النحر والكتف.

٤٤ - أخت البلجيك

[الكامل]

يـا لـوعـةً حـار الـنِّـطـاسي فـيك
كم يـشـتـكي غـيـري وكم أُخـفـيك

إن بُـحْتُ بـالـشـكوى فـغـايـةُ مُـجـهـدٍ
لم تُـبْق لي كَـبِـداً فـأسـتَـبْـقـيك

أجـنـايةَ الـطَّرْف الـكـحيلِ عـلى الحـشـا
الـله حـسـبي في الـدَّم الـمـسْـفـوك

مـا في الـشـرائعِ لا ولا في أهـلـهـا
من يـسـتـحلّ الأخْـذَ من جـانـيك

يـا هـذه كم تَـشْـحـذين غـراره
أوَ مـا خـشـيت حـدَّهُ يُـؤذيك[١]

يـا أخت ظـبيِ الـقَـاعِ لـو أَعـطـيته
لَـحـظـيك صـاد الـصَّـائـديه أخـوك

روحي فـدى عـيـنـيك مـهـمـا جـارتـا
في مـهـجـتي وأبي فـداءُ أبـيك

رمـتـا فـكلُّ مُـصـمـمٍ ومـقـوَّمٍ
نـابٍ، وكلّ مُـسـرَّدٍ وحـبـيك[٢]

الـلـهَ في قـتـلى جُـفـونك إنـهم
ظـلـمـوا نـفـوسـهُمُ ومـا ظـلَـمـوك

---

(١) الغرار. حدّ الرمح.
(٢) مسرّد. مثل تسريد الدرع (تداخل الحلَق بعضها في بعض).

إن تُبْصريني أتّقي فتَكاتِها
فلقد أَصولُ على القَنا المشبوك[1]

كم تجحدين دمي وقد أبصرْتِه
ورْداً على خدّيك غير مشُوك[2]

رُدّي حياتي إنها في نظرةٍ
أو زَوْرةٍ أو رَشْفةٍ من فيك

لو تنظرين إلى قتيلك في الدُّجى
يرعى كواكبَهُ ويستَرعيك

والليلُ من همّ الصباح وضوئه
حيرانُ حيْرةَ عاشقٍ مهتوك

لَعجِبتِ من زُور الوشاة وإفكهمْ
ومن الذي قاسيتُ في حُبّيك

حولِي إذا أرخى الظلامُ سجوفَه
ليلانِ: ليلُ دُجى وليلُ شُكُوك

تمتد فيه بي الكآبةُ والأسى
مثلَ امتداد الحرْف بالتَّحْريك

ما لي إذا شئتُ السلوَّ عن الهوى
وقدرْتُ أن أَسْلُوك لا أَسْلوك

فُكّي إساري إنّ خلفي أمّةً
مضنوكةً في عالَمٍ مضنوك

وأحبةً سدّ القُنوطُ عليهمُ
والخوفُ كلَّ معبَّدٍ مسْلوك

لا تسأليني كيف أصبح حالُهمْ
إني أخافُ حديثُهم يشجيك

---

(١) أراد (التبصير) بمعنى التعريف والإيضاح.

باتوا برغمهمُ كما شاء العدا
لا حُزنُهم واهٍ ولا بِركيك
لا يملكون سوى التحسُّرِ، إنه
جُهدُ الضعيف الواجد المفْلوك[1]
تترقرقُ العبْراتُ فوق خدودهمْ
يا من رأى دُرَراً بغيرِ سُلوك[2]
أخذَ العزيزَ الذّلُّ من أَطْواقه
والجوعُ يأخذ مُهجةَ الصُّعْلوك
قل للمبذّر في المَلاهي مالَهُ
ماذا تركت لذي الأسى المتْروك
أيبيتُ يشربُ من معين دُموعه
وتبيتُ تَحسوها كعين الدِّيك؟[3]
ويروحُ في أَطْماره، وتَميسُ في
ثوبٍ لأيامِ الهناء محوك
إن كنت تأبى أن تُشاركَه سوى
نُعْمى الحياة فأنت غيرُ شريك
يا ضرّةَ البلجيك في أحزانها
تبكيك حتى أُمَّةُ البلْجيك
حُمِّلْتِ ما يُعيي الشواهقَ حملُه
يا ليت ما حُملتِ في شانيك
سلّ البُغاةَ عليك حُمْر سُيوفهمْ
لا أنتِ جانيةٌ ولا أهلوك

---

(١) المفلوك: الفقير، وجمعه: مفاليك.
(٢) يريد: درراً لا ينتظمها السلك.
(٣) شراب صافٍ كعين الديك: صافٍ شديد الصفاء.

جُنّ القضاءُ فغالَ حسنَك قُبحُه

وأذلّ أبناءُ الطَّغَامِ بنيك[١]

لا أشتكي الدنيا ولا أحداثَها

هذي مشيئةُ ذي المشيئة فيك

لو أملك الأقدار أو تصريفَها

لأمرتُها فجرتْ بما يُرضيك

ولو انها تدري وتَعقل لانثنَتْ

تَرمي بأسهُمها الذي يرميك

إن يفتديك أخو الغنى بنُضارِهِ

فَبِدرهمي وبمُهجتي أَفديك[٢]

ومنازلُ البؤساء أَوْلى بالنَّدى

ولأنتِ أَولاها بمالِ نويك

✡✡✡✡✡

يا أمةً في الغَرْبِ ينعُم شَطْرها

رِفقاً بشطرٍ بائسٍ منْهوك

جادت عليكُمْ، قبلما كنتُم، بكمْ

جودوا ببعض العسْجد المسْبوك!![٣]

****

(١) الطّغام: الأوغاد.

(٢) النضار: الذهب.

٤٥ - بينَ الضِحْكِ واللّعبِ

[السريع]

أعـطَـيتُ من أَعـشـقُـهـا وردةً
من بـعـد أن أودعـتُـهـا قـلـبي

فـجـعـلتْ تَـنـثُـر أوراقَـهـا
بـأنمُلٍ كـالـعـنَم الـرَّطْبِ(١)

لا تـسـألـوا الـعـاشقَ عن قـلـبهِ
قـد ضـاع بـين الـضـحْك والـلّـعبِ

✡✡✡✡

لم أقـطف الـوردةَ من غُـصـنـهـا
لـو لم تـكن كـالخـدّ في الإتـقـادْ

ولم تُـمـزّق هـنـدُ أوراقَـهـا
لـولا اشـتـبـاهُ بـيـنَـهـا والـفـؤادْ!..

****

---

(١) العَنَم. شجر أغصانه لينة، يُشبه به بنان المرأة.

٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون

[الرمل]

أَعلى عيني من الدمع غشاءْ
أم على الشمس حجابٌ من غَمامْ؟
غاض نور الطَّرْف أم غارت ذُكَاء
لستُ أدري غير أني في ظلام

✡✡✡✡✡

ما لنفسي لا تُبالي الطَّربا
أين ذاك الزَّهْو، أين الكَلَفُ؟
عجباً ماذا دهاها عجباً
فهْي لا تشكو ولا تَستعطف
ليتها ما عرفتْ ذاك النَّبا
فالسعيدُ العيشِ من لا يعرف
لا ابتسامُ الغيد، لا رقْصُ الطلاءْ[1]
يتَصبَّاها ولا شدْو الحمامْ
بالكرى عني وبي عنه جفاءْ
أنا وحدي... أم كذا كلُّ الأنامْ؟

✡✡✡✡✡

لا أرى لي من همومي مهرباً
فهْي في هذا وذيّاك الطريقْ
في الرُّبا فوق الرُّبا تحت الرُّبا
في الفضاء الرَّحْب، في الروض الأنيق

---

(١) يريد. الطلا: الخمرة.

في اهــتـزاز الـغُـصْن في نَـفْحِ الـصَّـبـا

في انـسـجـام الـغـيثِ في لمح الـبُـروق[1]

كـــلـــمـــا أومض بـــرقٌ أو أضـــاءْ

بِتُّ أشـكـو في الـدُّجى وقْع الـسَّـهـامْ

في ابـتـسـام الـفـجـر لـلـمـرضى شـفـاءْ

وابـتـسـامِ الـفـجْـر فـيه لي سـقـامْ

✲✲✲✲

تــعــتــريــنـي هــزَّةٌ كـالـكَـهْـربـا

كـلّـمـا حنّ مــشــوقٌ لــمــشــوقْ

علّـمتْ عـيـني الـسُّـهـاد الـكَـوكـبـا

وفــؤادي عــلّـمَ الـــبــرْقَ الخُــفُــوق

مـــا دعـــوتُ الـدَّمع إلا انـسـكَـبـا

يـــا دُمـــوعي أنتِ لي أوفى صـــديق

لم أر كـالـيـأس يـغـري بـالـبـكـاءْ

لا ولا كـالّـدمع يـشـفي المـسـتَـهـام

فـاسـتـعـيـنـوا بـالـبُـكـا يـا تُـعـسـاءْ

كـلـمـا اشـتـدّت بـكم نـارُ الـهُـيـام

✲✲✲✲

خــلـتُ قـلــبي بـــالأسى مــنــفــردِا

وأنــــا وحــــدي صــــريعُ المــــحنِ

وتــــوهـــــمتُ الأسى لن يـــــجـــــدا

سـكـنـاً في غـيـرِ قـلـبي الـمُـثْـخَن

وظـنـنـتُ الـدهـر مـهـمـا حـقَـدا

سـوف لا يـفـجـعُـني في وطـني

---

(١) الصَّبا: الريح الندية (القادمة من نجد، في الأصل).

فــإذا تــلـك المَــغــاني في شــقــاءْ
وإذا كـلُّ فـــــــؤادٍ فـي ضـــــــرامْ
ذهــــبتْ كلُّ ظــنــــوني في الـــهـــواءْ
وتـــولّت مـــثْلَ أضـــغـــاث المـــنـــامْ

✲✲✲✲✲

لا تــلُــمْــني إن أنـــا لُــمتُ الــقَـضــا
ولُمِ الـــدهـــر الـــذي أخـــنى عــلــي
لم تـــدع فيَّ الـــلـــيـــالي غَـــرضـــا
والـــضـــنى لم يُـــبْقَ مـــني غــيـــر فَيّ
لا تـــســـأْلـــني: أيُّ خـــطب عـــرضـــا
في الحـــشـــا وجـــدٌ وفي المـــقْـــوَل[1] عِي
فلَّ غَـرْبي سـالبُ الـسَّـيف المَـضـاءْ[2]
والـشـذا الـزهـرةَ والـعـقـد الـنـظـامْ
وإذا مـــا غـــلـب الـــيـــأسُ الـــرجـــاء
هـــانت الـــشـــكـوى ولم يُـجْـد الــكلامْ

✲✲✲✲✲

صـــرتُ لـكن مـثـلَـمـا شــاء الـكَـمـدْ
شـــاعــــراً من مُـــقـــلـــتي أرتجلُ
صـــدَّ مـــا كـــان بـــنـــفـــسي عـــنه صـــدْ
وتجـــافـــاني الـــكلامُ المـــرسَل
عـــقَـــد الحـــزنُ لـــســـاني فـــانـــعـــقـــدْ
أيُّ ســـيفٍ مـــا اعـــتـــراه الـــفَـــلَل؟

(١) المقْول: اللسان. والعي: انحباس الكلام.

بي هـــمـــومٌ كـــلَّـــمـــا لاح الـــضـــيـــاءْ
ضـــربتْ فـــوقَ عـــيـــوني بـــلـــثـــامْ
وشـــجـــونٌ كـــلَّـــمـــا جنّ الـــمـــســـاء
قـــطـــعتْ بـــين جُـــفـــوني والمَـــنـــام

✡✡✡✡✡

لا أرى غـــيـــر خـــيـــالاتٍ تَـــســـيـــرْ
مُـــهـــطـــعـــاتٍ[1] عن يـــســـاري والـــيـــمـــينْ
فـــوق أرضٍ من دمـــاءٍ وســـعـــيـــرْ
في فـــضـــاء من هـــمـــوم وشـــجـــونْ
عـــجـــبـــاً.. أين ابـــتـــســـامـــاتُ الـــثُّـــغـــورْ
مـــا لـــقَـــومي كـــلُّـــهـم بـــاكٍ حـــزين
كلُّ مـــا أســـمـــع نـــوحٌ وبـــكـــاءْ
كلُّ مـــا أُبـــصـــرُ «صـــرْعى ورِمـــام»
زلـــزلتْ زلـــزالَـــهـــا هـــذي الـــســـمـــاءْ
أم تُـــرى فـــضّتْ عن الـــموتى الـــرجـــام[2]

✡✡✡✡✡

وقـــع الأمـــــرُ الـــــذي لا يُـــــدفـــعُ
وجـــنى الجـــاني عـــلـــى تـــلـــك الـــربـــوعْ
واحـــتـــواهـــا نَـــهِـــمٌ لا يـــشـــبـــعُ
فـــاحـــتـــوى ســـكـــانَـــهـــا خـــوفٌ وجـــوع
فـــهْـــي إمـــا دمـــنـــةٌ أو بـــلْـــقـــعُ
وهـــمُ إمّـــا قَـــتـــيـــلٌ أو صـــريـــع

---

(١) أهطع في السير أسرع.

إن شكتْ قالت على الدُّنيا العفاءْ
أو شكَوا قالوا على الناس السلامْ
عبثَ الإنسان فيها والقَضاءْ
آه من جور الليالي والطَّغَامْ[(١)]

☼☼☼☼☼

رُبَّ طفلٍ طاهرٍ ما أثما
مات موت الآثمِ المُجْتَرِمِ[(٢)]
كان ممن يُرتجى لو سلما
للعُلا لكنّه لم يسْلمِ
كوكبٌ ما كاد يبدو في السَّما
طالعاً حتى اختفى كالحُلُمِ
غاض مثلَ الماء في الأرض العراءْ
ما عهدتُ البدر مَثواه الرُّغامْ[(٣)]
هكذا أودتْ به ريحُ الشِّتاءْ
زهرةٌ لم تَنفتح عنها الكمام[(٤)]

☼☼☼☼☼

رُبَّ شيخٍ أقعدتْه الحادثاتْ
ومشى «الأبيضُ» في لمَّته
وثناه الضعفُ عن حمْل القناةْ
وعن السابق في حلْبته[(٥)]
كان من قبلِ حُلولِ الكارثاتْ
آمناً كالنَّسْر في وُكْنَته[(٦)]

---

(١) الطَّغام: الأوغاد والأوباش.
(٢) المجترم: المرتكب الجرم.
(٣) الرُّغام: التراب.
(٤) الكمام: غطاء نَور الزهرة.
(٥) القَناة: الرمح (والجمع: القنا). ويقصد بالسابق: الحصان.

لاهياً يذكُرُ أيام الصباءْ
ولياليه وفي الثَّغر ابتسامْ
حكَمَ العاتي عليه بالفَناءْ
وأبى المقدورُ إلا أن يُضامْ

✲✲✲✲✲

وفتى كالغصن ريانٌ نَضيرْ
تحلُم الخَوْدُ به إذ تحلُمُ[1]
وتراه للهوى بين البُدورْ
فتراه فوقَهنَّ الأنجُمُ
ألْمعيُّ الذِّهنِ والقلبِ الكبيرْ
ملَكٌ في بُردتَيْه ضيْغمُ[2]
بات لا يقوى على حملِ الرداءْ
منكَباه وهو في العشرين عامْ
ما به عجزٌ ولا داء عياءْ[3]
غير أن الجوعَ قد هدّ العظامْ

✲✲✲✲✲

وصغارٍ مثلِ أفراخِ القَطا
يتضاغَونَ من الجوع الشديدْ[4]
وهَنَتْ أعصابُهُمْ لمّا سطا
والطَّوى يُوهنُ عزْمَاتِ الأُسودْ
أرأيت العقد إمّا انفرطا
هكذا دمعُهُم فَوق الخُدودْ

---

(١) الخوْد. الفتاة البكر.
(٢) الضيغم. الأسد.
(٣) الداء العياء: الصعب الذي يعيي الطبيب.
(٤) القطا (ومفرده. قطاة) الطائر. وضغا: صاح من الألم.

زَهــــقَتْ أرواحُــــهُمْ فـي شــــكل مــــاءْ
لـلأسى، لـــلـه مـــا أقــسـى الـحـــمـــامْ
يـــا رعـى الـــلـهُ نــفــوس الـشـــهـــداءْ
وســقى أجــداثَــهُمْ صــوْبُ الــغَــمــام[1]

✲✲✲✲

أيـــهـــا الجـــالُـــونَ عن ذاك الحـــمى
إنّ في ذاك الحـــمى مـــا تـــعـــلَـــمـــونْ
ضــــيم فـي أحـــــرارِه واهــــتُـــضــــمـــا
ووقـــفـــتُمْ من بـــعـــيـــدٍ تَـــنـــظـــرونْ
لا، ومن شـــاء لـــنـــا أن نَـــنـــعـــمـــا
مــا كــذا يــجــزي الأب الــبــرَّ الــبــنــون
كُــلُّــكمْ يــا قــومُ في الــبــلــوى سـواءْ
لا أرى في الـــرُّزء لُـــبـــنـــانـــاً وشـــامْ
في رُبـــا لــبــنـــانَ قــومي الأصــفــيــاءْ
وبـــأرض الـــشـــام أحـــبـــابي الـــكـــرامْ

✲✲✲✲

الـــلـــيـــالي غـــاديـــاتٌ رائـــحـــهْ
بـــالـــدَّواهي وأَراكُـمْ تــــضــــحــــكـــونْ
مــا اتــعــظْــتُم بــالــســنــينَ الــبــارحهْ
لا ولا أنـــــتـمْ غـــداً مُـــتَّـــعـــظـــونْ
يــا لَـــهــول الخــطب!... يــا لَــلــفــادحهْ
أمّـــةٌ تَـــفـــنَـى وأنـــتم تـــلْـــعـــبـــونْ

(١) صوب الغمام: مطره النازل.

فــادفــنــوا أضــغــانَــكُمْ يــا زُعَــمــاءْ

يــبــعثِ الــلــهُ من الــقــبــر الــوئِــامْ

وابــسُــطــوا أيــديــكمْ يــا أغــنــيــاءْ

أبـغضُ الـسُّحبِ إلى الـصَّـادي الجـهَامْ![1]

****

(١) الجهام. السحاب الذي لا ماء فيه.

٤٧ - (في الليل)

متى يذكرُ الوطنَ النوّمُ

[المتقارب]

جلستُ وقدْ هجع الغافلونْ
أفكّرُ في أمسنا والغَد
وكيف استَبدَّ بنا الظالمونْ
وجاروا على الشيخ والأمرد
فخلتُ اللواعِج بين الجفونْ
وأنّ جهنّم في مرقَدي
وضاقَ الفؤادُ بما يكتُمُ
فأرسلتِ العينُ مدْرَارها

☆☆☆☆

ذكرتُ الحروب وويلاتها
وما صنع السيفُ والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتها
شعوبُ لها الرتبةُ الأرفعُ
وتَخضبُ بالدمّ راياتها
وكانت تذمُّ الذي تصنَعُ
فباتتْ بما شيَّدتْ تَهْدِمُ
صروح العلومِ وأسرارها

☆☆☆☆

نـــســـــاءُ تجـــودُ بـــأولادهـــا
عــــلى المــوت، والمـــوتُ لا يـــرحـمُ
وجُـــنْـــدُ تجـــودُ بـــأكـــبـــادهـــا
عــــلى الأرض، والأرضُ لا تَـــعـــلَمُ
وتــغــدو الــطــيــورُ بــأجــســادهــا
فــإن عــطــشتْ فــالــشــرابُ الــدم
وفـي كلّ مـــنـــزلـــة مـــأتمُ
تــشُقّ بــهــا الــغــيــدُ أزرارهــا

✡✡✡✡

لـــقـــد شـــبع الـــذئبُ والأجـــدلُ
وأقـــفَـــرتِ الـــدُّورُ والأربُـعُ
فــكم يــقــتلُ الجــحــفلَ الجــفــحلُ
ويـــفـــتكُ بـــالأروعِ الأروعُ
ولن يُــرجِع الــقــتلُ من قُــتِّــلــوا
ولن يــســتــعــيــد الــذي ضــيــعــوا
فــبــئس الألى بــالــوغَى عــلَّــمُــوا
وبــئس الأُلَى أجَّــجُــوا نــارهــا

✡✡✡✡

أمنْ أجلِ أن يــســلَمَ الــواحــدُ
تُــطَلُّ الــدمــاءُ وتــفــنَى الألــوفْ؟
ويــــزرعُ أولادَه الـــوالـــدُ
لــتــحــصــدُهم شــفــراتُ الــسّــيــوفْ؟
أمــورٌ يــحــارُ بــهــا الــنــاقــدُ
وتُــدمي فــؤاد الــلــبــيبِ الحــصــيفْ
فــيــا لــيت شــعــري مــتى يــفــهمُ
مــعــاني الحــيــاة وأســرارهــا

✡✡✡✡

وحـــوّلتُ طـــرفي إلى الـــمـــشـــرقِ
فـــلم أر غـــيـــر جـــبـــالِ الـــغـــيـــومْ
تحـــومُ عـــلى بـــدرِه الـــمُـــشـــرقِ
كـمـا اجـتـمـعتْ حـول نـفـسي الـغُـمُـوم
فـــأســـنـــدتُ رأسي إلى مـــرفَـــقي
وقـــلتُ، وقـــد غَـــلَـــبـــتْـــنِي الـــهُـــمُـــوم
بـــــربِّك، أيـــــتـــــهـــــا الأنجمُ
مـــتى تـــضـــعُ الحـــربُ أوزارهـــا؟

✡✡✡✡✡

كـــمـــا يُـــقـــتلُ الـــطـــيـــرُ في الجـــنّـــةِ
ويُـــقْـــتَـــنصُ الـــظَّـــبيُ في الـــسَّـــبـــسبِ[1]
كـــذلك يُـــجـــنَـــى عـــلـــى أمَّـــتي
بـــلا ســـــبـــبٍ وبـــلا مُـــوجِـــب
فـــحـــتّـــام تُـــؤخـــذُ بـــالـــقـــوةِ
ويُـــقـــتصُّ مـــنـــهـــا، ولم تُـــذنب؟
وكم تَـــســـتـــكـــينُ وتـــســـتـــســـلِمُ
وقـــد بـــلـــغ الـــسَّـــيلُ زُنَّـــارهـــا

✡✡✡✡✡

وســـيـــقتْ إلى الـــنِّـــطعِ ســـوقَ الـــغـــنمْ
مـــغـــاويـــرُهـــا ورجـــالُ الأدبْ[2]
وكلُّ امـــرئٍ لـــم يمت بـــالخَـــذمْ
فـــقـــد قـــتـــلـــوه بـــســـيـــف الـــسَّـــغَب[3]

---

(١) السبسب: المفازة الواسعة الخالية.

(٢) النطع: بساط من جلد، تقطع فوقه الرؤوس.

(٣) الخذم: سرعة القطع، والمِخذم: السيف القاطع. السغَب: الجوع.

فـمـا حـرّك الـضـيمُ فـيـهـا الـشَّـمَمْ
ولا رؤيـــةُ الـــدَّمِ فـــيـــهـــا الـــغـضبْ
تـــبـــدلّـتِ الـــنـــاسُ والأنجـمُ
ولـــمّـــا تُـــبـــدّلُ أطـــوارهـــا

☼☼☼☼

أرى الـــلـــيثَ يـــدفـعُ عن غَـــيْـضـــتهْ
بـــأنـــيـــابه وبـــأظـــفـــارهِ
ويـــجـــتـــمعُ الـــنـــملُ في قـــريـــتهْ
إذا خَـــشـي الـــغـــدر من جـــارهِ
ويـــخـــشى الـــهـــزارُ عـــلـى وكْـــنـــتهْ
فـــيـــدفع عـــنـــهـــا بمـــنـــقـــارهِ(١)
فلا الـــكـــاســـراتُ ولا الـــضـــيـــغمُ
ولا الـــشـــاةُ تـــمـــدح جـــزّارهـــا

☼☼☼☼

عـــجـــبتُ من الـــضَّـــاحك اللاعبِ
وأهـــلُـــوه بـــين الـــقَـــنـــا والـــسُّـــيوفْ
يـــبـــيُـــتـــون في وجَلٍ نـــاصبِ
فـإن نـصـبـوا أُلجِـئـوا لـلـكـهوفْ
ومـــمنْ يُـــصـــفِّقُ لـــلـــضَّـــاربِ
وأحـــبـــابُه يـــجـــرعـــونَ الحُـــتُـــوفْ
مـــتـى يـــذكـــرُ الـــوطن الـــنُّـــوَّمُ
كـــمـــا تَـــذكُـــرُ الـــطَّـــيـــرُ أوكـــارهـــا؟

****

(١) الوكْن: عش الطائر أو مأواه في جبل أو جدار.

٤٨ - سقوط أرضروم[١]

[البسيط]

أعــدْ حــديــثَك عــنــدي أيــهــا الــرجلُ
وقلْ كــمــا قــالتِ الأنــبــاءُ والــرُّسُل

قــد هــاج مــا نــقل الــراوون بي طَــربــا
مــا أجــملَ الــرُّسْل في عــيــني ومــا نَــقَــلوا

فــاجــمعْ روايــاتــهمْ واملأ بــهــا أُذُني
حــتى تــراني كــأني شــاربٌ ثَــمل

دعْ زُخْــرُفَ الــقــولِ فــيــمــا أنت نــاقــلُه
إنّ المــلــيــحــةَ لا يُــزري بــهــا الــعــطَل[٢]

فــكلُّ ســمْعٍ إذا قــلــت «الــسُّلاف» فمٌ
وكل قــولٍ، إلــيــهم يــنــتــهي، عــسَل

لا تَــســقــني الــراح إلا عــنــد ذكــرِهِمُ
أو ذكــرِ قــائــدهم أو ذكْــرِ مــا فَــعــلــوا

همُ الــمــســامــيحُ يُــحــيي الأرض جــودُهُمُ
إذا تــنــكّب عــنــهــا الــعــارضُ الــهــطل[٣]

همُ الــمــصــابيحُ تــســتــهدي الــعــيونُ بــهــا
إذا اكــفــهــرّ الــدُّجى واحــتــارتِ الــمُــقَل

---

(١) «إيالة» شرقي تركية، احتلها الروس لثالث مرة سنة ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، وعنها كتب أبو ماضي نصه الشعري.

(٢) العَطَل: المرأة الخالية من الحلي.

(٣) العارض: السحاب يعترض في الأفق.

هُمُ الغزاةُ بنو الصيد الغُزاة، بهمْ
وبطْشهمْ بالأعادي، يُضربُ المثَل

قومُ يبيتُ الضعيفُ المستجيرُ بهم
من حوله الجندُ والعسّالةُ الذُّبُل[1]

فما يُلمّ بمن صافاهُمُ ألَمُ
ولا يدومُ لمن عاداهُمُ أمَل

✡✡✡✡✡

أيطلبُ التُّركُ أن تَعلو أهلّتُهم
(٢)

«ولِلغَرَنْدُقِ» رأيٌ مثلُ صارمه
يزِلّ عن صفْحتيه الحادثُ الجلَل[3]

المُقْبِلُ الصَّدرِ، والأبطالُ ناكصةٌ
تحت العجاجة لا يبدو لها قُبُل[4]

والباسمُ الثَّغرِ، والأشلاءُ طائرةٌ
عن جانبيه، وحرّ الطَّعنِ متَّصل

سعْدُ السُّعود على السوَّال طالعُه
لكنه في ميادينِ الوغى زُحَل[5]

في كل سيفٍ سوى بتّارِه فَلَلٌ
وكلّ رأيٍ سوى آرائه زَلَلُ!

✡✡✡✡✡

(١) عسَلَ الرمحُ: اهتزَّ. والرمح الذابل: الدقيق.
(٢) عجُز البيت محذوف في سائر المصادر بين أيدينا ويبدو أن فيه مواجهة بين الهلال والصليب وهي مواجهة كان عرض لها أبو ماضي في قصيدة أخرى.
(٣) Qrand-DUC، أمير الأسرة الحاكمة في روسية
(٤) العجاج والعجاجة: الغبار والدّخان أيضاً والقبُل: عكس الدُّبُر.
(٥) زُحَل: الكوكب المعروف، ويفيد اسمه: الزَّل والتنحي، ومن هذا المعنى يفيد أبو ماضي.

يـا ابن المـلـوك الأُلى قـد شـاد واحـدُهُمْ
مـــا لم تُـــشَـــيِّـــدْهُ أملاكٌ ولا دُوَلُ

وقـائـد الجـيشِ مـا لـلـريحِ مُـنـفـرجٌ
فـيه، ولـكن لـهـا من حـولـهـا زَجَلُ[1]

تـوهّمَ الـتُّـركُ لـمّـا حـان حـيْـنُـهُمُ
أنَّ الألـى وَتَـروا آبـاءَهم غَـفَـلـوا

حـتى طـلـعت من «الـقـوقـاس» في لَـجِبٍ
تـضـيق عـنه فِـجـاجُ الأرض والـسُّـبُلُ

فـأدركـوا أنـهم نـامـوا عـلـى غَـررٍ
وأنك الـبـدْرُ في الأفلاك تَـنـتـقل[2]

يـا يـوم صـبَّـحـتَـهُمُ والـنـقْعُ مـعـتـكرٌ
كـأنه الـلـيلُ فـوق الأرض مُـنـسـدل

لـيلٌ يـسـيـر عـلى ضـوء الـسـيـوف به
ويـهـتـدي بـالـصـلـيل الـفـارسُ الـبطَل

بـكل أروعَ مـا في قـلْـبِه خَـوَرٌ
عـنـد الـصـدام، ولا في زَنْـده شـلَل

وكلِّ مـنـجـردٍ في سـرْجه أسـدٌ
في كـفِّه خَـذِم، في حـده الأجل[3]

وكلِّ راعـفـة بـالمـوتِ هـادرةٍ
كـأنـهـا الـشـاعـرُ الـمـطـبوعُ يـرتجل

سـوداءُ تـقـذف من فـوهـاتـهـا حـمـمـا
هـي الـصـواعقُ إلا أنـهـا شُـعَل

(١) الزَّجل: الصوت.
(٢) الغرر: الخطر.
(٣) الخذِم: السيف الحاد (الخُذم: الحدّة).

لا تحفظُ الدرعُ منها جسم لابسها

ولا يُنجّي الحصونَ الصخرُ والرَّمَل

فالبِيضُ تأخذُ منهمْ كيفما انفتلت

والذُّعر يمعن فيهم كيفَما انفتَلوا

وكلما وصلُوا ما انبتّ باغَتَهمْ

ليثٌ يُقَطِّع بالفَصّال ما وصلوا

فأسلَموا «أرضروما» لا طواعيةً

لو كان في وسْعهمْ إمساكَها بخلوا

كم حوّطوها وكم شادوا الحصونَ بها

حتى طلعت فلا حصْنٌ ولا رجُل

وفرَّ قائدُهمْ لمّا عرضت له

كما يفرّ أمام القشْعم الحجَل[1]

ومن يشُكّ بأن الوعْلَ منهزِمٌ

إذا التقى الأسدُ الضرْغامُ والوعل؟

لم يقصُرِ الرُّمحُ عن إدراك مهجته

لكنْ حمى صدره وقْعَ الظُّبَا، الكَفَل[2]

تعلّم الركض حتى ليس تلحقُه

هوجُ الرّياح ولا خيْلٌ ولا إبِل

يخال من رُعْبه الأطواد راكضةً

معْه وما ركضتْ قدّامَه القُلَل

ويحسبُ الأرض قد مادتْ مناكبُها

كذاك يمسخ عينَ الخائف الوجَل

---

(١) القشعم من النسور: المسنّ.

وبـات «أنـورُ» في «يـلـديـزَ» مـخـتـبـئًـا
لأمّه وأبـيـه الـثُّـكْلُ والـهـبَل[1]
يـطـيـرُ، إن صـرّت الأبـواب، طـائـرُهُ
ويـصْـرُخُ «الـغـوثَ» إمّـا وسْـوس الـقُـفُل
فـي جـفـنـه أرَقٌ، فـي نـفـسـه فَـرَقٌ
فـي جـسـمـه سـقَـم، فـي عـقـلـه دخَل[2]
في وجـهه صُـفـرةٌ حـار الـطـبـيبُ بـهـا
مـا يـصـنَـع الـطِّـبُ فـيـمن داؤه الخَـبَل؟
لم يـبقَ فـيه دمٌ كـيـمـا يـجـمّـعَه
في وجـهه، عـنـد ذكـر الـخـيـبـة، الخَـجَل
يـطـوف في الـقـصْـرِ لا يـلـوي عـلـى أحـدٍ
كـأنه نـاسكٌ في الـقـفـر مـعـتـزِل
لا بـهـجـةُ الـمُـلْك تُـنـسـيه هـواجِـسَه
ولا تـروّح عـنـه الأعـينُ الـنُجُل
يـزيـد وحـشـتَه إعـراضُ عُـوّده
ويـنـكـأ الجـرح في أحـشـائه الـعـذَل
إذا تـمـثّل جـيش الـتُّـرك مـنـدحـرًا
ضـاقت به، مـثـلـمـا ضـاقت بـذا، الحـيَل

✡✡✡✡✡

يـا كـاشف الـضُّـرّ عمّن طـالَ صـبـرهمُ
عـلـى الـنـوائب، لا مـرّتْ بك الـعـلَل
أطـلـقـتَـهمْ من قـيـود الـظـلـم فـانـطـلـقـوا
وكـلُّـهـمْ أَلْـسُنٌ تـدعـو وتَـبـتـهل

(١) « أنور باشا»: قائد تركي وزعيم سياسي، كانت سلطته هي العليا ويلدز. قصر السلطان « عبد الحميد الثاني» في تركية، خلال الحرب العالمية الأولى، وقت سقوط أرضروم في أيدي الروس. والهَبَل: الهلاك.
(٢) الدَخَل: الفساد في العقل أو الجسم.

لو كان ينشرُ ميْتًا غيرُ بارئه
نشرت، بعد الرَّدى، أرواح من قُتلوا
بغى عليهمْ عُلوجُ التُّرك بغيهمُ
لم يشْحذوا للوغى سيفًا ولا صقَلوا
خانوهمُ وأذاعوا أنهم نفَرُ
خانوا البلاد بما قالوا وما عملوا
يا لَلطَّغام! ويا بُهتانَ ما زعموا
متى أساء إلى ذي المخْلب الحمَل؟
هبُوا الرجالَ لأمرٍ أحدَثوا حدثًا
فما الذي جنَتِ العذراءُ والطفلُ؟
أجدُكمْ، كلَّما جوٌّ خَلا، «أسدُ»
وجدُكمْ، كلَّما شبّت وغى، «ثُعَل»؟[1]
قد جاء من يمنع الضعفى ويُرغمُكُم
أن تحملوا عنهمُ النِّير الذي حملوا
أمَّنت «أرمينيا» مما تُحاذره
فلن تَعيثَ بها الأوغادُ والسَّفلُ

✡✡✡✡

ظنوك في شُغُلٍ حتى دهمتَهمُ
فأصبحوا ولهمْ عن ظنّهم شُغُل
مزّقت جمعهُمُ تمزيقَ مقتدرٍ
على المهنَّد، بعد الله، يتَّكل
فهم شراذمُ حيْرى لا نظامَ لها
كأنهمْ نَورُ الآفاقِ أو همَل[2]

(١) ثعالة وثُعل: أنثى الثعالب.
(٢) النور: الأوباش والهمج. والهَمَل: المتروكون سُدى.

ألبستهمْ ثوب عارٍ لا تُطَهِّرُهُ
نارُ الجحيم ولو في حرّها اغتسلوا
«جاويدُ» فوق فراشِ الذُّلّ مضطجعٌ
و «طلعتُ» برداء الخوف مُشْتمل[1]
أتستقرُّ جنُوبُ في مضاجعها
وفي مضاجعها الأرزاءُ والغيَل؟
وتعرفُ الأمنَ أرواحُ تروّعُها
ثلاثةٌ: أنت والنِّيرانُ والأَسَل؟
لو لم تقاتلْهُمُ بالجيش قاتَلَهمْ
جيشٌ بغير سلاحٍ إسمه الوَهَل[2]
أجريت خوف المنايا في عُروقهمُ
فلن يعيش لهم نسْلٌ إذا نَسلُوا
قد مات كهلهُمُ من قبلِ ميتته
وشاخ ناشئهُمْ من قبلِ يكْتَهل
وقد ظفرت بهم والرأسُ مشتعلٌ
كما ظفرت بهم والعمرُ مُقتَبِل
فتْحُ تهلَّلتِ الدنيا به فَرحا
فكل ربْعٍ، خلا «أستانةً» جذل[3]
الشعبُ مبتهجٌ، والعرشُ مغتبِطٌ
وروحُ جدِّك في الفردوس تَحتفل!..

****

(١) (جاويد) و (طلعت) من رجال الترك، ومن رجال حزب تركية الفتاة. رأس الثاني الوزارة التركية ١٩١٧ - ١٩١٨
(٢) الوهَل. الخوف والفزع.
(٣) الأستانة: دار الخلافة (استانبول).

٤٩ - سبيل التوحيد

[البسيط]

مـــا كـــان أحـــوج ســـوريّـــا إلى بـــطَلٍ
يـــردُّ بـــالـــســـيف عـــنـــهـــا كلَّ مُـــفْـــتـــرِسِ

ولا يـــزال بـــهـــا والـــسّـــيفُ في يـــده
حـــتى يـــطـــهِّـــرهـــا من كلِّ ذي دَنَس

ويـــجـــعل الحُبَّ دِين الـــقـــاطـــنـــينَ بـــهـــا
دينٌ يـــقـــرب بـــين «الـــبـــيـــتش» والـــقُـــدُس

حـــتى أرى ضـــارب الـــنـــاقـــوس يُـــطـــربُهُ
صـــوتُ الأذَينِ[1]، وهـــذا رنّـــةُ الجـــرس

****

(١) الأذين والأذان واحد.

٥٠ - ١٩١٦

[الكامل]

كم، قَبْلَ هذا الجيلِ، ولّى جيلُ
هيهات، ليس إلى البقاء سبيلُ

ضحك الشبابُ من الكُهول فأغرقوا
واستيقظوا، فإذا الشبابُ كُهول

نأتي ونمضي والزمانُ مخلَّدُ
الصبحُ صبحٌ والأصيلُ أصيل

حر وقُرٌّ يُبليان جُسومنا
ليت الزمانَ، كما نَحولُ، يحول[1]

إنّ التحوّلَ في الجماد تقلّصٌ
في الحي موتٌ؛ في النبات ذبُول

قفْ بالمقابِر صامتًا مُتأمّلاً
كم غاب فيها صامتٌ وسؤول

وسلِ الكواكب كم رأتْ من قَبْلنا
أمما، وكم شهد النجوم قَبِيل[2]

تتبدَّلُ الدنيا تبدُّلَ أهلها
واللهُ ليس لأمْرهِ تَبديل

✡✡✡✡

يا طالعا لفت العيونَ طلوعُهُ
بعد الطُّلوعِ، وإن جهلت، أُفولُ

---

(١) حال - يحول: انقلب عن حاله الأولى.

عـطـفًـا ورِفـقًـا بـالـقـلـوب، فـإنمـا
حـقْـدُ الـقـلـوبِ عـلـى أخـيكَ طَـويل
أُنــظـرْ! فــوجْهُ الأرضِ أَغــبــرُ شــاحبٌ
واســمعْ! فــأصــواتُ الــريــاح عــويل
ومِن الحــديــد صــواعقٌ، ومن الــعــجــا
جِ غــمــائمٌ، ومن الــدمــاء سُــيــول
مـا كـنتُ أعـلمُ قَـبـلَـمـا حـمس الـوغى
أنّ الــضــواري والأنــام شُــكــول[1]
يـــا أرض أوربَّـــا ويـــا أبـــنـــاءَهـــا
في عُـنْقِ من هـذا الـدَّمُ الـمـطّـلُـول؟
في كل يــومٍ مــنــكمُ أو عــنــكمُ
نــبــأ تجيء به الــرُّواةُ مــهُــول
مــزّقــتُم أقــســامــكم وعــهــودَكم
ولــقــد تــكــونُ كــأنــهــا الــتــنــزيل
وبــعــثــتمُ الأطــمــاعَ فــهْي جــحــافلٌ
من خــلــفــهنّ جــحــافلٌ وخُــيــول
ونــشــرتُم الأحــقــاد فــهْي مــدافِعٌ
وقــذائفٌ وأســنّــةٌ ونُــصــول
لــو لم تــكن أضــغــانُــكمْ أســيــافَــكم
أمــسى بــهــا، ممــا تُــســامُ، فُــلــول
عــلّــمــتُمُ «عــزْريلَ» في هــذي الــوغَى
مــا كــان يــجــهل عــلــمه «عــزريل»
إن كــان هــذا مــا يُــســمّى عــنــدكمْ
عـلْـمـا، فـأين الجـهْلُ والـتَّـضْـلـيل

---

(١) حمِس الوغى. اشتدّ القتال.

إن كـــان هــذا مـــا يـــســـمى عــنــدكمْ

ديــنًـــا فـــأين الــكُــفْــرُ والــتَّــعــطــيل

عـــودًا إلـى عـــصْـــر الـــبـــداوةِ، إنه

عــصــرٌ، جـــمـــيلٌ أن يُـــقـــال جـــمـــيل

«قــابــيلٌ»، يــا جــدَّ الــورى، نم هــانــئًـا

كلّ امــــرئٍ فـي ثــــوبِه «قـــــابــــيل»

لا تــفــخــروا بــعــقــولِــكمْ ونِــتــاجِــهــا

كــانت لــكمْ، قــبلَ الــقــتــال، عُــقــول

لا أنـــــتمُ أنـــــتمْ ولا أربــــاضُــــكُمْ

تــلك الــتي فــيــهــا الــهــنــاء يــقــيل[1]

لا تــطــلــبُــوا بــالمــرهــفــاتِ ذُحــولَــكم

فـي نَـــيْـــلــهـــا بـــالمــرهــفــاتِ ذُحــول[2]

إن الأنـــامَ عـــلـى اخـــتلاف لُـــغـــاتــهمْ

وصـــفـــاتــهمْ، لـــو تـــذكُـــرون، قَـــبِـيل

يـــا عـــالـــمـــنـــا! هل فـــيك ثَـــمّـــةَ مـــطْـــمَعٌ

بـــالـــسَّـــلم أم هـــذا الـــشَّـــقـــاءُ يـــطـــول

مـــرّت عـــلـــيـــهـــا حـــجّـــتـــانِ ولـم تـــزلْ

تــتــلــو الــفــصــولَ مــشــاهــدٌ وفُــصــول

لـم يــعــشقِ الــنــاسُ الــفــنــاءَ وإنمـــا

فــوقَ الــبــصــائــر والــعُــقــول سُــدول

أنـــا إن بـــســـمتُ، وقـــد رأيــتك مـــقـــبلاً

فـــكـــمـــا يـــهشّ لـــعـــائــديه عـــلـــيل

وإذا ســكــنتُ إلى الــهــمــوم فــمــثــلَــمـــا

رضـي الــقــيــود المــوثَقُ الـــمـــكْـــبـــول

---

(١) الرّبَض: ما يكون من حول المدن. وقال يقيل: من القيلولة.

(٢) الذُحْل: الحقد والعداوة.

لا يــســتــوي الــرجُلانِ، هــذا قــلــبُه

خــالٍ، وهــذا قــلــبُه (مَــجــبُــول)[1]

لا يــخــدعنَّ الــعــارفــون نــفــوســهم

إن الــمُــخــادِعَ نــفــسه لَــجــهــول

في الــشــرق قــومٌ لم يــسُــلُّوا صــارِمــا

والــســيفُ فــوق رؤوســهم مــسْــلــول

جــهِــلــوا ولم تجــهلْ نــفــوسُــهمُ الأسى

أشــقى الأنــامِ الــعــارفُ الــمــجْــهــول[2]

أكــبــادُهم مــقــروحــةٌ كــجُــفــونــهمْ

وزفــيــرُهمْ بــأنــيــنــهِمْ مــوْصــول

أمــا الــرجــاءُ، وطــالمــا عــاشــوا به

فــالــدمعُ يــشــهــد أنّه مــقــتــول

والــيــأسُ مــوتٌ غــيــر أن صــريــعَه

يــبــقى، وأمــا نــفــسُه فــتَــزول

ربــاه، قــد بــلغ الــشَّــقــاءُ أشُــدَّهُ

رُحْــمــاك إن الــراحــمــينَ قــلــيل

☆☆☆☆☆

في الــله والــوطنِ الــعــزيــز عــصــابــةٌ

نُــكــبــوا، فــذا عــانٍ وذاك قــتــيل

لــو لم يمتْ شــمَمُ الــنــفــوس بمــوتــهمْ

ثــار الــشــآمُ، لمــوتــهم، والــنــيل

يــا نــازحــينَ عن الــشَّــآم تــذكّــروا

من في الــشَّــآم ومــا يــلــيه نُــزول

---

(١) اضطراب في الأصل، وأقرب الكلمات إلى المعنى الذي يريده الشاعر كلمة (مجبول) بالهموم.

هَمُّ الممالك في الجِهاد، وهمُّكم
قالٌ تسير به الطُّروس وقيل
هبُّوا اعملوا لبلادكم ولنَسْلكمْ
بئس الحياةُ سكينةٌ وخُمُول
لا تَقْبضوا الأيدي فهذا يومُكم
شَرُّ الورى جعْدُ البنانِ بخيل[1]
وعد الآلهُ المحسنينَ ببرّه
وكما علمتمْ، وعْدُه تَنْويل

****

(١) البنان الجعد. كناية عن البخل.

٥١ - ما للكواكب

[الكامل]

شــوقٌ يــروحُ مـع الــزمــانِ ويــغــتــدي
والـــشَّـــوقُ، إنْ جــدَّدتَهُ يــتــجــدَّد

دعْ عـنك نُـصـحي بـالـتـبلّـد سـاعـةً
يـا صــاحِ، قـد ذهب الأسـى بـتَـبـلّـدي

مـــا زاد في أسَف الحــزينِ وشــجْـوهِ
شيءٌ كـقـولك لـلــحــزين: تَـجـلّـد!

مـــا زلتُ أعــصــيـه إلى أن هــاجـني
ذكْـرُ الحـمى فـعـصـيتُ كلَّ مُـفَـنِّـد[1]

وأطــار عن جـفـني الـكَـرى وأطــارَني
عن مـرْقَـدي مـشْيُ الـهـمـومِ بمـرْقَـدي

في جـــنح لـــيلٍ مـــثْلِ حــظّي حـــالكٍ
كـالـبحـر سـاجٍ... مـقـفرٍ كـالـفَدْفَد[2]

أقـبـلتُ أنـظـرُ في الـنُّجـوم مـصـعِّداً
عـــيــني بــين مـــصــوبٍ ومُـــصــعــد

أو واجفٍ أو راجفٍ مـــتـــرجـــرجٍ
أو نــــافــــرٍ أو حـــائـــرٍ مـــتــردّد

يمـــشـــين في هـــذا الــفــضــاء وفـوقَه
وكـــأنمـــا يمـــشـــين فـــوق الأكْـــبُـــد

---

(١) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي.

(٢) سجا: امتدّ وسكن. والفدفد: المفازة الواسعة الخالية

والبدرُ منبعثُ الشُّعاعِ لطيفُه
صافٍ كذهنِ الشاعرِ المتوقِّد
ما زال ينفُذُ في الدُّجى حتى استوى
فيه، فيا لك أبيضا في أسود
والشُّهْب تلمع في الرَّقيعِ كأنها
أحلامُ أرواح الصغارِ الهُجَّد
ينظُرْنَ عن كثَبٍ إليه خلْسةً
نظر الملاح إلى الغَرير الأمْرد[1]
فعجبتُ ممّن نام ملء جفونه
والكونُ يشهدُ مثلَ هذا المشْهد
ورأيتُني فوق الغمام مُحلّقًا
في الأفْق ما بين السُّها والفَرقَد
فسمعتُ صوتًا من بعيد قائلاً
يا أيُّها الساري مكانَك تُحمد
ما دمت في الدنيا فلا تزهدْ بها
فأخو الزَّهَادة ميِّتٌ لم يُلْحد
لا تَقْنَطَنّ من النجاح لعثْرةٍ
ما لا يُنالُ اليوم يُدركُ في غد
كم آكلٍ ثمرًا سقاهُ غيرُه
دمه، وكم من زارعٍ لم يحْصُد
لو كان يحصُدُ زرعَه كلُّ امرئٍ
لم تُخلْقِ الدنيا ولم تَتَجدّد
بالذكْر يحيا المرءُ بعد مماته
فانهضْ إلى الذِّكْر الجميلِ وخلِّد

(١) الغرير والغِر. الشاب الذي لا تجربة له.

فلئن ولدت ومُتّ غير مخلَّدٍ
أثرًا فأنت كأنما لم تولَد
حتّام في لا شيء يقتتل الورى
إن الحمامَ على الجميع بمرْصد
طاشتْ حُلوم المالكين، فذاهلٌ
لا يستفيقُ، وحائرٌ لا يهتدي
وأفقتُ، إذ قطع الكلام مكلِّمي
فنظرتُني فإذا أنا لم أصْعد

✡✡✡✡

ما للكواكبِ لا تنام ولا تَنِي
قد طال سُهدك يا كواكبُ فارقُدي
كم تنظرين إلى الثَّرى من حالقٍ
ما في الثرى لأخي الأسى من مُسْعد
أو ما تريْني عندما اشتدّ الدُّجى
واشتدّ دائي نام عني عُوَّدي
حتى لقد كاد القَريضُ يعُقُّني
ويصونُ عنِّي ماءَه وأنا الصَّدِي
أمسي أهُمُّ به ويظلَعُ خاطري
فكأنما أنا ماتح من جلْمد[1]
لا تسألِيني لِمْ سهدْتُ فإنني
لو كان في وُسْعي الكرى لمْ أسْهد
صرفتْ يدُ البلوى يدي عن أمرها
ما خلتُ أمري قطُّ يخرُج من يدي
في أضلعي نارٌ أذابت أضلُعي
ومشت إلى كَبِدي ولمّا تَخمُد

(١) ظلع. عرج وغمز في مشيته ومتح الدلو: جذبه إليه ليستقي منه

أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخافُ أن أشكو فيشمت حُسَّدي

✲✲✲✲✲

ومليحة لا هندُ من أسمائها
كلا، وليست كالحسان الخُرَّد[1]
نشَزَ الجواري، والإماءُ تمرّدتْ
ونَتْ فلم تنشُزْ ولم تتمرّد
في النفس منها ما بها من دهرها
أزكى السلامِ عليك أرض الموعد
يا ليت شعري كم أقول لها: انهضي
وتقول أحداثُ الزَّمانِ لها: اقعُدي
ليس الذي لاقتْه هيْنًا إنما
حمْلُ الأذى هيْنٌ على المتعود!

✱✱✱✱

(١) الخريدة: البكر.

٥٢ - الحاجة إلى الخَرَس

[البسيط]

مـــا كـــان أحْــوجــنـي يــومـــا إلى أُذُنٍ
صــمّــاءَ إلا عن الــمــحْــبــوب ذي الأُنسِ
كي لا يُــصــدِّعَ رأسي صــوتُ نــائــحــة
ولا تُــقــطِّع قــلــبي أنّــةُ الــتَّــعس
ولا يمـــرر نـــفـــسي الأدعـــيـــاءُ ولا
ذمّ الأفـــاضلِ من ذي خـــسّـــة شـــرِسِ
أقــولُ هــذا عــسى حُــرٌ يــقــول مــعي:
مـا كـان أحْـوج بـعضِ الـنـاس لـلـخَرس!

****

٥٣ - البغضاء[١]

(معـرّبة)

[البسيط]

لا نُـبـغضُ «الـروس» لـكنْ لا نُـحـبُّـهمُ
فـحـربُـنـا حـربُ أقـرانٍ لأقـرانِ

ولا «الـفرَنـسـيس» مـا همْ بـالـعُداةِ لـنـا
لـكـنّـهمْ غـيـرُ أصـحـابٍ وإخـوان

إنـا نـبـادلُـهمْ والـنـقْعُ مُـنـسـدلُ
طـعـنًـا بـطـعنٍ ونـيـرانًـا بـنـيـران[٢]

وذي بـيـارقُـنـا في «الـفُـوج» خـافـقـةٌ
وجـيـشُـنـا ظـافـرٌ في كلّ مـيـدان[٣]

قـلـوبُـنـا لـيس فـيـهـا غـيـرُ مـوْجِـدَةٍ
نو الـشـيب فـيـهـا وفَـحْم الـشّـعر سِيَّان

نـهـوى ونـحن جـمـوعٌ لا عـداد لـهـا
كـواحـدٍ وكـذا نـقْـلي[٤] كـإنـسـان

عـدوّنـا واحـدٌ، الـكلُّ يَـعـرفُه
ذاكَ الـحـسـودُ الـخـبـيثُ الـمـاكـرُ الـشَّـاني

---

(١) وردت الملاحظة التالية في الديوان الأصل: «هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الألماني «ارنست ليسوار» في غضون الحرب، فكان لها في ألمانيا دوي ورنين. وقد نال ناظمها من إمبراطوره وساماً عالمياً من نوع «الصليب الحديدي» دلالة على الاستحسان والرضا ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت إلى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة «مرآة الغرب» اليومية على صاحب الديوان أن ينقلها إلى عالم الشعر العربي ففعل» أحسبه يُسقطها على (الأتراك العثمانيين)!

(٢) النقع: غبار المعارك.

(٣) الفُوج: Vosges جبال في شرقي فرنسة، تمتدّ إلى ١٢٠ كم، كانت ساحة لمعارك كبيرة في الحرب العالمية الأولى.

(٤) قلاه - يقليه: أبغضه (والاسم: القِلى).

تــردُّنــا عــنـه أمــواجٌ يــلــوذُ بــهــا
سـميـكـةٌ كـالـنَّجـيع[1] الـيـابسِ الـقـاني
أرى بـه، وهـو فـي الـطـوفـان مـخـتـبئٌ،
طـوفـانَ غـيظ تـوارى خـلف طـوفـان
قـد أصـبح المـاءُ يـحـمـيه ويـمـنـعُه
الــويلُ لــلــمــاء مــنّــا، إنه جــانِ
قـفـوا أمـامَ الـقـضـاء الـعـدْلِ كُـلُّـكُمُ
ولــيـحـلـفَنّ يـمـيـنًـا كلُّ ألمـاني
غـلـيـظـةً كـالحـديـد الـصُّـلب، صـارمـةً
كـالمـوت، تـبـقـى لأدهـارٍ وأزمـان
أن نُـبـغض الـبُـغْض لا تَـبـلى مـرائـرُه
ولا يُـقـاسُ ولا يُـحـصـى بمـيـزان
وأن نـــردّدَه فـي كلّ نـــاحـــيـــة
وأن نــكــرّرَهُ تــكــريــر ألحــان
وأن نُــعــلّم مــنّــا كلَّ ذي كــبــدٍ
أن يُـبـغض الـقـوم في ســر وإعلان
بـغـضـا إلى نَـسْـلـنـا بـالإرث مـنـتـقلاً
إلى بــنــيــهمْ ومِن جِــيلٍ إلى ثــانِ
عــدوُّنــا واحــدٌ، الــكلّ يــعــرفُه
ذاك الحـسـودُ الخـبـيثُ المـاكـرُ الـشّـاني[2]
إنــكــلــتــرا
ألا اسْـمـعـوا أيـهـا الألمـانُ واعـتـبـروا
فــأنــتمُ أهلُ ألــبــابٍ وأذهــانِ
في مــحْــفلٍ جـلس الـقُـوّادُ كـلُّـهُمُ
كـمُـحْـكَمِ الـعـقـدِ أو مـرْصـوصِ بُـنـيـان

---

(١) النجيع: دم الجوف.

وقـــام واحـــدُهُمْ والـــكـــأسُ في يـــده
كـــأنـــهـــا قـــبسٌ أو عـــيْنُ غَـــضْـــبـــانِ
فـــقـــال: يـــا قـــومُ «هـــذا ســـرُّ يـــومـــكُمُ»
ألا اشْـــربـــوا إن ســـرَّ الـــيـــومِ ســـرّانِ
مـــقـــالـــةٌ فـــعـــلتْ في الجـــمْع فـــعـــلـــتَـــهـــا
فـــأصـــبـــحـــوا وكـــأنَّ الـــواحـــد اثـــنـــان
مـــا ضـــرْبـــةُ الـــسَّـــيف من ذي مـــرّةٍ بـــطلٍ
ومـــســـتـــطـــيـــرُ الـــلَّـــظى من قـــلبِ صـــوّان[1]
ولا الـــســـفـــيـــنـــةُ في الـــتـــيّـــار جـــاريـــةً
ولا الـــشـــهـــابُ هـــوى في إثْـــر شـــيـــطـــان
أمـــضـِـي وأنـــفـــذُ مـــنـــهـــا وهي خـــارجـــةٌ
من فـــيه كـــالـــسَّـــهم من أحـــشـــاء مـــرْنـــان[2]
فـــضـــاءَ من كـــان، في الـــكـأس الـــتي ارتـــفـعت
ومن يـــريـــد ويـــعـــني الـــقـــائلُ الـــعـــاني؟[3]
إنـــكـــلـــتـــرا
بـــني بـــريـــطـــانـــيـــا نـــادوا جـــمـــوعـــكُمُ
واســـتـــصـــرخـــوا الخَـــلْـــقَ مِن إنسٍ ومن جـان
وابـــنـــوا المـــعـــاقلَ والأســـوار من ذهبٍ
واســـتـــأجـــروا الجُـــنـــدَ من بـــيضٍ وعـــبـــدان
مُـــرُوا أســـاطـــيـــلَـــكُمْ في الـــبـــحـــر تَـــرصُـــدُنـــا
وتـــرصـــدُ الـــبـــحـــر من مـــوجٍ وحـــيـــتـــان
تـــالـــلـــه لا ذي ولا هـــذي تـــردُّ يـــداً
إذا رمتْ دكَّـــتِ الـــبُـــنـــيـــانَ والـــبـــاني

☆☆☆☆☆

(١) المِرّة: القوة وشدّة العقل.
(٢) المِرنان: القوس الذي ينطلق منه السهم.
(٣) ضاء الشيء: أنار وأشرق.

لا نُبغضُ الروس لكنْ لا نُحبُّهُمُ

فحربُنا حربُ أقرانٍ لأقران

ولا الفرَنسيس، ما هم بالعُداة لنا

لكنهمْ غيرُ أصحابٍ وإخوان

إنّا نبادلُهمْ والنقْعُ منسدلٌ

طعنًا بطعنٍ ونيرانًا بنيران

نأتي ويأتونَ والهيجاءُ قائمةٌ

بكلّ ماضٍ وفتّاكٍ وطعّان

لكنما في غدٍ يُرخي السّلامُ على

هذي الوغى وعليهمْ سترُ نسيان

ويمّحي كلّ بغضٍ غير بغضكُمُ

فإنه آمنٌ من كلّ نُقصان

حقدُ القلوب عليكمْ لا يزول وإن

زُلْتمْ وزُلْنا وزال العالَم الفاني

في الأرض بُغْضُكُمُ والماءُ مثلُهما

والبغضُ في الحُرّ مثلُ البُغض في العاني[1]

الكوخُ يُبغضكُمْ والقَصْرُ يُبغضُكمْ

وكلُّ ذي مُهجةٍ منّا ووِجدان

نهوى ونحن جموعٌ لا عداد لها

كواحدٍ، وكذا نَلقَى كإنسان

عدوُّنا واحدٌ، الكلُّ يعرفُه

ذاك الحسودُ الخبيثُ الماكرُ الشّاني

إنكلترا

****

---

(١) العاني: الذليل والأسير.

٥٤ - حكاية قديمة

[الطويل]

وربَّت أمريكيَّة خلتُ ودَّها
يدوم، ولكن ما لغانية ودُّ
صبوتُ إلى هندٍ فلما رأيتُها
سلوتُ بها هندًا وما صنعتْ هند
وأوحتْ لها عيناي أنَّ صبابةً
تلجلجُ في صدري وأَحذَرُ أن تبدو
فألقتْ إلى أترابها وتبسَّمتْ:
أعِيٌ سكوتُ الصَّبِّ أم صمْتُه عمْد؟
فقلتُ: سلامُ الله، قالت: وبِرُّه،
فقلت: أهزْلٌ ذلك القولُ أم جِدّ؟
وأمسكتُ أنفاسي وأرهفتُ مسْمعي
ففي نَفَسي جزْر وفي مسْمعي مدّ
فقالت: وددْنا لو عرفْنا منِ الفتى
وما يبْتَغيه؟ قلت: ما يبتغي العبد؟
له كَبِدٌ حرّى، وقلبٌ مُكلَّمُ
غلطتُ، فما للصبّ قلبٌ ولا كبْد
قتيلٌ ولكنْ ثوبه كَفَنٌ له
وكل مكانٍ يستريحُ به لَحْد
فإن لم يكن من نظرةٍ ترأبُ الحشا
فرُدّي عليه قلبه وبه زُهد

فضرّج خدّيها احمرارٌ كأنما
تصاعد من قلبي إلى خدّها الوجْد
وقرَّبها مني وقرّبني الهوى
إلى أن ظننّا أنّنا واحدٌ فرْد
وكهرب روحينا فلما تنهّدتْ
تنهّدتُ حتى كاد صدري ينهدّ
وكان حديثٌ خلْتُ أني حفظتُه
فأذهلني عنه الذي كان من بعْدُ

✡✡✡✡

أمرتُ فؤادي أن يُطيع فؤادها
فيبكي كما تبكي ويشدو كما تشدو
وقلتُ لنفسي: هذه منتهى المُنى
وهذا مجالُ الشكر إن فاتَك الحمْد
فإن ترغبي عنْها، وفيك بقية،
فما أنتِ نفسي إنما أنتِ لي ضدّ
ومرّت ليالٍ والمُنى تَجذِب المُنى
وقلبي، كما شاءتْ، يلين ويشتدّ
نروحُ ونغدو والليالي كأنها
وقوفٌ لأمرٍ لا تروحُ ولا تغدو
وما زلتُ تَستَخفِي علي عُيوبُها
إلى أن تولّى الغَيُّ واتّضح الرُّشد
رأى الدهرُ سدًا حول قلبي وقلبِها
فما زال حتى صار بينهما السدّ
خُدعتُ بها والحُرُّ سهْلٌ خداعُهُ
فلا طالعي يُمْنٍ ولا كوكبي سعْد

وكنّا تعاهدْنا على الموتِ في الهوى
فما لبثتْ إلا كما يلبث الوردْ
كأني ما ألصقتُ ثغري بثغرِها
ولا بات زَندي وهو في جِيدها عقد
ولم نَشتَملْ بالليل والحيُّ نائمٌ
ولم نستترْ بالروض والليلُ مُمتدّ
ولا هزّنا شدْو الحمائم في الضحى
ولا ضمَّنا بيتٌ ولم يحْونِا بُرْد

☆☆☆☆☆

أإنْ لاح في فُودي القتيرُ نَكَرْتني
أيُزهدُ في الصَّمصام إن أخْلُقَ الغمْد(١)
لئن كان لونُ الشَّعرِ ما تعشقينَهُ
فدمْ أبيضا ما دمت يا شعري الجعْد
فلا تشْمتي مني فلستِ بمأمنٍ
ولا تزهدي فيه، فليس به زُهْدُ
هو الفاتحُ الغازي الذي لا تردُّه
عن الفاتح الغازي قلاعٌ ولا جُند
فلو كان غير الشَّيبِ عني صرفتُه
ولكنّ حُكم الله ليس له ردّ
وإن تُعرِضي عن مفْرِقي وهو أبيضٌ
فيا طالما قبّلته وهو مُسْودّ
شفى اللهُ نفْسي لا شفى اللهُ نفْسها
ولا غاب عن أجفانها الدمعُ والسُّهد

---

(١) القتير: الشيب أو أوائله وخلُق - يخلُق: بلي (وأخلق أيضاً).

فلا ثـــغـــرُهـــا دُرٌ ولا أُقـــحـــوانـــةٌ

ولا دمـــعُـــهـــا طلٌّ ولا ريـــقُـــهـــا شَـــهـــد

ولا قَـــدُّهـــا غـــصـــنٌ ولا خـــيـــزرانـــةٌ

ولا خـــصـــرُهـــا غَـــوْرٌ ولا رِدفُـــهـــا نَـــجْـــد

ولا وجـــهُـــهـــا شـــمسٌ ولا شَـــعـــرُهـــا دُجى

ولا صـــدُّهـــا حـــر ولا وصْـــلُـــهـــا بـــرد

أحبّ إلى نـــفـــسي الـــرّدى من لـــقـــائـــهـــا

وأجـــمل في عـــيـــني من وجـــهـــهـــا الـــقـــرْد!

فـــإن تـــلـــمسِ الـــثـــوب الـــذي أنـــا لابسٌ

قَـــددتُ بـــكـــفّي الـــثـــوب من قَـــبلِ يـــنـــقَـــدّ[1]

وإنْ تـــقـــرُبِ الـــدار الـــتي أنـــا ســـاكنٌ

هـــجـــرتُ مـــغـــانـــيـــهـــا ولـــو أنـــهـــا الخُـــلْـــد

فـــإن كـــان غـــيـــري لم يـــزلْ ديـــنُـــه الـــهـــوى

فـــإني، ولا أخـــشى الـــمَلامـــةَ، مـــرتـــدُّ!!

****

(١) التقدير. من قبل أن ينقدّ (قدّه: شقّه بالطول).

٥٥ - لمن الديار

[الكامل]

لــمن الــديــارُ تَــنــوحُ فــيــهــا الــشَّــمْــأَلُ
مــا مــات أهــلُــوهــا ولم يــتَــرحَّــلــوا

مــاذا عــراهــا، مــا دهــا ســكّــانَــهــا
يــا لــيت شــعــري كُــبــلــوا أم قُــتِّــلــوا؟

مــثَّــلــتُــهــا فَــتــمــثَّــلتْ في خــاطــري
دمــنًــا لــغَــيــرِ الــفــكــرِ لا تــتــمــثَّل

تَــمــشي الــصَّــبــا مــنــهــا بــرسمٍ دارسٍ
لا رِكْــزَ فــيــه كــأنمــا هي هــوْجَلُ[1]

وإذا تــــأمَّلَ زائــرٌ آثــــارهــــا
شــخــصتْ إلــيــه كــأنــهــا تــتــأمّل

أصــبــحتُ أنــدُبُ أُسْــدهــا وظــبــاءَهــا
ولــطَــالمــا أبــصــرتُــني أتــغــزّل

أيــام أنــظــرُ في الحــمى مُــتــهــلِّلا
وأرى الــديــار كــأنــهــا تــتــهــلَّل

وأروحُ في ظلِّ الــشــبــاب وأغْــتَــدي
جــذلانَ لا أشــكــو ولا أتــعــلَّل

إذْ كلُّ طــيــرٍ صــادحٍ مُــتــرنِّمٌ
إذ كل غــصنٍ يــانعٍ مُــتَــهــدّل

والأرضُ كــاســيــةٌ رداءً أخــضــرًا
فــكــأنــهــا ديــبــاجــةٌ أو مُــخــمَل

(١) الرِكز: الصوت. والهجْل والهوجل: المفازة الواسعة

يجري بها، فوق الجُمانِ من الحصى

بين الزَبَرْجد[1] والعقيقِ، الجدولُ

والزهرُ في الجنّاتِ فيّاحُ الشّذا

بِنَدى الصَّباحِ متوّجٌ ومُكلَّل

والشمسُ مشرقةٌ يلوحُ شعاعُها

خلَلَ الغصونِ، كما تلوحُ الأَنصُل

والظلّ ممدودٌ على جنَباتها

والماءُ مغمورٌ به المُخضوضِلِ

لله كيف تبدّلتْ آياتُها

من كان يحسبُ أنها تتبدّل؟

✲✲✲✲✲

زحف الجرادُ بقضِّه وقضيضه

سيرِ الغَمامِ إذا زَفَتْه الشَّمأل[2]

حجب السَّماءَ عن النواظر والثَّرى

فكأنه الليلُ البهيمُ الأَلْيل[3]

من كلِّ طيّارٍ أرَقَّ جناحَهُ

لفحُ الحرور وطولُ ما يتنقَّل

عجِلٍ إلى غاياته مُستوفِزٍ

أبدًا يشدُّ العجْزَ منه الكَلكَل[4]

خَشنِ الإهابِ كأنّه في جوشَنٍ

وكأنما في كل عضوٍ منجَل[5]

---

(١) الزبرجد: الزمرد.

(٢) زفته: دفعته ريح الشمال.

(٣) الأليل: الممتد الطويل.

(٤) الكلكل: الصدر.

(٥) الجوشن: الدرع.

وكأنما حلَقُ الدُّروع عُيونُه

وكأنهنّ شواخصا تُتخيَّل

مصقولةٌ صقْلَ الزُّجاجِ يخالُها

في معزِلٍ عن جسمه، المستقبِل

ومنَ العجائبِ معْ صفاء أديمها

ما إن ترفُّ كأنما هي جنْدل[1]

ضيفٌ أخفُّ على الهواء من الهوا

لكنّه في الأرض منها أثْقل

ملأ المسارح والمطارح والرُّبا

فإذا خَطَتْ فَعلَيهِ تخطو الأرجُل

حصد الذي زرعَ الشيوخُ لنَسْلهمْ

وقضى على القُطّانِ أن يتَحوّلوا

ما ثَمّ من فَنَنٍ إلى أوراقه

يأوي؛ إذا اشتدّ الهجِيرُ، البلبلُ

وإذا القضاءُ رمى البلاد ببؤسه

جَفّ السَّحابُ بها وجفَّ المنهل

✡✡✡✡

وقع الذي كنّا نخافُ وقوعَه

فعلى المنازل وحشَةٌ لا ترحَل

أشتاقُ لو أدري بحالة أهلها

فإذا عرفتُ وددُت أني أجهَل

لم تُبقِ أرْجالُ الدَّبَى في أرضهم

ما يُستظَلُّ به ولا ما يُؤكل[2]

---

(١) الجندل: الحجارة.

أمست سماؤهُمُ بغير كواكبٍ
ولقد تكون كأنها لا تأفُل

يمشون في نور الضُّحى وكأنهُمْ
في جُنْحِ ليلٍ حالكٍ لا ينصُلُ(1)

فإذا اضمحَلَّ النورُ واعتكر الدُّجى
فالخوفُ يعلو بالصُّدورِ ويسْفُل

يتوسَّلونَ إلى الظَّلُوم وطالما
كان الظَّلومُ إليهمُ يتوسَّل

أمسى الدَّخيل كأنه ربُّ الحمى
وابنُ البلاد كأنه مُتَطفِّل

يقضي، فهذا في السجون مُغيَّبٌ
رهْنٌ، وهذا بالحديد مُكبَّل

ويرى الجمالَ كأنما هو لا يُرى
ويرى العيوب كأنما هو أحْول

حالٌ أشدُّ على النفوس من الرَّدى
الصَّابُ شُهدٌ عندها والحنظل(2)

✡✡✡✡

ما لي أنوحُ على البلاد كأنما
في كل أرضٍ لي أخٌ أو منزل

يا ليت كفّاً أضْرمتْ هذي الوغى
يبِستْ أناملُها وشُلَّ المفْصل

تتحوّلُ الأفلاكُ عن دورانها
والشرُّ في الإنسان لا يتحوّل

---

(1) نصُل: ظهر وخرج.

(2) الصاب: عصارة شجر مر (المفرد: صابة).

مـــا زال حــتى هــاجــهــا من هــاجــهــا

حــربــا يــشــيــبُ لــهــا الــرضــيــعُ الــمُــحْــوِلِ[1]

فــالــشَّــرقُ مُــرتــعــدُ الــفــرائصِ جــازعُ

والــغــربُ من وقَــعــاتــهــا مُــتــزلــزِلِ[2]

والأرضُ بــالجُــرْدِ الــصَّــواهلِ والــقَــنــا

مــلأى تَــجــيش كــمــا تَــجــيش الــمــرْجَل

والــطَّــودُ آفــاتُ تــلــوح وتــخــتــفي

والــسَّــهلُ أرْصــادُ تجيء وتَــقْــفُل

والجــوُّ بــالــنَّــقْعِ الــمُــثــار مــلــثَّم

والــبــحــرُ بــالــسُّــفُن الــدَّوارعِ مُــثْــقَل[3]

في كلِّ مــنــفــرجِ الجــوانب جــحْــفَلُ

لجبٌ يُــنــازعُه عــلــيه جــحْــفَل

مــات الحــنــانُ فــكل شيءٍ قــاتلُ

وقَــســا الــقــضــاءُ فــكلُّ عــضْــوٍ مــقْــتَل

فَــمُــعــقَّــرٌ بــثــيــابه مــتــكــفِّنٌ

ومُــجــرَّحٌ بــدمــائه مُــتَــســربِل

كم نــاكصٍ عن مــأزِقٍ خَــوف الــرَّدى

طــلع الــردى من خــلــفه يــتَــصــلْــصَل[4]

شــقــي الجــمــيعُ بــهــا وعــزَّ ثلاثــةٌ

ذئبُ الــفلاة ونَــســرُهــا والأجْــدَل[5]

---

(١) مضى عامه الأول.

(٢) الفريصة: لحمة في وسط الجنب (الجمع: فرائص).

(٣) النقع: غبار المعارك.

(٤) الصلصلة في الأصل: صفاء صوت الرعد، أو صوت الحديد إذا حُرِّك.

(٥) الأجدل: الصقر.

حـامتْ عـلى الأشْلاء في سـاحـاتـهـا
فـرَقًا تَـعُلّ من الـدمـاء وتَـنْـهل[1]
لـهـفِي عـلى الآبـاء كـيف تَـطـوّحـوا
لـهـفي عـلى الـشُّبـان كـيف تَـجـنـدَلـوا
حـربٌ جـنـاهـا كلُّ عـاتٍ غـاشمٍ
وجـنَى مـرارتَـهـا الـضـعـيفُ الأعْـزل
مـا لـلـضـعـيف مع الـقـويّ مـكـانـةٌ
إنَّ الـقـويَّ هـو الأحبُّ الأفـضَل
تـتـنـصَّلُ الـسُّوَّاسُ من تَـبِـعـاتـهـا
إن الـبـريء الـذَّيلِ لا يـتـنـصَّل[2]
قـد كـان قـتْلُ الـنـفس شـر جـريمـةٍ
والـيـوم يُـقـتَلُ كلُّ من لا يـقْـتُل
والمـالـكـونَ عـلى الخَلائق، عـدلُـهمْ
جـورٌ، فـكـيف إذا همُ لم يـعْـدلـوا
كـتـبـوا بمـسْفُـوك الـنَّجِـيعِ نُـعُـوتَـهمُ
وبـنَـوا عـلى الجُـثثِ الـعـروش وأثَّـلـوا
صـرَف الجـنـود عن المـلـوك وظُـلـمـهمْ
قَـولُ الـمُـلـوك لـهم: جـنـودٌ بُـسَّل
يـا شـرَّ آفـاتِ الـزمـان المـنـقـضِي
لا جـاءنـا فـيك الـزمـانُ الـمُـقْـبِل

✡✡✡✡

إنْ أبك سـوريّـا فـقـبْـلي كم بـكى الـ
«أعـشى» مـنـازلَ قـومه «والأخـطلُ»[3]

---

(١) النَهلة: الشربة الأولى. والعلّة: الشربة الثانية.

(٢) السُّوّاس: الساسة.

(٣) «الأعشى» من شعراء الجاهلية، و«الأخطل» من شعراء بني أمية.

مـــا بِي الـــديــارُ وإنمـــا قُــطّـــانُـــهــا

إن الــــنــفــوس لـــهـــا الـــمــقـــامُ الأول

يـــا قـــومُ إن تَـنْــســوا فلا تَــنْــســوهُمُ

أو تَـبْـخـلـوا فـعـلـيـهِمُ لا تَـبـخـلـوا

لـــبّـــوا نـــداءَ ذوي المـــروءة والـــنــدى

لـــيُــقـــالَ أمُّ الـــشـــامِ أمُّ مُـــشْـــبِلِ(١)

لا تـبـتـغـوا شُـكْـر الأنـام وأجْـرَهُمْ

عــفْــوُ الإلـه هـــو الـــثـــنـــاءُ الأجـــزلُ

في كل يـــومٍ بـــيـــنـكُمْ مـــســـتـرفِـدُ

أو طـــالبُ أو راهـبُ مُـــتَـــجـــوِّلِ(٢)

يـــأتـيـكمُ بـــادي الـــوِفـــاض فَـيـنـثَـني

وكـــأنمـــا فـي بُـــرده «الـــمُـــتـــوكّل»(٣)

يـــبـــني بمـــالــكُمُ الـــقـــصـــور لأهـــله

وقـــصـــوركُمْ أثْـــوابُـــكمْ «والـــمـــعْـــمَل»

قـد حـانَ أن تـسـتـيـقـظـوا فـاسـتـيـقـظوا

كم تَـــخـــجـــلُـــون وكـــلُّـــهُمْ لا يـــخـــجل

يـــا لـــيت من بــذلـــوا نُـــضـــارَهُمُ لـــمن

خـــبـــؤوه في أكـــيـــاســـهم لم يـــبْـــذُلـــوا

بل لــــيـــتَـــهمْ جـــادوا عـــلـى ذي فـــاقـــة

فـــحـــرٍ بـــعــطف المحـــســـنـــينَ الـــمُـــرْملُ(٥)

✡✡✡✡✡

---

(١) ذات أشبال (ولود).

(٢) المسترفد: طالب الرفد (العون).

(٣) الوفضة: وعاء الزاد (والجمع: أوفاض). و"المتوكل" الخليفة العباسي.

(٤) المُرمِل: من نفد زاده.

يا من نريدُ صلاحَهُ وصلاحنا
إنّ العُدولَ عن الهوى بك أجمل
أيبيتُ قومُك فوق أشواك الغَضا
وتبيتُ تخطرُ بالحرير وترفُل؟
أين الهدى، يا من يبشّرُ بالهدى
أين التُّقَى، يا أيها المزّمّل[1]
ظنَّتْ بك الناسُ الظنونَ وإنني
لأَخَافُ بعد الظنِّ أن يتقوّلوا
لك مْقلةٌ فانظرْ بها متأمِّلاً
قد يستفيدُ الناظرُ المتأمِّل
لا قَدْرَ للجُهَلاء حتى يعملوا
لا فضلَ للعلماء حتى يعملوا
سُكّانُ لبنانَ العزيزِ وجلَّقٍ
حيّاكُمُ عنّا النسيمُ المُرسَل
لا ناب غير عدوِّكمْ ما نابَكُمْ
وبلغتمُ ما تأمُلُون ونأمُل
كم تتّقونَ الطارئاتِ ونتّقي
كم تحملونَ الكارثاتِ ونَحْمل
لو يعقلُ القَدَرُ الخؤونُ عذَلتُهُ
وعذَلتُه، لكنه لا يعقل
أبكي وأستبكي العيونَ عليكمُ
أيُّ الدموعِ عليكُمُ لا تَهطُل
إن تغفُلِ الدنيا ويغفُلْ أهلُها
عنكمْ، فَخَالقُ أهلها لا يغفُل

****

(١) المزّمّل: المتلفف بالثوب.

٥٦ - يا بلادي

[الخفيف]

مثلما يكمُنُ اللَّظى في الرَّماد

هكذا الحبُ كامنٌ في فؤادي

لستُ مُغرى بشادنٍ أو شاد

أنا صبٌ متيَّمٌ ببلادي

يا بلادي عليك ألفُ تحيّهْ

☼☼☼☼☼

هو حبٌ لا ينتهي والمنيّهْ

لا ولا يضمحلُّ والأمنيّهْ

كان قبلي وقبلَ نفسي الشجيّهْ

كان من قبلُ في حشا الأزليّهْ

وسيبقى ما دامت الأبديّهْ!

☼☼☼☼☼

خلّياني من ذكرِ ليلى وهند

واصرفاني عن كلِّ قَدٍ وخدّ

كلُّ حسناءَ غيرُ حسناءَ عندي

أو أرى وجْدها بقومي كوجْدِي

لا حياءٌ في الحبّ والوطنيّهْ

☼☼☼☼☼

كل شيءٍ في هذه الكائناتِ

من جمادٍ وعالَمٍ ونباتِ

وقـديمٍ وحـاضـرٍ أو آتِ
صـائـرٌ لـلـزَّوال أو لـلـمـمـاتِ
غـيـر شـوقي إلـيك يـا سـوريّهْ

✡✡✡✡✡

أنتِ مـا دُمتِ في الحـيـاة حـيـاتي
فـإذا مـا رجـعتُ لـلـظُّـلُـمـات
واسـتـحـالتْ جـوارحي ذرّاتِ
فَـلـتـقلْ كلُّ ذرّةٍ من رُفـاتـي
عـاش لـبـنـانُ، ولـتـعشْ سـوريّهْ

✡✡✡✡✡

ولـتـقُلْ كلُّ نـفـحـة من نَـد
ولـتـقلْ كلُّ دمـعـة في خَـد
ولـتـقلْ كلُّ غـرسـة فـوق لحـدي
ولـيـقلْ كل شـاعـرٍ من بـعـدي
عـاشُ لـبـنـانُ، ولـتـعشْ سـوريّهْ

✡✡✡✡✡

رُبَّ لـيلٍ سـهـرْتُه لـلـصـبـاحِ
حـائـرًا بـين عـسْـكـر الأشـبـاح
لـيس لي مـؤنسٌ سـوى مـصـبـاحي
ونـداء الملاّحِ لـلـمـلاّح
وصـراخِ الـزّوارقِ الـلـيـلـيّهْ

✡✡✡✡✡

تـتـهـادى في الـسـيـر كـالـمـلكـاتِ
أو كـسـرْبِ الـنّـعـام في الـفَـلـواتِ

مُقبلاتٍ في النهر أو رائحاتِ
تحت ضوءِ الكواكب الزَّاهراتِ
فوق ماءٍ كالبُردة اليمنيّهْ

✡✡✡✡✡

تتمشَّى في صفحتيْهِ النسائمْ
فترى الموج فيه مثلَ الأراقمْ
يتلوّى، وتارةً كالمعاصِمْ
كَلف الماءُ بالنسيم الهائمْ
ليتني كنتُ نسمةً شرقيّهْ

✡✡✡✡✡

هجع الناس كلُّهمْ في المدينَهْ
وتولّتْ على «نيويوركَ» السَّكينهْ
وجُفوني، بغمضها، مستهينَه
لا ترى غير طيفِ تلك الحزينه
لستُ أعني بها سوى سوريَّهْ

✡✡✡✡✡

ذاك ليلٌ قطَعْتُه أتأمّلْ
رسْمها الصامت الذي ليس يعقِلْ
وبناني معْ خاطري تَتَنَقّلْ
بين هذا الحمى وذاك المنزِلِ
والرُّبا والخمائلِ السُّندسيّهْ

✡✡✡✡✡

هاهُنا رسمُ منزلٍ أشتهيهِ
هاهُنا مربعٌ أحبُّ ذَويه

هــهــنــا رسْمُ مــعــهــدٍ كــنتُ فــيه
مــعْ رفــــاقي أجــــرُّ ذيلَ الــــتِّـــــيه
في الــضُّحى، في الأصيل، بعد الــعشيَّهْ

☆☆☆☆☆

كم تــطــلّــعتُ في الخــطــوط الــدقــيــقهْ
ولـــثَــمتُ الــطــرائقَ الــمــنْــسُــوقَهْ
قــنــعتْ بــالخــيــال نــفــسي الــمــشــوقَهْ
لــيت هــذا الخــيــالَ كــان حــقــيــقهْ
فـــعـــذابي في لَـــذّتي الـــوهـــمــيّهْ

☆☆☆☆☆

يــا رُسُــومــا قــد هــيّــجتْ أشــواقي
طــالَ، لــو تــعــلــمينَ، عــهــدُ الــفــراقِ
أين تــلــك الــكــؤوسُ، أين الــسَّــاقي؟
أين تـــلــك الأيـــامِ، أين رفـــاقي؟
أين أحلامي الحـــســـانُ الـــبـــهـــيهْ؟

☆☆☆☆☆

يـــا رســـوم الـــرُّبـــوعِ والأصـــحـــابِ
بــحــيــاتي عــلــيك بــالأحــبــابِ[1]
أخـــبـــريـــني فــقــد عــرَفْتِ مُــصــابي
أتُـــرى عـــائـــدُ زمـــانُ الـــتَّــصـــابي
أم طـــوتْهُ عـــنّـــا يـــد الأبـــديّهْ؟

☆☆☆☆☆

ســبــقــتْــني دنــيــا أرادتْ لَــحــاقي
فـــأنـــا الآن آخـــرُ في الـــســـبـــاقِ

---

(١) الرسوم: الآثار

نـصفُ عـمـري يـرثـيه نـصـفي الـبـاقي

كـــــــــرثـــــــــاء الأوراقِ لـلأوراق

يـــــبِس الأصل والـــــفـــــروعُ نـــــديّهْ

✡✡✡✡✡

مـــا تُـــراني إذا تـــغـــنّى الـــشّـــادي

ومـــضى في الـــغـــنـــاء والإنـــشـــاد

فــــأطــــار الأسى عن الأكـــبـــاد

أحـــسبُ الـــعُـــود في يـــديه يُـــنـــادي

أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريَّهْ!

✡✡✡✡✡

وإذا مـــا جـــلـــستُ تحت الـــظَّلامِ

أرقُبُ الـــبـــدر من وراء الـــغَـــمـــامِ

رنّ في مـــسْـــمـــعي فـــهـــزّ عـــظـــامي

شـــبْه صـــوتٍ يـــقـــول لـــلـــنُّـــوّامِ

أيـــهـــا الـــقـــوم أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

✡✡✡✡✡

وإذا مـــا ذهـــبتُ في الـــبُـــســـتـــانِ

بـــين زهـــرِ الخُـــزام والأُقـــحُـــوانِ

أســـمعُ الـــهـــاتـــفـــاتِ في الأفْـــنـــانِ

قـــائلاتٍ ولـــلـــكلام مـــعـــانِ

أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

✡✡✡✡✡

وإذا مـــا وقـــفتُ عـــنـــد الـــغـــديـــرِ

حـيث تـمـشي الـطـيورُ خـلْف الـطُّـيورِ

خـــلْتُ أن الأمـــواهَ ذات الخَـــريـــرِ
قـــائلاتٌ مــعي لأهل الــشُّـــعُـــور
أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

✡✡✡✡✡

مــا لــقــومي وقــد دهــتْــهــا الــدَّواهي
بــالــذي يُــطــفئ الــنــجــوم الــزَّواهي
ويـــثـــيـــرُ (الحـــمـــاس) في الأمـــواه
قَـــــعـــــدوا بـــــين ذاهـلٍ أو لاه
أين أينَ الحــفــيــظــةُ الــعــربــيهْ؟

✡✡✡✡✡

هـي أمٌ لـــكمْ وأنـــتم بـــنُـــوهـــا
حــفــظتْ عــهــدَكمْ فلا تُــنــكــروهــا
أنـــتمُ أهـــلُـــهـــا وأنـــتمْ ذَووهـــا
لا تُـعـيـنـوا بـالـصـمت من ظَـلَـمـوهـا
ذاك عـــارٌ عـــلى الـــنـــفــوس الأبـــيّهْ

✡✡✡✡✡

كن نـبـيّـاً يـسْـتَـنـزلُ الإلــهــامــا
كن مــلــيــكًــا يُــصــدِّرُ الأحــكــامــا
كُن غــنــيّــاً، كُن قــائـدًا، كن إمــامــا
كُن حــيــاةً، كن غــبــطــةً، كن سلامــا
لـــست مـــني أو تـــعـــشقَ الحُـــريّهْ!

****

٥٧ - الفردوس الضائع(١)

[الكامل]

مـــا زال يمـــشـي في الأمـــورِ بـــفـــكْـــرِهِ
حـــتى تـــمـــشَّـى الـــنـــومُ في الأجـــفَـــانِ
وكـــمـــا يـــرى الـــوسْـــنـــانُ راءَ كـــأنه
في الـــنَّـــعشِ مـــيْتٌ هـــامـــدُ الجُـــثـــمـــان
وعـــلـى جـــوانبِ نـــعـــشه صـــفَّـــانِ
من جُـــنـــد «ألـــبـــرْت» الـــرفـــيعِ الـــشَّـــان
يـــبـــكـــونَهُ لا شـــامـــتـــينَ بمـــوتِه
لـــيس الـــشَّـــمـــاتـــةُ عـــادةَ الـــشُّـــجـــعـــان
ورأى حـــوالَـــيه جـــمـــاهـــيـــر الـــورى
تـــســـتـــعـــرضُ الـــلُّـــحـــود في الأكـــفـــان
وكـــأنمـــا كَـــرِهِ اخـــتـــلاطَ رُفـــاتـــه
في الأرض، بـــالـــضُّـــعـــفـــاء والـــعـــبْـــدان
أو أنَّ مـــرأى الحـــشْـــد أقـــلـــقَ روحَه
في جـــســـمـــه فَـــهـــفَـــا إلى الـــطَّـــيـــران
ومن الـــعـــجـــائبِ في الـــكـــرى أن الـــفـــتى
يـــغـــدو به وكـــأنّه شَـــخـــصـــان

✲✲✲✲

أمَّ الـــســـمـــاءَ وقـــدْ تـــوهَّـــمَ أنه
لا شكَّ وَالـــجُـــهـــا بلا اســـتـــئـــذان

(١) أو رؤيا القيصر الألماني.

مـــا زالَ يــرقى صـــاعـدًا حــتى انــتــهى
حـــيثُ الـــغـــنـــاءُ مـــثَـــالثٌ ومـــثَـــاني
فـــرمى بـــنـــاظــرِه فـــأبـــصـــر بـــابَـــهـــا
فـــمـــشى إلـــيه مـــشْـــيـــةَ الـــعـــجْلان
وأقـــام يـــقْـــرَعُهُ فـــأقـــبلَ «بُـــطْـــرسٌ»
ذو الأمـــر في الـــفـــردوسِ والـــسُّـــلـــطـــان
وأدار فـــــيـــــه لحـــــظَـــهُ فـــــإذا بـه
ضـــيفٌ، ولـــكن لـــيس كـــالـــضـــيـــفَـــان
مـــا جـاءنـــا بكَ؟ صـــاح «بطـــرُسٌ» غـــاضـــبـــا
يـــا شـــرَّ إنـــســـانٍ عـــلـى الإنـــســـان
اذهبْ فـــمـــا لك في الـــسَّـــمـــا من مـــوضعٍ
يـــا أيـــهـــا الـــرجلُ الأثـــيـم الجـــاني
ثم انـــثـــنَى لـــلـــبـــاب يُـــحْـــكِمُ ســـدَّهُ
والـــضَّـــيفُ لم يـــنـــبِسْ بـــبـــنتِ لـــســـان
مـــا ذي الـــفـــظـــاظـــةُ؟ قـــال: «ولـــيَمُ»، وانـــثـــنى
لـــلـــيـــأس كـــالـــمـــصْـــفُـــود في الأقْـــران[1]
وبمـــثـلِ لَـــمحِ الـــطّـــرْف أســـرعَ هـــابـــطًـــا
نـــحـــو الجـــحـــيم يـــقـــول: ذاك مـــكـــاني
هـــيـــهـــات يُـــحْـــرَمُ من جـــهـــنَّمَ عـــائـــدٌ
من جـــانب الـــفـــردوسِ بـــالحـــرْمـــان
حـــتى إذا مـــا صـــار دون رتـــاجِـــهـــا
ســـمع «الـــزعـــيم» يـــصـــيحُ بـــالأعـــوان
أ بـــني جـــهـــنَّمَ أوصـــدُوا أبـــوابَـــكُمْ
واســـتـــعـــصـــمـــوا كـــالـــطـــيـــر بـــالأوكـــان[2]

---

(١) جمع القَرن الذي هو الحبل، قرون.

(٢) الوَكن: عش الطائر في الجبل أو في الجدار

كونوا على حذَرٍ ففي هذا الضُّحى
يأتي إلينا قيصرُ الألمان
إن كنتمُ لم تعرفوه فإنّهُ
رجلٌ بلا قلبٍ ولا وِجْدان
أخشى على أخلاقكُمْ إن زاركمْ
وهي الحسانُ تصيرُ غير حسان
إياكُمُ أن تسمحوا بدخوله
فدخولُه خطَرٌ على السُّكان
أمري لكم أصدرتُه، فَخُذوا به
وحذارِ ثمَّ حذارِ من عصْياني
ماذا تراني؟ صاح «ولْيمُ» باكيا
حتى الأبالسُ لا تُحبُّ تَراني
إبليسُ، يا شيخَ الزَّبانية الأُلى
كانوا لأخدَاني من الأخْدان
رُحماكَ بي، فالليلُ قَاسٍ بردُهُ
والهولُ يملأ ناظري وجناني
بجهنَّمٍ، بالسَّاكني حُجُراتها
بمواقد النِّيران، بالنيران
وبكلّ شيطانٍ مريدٍ ماكرٍ
وبكلّ تابعِ ماردٍ شيطان[1]
مُرْ ينفتحْ بابُ الجحيمِ فإنني
قد كاد يجمدُ للصقيعِ لساني

(١) التابع في التراث من الجنّ الذي يتبع الشعراء، ويوحي إليهم.

يـــا لــيت شــعْــري أين أذهبُ بــعــدمــا
سُـدَّ الــســبــيلُ وأُوصــد الــبــابــان
مُـــرْ لـي بــــزاويـــة أزجُّ بمُــــهـــجـــتي
فـــيـــهـــا، وإن تكُ من حـــمـــيمٍ آن
هلاَّ قَـــبِـــلت تـــضـــرُّعي؟ فـــأجـــابَهُ
إبـــليسُ، وهـــو يـــروغُ كـــالـــسـرحـــان:[1]
لـــو كـــنتُ أعـــلمُ مـــا ســكتُّ فلا تَـــزِدِ
لا رأي لـــلـــحـــيْـــرانِ في الحـــيْـــران
عـــبـــثًـــا تُـــحـــاولُ أنْ تُـــصـــادف عـــنـــدنـــا
نُـــزُلاً، فـــهـــذا لـــيس بـــالإمـــكـــان
لا تـــذكُـــرنَّ لي الحـــنـــانَ ومـــا جـــرى
مـــجـــراه، إني قـــد قَـــتـــلتُ حـــنـــاني
لا يـــدخـــلنَّ جـــهـــنـــمـــا ذو مـــطـــمعٍ
بـــالمجْـــد أو بـــالأصـــفَـــرِ الـــرَّنَّـــان
إنْ كـــنت تـــشـــتـــاقُ الإقـــامـــةَ في الـــلَّـــظى
فـــالـــنـــارُ والـــكـــبْـــريتُ كلَّ مـــكـــان
فـــاجـــمـــعْـــهُـــمـــا واصـــنعْ لـــنفـــسكَ مـــنـــهـــمـــا
ولمن تحـــبُّـــهُـــمُ جـــحـــيـــمـــا ثـــان
وهـــنـــا تـــقَـــهـــقَـــهـــر «ولـــيمُ» ثم اخـــتـــفى
مـــا بـــين لـــيلٍ حـــالكٍ ودُخَـــان
فـــأفـــاقَ مـــذعـــورًا يـــقـــلِّبُ طـــرفَهُ
لـــلـــرعب في الأبـــواب والحـــيـــطـــان

(١) السِّرحان: الذئب.

ويـقــول: لا أنــســاك يــا حُــلْــمي ولــو

نَــســجت عــلـيّ عــنــاكبُ الــنِّــســيــان

مــا راعــني أني طُــردتُ من الــسَّــمــا

أنــا قــانطٌ من رحــمــة الــشــيــطــان

لـــكنَّ طـــردي من جـــهـــنَّمَ، إنه

مـــا دار في خـــلَـــدي ولا حـــسْـــبــاني

****

٥٨ - مسرح العشاق

[مجزوء الكامل]

مِن سِحْرِ طَرفِك من مُجيري
يا ضرَّةَ الرَّشأ الغَريرِ

جسمٌ كَخَصرِك في النُّحُو
لِ، ومثلُ جفنك في الفُتُور

أصبحتُ أضألَ من هلا
لِ الشَّكِّ في عين البصير

محقَ الضنَى جسدي فبتْ
تُّ من الهَلاك على شفير

ومشى الرّدى في مُهْجتي
اللهَ، في النفَس الأخير

جهِلَ النِّطاسيْ علَّتِي
لله من جهل الخَبير(١)

كم سامني جرْعَ الدوا
ء، وكم جرَعْتُ من المرير(٢)

دعْ، أيها الآسي، يدي
الحبُّ يُدرَكُ بالشُّعور(٣)

يدري الصَّبابةَ والهوى
من كان في البلوى نظيري!

*****

---

(١) النُّطاسي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.
(٢) يريد: المرّ، والمرير: هو الحبل المفتول.
(٣) الآسي: من يعالج الجراحات (والجمع: أساة).

لـــــو تَـــنــــظــــرين إلـيّ كـــالْـ
ـــمـيْت الــمُـســجّى في ســريــري

يـــتـــهــــامسُ الــعُــوّادُ حـــو
لي كــلّـمــا ســمــعــوا زفــيـــري

وأظُـــــنُّــــهُمْ قــــد أدركـــــوا
لا أدركـــوا، مـــا فـي ضـــمـــيـــري

فـــأبـــيتُ من قَـــلَــقي عـــلـــيـ
ـك كـــأنـــني فـــوق الـــسَّــعـــيـــر

وأدرتُ طـــــرفي فـي الحُـــضُـــو
رِ لـــعلّ شـــخــصَك في الحُـضُـور

فـــارتـــدَّ يـــعـــثُــرُ بـــالـــدمـــو
عِ تـــعـــثُّـــر الــشَّـــيخِ الـضَّـريـــر

قـــــــد زارني مـن لا أحـــــــبْـ
ـــبُ وأنــتِ أولــى أن تَـــــــــزوري

صـــــدّقتِ مـــــا قـــــال الحـــوا
ســـدُ فـي من هُـــجْـــرٍ وزُور[1]

وأطَـــعتِ بي حـــتـى الـــعـــدا
وضَـــنَـنْتِ حـــتى بـــالـــيــســيــر

أمّـــا خَـــيـــالُك، يـــا بـــخـــيْـ
ــلَــةُ، فـــهـــو مـــثـــلُك في الـنُّـفـور

روحـــي فـــــــداؤك، وهـــي لـــــو
تــدرين تُــفـــدى بـــالـــكـــثـــيـــر

تـــيـــهي عـــلـى الـــعـــاني كـــمـــا
تـــاه الـــغـــنيُّ عـــلـى الـــفـــقـــيـــر

(١) الهُجر: الباطل والهذيان.

أنا لا أبالي بالمصير
وأنتِ أدرى بالمصير
أهواك رغم مُعنِّفي
ويلَذّ نفسي أن تَجُوري
ليس المحبّ بصادقٍ
حتى يكونَ بلا عذير

✡✡✡✡✡

كم ليلة ساهرتُ فيـ
ـها النَّجْمَ أحسبُهُ سميري
والشُّهبُ أقعدها الونَى
والليلُ يمشي كالأسير
أرعى البدور وليس لي
من حاجة عند البُدور
مُتذكِّرًا زمن الصِّبا
زمن الغَواية والغُرور
أيام أخطرُ في المجا
مِعِ والمعاهد كالأمير
أيامَ أمري في يدي
أيامَ نَجْمي في ظُهور
لَمع القَتيرُ بِلمَّتِي
ويلَ الشباب من القَتير[1]

✡✡✡✡✡

لا «بالغُوَيْرِ» ولا «النَّقَا»
كَلَفي ولا أهلِ «الغَوَيْر»[2]

---

(١) القتَر، والقتير. الغبار، يريد. الشيب.

(٢) الغوير والنقا. مواضع بعينها. والنقا. من كثبان الرمل.

أرض (الجـــزيـــرةِ) كـــيف حـــا
لُكِ بـــعـــد وقْـعِ الـــزَّمْـــهـــريـــر
نـــزل الـــشـــتـــاءُ فـــأنتِ مـــلْ
ـــعبُ كلِّ ســـافـــيـــة دبـــور[١]
وتَـــبـــدَّلت تـــلك الـــعـــرا
صُ من الـــنَّـــضـــارةِ بـــالـــدُّثـــور
أمـــســـيتِ كـــالـــطـــلَّل الـــمُـــحـــيـ
ـلِ وكـــنتِ كـــالـــروض الـــنَّـــضـــيـــر
آهـــاً عـــلـــيك وآه كـــيـ
ـف نَـــأتْـك ربَّـــاتُ الخُـــدور
المـــائـــســـاتُ عن الـــغُـــصـــو
نِ، الـــسَّـــافـــراتُ عن الـــبُـــدور
الـــذاهـــبـــاتُ مع الـــنَّـــهـــود،
الـــذاهـــبـــاتُ مع الـــصُّـــدور
الحـــاســـراتُ عن الـــسَّـــوا
عـــد والـــتَّـــرائب والـــنُّـــحـــور[٢]
الـــقـــاســـيـــاتُ عـــلى الـــقـــلـــو
بِ، الجـــانـــيـــاتُ عـــلى الخُـــصُـــور
المـــالـــكـــاتُ عـــلى الـــلآ
لـئ في الـــقلائـــد والـــثُّـــغُـــور
الـــضَّـــاحـــكـــاتُ من الـــدَّلا
لِ اللاعـــبـــاتُ من الحُـــبـــور
الآخـــذَات قـــلـــوبـــنـــا
فـي زِيٍّ طـــاقـــاتِ الـــزهـــور

(١) الدَّبور تقابل القَبول من الرياح. وجعلها للسوافي.

(٢) الترائب: موضع القلادة من الصدر (مفردها تريبة).

بِـيضٌ نـواعمُ كـالـدُّمى
يـرْفُـلْن في حُـلَل الحـريـر
مـثلُ الحـمـائمِ في الـودا
عـة، والـكـواكبِ في الـسُّـفـور
من كلِّ ضـاحـكـة كـأنْـ
ـنَ بـوجـهـهـا وجهَ الـبـشـيـر
أنى أدرت الـطَّـرْف فـيـ
ـهـا جـال في قـمـرٍ مُـنـيـر

✡✡✡✡✡

يـا مـسْـرح الـعُـشّـاقِ، كم
لي فـيك من يـومٍ مـطـيـر
تَـنـسى الـبـريّـةُ عـنـدَهُ
يـوم الخَـورْنَقِ والـسَّـديـر[1]
ولـكمْ هـبـطـتُك والحـبـيـ
ـبـةَ فـازعـيْن من الـهـجـيـر
في زورَقٍ بـيـن الـزّوا
رقِ كـالحـمـامـة في الـطُّـيـور
مـتـمـهّلٍ في سـيْـرِه
والمـاءُ يُـسْـرعُ في الـمـسـيـر
والـشـمسُ إبّـانَ الـضُّـحى
والجـوُّ صـافٍ كـالـغـديـر
ولـكَمْ وثَـبْـنـا في الـتِّلا
لِ وكم ركَـضْـنـا في الـوُعـور
ولـكم أصـخْـنـا لـلـحـفـيـ

---

(١) قصرا الحيرة في العراق، أيام المناذرة.

ـف وكم شـجـيـنـا بـالخَـريـر

ولـكـم جـلـسْـنـا فـي الـرِّيـا

ض، وكم نَـشَـقْـنـا من عـبـيـر

ولـكَـم تـبـرّدنـا بمـاء نُـهـيْ

ـرِك الـصـافي الـنَّـمـيـر

طَـورًا نـنـامُ عـلـى الـنَّـبـا

تِ وتـارةً فـوق الحـصـيـر

لا نـتّـقـي عـيـنَ الـرَّقـيـ

ـبِ ولا نُـبـالي بـالـغَـيـور

فـكـأنـهـا وكـأنـني الْـ

أبـوانِ في مـاضـي الـعـصـور

حُـسـدتْ عـلـي من الإنـا

ث كـمـا حُـسـدْتُ من الـذكـور

ظنّ الأنـامُ بـنـا الـظـنـو

نَ ومـا اجـتـرحْـنـا من نَـكـيـر

قـد صـانَ بُـردتَـهـا الحـيـا

ءُ، وصـانـني شـرفي وخـيـري(١)

✲✲✲✲✲

ومـطـيَّـة رجْـراجـة

لا كـالمـطـيَّـة والـبـعـيـر

مـا تـأتـلـي في سـيـرهـا

صـخَّـابَـةً لا من فُـتـور(٢)

تجـري عـلـى أسلاكـهـا

---

(١) الخيرة: التخيّر.

(٢) الألْو: التقصير.

جـــــري الأراقـمِ[٣] فـي الحُـــــــدور

طـــورًا تُـــرى فـــوق الجُـــســـو

رِ وتـــــارةً تحت الجُـــــســــــور

آنًـــــا عــــــلى قـــــمـمٍ وآ

نًـــا في كـــهـــوفٍ كـــالـــقـــبـــور

تـــرقَى كـــمـــا تَـــرقَى (الـــمـــصـــا

عـــدُ) ثم تـــهـــبط كـــالـــصـــخـــور

فــــإذا عــــلَتْ حــــسِـب الـــورى

أنّـــا نُـــصـــعـــدُ في الأثـــيـــر

وإذا هـــــــوتْ مـن حـــــــالـقٍ

هـــوتِ الـــقـــلـــوبُ من الـــصُّـــدور

والــــرَّكبُ بــــين مُـــــصـــــفِّقٍ

ومُـــــهـــــلِّلٍ جـــذلٍ قـــريـــر

أو خــــائفٍ مُـــــتـــــطـــيـــرٍ

أو صـــارخٍ أو مُـــســـتـــجـــيـــر

هِي فـي الـــتَّـــقـــلّبِ كـــالـــزّمـــا

نِ وإنمـــا هـي لـــلـــســــرور

✲✲✲✲✲

ومُـــــــدارةٍ فـي الجــــو يـــــحْـ

ـــسـبـهـا الجـهـولُ بلا مُـــديـــر

لـــو شـــئت نَـــيْل الـــنَّـــجم مـــنْـ

ـــهـــا مـــا صـــبـــوْت إلى عـــســـيـــر

مـــشـــدودةٍ لـــكـــنـــهـــا

أجْـــرى من الـــفـــرس الـــمُـــغـــيـــر

زَفّـــــافَـــــــة زفّ الـــــرِّئـــــا

لِ تُـــســـفٌ إســـفـــاف الـــنُّـــســـور[1]

ولـــهـــا حـــفـــيـــفٌ كـــالـــريـــا

حِ وهـــدرةٌ لا كـــالـــهـــديـــر

كـــالأرضِ في دورانـــهـــا

ولـــكـــالـــمـــظـــلَّـــة في الـــنُّـــشـــور

الـــقـــومُ فـــيـــهـــا جـــالـــســـو

نَ عـــلـــى مـــقـــاعـــد من وَثـــيـــر

والـــريـــحُ تـــخـــفُق حـــولَـــهـــم

وكـــأنـــمـــا هـــمْ في قـــصـــور

والجـــمـــعُ يـــهـــتـــف كـــلّـــمـــا

مـــرّتْ عـــلـــى الحـــشْـــد الـــغَـــفـــيـــر

✡✡✡✡✡

ولـــكَـــم تـــأمّـــلْـــنـــا الجُـــمـــو

ع تَـــمـــوجُ كـــالـــبـــحـــر الـــزَّخـــور

يمـــشـــي الخـــطـــيـــرُ مع الحـــقـــيـــ

ـــرِ كـــأنمـــا هـــو معْ خـــطـــيـــر

وتـــرى الـــمـــهـــاةَ كـــأنـــهـــا

لـــيـــثٌ مع الـــلـــيـــث الـــهـــصُـــور

مُـــتـــوافـــقـــونَ عـــلـــى الـــتَّـــبـــا

يُن كـــالـــقَـــبـــيـــل أو الـــعـــشـــيـــر[1]

لا يـــرهـــبـــونَ يـــد الخُـــطـــو

---

(١) الرأل: ولد النعام. والزفّ: سرعة المشي.

(٢) القبيل: الجماعة من أمم شتى.

بِ كـــأنمـــا هم خــلْف سُــور

يمـضـي الـنـهـارُ ونـحن نَـحْـ

ـسب مـا بـرِحـنـا في الـبُـكـور

أبْـقـيت يـا زَمَن الحـرو

رِ بمـهـجـتي مـثلَ الحـرور

ولّـتْ شـهـورٌ كـنتُ أر

جـو أن تُـخَـلَّـد كـالـدهـور

وأتـتْ شـهـورٌ بـعـدهـا

سـاعـاتُـهـا مـثلُ الـشّـهـور

لـيـست حـيـاةُ المـرءِ في الـدّْ

دُنـيـا سـوى حُـلُمٍ قـصـيـر

وأرى الـشـبـاب من الحـيـا

ةِ لـكـالـلُّـبـابِ من الـقُّـشـور

ذهـب الـربـيـعُ ذهـابَـهُ

وأتـى الـشـتـاءُ بـلا نَـذيـر

وتـبـدَّدَ الـعُـشَـاقُ مـثْـ

ـلَ تـبـدُّد الـورَقِ الـنَّـثـيـر

رضـي الـمُـهـيـمِنُ عـنـهـمُ

والـلـهُ يـعـفـو عن كـثـيـر

****

٥٩ - حكاية حال

[الطويل]

هجرتُ القَوافي ما بنفسي مَلالةٌ
سواي، إذا اشتدَّ الزمانُ، ملولُ
ولكنْ عدَتْني أنْ أقولَ حوادثٌ
إذا نزلتْ بالطَّود كاد يزول
وبغّضني الأشعار أنَّ دعاتَها
كثيرٌ، وأن الصَّادقينَ قليل
وأن الفتى في ذي الربوع عقارُه
وأموالُه، والباقياتُ فُضول
سكتُّ سكوت الطيرِ في الروضِ بعدما
ذوى الروضُ واجتاح النبات ذبول
فما هزّني إلا حديثٌ سمعتُه
عن الغيد كالغيد الحسانِ جميل
فما أنا في هذي الحكاية شاعرٌ
ولكن كما قال الرواة أَقول

✡✡✡✡✡

فتى من سرَاة الناس، كلُّ جدوده
سريٌّ، كريمُ النبْعتينِ، نبيل
قضى في ابتناء المكرُمَاتِ زمانَه
ينالُ ويرجوه السوى فَيُنيل
فَدكَّ مباني عزّه الدهرُ بغتةً
وقلَّمَ منه الظُّفر فهو كَليل

هوى مثلما يهوي إلى الأرض كوكبٌ
كذاك الليالي بالأنام تَدول
وكان له في الدهر بطشٌ وصولةٌ
فأمستْ عليه الحادثاتُ تَصول
وكان له ألفا خليلٍ وصاحبٍ
فأعْوَزَه، عند البلاء، خليل
تفرّق عنه صحْبُه فكأنما
به مرضٌ، أعيا الأُساةَ، وبيل
وأنكره من كان يحلفُ باسمه
كما يُنكر الدَّين القديم عميل
فأصبح مثلُ الفُلْك في البحر ضائعا
يميل مع الأمواجِ حيثُ تميل
يكاد يمُدُّ الكفَّ لولا بقيةٌ
من الصبْر في ذاك الرداء تَجول

✡✡✡✡✡

زوى نفسه كي لا يرى الناسُ ضُرَّه
فيشمت قالٍ[1] أو يُسر عذول
بدارٍ.. أناخَ البؤسُ فيها رِكابَه
وجُرّتْ عليها للخَراب ذُيول
مُهدّمة الجُدران مثلَ ضلوعه
بها اليأسُ صمتٌ والسّقامُ مجول
تمُر عليها الريحُ وهي حزينةً
ويرنو إليها النجمُ وهو ضئيل
إذا ما تجلّى البدرُ في الأفْق طالعا
رعاهُ، إلى أن يعتريه أفُول

---

(١) القالي: المبغض (قلى - يقلي)

حبال الأماني عند قومٍ شُعاعةُ
ولكنه في مُقلَتيه نُصول
فيا عجبا حتى النُّجوم تُضلّه
وفي نورها للمُدْلجينَ دليل
وهل تهتدي بالبدْر عينٌ قَريحةٌ
عليها من الدمع السخينِ سُدول؟

☆☆☆☆☆

غفا الناس، واستولتْ عليهم سَكينةٌ
فما بالُه استولى عليه ذُهول؟
تأملَ في أحزانه وشَقائه
فهان عليه العيشُ وهو جميل
فمدَّ إلى السّكّينِ كفًّا نقيّةً
أبتْ أن يراها تَستغيثُ بخيل
وقرّبها من صدره ثم هزَّها
وكاد بها نحو الفؤاد يميل
وإذ شبحٌ يستعجلُ الخَطْو نحوه
وصوتٌ لطيفٌ في الظلام يقول:
رويدَك، فالضَّنْكُ الذي أنت حاملٌ
متى زال هذا اللَّيل سوف يزول
نعمْ؛ هي إحدى مُحسناتِ نسائنا
ألا إنَّ أجر المحسناتِ جزيل
أبتْ نفسُها أن يكحَلَ النومُ جفنَها
وجفنُ المعنّى بالسُّهاد كَحيل
وأن تتولّى الابتساماتُ ثغرها
وفي الحي مكلومُ الفؤاد عليل

فـألـقتْ إلـيه صُـرّةً وتـراجـعتْ
وفي وجـهـهـا نـورُ الـسُّـرور يـجـول
فـلم تـتـنـاقَلْ صُـنْـعـهـا ألـسُنُ الـورى
ولا قُـرعتْ في الخـافـقَـينَ طُـبـول
ولا أحـسـنتْ كي تُـعلن الـصُّـحُفُ اسْـمـها
فـتـعـلم جـاراتٌ لـهـا وقَـبِـيل
كـذا فَـلْـيُـواسِ الـبـائـسـينَ ذَوو الـغـنى
وإني لـهمْ بـالـصـالحـاتِ كَـفـيل
فـإن الـقـصـور الـشَّـاهـقـات إذا خـلـت
من الـبِـرِّ والإحـسـان فـهـي طـلـول
وخـيـرُ دمـوعِ الـبـاكـيـاتِ هـي الـتي
مـتى سـالَ دمعُ الـبـائـسـين تَـسـيل!

☆☆☆☆

ألا إنّ شـعـبـا لا تَـعـزُّ نـسـاؤه
وإن طـار فـوق الـفَـرْقَـدين، ذلـيل
وكلُّ نـهـارٍ لا يـكُنَّ شُـمـوسه
فـذلك لـيل حـالكٌ وطـويل
وكلُّ سـرورٍ غـيـرهنّ كـآبـةٌ
وكلُّ نـشـاط غـيـرَهُنّ خُـمـول

****

٦٠ - يا جارتي

[البسيط]

قالت لجارتها يوما تُسائلُها
عنّي، وفي طَرْفها الوسنانِ أشجانُ:

ما بالُ هذا الفتى في الدار معتزِلاً
كما توحَّد نُسّاكٌ ورهبانُ

يأتي المساءُ عليه وهو مكتئبٌ
ويرجِع الليلُ عنه وهو حيْران

يمُر بالقُربِ منّا لا يكلّمُنا
وللحديث مجالٌ، وهو ملْسان[1]

وإنْ نكلّمْهُ لا يفقَهْ مقالتَنا
إلا كما يفقَهُ التسبيح سكرانُ

إذا تبسَّم، لا تبدو نواجذُه
وإن بكى، فله نَزْعٌ وإرنان[2]

كأنما نيطَتِ الدنيا بعاتقه
كأنما كلُّ عضوٍ فيه بُركان

فلا ابتسامُ ذوات الغُنْجِ يُطربُهُ
ولا ابنةُ الحانِ تُصبْيهِ ولا الحان

أما له أملٌ حلوٌ يلَذّ به
كما تلَذّ بمرأى النُّور أجفان

---

(١) ملسان: صاحب لسان ذرب.

(٢) النزْع: المجاذبة والحنين والمغالبة. والإرنان: تصعيد الرنّة، والتصويت.

أمــا له جِـيــرةٌ فـي الأرض يــألــفُــهمْ؟
يــا جــارتي! كــان لـي أهلٌ وجِـيــران
فَــبــتَّتِ الحــربُ مــا بــيــنـي وبــيــنــهمُ
كــمــا تُــقَــطِّعُ أمــراسٌ وخــيــطــان
فــالــيــوم كلُّ الــذي في مُــهْــجــتي ألَمٌ
وكلُّ مــا حــولَــهمْ بــؤسٌ وأحــزان
وكــان لـي أملٌ إذا كــان لـي وطَنٌ
فــيه لــنــفــسـي لــبــانــاتٌ وخلاّن
فــجــرَّدتْهُ الــلَّــيــالي من مــحــاســنه
كــمــا يُــعــرّى من الأشــجــار بُــســتــان
فلا الــمــغــاني الــتي أشــتــاقُ رؤيــتَــهــا
تــلك الــمــغــاني، ولا الــسُّــكّــان سُــكّــان
لــو المــروءةُ تَــدري أيَّ فــاجــعــة
بــالــشــام، نــاح عــلــيــهــا الإنسُ والجــانُ
ولــو يــبثّ بــنــو لــبــنــانَ لــوعــتَــهمْ
لاهــتــزّتِ الأرضُ لــمّــا اهــتــزّ لــبــنــان
قــالت: شــكــوت الــذي بــالخَــلْق كــلِّــهمُ
ومــا كــذَبــتُك إن الحــرب طــوفــان
تــســاوتِ الــنــاسُ في الــبــلوى، فــقــلتُ لــهــا
هــيــهــات، مــا هــانَ قــومٌ مــثــلــمــا هــانــوا
أمنْ يمــوتُ ولا ســتْــرٌ يــظــلِّــلُه
كــمن عــلــيه أكــالــيلٌ وتــيــجــان؟
قــالت: ويــا ويح نــفــسي من مــقــالــتــهــا
كَــفْــكفْ دمــوعَك، بــعضُ الحــزن أهــوان[1]

(١) الهُون: الشدة والمضرة.

لـــو كـــان قـــومُك أهلاً لـــلـــحـــيـــاة لمـــا
مـــاتـــوا وفـي أرضـــهـمْ تُـــرْكٌ وألمـــان
وكلٌّ من لا يـــرى فـي الـــذلّ مـــنْـــقـــصـــةً
لا يـــســـتـــحقّ بـــأن يـــبـــكـــيه إنـــســـان
كُـــفِّي ملامَك يـــا حـــســـنـــاءُ واتَّـــئـــدِي
فـــإن مـــدْح ذوي الـــعُـــدوان عُـــدوان
وأنتِ من أمَّـــة تـــأبى خلائـــقُـــهـــا
أن يـقـتلَ الـطَّـيـر في الأقـفـاصِ سـجّـان
وإن قـــومي طـــيـــورٌ غـــيـــرُ كـــاســـرةٍ
سـطتْ عـلـيـهـا شـواهـينٌ وعـقـبـان[1]
لا تحـــســـبي أنـــني أبـــكي لمـــصـــرعـــهمْ
فـــكـــلُّـــنـــا لـــلـــرّدى شـــيبٌ وشُـــبّـــان
لـــكن بـــكَـــيْتُ من الـــبـــاغي يُـــعـــذّبُـــهم
وهم شـــيـــوخٌ وأطـــفـــالٌ ونِـــســـوان
ورحتُ أشـــكـــو إلـــيـــهـــا وهـي ســـاهـــيـــةٌ
لـكـنـمـا قـلـبُـهـا الخـفّـاقُ يـقـظـان
حتى انـتـهـيتُ فـصـاحتْ وهـي مُـجْـهِـشـةٌ:
يـــا لـــيت مـــا قـــلـــتَه زُورٌ وبُـــهـــتـــان
بل لـــيـــتَـــني لم أُســـائلْ عـــنك جـــارتَـــنـــا
بل لـــيت قـــلـــبي إذ ســـاءلتُ صـــوّان
يـا لـيت شـعـري وهـذي الحـربُ قـائـمـةٌ
هل تـنـجـلـي ولـنـا في الـشَّـام إخـوان؟
وهل تَـــعـــودُ إلى لـــبـــنـــانَ بـــهـــجـــتُه
وهل أعـــود وفي لـــبـــنـــانَ نَـــيْـــســـان؟

---

(١) الشاهين والعُقاب: من سباع الطير.

فـأسـمعُ الـطَّـيـر تـشـدو في خـمـائـلـه

وأُبـصـرُ الحـقلَ فـيه الـشِّـيحُ والـبـان؟

بـــنـي بلادي! ولا أدعـــو بـــخـــيـــلَـــكُمُ

غـــيـــرُ الـــبـــخـــيلِ لـه قـــلبٌ ووِجـــدان

بـــنـي بلادي! ولا أدعـــو جـــبـــانَـــكُمُ

مـــا لـــلـــجـــبـــانِ ولا لـي فـــيه إيمـــان

بـــنـي بلادي! وكم أدعـــو.. ألـــيس لـــكمْ

كـــســـائـــر الخَـــلْقِ أكـــبـــادٌ وآذانٌ؟

لا تـضـحـكوا وبـأرض الـشَّـامِ نـائـحـةٌ

ولا تـــنـــامـــوا وفـي لـــبـــنـــانَ ســـهـــران!

****

٦١ - هَمْلِت

[السريع]

يـــا نــــبـــأً سُـــر بـه مـــسْـــمـــعي
حـــتـى تــــمــــنّى أنـه الـــــنـــاقلُ
أنْـعش في نـفـسي الـمُـنى مـثـلـمـا
يُـحـيي الجـديب الـواكفُ الـهـاطل
عــــــرفتُ مـــــنه أنّ ذاك الحــــمى
بـــالـــصـــيـد من فـتـيـانـنـا آهل
عـصــابــةٌ كــالــعـقْـد في «أكــرنٍ»
يـعـتـزّ فـيـهـا الـفـضلُ والـفـاضل
من كل مـــقــــدامٍ رجـيـح الـنُّـهى
كـــالـسَّـيف إذ يـصـقُـلُه الـصَّـاقل
الــــبــــدْرُ من أزراره طـــــالعٌ
والـــغـــيثُ من راحـــته هـــامل
وكلُّ طـــلْقِ الـــوجه مـــوفـــورِه
في بُـــردَتـــيه ســـيّـــدٌ مـــاثل

✲✲✲✲✲

شـبـيـهـةَ الـشـرقِ، انـعـمي واسْـلـمي
كـي تــــســـــلـم الآمـــــالُ والآمل
بـــكُمْ وبـــالـــرّاقـــينَ أمـــثـــالـــكمْ
يـــفـــتـــخـــرُ الـــعـــالِم والـــعـــامل
بـــعـــثـــتُمُ «هـــمـــلت» من رَمْـــسه
«فَـــهـــمْـــلَتٌ» بـــيـــنـــكمُ مـــاثل

يمشي ويمشي الطيفُ في إثره
كلاهما ممّا به ذاهل
لا يضحك السَّامعُ من هزْله
كم عظة جاء بها الهازل
روايةٌ يظهر فيها لكمْ
كيف يُداجي الصادقَ الخاتلُ[1]
وتنكُثُ المرأة ميثاقَها
وكيف يُجزَى المجرمُ القاتل
وإنما الإنسانُ أخلاقُه
لا يستوي الناقصُ والكامل
والنفسُ كالمرآة إن أُهملتْ
يعلو عليها الصدأُ الآكل
والناسُ أدوارٌ، فَذا صاعدٌ
يراودُ الشُّهب وذا نازل
والدهر حالاتٌ، فيومٌ به
نحسٌ، ويومٌ سعدُه كامل
فَمثِّلوا الجهلَ وأضراره
حتى يُعادي جهلَه الجاهل
ومثِّلوا الفضلَ وآياته
كي يستزيد الرجلُ الفاضل
وصوروا المجد بلألائه
عسى يُفيقُ الهاجعُ الغافل
ويرجعُ الشَّرقُ إلى أوْجه

(١) المداجاة: المداراة والمخاتلة.

كـــمـــا يـــعـــودُ الـــقـــمـــرُ الآفل

وابـــنـــوا إلى الآتـــينَ من بـــعـــدكمْ

يـــبْنِ لمن يـــخـــلُـــفه الـــقـــابل

مـــا دمـــتُمُ لـــلـــحقّ أنـــصـــاره

هـــيـــهـــات أنْ يـــنـــتـــصـــر الـــبـــاطل

****

٦٢ - العيون السود

[الكامل]

ليت الذي خلَقَ العيونَ السُّودا
خلَقَ القلوب الخافقاتِ حديدا
لولا نواعسُها ولولا سحْرُها
ما ودَّ مالك قلبِه لو صِيدا
عوِّذْ فؤادَكَ من نبال لحاظها
أو مُتْ كما شاء الغرامُ شهيدا
إنْ أنت أبصرت الجمالَ ولم تَهِمْ
كنت امرءًا خشنَ الطِّباع، بليدا
وإذا طلبت مع الصَّبابة لذةً
فلقد طلبت الضائع الموجودا
يا ويح قلْبي إنه في جانبي
وأظنُّه نائي المزارِ بعيدا
مُستوفِزٌ شوقًا إلى أحبابه
المرءُ يكره أن يعيش وحيدا
برأَ الإلهُ له الضلوع وقِايةً
وأرتْهُ شقْوته الضلوعَ قُيودا
فإذا هفَا برقُ المنى وهفا له
هاجتْ دَفائنُه عليه رُعودا
جشَّمتُه صبرًا فلَمّا لم يُطِقْ

---

(١) التصويب: انخفاض التنفس. والتصعيد. تنفس الصُعَداء، وهو تنفّس يمتد.

جشّمتُه التّصويب والتّصْعيدا[1]

لو أستطيعُ وقَيتُه بطْش الهوى

ولو استطاع سَلا الهوى محْمودا

هي نظرةٌ عرضتْ فصارت في الحشا

نارًا، وصار لها الفؤادُ وَقودا

والحبُّ صوتٌ، فهو أنّةُ نائحٍ

طَورًا وآونةً يكون نَشيدا

يهبُ البواغم ألْسُنًا صدّاحةً

فإذا تجنّى أسْكت الغريدا[1]

ما لي أكلّفُ مُهجتي كتْم الأسى

إن طالَ عهدُ الجرحِ صار صديدا

ويلَذّ نفسي أن تكونَ شقيّةً

ويلَذّ قلبي أن يكون عميدا[2]

إن كنت تدري ما الغرامُ فداوني

أو لا، فَخَلِّ العذْل والتّفنيدا

✡✡✡✡✡

يا هندُ قد أفنى المطالُ تصبُّري

وفنيتُ حتى ما أخافُ مزيدا

ما هذه البِيضُ التي أبصرتِها

في لمّتي إلا الليالي السُّودا

ما شبْتُ من كبرٍ ولكنّ الذي

حمّلْتُ نفسي حمّلَتْهُ الفُودا[3]

هذا الذي أبلى الشّباب ورَدّهْ

---

(١) البُغام: عدم الإفصاح في الحديث، وبُغام الظبية: صوتها (بغَمت - تبغُم).

(٢) العميد: الشديد الحزن (مثل المعمود).

خَلَقًا وجعّد جبْهتي تَجعيدا

علّمتِ عيني أن تسحَّ دموعُها

بالبخل علّمت البخيلَ الجودا

ومنعتِ قلبي أن يقَرَّ قَرارُه

ولقد يكون على الخطوب جليدا

دلّهْتني وحميْتِ جفني غُمْضَهُ

لا يستطيع مع الهموم هُجودا

لا تعجبي أنّ الكواكب سُهَّدٌ

فأنا الذي علّمتُها التَّسْهيدا

أسمعتُها وصف الصَّبابة فانثنَتْ

وكأنما وطئ الحُفاةُ صُرودا(١)

متعثراتٍ بالظلام كأنَّما

حالَ الظلامُ أساودًا وأُسُودا(٢)

ولو أنَّها عرفتْ مكانَكِ في الثَّرى

صارتْ زواهرُها عليك عُقودا

أنتِ التي تُنسي الحوائج أهلَها

وأخا البيانِ بيانَه المعْهودا

ما شمْتُ حُسنَكِ قطُّ إلا راعني

فوددتُ لو رُزِق الجمالُ خُلودا

وإذا ذكرتكِ هزّ ذكرُكِ أضلعي

شوقًا كما هزّ النسيمُ بُنودا

فحسبتُ سقْطَ الطلّ نوب محاجري

لو كان دمعُ العاشقين نَضيدا

وظننتُ خافقةَ الغصونِ أضالعا

---

(١) الصرد: مسمار في سنان الرمح، وجمعه: صُرود.
(٢) الأساود (جمع الأُسْد. جمع الجمع).

وثِـــمــــارهنَّ الـــفـــانـــيـــات كُـــبُـــودا

وأرى خــــيــــالَك كلَّ طَـــرْفـــة نــــاظـــرٍ

ومن الـــعـــجـــائب أن أراه جـــديـــدا

وإذا ســـمـــعتُ حـــكـــايـــةً عن عـــاشقٍ

عـرضـا حـسبْـتُـني الـفـتـى الـمقْـصـودا

مـــســـتـــيـــقظٌ ويُـــظَنُّ أني نــــائمٌ

يـا هـنـدُ، قـد صـار الـذهـولُ جـمـودا

ولـقـد يـكـون لـي الـسُّـلـوُّ عن الـهـوى

لـــكـــنـــمـــا خُـــلِقَ الـــمُـــحب ودودا

****

٦٣ - هاتها

[مجزوء المديد]

هـــاتـــهـــا فـي الـــقــدحِ	نـــســـمـــةً في شـــبحِ
هـــاتـــهـــا فـــالـــنـفسُ في	حـــاجـــة لـــلـــفـــرح
واسـقـنـيـهـا كَـوْثـرًا	وعـــلَـيّ اقـــتـــرحِ
إن تـــكنْ قـــدْ حُـــرمتْ	فـــعـلـى الـــمـــســتـقـبحِ
هـي في صُـــفـــرَتـــهـــا	طـلـعـةُ الـمـفـتَـضِـحِ[1]
وهـي في حُـــمـــرَتـــهـــا	كَـخُـدَيْـد[2] الـمـســتـحـي
وهـي في شـــدّتـــهـــا	ثـــورة المجـــتَـــرِحِ[3]
وهـي في رِقّـــتـــهـــا	خـــاطـــرٌ لـم يـــلُحِ
أتَـــراهـــا شـــفـــقًـــا	كُـــلِّـلتْ بـــالـــصُّـــبُحِ
أم هـي الـوجْـنـاتُ قـد	نُوِّبـتْ فـي قـــــدحِ؟

****

---

(١) تغير اللون عند الافتضاح.
(٢) تصغير الخدّ.
(٣) المرتكب أو المكتسب.

٦٤ - إلى صديق

[الكامل]

ما عزَّ من لم يصحبِ الخَذما
فاحْطِمْ دواتَك؛ واكسرِ القلما[1]
وارحمْ صباكَ الغضَّ، إنهمُ
لا يحملونَ، وتحملُ الألما
كم ذا تُناديهمْ وقد هجعوا
أحسبت أنك تُسمِعُ الرمما
ما قام في آذانهم صمَمٌ
وكأنّ في آذانهمْ صمما
القومُ حاجتُهمْ إلى همم
أوَ أنت ممن يخلُقُ الهِمما؟
تالله لو كنت «ابن ساعدةٍ»
أدبا «وحاتم طيِّئٍ» كرما[2]
وبذَذْت «جالينوس» حكمتَهُ
والعلْمَ «رسْطاليس» والشَّمما[3]
وسبقْت «كولبوس» مكتشفًا
وشأوت «أديسونَ» مُعْتزِما
فَسلَبْت هذا البحر لؤلؤَهُ
وحبوتَهمْ إيّاهُ مُنتظما

---

(١) الخَذَم: سرعة القطع. يريد: السيف.

(٢) قسّ بن ساعدة الإيادي: من حكماء العرب، وحاتم من كرمائهم.

(٣) جالينوس Galènes: الطبيب اليوناني الذي اعتمده أطباء العرب.

وكــشــفت أســرار الــوجــود لـــهمْ
وجــعــلت كلَّ مُــبــعَّــدٍ أَمَــمــا[1]
مــا كــنت فــيــهمْ غــيــر مــتَّــهمٍ
إني وجــدتُ الحُــرَّ مُــتَّــهــمــا
هــانــوا عــلى الــدُّنــيــا فلا نــعــمــا
عــرَفَــتْــهُمُ الــدنــيــا ولا نــقَــمــا
فــكــأنمــا في غــيــرِهــا خُــلــقُــوا
وكــأنمــا قــد آثــروا الــعــدمــا
أوَ مــا تَــراهُمْ، كــلَّــمــا انــتــســبــوا
نَــصــلــوا[2] فلا عُــرْبًــا ولا عــجــمــا
لــيــســوا ذوي خَــطــرٍ وقــد زَعــمــوا
والــغــربُ ذو خــطَــرٍ ومــا زَعــمــا
مُــتَــخــاذلــينَ عــلى جــهــالــتــهمْ
إنّ الــقــويّ يــهــونُ مــنــقــســمــا
فــالــبــحــرُ يــعــظُمُ وهــو مــجــتــمِعُ
وتــراهُ أهــونَ مــا يُــرى دِيــمــا
والــسُّــورُ مــا يــنــفكُّ ممــتــنــعــا
فــإذا يُــنــاكــرُ بــعــضَه انــهــدمــا
والــشــعبُ لــيس بــنــاهضٍ أبــدًا
مــا دام فــيــه الخُــلْفُ مُــحــتــكــمــا
يــا لَــلأديبِ ومــا يُــكــابِــدُه
في أمّــة لا تــشــبــه الأُمَــمــا
إن بــاح لــم تَــســلــمْ كــرامــتُه

---

(١) أمامهم، في أنظارهم.

(٢) فصَل ونزَع.

والإثمُ كلُّ الإثمِ إن كَتَما

يبكي فتضحكُ منه لاهيةً

والجهلُ إن يبْك الحجا ابْتسما

جاءت وما شعر الوجودُ بها

ولَسوف تمضي وهو ما علما

سار الشُّعوبُ إلى العُلا عنَقًا

ونَتْ فلم تَنقُلْ لها قَدما[1]

ما أحدثتْ في الدهر طارفةً

تبقى، وليس تَليدُها علَما

ضعُفتْ فلا عجبُ إذا اهتُضمتْ

الليثُ، لولا بأسُه، اهتُضما

فلقد رأيتُ الكونَ، سُنّتُه

كالبحر يأكلُ حوتُه البلَما[2]

لا يرحمُ المقدامُ ذا خَورٍ

أو يرحمُ الضّرغامةُ الغَنَما؟

✡✡✡✡

يا صاحبي، وهواك يجذِبُني

حتى لأحسبُ بيننا رحِما

ما ضرَّنا، والودُّ ملتئِمُ

ألا يكونَ الشَّملُ مُلتَئما

الناسُ تقرأ ما تُسطِّرُه

حبرًا، ويقرؤه أخوكَ دما

فاسْتبقِ نفْسا، غيرُ مُرْجِعها

---

(١) العَنَق: السير الفسيح السريع. والوَنى: البطء والتراخي.

(٢) البلم: السمك الصغير.

عضُّ الأنامل بعدها ندما

ما أنت مُبْدلُهم خلائقَهُمْ

حتى تكونَ الأرضُ وهْي سما

زارتْكَ لم تَهتكْ معانيها

غَرّاءُ يهتكُ نورُها الظُّلَما

سبقَتْ يدي فيها هواجِسهُم

ونَطَقْتُ لما استصحبوا البُكُما

فإذا تُقاسُ إلى روائعهمْ

كانتْ روائعُهمْ لها خَدما

كالرّاحِ لم أرَ قبلَ سامعها

سكرانَ، جِدَّ السُّكْر، مُحْتشما[1]

يخدُ القفَارَ بها أخو لَجبٍ

يُنسي القفَار الأينُقَ الرُّسُما[2]

أقْبسْتُه شوقي فأَضْلُعُه

كأضالعِي مملوءةٌ ضرما

إن الكواكب في منازلِها

لو شئتُ لاستنزلتُها كَلما

****

---

(١) جِدّ السكر: غايته وقوته.

(٢) الوخْد: الإسراع وتوسيع الخطو. والأنيق الرسم. صفة للنوق.

٦٥ - باخرة الإغاثة

[الكامل]

سـيـري تُـراعـيك الـنـجـومُ الـسَّـاهـرهْ
لـيلاً، وعـينُ الـشـمس عـنـد الـهـاجـره
فَلأَنت عـنـد الـشَّـرقِ أجـملُ بـاخـره
تجـري إلـيه بـهـا المـيـاهُ الـزَّاخـره
يـا لـيت أني فـيك أو إيّـاك

سـيـري تـداعبُ فـوقَك الـريحُ الـعـلَمْ
وتُلاطفُ الـبـحـر الخـضـمَّ إذا احـتـدمْ
بُـوركتِ بـاخـرةً وبـورِكَ مِن عـلَمْ
فـيك الخلاصُ لـسـاكـني تـلك الأَكَم
يـا لـيت أني فـيك أو إيّـاك

في الـشَّرقِ أحـبابٌ على جـمـرِ الـغَضَـا[1]
نَـقَمَ الـزمـانُ عـلـيـهمُ بـعـد الـرضـا
هـجـروا الـكَرى وتـطلّـعوا نـحـو الـفـضـا
يـتـوقّـعـونَك كـلـمـا بـرْقٌ أضـا
سـيري فـإن الحـرب[2] فـي مـسْراك

بـيـروتُ... يـا بـنت الـبُـخـارِ الجـاريهْ

(١) شجر خشبه صلب، تحرق غصونه، وفحمه صلب. يكثر في نجد.

فـــإذا سُــئـلــت من الــبــقــايــا الــبــاقَــيه

قـــولي لــــهـم: إنّ الحـــيـــاة الــــهـــانـــيه

لم تُـــنـــســـنـــا سُــكّـــان تـــلك الـــنـــاحـــيه

أمّـــا الــدلــيل، فــحــسْــبُــنــا إيّـــاك!.

****

٦٦ - مصرع القمر

[مختلط]

لوعةٌ في الضُّلوعِ مثلُ جهنَّمْ

تركتْ هذه الضّلوع رمادا

بتُّ مرمى للدهر بي يتعلّمْ

كيف يُصمي القلوب والأكبادا

كيف ينجو فؤادُه أو يسلَمْ

من تَمادى به الأسى فَتَمادى

أنا لولا الشُّعورُ لم أتألّمْ

ليت هذا الفؤاد كان جمادا

✡✡✡✡✡

كيف لا أبكي وفي العين دموعْ

كيف لا أشكو وفي القلب صُدوعْ

قلَّ في الناس من صبرْ

مختارا

✡✡✡✡✡

لحظةً، ثم صار ضحْكي وجِيبا

ونشيجا، والنومُ صار سُهادا

ربِّ لَمّا خلقت هذي الخُطُوبا

لم لمْ تَخلُق الحشا فُولادا

كلَّما قلتُ قد وجدتُ حبيبا

طلع الموتُ بيننا يتَهادى

صـــرتُ في هـــذه الحـــيـــاة غـــريـــبـــا

لـــيت سُـــهـــدي الـــطـــويلَ كـــان رُقـــادا

☼☼☼☼☼

فـــتـــجـــلَّـــدْ أيـــهـــا الـــقـــلبُ الجـــزوعْ

أو تـــدفّقْ كـــلـــمـــا شـــاء الـــوَلُـــوعْ

عـــنْـــدمـــا أو دمـــا هُـــدِرْ

أو نـــارا[1]

☼☼☼☼☼

كـــان بـــين الـــكـــرى وبـــيـــني صُـــلْحٌ

فـــأراد الـــقـــضـــاءُ أن نـــتـــعـــادى

لم أكـــدْ أخـــلـــعُ الـــسَّـــواد وأصـــحـــو

من ذُهـــولي، حـــتى لَـــبِـــستُ الـــسَّـــوادا

في فـــؤادي، لـــو يـــعـــلمُ الـــنـــاسُ، جُـــرحٌ

لا يُلاشَـــى حـــتى يُلاشي الـــفـــؤادا

يـــا خَـــلـــيـــلي! هـــيـــهـــات يـــنـــفعُ نُـــصْحٌ

بـــعـــدمـــا ضـــيّع الحـــزينُ الـــرَّشـــاد

☼☼☼☼☼

أنت لا تـــســـتـــطـــيعُ إحـــيـــاءَ الـــصَّـــريعْ

وأنـــا، حـــمْلَ الأسى لا أســـتـــطـــيعْ

ذا الـــذي صـــيّـــر الـــكَـــدَرْ

أكـــدارا[2]

☼☼☼☼☼

---

(١) العَنْدم: نبت يستخرج منه صِباغ أحمر.

(٢) الإكدار. جمع الكدر.

يــا ضــريــحــا عــلــى ضــفــاف الــوادي

جــاد من أجــلــك الـــغَـــمـــامُ الـــبلادا

فـــيك أودعتُ، مـــنـــذُ ستٍّ، فـــؤادي

وبـــرَغـــمي أطـــلْتُ عـــنك الـــبُـــعـــادا

غـــيـــر أني، وإن عـــدَتْـــني الـــعـــوادي

مـــا عـــدَتـــني بـــالـــروح أن أرتـــادا

أنـــبـــتَتْ حـــولكَ الـــزهـــور الـــغـــوادي

والـــلـــيـــالي أنـــبـــتنَ حـــوْلِي الـــقَـــتَـــادا

✡✡✡✡

وذبـــولُ الـــغـــصنِ في فـــصلِ الـــربـــيعْ

لـــو رآه شـــجـــرُ الـــروضِ الـــمـــريعْ

جـــمـــد المـــاءُ في الـــشـــجـــرْ

مُحتـــــارا

✡✡✡✡

كـــيف لا يـــتّـــقِي الـــكَـــرى أجـــفـــاني

وجُـــفـــوني قـــد اســـتَـــحـــلْن صـــعـــادا

ودمـــوعي بـــلـــونـــهـــا الأُرجـــواني

مـــنـــهَلٌ لـــيس يُـــعـــجِب الـــورّادا

والـــذي في الـــضـــلـــوع من نـــيـــرانِ

صـــار ثـــوبـــا ومـــقْـــعـــدًا ووِســـادا

كـــيف يـــقـــوى عـــلى الـــشّـــدائـــد عـــانٍ

أكل الـــسُّـــقْمُ جـــســـمه أو كـــادا

✡✡✡✡

فـــإذا مـــا غَـــشِي الـــطـــرْف الـــنـــجـــيعْ

فـــتـــذكّـــرْ أنه الـــقـــلـــبُ الـــصَّـــديعْ

كَــــظَّهُ الحُـــزنُ فـــانــــفـــجـــرْ

انفجــــــــارا

✲✲✲✲✲

طـــائـــرٌ كـــان في الـــرُّبـــا يـــتـــغـــنّى

أصــبح الـــيــوم يـــحـــملُ الأصْـــفَـــادا

غـــصُنٌ كـــان والـــصـــبـــا يـــتـــثـــنّى

هــــصـــرتْهُ يـــدُ الـــرَّدى فَـــانْـــآدا

نـــال مـــني الـــزمـــانُ مـــا يـــتـــمـــنّى

وأبى أن أنــــالَ مـــــنـــه مُـــــرادا

وتجـــنّى مـــا شـــاء أن يـــتَـــجـــنّى

واســـتَـــبـــدّتْ صُـــروفُهُ اسْـــتـــبـــدادا

✲✲✲✲✲

حـــطّمَ الـــسَّـــيف ومـــا أبـــقى الـــدروعْ

وتَـــداعى دونَهُ الـــسُّـــورُ المـــنـــيعْ

وأَراني مـن الـــــعـــــبـــــرْ

أطــــــوارا

✲✲✲✲✲

مـــا لـــهـــذي الـــنـــجـــومِ تـــأبى الـــشُّـــروقـــا

أتـــخـــافُ الـــكـــواكبُ الأرصـــادا

فَـــرطَ الـــبـــينُ عـــقـــدهـــا الـــمـــنـــســـوقـــا

أمْ لـــمـــا بيْ أرى الـــبـــيـــاض ســـوادا

أَمْ فَـــقـــدْن كـــمـــا فـــقَـــدتُ شـــقـــيـــقـــا

فَـــلَـــبـــسْن الـــدُّجى عـــلـــيه حـــدادا(١)

---

(١) فقد أبو ماضي ثلاثة من إخوته، والأول أصغر منه، ولعله هو الذي يذكره هنا وكان رثاه في قصيدته (البدر

مـا لـعـيـنـي لا تُـبـصـرُ الـعـيُّـوقـا

ولـقـد كـان سـاطـعـا وقَّـادا[1]

✿✿✿✿

سـافـرًا يـخـتـالُ في هـذا الـرقـيعْ

هل أتـاهُ نـبـأُ الخـطبِ الـفـظـيعْ[2]

أم رأى مـصـرعَ الـقـمـرْ

فتَوارى

✿✿✿✿

سـدّدَ الـدهـرُ قـوسـه ورمـاني

لم تَـحـدْ مُـهـجـتي ولا الـسَّـهمُ حـادا

هـكـذا أسـكـتتْ صُـروفُ الـزمـانِ

بُـلـبُلاً كـان نَـوْحُهُ إنـشـادا

فـهُـو الـيـوم في يـد الـسَّـجّـانِ

يـشـتـهي كلَّ سـاعـة أن يُـصـّادا

فـاحـسـبـوني أُدرجتُ في الأكـفـان

إن أَنـفْـتُمْ أن تحـسـبـوا الـقـولَ بـادا

✿✿✿✿

لـيس في هـذي ولا تـلـك الـربـوعْ

مـا يـسـلّي الـنـفْس عن ذاك الـضـجـيعْ

قـبـرَهُ، جـادك المـطـرْ

مـدْرارا

****

---

(١) العيّوق. نجم أحمر مضيء، في طرف المجرّة الأيمن.

(٢) الرقيع: الرقعة، ويقصد رقعة السماء.

٦٧ - في فراش المرض

[الطويل]

مرضتُ فأرواحُ الصحاب كئيبةٌ
بها ما بنفسي، ليت نفسي لها فدا

ترفّ حيالي كلما أغمض الكرى
جفوني جماعاتٍ ومثْنَى وموْحدا

تراءى فآنًا كالبدور سوافرًا
وآونةً مثلَ الجُمان مُنَضَّدا

وطورًا أراها حائراتٍ كأنها
فراقدُ قد ضيّعن في الأرض فرقَدا

وطورًا أراها جازعاتٍ كأنما
تخاف مع الظّلماء أن تتَبدّدا

أحنّ إليها رائحاتٍ وعوّدًا
سلامٌ عليها رائحاتٍ وعوّدا

تهشُّ إليها مقبلاتٍ جوارحي
كما طَرِب السَّاري رأى النور فاهتدى

وأُلقي إليها السمع ما طال همْسُها
كذلك يسترعي الأذانُ المُوحدا

ويغلبُ نفسي الحزنُ عند رحيلها
كما تَحزنُ الأزهارُ زايلَها الندى

كرهتُ زوالَ الليل خوف زوالها
وعوّدتُ طرفي النوم حتى تعوَّدا

ولو أنها في الصحْوِ تطرُق مضْجعي
حميْتُ الكرى جفني وعشتُ مُسهّدا
ولو لم تكن تعتاد مني مثلَها
خيالاتُها همّتْ بأن تتقيّدا
فيا ليتني طيفٌ أروح وأغتدي
ويا ليتَها تستطيعُ أن تتقيّدا
نحلْتُ إلى أن كدتُ أُنكرُ صورَتي
وأخشى لفَرط السُّقم أن أتنهّدا
مبيتي على مثلِ الوثيرِ ليانةً
وأحسبني فوق الأسنّة والمُدى
كأن خيوطَ المهد صارت عقاربا
كأن وِسادي قد تحوّل جلْمدا
لقد توشك الحمّى، إذ جدّ جِدُّها
تُقوّم من أضلاعي المتأوّدا(١)
تُصوِّرُ لي طيف الخيال حقيقةً
وأحسب شخصا واحدًا متعدّدا
لقد ضعضعتْني، وهي سرٌّ، ولم يكن
يُضعضعُني صرْفُ الزمان إذا عدا
إذا ما أنا أسندتُ رأسي إلى يدي
رمتْني منها بالذي يوهنُ اليدا
تغلغلَ في جسمي النحيلِ أُوارُها
فلو لم أقُدَّ(٢) الثوب عنه توقّدا
رأيتُ الذي لم يُبصرِ الناسُ نائما
وطُفتُ الدُّنا شرقًا وغربا مُوسدا

---

(١) المتأود: المتمايل.

يقول النِّطاسي لو تبلّدت ساعةً
تبلّدتُ لو أني أُطيق التَّبلُّدا[1]

تهامس حولي العائدونَ ورجَّموا
وعنّف بعضُ الجاهلين وفنَّدا

فما ساءني إلا شماتةُ معشرٍ
رجوتُ بهم عند الشدائد مُسعدا[2]

أسأتُ إليهمْ، بل أساؤوا فإنني
ظننتهمُ شرواي خُلْقًا ومحْتدا

أحبَّ الضّنى قومٌ لأني ذُقته
وأحببته، كيما يُحبَّ ويُحسدا

وودّ أناسٌ لو يعاجلُني الرّدى
كأني أرجو فيهمُ أن أُخلَّدا

وما ضمنوا ألا يموتوا، وإنما
يودّ زوالَ الشمس من كان أرمدا[3]

إذا الليلُ أعياه مساجلةُ الضُّحى
تمنّى لو اَن الصُّبح أصبح أسودا

على أنني والداء يأكل مُهجتي
أرى العار، كلَّ العارِ، أن أحسُد العدا

فإن الذي بالجسم لا بدّ زائلٌ
ولكنّ ما بالطبع ينفكُّ سرْمدا

لئن أَجْلَبَ الغوغاءُ حولِي وأفْحشوا

---

(١) النِّطاسي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.
(٢) الإسعاد: البكاء مع الآخر في مصيبته.
(٣) الرمد: ما يصيب العين (أرمد - رمداء).
(٤) أجلبوا: تجمعوا

فكم شتموا موسى وعيسى وأحمدا[٤]

ولا عجبٌ أن يُبغض الحُر جاهلٌ
متى عشِق البومُ الهزار المغرّدا؟[١]

وإني في كبْت العُداة وكيدهم
كَمن يسلك الدرْب القصير المعبّدا

ولكنني أعفو وللغيظ سوْرة
أعلِّمُ أعدائِي المروءةَ والنَّدى

ألا رُبّ غر خامر الشكُّ نفسَه
فلمّا رآني أبصر البحر مُزْبدا

فأصبح يخشاني وقد بِتُّ ساكتًا
كما كان يخشاني وقد كنتُ مُنشدا

ويرهبُ اسْمي أن يُطيف بسمعه
كما تتّقي الدّرداءُ حرفًا مشدّدا[٢]

ومن نال منه السّيفُ وهو مُجرَّدٌ
تهيّب أن يرنو إلى السّيف مُغْمدا

أُحبُّ الأبي الحُرَّ لا وُدّ عنده
وأقلي الذليلَ النفسِ مهما تَودّدا

وبين ضُلوعي قُلَّبٌ ما تمرّدتْ
عليه بناتُ الدهر إلا تمرّدا

ولو أن من أهوى أطال دَلاله
منعتُ هواه أن يجوزَ بي المدى

لترْمِ العوادي بِي العوادي، فإنني
تركتُ لمن يهواهما اللّهو والدَّدا[٣]

---

(١) الهزار: هو العندليب.

(٢) الدرد: خلوّ الفم من الأسنان (أدرد – درداء)

(٣) الدّد: اللهو واللعب.

****

٦٨ - رثـــــاء

المثلث الرحمة المطران رفائيل هواويني

[الكامل]

أودى فـنـورُ الـفـرقَـدينِ ضـئـيلُ
وعـلـى المـنـازل رهـبـةٌ وذهـولُ
خَـلَقَ الأسى في قـلبِ من جـهلَ الأسى
قـولُ الـمُـخـبِّـرِ: مـات رافـائـيل
فـمِن الجـوى بـين الـضُّـلوع صـواعقٌ
وعـلى الخُـدود من الـدُّموع سُـيول
قـال الـذي وجـد الأسى فـوقَ الـبُـكـا
وبـكى الـذي لا يـسـتـطـيعُ يـقـول
يـا مُـؤنس الأمـوات في أرْمـاسـهـا
في الأرض بـعْـدك وحـشـةٌ وخُـمـول
لا الـشـمسُ سـافـرةٌ ولا وجه الـثَّـرى
حـالٍ، ولا ظلُّ الحـيـاة ظَـلـيل
مـا زال هـذا الـكـونُ بـعـدَك مـثـلَه
لـكنّ نـور الـبـاصـرات كَـلـيل
نـبْـراسُـنـا في لـيلِ كلِّ مـلـمَّـة
الـلـيلُ بـعـدكَ حـالكٌ وطـويل
هـبـني بـيـانَك، إنَّ عـقـلي ذاهلٌ

ساه وغَرْبٍ يراعتي مفلول

قد فتَّ في عضُد القَريضِ وهدَّه

هولُ المصابِ، فعقْدُه محلول

ما لي أرى الدنيا كأني لا أرى

أحدًا، كأن العالَمين فُضول

أبكي إذا مرّ الغناءُ بمسْمعي

فكأن شدْوَ الشَّاديات عويل

نفسي التي علَّلتني بلقائه

اليوم لا أمَلٌ ولا تَعليل

ذوبي فإنّ العلْم ماد عمادُه

والدينُ أُغمد سيفُه المسْلول

هذا مقامٌ لا التفجعُ سُبّةٌ

فيه، ولا الصبْرُ الجميلُ جميل

ما كنتُ أدري قبل طار نعيُّه

أن النفوس من العيون تَسيل

ما أحمقَ الإنسانَ يسْكن للمنى

والموتُ يخطر حولَه ويجول

يهوى الحياةَ كأنما هو خالدٌ

أبدًا ويعلَمُ أنه سيزول

ومن العجائبِ أن يحنّ إلى غدٍ

وغدٌ، وما يأتي به، مجْهول

لا تركَنَنَّ إلى الحياة فإنها

دنيا هلوكٌ للرجال قَتول

سكَت الذي راض الكلام وقاده

حتى كأن لسانَه مكْبول

يا قائلَ الخُطَبِ الحسانِ كأنها

لجـمـــالـــهـــا، الإلـــهـــامُ والـــتَـنْـــزيل

إن كـــان ذاك الـــوجهُ حـــجَّـــبه الـــثَّـــرى

لـــلـــنـــجم في كَـــبِـــد الـــســـمـــاء أُفـــول

لـــيس الحـــمـــامُ بـــنـــاقـــدٍ لـــكـــنـــمـــا

قـــدْرُ الـــعـــظـــيم عـــلـى الـــعـــظـــيم دَلـــيل[1]

نَـمْ تَـــحـــرُسُ الأمـلاكُ قـــبـــرَكَ، إنـه

فـــيه الـــوقـــارُ وحـــولَه الـــتـــبـــجـــيل

فـــلـــكم قـــطـــعت الـــلـــيلَ خـــافٍ نجـــمُه

مـــتـــهـــجـــدًا، والـــســـاهـــرون قـــلـــيل

مُـــســـتـــنـــزلاً عـــفْـــو الإله عن الـــورى

حـــتى كـــأنَّك وحـــدك الـــمـــســـئـــولُ

تـــبـــغي الـــلـــذاذاتِ الـــنـــفـــوسُ وتَـــشـــتـــهي

والـــلـــهَ مـــا تَـــبـــغـــيه والإنجـــيـــل

لـــولا مـــدارس شـــدْتَـــهـــا وكـــنـــائسُ

مـــا كـــان إلا الجـــهـلُ والـــتَّـــعْـــطـــيـــل

أنـــفـــقـت عـــمـــرَك في الإله مُـــجـــاهـــدًا

أجْـــرُ المجـــاهـــد في الإله جـــزيـــل

****

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي (كمال الدين ابن النبيه ت ٦١٩ هـ):

«والموت نقّاد على كفه   جواهرٌ يختار منها الجيادْ»

(١) يريد بالهلال: الأتراك، لأنه مرسوم على علَمهم، ويرمز إليهم. ولكن هل يمكن فصله عن التراث الإسلامي ؟ ودالَ: غُلب ودارت الدائرة عليه، والإدالة: النكبة.

(٢) القَرْم: السيد. والأصْيد من الصيد، وهو: رفعُ الرأس رفعة وكبراً

(٣) يريد الجزيرة العربية.

٦٩ - فتح أورشليم

[الكامل]

لــلـه مـــا أحـــلى الـــبـــشـــيـــر وقـــولَه:
ســـقط الـــهلالُ إلـى الحـــضـــيضِ ودَالا[١]

بُـــشـــرى نَـــســـيـــنـــا كلَّ شـيءٍ قَـبـلَــهـــا
الـــنـــاس والـــدُّولاتِ والأجـــيـــالا

ردّت عـــلى الـــشـــيـخ المـــسن شـــبـــابَه
وعـــلى الحـــزين الـــيـــائسِ الآمـــالا

وعـلى الـصـديق صـديـقَه، وعـلـيـهـمـا
أبـــويْـــهـــمـــا ؛ وعـــلى الأب الأطـــفـــالا

لـــو ســـاوم الخـــلقَ الـــذي وافى بـــهـــا
بـــــذلـــــوا له الأرواح والأمـــــوالا

✡✡✡✡

من مُـــبْـــلِـغُ الأبـــطـــالِ عـــنّي أنـــني
أهـوى الـــقُـروم الـــصـيـد والأبـــطـــالا[٢]

بـــالأمسِ قـــطَّـعتِ الجـــزيـــرةُ قـــيـــدهـــا
ورمتْ بـــوجه الـــغـــاشم الأغلالا[٣]

والـــيـــوم ودّعتِ المـــظـــالـم أخـــتُـــهـــا

---

(١) أزاحوا: طربوا

(٢) السُّمَيْدَع: السيد الكريم السخي. والعجاج: الغبار (ومفرده: عجاجة).

(٣) الغطريف: السيد السخي الكثير الخير.

(٤) يصل الأتراك بالمغول لقرب الموطن.

(٥) الباشَق: من الطيور الحادّة. والرئبال: الأسد أو الذئب.

ومشتْ تَجرُّ نيولَها إدلالا

أَبناتِ أورشليم ضمخْن الثَّرى
بالطِّيب واملأنَ الدّروب جمالا

حتى يمُرَّ الفاتحون، فإنهم
كَشُّوا[1] الأذى عنكنّ والإذلالا

فاخلعْنَ أثواب الكآبة والأسى
والبسْن من نُور الضحى سرْبالا

وانفَحن بالبسماتِ كلّ سُميْذَعٍ
خاض العجاجَ ووجهُه يتَلالا[2]

هذا مجالٌ للفتى أن يزدهي
فيه، وللحسناء أن تختَالا

يا قائد الصيد الغَطارفَة الألى
تُحنى الرؤوسُ، لذكرهم، إجلالا[3]

ظنَّ المغولُ جنودهمْ تحميهمُ
والقردُ يحسبُه أبوه غَزالا[4]

فتألّبوا وتهدّدوا وتوعَّدوا
حتى طلعت فأجفلوا إجفالا

ذُعْرُ الطُّيورِ سطا عليهمْ باشقٌ
وبناتُ آوى أبصرتْ رئبالا[5]

كم جحفلٍ بعثوا إليكَ مع الدُّجى
لاقاه جيشُك، والصباحُ، فزالا

طاردْتَهمْ فوق الجبال وتحتَها
كالليث يطرُد دونَه الأَوْعالا

فَملأْت هاتيك الأباطح والرُّبا

---

(١) الوجى: الحفا وشدّته (أن يحفى الحافر من كثرة المشي)

(٢) الكَفَل: العجُز.

بجسومهم، وملأتَهم أهوالا

وحميْت إلا السُّهد عن أجفانهم

ومنعت إلا عنهمُ الأوجالا

ساقوا إليك مئينَهم وألوفَهم

فرَقًا وسُقت إليهمُ الآجالا

وصنعت من أسيافهم ودروعهم

لرقابهم وزنودهم أغلالا

لو لم تساقطْهم إليك جبالُهم

عند الضحى زلزلتَها زِلزالا

إن يامنوا وجدوا المنايا يمنةً

أو ياسروا وجدوا الجيوش شمالا

وشكتْ خيولُك في الميادين الوجى

فجعلت أرؤسهم لهنّ نعالا[١]

ورأوكَ قد عرّضت صدرك للظُّبا

عند الحصونِ فعرّضوا الأكْفالا[٢]

هُنّئت بالنصر المُبين، فإنه

نصرٌ يعُزّ على سواك منالا

هذي القلوبُ نسجْتُها لك أحرفًا

لو أستطيع صنعتُها تمثالا

أرْضيْت موسى والمسيح وأحمدًا

والناس أجمع والإلهَ تعالى

****

(١) (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي دخل القدس في الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الجيش العثماني.

٧٠ - إلى الفاتح(١)

«ألانْـبي»، لـو طـبـعـنـا الـشـمس يـومـا
وقـلّـدنـاكـهـا سـيـفًـا صـفـيـحـا
ورصّـعـنـاه بـالـشُّـهب الـدَّراري
لمـا زدنـاك فـخـرًا أو مـديـحـا
لأنك أشـجـعُ الأبـطـال طُـرّاً
وأعـظمُ قـادة الـدنـيـا فـتـوحـا
إذا مـا مـرّ ذكـرُك بـين قـومٍ
رأيت أشـدَّهم عـيّـاً فَـصـيـحـا
فـكم داويت سـوريّـاً مـريـضـا
وكم أسـقـمت تـركـيّـاً صـحـيـحـا
وكم قـد صُـنْت في بـيـروت عـرْضـا
وكم أمّـنت في الـشـهـبـاء روحـا
غـضـبت عـلى «الـهلال» فـخـرّ ذعـرًا
ولُـحت لـه فـحـاذَرَ أن يـلـوحـا
عـصـفت بـهم فـأمـسى كلُّ حـصْنٍ
لخـيلِ الـنَّـصـرِ مـيـدانًـا فـسـيـحـا
مـشتْ بك هـمّـةٌ فـوق الـثُّـريّـا

---

(١) أحسبه يشير إلى ضريح السيد المسيح الذي نهض منه، في العقيدة المسيحية.

(٢) المدينة المعروفة في فلسطين. دخلها يشوع بن نون فاتحاً، بعد الخروج من مصر، وجرت فيها مقتلة عظيمة من سكانها الكنعانيين.

فـــزلـــزلتِ المـــعـــاقلَ والـــصُّـــروحـــا
من الـــوادي إلى صـــحـــراء ســـيـــنـــا
إلى أن زُرت ذيّـــاك الـــضَّـــريـــحـــا[1]
إلى بـــحـــر الجـــلـــيلِ إلى دمـــشقٍ
تُـــطـــارد دونَك الـــتـــركي الـــقـــبـــيـــحـــا
فـــكـــان الجـــنـــدُ كـــلُّـــهمُ يـــشـــوعـــا
وكـــانـت كلُّ ســـوريّـــا «أريـــحـــا»[2]
فـــإنْ يـــكنِ المـــســـيحُ فِـــدى الـــبـــرايـــا
فـــإنّك أنت أنـــقـــذت الـــمـــســـيـــحـــا!

****

(١) ألقاها في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الأرشمندريت أفثيموس عفيش، عندما انتخب لأسقفية بروكلن، وكان مع الوفد النيويوركي.

٧١ - في القطار[١]

[الوافر]

سرى يطوي بنا الأميالَ طيّاً
كما تَطوي السجلَّ أو الإزارا

فلم ندر وجنحُ الليل داجٍ
أ برْقًا ما ركبنا أم قطارا

بنا وبه حنينٌ واشتياقٌ
ولولا ذانِ ما سرنا وسارا

ولكنّا وسعْنا الشّوق ذَرْعًا
وضاق به فَصعَّدَهُ بُخارا

وسمّينا الذي يُخفيه وجْدًا
وسمّينا الذي يُخفيه نارا

غفا صحبي وبعضهمُ تَغافى
ولم أَذُقِ الكرى إلا غرارا

جلستُ أراقبُ الجوزاءَ وحْدي
كما قد يرقُب السّاري المنارا

يسير بنا القطارُ ونحن نرجو
لو اختصر الطريقَ بنا اختصارا

وأُقسمُ لو أحدّثُه بما بي
لحلّق في الفضاء بنا وطارا

إلى البلد الأمينِ، إلى كرامٍ

---

(١) السبسب: الأرض القفر البعيدة. والوخْد: سعة الخطو في المشي، والإسراع فيه.

(٢) العُقار: الخمرة.

يُـــــراعــــــون المـــــودّة والجِـــــوارا

إلى الـــــمُــــزداد وُدُّهُمُ لـــديـــنـــا

إذا زِدنـــا صــفـــاتـــهمُ اخـــتـبـــارا

إذا ســتــرتْ مــحــبــتَــهــا قــلــوبٌ

فُـــحـــبّي لا أُطـــيقُ له اســـتـــتـــارا

فـــيـــا إخـــوانَـــنـــا في كلّ أمْــــرٍ

أصــيــخــوا كي أخــاطــبكم جِــهــارا

طــويــنــاهــا ســبــاسب شــاســعــاتٍ

تــســيــر الــواخــداتُ بــهــا حــيــارى[1]

ولـــولا أن تـــســـيـــر بـــنـــا إلـــيــكم

ركــائــبُــنــا مــشــيــنــاهــا اخــتــيــارا

لــنــنــقُلَ من «نُــيــورْك» لــكمْ تحــايــا

تحــاكي في لــطــافــتــهــا الــعُــقــارا[2]

ونـــنـــقلَ عـــنـــكمُ أخـــبـــار صـــدقٍ

تحــاكي الــنَّــدَّ في الــروض انــتــشــارا

ســـمـــعـــنـــا بـــالـــهـــزارِ ونــحن قــومٌ

كــمــا نــهــوى الــغِــنــا نــهــوى الــهــزارا

لــــديـــكُم كـــوكبٌ وبــــنـــــا ظلامٌ

وأنـــتم تـــكـــرهـــون لـــنـــا الـــعِـــثَـــارا

جـــعـــلـــنـــا رســـمـــه في كلّ نـــادٍ

وصـــيّـــرنـــا الـــقـــلـــوب له إطـــارا

أجل، هـــذا الـــذي نـــبـــغـــيه مـــنـــكم

ونـــرجـــو لا الـــنُّـــجـــينَ ولا الـــنُّـــضـــارا

---

(١) النَّجر والنجار. الأصل والحسب.

أتـــيــــنـــاكمْ عـــلـى ظَـــمـــأ لأنّـــا
عــرفــنــا فــيــكمُ الــسُّــحُب الــغــزارا

وأنـــتم مــعـــشــرٌ طــابــوا نــفــوسـا
وأخـلاقًـــا كــمـــا كَـــرُمـــوا نـــجــارا[1]

بـــقـــيـــتم في سلامٍ واغـــتـــبـــاطٍ
تـــضــيء وجـــوهُـــكم هـــذي الـــدّيـــارا

****

(١) ألقاها في حفلة أقيمت لتكريمه، بعد سيامته، في نزل سان جورج في بروكلن (نيويورك).
(٢) الكِباء: عود البخور، أو ضرب من البخور (الجمع: كُباً).
(٣) الأرَج: توهج ريح الطيب (أرِج – يأرَج).

٧٢ - السيد المجتبى[1]

[المتقارب]

سلامٌ على السيد المُجْتَبى
كقَطْرِ الغَمام ونشرِ الكبا[2]
ويا مرْحبا بأميرِ السلامِ
وقَلّ له قولُنا: مرحبا
قُدومُك بدّد عنا الأسى
كما يكشفُ القمرُ الغيْهبا
وأحيا المُنى في فؤاد الفتى
وردّ إلى الشيخ عهد الصبا
كأني «بأيار» خيرِ الشهورِ
أتاهُ البشيرُ بذاك النَّبا
فوشّى الرياض، وحلّى الحُقولَ،
وزان الوهاد، وزانَ الرُّبا
وقال لأغصانه: صفِّقي
وللطيرِ في الأرضِ أن تَخطُبا
وللنَّسماتِ تَجوبُ البلادَ
وتملؤها أَرَجا طيّبا[3]
ورنّتْ بأذني أغاريدُها
فقلتُ لكفّي: أن تكتُبا
فهذا القريضُ حفيفُ الغصونِ

---

(١) حبا واحتبى: جلس على إليتيه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه، بذراعيه، ليستند. الاسم الحبوة، والجمع: حبى.

(٢) الصيّب: السحاب ذو المطر.

(٣) السبسب: المفازة الواسعة لا شيء فيها

وشـدْوُ الـطـيـورِ، ونـفـحُ الـصـبـا
طـلـعت فـطـال خُـفـوق الـفـؤاد
كـأنَّ به هـزَّةَ الـكَـهْـربـا
ولـيس به هـزّة الـكَـهْـربـاء
ولـكنْ رأى الـتـائهُ الـكَـوْكَـبـا
وألـقَتْ إلـيك مـقـالـيـدهـا
نـفـوسٌ تَـخـيّـرتِ الأنْـسـبـا
فـيـا صـاحب الـشِّـيمِ الـبـاهـراتِ
ويـا من تُـحَلّ لـديه الحُـبـا[1]
تـقـوَّلَ عـنكَ صـغـارُ الـنـفـوس
لأمـرٍ فـمـا أدركـوا مـأْرَبـا
ومن يـسـلُب الـشـمس أنـوارهـا
ومن ذا الـذي يُـمـسكُ الـصـيّـبـا؟[2]
فـأحـسنْ إلـيـهم وإن أخـطـؤوا
وكنْ كـالحـيـا يُـمـطـر الـسـبْـسـبـا[3]
إذا لـم تُـسـامحْ وأنت الـكـريمُ
فـمن ذا الـذي يـرحـم الـمُـذنـبـا؟

✡✡✡✡✡

لـقـد طـربِ الـتـاجُ والـصَّـولجـانُ
وحُـقَّ لـهـذين أن يـطـربـا
فـإنْ هـنـؤوك بمـا نـلْـتَه
فـإنّي أهـنّي بك الـمـنْـصـبـا

✱✱✱✱

(١) الفتاة إذا كعب ثديها
(٢) حمس الوغى: اشتدّ القتال.

٧٣ - مرآة الغرب
في سنتها التاسعةَ عشْرةَ

[الطويل]

سلامٌ عليها طفلةً وفتيّةً
كزهر الرُّبا البسَّامِ باكَرهُ القَطْرُ

كَعابٌ تَلاقى الحُسنُ والفضلُ عندها
كما يلتقي في الصفحة السطرُ والسَّطر[1]

لها صولةُ الأبطال إن حمس الوغى
وفيها حياءُ البِكْرِ عمّا به وِزر[2]

وفيها من الشيخ الحكيم وقارُه
وفيها من الخَوْد المَلاحةُ والطُّهر

ألا إن حُسْنًا لا يرافقُه النُّهى
وإن دام يوما، لا يدوم له قَدْر

✡✡✡✡

هي الروضُ فيه النّبتُ والندُّ والنَّدى
وفيه الشَّوادي المطرباتُك والزّهر

هي الشمسُ تبدو كلَّ يومٍ جديدةً
يروح بها ليلٌ ويأتي بها فجرُ

لكلِّ فتاةٍ خدْرُها وسوارُها
ولكنّ هذي كلُّ قلبٍ لها خدْر

---

(١) خلُق الثوب - يخلُق. بلي. وأخلقه: أبلاه.

يـزيـد سـنـاهـا الـطّيُّ والـنَّـشْـرُ رونـقًـا

ويُخلِقُ، حتى الـمُصْحَف، الطيُّ والنشرُ[١]

أنـيسُ الـفـتـى إن غـاب عـنه أنـيـسُه

وأنجـمُه إن غـابتِ الأنجمُ الـزُّهـر

وسـفـرٌ تـلـذّ المـرء مـحـتـويـاتُه

إذا لم يـكن في الـبـيت نـاسٌ ولا سـفْـر

إذا رضـيتْ فـالـنّـورُ في كـلـمـاتـهـا

وإن غـضـبتْ فـهي الأسـنّـة والجـمـر

وفي كلّ حـربٍ يـعـقـدُ الحقُّ فـوقـهـا

أكـالـيلَ نـصـرٍ يـشـتـهي مثـلَـهـا الـبدرُ

ولا غـرو إن عـزّتْ وهـانَ خـصـومُـهـا

فـلـلحقّ، مـهـمـا جـعـجع الـبـاطلُ، الـنصـر

فـكم مُـرجِفٍ أغـراه فـيـهـا سـكـوتُـهـا

فـلـمّـا أهـابتْ كـاد يـقـتُـلُه الـذُّعـر

وكم كـاشـحٍ غـاوٍ أراد بـهـا الأذى

ثـنى طـرفَه عـنـهـا وفي نـفـسه الـضُّـر

لـهـا في ربـوعِ الـشـرق جـيشٌ عـرمـرمٌ

وأعـوانُـهـا في الـغـرب لـيس لـهم حـصـر

ولـو كـان في المـرّيخ أرضٌ وأمّـةٌ

لـكـان لـهـا في أرضه عـسـكـرٌ مـجْـر[٢]

لتـسـحبْ ذيـولَ الـفـخـر تـيـهـا فـوحـدها

يـحِقّ لـهـا من بـين أتـرابِـهـا الـفـخـرُ

---

(١) الفَيش. الفخر (فاش فيْشاً). والهُجر. الهذيان، والقول السيّئ.

ولا غَرْوَ إنْ أهدى لها الشعرُ وحيَه
فيا طالما سارتْ وسار بها الشِّعر
ولا غرو إن صُغْنا لها النثر حلْيةً
«ففي عُنُقِ الحسناء يُستحسن الدُّرّ»
وإن يكن الأحرارُ من نُصرائها
فكم نصر الأحرار صاحبُها الحر
أديبٌ عفيف قلبُه ويراعُه
بغيضٌ إليه الطيشُ والفَيْشُ والهُجْر[1]
ثمانٍ وعشرٌ وهو يخدُم قومَه
ألا حبّذا تلك الثمانيُّ والعشْر
ففي العُسْر لم يجهر بشكوى لسانُه
وفي اليُسر لم يلعب بأعطافه الكبْر
وشرُّ المزايا أن يصيبَك حادثٌ
وتجهر بالشكوى وفي وسْعك الصّبر
أهذا كمن يُمسي ويُضحي معربِداً
وقدّامه طبلٌ ومن خلفه زَمْر؟
أهذا كمغتابٍ يروح ويغتدي
وفي نُطْقه شرٌّ وفي صمْته شرٌّ؟
أهذا كمفطورٍ على الشر والأذى
أحاديثُه نُكرٌ وأعمالُه سُكْرُ
أهذا كأفعى همّها نفْث سمها
ونهشُ الذي تلقى ولو أنه صخر
أهذا كمن يمشي إلى الوِزْر عامداً

ويــضــحـكُ مــخــتــالاً إذا مــسّه الــوِزر؟

أهــذا الــذي قــد حــاذر الــكــر جُــهـدَهُ

كَــمن شــاب فُــوداهُ وديــدنُه الــمــكْــر؟

إذا الـــدَّهــرُ لم يــعــرفْ لــكلٍّ مــكــانَه

إذن قُلْ لأهلِ الــدّهــر قــد فــســد الــدّهــر

****

٧٤ - مَزْح في جِدِ

(معربة)

[المتقارب]

رأيتُ غـلامـــا مـــلـــيح الـــرُّواءْ

تـــلـــوح الـــنّـــبـــاهـــةُ في مــقـــلـــتهْ

فـــقـــلت: تجـــنّى عــلـــيـــنـــا الـــشـــتـــاءْ

وقـــد نـــفـــد الـــفـــحـــمُ مـعْ كـــثـــرته

فــــــهل مـن دواءٍ لــــــهـــــذا الـــــبلاءْ

لـــديك؟ أجـــاب: اقـــفـــلـــوا الـــمــدرسهْ!

فــقـــلتُ: صـــغـــيـــرٌ يـــحبّ الـــفـــضـــاءْ

ويـــــكـــــرهُ مــــا لـــــيس من فــــطـــــرتهِ!

☆☆☆☆☆

وأبـــصـــرتُ لـــصّـــاً عـــلـى الـــزاويهْ

كـــثـــيـــر الـــتّـــلـــفّت نـــحـــو الـــقـــصـــورْ

فـــقـــلت: مـــنـــازلـــنـــا خـــالـــيه

من الـــفـــحـــمِ، والـــفـــحـــمُ نـــارٌ ونـــورْ

فـــقـــال: لـــيـــالـــيـــكـمُ الـــدّاجـــيه

تـــزول، ولـــكن بـــهـــدْم الـــسُّـــجـــونْ!

فـــقـــلت: شـــقـي من الأشـــقـــيـــاءْ

يـــجـــاهـــد من أجـل حـــريّـــتهْ!

☆☆☆☆☆

وعُـــــدْتُ إلـى رجلٍ مُـــــوســـــرٍ

له شـــــهـــــرةٌ وله مـــــنـــــزلَهْ

فــــقـــــلت: ســـــريٌّ كلامُ الـــــسَّـــــريْ

إذا وقـع الـــــنـــــاس في مـــــشـــــكـــــلـه

فــــمـــــا هـــو رأيك؟ قـــــال: اقـــصـــــرِ

مـع الـــــبـــــرد لا تَــــنـــــفـع الـــــولـــــوله!

فـــــأدركت أن فـــــتى الأغـــــنـــــيـــــاءْ

ضـــــنـــــينٌ يـــــخـــــاف عـــــلى ثـــــروته!

✡✡✡✡✡

وأبـــصـــرتُ شـــخـــصـــا كـــثـــيـــر الحـــذرْ

فـــــــرُحـت أبـثّ لـه لـــــــوعـــــــتي

فـــحـــمـــلـقَ حـــتّى رأيـتُ الـــشَّـــررْ

يـــطـــيـــر ســـراعـــا إلـى مُـــهـــجـــتي

وصـــــاح: هـي الحـــــرب أصلُ الخـــــطـــــر

فـــــرُدّوا الحـــــســـــام إلـى غـــــمـــــده!

فـــقـــلـت: عـــدوٌّ قـــلـــيل الحـــيـــاءِ

يـــــحـــــاذرُ شـــــرّاً عـــــلى دولـــــتـه!

✡✡✡✡✡

(هـــيـــوزُ) وقـــد كـــان قـــبلاً «مُـــرَشَّحْ»

شـــــكـــــوتُ إلـــــيه انـــــقلاب الأمـــــورْ

ولَـــمـــا طـــلـــبتُ الجـــواب تـــنـــحـــنحْ

وقـــــال: الحـلاقـــــةُ أصلُ الـــــشُّـــــرور!

فـــــقـــــلـت: المـــــرشّح لا شكّ يمـــــزحْ

ومـــــا زلتُ في حـــيـــرةٍ واضـــطـــرابْ

كـــطـــيّـــارةٍ في مـــهـبّ الـــهـــواءْ

إلـى أن نـــــظـــــرتُ إلى لحـــــيـــــتهْ!

(*) لم نعثر على هذا النشيد.

****

٧٥ - نشيد التباراري(*)

(معرّبة)(٢١ بيتًا)

****

٧٦ - ذكرى

[الكامل]

ولـــقـــد ذكـــرتُك بـــعـــد يـــأسٍ قـــاتلٍ
في ضــحْــوةٍ كـــثُـــرتْ بـــهـــا الأنْـــواءُ
فـــــوددْتُ أنّـــي غَـــــرْســــــةٌ أو زهـــــرةٌ
وودِدتُ أنـك عـــــــــاصــفٌ أو مــــــــــاءُ

****

(١) إرنان. الصياح والتصويت (أرنّت القوس. صوّتت).

٧٧ - جرجي زيدان

[مختلط]

ثَـكل الـشَّـرقُ فـتـاهُ
لـيـتـني كـنتُ فـداهُ
لـيـتـني كـنتُ أصـمّـاً
عـنـدمـا الـنّـاعي نَـعـاه
قـد نـعى الـنّـاعـون «زَيـدا
نًـا» إلى الـبـدر سـنـاه
وإلـى الـتـاريخ والـعـلْـ
مِ أبـاه وأخـاه!

✡✡✡✡✡

سـرى نـعـيُه فـالـدَّمعُ في كلّ مـحْـجـرٍ
كـأنّ قـلـوب الـنـاسِ خـلْـف الـمـحـاجـرِ
ولـلـطـيـر في الجـنّـات إرنـانُ ثـاكلٍ
ولـلـمـاء أنّـاتُ الـغـريب المـسـافـر[1]
ولـلـنـجم، وهـو الـنـجمُ، مـشْـيـة ظـالـعٍ
وللأرض، وهـي الأرضُ، وِقْـفَـةُ حـائـر
ومـا كـامنٌ فـيه الأسـى غـيـرُ كـامنٍ
ولا ظـاهـرٌ فـيه الأسى غـيـرُ ظـاهـر
فـمن لم يـر الـبـاكـين في كلّ مـنـزلٍ
فـمـا أبـصـرتْ عـيـنـاه شقَّ الـمـرائـر
وهى «الـبـرقُ» ممـا حـمّـلـوه فـلـم يُـطِق

يـحـدِّثُـنـا عـنه بـغـيـر الأشـائـر

فـيـا خـبـرًا ألـقى الـفـجـيـعـةَ بـيـنـنـا

لأنت عـلـيـنـا الـيـوم أشـأمُ طـائـر

ويـا نـاقلَ الأنـبـاء يـجـهلُ كُـنـهـهـا

كـرهـنـاك حـتى قـادمـا بـالـبـشـائـر

أقـام الأسى بـين الـعـزاء ومُـهـجـتي

وبـاعـد مـا بـين الـقَـريض وخـاطـري

فـأمـسـيتُ لا أدري أسـتْـرٌ من الـدُّجى

عـلى الـشمس أم ضـيَّعتُ أسْود نـاظري؟

وبـات فـؤادي يـتَّـقي نـزَواتـه

كمـا يـتّـقي الـعـصـفورُ بـأس الـكواسـر

كـأنّ بـقـلـبي شـاعـرًا يـنـظمُ الأسى

كـأنّي تـولّى مـدمـعي كلُّ نـاثـر

ألا لـيت شـعـري بـعـد مـا طـار نـعـيُه

أفي أرض مـصـرٍ نـائمٌ غـيـرُ سـاهـر

وهل فـي سـمـاء الـنـيلِ غـيـرُ ديـاجـرٍ

وهل في مـيـاه الـنـيل غـيـرُ مـجـامـر

وهل في ضـفـاف الـنـيل بـين نـخـيـله

مـغـرِّدَةَ أو آنسٌ غـيـرُ نـافـر

بم سـمـر الإخـوانُ في كلّ لـيـلـة

وصـاحـبُهم في الـلـحد غـيـرُ مُـسـامر؟

لـيـبك عـلـيه المـسـلـمون فـإنّـهم

أضـاعـوا به مُـحـيي الـعـصـورِ الـدواثـر

وتـبك الـنَّـصـارى فـخـرهـا وعـمـيـدهـا

---

(١) المَعْثر: موضع الزلة والعثرة.

فـمـا بـعـده من حُـجَّـة لـمُـفـاخـر

فـمـا جـادتِ الـدنـيـا عـلـيـهم بمـثـله

وغـيـرُ يـسـيـرٍ أن تجـود بـآخَـر

أيـا جـبلَ الـعـلمِ الـذي مـاد هـاويـا

عـزيـزٌ عـلـيـنـا أن تُـرى في الحـفـائـر

عـلـيك يـودّ الـغـربُ لـو كـان مـشـرقًـا

وفـيك يُـحبّ الحيُّ أهلَ الـمـقـابـر

ويـغـبِطُ تـبـرُ الأرض فـيك تـرابَـهـا

ويـحـسُـدُ مـاءُ الجـفنِ مـاءَ الـمـحـابـر

ومـا عـادةٌ خـفضُ الـرجـالِ رؤوسـهـا

ولـكـنّـمـا في الأرض كـنـزُ الجـواهـر

لـتفخـرْ عـلى الـشُّـهبِ الجـنـادلُ والحصى

فـفـيـهـا هـلالُ الـعلم شـمسُ الـمـحـاضـر

شـأوت الأوالي جـامـعـا ومـؤلِّـفًـا

وزدت بـأنْ أحـرزت فـضـل الأواخـر

تَـخـيَّـرُ أحـداثُ الـلـيـالي كـبـارَنـا

كـأنّ الـمـنـايـا صـبَّـةٌ بـالأكـابـر

ونـضـحـكُ لـلآمـال ضـحـكـةَ وامقٍ

فـيـضـحكُ منّـا الـدهـرُ ضـحْـكةَ سـاخـر

رضـيـنـا بـأن تـغـشـى الـغـزاةُ بلادنـا

ونِـمْـنـا ومـا نـامتْ عـيـونُ الـمـعـاثـر[1]

لـهـا كلَّ يـوم بـيـنـنـا حـكمُ جـائـرٍ

وإقـدامُ مـوتـورٍ وفَـتـكـةُ ثـائـر

عـلـى أنـهـا تـقـتص من غـيـرِ مُـذنبٍ

---

(١) السيوف: وأمضاها أشدّها وأحسنها مضاءً.

وتـــأخـــذُ بـــالأوتـــار من غـــيـــرِ واتـــر

فـيـا ويح هـذا الـشَّـرقِ كـيف اغـتـبـاطُه

وأمـضـى مـواضـيـه[1] كـلـيـلُ الأظـافـر؟

☆☆☆☆☆

جـــلـلٌ في مـــصـــر لـــكنْ

في الـــعـــراقَـــينِ صـــداهُ

مـــاد لـــبـــنـــانُ ومـــاد

الـــشـــام لّـــمـــا ســـمـــعـــاهُ

كـــاد أن يـــخـــذُلَ فـــيه

كلُّ طَـــودٍ مـــنـــكَـــبـــاه

أيـــهـــا الـــراحلُ عـــنَّـــا

بـــلـــغ الحـــزنُ مـــداه

قـــد بـــكـــاك الأفقُ حـــتّى

فـــرقـــداه وســـهـــاه

يـــا خـــلـــيـــليّ أعـــيْـــنـــا

من عـــصـــاه مُـــســـعـــداه

خـــانت الـــنـــفس قُـــواهـــا

خـــانت الـــبـــينَ قُـــواه

قـــد مـــضـى من تـــتـــمـــنّى

كلُّ عـــــينٍ أن تـــــراه

فـــتـــمـــنّى كلُّ قـــبـــرٍ

حـــين أودى لـــو حـــواه

مـــات «زيـــدانُ» أبـــو الـــتَّـــا

ريخِ فـــلـــيـــحي فـــتـــاه!

---

(١) يبدو انه يخاطب راعي الكنيسة.

(٢) النقَد. صغار الغنم، الواحدة: نقَدَة، والجمع: نِقاد ونِقادة.

****

٧٨ - أيها الراعي[١]

[الوافر]

شهورُ العام أجملُها «ربيعٌ»
وأبغضُها إلى الدنيا «جُمادى»

وخيرُ المالِ ما أمسى زكاةً
وخيرُ الناس من نَفَعَ العبادا

بربّكَ قلْ لنا وخلاكَ ذمٌّ
أعيسى كان يدّخرُ العتادا؟

تنبّهْ أيها الراعي تنبَّهْ
فَمَنْ حفظَ الورى حفظَ العبادا

خرافُكَ بين أشْداقِ الضواري
ومثلُك من حمى ووقَى النّقادا[٢]

تبدّل أمنُهُمْ رعبا وخوفًا
وصارتْ نارُ أكثرِهمْ رمادا

لقد أكل الجرادُ الأرض حتّى
تمنَّوا أنهم صاروا جرادا

---

(١) الزعفران.

(٢) القتاد. الشوك، وشجر له شوك.

فـــمـــا لَك لا تجـــودُ لـــهم بـــشـيءٍ
وقـــد رقَّ الـــعـــدوُّ لـــهم وجـــادا؟
ومـــا لَـك لا تُـــجِـــيبُ لـــهم نـــداءً
كـــأنّ ســـواكَ، لا أنت، الـــمُـــنـــادى؟

✡✡✡✡✡

ورُبَّـــةَ ســـاهـــرٍ في «بـــعـــلـــبك»
يـشـاطـرُ جـفـنُه الـنـجم الـسُّـهـادا
يـــزيـــدُ الـــلـيلُ كُـــربـــتَهُ اشْـــتـــدادًا
وفَـــرْطُ الـــهمِّ لـــيـــلـــتَهُ ســـوادا
إذا مـــالَ الـــنـــعـــاسُ بـــأخْـــدعـــيه
ثَـــنى الـــذّعـــرُ الـــكَـــرى عـــنه وذَادا
به الـــــدّاءان من ســـــغَبٍ وخـــــوفٍ
فـــمـــا ذاقَ الـــطـــعـــام ولا الـــرُّقـــادا
تـــطـــوفُ به أُصـــيـــبِـــيـــةٌ صـــغـــارٌ
كـــأنّ وجـــوهـــهُمْ طُـــلـــيتْ جِـــســـادا(١)
جـــيـــاعٌ كـــلّـــمـــا صـــاحـــوا ونـــاحـــوا
تـــوهّـــم أنّ بـــعـــض الأرضِ مـــادا
إذا مـــا اسْـــتـــصـــرخُـــوه وضـــاقَ ذَرْعًـــا
نَـــبـــا عـــنـــهمْ ومـــا جـــهِل الـــمُـــرادا
ولـــكنْ لم يـــدعْ بـــؤسُ الـــلـــيـــالي
طـــريـــفًـــا في يـــديه ولا تـلادا
ولـــو تـــرك الـــزمـــانُ له فـــؤادًا
لـــمـــا تـــركَتْ له الـــبـــلـــوى فُـــؤادا

✡✡✡✡✡

أتـــفـــتـــرشُ الـــحـــريـــر وتـــرتـــديه

ويـفـتَـرِشُ الجـنـادلَ والـقَـتَـادا[٢]

ويـطـلـبُ من نـبـات الأرض قُـوتًـا

وتـأبَى غـيـر لحمِ الـطَّـيـرِ زادا

وتـهـجـع هـانـئًـا جـذْلاً قـريـرًا

وقـد هـجـر الـكَـرى وجـفـا الـوِسـادا

عـجـيبٌ أن تـكـونَ كـذا ضـنـيـنًـا

ولم تُـبْـصـرْ بـنـا إلا جـوادا

أمـا تـخـشـى مـقـالـةَ ذي لـسـانٍ:

أمـات الـنـاس كي يُـحـيي الجـمـادا؟

✡✡✡✡✡

لـداتُك هـمّـهمْ نـفـعُ الـبـرايـا

وهـمُّكَ أن تـكـيـد وأن تُـكـادا

نـزلت بـنـا فـأنـزلـنـاك سـهلاً

وزدنـاك الـنُّـضـار الـمُـسـتَـفـادا

فـكـان جـزاؤنـا أن قُـمت فـيـنـا

تُـعـلِّـمُـنـا الـقـطـيـعـةَ والـبِـعـادا

فـلـمّـا ثـار ثـائـرُ كلِّ حُـر

رجـعت الـيـوم تـمـتـدحُ الحـيـادا

أتـدفعُ بـالـغَـويِّ إلى الـتّـمـادي

وتـعـجبُ بـعـد ذلك إن تَـمـادى؟

سـكتّ فـقـام في الأذهـان شكٌ

وقـلـت فـأصـبح الـشَّكُ اعـتـقـادا

تجـهّـمت الـقـريض فـفـاض عـتْـبـا

وإنْ أحـرجـتَهُ فـاض انـتـقـادا

ولـولا أن أثَـرْت الخُـلْف فـيـنـا

ودِدْنا لو محضناكَ الودادا

****

٧٩ - ابنة الفجر

[الخفيف]

أنا إنْ أغْمض الحمامُ جفوني
ودوى صوتُ مصرعي في المدينهْ
وتمشّى في الأرض دارًا فدارًا
فسمعتِ دويّهُ ورنينَهْ
لا تصيحي «وا حسْرتاهُ» لئلا
يدركَ السَّامعون ما تُضْمرينَهْ
وإذا زرتِني وأبصرْتِ وجهي
قد محا الموتُ شكّهُ ويقينه
ورأيتِ الصّحاب جاثينَ حوْلي
يندبونَ الفتى الذي تَعرِفينه
يتعالى العويلُ حولَك ممّن
مارسُوه وأصبحوا يُحسنونه
لا تَشُقِّي عليّ ثوبَك حُزنًا
لا ولا تذرِفي الدموع السَّخينه

---

(١) الحمأ والحمأة: الطين الأسود. والمسنون: المتغير المُنتن.

غالبي اليأس واجلسي عند نعشي

بسكونٍ، إني أحبُّ السكينه

إنَّ للصمتِ في المآتم معنى

تتعزَّى به النفوسُ الحزينه

ولَقولُ العُذّالِ عنك: «بخيلٌ»

هو خيرٌ من قولهم: «مسكينه»

وإذا خفتِ أن يثور بك الوجـ

ـدُ فتبدو أسرارُنا المكنونه

فارجِعي واسكُبي دموعَك سرّاً

وامسحي باليدين ما تسكُبينه

☼☼☼☼☼

يا ابنةَ الفجر! من أحبَّك ميْتٌ

ولأنتِ بمثل هذا رهينه

زايل النورُ مقلتيه وغابتْ

تحت أجفانه المعاني المبينه

فأصيخِي! هل تسمعينَ خُفوقًا

كنتِ قبلاً في صدره تَسمعينه؟

وانظري ثم فكّري كيف أَمسى

ليس يدري عدوَّه وخَدينَه!

ساكتًا لا يقول شيئًا ولا يسْـ

ـمعُ شيئًا وليس يبصر دونه

لا يبالي أأودعوه الثُّريا

أم رموه في حمْأةٍ مسْنونه[1]

وإذا الحارسان ناما عياءً

ورأيت أصحابَهُ يتركُونه

فتعالَي وقبِّلي شفتيه

ويديه وشعرَهُ وجبينه

قبلَ أن يُسدَلَ الحجابُ عليه

ويُوارى عنك فلا تُبصرينه

واحذري أن تراك عينٌ رقيبٍ

ولئن كان جُلَّ ما تحذرينه

فإذا ما أمنْتِ لا تتركيه

قَبلَما يفتح الصباحُ جفونَه

✲✲✲✲✲

وإذا السَّاعةُ الرهيبةُ حانتْ

ورأيت حُرّاسه يحملونه

وسمعتِ الناقوس يُقرعُ حُزنًا

فيردُّ الوادي عليه أنينه

زوّدي الراحلَ الذي مات وجْدًا

بالذي زوّد الغَريقُ السفينهْ

نظرةً تَعلمُ السماواتُ منها

أنه مات عن فتاةٍ أمينه

✲✲✲✲✲

طوتِ الأرضُ من طوى الأرض حيّاً

وعلاهُ من كان بالأمس دونه

واختفى في التراب وجهٌ صبيحٌ

وفؤادٌ حُرٌّ ونفسٌ مصُونه

---

(١) الحَزْن: ما غلظ من الأرض (في الأرض حُزونة).

(٢) النفار: النفور.

وإذا مـــا وقـــفتِ عـــنـــد الـــسَّـــواقي

وذكـــــرتِ وقـــــوفَـهُ وســـــكـــــونه

حـيث أقـسـمتِ أن تـدومي عـلى الـعـهْـ

ــــــد وآلـى بــــأنـه لن يــــخـــــونه

حـيث عـلّـمـته الـقـريض فـأمـسى

يـتـغـنّى كي تـسـمـعي تـلـحـيـنَه

فـــاذكـــريه مع الـــبـــروقِ الـــسّـــواري

وانـــدبـيه مع الـغُـيـوثِ الـهـتُّـونه

وإذا مـــا مـــشـــيتِ في الـــروض يـــومـــا

ووطـــئْتِ ســـهـــوله وحُـــزونه[1]

وذكــــرتِ مـــواقف الـــوجْـــد فـــيه

عـــنـــدمــا كـنتِ بـالـهـوى تُـغـريـنه

حـيثُ عـلّـمـته الـفُـتـونَ فـأضـحى

يـحـسبُ الأرض كـلَّـهـا مـفـتـونه

حـــيث وسّـــدْته يمـــيـــنَك حـــتى

كـــاد يـــنـــسى شـــمــالَهُ ويمـــيـــنه

حـيث كـنتِ وكـان يـسـقـيك طَـوراً

من هـــواه، وتـــارةً تَـــســـقـــيــنه

حـتى حـاكَ الـربـيعُ لـلـروض ثـوبـا

كـــان أحـــلى لـــديه لـــو تـــرتـــديـــنه

فـــالــــثـــمي كلَّ زهـــرةٍ فـــيه إني

كـــنت أهـــوى زهـــوره وغُـــصـــونه

ثم قـولي لـلـطـيـر: مـات حـبـيـبي!

فـلـمـاذا يـا طـيـرُ لا تَـبـكـيـنه؟

---

(١) القطين: الساكن. والفعل: (قطنَ).

المحتـــوى

ديوان إيليا أبي ماضي (الجزء الثاني)

****

الديوان الثالث

(الجـداول)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية». نيويورك ١٩٢٧)

يضم، في هذه الطبعة التي أصدرها الشاعر نفسه، ستة وثلاثين نصّاً شعريّاً، وقع، في آخرها، نصّه الطويل المعروف «الطلاسم». وتولى التقديم للديوان: ميخائيل نعيمة، أمين سرّ «الرابطة القلمية».

وما زِيد على «الجداول»، في الطبعات التي ظهرت من بعد، في الشرق، جمعناه كلَّه في شعره الذي لم تجمعه دواوينه الخمسة، في طبعاتها الأولى

****

المقدمة

بقلم ميخائيل نعيمة

«خـلـتُ أني فـي الـقـفـر أصـبـحت وحـدي
فــإذا الــنــاسُ كــلــهـمْ في ثــيــابي»

لقد قرأت لأبي ماضي كثيراً من طيب الشعر وجميله، غير أني لست أذكر أني قرأت له أصدق من هذا البيت، وأدلّ منه على بعد غور شاعريته، ومدى خياله ورحابة آفاق فكره أو لست تسمع، عند قراءته، قلوب الإنسانية بأسرها نابضة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا، والذين سيولدون ويموتون، واحد؟

ألست تحس كأن مواكب الأجيال كلها تزدحم وتتألب في كيانك ؟

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك، وضعة الوضيع في رفعتك، وحماقة الأحمق في حكمتك، وقبح القبيح في جمالك، وفقر الفقير في مالك؟

أو لست تراك رفيقاً لكل وحيد في وحدته، ولكل غريب في غربته، وشريكاً لكل آثم في إثمه، ولكل عالم في علمه ؟

وأخيراً ألست تدرك أن لا مهرب لك من الناس؟ لعمري ليس يدرك مثل هذه الحقيقة فيقبض عليها ويبرزها إليك في حلة هي غاية في الجمال؛ لأنها غاية في البساطة، غير شاعر ملهم أو نبي مرسل.

إن في هذا البيت وحده مثالاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثبة واحدة. ولا يدركها العلم بأجيال طويلة، فمن ذا يلوم الشرق إن استسلم لوحي أنبيائه، وتعلق بوحي شعرائه، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه؟

ألا أعطني الشعر ووجدانه، وخذ العلم وبرهانه.

وقد كان يجمل بي وأنا أقدم إليك كتاباً من الشعر؛ أن أتجلبب بجلبات المعرفة البحاثة، فأحدثك عن الشعر وتاريخه وأصنافه وأهديك إلى مصادره ومسالكه؛ وأحلل لك معانيه ومراميه؛ وأفسر لك أسراره، وأنثر عليك جواهره، وأريك نفعه من ضرره.

نعم! لقد كان يجمل بي كل ذلك لو أني وجدت إليه سبيلاً غير أني أعترف اليوم بما لم أعترف به من قبل. وهو أني لا أعرف عن الشعر ومصدره وكنهه أكثر مما أعرف عن حياتي ومصدرها وكنهها وقد كنت أحسبني أعرف الكثير، فإذا بما أعرفه وأنوء به نقيض المعرفة، وإذا بالذي أعرفه اليوم لا يذعن للساني فأنطق به، ولا ينقاد لقلمي فأسطره. والذي أحاوله الآن هو القول إني آنس اليوم قرابة روحيه بيني وبين صاحب «الجداول» ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبي ماضي، «ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد، في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت ؟

فبين هذه «الجداول» ما تنساب معه روحي مترقرقة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور عينيها، وجمالٍ عن جانبيها، مرحة بحريّة لا أرصاد ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود.

هكذا أقرأ قصيدة «الطين» فأسمع لها أصداء كثيرة في نفسي: ومثال «تعالي» و«ريح الشمال» و«في القفر» و«المساء» و«العميان» و«الزمان» وسواها. أقرؤها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة، بل إلى جملة ما يتجلى لي فيها من الرسوم، وما تحدثه في نفسي من الرعشة، وتنبهه في وجداني من الشعور والخيالات، وقد أكتفي من القصيدة كلها ببيت واحد، إذا كان لذاك البيت وقع في روحي ولا يندر أن أجد لذة حتى في قصيدة لا تأتلف مع أهوائي ومنازعي كقصيدة «بردّي يا سحب» لأني وإن كنت أنكر على نفسي أن تقول:

«كل نجم لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غربا»

لا أنكره على أبي ماضي. بل أعجب لقوة بيانه لمعتقده ، إذا كان ذلك ما يعتقد.

لاشك عندي قط، في أن فريقاً من الذين (نذروا حياتهم للذب عن حياض اللغة العربية) - يصمون آذانهم عن خرير هذه «الجداول» الشجي ويفتحون أبصارهم علهم يجدون في حصبائها ما ينطبق على مقاييسهم، ويوزن بموازينهم، ولعلهم يظفرون ولو ببعض ما يطلبون أما أنا فأبارك هذه الجداول المنسابة إلى بحر شعرنا الواسع. لأنها ستزيده اتساعاً، وهيبة، وصفاء.

١ - الفاتحة

[مجزوء الرمل]

يـا رفـيـقي.. أنـا لـولا أنت مـا وقّـعْتُ لحـنـا
كـنت في سـرّي لـمّـا كـنتُ وحـدي أتـغـنى
أُلـبسُ الـروض حُلاهُ، إنه يـومـاً سـيُـجـنَى
هـذه أصـداءُ روحي فـلـتـكنْ روحُكَ أُذْنـا
إنْ تجـدْ حُسـناً فـخذْهُ، واطَّرحْ مـا لـيس حُسْنا
إن بـعض الـقـولِ فنٌّ، فـاجـعلِ الإصـغـاءَ فـنـا
تـلك كـالحـقلِ يـردُّ الـكـيلُ لـلـزارعِ طُـنّـا
رُبَّ غـيمٍ صـار لـمّـا لمسـتْهُ الـريحُ مُـزْنـا
ربمـا كـنتُ غـنـيّـاً غـيـر أني بك أغـنى
مـا لـصوتٍ أُغـلـقتْ من دونه الأسـمـاعُ مـعنى
كلُّ نـورٍ غـيـر نـورٍ مـر بـالأعـين وسْـنَى
وإذا رحت بـكَـرْمِي زدته خـصْـبـاً وأمـنـا
قـد سكبتُ الخمـر كي تشـرب، فـاشربْ مطمئنا
واسقِ من شـئت كـريمـاً، لا تـخفْ أن تَـتَـجـنّى
كـلـمـا أفـرغتُ كـأسي زدت في كـأسي دَنّـا
فـهي بـالإنـفـاقِ تـبقى، وهي بـالإمـسـاك تـفـنى

✡✡✡✡

لست مني أنْ حسبت الشِّعر ألفاظًا ووزنا

خَالَفتْ دربُك دربي، وانقضى ما كان منّا

فانطلقْ عني لئلا تَقْتَنِي همّاً وحزنا

واتّخذْ غيري رفيقاً وسوى دنياي مغنى

****

٢ - العنقاء

[الكامل]

أنا لستُ بالحسناء أوّلَ مُولَعِ
هي مطمعُ الدنيا كما هي مطمعي
فاقصُصْ عليّ إذا عرفت حديثَها
واسكنْ إذا حدَّثت عنها واخشَعِ
أَلمحْتَها في صورةٍ؟ أشهِدْتَها
في حالةٍ؟ أرأيتَها في موضع ؟
إني لذو نَفْسٍ تهيمُ، وإنها
لجميلةٌ فوقَ الجمالِ الأبدعِ
ويزيدُ في شوقي إليها أنها
كالصوتِ لم يُسْفرْ ولم يتقنَّعِ
فَتَّشتُ جيب الفجر عنها والدجى
ومددتُ حتى للكواكبِ إصْبعي
فإذا هما مُتحيرانِ كلاهما
في عاشقٍ مُتحيرٍ مُتَضعْضعِ
وإذا النجومُ لعلْمها أو جهلها
مُتَرجرجاتٌ في الفضاء الأوسع
رقصتْ أشعتُها على سطح الدجى
وعلى رجاءٍ في غير مُشعشعِ

والـبـحـرُ كم سـاءلـتُهُ فـتـضـاحـكَتْ
أمـواجُه من صـوتي الـمُـتـقَـطِّع

فـرجـعتُ مُـرتـعش الخـواطـرِ والـمُـنى
كـحـمـامـة مـحـمـولـة في زَعـزَع[1]

وكـأنَّ أشـبـاح الـدهـورِ تـألَّـبتْ
في الـشطِّ تـضـحكُ كـلُّـهـا من مـرجـعي

ولـكَمْ دخـلتُ إلى الـقُـصـور مـفـتـشـاً
عـنـهـا، وعـجْتُ بـدارسـاتِ الأربُع

إنْ لاح طـيفٌ قـلـتُ يـا عـينُ انـظـري!
أو رنَّ صـوتٌ قـلـتُ: يـا أذنُ اسْـمـعي!

فـإذا الـذي في الـقَـصـرِ مـثـلي حـائـرٌ
وإذا الـذي في الـقَـفْـرِ مـثـلي لا يـعِي

✡✡✡✡✡

قـالـوا: تـورّعْ ! إنـهـا مـحـجـوبـةٌ
إلا عن الـمُـتَـزهـد الـمُـتَـورع

فَـوَأدتُ أفـراحي وطـلّـقتُ الـمُـنى
ونـسـختُ آيـات الـهـوى من أضـلـعي

وحـطَـمتُ أقـداحي ولـمّـا أرتـوي
وعـفَـفتُ عن زادي ولـمّـا أشـبع

وحـسـبـتُـني أدنـو إلـيـهـا مـسـرعـاً
فـوجـدتُ أني قـد دنـوتُ لـمـصـرعي

مـا كـان أجـهلَ نُـصَّـحِي[2] وأضـلَّـني
لـمّـا أطـعـتُـهمُ، ولم أتـمـنَّع

---

(١) ريح زعزع تحرك الأشياء
(٢) جمع لـِ (ناصح) مثل عاجز وعجّز

إني صرفتُ عن الطَّماعة والهوى
قلبي، ولا ظَفَرٌ لمن لم يطْمع
فكأنّي البستانُ جرَّدَ نفسَهُ
من زهرِهِ المتنوعِ المُتضوع
ليُحس نور الشَّمسِ في ذرّاته
ويُقابلَ النَّسماتِ غير مُقَنَّع
فمشى عليه من الخريف سُرادقٌ
كالليل خيَّمَ في المكان البلْقَع
وكأنني العصفورُ عرَّى جسمَه
من ريشه المُتناسقِ المُتلَمع
ليخفَّ محملُه ؛ فخرَّ إلى الثَّرى
وسطا عليه النملُ غير مُروَّع
وهجعتُ أحسبُ أنها بنت الرُّؤى
فصحوتُ أسخر بالنِّيام الهُجَّع
ليستْ حُبوراً كلّها دنيا الكرى
كم مؤلمٍ فيها بجانبِ مُفزَّع
تُخفي أمانيَّ الفتى كهمومه
عنه، وتحجبُ ذاتَهُ في بُرقع
ولربَّما التَبستْ حوادثُ يومه
بالغابر الماضي وبالمتوقّع
يا حبَّذا شططُ الخيالِ وإنما
تُمْحى مشاهدُهُ كأنْ لم تُطبع
لمّا حلمتُ بها حلمتُ بزهرةٍ
لا تُجتَنَى، وبنجمة لم تَطلع
ثمَّ انتبهتُ فلم أجدْ في مخدعي
إلا ضلالي والفراش ومخدعي

من كـــان يـــشـــربُ من جـــداول وهـــمه

قـــطـع الحـــيـــاةَ بـــغـــلّـــة لم تُـــنْـــقَع

ذهب الـــربـيعُ فـلم تـكنْ في الجـدول الشْـ

ـــشَـــادي، ولا الـــرّوضِ الأغنّ الـــمُـــمْـــرِع

وأتى الـــشـــتـــاءُ فـلم نـكن في غـــيـمه الـ

ـــبـــاكي، ولا في رعـــده الـــمُـــتـــفـــجع

ولمحتُ وامـــضـــةَ الـــبُـــروقِ فَـــخـــلـــتُـــهـــا

فـــيـــهـــا، فـــلم تكُ في الـــبـــروقِ الـــلُّـــمَّع

صـــفـــرتْ[1] يـــدي مـــنـــهـــا وبي طيشُ الـــفـــتى

وأضـــلَّـــنـــي عـــنـــهـــا ذكـــاءُ الألـــمـــعي

حـــتـــى إذا نـــشـــر الـــقـــنـــوطُ ضـــبـــابَهُ

فـــوقي فـــغـــيَّـــبـــنـــي وغـــيّـــب مـــوضـــعي

وتَـــقـــطَّـــعـــتْ أمـــراسُ آمـــالي بـــهـــا

وهـــي الـــتـــي من قـــبـــل لم تَـــتـــقـــطَّع

عـــصـــر الأسى روحـــي فـــســـالتْ أدمـــعـــاً

فـــلـــمـــحـــتُـــهـــا ولـــمـــســـتُـــهـــا في أدمـــعي

وعـــلـــمـــتُ حـــين الـــعـــلْـــمِ لا يـــجـــدي الـــفـــتَى

أنَّ الـــتـــي ضـــيَّـــعـــتُـــهـــا كـــانت مـــعي!

****

---

(١) خلت خلوّاً كاملاً

٣ - السجينة

[الطويل]

لَعَمْرُك ما حُزْني لمالٍ فقَدتُه
ولا خانَ عهدي في الحياة حبيبُ

ولكنني أبكي وأندبُ زهرةً
جناها ولُوعٌ بالزهورِ لَعُوب

رآها يحلُّ الفجرُ عقْد جُفونِها
ويُلقي عليها تبرَهُ فيذوب

وينفضُ عن أعطافها النور لؤلؤاً
مِن الطّلِّ ما ضُمَّتْ عليه جُيوب

فعالجها حتى استوت في يمينه
وعاد إلى مغْناه وهو طَروب

وشاء فأمستْ في الإناء سجينةً
لتشْبع منها أعينٌ وقلوب

ثَوتْ بين جدرانٍ كقلب مُضيمها
تلمَّسُ فيها منفذًا فتخيب

فليست تحيِّي الشمس عند شروقِها
وليست تحيِّي الشمس حين تغيب

ومن عُصبتْ عيناه فالوقت كلُّه
لديه - وإن لاح الصَّباحُ - غَروب

✡✡✡✡

لها الحجرةُ الحسناءُ في القصر إنما
أحبُّ إليها روضةٌ وكَثيب

وأجـملُ من نـورِ المـصـابـيح عـنـدهـا

حـبـاحبُ تـمـضـي في الـدجى وتـؤوب

ومن فـتـيـاتِ الـقـصـر يـرقـصن حـولـهـا

عـلى نـغَـمـاتٍ كـلـهنَّ عـجـيب

تـراقصُ أغـصـان الحـديـقـة بـكـرةً

ولـلـريح فـيـهـا جـيْـئَـةٌ وذَهُـوب

وأجـمل مـنـهنَّ الـفـراشـاتُ في الـضـحى

لـهـا كـالأمـاني سـكْـنـةٌ ووثُـوب

وأبـهى من الـديـبـاج والخـزِّ عـنـدهـا

فَـراشٌ من الـعـشب الخَـضـيلِ رطـيب

وأحـلى من الـسَّـقف المـزخـرف بـالـدُّمى

فـضـاءٌ تـشعُّ الـشُّـهبُ فـيه رحـيب

تحنُّ إلى مـرأى الـغـديـر وصـوته

وتُـحـرَمُ مـنه، والـغـديـرُ قـريب

ولـيس لـهـا لـلـبـؤس في نـسم الـرُّبـا

نـصـيبٌ، ولم يـسـكنْ لـهنَّ هـبُـوب

إذا سُـقـيتْ زادتْ ذبـولاً كـأنمـا

يـرشُّ عـلـيـهـا في المـيـاه لـهـيب

وكـانت قـلـيلُ الـطّلِّ يـنـعشُ روحـهـا

وكـانت بمـيـسـورِ الـشُّـعـاع تَـطـيب

بـهـا من أنـوف الـنـاشـقـينَ تـوَعُّكٌ

ومن نـظـراتِ الـفـاسـقـينَ نـدوب

تـمشّى الـضَّنَى فيـهـا وأيـارُ في الحـمى

وجـفَّتْ وسـربـالُ الـربـيـع قـشـيب

ففيها كمقطوعِ الوريدينِ صُفْرةٌ
وفيها كمصباحِ البخيلِ شُحُوب

✡✡✡✡

أيا زهرةَ الوادي الكئيبة إنني
حزينٌ لما صرتِ إليه كئيب
وأكثرُ خوفي أن تظني بني الورى
سواءً، وهُمْ مثلُ النَّباتِ ضُروب
وأعظمُ حزني أن خطبَكِ بعدَهُ
مصائبُ شتّى لم تقعْ وخطوب
سيطْرحُك الإنسانُ خارج دارِهِ
إذا لم يكن فيك العشيَّةَ طيب
فَتُمسينَ للأقدارِ فيك ملاعبٌ
وفي صفحتيكِ للنِّعالِ ضُروب
إسارُك يا أخت الرياحينِ مُفجعٌ
وموتُك يا بنت الربيعِ رهيب
ولكنها الدنيا؛ ولكنه القضا
وهذا لعمري مثلُ تلك غريب
فكمْ شقيتْ في ذي الحياة فضائلُ
وكم نعمتْ في ذي الحياة عيوب
وكمْ شيمٍ حسناءَ عاشتْ كأنها
مساوئُ يُخشَى شرُّها وذنوب

****

٤ - الضفادع والنجوم

[الرمل]

صاحت الضّفدعُ لمّا شاهدتْ
حولَها في الماء أظلالَ النجومْ:
«يا رفاقي يا جنودي احتشدوا
عبر الأعداءُ في الليل التُّخوم
فاطردوهمْ واطردوا الليلَ معاً
إنه مثلُهمُ باغٍ أثيم»
زعقةٌ سار صداها في الدجى
فإذا الشطُّ شخوصٌ وجُسُوم
في أديم الماء من أصواتها
رعدَةُ الحمى وفي الليل وجُوم
مزَّقَ الفجرُ جلابيب الدجى
ومحا من صفحة الأرض الرُّسوم
فمشتْ في سربها مختالةً
كمليكٍ ظافرٍ بين قُروم[1]
ثم قالتْ: لكمُ البشرى ولِيْ
قد نجونا الآن من كيدٍ عظيم
نحن لو لم نقهرِ الشُّهب التي
هاجمتْنا لأذاقتنا الحُتوم

---

(١) جمع (قَرْم) وهو السيد

وأقـــامتْ بــــعــــدَنــــا من أرضـــــنــــا

في نـــعــــيمٍ لم تجـــدْه في الــــغـــيـــوم

أيـــهـــا الـــتـــاريخُ ســـجِّلْ أنـــنــــا

أمَّـــةً قـــد غـــلَـــبتْ حـــتى الـــنـــجـــوم

****

٥ ـ السماء

[الخفيف]

لا تَسلْني عن السماء فما عنْـ
ـدي إلا النعوتُ والأسماءُ
هي شيءٌ، وبعضُ شيءٍ، وحيناً
كلُّ شيءٍ، وعند قومٍ هباء

✡✡✡✡✡

فسماءُ الراعي كما يتَمنَّا
ها مروجٌ فسيحةٌ خضراء
تلبسُ التِّبر مئزراً ووشاحاً
كلّما أشرقتْ وغابتْ ذُكَاء
أبداً في نضارةٍ، لا يجفُّ الْـ
ـعشبُ فيها، ولا يغيضُ الماء

✡✡✡✡✡

وهي عند الأمّ التي اخترم المو
تُ بنيها، وضلَّ عنها العزاء
موضعٌ لا ينالُهمْ فيه ضيْمٌ
لا ولا يُدرِكَ الشَّباب الفناء
وكذا يُولدُ الرجاءُ من اليأْ
سِ إذا مات في القلوب الرجاء

✡✡✡✡✡

وهي عند الفقيرِ أرضٌ وراءَ الْـ
أُفقِ؛ فيها ما يشتهي الفقراء

لا يـخـافُ الـمُـثْـريْ، ولا كـلـبُه الـضَّـا
ريْ؛ ولا لامـــــرئٍ بـه اسْــــتـــــهـــــزاء
وهي عــنــد الـمـظـلـومِ أرضٌ كـهـذي الْـ
أرضُ لـكنْ قـد شـاع فـيـهـا الإخـاء
يـجـمعُ الـعـدلُ أهـلَـهـا في نـظـامٍ
مـثـلـمـا يـجـمعُ الخـيـوطَ الـرداء
لا ضـعـيفٌ مـسـتـعـبـدٌ، لا قـويٌّ
مُـسـتـبـدٌ، بل كـلُّـهمْ أكـفـاء
كلُّ شـيءٍ لـلـكلِّ مُـلْكٌ حلالٌ
كلُّ شيءٍ فـيـهـا كـمـا الـكلُّ شاؤوا

✡✡✡✡✡

وهْي عـنـد الخـلـيعِ أرضٌ تـمـيسُ الْـ
حـورُ فـيـهـا، وتَـدفُـقُ الـصـهـبـاء
كلُّ مـا الـنـفْسِ تـشـتـيه مُـبـاحٌ
لا صـدودٌ، لا جـفـوةٌ، لا إبـاء
أكـبـرُ الإثمِ قـولـةُ الـمـرء هـذا الْـ
أمـرُ إثمٌ، وهـذه فـحـشـاء
لـيس بـين الـصَّلاح والـشـرِّ حـدٌّ
كـالـذي شـاء وضـعَهُ الأنـبـيـاء
وإذا لـم يـكنْ عـفـافٌ وفـسْقٌ
لـم تـكن حـشـمـةٌ ولا اسْـتـحـيـاء

✡✡✡✡✡

كلُّ قـلـبٍ له الـسـمـاءُ الـذي يـهْـ
ـوى، وإن شـئت كلُّ قـلـبٍ سـمـاء
صُـوَرٌ في نـفـوسـنـا كـائـنـاتٌ
تـرتـديـهـا الأفـعـالُ والأشـيـاء

رُبَّ شيءٍ كالجوهرِ الفَرْدِ فذٍّ
عدَّدتهُ الأغراضُ والأهواء
كلُّ ما تقْصُرُ المداركُ عنه
كائنٌ مثلما الظنونُ تشاء

****

٦ ـ بردّي يا سحب !

[المديد]

رضيتْ نفسي بقسمتها
فَلْيُراودْ غيري الشُّهُبا

كلُّ نجمٍ لا اهتداءَ به
لا أُبَالي لاح أو غَرُبَا

كلُّ نهرٍ لا ارتواءَ به
لا أُبَالي: سال أو نَضبا

ما غدٌ ـ يا من يُصوِّرُه
لي شيئاً رائعاً عجبا

ما له عينٌ ولا أثرٌ
هو كالأمسِ الذي ذهبا

اسقني الصَّهباءَ إنْ حضرتْ
ثمّ صفْ لِي الكأس والحببا

ليس يرويني مقالُك لي:
«أنها العقيانُ[1] منسكبا»

إنَّ صدقًا لا أحسُّ به
هو شيءٌ يشبهُ الكَذِبا

لا يُنجي الشَّاةَ من سغَبٍ:
أنّ في أرضِ السُّها[2] عشبا

---

(١) الذهب الخالص

(٢) كوكب خفي، يريد. السماء بنجومها

مـــا عـــلـى من لا يـــطـــيقُ يـــرى

نـــوَّرَ الـــوادي أو اكْـــتَـــأَبـــا

مـــا يـــفـــيـــدُ الـــطَّـــيـــر في قـــفصٍ

ضـــاقَ هـــذا الجـــوُّ أو رحـــبـــا

✡✡✡✡✡

بـــرّدي يـــا ســـحبُ من ظـــمـــئِي

واهـــطُـــلي من بـــعـــد ذا ذَهَـــبـــا

أو فَـــكُـــوني – غـــيـــر راحـــمـــة –

حـــمـــمـــاً حـــمـــراءَ لا سُـــحُـــبـــا

ولأكنْ وحـــدي لـــهـــا هـــدفـــاً

ولـــتـــكنْ نـــفـــسي لـــهـــا حـــطَـــبـــا

أنـــا من قـــومٍ إذا حـــزِنـــوا

وجـــدوا في حُـــزنِـــهمْ طَـــربـــا

وإذا مـــا غـــايـــةٌ صـــعُـــبتْ

هـــوَّنُـــوا بـــالـــتّـــرك مـــا صـــعُـــبـــا

****

٧ ـ العَيْر المتنكر

[الكامل]

زَعم المؤدِّبُ أنَّ عيْراً[1] ساءَهُ
ألاّ يُسارَ به إلى الميدانِ

فمضى فقصَّرت القواطعُ نيلَهُ
وسطَتْ مواضيها على الآذان

حتى إذا جاء المروِّضُ واعتلَى
متْنَيْهِ راب الفارسُ الكَشْحان[2]

لكنه ما زالَ غير مُصدّقٍ
حتى علا صوتٌ كصوتِ الجان

فاستلَّ صارمَهُ فطاح برأسه
ورمى بجثته إلى الغرْبان

مادام يصحبُ كلَّ حيٍ صوتُهُ
هيهات يُخفي العيْر جلدُ حصان

*****

(١) الحمار الوحشي والأهلي

(٢) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

٨. تعالَي

[الهزج]

تعالَيْ نتعاطاها كَلَوْنِ التِّبرِ أو أسْطَعْ
ونسقي النَّرجس الواشي بقايا الراحِ في الكاسِ
فلا يعرفُ من نحن ولا يُبصرُ(*) ما نَصنعْ
ولا ينقلُ عند الصُّبحِ نجوانا إلى الناسِ

✡✡✡✡

تعالَيْ نسرقُ اللذاتِ ما ساعفنا الدهرُ
وما دمنا وما دامتْ لنا في العيشِ آمالُ
فإنْ مر بنا الفجرُ وما أوقظنا الفجرُ
فما يوقظنا علمٌ ولا يوقظنا مالُ

✡✡✡✡

تعالَيْ نطلقُ الروحينِ من سجنِ التقاليد
فهذي زهرةُ الوادي تذيعُ العطر في الوادي
وهذا الطيرُ تيّاهُ فخورُ بالأغاريد
فَمن ذا عنَّف الزهرةَ أو من وبَّخَ الشَّادي ؟

✡✡✡✡

أراد اللهُ أن نعشقَ لمّا أوجد الحُسْنا
والقى الحبَّ في قلبك إذ القاهُ في قلبي
مشيئتُهُ.. وما كانت مشيئتُهُ بلا معنى
فإنْ أحببتِ ما ذنبُك أو أحببتُ ما ذنبي ؟

✡✡✡✡

(*) في النسخة التي أرسلها د. عبدالكريم الأشتر، وردت [ولا يبصُّ] وشرحها في الهامش بقوله: بصّ، لمع، حملها هنا معنى رأى أو كشف (كما هي في دارجة مصر). ولكن بهذه الكلمة ينكسر الوزن. ولعل الصواب ما أثبتناه

دعي اللاحي وما صنَّف والقَالي[1] وبهتانَهْ
وللجدولِ أن يجري، وللزهرة أن تعبقْ،
وللأطيارِ أن تشتاقَ أياراً وألوانَهْ،
وما للقلبِ، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشَقْ؟

✡✡✡✡✡

تعالَيْ إنَّ ربَّ الحب يدعونا إلى الغابِ
لكي يمزجنا كالماء والخمرةِ في كاسِ
ويغدو النورُ جلبابَك في الغابِ وجِلْبابي
فكم نُصغي إلى الناس ونعصي خالقَ الناسِ!

✡✡✡✡✡

يريد الحبُّ أن نضحَك، فلنضحكْ مع الفجرِ
وأن نركض، فلنركضْ مع الجدولِ والنَّهرِ
وأنْ نهتف، فلنتهفْ مع البلبلِ والقُمْري[2]
فمن يعلَمُ بعد اليومِ ما يحدثُ أو يجري؟

✡✡✡✡✡

تعالَيْ قَبلَما تسكتُ في الروضِ الشَّحاريرُ
ويذوي الحورُ والصفصافُ والنَّرجسُ والآسُ
تعالى قبلما تطمرُ أحلامي الأعاصيرُ
فنستيقظُ لا فجرُ، ولا خمرُ، ولا كاسُ

****

(١) قلاه أبغضه
(٢) طير أبيض (أقمر – قمر قمري).

٩ - ريح الشمال

[المتقارب]

سألتُ وقدْ مرَّتِ الشَّمألُ
تنوحُ وآونَةً تُعْوِلُ

إلى أيُّما غايةٍ تركضينَ
ألا مستقرٌّ؟ ألا موئلُ؟

وكم تَعْوَلينَ وكم تصرخينَ
كعصفورةٍ راعها الأجْدَلُ؟[1]

لقد طرح الغصنُ أوراقَهُ
مِن الذُّعرِ واضْطَرب الجدول

وضلَّ الطريقَ إلى عشه
فهام على وجهِه البلبل

وغطى السُّهى وجهَهُ بالغَمامِ
كما ينزوي الخائفُ الأعْزَلَ

وكادتْ تخرُّ لديك الهضابُ
وتركضُ قدَّامك الأجبُل

✡✡✡✡✡

أبنت الفضاء أضاقَ الفضاءُ
فأنتِ إلى غَيرِه أمْيَلُ؟

أَغاظَك أن الدَّجى لا يزولُ
وأن الكواكب لا تَأفلُ

---

(١) الصقر

أتبكينَ آمالَك الضَّائعات
هل الريحُ مثْلُ الورى تأمل

أيعدو وراءك جيشٌ كثيفٌ
أَمثلك يرهبُهُ الجحفَل

وما فيك عضوٌ ولا مفصلٌ
فتقطعُ أوصالَك الأنصُل

فجاوبني هاتفٌ في الظلام
غلطت فما هذه الشَّمْأَل

ولكنها أنفُسُ الغابرين
تجوسُ الديار ولا تنزل

فقلتُ: أينهضُ من في القبورِ
وفوقهمُ التُّربُ والجندل؟

أجاب الصّدى ضاحكاً ساخراً:
إلى كم تحارُ وكم تسأل ؟

وترفعُ عينيك نحو السماء
وليستْ تُبالي ولا تَحفَل

من البحرِ تصعدُ هذي الغيوثُ
وتَهطلُ في البحر إذْ تهطل

وفي الجوِّ إنْ خفيتْ نسمةٌ
وفي الأرض إن نَضب المنهَل

✵✵✵✵✵

لقد كان في أمسِ ما قَبْله
وفي غَده يومُك المُقبِل

عجبتُ لباكٍ على أوَّلٍ
وفي الآخرِ النائحُ الأول

✵✵✵✵✵

هـمٌ فـي الـــشَّـــرابِ الـــذي نـــحـــتـــسي

وهُـمْ فـي الـــطـــعـــامِ الـــذي نـــأكل

وهُـمْ فـي الـــهـــواء الـــذي حـــولـــنـــا

وفـي مـــا نـــقـــولُ ومـــا نـــفـــعَل

فَـمن حـسب الـعـيش دنـيـا وأخـرى

فـــذا رجـلُ عـــقـــلـــه أحـــول

****

١٠ - الحجر الصغير

[الخفيف]

سـمع الـلـيلُ ذو الـنُّـجـومِ أنـيـنـاً
وهـو يـغـشى المـديـنـةَ الـبـيـضـاءَ
فـانـحـنَى فـوقَـهـا كـمسـتَـرِقِ الـهمْـ
سِ يـطـيلُ الـسـكـوت والإصـغـاء
فـرأى أهـلَـهـا نـيـامـاً كـأهل الْـ
ـكَـهف لا جـلْـبـةً ولا ضـوضـاء
ورأى الـسـدَّ خـلـفَـهـا مُـحـكم الـبنْـ
ـيـان والمـاءَ يُـشـبهُ الـصـحـراء
كـانَ ذاك الأنـينُ من حـجـرٍ في الـسْـ
ـسـدِّ يـشـكـو المـقـادر الـعـمـياء
أيُّ شـأنٍ يـقـول في الـكـونِ شـأني
لـستُ شـيـئـاً فـيه ولـستُ هـبـاء
لا رخـامٌ أنـا فـأنـحـت تـمـثـا
لاً ولا صـخـرةٌ تـكـونُ بـنـاء
لـست أرضـاً فـأرشفُ المـاءَ أو مـا
ءً فـأروي الحـدائقَ الـغـنَّـاء
لـستُ درّاً تُـنـافسُ الـغـادةُ الحـسْـ
ـنـاءُ فـيه المـلـيـحـةَ الحـسـنـاء
لا أنـا دمـعـةٌ ولا أنـا عـينٌ
لـستُ خـالاً أو وجـنـةً حـمـراء

حـــجـــرُ أغـــيـــرُ أنـــا وحـــقـــيـــرُ
لا جـــمـــالاً لا حـــكـــمـــةً لا مـــضـــاء
فَلأغـــادرْ هـــذا الـــوجـــود وأمـــضِي
بـــسلامٍ، إنـي كـــرهتُ الـــبـــقـــاء
وهـــوى من مـــكـــانه؛ وهـــو يـــشـــكـــو الْـ
أرض والـــشُّـــهب والـــدجى والـــسَّـــمـــاء
فـــتح الـــفـــجـــرُ جـــفـــنَهُ... فـــإذا الـــطّـــو
فَـــانُ يـــغـــشى «المـــديـــنـــةَ الـــبـــيـــضـــاء»

****

١١ - الطين

[الخفيف]

نسِي الطينُ - ساعةً - أنه طيـ
ـنٌ حقيرٌ فصالَ تيهاً وعربَدْ
وكسا الخزُّ جسمَهُ فتباهى
وحوى المالَ كيسُهُ فتَمرَّد
يا أخي. لا تَملْ بوجهكَ عني،
ما أنا فحمةٌ ولا أنت فَرْقَد
أنت لم تَصنعِ الحرير الذي تَلْـ
ـبسُ واللؤلؤَ الذي تتَقلَّد
أنت لا تأكلُ النُّضار إذا جُعْـ
ـت ولا تشربُ الجُمانَ المُنضَّد
أنت في البردة الموشَّاة مثلي
في كسائي الرَّديمِ تشقَى وتسعد
لكَ في عالَمِ النهارِ أمانٍ،
ورؤى، والظلامُ فوقك ممتَد
ولقلبي كما لقلبك أحْلا
مُ حسانٌ، فإنهُ غيرُ جلْمد

✡✡✡✡✡

أأمانيَّ كلُّها من ترابٍ
وأمانيك كلّها من عسجد؟
وأمانيَّ كلُّها للتلاشي
وأمانيك للخلود المؤكَّد !؟

لا. فــهــذي وتــلــك تــأتي وتــمــضِي

كَــذَويــهــا. وأيّ شيءٍ ســرمــد ؟

أيُّــهــا الــمُــزدهي.. إذا مــسَّك الــسُّــقْ

مُ ألاّ تــشــتــكي ؟ ألا تــتــنــهَّــد ؟

وإذا راعك الحــبــيبُ بــهــجــرٍ

ودعــتْك الــذكــرى ألا تــتَــوجَّــد؟[1]

أنت مــثــلي يــبشُّ وجــهُك لــلــنُّــعْ

ـمى وفي حــالــة المــصــيبــة يــكــمد

أَدمــوعي خَلٌ ودمــعُكَ شــهــدٌ؟

وبــكــائي ذُلٌّ ونــوحُك سُــؤْدد ؟

وابــتــســامي الــســرابُ لا رِيَّ فــيه ؟

وابــتــســامــاتُك الــلآلئُ خُــرَّد؟[2]

فَــلَكٌ واحــدٌ يُــظلُّ كــلَــيْــنــا

حــار طــرفي به وطــرفُكَ أرمــد[3]

قــمــرٌ واحــدٌ يُــطِلُّ عــلــيــنــا

وعلى الــكــوخِ والــبــنــاء الــمُــوطَّــد

إن يــكنْ مــشــرقــاً لــعــيــنــيك إني

لا أراهُ من كُــوّةِ الــكــوخِ أســود

الــنــجــومُ الــتي تــراهــا أراهــا

حــينَ تــخْــفَى، وعــنــدمــا تَــتَــوقَّــد

لــست أدنى عــلى غــنــاك إلــيــهــا

وأنــا معْ خَــصــاصــتي[4] لــستُ أبــعــد

✡✡✡✡✡

---

(١) من الوجد

(٢) اللؤلؤ قبل أن يثقب (الخريدة).

(٣) من الرمد   أرمد ورمداء

(٤) الفقر

أنت مـــثـــلـي من الـــثَّـــرى وإلـــيه
فـلـمـاذا يـا صـاحـبي الـتـيهُ والـصَّـد

كـنت طـفلاً إذ كـنتُ طـفلاً، وتـغـدو
حـين أغـدو شـيـخـاً كـبـيـراً أدْرَد[1]

لــستُ أدري من أين جـئتُ ولا مـا
كـنتُ، أو مـا أكـونُ يـا صـاحِ في غَـد

أفـتَـدري؟ إذنْ فـخـبـرْ، وإلا
فـلـمـاذا تـظُنُّ أنك أوحـد؟

٭٭٭٭٭

ألكَ الـقـصـرُ دونَهُ الحـرسُ الـشَّـا
كي ومن حـوله الجـدارُ المـشـيَّـد

فـامـنعِ الـليلَ أن يـمُـدَّ رِواقًـا
فـوقَهُ؛ والـضَّـبـاب أن يـتـلـبَّـد

وانـظـرِ الـنـور كـيف يـدخلُ لا يـطْـ
ـلُبُ إذنـاً، فـمـا له لـيس يُـطـرد ؟

مـرقَـدُ واحـدُ نـصـيـبُك مـنهُ
أفـتـدري كم فـيك لـلـذَّرِّ مـرقَـد ؟

ذُدتَـنـي عـنه، والـعـواصفُ تـعـدو
في طلابـي والجـوُّ أقـتمُ أربَـد[2]

بـيـنـمـا الـكـلبُ واجـدُ فـيه مـأوًى
وطـعـامـاً، والـهـرُّ كـالـكـلب يُـرفـد

فـسـمـعتُ الحـيـاةَ تـضـحكُ مـني
أتَـرجّى، ومـنكَ تـأبى وتَـجـحـد؟

٭٭٭٭٭

---

(١) من ليس في فمه سنٌ (والأنثى درداء)

ألكَ الـروضــةُ الجـمـيـلــةُ فـيـهـا الْـ
ــمـاءُ والـطـيـرُ والأزاهـرُ والـنَّـدْ؟
فــازجُــرِ الــريح أن تــهــزَّ وتــلــوي
شــجــر الــروض - إنه يــتـــأوَّد
والْــجُـمِ المــاءَ في الــغـديـرِ ومُــرْهُ
لا يُــصــفِّقْ إلا وأنت بِــمــشــهــد
إنَّ طــيــر الأراك[1] لــيس يُــبــالي
أنت أصــغــيت أم أنــا إن غَــرَّد
والأزاهــيــرُ لــيس تــســخــرُ من فــقـ
ــري ولا فــيك لــلــغــنَى تــتــودَّد

✡✡✡✡✡

ألك الــنــهــرُ؟ إنه لــلــنــســيمِ الــرْ
ــرطْب دربٌ ولــلــعــصــافــيــرِ مــوْرِد
وهْــو لــلــشُّــهبِ تــســتــحِمُّ به في الــصْ
ــصــيف لــيلاً كــأنــهــا تــتــبــرَّد
تَــدَّعــيه فــهلْ بــأمــرِكَ يــجــري
في عُــروقِ الأشــجــار أو يــتــجــعَّــد
كــان من قَــبْلِ أن تجيء، وتــمــضي
وهْــو بــاقٍ في الأرض لــلــجــزْرِ والــمــد

✡✡✡✡✡

ألك الحــقلُ؟ هــذه الــنــحلُ تجــني الــشْ
ــشــهــد من زهــرِهِ ولا تــتــردَّد
وأرى لــلــنِّــمــالِ مُــلــكــاً كــبــيــراً
قــد بــنــتــهُ بــالــكَــدْحِ فــيــه وبــالــكَــد

---

(١) شجر طيب الرائحة، تتخذ منه المساويك

أنت في شرعها دخيلٌ على الحقْ

لِ ولصٌّ جنى عليها فأفسد

لو ملكت الحقولَ في الأرضِ طُراً

لم تكن من فراشة الحقلِ أسعد

أَجميلٌ؟ ما أنت أبهى من الوردْ

دَة ذات الشَّذَا، ولا أنت أجود

أمْ عزيزٌ؟ وللبعوضةِ من خَدْ

دَيْك قُوتٌ وفي يديك المُهنّد

أمْ غنيٌّ؟ هيهات تختالُ لولا

دودةُ القَزِّ بالقَباء المُبجّد

أمْ قويٌّ؟ إذنْ مُرِ النوم إذ يغـ

ـشاك والليلَ عن جفونِك يرْتَد

وامنعِ الشَّيب أن يُلمَّ بِفَوْديْ

كَ ومُرْ تلبثِ النضارةُ في الخَد

أَعليمٌ؟ فما الخيالُ الذي يَطْ

رُقُ ليلاً؟ في أي دنيا يُولَّد؟

ما الحياةُ التي تَبين وتَخفَى؟

ما الزَّمانُ الذي يُذَمُّ ويُحمد؟

أيها الطينُ لست أنقى وأسمى

من ترابٍ تدوسُ أو تتوسد

سُدْت أو لم تَسُدْ فما أنت إلا

حيوانٌ مُسيَّرٌ مُستعبد!!

إنَّ قصراً سمكْتَهُ سوف يندكْ

كُ وثوبا حبكتَهُ سوف ينقَدّ[1]

---

(١) قدّه قطعه

لا يــكُنْ لــلــخــصــام قــلــبُكَ مــأوًى

إنّ قــلــبي لــلــحبٍّ أصــبح مــعْــبــد

أنــــا أولى بـــالحبِّ مـــنكَ وأحـــرى

من كــســاءٍ يــبْــلَى ومـــالٍ يــنْــفَــد!

****

١٢ - التينة الحمقاء

[البسيط]

وتـــيـــنــة غــضَّــة الأفــنــانِ بــاســقــة
قــالت لا تــرابِـهـا، والـصَّـيفُ يُـحـتَـضـرُ:

«بـئس الـقـضـاءُ الـذي في الأرض أوجـدَني
عـنـدي الجـمـالُ وغـيـري عـنـده الـنَّـظَـر»

«لأحْـبـسـنَّ عـلـى نـفـسـي عـوارفَـهـا
فـلا يـبـيـنُ لـهـا فـي غـيـرِهـا أثـر»

«كم ذا أُكـلِّفُ نـفـسـي فـوقَ طـاقـتـهـا
ولـيس لـي بلْ لـغـيـري الـفيءُ والـثَّـمـر»

«لـذي الجـنـاحِ وذي الأظـفـارِ بي وطَـرٌ
ولـيس في الـعـيش لي فـيـمـا أرى وطَـرٌ»

«إني مُـفـصـلـةٌ ظـلِّي عـلـى جـسـدي
فـلا يـكـونُ به طـولٌ ولا قـصـر»

«ولـسـتُ مـثـمـرةً إلا عـلـى ثـقَـة
أنْ لـيس يـطـرقُـني طـيـرٌ ولا بـشَـر»

✲✲✲✲✲

عـاد الـربـيعُ إلى الـدنـيـا بمـوكـبِهِ
فـازَّيـنتْ واكـتـستْ بـالـسُّـندُسِ الـشَّـجـرُ

وظلَّت التينةُ الحمقاءُ عاريةً

كأنها وتِدٌ في الأرضِ أو حجر

ولم يُطِقْ صاحبُ البستانِ رؤيتَها

فاجتثَّها فهوتْ في النارِ تستَعر

من ليس يسخو بما تَسخو الحياةُ به

فإنه أحمقٌ بالحرْصِ ينتحر

****

١٣ - في القفر

[الخفيف]

سئمتْ نفسِي الحياةَ مع النَّا
سِ، وملَّتْ حتى من الأحْبابِ

وتمشَّتْ فيها الملالةُ حتى
ضجِرتْ من طعامهمْ والشَّراب

ومن الكذبِ لا بساً بُرْدَةَ الصدْ
قِ وهذا مُسربَلاً بالكذاب

ومن القُبحِ في نقابٍ جميلٍ
ومن الحُسنِ تحت ألف نقَاب

ومن العابدينَ كلَّ إله
ومن الكافرين بالأرباب

ومن الواقفينَ كالأنصابِ
ومن الساجدين للأنصاب

ومن الراكبينَ خيلَ المعالي
ومن الراكبينَ خيلَ التَّصابي

والأُلى يصمُتُونَ صمْت الأفاعي
والأُلَى يهزِجُونَ هزْج الذُّباب

صغُرتْ حكمةُ الشيوخِ لديها
واستخفَّتْ بكل ما للشباب

قالتِ: اخْرُجْ من المدينة للقَفْ
رِ ففيه النجاةُ من أوصابي

✡✡✡✡✡

وَلكَ اللَّيلُ راهبي، وشُموعي الشُّـ
ـشُهْبُ؛ والأرضُ كلُّها محرابي
وكتابي الفضاءُ اقرأُ فيه
سُوراً ما قرأتُها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السَّواقي
وغنائي صوتُ الصَّبا في الغاب
وكؤوسي الأوراقُ ألقتْ عليها الشْـ
ـشَمسُ ذَوْبَ النُّضار عند الغياب
ورحيقي ما سال من مُقلة الفجْـ
ـرِ على العشْبِ كاللُّجينِ المُذاب
ولْتُكَحِّلْ يدُ المساء جفوني
ولْتُعانقْ أحلامُه أهدابي
ولْيُقبِّلْ فمُ الصّباحِ جبيني
ولْيُعطِّرْ أريجُه جِلبابي
وَلأَكُنْ كالغُراب: رزقي في الحقْـ
ـلِ وفي السَّفحِ مجْثَمي واضطرابي
ساعةٌ في الخلاء خيرٌ من الأعْـ
ـوامِ تُقضى في القصرِ، والأحقابِ

✡✡✡✡✡

يا لَنَفْسي فإنها فَتَنَتْني
بالحديثِ المنمَّقِ الخلاَّب
فإذا بي أَقلي[1] القصور وسُكْنا
ها وأهلَ القصورِ ذاتِ القباب
فهجرتُ العمرانَ تنفضُ كفي
عن ردائي غبارَهُ وإهابي

(١) قلاه – يقليه قلىً: أبغضه.

وتـــــركتُ الحـــــمى وســــرتُ وإيّـــا
هـــا وقـــدْ ذهَّب الأصــيلُ الـــرَّوابي
نـهـتـدي بـالـضـحى فإن عـسْعس الـلـيـ
ـلُ جـعـلـنـا الـدلـيلَ ضـوء الـشِّـهـاب
وقـضـيـنـا في الـغـاب وقـتـاً جـمـيلاً
في جـــوارِ الـــغُـــدرانِ والأعـــشـــاب
تـــــارةً في مُلاءةٍ من شُـــعـــــاعٍ
تـــــارةً في مـلاءةٍ من ضـــــبـــــاب
تـــارةً كــالـــنـــســيم نمــرحُ في الـــوا
دي، وطــوراً كــالجـدولِ الــمُـنـســابِ
في سـفـوحِ الـهـضـابِ والـظلُّ فـيـهـا
ومع الـــنُّـــورِ وهْـــو فـــوقَ الـــهـــضـــاب
إنمـــا نـــفـــسي الـــتي مـــلّتِ الــعُــمْـ
ـــرَانَ ملّتْ في الـغـاب صمْت الـغـاب
فـــأنـــا فـــيه مـــســـتـــقلٌّ طـــلـــيقٌ
وكـــــأنـــي أدبٌّ فـــي ســــــــرداب

☆☆☆☆

عـلَّـمـتـني الحـيـاةُ في الـقَـفْـرِ أني
أيـــنـــمـــا كـــنتُ - ســاكنٌ في الــتُّــراب
وســـأبـقـى مـــا دمتُ في قــفصِ الــصَّــلْـ
ـصالِ عـبـد الـمُـنى أسـيـر الـرِّغَـاب
خـلْتُ أني في الـقَـفـر أصـبـحتُ وحـدي
فـــإذا الـــنـــاسُ كـــلُّـــهمْ في ثـــيـــابي

****

١٤ - التمثال

[الطويل]

منَ المرمرِ المسْنونِ صاغوا مثالَهُ
وطافوا به من كلِّ ناحيةٍ زُمَرْ
وقالوا: صنعناهُ لتخليد رسمه
فقلتُ: ألا يفنى كما فَني الأثَرْ؟
وقالوا: نصبْناه اعترافاً بفضله
فقلتُ: إذنْ من يعرف الفضلَ للحجر؟
وقالوا: غنيٌ كان يسخو بماله
فقلت لهم: هل كان أسخى من المطر؟
وقالوا: قويٌّ عاش يحمي ذمارَنا
فقلتُ لهم: هل كان أقوى من القَدر؟
أكانَ غنياً أم قويّاً فإنه
بمالكُمُ استغنَى وقوتِكمْ ظفر
فَلَمْ يتَعشقْكمْ ولا همتمْ به
كما خلتمُ، لكنه النفعُ والضَّرر
ولم ترفعوا التمثالَ للبأسِ والنَّدى
ولكنْ لضعْفٍ في نفوسكمُ استَتَر
فَلستمْ تحبون الغنيَّ إذا افتقرْ
ولستمْ تحبونَ القويَّ إذا اندحر
رأيتكمُ لا تعرُجونَ بروضةٍ
إذا لم يكنْ في الروضِ فيءٌ ولا ثَمر

ولا تَعْلفون الشاةَ إلا لتَسْمنوا
ولا تَقْتَنونَ الخيلَ إلا على سفَر
إذا كان حبٌّ الفضلِ للفضلِ شأنكمْ
ولم تُخطئوا في الحس والسَّمعِ والبصر
فما بالكُمْ لم تُكرموا الليل والضُّحى؟
ولم تَنصبوا التِّمثالَ للشمسِ والقمر؟

****

١٥ - المساء

[مجزوء الكامل]

السُّحبُ تركضُ في الفضاء الرحبِ ركض الخائفينْ

والشمسُ تبدو خلْفَها صفراءَ عاصبةَ الجبينْ

والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينْ

لكنَّما عيناك باهتتَانِ في الأفق البعيدْ

سلمى!... بماذا تُفْكرينْ؟

سلمى!... بماذا تَحْلَمينْ؟

✡✡✡✡

أرأيتِ أحلام الطفولة تختفي خلف التُّخومْ؟

أم أبصرتْ عيناك أشباح الكهولة في الغيومْ؟

أم خفْتِ أن يأتي الدَّجى الجاني ولا تأتي النجومْ؟

أنا لا أرى ما تَلْمحينَ من المشاهدِ إنَّما

أظلالها في ناظريك

تَنمُّ يا سلمى عليك

✡✡✡✡

إني أراك كسائحٍ في القَفْر ضلَّ عن الطريقْ

يرجو صديقاً في الفلاة، وأين في القَفْر الصَّديقْ

يهوى البروقَ وضوءها ويخافُ تخدعُه البروقْ

بل أنت أعظمُ حيرةً من فارسٍ تحت القَتَامْ(١)

لا يستطيعُ الانتصارْ

ولا يطيقُ الانكسارْ

✡✡✡✡

---

(١) الغبار

هــذي الــهــواجِسُ لم تــكن مــرســومــةً في مــقــلَــتــيْك
فــلــقــدْ رأيــتُك في الــضــّـحى ورأيــتُه في وجــنَــتــيْك
لــكنْ وجــدتُك في المــســاء وضــعــتِ رأسك في يــديكِ
وجــلــستِ في عــيــنــيك ألــغــازٌ وفي الــنــفسِ اكــتــئــابْ
مــثلُ اكــتــئــابِ الــعــاشــقــينْ
ســلــمى... بمــاذا تــفْــكــرينْ؟

☼☼☼☼☼

بــالأرضِ كــيف هــوتْ عــروشُ الــنــور عن هــضــبــاتــهــا؟
أمْ بــالمــروجِ الخُــضْــرِ ســاد الــصــمتُ في جــنــبــاتــهــا؟
أم بــالــعــصــافــيــرِ الــتي تــعــدو إلى وُكُــنــاتــهــا؟
أم بــالمــســا ؟ إنَّ المــســا يُــخــفي المــدائن كــالــقــرى
والــكــوخَ كــالــقَــصــرِ المــكــينْ
والــشَّــوك مــثلَ الــيــاســمــينْ

☼☼☼☼☼

لا فــرقَ عــنــد الــلــيل بــين الــنــهــرِ والمــســتــنــقَعِ
يــخــفي ابــتــســامــاتِ الــطــروبِ كــأدمُعِ المــتــوجِّعِ
إنَّ الجــمــالَ يــغــيبُ مــثلُ الــقــبحِ تحت الــبُــرقع
لــكنْ لمــاذا تجــزعــينَ عــلى الــنــهــارِ ولــلــدُّجى
أحــلامُــهُ ورغــائــبــهْ
وســمــاؤُهُ وكــواكــبُــهْ

☼☼☼☼☼

إن كــان قــد ســتــر الــبلاد ســهــولَــهــا ووعــورهــا
لم يــســلُبِ الــزَّهــر الأريج ولا المــيــاهَ خــريــرهــا
كلا. ولا مــنع الــنَّــســائم في الــفــضــاء مــســيــرهــا
مــا زالَ في الــورقِ الحــفــيف وفي الــصَّــبــا أنــفــاســهــا

والعندليبِ صُداحَهُ
لا ظفرَهُ وجناحهُ

✡✡✡✡✡

فاصغَيْ إلى صوتِ الجداولِ جارياتٍ في السفوحْ
واستنشقي الأزهار في الجنَّاتِ ما دامتْ تفوحْ
وتمتَّعي بالشُهْبِ في الأفلاك ما دامتْ تلوحْ
من قَبْلِ أن يأتي زمانٌ كالضّبابِ أو الدخانْ
لا تبصرين به الغديرْ
ولا يلَذُّ لك الخريرْ

✡✡✡✡✡

لتكُنْ حياتُك كلُّها أملاً جميلاً طيبا
ولْتملأِ الأحلامُ نفسَك في الكهولة والصِّبا
مثلَ الكواكب في السماء وكالأزاهرِ في الرُّبا
ليكنْ بأمرِ الحبِّ قلبُك عالَماً في ذاته
أزهارُه لا تذبُلُ
ونجومُهُ لا تأفُلُ

✡✡✡✡✡

مات النهارُ ابنُ الصباحِ فلا تقولي كيف ماتْ
إن التَّأملَ في الحياة يزيدُ أوجاعَ الحياةْ
فدعي الكآبةَ والأسى واسترجعي مرح الفتاةْ
قد كان وجهُك في الضحى مثلَ الضحى متهلّلا
فيه البشاشةُ والبهاءْ
ليكنْ كذلكَ في المساءْ

****

١٦ - الكمنجة المحطمة

[الكامل]

شاهدتُها كالميْت في أكفانه
فوجمتُ إلا عبْرةً أُذريها

مهجورةً كسفينة منبوذةٍ
في الشطّ غاب وراءَهُ ماضيها

نسجتْ عليها العنكبوتُ خيوطَها
وكسا الغبارُ غُلالةً تكسوها

أقوتْ وبانتْ كالمسامعِ بعدها
لا شيء يُطربُها ولا يشْجِيها

وكأنها في صمتها مشدوهةٌ
ألاّ ترى بهُتافها مشْدوها

لا حسَّ في أوتارها، لا شوقَ في
أضلاعها، لا حُسْنَ في باقيها

فارزحْ بحزنِكَ يا حزينُ فإنها
لا تنشرُ الشكوى ولا تطويها

وإذا انقضى عهدُ التعلُّلِ بالمنى
فالنفسُ يشْفيها الذي يُرديها

✡✡✡✡✡

لله عهْدٌ مرَّ لي في ظلِّها
أبكي عليه وتارةً أبكيها

كـــانتْ كـــأن ضـــلـــوعـــهـــا مـــوصـــولـــةٌ

بـــأضـــالـــعي، وســـرائـــري في فـــيـــهـــا

كم مـــــرَّةً حـــــامتْ غـــــرابـــيـــبٌ[1] الأسى

لــتُــقــيت من قــلــبي الجــريحِ بــنــيــهــا

فـــإذا الأغـــاريـــدُ الـــلـــطـــيـــفـــةُ دونَـــهـــا

سُـــوْرٌ يـــصـــونُ حُـــشـــاشـــتي ويـــقـــيـــهـــا

كم هـــزّني الـــشّـــدوُ الـــرخـــيـــمُ فـــســـاقـــطتْ

نـــفـــســـي هُـــمـــومـــاً أوشـــكتْ تُـــبـــلـــيـــهـــا

فـــإذا أنـــا مـــثلُ الـــبـــنـــفـــســـجـــة الـــتي

ذَبُـــلتْ فـــبـــاكَـــرهـــا الـــنـــدى يُـــحـــيـــيـــهـــا

ولـــكمْ ســـمـــعتُ خـــفـــوقَ أجـــنـــحـــة المـــنى

وحـــفـــيـــفَـــهـــا في نـــغـــمـــة تـــوحـــيـــهـــا

فـــســـكـــرتُ حـــتى مـــا أعي، سُـــكْـــر امـــرئٍ

بـــالخـــمـــرِ أتـــرع كـــأسَهُ ســـاقـــيـــهـــا

ورأيـــتُـــني في جـــنـــة ســـحـــريّـــة

لا يـــرتـــوي من حُـــســـنـــهـــا رائـــيـــهـــا

ولمحتُ أحلام الـــشـــبـــابِ مـــواكـــبـــاً

تَـــتـــرى أمـــامي، والـــهـــوى حـــاديـــهـــا

ســـرُّ الـــســـعـــادةِ في الـــرؤى إن الـــرؤى

لا كفٌّ تُـــثـــبـــتُـــهـــا ولا تـــمـــحُـــوهـــا

---

(١) شديدة السواد

ولـكمْ سـمـعتُ دبـيب أشـبـاحِ الأسى
عـنـد المـسـا في أنّـة تُـزجِـيـهـا
فـذكـرتُ ثَمّ مـحـاسـنـاً تحت الـثرى
غـابتْ وشـوَّهَـهـا الـبِلَى تـشـويـهـا
فـإذا أنـا كـالـسـنديـانـة شـوّشتْ
أغـصـانَـهـا الـريحُ الـتي تَـلـويـهـا
أو كـالـسـفـيـنـة في الـضَّبـابِ طـريقَـها
ضـلّتْ، وغـابتْ أنجمُ تَـهـديـهـا
شـهِـد الـدُّجى والـفـجـرُ أني جـازعٌ
لـسكُـوتـهـا جـزع الـغَـديـرِ أخـيـهـا
مـا إن سـمـعتُ أنـيـنَهُ ونـشـيـجَهُ
إلا ويـعـرو الـنـفس مـا يـعْـرُوهـا
روَّى الـثَّـرى يـا لـيت روحي في الـثرى
أو في الـنـبـاتِ لـعـلَّهُ يُـرويـهـا
يـا صـاحـبي وفي حـنـايـا أضـلـعي
همٌّ يـكُظُّ الـروح بل يُـدمـيـهـا
إن الـتي نـقـلتْ حـكـايـاتِ الـهـوى
لم يـبقَ غـيـرُ حـكـايـة تَـرويـهـا
كـمـديـنـة دَكَّ الـقـضـاءُ صـروحـهـا
دكّـاً، وكـفّن بـالـسـكـوت ذويـهـا
نُـعـيتْ فَـرِيع الـفـجـرُ وارتـعش الـدُّجى،
مـا كـان أهـونَـهـا عـلـى نـاعـيـهـا

لا تعجبا في الغاب من نَوْحِ الصَّبا

وعويلها إنّ الصبا تَرثيها

لو تسمعانِ نجيَّها متمشياً

كالسحرِ في الأرواحِ يسْتَهويها

لَعلمْتُما أن القضاءَ اغتالها

كَيلا تبوح بكلِّ سر فيها

****

١٧ - زهرة أقحوان

[مجزوء الرمل]

كـــان فـي صــــدرِي ســـــرٌّ كـــامنٌ كــــالأُفـــعـــوانِ
أتــــــوقَّـــــاهُ وأخـــشـى أن يــــــراهُ من يـــــراني
وإذا لاح أمـــــامـي عـــــقْلَ الــــذُّعــــرُ لـــســـاني
فــكــــأني عــنــد بــحــرٍ هـــائجٍ أو بُـــركّـــان[١]
لـم أخَــفْهُ غــيــر أني خــفتُ أبــنــاءَ الــزمــان
ولـــكَم فَـــانٍ نــظــيــري خــاف قــبــلي بــطش فَــانِ

☼☼☼☼☼

لم يــسـعْ سـري فـؤادي، لـم تــسـعْ نـفــسي المــعــاني
فــقــصــدتُ الــغــاب وحــدي والــدجى مُــلْــقى الجِــران[٢]
ودفــــنتُ الـــســـرَّ فــيه مــثـــلــمـــا يــدفنُ جــان
ورأى الــلــيلُ قــتـيــلي فــبــكــاهُ وبــكــاني
إنَّ لـــلـــيلِ دمـــوعــاً لا تـــراهـــا مُـــقــلــتـــان

☼☼☼☼☼

كـــنتُ حـــتى معْ ضـــمـــيــري أمس في حـــربٍ عـــوانِ
فـــانــقـضى عــهــدُ الــتَّـجـافي وأتى عـــهــدُ الـــتَّـداني
خُـــدِّرَتْ روحي فــــأمــــسى شـــأنُ جُلِّ الخَـــلْقِ شـــاني
لا أرى في الخـــمــر مــعــنًى، ولـــكَمْ فــيــهــا مــعـــانِ!
فــــكــــأني آلـــة الـــعـــاصـــرِ أو إحــــدى الأواني
لـم يــعُــدْ قــلــبي كــالــبـرقِ شــديــد الخَــفــقَــان

---

(١) التشديد لضبط الوزن
(٢) مقدم عنق البعير، يمده على الأرض فيقال ألقى جرانه بالأرض

لم تَـعُـدْ نـفـسي كـالـنـجـمـةِ ذاتِ اللـمعان
بتُّ لا أبكى لمظلومٍ ولا حُـرٍّ مُـهـان
لا ولا أحفلُ بالباكي ولو ذو صولجان
صرتُ كالصَّخرِ، سواءٌ هادمٌ عندي وبانِ !

☼☼☼☼

يا الأَمَانيَّ الغَوالي! يا لأحلامِي الحِسانِ!
طوتِ الغابةُ سري فانطوتْ معْه الأماني
ضاعَ لمّا ضاع شيءٌ من كياني، بل كياني
في صباحٍ مستطيرٍ كصباحِ المهرجان
لَبِستْ فيه الروابي حُلّةً من أُرجوان
وتَبدّى الغابُ من أوراقه في طيلسان
ساقني روحٌ خفيٌّ نحو ذيَّاكِ المكان
فإذا بالسِّرِّ أضحى زهرةً من أُقحوان!

****

١٨ - الأسرار

[الكامل]

يـا لـيـتَـنـي لصٌّ لأسـرُقَ في الـضُّـحى
سـرَّ الـلَّـطـافـة في الـنَّـسـيمِ الـسَّـاري
وأجس مـؤتَـلِـقَ الجـمـالِ بـإصـبـعي
في زرقـة الأُفق الجـمـيلِ الـعـاري
ويـبـينَ لي كُـنْهُ الـمـهـابـةِ في الـرُّبـا
والـسـرُّ في جـذَلِ الـغـديـرِ الجـاري
والـسـحـرُ في الألـوانِ والأنـغـام والْـ
أنـداء والأشْـذاء والأزهـار
وبـشـاشـةُ المـرجِ الخـصـيبِ ووحـشـةُ
الـوادي الـكـئـيب وصـولـةُ الـتَّـيـار
وإذا الـدُّجى أرخى عـلي سُـدولَهُ
أدركتُ مـا في الـلـيلِ من أسـرار
فـلـكَمْ نـظـرتُ إلى الجـمـالِ فَـخـلـتُهُ
أدنى إلى بـصـري من الأشـفَـار[١]
فـطـلَـبـتُهُ فـإذ الـمـغـالقُ دونَهُ
وإذا هـنـالك ألفُ ألف سـتـار
بـادٍ ويـعـجِـزُ خـاطـري إدراكَهُ
وا فـتْـنَـتي بـالـظـاهـرِ المـتَـواري!

****

(١) شُفر العين حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب

١٩ - العميان

[الخفيف]

كَمْ خـفَـضْـنـا الجـنـاح لـلـجـاهـلـيـنـا

وعـــذرنـــاهمُ فـــمـــا عـــذَرونـــا

خـــبـــروهُمْ يـــا أيـــهـــا الـــعـــاقـــلـــونـــا

إنَّـــمـــا نـــحنُ مـــعـــشـــر الـــشُّـــعـــراء

يـــتـــجـــلَّى ســـرُّ الـــنـــبـــوَّةِ فـــيـــنـــا

✡✡✡✡

ذكّـــروهُمْ فـــرُبَّ خـــيـــرٍ كـــبـــيـــرِ

فـــعـــلَـــتْهُ الـــهُـــداةُ بـــالـــتَّـــذكـــيـــرِ

إنمـــا الـــنـــاسُ من تـــرابٍ ونـــورِ

فَـــبـــنـــو الـــنـــورِ يـــعـــبـــدونَ الـــنُّـــورا

وبـــنـــو الـــطـــينِ يـــعـــبـــدون الـــطِّـــيـــنـــا

✡✡✡✡

قـــيلَ عـــنَّـــا قُـــصُـــورنـــا من هـــبـــاء

تـــتـــلاشى في ضـــحـــوةٍ ومـــســـاء

أو ســـطـــورٌ بـــالمـــاء فـــوقَ المـــاء

لـــو ســـكَـــنـــتمْ قـــصـــورَنـــا بـــعض ســـاعهْ

لَـــنـــســـيـــتمْ شـــهـــورَكُمْ والـــســـنـــيـــنـــا

✡✡✡✡

لـــو دخـــلـــتُمْ هـــيـــاكلَ الإلـــهـــامِ

وســـرحـــتُمْ في عـــالـــمِ الأحـــلامِ

واجْـــتـــلـــيـــتُمْ ســـرَّ الخـــيـــالِ الـــسَّـــامي

وعرفتُمْ كما عرَفنا اللهَ
لخررتُمْ أمامنا ساجدينا

✡✡✡✡

قد سقتْنا الحياةُ كأساً دهاقا
حسُنتْ نكهةً، وطابت مذاقا
وسقَيْنَا مما شربْنَا الرِّفاقا
فتركناهُمُ حيارى سُكارى
يتمنَّونَ أنهمْ لا يعونا

✡✡✡✡

همُّكُمْ في الكؤوسِ والأكوابِ
آه لو كان هَمُّكُمْ في الشرابِ
لطَرحتمْ عنكمْ قيود التُّراب
وشعرتُمْ بلذَّةٍ أو عذابِ
هذه الخمرُ ليتكُمْ تشربونا!

✡✡✡✡

أتقولونَ: إنه مجنونُ!
أتقولونَ: إنه مفتونُ!
أتقولونَ: شاعرٌ مسكينُ!
كم مليكٍ، كم قائدٍ، كم وزيرٍ
ودَّ لو كان شاعراً مسكينا

✡✡✡✡

عاش «ملتن» فلم يكنْ مذكورا
و«هوميروسُ» «كالشيخ» كان ضريرا
ولقد مات «ابن بُرد» فقيرا
أرأيتمْ كما رأى العميانُ؟
أفلستمْ بنورهمْ تَهتَدونا ؟

****

٢٠ - الزمان

[الكامل]

يمشي الزَّمانُ بمنْ ترقّب حاجةً
مُتَثاقلاً كالخائف المتردِّد
حتى ليحسبَهُ أسيرًا مُوثَقاً
ويراهُ أبطأَ من كسيحٍ مُقعد
ويخالُ حاجتَهُ التي يصبو لها
في دارة الجوزاء أو في الفَرْقد
ويكونُ ما يرجوهُ زَوْرَةَ صاحبٍ
ويكونُ أبعد ما يُرجي في غد

✲✲✲✲

فإذا تولّى النفس خوفٌ في الضحى
من واقبٍ[1] تحت الدجى أو معتَد
طارتْ بها خَيْلُ الزمانِ ونُوقُهُ
نحو الزمانِ المدلَهِمِّ الأسود
فكأنها محمولةٌ في بارقٍ
أو عارضٍ أو عاصفٍ في فَدْفَد[2]

✲✲✲✲

ويكونُ أقصر ما يكونُ، إذا الفتى

---

(١) داخل (وقب دخل).
(٢) الأرض الواسعة المستوية

مدَّتْ له الدنيا يد المتودَّد

فتوسّطَ اللَّذات غير مُنفَّرٍ

وتوسد الأحلام غير منكَّد

فإذا لذيذُ العيشِ نُغبةَ طائرٍ

وإذا طويلُ الدهرِ خطرةَ مرْود

✡✡✡✡✡

وإذا الفتى لَبِس الأسى ومشى به

فكأنما قد قال للزمنِ اقْعُد

فإذا الثواني أشهرٌ، وإذا الدَّقا

ئقُ أعصُرٌ، والحزنُ شيءٌ سرمدي

وإذا صباحُ أخي الأسى أو ليلُهُ

متجددٌ مع همه المتجدِّد

قهر الورى وأذلَّهمْ أنَّ الورى

متعللٌ أو طامعٌ أو مُجتَد

جعلوا رغائبهُمْ قياس زمانهمْ

والدهرُ أكبرُ أن يقاس بمقْصد

وقتلتُ في نفسي الرغائب والمنى

فقهرتُه بتَجرُّدي وتزهُّدي

يشكو الذي تشكو السُّهاد جفونُه

لو لم يكن ذا ناظرٍ لم يسْهد

إنْ كان شيءٌ للنفاد أعدَّهُ

في ما انقضى ومضى، وإن لم ينفَد

ما إن رأيتُ الكُحلَ في حدَقِ المها

إلا لمحتُ الدّود خلف الإثمد

من ليس يضحكُ والصباحُ مُورِّدٌ

لم يـكـتـئبْ والـصـبحُ غـيـرُ مُـوردٍ

سـيّـانِ أحلامٌ أراهـا في الـكـرى

عـنـدي، وأشـيـاءٌ بـهـا اشـتـملتْ يـدي

أنـا في الـزمـانِ كـمـوجـة في زاخـرٍ

أنـا فـيه إنْ يُـزبِـدْ وإنْ لم يُـزبـد

مـهـمـا تلاطم فـهـو لـيس بمُـغْـرقِي

أو مُـخْـرِجي مـنه ولا بمُـبـددي

هـيـهـات مـا أرجـو ولا أخـشى غـداً

هل ارتجي وأخـافُ مـا لم يـوجِـد

والأمسُ فيَّ فـكـيف أحـسـبَهُ انـتـهى

أفـمـا رأيتُ الأصلَ في الـفـرْعِ الـنَّـدِي؟

قـبْلٌ كـبـعْـدٍ حـالـةٌ وهـمـيَّـةٌ

أمـسي أنـا، يـومي أنـا، وأنـا غـدي

****

٢١ - اليتيم

[الخفيف]

خـــبـــروني مـــاذا رأيـــتمْ ؟ أأطـــفـــا

لاً يـــتـــامى أمْ مـــوكـــبـــا عـــلَـــويًّـــا

كـــزهـــورِ الـــربـــيـعِ عـــرْفـــاً زكـــيًّـــاً

ونجـــومِ الـــربـــيـعِ نُـــوراً ســـنـــيّـــا

والـــفـــراشـــاتِ وثـــبـــةً وســـكـــونـــاً

والـــعـــصـــافـــيـــرِ بل ألـــذُّ نجـــيّـــا

إنـــني كـــلـــمـــا تـــأمَّـــلتُ طـــفلاً

خـــلـتُ أني أرى ملاكـــاً ســـويّـــا

قل لمن يـــبـــصـــرُ الـــضَّـــبـــاب كـــثـــيـــفـــاً

إن تحت الـــضَّـــبـــاب فـــجـــراً نـــقـــيّـــا

الـــيـــتـــيـــمُ الـــذي يـــلـــوحُ زريّـــاً

لـــيس شـــيـــئـــاً، لـــو تـــعـــلـــمـــونَ، زريًّـــا

إنَّهُ غـــرســـةٌ ســـتُـــطْـــلِـعُ يـــومـــاً

ثـــمـــراً طـــيـــبـــاً وزهـــراً جـــنـــيّـــاً

ربمـــا كـــان أودع الـــلـــهُ فـــيـــه

فـــيـــلـــســـوفـــاً، أو شـــاعـــراً، أو نـــبـــيّـــا

لم يـــكـنْ كلُّ عـــبـــقـــري يـــتـــيـــمـــاً

إنمـــا كـــان كـــالـــيـــتـــيـمِ صـــبـــيّـــا

لـــيس يـــدري لـــكـــنه ســـوف يـــدري

أن ربَّ الأيـــتـــامِ مـــا زال حـــيّـــا

عـنـدمـا يـصـبحُ الـصـغـيـرُ فـتـيّـاً

عـنـدمـا يـلـبسُ الـشّـبـابُ حُـلـيّـا

كلُّ نجمٍ يـــكـــونُ، من قَـــبلِ أن يـــبْـ

ـــدو ســديمـاً، عن الـعـيـون خـفـيّـا

إنْ يكُ المـــوتُ قـــد مـــضى بـــأبـــيه

مـــا مـضى بـالـشـعـور فـيك وفـيّـا

وشـــقـــاءٌ يُـــولّـــد الـــرفقَ فـــيــنـــا

لَـــهُـو الخـيُـر بـالـشـقـاء تَـــزيّـا

لا تـــقـــولـــوا من أمُّهُ ؟ من أبـــوه ؟

فـــأبـــوهُ وأمّـهُ ســـوريّـــا

فـــأعـــيـــنـــوه كي يـــعـــيش ويـــنـــمـــو

نـــاعم الـــبـــالِ في الحـــيـــاة رضـيّـا

رُبَّ ذهنٍ مـــثلَ الـــنـــهـــارِ مُـــنـــيـــرٍ

صـــار بـــالـــبـــؤس كـــالـــظلامِ دجِـيّـا

كم أثـــيمٍ في الـــســـجنِ لـــو أدركـــتْهُ

رحـــمـــةُ الـــلـه كـــان حُـــرّاً ســـرِيّـا

حـــارِبـوا الـبـؤس في الـصـغـار صـغـاراً

قـــبل أن يـــســـتـــبـــد فـــيـــهم قـــويّـا

كـــلُّـــهـمْ ذلك الجـــريحُ المـــلـــقّى

فـلـنـكنْ كـلـنـا الـفـتى «الـسّـامـريّـا»[1]

****

(١) قصته في القرآن الكريم (سورة طه، الآيات ٨٥ وما بعدها). وهو الذي أخرج لقوم موسى العجل الذهبي بعد خروجهم من مصر.

٢٢ - المجنون

[مختلط]

أطـار عـني الـنوم صـوتٌ في الـدَّجى

كـأنه دمـدمـةُ الـشَّلالِ

يـصـرخُ والـريحُ تـردِّدُ الـصَّدى

في أذْنِ الـفـضـاء والـتِّلال

يـا لـيلُ قفْ هـنـيـهـةً قُـبـالي

تـرى الـبـرايـا وأرى الـلـيـالي

أنـا الـشَّـادي، أنـا الـبـاكي،

أنـا الـعـاري، أنـا الـكـاسي

أنـا الخـمـرة والـدَّنُّ

أنـا الـسَّـاقي، أنـا الحـاسي

✡✡✡✡✡

خـلـعتُ ثـوبـاً لم تـفـصِّـلْهُ يـدي

وهـمتُ في الـوادي بلا سـربـال

وخـلْـتُـنِي انـطـلـقتُ من سَلاسـلِي

وخَـلُـصتْ ذاتـي من الأوحـال

فـلـم أزلْ أرسـفُ فـي أغـلالـي

ولم أزل في حـنـدس الـمُـحـالِ

فـمـا أبـكي من الـغُـرْبَـ

ـة عن جـارٍ وعن خَـدن

فـقـد يـرجعُ جـيـراني

وتُـنـفَى غُـرْبَـتي عـنِّي

✡✡✡✡✡

عــرفتُ فـي الــنـهــارِ كلَّ مُــقـبلٍ

ومُــدبــرٍ، ومــا عــرفتُ حــالي

واسْـتَـتَـرتْ عـنـي الـسـهـولُ والـرُّبـا

تحت الــدُّجى، والـبـحـرُ ذو الأهـوالِ

لـكـنَّـمـا لم تـسـتـتـرْ آمــالـي

عــنـي ولا نـقـصـي ولا كـمـالـي

ولا ضـعـفـي ولا عـــزمـي

ولا قُـبـحـي ولا حـسـنـي

فـكـم أهــربُ مـن نـفـسـي

ومـا لـي مـهـربٌ مـنـي

☆☆☆☆☆

فـقـلـتُ: من هـذا ؟ فـقـال صـحـبي:

مُـوسْـوسٌ يـهـذي من الخـيـال

يـأوي إلى الأدغـال في نـهـارِه

كـأنـه جـزءٌ مـن الأدغَـال

وفـي الـدُّجى لـه صـراخٌ عـالِ

كـأنـه والـلـيلَ في نـضـالِ

كـأنَّ الـلـيلَ يـوثِـقُهُ

بـأغـلالٍ وأمـراسِ

ويـضـربُ جـسـمَهُ الـعـاري

بـسـوط الـظـالم الـقـاسي

☆☆☆☆☆

مـا إنْ رآه أحـدٌ إلا رآ

هُ شـاخص الـطَّـرف إلى الأعـالي

كـــأنمـــا يـــرقبُ ركْـــبـــاً صـــاعـــداً

أو هـــابـــطـــاً ولـــيس غـــيـــر الآل[1]

كـــأنمـــا يـــخـــشى عـــلـى الـــهـلالِ

وســـائـــرِ الـــشُّـــهبِ من الـــزوال

فـــصـــاح الـــصـــوتُ مـــا أرجـــوه

في نـــفـــســي ومـــا أحـــذَرْ

فـــمـــهـــمـــا رحُب الأفقُ

فـــنـــفـــســي الأفقُ الأكـــبـــرْ

✲✲✲✲✲

لـــيس جلالُ الـــلـــيلِ مـــا أدهـــشـــني

وإنمـــا أدهـــشـــني جلالـي

ولا جـــمـــالُ الـــشُّـــهب مـــا حـــيَّـــرني

وإنمـــا حـــيَّـــرني جـــمـــالي

إن كـــان بي شـــوقٌ إلى وِصـــالِ

فـــإنمـــا شـــوقي إلى خـــيـــالي

تـــوشَّـــحتُ الـــضُّـــحى والـــلـــيـ

ـلَ في أُنْـــســي وفـي حـــزني

فـــمـــا زاد الـــدّجى خـــوفي

ولا زاد الـــضّـــحى أمـــني

✲✲✲✲✲

لم أهـــجرِ الـــنـــاس فـــأصـــنـــافُ الـــورى

من الـــسَّلاطـــينِ إلى المـــوالي

إلى ذوي الـــعـــلـم إلى أهل الـــغـــنى

من واصـلٍ وهـــاجـــرٍ وســـالِ

---

(١) السراب

وحـــاضـــرٍ وســـابـقٍ وتـــالِ
في قـبـضـتي «الـيـمـنى» بلا جـدالِ
تـلاق الأحــــمـقُ الجـــاهـ
ـلُ والـــعـــالمُ في كـــفّي
ومــن كــــــــان لــه إلْــفٌ
ومــن كــــــــان بــلا إلْــف

✡✡✡✡

وفي يـدي «الـشِّـمـالُ» أشـكـالُ المـنى
وصــورُ الـــيـــقـــينِ والـــضّلالِ
وكلُّ مـــا لـــعـــاقلٍ أو جـــاهلٍ
من لـــذَّةٍ أو ألمٍ قَـــتَّـــالِ
وســـائـــرُ الأمـــورِ والأحـــوالِ
وكلُّ شيءٍ قـــال شـــخصٌ: ذا لي
وكـــان الـــلـــيلُ قـــد أزمـ
ـع أن يـــحـــدو مـــطـــايـــاهُ
فـــســـاد الـــصَّـــمتُ في الـــوادي
كـــأن المـــوت يـــغـــشـــاهُ

✡✡✡✡

فـــسـرتُ، والـفـجـرُ دلـيلٌ، بـاحـثـاً
في الـــغـــابِ والـــسّـــفـوحِ والـــتلال
فـــلـم أجـــدْ غـــيـــر صـــريعٍ هـــامـدٍ
مـــنـــطـــرحٍ في جـــانـبِ الـــشّلال
«لا شيء» في قـبـضـته الـشِّـمـالِ
ولـيس في الـيُـمـنى سـوى «صَلْـصـال»!

****

٢٣ - قطرة الطلّ

[مجزوء الرمل]

إنْ تــــر زهـــرةَ وردٍ، فـــوقَـــهـــا لـــلـــطلّ قـــطـــرَهْ
فـــتـــأمَّـــلْـــهـــا كـــلَـــغْـــزٍ غـــامضٍ تَـــجـــهلُ ســـرّه
ولـــتـــكنْ عـــيـــنُك كـــفّـــاً، ولـــيـــكُنْ لَـــمـــسُك نـــظـــرَهْ
لـــيـــست الـــحـــمـــراءُ جِـــمـــرَهْ؛ لا ولا الـــبـــيـــضـــاءُ دُرَّه

✡✡✡✡

رُبَّ روحٍ مـــثْلِ روحي عـــافت الـــدنـــيـــا الـــمُـــضـــرَّه
فـــارتـــقتْ في الجـــوّ تـــبـــغي مـــنـــزلاً فـــوق الـــمـــجـــرَّه
عـــلّـــهـــا تحـــيـــا قـــلـــيلاً في الـــفـــضـــاء الحـــر حُـــرَّه
ذَرفَـــتْـــهـــا مُـــقـــلـــةُ الـــظـــلـــمـــاء عـــنـــد الـــفـــجـــرِ قـــطـــره

✱✱✱✱

٢٤ - نار القرى[(١)]

[الكامل]

رُوحي التي بالأمس كانت ترتَعُ
في الغاب مثلَ الظبية القَمراء
تقتَاتُ بالثمرِ الجنيِّ فتشبعُ
ويبُلُّ غُلَّتها رِشاشُ الماء
نظرتْ إليك فأصبحت لا تقنعُ
بالماء والأفياء في الغَبراء
تُصغِي وتُنصتُ، والحمامةُ تسجَعُ
إصغَاؤها لك ليس للورْقَاء
ناديتَها فلَها إليك تَطلُّعُ
هذا التَّطلعُ كان أصلَ شقائي
جنَّحْتَني كَيما أطير فلم أطرْ
هيهات إنك قد طويت سمائي

✲✲✲✲✲

قد كان يسْبيني الجمالُ الرائعُ
حتى لمحْتُك فهْو لا يسْبيني
عصفتْ بصدري لليقين زوابعُ
ثلَّتْ عُروش توهمي وظنوني
فأنا على ما ضاعَ مني جازعُ
إن الذي قد ضاعَ جِدٌّ ثمين

(١) رمز، في الشعر القديم، لمواطن الوحي وضوئه، تعشو إليه الأنظار

لـــولاك مـــا مـــات الخـــيـــالُ الـــيـــافعُ
أفـــتـــعْـــجـــبـــينَ إذا كـــرهتُ يـــقـــيـــني

هـــذا صـــنـــيـــعُك بي، فـــمـــا أنـــا صـــانعُ
قـــد شـــاء بـــحـــرُك أن تَـــضلَّ ســـفـــيـــني

جـــرَّدْتِ هـــذا الـــطـــينَ من أوهـــامه
وكَـــبِـــرتِ عن قـــارورةٍ من طـــين

☆☆☆☆☆

كـــيف الـــوصـــولُ إلـــيك يـــا نـــار الـــقـــرى
أنـــا في الـــحـــضـــيضِ وأنتِ في الـــجـــوزاء

لي ألـفُ بـــاصـــرةٍ تَـــحنُّ كـــمـــا تـــرى
لـــكنّ دونَك ألـفُ ألـف غـــطـــاء

لـــو منِ ثـــرى، مـــزَّقـــتُّـــهـــا بـــيـــد الـــثَّـــرى
لـــكـــنـــهـــا ســـجْـــفٌ من الأضـــواء

ســـاءلتُ قـــلـــبي إذ رأى فـــتـــحـــيَّـــرا
مـــاذا شـــربت فـــمـــدْت ؟ قـــال دمـــائي

يـــا لـــيـــتَـــهُ قـــد ظلَّ أعـــمـى كـــالـــورى
فـــلـــقـــدْ نـــعـــمتُ، وكـــان في ظـــلـــمـــاء

قـــد شَـــوَّشتْ كفُّ الـــنـــهـــارِ ســـكـــيـــنـــتي
يـــا هـــذه رُدّي إلي مـــســـائي

☆☆☆☆☆

أمـــســـيتُ حـــينَ لَـــمـــسْـــتـــني بـــيـــديك
لي ألـفُ بـــاصـــرةٍ وألـفُ جـــنـــاحِ

ولمحتُ نـــار الـــوحيِ في عـــيـــنـــيك
والـــوحيُ كـــان ســُلافـــةَ الأرواح

فـــنـــشَـــرْتُ أجـــنـــحـــتي وحـــمتُ عـــلـــيك
مـــتـــوهـــمـــاً أني وجـــدتُ صـــبـــاحي

قــد كـــان حـــتــفي في الـــدُّنِّـــو إلـــيك

حـــتْف الـــفــراشـــة في فمِ المـــصـــبـــاح

فــســقــطتُ مــرتــعــشــاً عــلى قــدمــيك

الـــنـــارُ مـــهـــدي والـــدخـــانُ وِشـــاحي

يــا لــيت نــورك حـــين أحــرقــني انــطــوى

فــعــلى ضــيــائك قــد لمــستُ جــراحي

****

٢٥ - ابن الليل

[مجزوء الرمل]

أشرف البدرُ على الغابة في إحدى الليالي
فرأى الثعلب يمشي خِلْسَةً بين الدوالي
كلّما لاح خيالٌ خاف من ذاك الخَيالِ
واقْشعرَّا

ورأى لَيثاً هصُوراً واقفاً عند الغديرْ
كلما استشعر حسّاً ملأَ الوادي زئيرْ
فإذا بالماء يجري خائفاً عند الصخورْ
مُكْفهرَّا

ورأى البدر ابنٌ آوى يتهادى في الفضاءْ
كمليكٍ حولَهُ الشُّهبُ جنودٌ وإماء
قالَ: لو كنتُ رفيقَ البدرِ، أو بدر السَّماء
أو خيالَهْ

عشْتُ حُرّاً جيرتي الشُّهْبُ، ولي الظلماءُ مركبْ
آمناً، ألعبُ بالبرقِ وطوراً بي يلعبْ
لا أبالي سطوةَ الراعي ولا الكلب المجرَّبْ
وصيالَهْ

غير أنَّ الليثَ لما أبصر البدر الضحُوكا
قال: يا ابن الليلِ مهما أشتهي لا اشْتَهيكا
أنت وضَّاحٌ ولكنْ قاحلٌ لا صيد فيكا
أو حيالَكْ

لكَ هــذا، الأُفق لـــكنْ هـــو أيـــضـــاً لـــلـــكـــواكبْ
إنمـــا لـــو كـــنت لَـــيـــثـــاً ذا نـــيـــوبٍ ومـــخَـــالبْ
لم تـــعشْ في وجـــهك الـــوضَّـــاحِ ألحـــاظُ الـــثـــعـــالبْ
صُن جـمـالكْ

****

٢٦ - أنا

[الكامل]

حُـــرٌ ومـــذهبُ كلِّ حُـــر مـــذهـــبي
مــا كـنتُ بــالـغـاوي ولا المـتـعـصبِ

إني لأغـــضبُ لـــلـــكـــريم يـــنـــوشُهُ
من دونَـهُ وألـــومُ من لم يـــغـــضب

وأُحبُّ كلَّ مـــــهـــــذبٍ ولـــــو أنهُ
خـــصـمي، وأرحم كلَّ غـــيـــرِ مـــهـــذب

يـــأبَى فـــؤادي أن يمـــيلَ إلى الأذى
حُبُّ الأذيـــة من طـــبـــاعِ الـــعـــقـــرب

لـي أن أردَّ مـــــســـــاءةً بمـــــســـــاءةٍ
لـــو أنـــنـي أرضـى بـــبـــرقٍ خُـــلَّب

حـــسبُ المـــسـيئِ شـــعـــورُهُ، ومـــقـــالُهُ
في ســـرِّهِ: يـــا لـــيـــتَـــني لم أذنب

✡✡✡✡✡

أنــا لا تــغـشُّـني الـطَّـيـالسُ والحُـلى
كم في الـطَّـيـاليسِ من سـقـيمٍ أجْـربِ

عـــيـــنـــاكَ من أثـــوابه فـي جـــنَّـــة
ويـــداكَ من أخلاقـه في ســـبْـــسب

وإذا بـــصُـــرت به بـــصـــرت بـــأشـــمطٍ
وإذا تُـــحـــدثُه تَـــكَـــشَّف عن صـــبي

إني إذا نــزلَ الــبَلاءُ بــصــاحــبي
دافــعتُ عــنه بـنَـاجِـذِي[1]وبمــخــلــبي
وشــددتُ ســاعِــدَهُ الــضــعيف بــســاعــدي
وســتــرتُ مــنــكــبَهُ الــعُــريَّ بمــنــكــبي
وأرى مــســـــاوِئَــهُ كـــأنــي لا أرى
وأرى مــحــاســنَهُ وإنْ لــم تُــكــتَب
وألــومُ نــفــسي قَــبْــلَهُ إن أخــطَــأتْ
وإذا أســاء إلــيَّ لم أتــعــتَّب
مُــتــقــرّب من صــاحــبي، فــإذا مــشتْ
في عــطــفه الــغُــلَــواء[2] لم أتــقَــرَّب
أنــا مــن ضــمــيــري ســاكنٌ في مــعــقِلٍ
أنــا مــن خَلالِي[3] ســائــرٌ في مــوكب
فــإذا رآنــي ذو الــغــبــاوةِ دونَهُ
فــكــمــا يــرى في المــاء ظلَّ الــكــوكب

****

---

(١) السنّ بين الناب والأضراس (الجمع نواجذ)
(٢) الغُلْواء الغلوّ والشطط
(٣) الخَلّة الخَصلة، من صفات الناس

٢٧ - الإله الثرثار

[الخفيف]

زعم المــــرءُ أنَّــــمـــا هُـــو ربٌ

كم يــلـــوك الـــكلام هـــذا الإلـهُ!

يــلــفظُ الـبــحــرُ، وهــو مــلحٌ أُجــاجٌ

لــؤلــؤاً يــبــهــر الــعــيــونَ سـنــاه

مـــا ادَّعى الـــدرُّ أنه صــورةُ الــبــحْـ

ـــــرِ ولا قــــالَ: إنــــني إيّــــاه

لا ولا قــــــــال كلُّ شـيءٍ إلـى المحْـ

ـــوِ ومــا خُص بــالخــلــود ســواه

إنْ تــكنْ لــلــخــلــود ذاتُكَ في الــدّنـ

ـــيــا، فــمــاذا الأمــرُ الــذي تــهــواه؟

وإذا صــرت غــيــر شــخــصكَ في الأُخْـ

ـرى، فــهــذا الــفَــنــا الــذي تــخــشــاه

في الـــتّــرابِ الــذي تـــدوسُ عــلــيه

ألفُ دنـــيــــا وعــــالَمٌ لا تــــراه

أنت جـــزءٌ من الـــكــيـــان، وفــيه

كَــثَـــرَاهُ كــنَــبْــتــه كــحــصـــاه

كـــالـــورود الـــتي تُـــحبُّ شَـــذَاهـــا

والـــبــعـــوضِ الـــذي تـــخـــافُ أذاه

مـــا لحي بـــالمـــوتِ عـــنه انـــفـــصـــالٌ

إنَّ دنـــيـــاهُ هــــذه أُخْــــراه

****

٢٨ - الأشباح الثلاثة

[المتدارك]

رَاوَدْني النَّومُ وما بَرِحا
حتى طَأطَأتُ له راسي
أطبقتُ جفوني فانفَتَحا
باب الرؤيا والوسْوَاس

أبصرتُ كأني في موضعْ
ما فيه غيرُ الأرواح
فوقَفتُ بعيداً أتطلّعْ
فلَمحْتُ ثلاثةَ أشباح

ولدٌ يتَهادى في العشْرِ
وفتى في بُرْدِ العشْرينا
والثالثُ شيخٌ في طِمْرِ[1]
ذو جسمٍ يحكي العُرْجُونا[2]

وإذا بالأوَّلِ يقتربُ
مني كالطائرِ في الوثْبِ
فشعرتُ كأني أضطربُ
وكأنَّ خطاهُ على قلبي

---

(١) الطِّمر: الثوب الخَلَق البالي (وجمعه أطمار)

يـا نـفـسي مـا هـذا الـفَـرَقُ؟
لا رمـحٌ مـعـه ولا نَـبْـلُ
ولمـاذا الخَـشْـيـةُ والـقـلَقُ
والخـلْقُ أحـبـهمُ الـطِّـفْل

وإذا بـالـطِّـفلِ يـخـاطـبُـني
بـكلامٍ لا يـتـكـلّـفُهُ
ويُـمـازِحُـني ويُـداعـبُـنِي
فـكـأني شـخصٌ يـعـرفُهُ:

«مـا بـالك مـنـكـمـشًـا كَـمـدا؟
قم نـلـعب في فيءِ الـشَّـجـرِ
ونـهـزّ الأغـصُن والـعُـمُـدا
ونـذود الـطـيـر عن الـثَّـمـر

أو نـصـنعُ خـيلاً من قَـصبِ
أو طـيَّـاراتٍ مـن ورَقِ
ومُـدى وسـيـوفـاً من خـشبِ
ونَـجُـولُ ونـركضُ في الـطُّـرُق

أو نـأتي بـالـفـحم الـقـاتمْ
ونـصـوِّرُ فـوق الأبْـوابِ
تـنّـيـنـاً في بـحـرٍ عـائمْ
أو لـيـثـاً يـخـطُـر في غـاب

أو كـــلــــبــــاً يـــعـــدو، أو حـــمَلاً
يـــرعى، أو نـــهـــراً، أو هـــضـــبَهْ
أو ديـــكـــاً يـــنـــقُـــدُ[1] أو رجُلاً
يمـــشي، أو مُـــهـــراً، أو عـــربهْ

أو نجـــبُل مـــاءً وتـــرابـــا
ونَـــشـــيـــدُ بـــيـــوتـــاً وقـــبـــابـــا
أو نجـــعلُ مـــنه أنـــصـــابـــا
أو نـــصـــنعُ حـــلـــوى وكَـــبـــابـــا»

مـــثَّـــلتُ الـــطـــفلَ ودنـــيـــاهُ
فـــأحـــبَّتْ نـــفـــسي دنـــيـــاهُ
ووددْتُ لـــــو أنـــي إيّـــــاهُ
بـلْ خـــلـــتُ كـــأنـي إيّـــاهُ

فـــضـــحـــكتُ ولجَّ بي الـــضّـــحكُ
حـــتى اســـتـــلـــقـــيتُ عـــلى ظـــهـــري
فـــاســـتـــيـــقظَ في الـــولـــد الـــشكُّ
فـــتـــوقَّف يـــعـــجبُ من أمـــري

ويـــقـــول: أيـــا هـــذا قَـــدْكَـــا[2]
فـــوحـــقَّك ذا الـــطـــيشُ الأكـــبـــرْ
مـــا تـــضـــحكُ مـــني بل مـــنـــكـــا
إيّـــاك أنـــا لـــو تَـــتَـــذكَّـــرْ !

---

(١) نقد الطائر الحب لقطه واحدةً واحدة

وتَوارى عني واحْتجبا
كالموجة في عُرضِ النهر
فتضايقَ قلبي واضطربا
وارتجَّتْ روحي في صدري

وإذا الشبحُ الثاني أقبلْ
يترنَّحُ مثلَ المخمورِ
الليلُ على الدنيا مُسدَلْ
وعليه وشاحُ من نورِ

معصوبُ المُقلة، والدّربُ
وعرٌ وكثيرُ الآفاتِ
كَسفينٍ ليس لها ربٌّ
تجري في بحرِ الظُّلُماتِ

ماذا في الأفقِ؟ فقد وقَفا
يتأمَّلُ فيه ويبتَسمُ
هل لاح له وجهٌ عرَفَا
أم هزَّ جوارحهُ نغَمُ؟

أم أبصر آلهةَ الحب
تَدعوهُ إليها إيماءَ
لا شيءٌ في الأفُقِ الرحبِ
وكأنَ هنالك أشياءَ

الطَّيرُ تُغني للزَهْرِ
ويظنُّ الطير تُساجِلُهُ
والزّهرُ ترحّبُ بالفجرِ
ويظنُّ الزهر تُغَازلُهُ

ونظرتُ إليه في البر
يتمنّى لو خاض البحرا
ونظرتُ إليه في البحرِ
يتمنَّى لو بلغَ البرَّا

يتَأفّفُ من بُطء الدهرِ
والدهرُ يسيُر به وَثْبا
وينامُ ليحلُمَ بالفجرِ
والفجرُ يضيءُ له الدّرْبا

ويُسائلُ عن كأسِ الخمرِ
ويُسائلُه عنها الناسُ
في الليل وفي وضح الفجرِ
والخمرةُ فيه والكاسُ

فصبرتُ ولازمتُ الصَّمْتا
حتى دانى الظلَّ الظلُّ
فأشرتُ إليه من أنتا ؟
فأجاب: أنا ذاكَ الطفلُ

ومضى كالظلّ إذا انتقلا
وأنا أرجو لو لم يمضِ
فأعدتُ لنفسي ما ارتجَلا
فتعجَّب بعضي من بعضي

الشمسُ تَزِلُّ عن الأفُقِ
كالروح المُحتضر السّاجي
غَمرَتْها أمواجُ الغَسَقِ
فتوارتْ خلف الأمواجِ

والغيمُ الأسودُ يحتشدُ
طَبقَاً في الجوّ على طَبَقِ
والليلُ يطولُ ويطَّرِدُ
والأرضُ كسارٍ في نفَق

وإذا شيخٌ في صحراء
كالزورق في عرْضِ البحرِ
أعياهُ الصلحُ مع الماء
وأضاعَ الدّرب إلى البر

يمشي في الأرض على مهَلٍ
وعلى حذرٍ، لكنْ يمشي
كالشاة تُساقُ إلى القَتلِ
بعصا جبَّارٍ ذي بطش

يـــــا شــــيـخُ.. لمــــاذا لا تَــــقفُ
دمـــــيـتْ رجلاكَ مـن الــــــركْضِ
فــــأجـــاب بــــصــــوتٍ يـــرتجفُ:
الأرضُ تـــســـيــــرُ عـــلى الأرض!

يـــا شــيخُ.. رويـــداً فـــالـــبـــدرُ
ســيــضـيءُ الــدرب فــتـسْـتَـهـدي
فــأجــاب: ويــتــلــوهُ الــفـجــرُ
لــكن ســيــضـيءُ لــمن بــعــدي

أيــلَــذُّ لــغــصنٍ مُــنــكَــســرٍ
عـــرَّتْهُ الــــريحُ من الـــــورَقِ
أن يــبــصــر في ضــوء الــقــمــرِ
مـــا كــان عــلــيه عــلى الـطُّــرُقِ

مـــا لـــــذَّةُ مــيْتٍ في الــــرَّمسِ
بــالــزهــرِ الــفــوّاح الــعــطــر
نـــورٌ لا يـــشــرقُ في الـــنــفسِ
كــــغـــنـــاءٍ فـي أُذْنِ الحـــجـــر

مـــا اسْـــتَـــخـــفَتْ عـــني الأفلاكُ
والـــشُّـــهبُ بل اســـتـــخـــفى حــبّي
لـم تـــــمــلأْ دربــي الأشـــــواكُ
إنَّ الأشـــواك لَـــفِي قـــلـــبي !

يــا شـــيخُ.. شـــجــاني مــا قُـــلــتــا

وزرعـت بــــــنــــــفـــــســي آلامـكْ

من أنـت ؟ أجـــاب: أنـــا أنــــتـــا

أنـــا ذاتُـك تــــمـــــشـي قــــدّامَك

كـم أبـــــحـثُ بـــــين الأجْـــــرَامِ

عـــــــني، وأنــــــقِّـبُ فـي الأرض

أحـلامـي تـــــطـــــمُـــــرُ أحـلامـي

بــعْـــضـي مـــدفـــونٌ في بـــعـــضـي

لـم أبـــــصــــــرْ ذاتـي بـــــالأمـسِ

فـي لَـــــوحِ زجـــــاجٍ أو مـــــاء

بـل لاحـتْ نـــفـــسـي فـي نــــفــسـي

فَـــهْـي المـــرئـــيَّـــةُ والـــرَّائـي

****

٢٩ - العليقة

[مجزوء الرمل]

ذاتُ شوكٍ كالحرابِ، أو كأظفار العُقابِ
ربضتْ في الغابِ كاللص، لفَتْكٍ واستلاب
تَقْطَعُ الدَّرب على الفلاح والمولى المُهاب
صُنْتُ عنها حُر وجهي، فتَصدَّتْ لثيابي
كلّما أفلَتُّ من نابٍ تَلقَّتْني بنَابِ
فلها نهْشُ الأفاعي، ولها لسْعُ الذباب
وأذاها في سكوني، كأذاها في اضطرابي
وهي كالقَيْد لساقي، ولِجِيدي كالسخاب[1]
فكأنَّا في عناقٍ، لا نضالٍ ووِثاب
قلتُ يا ساكنةَ الغابِ ويا بنت التّراب
لا تَلُجّي في اجتذابي، أو فَلُجّي في اجتذابي
إنّ عُوداً فيه ماءُ ليس عُوداً لاحتطاب
أنا في فجرِ حياتي، أنا في شرْخ شبابي
الهوى ملءُ فؤادي؛ والصبا ملءُ إهابي
والمنى تَنبتُ في دربي، وتمشي في رِكابي
أنا لم أضجرْ مِن العيش ولم أَملُلْ صحابي
لم أزلْ ألمحُ طيف المجد حتى في السَّراب
لم أزلْ أستشعرُ اللَّذةَ حتى في العذاب
لم أزلْ أستشرفُ الحُسن ولو تحت نقاب

---

(١) القلادة

مـــا بـــنـــفـــسـي خـــشـــيـــةُ المـــوتِ ولا مـــنْهُ ارتِـــهـــابي
أنــــــا لـلأرضِ، وإنْ طـــــــالَ عن الأرضِ اغـــــــتــــــرابي
غــــيــــر أني لـم يـــــزلْ ضــــرعي لـمـــرْيٍ[1] واحـــتـلاب
لـم أهبْ كلَّ الـــــذي عـــنـــدي، ولـم يـــفـــرغْ وِطـــابي[2]
أنـــا نـــهـــرٌ لم أتـــمم بـــعـــدُ في الأرض انـــســـيـــابي
أنـــــا روضٌ لـم أُذعْ كلَّ عـــــبــــيــــري وملابي[3]
أنـــا نجمٌ لم يُـمـــزِّقْ بـــعـــدُ جِـــلْـــبـــاب الـــضَّـــبـــاب

✡✡✡✡

أنـــــا فـــجـــرٌ لم تـــتـــوِّجْ فِـــضـــتي كلَّ الـــرَّوابي
لي رِغـــابٌ لم تـــلـــدْ بـــعـــدُ فَـــتُـــبْـــلى بـــالـــتَّـــبـــاب[4]
وبـــنـــفـــسـي ألفُ مـــعـــنًى لم يُـــضـــمَّنْ في كـــتـــابِ

✡✡✡✡

فـــإذا اســـتـــنـــفـــدتُ مـــا في دنّ نـــفـــسـي من شـــرابِ
وإذا أنجُـمُ آمـــــالـي تـــــوارتْ فـي الـحـــــجـــــاب
وإذا لـم يـــبقَ في غَـــيـــمـي مـــاءٌ لانـــســـكـــاب
وإذا مـــا صـــرتُ كـــالـــعُـــلَّـــيقِ[5] تـــمـــثـــالَ اكـــتـــئـــاب
لا يُـــرجّـــيـــني مـــحـــتـــاجٌ، ولا يـــطـــمـعُ ســـابِ[6]
فـــاجْـــذِبـــيـــني.. إنْ يـــكُنْ مـــنِّي نـــفـعٌ لـــلـــتّـــراب

****

(١) مرى الضرع   مسحه ليدرّ
(٢) الوطب والوطاب   إناء للبن من الجلد
(٣) المَلاب   ضرب من الطيب
(٤) الهلاك وضعف الشيخوخة
(٥) نبت يتعلق بالشجر

٣٠ - هي[١]

[السريع]

أروي لـــكُمْ عن شـــاعـــرٍ ســـاحـــرٍ
حـــكـــايَـــةً يُـــحـــمـــدُ راويـــهـــا

قـــالَ: دعـــا أصـــحـــابَهُ ســـيِّـــدٌ
في لـــيـــلـــة رقّتْ حـــواشـــيـــهـــا

فـــانـــتـــظـــمتْ في قـــصـــرِهِ عُـــصْـــبـــةٌ
كـــريـــمـــةٌ لا واغلٌ فـــيـــهـــا

مِن نُـــبَلاء الـــشَّـــعبِ، ســـاداتـــهـــا
وخـــيـــرةِ الـــغـــيـــد غَـــوانـــيـــهـــا

حـــتّى إذا جـــلـــســـوا كـــلُّـــهمْ
وطـــاف بـــالأكـــوابِ ســـاقـــيـــهـــا

قـــام أمـــيـــرُ الـــقـــصـــرِ في كـــفّه
كـــأسٌ أعـــارتْهُ مـــعـــانـــيـــهـــا

وقـــال: يـــا صـــحـــبُ عـــلى ذكْـــرِكمْ
امـــلَـــؤُهـــا حُـــبّـــاً وأحْـــسُـــوهـــا

وذكْـــرُ من قـــلـــبي عـــبْـــدٌ لـــهـــا
ومُـــهـــجـــتي إحـــدى جـــواريـــهـــا

حـــبـــيـــبـــتي «لـــيـــاءُ»، ســـمـــيـــتُـــهـــا
ولـم أكن قَـــبلاً أُســـمـــيـــهـــا

---

(١) اتهمه أحمد زكي أبو شادي بنقلها إلى العربية، عن أحد شعراء الإنجليز، ولم ينكر أبو ماضي التهمة

فَشربوا كلُّهمُ سرَّها
وهتَفوا كلُّهمُ تيها
فأجْزلَ الشكر لأصحابِه
الشكرُ للنعمة يُبقيها
وصاح بالسَّاقي علينا بها
فطاف بالأكوابِ ساقيها
وقال للأضياف: سمعاً فلي
كلْمةٌ، العدلُ يُمليها
ما أنا وحدِي الصبُّ فيكمْ ولا
كلُّ العذَارى من أناجيها
فكلُّ نفسٍ مثلُ نفسي، لها
في هذه الدنيا أمانيها
وكلُّ قلبٍ مثلُ قلبي، له
حسناءُ ترجوهُ ويرجوها
يا صحبُ من كانت به صبْوةٌ
يُعْلنها الآنَ ويُبدِيها
فنهضُوا ثانيةً كلُّهمْ
ورفعوا الكاساتِ تنويها
كلهمُ يشربُ سرَّ التي
يهوى من الغيد ويُطريها
✡✡✡✡
وكان في الشَّرْبِ فتى باسلٌ
طَلعتُه تسحرُ رائيها
شارك في أوَّل أقداحهمْ
ولم يشارِكْهُمْ بثَانيها

وأنت ؟ قال الصَّحبُ، واسْتَضْحكوا:

هل لك حسناءُ تُحييها ؟

قال: أجل! أشربُ سَرَّ التي

الروح تفديني وأفْديها

صُورتُها في القلب مطبوعةٌ

لا شيء حتى الموت يمحُوها

لا ترضّاني رياءً ولا

تَلثُمني كذْباً وتمويها

يضيعُ مالي ويزولُ الصِّبا

وحبُّها باقٍ وحبِّيها

قدْ وهبتْني روحها كلَّها

ولم تخفْ أني أضحيها

سرَّ التي لا غادةٌ بينكمْ

مهما سمتْ في الحبِّ تَحكيها

فأجفَلوا منه كمنْ حيَّة

نهّاشة قد عزَّ راقيها

وقالتِ الغَادات: أُفٍّ له

قد شَوَّه المجلس تشويها

لو ظلَّ في ما بيننا صامتاً

لم تَسمعِ الآذانُ مكروها

وقلقلَ الفتيانُ أسيافَهمْ

فأوشكتْ تبدو حواشيها

وتَعتَع الشَّادي بألحانه

وماجتِ الدارُ بمن فيها

وقـــالَ قـــومٌ: خـــلَـــبـــتْهُ الـــطِّلا

وقـــال قـــومٌ: صـــار مـــعـــتُـــوهـــا

فـــصـــاح ربُّ الـــدارِ: يـــا ســـيِّـــدي

وصـــفْـــتَـــهـــا لمْ لا تُـــســـمـــيـــهـــا

أتـــخـــجلُ بـــاسمِ من تـــهـــوى ؟

أحـــســـنـــاءُ بـــغـــيـــرِ اسمِ ؟

فـــأطـــرقَ غـــيـــر مـــكـــتـــرثٍ

وتـــمـــتم خـــاشـــعـــاً... أُمّي !

****

٣١ - لا أنت ولا أنا

[الكامل]

قلتُ: السعادةُ في المُنى، فرددْتَني
وزعمت أنَّ المرء آفتُهُ المُنى

ورأيت في ظلِّ الغنَى تمثالَها
ورأيت أنت البؤس، في ظلّ الغنَى

ما لي أقولُ بأنها قد تُقتنَى
فتقول أنت بأنها لا تُقتَنى!

وأقولُ: إنْ خُلقتْ فقد خُلقتْ لنا
فتقولُ: إن خُلقتْ فلم تُخلقْ لنا

وأقولُ: إني مؤمنٌ بوجودها
فتقولُ ما أحراكَ ألاّ تُؤمنا

وأقولُ: سرٌ سوف يُعلنُ في غَد
فتقولُ: لا سرٌّ هناك ولا هنا

يا صاحبي! هذا حوارٌ باطلٌ
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

****

٣٢ - الناسكة

[السريع]

أبـصـرتُ في الحـقلِ قُـبـيْلَ المـغـيبْ
سـنـبـلـةً في سـفح ذاكَ الـكـثـيبْ
حـانـيـةً مُـطـرقـةَ الـرأسِ
كـأنمـا تـسـجـدُ لـلـشـمسِ
أو أنـهـا تـتـلـو صلاةَ المـسـاءْ

✡✡✡✡

فـمـلـتُ عن راهـبـة الحـقلِ
وسـرتُ لا ألـوي عـلـى ظـلّي
ألـتـقـط الحبَّ وأذريـه
وتـارةً في الـنـار أُلـقـيه
مُـسـتـخـرِجـاً مـنه لجـسـمي غـذاءْ

✡✡✡✡

قـد غـابتِ الـشـمسُ وراءَ الـقـممْ
وسـكت الـطـيـرُ الـذي لم يـنَمْ
لـكنّ نـاري لم تـزلْ تَـرْعُـجُ[1]
ولم أزلْ آكلُ مـا تُـنْـضِـجُ
يـا حـبـذا الـنـارُ ونـعم الـشّـواءْ

✡✡✡✡

وإنـنـي فـي مـرحـي والـدَّد
إذ صـاح بـي صـوتٌ بلا مُـوعـد

(١) رعج البرق اضطرب وتتابع

مـــا الحَبُّ يـــا هـــذا ولا الـــسُّـــنـــبلُ

مـــا تـــأكلُ الـــنـــارُ ومـــا تـــأكلُ

وإنمـــــا أسلافُك الأصـــــفـــــيـــــاءْ

✡✡✡✡✡

لا بـــشَـــرٌ لا طـــائـــرٌ مـــاثـلُ

يـــا عـــجـــبـــاً ! نُـــطْـقُ ولا قـــائلُ

مـن أين جـــاء الـــصـــوتُ ؟ لا أدري

لـــكـــنَّـــمـــا نـــاســـكـــةُ الـــبُـــرِّ[١]

قـــد رفـــعتْ هـــامـــتَـــهـــا لـــلـــعلاءْ

****

(١) يريد :طاحونة القمح (النسيكة الذبيحة)

٣٣ ـ عيد النُهى[1]

في اليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف.

[الكامل]

قلْ للحمائمِ في ضفاف الوادي:
يا ليتكنَّ على شغاف فؤادي

لترَيْن كيف تبعثرتْ أحلامُهُ
وجرتْ به الآلامُ خَيْلَ طِرَاد

كانت تَشِعُّ على جوانبه المنى
فخَبتْ وبُدِّلَ جمْرها برماد

أسْعِدْنَهُ فعسى يخفُّ وَلُوعُه
إن الشَّجيَّ أحقُ بالإسعاد[2]

ذهب الصبا وبقيتُ في حسَرَاته
ليت الأسى مثْلَ الصبا لنَفَاد

إن الشباب هو الغنَى فإذا مضى
وأقمت لا ينفكُّ فقْرُك بادي

أمسيتُ أنظر في الحياة فلا أرى
إلا سواداً آخذاً بسواد

ألقى الصباح فلا يطولُ تأمُّلي
حتى يحولُ شعاعُهُ لصُعاد[3]

وإذا تقابلُني النجومُ تخاوصتْ[4]
فكأنما هي أعينُ الحُسَّاد

(١) جمع نُهية، وهي العقل

(٢) شارك ووقف إلى جانبه

(٣) أصعدت السفينة إصعاداً مدت شراعها فذهبت بها الريح صعداً

(٤) ضيق عينه في النظر، ومثله تخاوص

مـــا ثمَّ من ذكـــرى إذا خـــطـــرتْ عـــلى

قـلـبي اسـتـراح، سـِوى خـيـالِ الـوادي

أفـلا تـــزالُ الــشــمسُ تــصـــبغُ وجـــهَهُ

بـــالـــوَرْسِ آونـــةً وبـــالـــفـــرْصـــاد[1]

أفـلا يـــــزالُ يـــــنوبُ فـي أمـــــواجِه

ذهـبُ الأصـــــيلِ وفـــــضَّـــــةُ الآراد

لـــهـــفي إذا ورد الـــرفـــاقُ عـــشـــيَّـــةً

وذكـــــرتُ أني لـــــســت في الـــــورّاد

وإذا الحـــمـــامُ شَـــدا وصـــفّقَ مـــوجُهُ

ألاّ أصـــفِّقَ لـــلـــحـــمـــامِ الــشَّــادي

وإذا الـــنـــخـــيلُ تـــطـــاولتْ أظلالُهُ

ألاّ يـــكـــونَ مـــظَـــلَّـــتي ووِســـادي

وإذا الـــكـــواكبُ رصـــعتْ آفـــاقَهُ

ألاّ يـــكـــونَ لـــرعْـــيـــهنَّ سُـــهـــادي

ذقتُ الـــهـــوى وعـــرفـــتُهُ في شـــطّه

إنَّ الـــهـــوى لـــلـــمـــرءِ كـــالمـــيلاد

لا تـــدركُ الأكـــبـــادُ ســـر وجـــودهـــا

حـــتى يـــجـــولَ الحبُّ في الأكـــبـــاد

مـــا عـشت لم يمـسسْ جـوانـحَك الـهـوى

لم تـــدرِ مـــا في الـــعـــيشِ من أمـــجـــاد

لا تُـبـصـــرُ الـعـينُ الـريـاض وحـلْـيـهـا

إلاّ عـــلى ضـــوء الـــصـــبـــاحِ الـــهـــادي

✡✡✡✡✡

(١) التوت الأحمر

وطَـنَـانِ أشْـوَقُ مـا أكـونُ إلـيـهـمـا
مـصـرُ الـتي أحـبـبـتُـهـا وبلادي
ومـواطنُ الأرواحِ يـعـظُمُ شـأنُـهـا
في الـنـفس فـوق مـواطنِ الأجـسـاد
حـرصي عـلى حب (الـكـنـانـةِ) دونَهُ
حـرصُ الـسـجـينِ عـلى بـقـايـا الـزاد
بـلـدُ الجـمـالِ خَـفـيِّه وجـلـيِّه
والـفنُّ من مُـسـتَـطـرَفٍ وتِلاد
عـرضتْ مـواكـبـهـا الـشـعـوبُ فـلم أجِـدْ
إلا بمـصـر نَـضـارةَ الآبـاد
كم من دفـينٍ في ثـراهـا لـم يـزلْ
كـالحـي ذا مـقَـة وذا أحـقَـاد
ومـشـيَّـدٍ لـلـنـاس إذ يـغـشـونَهُ
من كل أرضٍ خـشـيـةَ الـعُـبّـاد
عـاش الجـدودُ وأثَّـلوا مـا أثَّـلوا
والـيـوم يـنـبـعـثـون في الأحـفـاد
الـمُـسـبـغـينَ عـلى الـنـوابغِ فـضـلَـهُمْ
كـالـفـجـرِ مـنـبـسـطـاً عـلى الأطْـواد[1]
أبـنـاءَ مـصـر الـنـاهـضـينَ تحـيـةً
كَـودادكمْ إنْ لـم أقُـلْ كَـودَادي

✡✡✡✡✡

من شـاعـرٍ كَـلفٍ بـكمْ وبـأرضـكُمْ
أبـداً يُـوالي فـيـكمُ ويُـعـادي
إنْ تُـكـرمـوا شـيخَ الـصـحـافـة تُـكْرِمُـوا

(١) الطود الجبل

أسنى الكواكبِ في سماء الضَّاد

خلع الشبابُ على الكنانَة مطْرفًا

هو كالربيع على رُبَاً ووِهاد

ما زالَ يقحمُ في الجهالة نورُه

حتى تقاصر ليلُها المتمادي

بصحيفة نورُ العيونِ سوادُهَا

وبياضُها من ناصعِ الأجياد

ينبوعُ معرفة وهيكلُ حكمة

ووعاءُ آدابٍ وكنزُ رشَاد

أغلى المواهبِ والعقولِ رأيتُها

سكنتْ قصور مهارقٍ[1] ومداد

ذكرُ المجاهد في الحقيقة خالدٌ

ويزولُ ربُّ السيف والأجناد

لولا جبابرةُ القرائح لم يسرْ

في الأرض ذِكْرُ جبابرِ القُوَّاد

ما ذلَّلتْ سبُلَ المعالي أمّةٌ

إلا بقوةِ مُصْلحٍ أو هاد

✡✡✡✡

(صرُّوفُ)[2] يسألُكَ الأنامُ فقلْ لهمْ:

كم في حياتك ساعةُ استشْهاد؟

طلع القنوطُ عليك من أغواره

فرددت طائرهُ وجأشُكَ هاد

ومضيت تستقصي الحياةَ وسرَّها

(١) المُهرق الصحيفة البيضاء، يكتب فيها (والجمع المهارق)

(٢) يعقوب صروف منشئ (المقتطف) وصاحبها

في كل عـــاقـــلـــة وكلٍّ جـــمـــاد

حـتى لـكـدت تُـحس هـاجـسـةَ الـمـنى

وتَـبـــينَ كم في الـــنـــفسِ من أضـــداد

أنت الـــذي أسْـــرتْ به عـــزَمَـــاتُه

والـــدَّربُ غـــامـــضـــة عـــلـى الـــروّاد

والـــلـــيلُ آفـــاتٌ عـــلـى أغـــوارهِـــا

والـــهـــولُ أنجـــادٌ عـــلـى الأنجـــاد[1]

إن الحـــقـــائقَ أنت نـــاشـــرُ بـــنـــدهـــا

في حـــينِ كـــان الـــعـــلـمُ كـــالإلحـــاد

والـــعـــقلُ في الـــشـــرقي من أوهـــامه

كـــالـــنَّـــسْـــر في الأوهـــاقِ[2] والأصـــفـــاد

تـشقى، متى تـشقى، الـشعوبُ بـجـهلـهـا

وتـــعـــزُّ حـــين تـــعـــزّ بـــالأفـــراد

الـــســـاهـــرين الـــلـــيل مـــثلَ، نجـــومه

فـــكـــأنـــهمْ لـــلـــدهـــر بـــالمـــرصـــاد

الـــبـــاذلـــينَ نـــفـــوســـهُمْ لم يـــســـألـــوا

وعـــلـى الـــنـــفـــوس مـــدارعُ الـــفُـــولاد

خَـفَـضُـوا جـنـاحـهَمُ وتحت بـرودِهمْ

هـــمَمُ المـــلـــوك وصـــولـــةُ الـــمُـــرّاد

لـــهمُ الـــزمـــانُ قـــديمُه وحـــديـــثُه

مـــا الـــنـــاسُ في الـــدنـــيـــا ســـوى الآحـــاد

إن الأنـــامَ عـــلـى اخـــتـلاف عـــصـــورهمْ

جـعـلـوا لأهل الـعـلمِ صـدْرَ الـنـادي

مـا الـعـيـدُ لـلـخـمـسـينِ بل عـيـدُ الـنُّـهى

---

(١) أنجد ارتفع يريد تراكم الأهوال والمصاعب في الطريق

(٢) الوهق الحبل الذي تشد به الخيل حتى لا تبتعد

وفــــنـــونِـه والـخــــاطـــرِ الـــوقَّـــاد

عـيـدُ الـحـصــافَـة والـصـحـافـة كـلِّـهـا

في مـــصـــر، في بـــيـــروت، في بـــغـــداد

مــا الـعـيشُ بـالأعـوامِ كم من حـقْـبـة

كـالمَـحْـو في عـمـرِ الـسـواد الـعـادي

الــعـــمـــرُ، إلا بــالمــآثــرِ، فــارغٌ

كـالـقـفـرِ طـالَ به عـنَـاءُ الحــادي

وسـوى حـيـاة الـعـبـقـري نـقـيسُـهـا

فَــتُــقــاسُ بــالآجــالِ والآمـــاد

****

٣٤ - موت العبقري

في رثاء سليمان البستاني[1]

[الخفيف]

كلُّ مـيْتٍ مـهـمـا علا في حـيـاتهْ
كلُّ ثـاوٍ تحت الـثَّـرى من لـداتهْ

لا حـدودٌ ولا مـقـايـيسٌ في المـو
تِ تَـسـاوى الجـمـيعُ في سـاحـاته

حـاصـدٌ حـقـلُه الـوجـودُ، ومـا الأحْـ
ـيـاءُ إلا كـشَـوكه ونـبـاته

من نجـا مـنه وهْـو في روحـاتهْ
إنمـا قـد نجـا إلى غُـدُواته

لـيس زرعُ الـغُـصّـاتِ مـنه لـثـأرٍ
لـيس حـصـدُ الـلـذاتِ من لـذَّاته

إنه يـسـلُبُ الـغـوايـةَ كـالـرشْـ
ـد، فـلـيس الـتـمـيـيـزُ من عـاداته

لا تـقـل: مـا وراءَهُ؟ ذاك سـرٌّ
خَـبَّـأَتْهُ الحـيـاةُ في ظـلـمـاته

رُبَّ قـبـرٍ نمـشـي عـلـيه وفـيه
شَـهـواتُ تُـربي عـلى ذرّاته

كلُّ ذي رَغـبـة دنَتْ أو تـسـامتْ
سـوف يمـضـي يـومـاً بلا رغـبـاته

---

(١) مترجم الإلياذة إلى العربية شعراً

لــيس عــمــرُ الــفــتى وإن طــالَ إلا
مــا حــوتْهُ الحــيــاةُ من مــكــرُمــاته
يــعظُ الــنــابغُ الخلائقَ حــيّــاً
إنمــا مــوتُهُ أجلُّ عــظــاته

☆☆☆☆☆

ظــهــر المــوتُ لــلــعــيــونِ جــديــداً
أمس في بــطــشه وفي فَــتَــكَــاته
وهــو تــربُ الإنســانِ منذُ اســتوى في الْـ
أرضِ حــيّــاً مــشى عــلى خــطــواته
مــا الــرّدى بــالحــديثِ في الــنــاس لــكنْ
نــكــبــةُ الــعــلمِ ضــاعــفتْ روْعــاته
فَــقَــد الخــلــقُ واحــداً من بــنــيه
وأضــاع الــقَــريضُ خــيــر حُــمــاته
شــاعــرٌ كــان يــرقصُ الــدهــرُ أحــيــانًــا
ويــبــكي حــيــنــاً عــلى نَــغَــمــاته
ذَهب الــســاحــرونَ والــسّــحــرُ بــاقٍ
في عــيــون الــمــهــا وفي كــلــمــاته
مــنــشــئٌ رقَّ لــفــظُه كــســجــايــا
هُ ورفَّ الجــمــالُ في جــنــبــاته
تــوَّج «الــضــاد» بــالملاحــة حــتى
خــالــهــا الــقــومُ بــعض مُــخــتــرعــاته
نــقَلَ الأعْــصُــر الخــوالي إلــيــنــا
في كــتــابٍ، لــلــه، من مــعــجــزاته
فــرأيــنــا «هــومــيــرُ» يــنــشــدُ فــيــنــا
شــعــرهُ مــثلُ واحــدٍ من رواته

كـــان فـي دولـــة الـــسُّـــيـــوف وزيـــراً
ألمـــــعـــــيِّــــــاً، ودولــــــةً فـي ذاتـه

مــا بـكـيـنـا الـرَّفـات لـمّـا بـكـيـنـا
كم رفـــاتٍ في الأرض مـــثلُ رفــاتـه؟

بل بـــكـــيـــنــا لأنــنــا قـــد حُـــرمــنــا
بـــالمـــنـــونِ المــــزيــــد من آيـــاتـه

رَاعــــنــــا أن يـــزولَ عـــنَّـــا، وأنّـــا
لم نُـــطقْ أن نـــطـــيلَ حـــبلَ حـــيـــاتـه

قـد أردنـا حـملَ الـبـشـائـرِ لـلـعـلـ
ـمِ فـــكـــنّـــا لأهـــلـه من نُـــعـــاتـه

إنَّ فـي «مـــصـــر» والــــشـــآم دويّـــاً
مـــا ســمــعـــنـــاهُ قـــبل يـــومِ وفـــاتـه

وأحس «الـــعـــراقُ» حـــين أتـــاهُ الـــنْـ
ـــنَـــعْـي طـــعـم الـــرَّدَى بمـــاء (فُـــراتـه)

و «بـــلـــبـــنـــانَ» رجـــفـــةٌ تـــتـــمـــشَّى
فـي يـــنـــابـــيـــعه وفـي نـــســـمـــاتـه

فَـــتَّـحَ المـــوتُ، حـــين أغـــمض عـــيـــنـــيه،
عـــيـــونَ الـــورى عـــلـى حـــســـنـــاتـه

فــــــهْـــــو مـــــاضٍ لـه جـلالـــــةُ آتٍ
من فـــتـــوحـــاتـه ومن غـــزواتـه

والـــفـــتى الـــعـــبـــقـــريُّ يـــولـــدُ إذ يـــو
لَـــدُ فـي مـــهـــده، ويـــوم ممـــاتـه

****

٣٥ - الغدير الطموح

[مجزوء الكامل]

قـــال الـــغـــديـــرُ لـــنـــفـــسه:
يـــا لـــيـــتَـــنِي نـــهـــرٌ كـــبـــيـــرْ

مـــثـلُ الـــفـــراتِ الـــعـــذْبِ أو
كـــالـــنـــيلِ ذي الـــفـــيْضِ الـــغَـــزيـــر

تجـــري الـــســـفـــائنُ مُـــوقَـــرا
تٍ فـــيـــه بـــالـــرزقِ الـــوفـــيـــر

هـــيـــهـــات يـــرضى بـــالـــحـــقـــيـــرِ
من الـــمـــنى إلا الـــحـــقـــيـــر

وانـــســـاب نـــحـــو الـــنـــهـــرِ لا
يـــلـــوي عـــلـى المـــرجِ الـــنَّـــضـــيـــر

حـــــتى إذا مـــــا جـــــاءهُ
غَـــلـب الـــهـــديـــرُ عـــلـى الخـــريـــر

****

٣٦ - الطلاسم

[مجزوء الرمل]

جئتُ، لا أعلَمُ من أين، ولكنِّي أتيْتُ
ولقدْ أبصرتُ قُدَّامي طريقاً فمشيْتُ
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبَيْت
كيف جئتُ ؟ كيف أبصرتُ طريقي ؟..

لستُ أدري!

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجودْ
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقُود
أتمنَّى أنني أدري ولكنْ.

لستُ أدري!

وطريقي! ما طريقي؟ أطويل أم قصيرْ ؟
هل أنا أصعدُ أم أهبِطُ فيه وأغُور
أأنا السائرُ في الدَّربِ أم الدربُ تسير
أم كلانا واقف والدهر يجري؟....

لستُ أدري!

ليت شعري وأنا في عالَمِ الغيبِ الأمينْ
أَتُراني كنتُ أدري أنني فيه دَفين
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون
أم تُراني كنتُ لا أُدركُ شيئا

لستُ أدري!

أتُراني قَبلَما أصبحتُ إنساناً سويّا
كنت محواً أو محالاً أم تُراني كنت شيّا
ألهذا اللّغز حلٌّ ؟ أم سيبقى أبديّا
لستُ أدري ولماذا لستُ أدري ؟
لستُ أدري!

☆☆☆☆☆

البحر

قد سألتُ البحر يوماً: هل أنا يا بحرُ منكا؟
أصحيحٌ ما رواهُ بعضُهمْ عني وعنكا؟
أم تُرى ما زعموا زوراً وبهتاناً وإفْكا؟
ضحكتْ أمواجُهُ مني وقالت
لستُ أدري!
أيها البحرُ أتدري كم مضت ألفٌ عَلَيكا
وهلِ الشاطئُ يدري أنه جاثٍ لديكا
وهل الأنهارُ تدري أنها منكَ إليكا
ما الذي الأمواجُ قالت حين ثارت ؟
لستُ أدري!
أنت يا بحرُ أسيرُ آه ما أعظم أسرَكْ!
أنت مثلي أيها الجبَّارُ لا تملكُ أمرَك
أشبهتْ حالُك حالي وحكى عذري عُذرَك
فمتى أنجو من الأسرِ وتنجو؟
لستُ أدري!
تُرسلُ السُّحْب فتَسقي أرضَنا والشَّجرَا
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثَّمرا
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصوابٌ ما زعمْنا أم ضلالٌ؟
لستُ أدري!

قد سألتُ السُّحْب في الآفاقِ هل تذكرُ رملَكْ؟

وسألتُ الشجر المُورقَ هل يعرفُ فضلَكْ؟

وسألتُ الدُّرَّ في الأعناقِ هل تذكرُ أصلَكْ؟

وكأني خلتُها قالتْ جميعاً

لستُ أدري!

يرقص الموجُ وفي قاعك حربٌ لن تَزولا

تخلُقُ الأسماك لكن تخلُقُ الحوت الأكولا

قد جمعت الموت في صدركَ والعيش الجميلا

ليت شعري أنت مهْدٌ أم ضريحٌ ؟

لستُ أدري!

كم فتاةٍ مثلِ ليلَى وفتى كابنِ الملوَّحْ!

أنفقا الساعاتِ في الشاطئ تشكو وهو يشرح

كلما حدَّثَ أصغَتْ وإذا قالت ترنَّحْ

أحفيفُ الموجِ سرٌّ ضيَّعاهُ ؟

لستُ أدري!

كم ملوكٍ ضربوا حولك في الليل القِبَابا

طلع الصبحُ ولكن لم يجدْ إلا ضبابا

ألَهُمْ يا بحرُ يوماً رجعةٌ أم لا مآبا؟

أَهُمُ في الرَّملِ ؟ قال الرملُ: إني:

لستُ أدري!

فيك مثلي أيها الجبَّارُ أصدافٌ ورملُ

إنما أنت بلا ظلٍّ ولي في الأرض ظلّ

إنما أنت بلا عقْلٍ ولي يا بحرُ عقل

فلماذا يا تُرى أمضي وتبقى ؟

لستُ أدري!

يـا كـتـاب الـدَّهـرِ قل لي: ألَـهُ قـبلٌ وبـعـدُ؟
أنـا كـالـزورقِ فـيه، وهْـو بـحْـرٌ لا يُـحـدُّ
ليس لي قصدٌ؛ فهل للدهر في سَيْرِي قصْد؟
حـبَّـذا الـعـلمُ ولـكنْ كـيف أدري؟
لـستُ أدري!

إنَّ في صـدري يـا بـحْـرُ لأسـراراً عُـجـابـا
نـزل السِّـترُ عـلـيـها وأنـا كـنتُ الحـجـابـا
ولـذا أزدادُ بُـعـداً كـلـمـا ازدَدْتُ اقـتـرابـا
وأَرانـي كـلَّـمـا أوشـكْتُ أدري...
لـستُ أدري!

إنـنـي يـا بـحـرُ بـحْـرٌ شـاطـئـاهُ شـاطـئـاكـا
الـغـدُ المجـهولُ والأمسُ الـلـذان اكْـتـنَـفَـاكـا
وكلانـا قـطـرَةٌ يـا بـحـرُ في هـذا وذاكـا
لا تَـسـلـني مـا غـدٌ مـا أمسُ؟ إني
لـستُ أدري!

في الدير

قـيلَ لي في الـدَّيرِ قـومٌ أدركُوا سـرَّ الحـيـاةْ
غـيـر أني لم أجـدْ غـيْـر عُـقـولٍ آسـنـاتْ
وقـلـوبٍ بـلـيتْ فـيـهـا الـمُـنى فـهي رُفـاتْ
مـا أنـا أعـمى فـهل غَـيْـري أعـمى؟
لـستُ أدري!

قيلَ أدْرى الناسِ بالأسرار: سكّانُ الصَّوامعْ
قلتُ: إن صحَّ الذي قالوا فإنَّ السرَّ شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيونٌ في براقع

والــــتـي لـم تـــتَـــبـــرقـعْ لا تـــراهـــا ؟...

لـــــستُ أدري!

إنْ تكُ الـعـزلـة نُـسـكـاً وتُقى، فـالـذئب راهبٌ

وعــرينُ الـــلــيث ديــرٌ حُــبُّهُ فــرضٌ وواجب

ليت شعري أيُميت النُّسكُ أمْ يُحيي المواهب؟

كــيف يمــحــو الــنُّسكُ إثــمــاً وهــو إثمٌ ؟

لـــــستُ أدري!

لـــــستُ أدري!

إنـني أبـصـرتُ في الـدَّيـرِ وروداً في سـيـاجِ

قـنعتْ، بعد الـنـدى الـطاهـرِ، بـالماء الأُجـاجِ[1]

حولَها النورُ الذي يُحيي، وترضى بالدَّياجي[2]

أمن الـحـكـمـة أفقدتُ الـقـلـبَ صـبْـراً ؟...

لـــــستُ أدري!

قد دخلتُ الدير عند الفجرِ كالـفجر الطَّروبْ

وتـركتُ الديـر عنـد الليل كالـليل الـغَضُوبْ

كان في نفسي كرْبٌ صـار في نفسي كُروب

أمنَ الــدَّيـــرِ أم الـــلـــيلِ اكــتــئــابي؟

لـــــستُ أدري!

قد دخلتُ الـدير أستنطقُ فيه الـنـاسكينا

فـإذا الـقـومُ من الـحـيـرَةِ مـثـلي بـاهـتُـونـا

غـلـب الـيـأسُ عـلـيـهم فـهمُ مُـسـتـسـلـمـونـا

---

(١) الشديد الملوحة

(٢) الظلمات (دجية - دجىً).

وإذا بـالـبـاب مـكـتـوبُ عـلـيه:...

لـستُ أدري!

عـجـباً لـلنـاسك الـقـانت وهْـو الـلَّـوذَعي[1]

هـجـر الـنـاس وفـيـهم كلُّ حُـسْنِ الـمُـبدعِ

و مـضـى يـبـحثُ عـنه في المـكـانِ الـبـلقَعِ

أَرأى في الـقَـفْـرِ مـاء أم سـرابـاً ؟...

لـستُ أدري!

كم تُمـارِي أيـها الناسكُ في الحقِّ الصَّريحْ

لـو أراد الـلـهُ ألا تـعـشقَ الـشـيء المـليـحْ

كـان إذ سـوَّاكَ سـوَّاك بلا قـلـبٍ وروحْ

فـالـذي تـفـعلُ إثمٌ.. قـال: إني

لـستُ أدري!

أيـهـا الـهـاربُ! إن الـعـار في هـذا الـفـرارِ

لا صلاحَ في الذي تصنع حتى للقفارِ

أنت جـانٍ، أيُّ جـانٍ، قـاتلٌ في غـيـرِ ثـارِ؟

أَفـيـرضـى الـلـهُ عن هـذا ويـعـفـو ؟...

لـستُ أدري!

بين المقابر

ولـقـد قـلتُ لـنـفسي وأنـا بـينَ الـمـقـابرْ

هل رأيتِ الأمن والـراحـةَ إلا في الحـفـائرْ

فـأشـارتْ فـغـدا لـلـدُّود عـيْشُ في المحـاجـر

ثم قـالت: أيـهـا الـسـائلُ إني...

لـستُ أدري!

---

(١) لذع برأيه أسرع في الفهم كإسراع النار إلى الإحراق، فهو (لوذعيّ)

أُنظُري كيف تساوى الكلُّ في هذا المكانِ
وتلاشَى في بقايا العبد ربُّ الصَّولَجانِ
والتقى العاشقُ والقَالي[1] فما يفترقانِ
أفَبِذَا مُنتهى العدلِ ؟ فقالت

لستُ أدري!

إنْ يكُ الموتُ قصاصاً أيُّ ذنب للطهارَهْ
وإذا كان ثواباً، أيُّ فضل للدَّعَارهْ
وإذا كان وما فيه جزاءٌ أو خسارَهْ
فَلم الأسماءُ إثمٌ وصلاحٌ ؟

لستُ أدري!

أيها القبرُ تكلَّمْ واخْبرِيني يا رِمامْ[2]
هل طوى أحلامَكَ الموتُ وهل مات الغَرام ؟
من هو المائتُ من عام ومن مليونِ عام ؟
أيصيرُ الوقتُ في الأرماسِ محواً ؟

لستُ أدري!

إن يكُ الموتُ رُقاداً بعدَهُ صحوُ طويلْ
فلماذا ليس يبقى صحْوُنا هذا الجميلْ ؟
ولماذا المرءُ لا يدري متى وقتُ الرحيلْ ؟
ومتى ينكشفُ السرُّ فيدري ؟

لستُ أدري!

---

(١) المبغض (قلاه)
(٢) بقايا

إن يكُ الموتُ هُجُوعاً يملأ النفس سلاما
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداءً لا ختاما
فلماذا أعشَقُ النوم ولا أهوى الحماما
ولماذا تجزَعُ الأرواحُ منه ؟
لستُ أدري!

أوراءَ القبر بعد الموتِ بعثٌ ونُشورُ
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ فدُثُورُ
أكلامُ الناسِ صدقٌ أم كلامُ الناس زورُ
أصحيحٌ أنَّ بعض الناسِ يدري ؟
لستُ أدري!

إن أكنْ أُبعثُ بعد الموتِ جُثماناً وعقْلا
أتُرى أُبعثُ بعضاً أم تُرى أُبعثُ كُلاّ
أتُرى أُبعثُ طفلاً أم تُرى أُبعثُ كهلا
ثُمَّ هل أعرفُ بعد البعث ذاتي ؟
لستُ أدري!

يا صديقي لا تُعلِّلْني بتَمْزيقِ السُّتُورِ
بعدما أقضي، فعقلي لا يُبَالي بالقشُور
إن أكُن في حالة الإدراك لا أدري مصيري
كيف أدري بعدما أفقدُ رُشْدي ؟
لستُ أدري!

القصر والكوخ

ولقد أبصَرْتُ قصراً شاهقاً عالي القبابْ
قلتُ ما شادك من شادكَ إلا للخَرابْ

أنت جزءٌ منه لكنْ لست تدري كيف غابْ
وهو لا يعلمُ ما تحوي أيدري؟
لستُ أدري!

يا مثالاً كان وهْماً قبلما شاء البُناةُ
أنت فكرٌ من دماغٍ غيّبتْه الظلماتُ
أنت أمنيّةُ قلبٍ أكلَتْهُ الحشراتُ
أنت بانيك الذي شادَك.. لا لا
لستُ أدري!

كم قصورٍ خالها الباني ستبقى وتدومْ
ثابتاتٍ كالرَّواسي، خالداتٍ كالنجوم
سحب الدهرُ عليها ذيلَهُ فهْي رسوم
ما لنا نبني وما نبني لهدمٍ ؟
لستُ أدري!

لم أجد في القصر شيئاً ليس في الكوخ المهينِ
أنا في هذا وهذا عبدُ شكّي ويقيني
وسجينُ الخالدَيْن: الليلِ والصبحِ المبين
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟
لستُ أدري!

ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسي مهربْ
إنني أرجو وأخشى، إنني أرضى وأغضب،
كان ثوبي من حريرٍ مُذْهبٍ أو كان قنَّب
فلماذا يتَمنَّى الثوب عارٍ ؟
لستُ أدري!

سَائلِ الفجر أعند الفجرِ طينٌ ورخامْ ؟
واسألِ القصر ألا يُخفيه كالكوخِ الظلام ؟

واسألِ الأنجم والريح وسلْ صوب الغَمَام
أتَرى الشيء كما نحن نراه ؟
لستُ أدري!

الفكر

رُبَّ فكرٍ بانَ في لوحة نفسي وتجلّى
خلتُه منّي ولكنْ لم يُقمْ حتى تولّى
مثلَ طيف لاح في بئرٍ قليلاً، واضمحلاّ
كيف وافى ولماذا فَر مني ؟
لستُ أدري!

أتَراهُ سائحاً في الأرض من نَفْسٍ لأخرى
رابَهُ مني أمرٌ فأبى أن يستَقرَّا
أم تراهُ مرَّ في نفسي كما أعبُرُ جسرا
هل تراه قبل نفسي غيرُ نفسي ؟
لستُ أدري!

أتُراه بارقاً أومض حيناً وتوارى
أم تُراه كان مثلَ الطير في سجنٍ فطارا
أم تُراه انحلّ كالموجة في نفسي وغارا
فأنا أبحثُ عنه وهو فيها ؟
لستُ أدري!

صراع وعراك

إنني أشهدُ في نفسي صراعاً وعراكا
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً مَلاكا
هل أنا شخصَان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا
أم تُراني واهماً فيما أراهُ ؟
لستُ أدري!

بينما قلبي يحكي في الضحى إحدى الخَمائلْ
فيه أزهارٌ، وأطيارٌ تُغنِّي، وجداول
أقبلَ العصرُ فأمسى موحشاً كالقفرِ قاحل
كيف صار القلبُ روضاً ثم قَفراً ؟

لستُ أدري!

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرُ
أين جهلي ومرَاحي وأنا غضٌّ غَريرُ
أين أحلامي وكانت كيفما سرتُ تسيرُ
كلّها ضاعتْ ولكن كيف ضاعتْ ؟

لستُ أدري!

لي إيمانٌ، ولكنْ لا كإيماني ونُسْكي
إنني أبكي، ولكنْ لا كما قد كنتُ أبكي
وأنا أضحكُ أحياناً ولكنْ أيَّ ضحْك!
ليت شعري ما الذي بدّلَ أمري ؟

لستُ أدري!

كلَّ يومٍ لي شانٌ، كلَّ حينٍ لي شعورْ
هل أنا اليوم أنا، منذُ ليالٍ وشهور
أم أنا عند غروب الشمسِ غَيرِي في البُكُور
كلّما ساءلتُ نفسي جاوبتني:

لستُ أدري!

ربّ أمرٍ كنتُ، لمّا كان عندي، أتّقيهْ
بِتّ لمّا غاب عني وتوارى أشتَهيه
ما الذي حبّبَهُ عندي وما بغّضنيه
أأنا الشخصُ الذي أعرض عنهُ ؟

لستُ أدري!

رُبَّ شخصٍ عشتُ مَعْهُ زمناً ألهو وأمرحْ
أو مكانٍ مرَّ دهرٌ وهو لي مسْرى ومسرح
لاح لي في البُعد أجلَى منه في القُربِ وأوضح
كيف يبقى رسمُ شيءٍ قد توارى ؟

لستُ أدري!

رُبَّ بستانٍ قضيتُ العمر أحمي شجرهْ
ومنعتُ الناس أن تقطف منه زهره
جاءتِ الأطيارُ في الفجر فناشَتْ ثمره
أَ لأطْيارِ السّما البستانُ أم لي ؟

لستُ أدري!

رُبَّ قُبحٍ عند زيدٍ هو حُسْنٌ عند بكْرِ
فهما ضدَّان فيه، وهو وهْمٌ عند عمروِ
فمن الصَّادقُ فيما يدَّعيه ليت شعري
ولماذا ليس للحسن قياسٌ ؟

لستُ أدري!

قد رأيتُ الحُسن يُنسى مثلما تُنسى العيوبْ
وطلوعُ الشمس يُرجى مثلما يُرجى الغروب
ورأيتُ الشر مثلَ الخيرِ يمضي ويؤوب
فلماذا أحسبُ الشر دخيلاً ؟

لستُ أدري!

إنَّ هذا الغيثَ يهمي حين يهمي مُكْرها
وزهورُ الروض تُفشي مُجبراتٍ عطرها
لا تَطيقُ الأرضُ تخفي شوكَها أو زهرها
لا تسلْ: أيهما أشهى وأبهى ؟

لستُ أدري!

قد يصيرُ الشّوكُ إكليلاً لمِلْكٍ أو نبيْ

ويصيرُ الوردُ في عُروَةِ لصٍّ أو بغيْ

أيغارُ الشوكُ في الحقلِ من الزهر الجنيْ

أم تُرى يحسبه أحقر منهُ ؟

لستُ أدري!

قد يقيني الخطر الشوكُ الذي يجرحُ كفِّي

ويكون السمُّ في العطر الذي يملأ أنفي

إنما الوردُ هو الأفضلُ في شَرْعي وعُرفي

وهو شرعٌ كلُّهُ ظلمٌ ولكنْ

لستُ أدري!

قد رأيتُ الشُّهب لا تدري لماذا تُشرِقُ

ورأيتُ السُّحب لا تدري لماذا تُغدِقِ

ورأيتُ الغاب لا تدري لماذا تورِق

فلماذا كلّها في الجهل مثلي ؟

لستُ أدري!

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ السِّتر عنّي

وبلغتُ السر سرِّي، ضحِكتْ نفسي منّي

قد وجدتُ اليأس والحيرةَ لكن لم أجِدْني

فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ ؟

لستُ أدري!

لَذَّةٌ عندي أن أسمع تغريد البلابلْ

وحفيف الورَقِ الأخضرِ أو همس الجداول

وأرى الأنجُمَ في الظلماء تبدو كالمشاعِل

أتُرى منها أم اللّذةُ منِّي ؟

لستُ أدري!

أَتُـراني كـنتُ يـومـاً نـغَـمـاً في وتَـرِ
أم تُـراني كـنت قَـبلاً مـوجـةً في نَـهـر
أم تـراني كنتُ في إحدى الـنجوم الـزُّهُـر
أم أريـجـاً أم حـفَـيـفـاً أم نـسـيـمـاً ؟

لـسـتُ أدري!

فِـيَّ، مـثلُ الـبـحـر، أصـدافُ ورملُ ولآلْ
فِـيّ كـالأرض مـروجٌ وسـفـوحٌ وجـبـال
فِـيّ كـالجـوِّ نجـومٌ.. وغـيـومٌ وظلال
هل أنـا أرضٌ وبـحـرٌ وسـمـاءٌ ؟

لـسـتُ أدري!

من شرابي الـشُّـهدُ والخمرةُ والماءُ الزُّلالْ
من طعامي الـبقلُ والأثمار واللحمُ الحَلالْ
كم كيانٍ قد تلاشى في كياني واستحالْ
كم كـيـانٍ فـيه شيءٌ من كـيـاني ؟

لـسـتُ أدري!

أأنـا أفصحُ من عصفورةِ الوادي وأعذبْ ؟
ومن الزهرة أشهى ؟ وشذا الزهرةِ أطيب ؟
ومن الحـيَّة أدهى ؟ ومن الـنملـة أغرب ؟
أم أنـا أَوضـعُ مـن هـذي وأدنى ؟

لـسـتُ أدري!

كلُّها مثلي تحيا، كلُّها مثلي تموتُ
ولـها مـثلي شرابٌ، ولـها مـثلي قـوتُ
ورقـادٌ وانـتـبـاهٌ وحـديثٌ وسـكـوتُ
فـبـمـا أمـتـازُ عـنـهـا لـيت شـعري ؟

لـسـتُ أدري!

قد رأيتُ النملَ يسعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطارٌ وحقٌّ مثلُ حقّي
قد تساوى صمتُهُ في نظرِ الدهر ونُطقي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما...
لستُ أدري!

أنا كالصَّهباء، لكنْ أنا صهبائي ودَنّي
أصلُها خافٍ كأصلي، سجْنها طينٌ وسجني
ويزاحُ الخَتْمُ عنها مثلما ينشَقُّ عني
وهي لا تفقَهُ معناها، وإني...
لستُ أدري!

غَلطَ القائلُ: إنَّ الخمر بنتُ الخابيهْ
فهي قبلَ الزِّقِ كانت في عُروق الدَّاليه
وحواها قبلَ رحْم الكرْمِ رحمُ الغاديَه
إنما من قبلِ هذا أين كانت ؟
لستُ أدري!

هي في رأسي فكرٌ وهي في عيني نورٌ
وهي في صدري آمالٌ وفي قلبي شُعورٌ
هي في جسمي دمٌ يسرُبُ[1] فيه ويمور
إنما من قبلِ هذا كيف كانت؟
لستُ أدري!

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيهْ
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيه

(١) سرب في الأرض ذهب على وجهه

لي ذاتٌ غير أني لستُ أدري ما هيَه
فمتى تعرفُ ذاتي كُنْهَ ذاتي ؟
لستُ أدري!

إنني جئتُ وأمضي، وأنا لا أعلَمُ
أنا لَغْزٌ، وذهابي كمجيئي طِلْسم
والذي أوجد هذا اللَّغز لَغزٌ مُبهم
لا تُجادلْ ذا الحجا من قال: إني
لستُ أدري!

****

المحتوى

الديوان الثالث

(الجداول)

****

الديوان الرابع

(الخمـــائل)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «السمير» - نيويورك ١٩٤٠).

يضم سبعة وخمسين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير، يقع ضمنها نصُّه الكبير المعروف «الأسطورة الأزلية». وهو آخر ديوان صدر له في حياته، وتمّ طبعه في مطبعة جريدته «السمير»، قبل وفاته بسبعة عشر عامًا (١٩٥٧).

****

١ - المدخل

[الخفيف]

وقعتْ نحلةٌ على الأُقحُوانِ

فإذا في القَفيرِ شُهْدُ

ومشَتْ بعدها على الأغصانِ

دودةٌ فالغصونُ جُرْدْ

✡✡✡✡✡

وهمى الغيثُ في الحقول ففيها

شجرٌ وارفٌ وزهرُ

وأطاب الرمالَ كي يُحْييها

فهُما ميتٌ وقَبْر

✡✡✡✡✡

أنا غيثُ، فإنْ وجدتُكَ حقلاً

فأنا العشبُ والشجرْ

غير أني، إذا لقيتُك رملاً،

لستُ شيئاً حتى المطرْ

✡✡✡✡✡

وأنا الأقحوانُ سيَّانُ عندي

عشتُ يوماً أو بعض يومِ

لا أُبالي الفناءَ إن كان مجدي

في فنائي أو مجدُ قومي

✡✡✡✡✡

إنْ تَـــغبْ في فـــراشــــة ألـــواني

فـــأنـــا زهـــرةٌ تـــطـــيـــرُ

وإذا انـــحلَّ في الـــشُّـــعـــاعِ كـيـــاني

فـــأنـــا في الـــضُّـــحى عـــبـــيـــرُ

✲✲✲✲

جـــنِّـــبوني الـــفـــنـــاءَ في الـــديـــدانِ

إنّـــهُ الـــمـــصـــرعُ الـــكَـــريـهْ

وانـــعـــدامُ الأريـــجِ والألـــوانِ

وانـــدثـــارٌ لا مـــجـــد فـــيـهْ

✲✲✲✲

كُنْ شُـــعـــاعـــاً يـــبـــينُ فـــيه كـيـــاني

لا ظـــلامـــا ولا رَغـــامْ[1]

ولأعشْ في الـــشُّـــعـــاعِ بـــضع ثـــوانِ

فـــهـي خـــيـــرٌ من ألـف عـــامْ

****

---

(١) التراب.

٢ - الشاعر والملك الجائر

[مختلط]

أمر السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائلِ الصبغة واهٍ جانباه
وحذاءٍ أوشكت تُفلتُ منه قدماه
قال: صفْ جاهي، ففي وصفكَ لي للشعرِ جاه
إنّ لي القصر الذي لا تبلُغُ الطيرُ ذراه
ولي الروضُ الذي يعبقُ بالمسك ثراه
ولي الجيشُ الذي ترشحُ بالموت ظُباه[1]
ولي الغاباتُ والشُّمُّ الرواسي والمياه
ولي الناسُ .. وبؤسُ الناس مني والرَّفاه
إن هذا الكونَ مُلكِي، أنا في الكونِ إلهُ!

✡✡✡✡

ضحكَ الشاعرُ مما سمعتْهُ أذُناهُ
وتمنّى أن يُداجي[2] فعصَتْهُ شفتاهُ
قال: إني لا ارى الأمر كما أنت تراهُ
إن مُلكي قد طوى ملكَك عني ومحاهُ

✡✡✡✡

القصرُ يُنبئُ عن مهارةِ شاعرٍ
لَبِقٍ، ويُخبرُ، بعدهُ عنكا

---

(١) الظبة: حد السيف.
(٢) المداجاة: المداراة.

هــو لـلأُلـى يــدرونَ كُــنْهَ جــمــاله
فــإذا مــضــوا فــكــأنه دُكَّــا
ســتــزولُ أنت ولا يــزولُ جـلالُهُ
كـالـفُـلك تـبـقى، إن خَـلَتْ، فُـلـكـا
والـروضُ؟ إن الـروض صـنـعـةُ شـاعـرٍ
سـمْحٍ طـروبٍ رائـقٍ جـزلِ
وشّـى حـواشـيهُ وزيّن أرضـهُ
بـروائـعِ الألـوانِ والـظّلِّ
لـفـراشـة تحـيـا لـه، ولـنـحـلـة
تحـيـا بـه، ولـشـاعـرٍ مـثـلي!
ولـدِيـمـة تَـذري عـلـيه دمـوعـهـا
كـيـمـا تَـقـيـه غـوائلَ الـمـحلِ
ولـبـلـبلٍ غَـردٍ يـسـاجلُ بـلـبلاً
غَـرِداً، ولـلـنـسـمـاتِ والـطلِّ
فـإذا مـضى زمنُ الـربـيـعِ أضـعـتَهُ
وأقـام في قـلـبي وفي عـقـلي!

☼☼☼☼☼

والجـيشُ مـعـقـودُ لـواؤك فـوقَهُ
مـا دمت تـكـسـوهُ وتـطـعـمُهُ
لـلـخـبـزِ طـاعـتُهُ وحُـسْنُ ولائه
هـو « لاتُهُ » « الـكـبـرى و« بـرْهـمُهُ»[1]
فـإذا يـجـوعُ بـظلِّ عـرشكَ لـيـلـةً
فـهـو الـذي بـيـديه يـحْـطـمُه
لك مـنـه أسـيُـفُهُ[2] ولـكنْ في غـدٍ
لـسـواك أسـيُـفُه وأسـهُـمُه

---

(١) يريد: اللات. وبْراهما الإله الذي خلق العالم واتحد به في عقائد الهندوكية، والنسبة إليه: برهمي.
(٢) يجمع السيف، في معاجم اللغة، على: أسياف وسيوف.

أتـــراهُ ســـار إلى الـــوغى مُـــتـــهـــلّلاً
لـــولا الـــذي الـــشّـــعـــراءُ تَـــنـــظـــمُـه؟
وإذا تـــرنّـمَ هلْ بـــغـــيـــرِ قـــصـــيـــدةٍ
من شـــاعـــرٍ مـــثـــلـي تـــرنُّـــمُـه؟

✵✵✵✵

والـــبـــحـــرُ، قـــد ظـــفـــرتْ يـــداك بـــدُرِّه
وحـــصـــاهُ، لـــكن هل مـــلـــكت هـــديـــرَهُ؟
هُـــو لـــلـــدجى يُـــلـــقِي عـــلـــيه خـــشـــوعَهُ
والـــصُّـــبحُ يـــســكبُ، وهـــو يـــضـــحكُ، نـــورَهُ
أَمَـــرجْت أنت مـــيـــاهَـهُ؟ أصـــبـــغت أنـ
ـت رمـــالَهُ؟ أجـــبـــلـت أنت صـــخـــوره؟
هـــو لـــلـــريـــاحِ تـــهـــزُّهُ وتـــثـــيـــرُهُ
والـــشـــهبُ تـــســـمعُ في الـــظلامِ زئـــيـــرَهُ
لـــلـــطـــيـــرِ هـــائـــمـــةً به مـــفـــتـــونـــةً
لا لـــلـــــذينُ يـــروعـــونَ طـــيـــوره
لـــلـــشـــاعـــرِ المـــفـــتـــون يـــخـــلقُ لاهـــيـــاً
من مـــوجِـه حُـــوراً ويـــعـــشـقُ حـــوره
ولمنْ يـــشـــاهـــدُ فـــيه رمـــزَ كـــيـــانه
ولمن يـــجـــيـــدُ لـــغـــيـــرِه تـــصـــويـــرَه
يـــا من يـــصـــيـــدُ الـــدُّرَّ من أعـــمـــاقه
أخـــذتْ يـــداك من الجـــلـــيـلِ حـــقـــيـــره
لا تـــدَّعـــيه.. فـــلـــيس يُـــمْـــلَكُ، إنه
كـــالـــروضِ جـــهـــدُك أن تـــشَـمّ عـــبـــيـــره

✵✵✵✵

ومـــررتُ بـــالجـــبـلِ الأشمِّ فـــمـــا زوى
عـــني مـــحـــاســـنَهُ ولـــستُ أمـــيـــرا

ومـــررت أنت فـــمـــا رأيت صـــخـــورَهُ
ضـــحـــكتْ ولا رقــصـتْ لــديك حُــبــورا

ولــقــد نــقَــلتُ لــنــمــلـه مـــا تــدَّعي
فــتــعــجــبتْ، ممـــا حــكــيتُ، كــثــيــرا

قــالت: صــديـقُكَ مـــا يــكــونُ؟ أقَــشْــعـمـاً
أم أرْقَـمــاً؟ أم ضــيـغَـمـاً هــيـصُـورا؟[1]

أيــحُــوكُ مــثْلَ الــعــنــكــبــوتِ بــيــوتَهُ
حــوْكــاً؟ ويــبــنـي كــالــنَّـســورِ وكــورا؟

هل يملأُ الأغـــوار تـــبـــراً كـــالـــضُّـحى
ويـــردُّ كـــالـــغـــيثِ المَـــوات نــضــيــرا؟

أيـــلفُّ كـــالـــســـيل الأبـــاطح والـــرُّبَـــا
والمـــنـــزلَ المـــعـــمـــور والمـــهـــجُــورا؟

فـــأجـــبـــتـــهـــا: كلاَّ! فــقـــالتْ: ســمِّهُ
في غــيــرِ خــوفٍ، «كـــائـــنـــاً مـــغـــرورا!»

✡✡✡✡✡

فـــاحـــتـــدم الـــســـلـــطـــانُ أيَّ احـــتـــدامْ
ولاح حبُّ الـــبـــطشِ في مـــقـــلـــتـــيهْ

وصـــاح بـــالجلاَّد: هـــاتِ الحـــســـامْ!
فـــأســـرع الجلاَّدُ يـــســـعـى إلـــيهْ

فـــقـــال: دحـــرجْ رأس هـــذا الـــغلامْ
فـــرأسُهُ عبءٌ عـــلى مـــنْـــكـــبـــيهْ

قـــد طُـــبع الـــســـيفُ لحـــزِّ الـــرقـــابْ
وهـــــذه رقْـــــبـــــةُ ثـــــرثـــــارِ

---

(١) القشعم: النسر الذكر العظيم. والأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها والضيغم: الأسد. يريد بالهيصور: الهصور

اقـتـلْهُ.. واطـرحْ جـسـمَهُ لـلـكلابْ

ولـتـذهبِ الـروحُ إلى الـنـار

✡✡✡✡✡

سـمْـعـا وطَـوعـاً سـيـدي!.. وانـتـضى

عـضْـبـاً [١] يمـوجُ المـوتُ في شـفـرتـيهْ

ولـم يـكنْ إلا كـبـرقٍ أضـا

حـتى أطـار الـرأس عن مـنـكـبـيه

فـسـقط الـشـاعـرُ مُـعْـرَوْرَضـا

يُـخـدِّش الأرض بـكـلـتـا يـديه[٢]

كـأنمـا يـبـحثُ عن رأسه

فـاسـتـضْـحك الـسـلـطـانُ من سـجـدتهْ

ثم اسـتـوى يـهـمسُ في نـفـسه

«ذو جُـنَّـةٍ»[٣] أمـسـى بلا جُـنَّـتهْ

✡✡✡✡✡

أجلْ، هـكَـذا هـلك الـشَّـاعـرُ

كـمـا يـهـلكُ الآثمُ المـذنبُ

فـمـا غَصَّ في روضـة طـائـرُ

ولم يـنـطـفئْ في الـسَّـمـا كـوكب

ولا جـزِعَ الـشـجـرُ الـنـاضـرُ

ولا اكـتـأب الجـدولُ الـمُـطـرب

وكُـوفئ عن قـتـلـه الـقـاتلُ

بمـالٍ جـزيلٍ وخـدٍّ أسـيلْ

فـقـال له خُـلْـقُهُ الـسَّـافلُ،

ألا لـيت لي كلّ يـومٍ قـتـيلْ!

✡✡✡✡✡

---

(١) السيف القاطع (عضب: قطع).

(٢) المـرْمي بما يقتله ويرميه معترضاًبم على الأرض. (٣) السترة.

في لــــيـــلـــــة طـــامـــســــــة الأنجمِ

تَـــســـلّلَ المـــوتُ إلى الـــقـــصـــرِ

بـــين حـــرابِ الجـــنـــدِ والأســـهُمِ

والأســـيُف الـــهـــنـــديّـــة الحُـــمـــر

إلى ســـــريـــــرِ المـــلك الأعـــظمِ

إلى أمـــيـــرِ الـــبـــر والـــبـــحـــر!!

فـــفـــارقَ الـــدنـــيـــا ولـــمّـــا تـــزلْ

فـــيـــهـــا خُـــمـــورٌ وأغـــاريـــدُ

فـــلم يـــمـــدّ حُـــزنـــاً عـــلـــيه الجـــبَلْ

ولا ذوى في الـــــروضِ أُمـــــلُـــــود

*****

في حـــوْمـــة المـــوتِ وظلِّ الـــبِـــلَى

قـــد الـــتَـــقى الـــســـلـــطـــانُ والـــشـــاعـــرُ

هـــــذا بلا مـــــجْـــــدٍ، وهـــــذا بلا

ذلٍّ، فلا بـــــاغٍ ولاثـــــائـــــرُ

عـــانـــقتِ الأســـمـــالُ تـــلك الحُـــلى

واصـــطـــحب المـــقـــهـــورُ والـــقـــاهـــر

لا يـــجـــزعُ الـــشـــاعـــرُ أن يُـــقـــتَلا

لـــيس وراءَ الـــقـــبـــرِ ســـيفُ ورمحْ

ولا يـــبـــالـــي ذاك أن يُـــعْـــذلا

ســـيّـــانِ عـــنـــد المـــيْتِ ذمٌ ومـــدح

*****

وتـــوالـتِ الأجـــيـــالُ تَـــطَّـــردُ

جـــيلٌ يـــغـــيبُ وآخـــرٌ يـــفـــدُ

أخــنتْ عــلى الــقــصــرِ المــنـيف فلا

الجــدرانُ قــائــمــةٌ ولا الــعُــمُــدُ

ومــشتْ عــلى الجــيش الــكــثــيف فلا

خــــيلٌ مُــــســــوَّمــــةٌ ولا زَرَدُ

ذهــبتْ بمن صــلُــحُــوا ومن فــســدوا

ومــضتْ بمن تــعــسُــوا ومن ســعــدوا

وبمن أذاب الحــبُّ مــــهــــجــــتَهُ

وبمن تــــأكَّلَ قــــلــــبَهُ الحــــســــدُ

وطــوتْ مــلــوكــاً مــا لــهمْ عــددٌ

فــكــأنــهمْ في الأرض مــا وجــدوا

والــشــاعــرُ المــقــتــولُ بــاقــيــةٌ

أقــوالُهُ فــكــأنــهــا الأبَــد

الــشــيخُ يــلــمسُ في جــوانــبــهــا

صُــور الــهــوى، والحــكــمــةَ الــولــد

****

٣ - الدمعة الخرساء

[الكامل]

سمعتْ عويلَ النائحات عشيَّةً
في الحي يبْتَعثُ الأسى ويُثير
يبْكينَ في جُنحِ الظلام صبيَّةً
إنَّ البكاءَ على الشّبابِ مرِير[1]
فَتَجهَّمتْ وتلفَّتَت مُرتاعةً
كالظبي أيقنَ أنه مأسُور
وتحيَّرتْ في مقلتيها دمعةٌ
خرساءُ لا تَهْمي وليس تغور
فكأنها بطلٌ تكنَّفَهُ العدا
بسيوفهمْ وحُسامهُ مكسور
وجمتْ فأمسى كلُّ شيءٍ واجماً
النورُ والأظلالُ والدَّيجور
الكونُ أجمعُ ذاهلٌ لذهولها
حتى كأن الأرض ليس تدور
لا شيء مما حولَنا وأمامنا
حسنٌ لديها والجمالُ كثير
سكت الغديرُ كأنما الْتَحَف الثَّرى
وسها النَّسيمُ كأنه مذعور
وكأنما الفَلَكُ المُنوَّرُ بُلقعٌ

(١) يريد: مرّ، على الشائع في الاستعمال.

والأنجمُ الزهراءُ فيه قبور
كانت تمازِحُني وتضحكُ، فانتهى
دَوْرُ المُزاحِ، فَضحْكها تفكير
قالت، وقد سلخَ ابتسامتَها الأسى،
«صدقَ الذي قال: الحياةُ غرور»
أكذا نموتُ وتنقضي أحلامُنا
في لحظة، وإلى التُّرابِ نصير»
وتموجُ ديدانُ الثَّرى في أكْبُدٍ
كانت تموجُ بها المُنى وتمورُ
«خيرٌ إذن منا الأُلى لم يولدوا
ومن الأنام جلامدٌ وصخور»
«ومن العيونِ مكاحلٌ ومراودٌ
ومنَ الشِّفاهِ مساحِقٌ وذُرور»
«ومن القلوبِ الخافقاتِ صبابةً
قصبٌ لوقْعِ الريحِ فيه صفير»
وتوقفتْ، فشعرتُ، بعد حديثها،
أن الوجود مُشوَّشٌ مبتورُ
الصيفُ ينفُثُ حرَّهُ من حولنا
وأنا أحسُّ كأنني مقْرور
صارت إلى قلبي الشكوك فنغَّصتْ
لَيليْ، وليس مع الشكوك سُرور
وخشيتُ أن يغدو، مع الرِّيبِ، الهوى
كالرسمِ، لا عطرٌ، وفيه زهور
وكدُميةِ المثَّالِ حُسْنٌ رائعٌ
ملأ العيون وليس ثَمّ شعور
فأجبتُها: «لتكُنْ لديدانِ الثَّرى

أجـسـامُـنـا! إن الجـسـوم قُـشـور»
«لا تجـزعي فـالمـوتُ لـيس يـضـيـرُنـا
فـلَـنـا إيـابٌ بـعـدَهُ ونُـشـور»
«إنّـا سـنـبـقى بـعـد أن يمـضـي الـورى
ويـزولَ هـذا الـعـالَمُ المـنـظـور»
«فـالحُبُّ نـورٌ خـالـدٌ مُـتَـجـرِدٌ
لا يـنـطـوي إلا لـيـسـطـع نـور»
«وبـنـو الـهـوى أحلامُـهـم ورؤّاؤهم
لا أعـيـنٌ ومـراشـفٌ ونـحـور»
«فـإذا طَـوتْـنـا الأرضُ عن أزهـارهـا
وخلا الـدجى مـنـا وفـيـهِ بـدور»
«فـسـتـرجـعـينَ خـمـيـلـةً مـعـطـارةً
أنـا في ذُراهـا بـلـبلٌ مـسـحـور»
«يـشـدو لـهـا ويـطـيـرُ في جـنـبـاتـهـا
فـتَـهِشُّ إذ يـشـدو، وحـين يـطـيـر»
«أو جـدولاً مُـتـرقـرقـاً مـتـرنِّـمـاً
أنـا فـيـه مـوجٌ ضـاحكٌ وخـريـر»
«أو تَـرجِـعـينَ فـراشـةً خـطّـارةً
أنـا في جنـاحيـهـا الـضُّحى الموشُور»[1]
«أو نـسـمـةً أنـا هـمـسُـهـا وحـفـيـفُـهـا
أبـداً تُـطـوِّفُ في الـرُّبـا وتـدور»
«تـغـشى الخـمـائلَ في الـصـبـاح بـلـيـلـة
وتـؤوبُ، حـين تـؤوبُ، وهـي عـبـيـرُ»
«أو تـلـتـقي عـنـد الـكـثـيبِ، عـلى رِضـاً

(١) الوشْر: تحديد الأسنان وترقيقها. لعله يريد: شفافية النور في الضحى.

وقـنـاعـة، صـفـصـافـةٌ وغـديـر»

«تـمـتـدُّ فـيه وفي ثـراهُ عـروقُـهـا

ويـسـيلُ تحت فـروعـهـا ويـسـيـر»

«ويـغـوصُ فـيه خـيـولُـهـا فـيـلـقُهُ

ويشفُّ فـهـو الـمُـنـطـوي المـنـشـور»

«يـأوي إذا اشـتـدَّ الـهـجـيـرُ إلـيـهـمـا

الـنـاسـكـان: الـظـبيُ والـعـصـفـورُ»

«لـهـمـا سـكـيـنـتُـهـا ووارفُ ظـلِّـهـا،

والمـاءُ إن عـطـشـا لـديه وفـيـر»

«أعـجُـوبـتـانِ: زَبَـرجـدٌ مـتـهـدِّلٌ

نـامٍ، تـدفَّقَ تحـتَهُ الـبـلُّـور»[1]

«لا الـصـبحُ بـيـنـهـمـا يـحـولُ ولا الـدُّجى

فـكلاهـمـا بـكـلـيـهـمـا مـغـمـور»

«تـتـعـاقبُ الأيـامُ وهـي نـضـيـرةٌ

مـخـضـرَّةُ الأوراق وهـو نَـمـيـر»

«فـالـدهـرُ أجـمـعُه لـديـهـا غـبـطـةٌ

والـدهـرُ أجـمـعُهُ لـديه حُـبـور»

فـتَـبـسـمتْ، وبـدا الـرضـا في وجـهـهـا،

إذ راقـهـا الـتـمـثـيلُ والـتَّـصـويـر

عـالجـتُـهـا بـالـوهمِ، وهـي قَـريـرةٌ،

ولَـكَم أفـاد الـمُـوجع الـتَـخـديـرُ

ثم افـتَـرقـنـا ضـاحـكَـيْنِ إلى غـد

والـشُّـهبُ تـهـمُسُ فـوقـنـا وتـشـيـر

هـي كـالمـسـافـرِ آب بـعـد مـشـقَّـة

وأنـا كـأني قـائـدٌ مـنـصـور

---

(١) الزبرجد: جوهر يقال إنه الزمرّد.

✡✡✡✡

لــكــنــنـي لــمّــا أوَيْتُ لمــضْـجــعـي
خَـشُن الـفـراشُ عـلـي وهــو وثــيــر

وإذا ســراجي قــد وهتْ وتــلــجْـلَـجتْ
أنـــفـــاسُهُ، لــكـأنه الـــمــصـــور

وأجــلْتُ طــرفي في الــكــتـاب فلاح لي
كـالــرسم مـطـمـوسـاً وفـيه ســطـور

وشــربتُ بــنت الــكـرمِ أحــسبُ راحــتي
فــيــهــا، فـطــاش الـظنُّ والــتـقـديـرُ

فــكـــأنــنـي فُـلْكٌ وهتْ أمــراسُــهــا
والــبــحــرُ يــطـغى حــولــهــا ويـثــور

ســلَب الــفــؤاد رُؤاه والجــفنَ الــكـرى
همٌّ عـــرَا فـــكلاهـــمـــا مـــوتـــور

حــامتْ عـلـى روحي الـشـكـوكُ كـأنـهـا
وكــأنـــهنَّ فـــريـــســـةٌ وصـــقـــور

ولــقـد لجــأتُ إلى الــرجـاء فـعـقَّـني
أمـــا الـــرجـــاء فـــخَـــائبٌ مـــدحـــور

يـــا لـــيلُ! أين الـــنـــور؟ إني تـــائهٌ،
مُــرْ يــنــبــثِقْ، أمْ لــيس عــنـدكَ نــور

أكــذا نمــوتُ وتــنــقــضـي أحلامُــنــا
في لحــظــة، وإلى الــتــرابِ نــصــيـر

✱✱✱✱

٤ - الفيلسوف المجنّح

[الكامل]

يا أيها الشّادي المغرّدُ في الضحى
أهواك إنْ تُنْشِدْ وإن لم تنشد

الفنُّ فيك سجيّةٌ لا صنعةٌ
والحبُّ عندك كالطبيعة سرمدي

فإذا سكتَّ فأنت لحنٌ طائرٌ
وإذا نطقت فأنت غيرُ مقلِّد

لله دَرُّكَ شاعراً لا ينتهي
من جيِّدٍ إلا صبا للأجود

مرحُ الأزاهرِ في غنائكَ، والشَّذا،
وطلاقةُ الغُدْرانِ والفجرِ النَّدي

وكأن زَوْرَك فيه ألفُ كمنجة
وكأنَّ صدرَكَ فيه ألفُ مُرَدِّد

كم زهرةٍ في السّفحِ خَادرةٍ[1] المُنى
سكنتْ على يأسٍ سكونَ الجلْمد

غنَّيتَها فاستيقظتْ وترنَّحتْ
وتألّقتْ كالكوكبِ المتَوقّد

وجرى الهوى فيها، وشاعَ بشاشةً
من لم يُحبَّ فإنه لم يولد

وكأنني بكَ، حينَ تهتفُ، قائلٌ
للزهرِ: إنَّ الحسن غيرُ مُخَلَّد

(١) الخادر: الفاتر الكسلان.

فاسْتنفدي في الحبِّ أيام الصبا
واسْترشديه فهْو أصدقُ مُرشد
واستشهدِي فيه، فَمِنْ سُخْرِ القَضا
أن لا تذوقيه وأن تُستَشهدي

✡✡✡✡✡

يا فيلسوفاً قد تلاقى عندَهُ
طَربُ الخَلي وحُرْقةُ المتوجد[1]
رفع الربيعُ لك الأرائك في الرُّبا
وكَسا حواشيها بُرود زَبَرجد
أنت المليكُ له الضياءُ مقَاصرُ
وتعيشُ عيش الناسك المتزهّد
مستوفزاً فوق الثرى، متنقّلاً
في الدَّوحِ، من غصنٍ لغصنٍ أمْلد[2]
متزوِّداً من كلّ حُسْنٍ لمحةً
شأنُ المحبِّ الثائرِ المُتَمرِّد
وإذا ظفرت بنفحة وبقطرةٍ
فلقد ظفرْت بروضة وبموْرِدِ
تشدو وتَبهتُ حائراً متردداً
حتى كأنك حين تُعطي تَجْتدي
وتمدُّ صوتَك في الفضا متلهّفاً
في ذلَّة المسترحمِ المستنجِد
فكأنما لك موطنٌ ضيَّعتَهُ
خلف الكواكبِ في الزمان الأبعد

---

(١) من الوجد الذي هو الحزن.
(٢) الأملد والأملود. الناعم.

وطنٌ جميلٌ كنت فيه سيّداً
فمضى، ودام عليك همُّ السَّيِّد
طورِدْت عنه إلى الحضيضِ فلم تزلْ
متلفّتاً كالخائف المتشرِّد
يبدو لعينكَ في العقيقِ خيالُهُ
وتراهُ في ورَقِ الغصونِ الميَّد
صورٌ مُعدَّدةٌ لغير حقيقة
كالآلِ[1] لاح لمُعطَشٍ في فَدْفَد[2]
فَتَهُمُّ أن تدنو إليه، وتنثني
حتى كأنك خائفٌ أن تهتدي!
وكأنه حلُمٌ يصِحُّ مع الكَرى
فإن انتهيت مع الكرى يتبدَّد
كم ذا تفتِّشُ في السفوح وفي الذُّرا
عنقاءُ[3] أقربُ منه للمتصيد

✡✡✡✡

يا أيها الشادي المغرّدُ في الضحى
أهواك إن تنشدْ وإنْ لم تُنشد
طوباك إنك لا تفكِّرُ في غدٍ
بدْءُ الكآبة أن تفكّر في غد
إن كنت قد ضيّعت إلفَكَ إنني
أبكي على إلفِي الذي لم يوجد!

****

(١) السراب.
(٢) الفلاة التي لاشيء فيها
(٣) العُقاب.

٥ - ماء وطين

[الخفيف]

سـألـتْـنِي وقـدْ رجـعـتُ إلـيـهـا
وعـلـى مـفْـرِقِي غـبـارُ الـسـنـيـنـا:

أيَّ شيءٍ وجـدت في الأرض بـعـدي؟
قـلـتُ: إني وجـدتُ مـاءً وطـيـنـا

جـمـع الحُـسن والـدمـامـةَ والإقْـ
ـدام والخـوف والـنُّـهى والجـنـونـا

والـرجـاءَ الـذي يـصـيـرُ به الـفَـدْ
فَـدُ(١) روضـاً وشـوكُهُ نَـسْـريـنـا

والـقـنـوطَ الـذي يُـعـري من الأوْ
رَاقِ، في نـشـوةِ الـربـيع، الـغـصـونـا

ووجـدتُ الـهـوى كـمـا كـان قـدْمـاً
ثـقـةً تـارةً، وطـوراً ظـنـونـا

وشـبـابـاً سـكـرانَ من خـمـرةِ الـوَهْـ
ـمِ يـخـالُ المحـالَ أمـراً يـقـيـنـا

فـإذا شـاخت الـرؤى وتـلاشتْ
وصـحـا، بـات جـزمُهُ تَـخـمـيـنـا

لا يـزالُ الإيمـانُ نـوعـاً من الـرَّهْـ
ـبـة، والحُـسْنُ لـلـغـرورِ خَـدِيـنـا

لا يـزال الـغـنـيُّ يـخـتـالُ في الأرْ
ضِ وإنْ كـان جـاهـلاً مـأفُـونـا

---

(١) المفازة الواسعة الخالية.

كلٌّ من قــد لــقــيتُ مــثــلُك يــانَــفْ

سي في مــا تُــبــدينَ أو تُــخــفــيــنــا

فـــانــظــري مــرَّةً إلــيك مــلــيّــاً

تُــبــصــري الأولــين والآخــرِيــنــا

****

٦ - الإبريق

[الطويل]

ألا أيــهــا الإبــريقُ مــا لكَ والــصَّــلَفْ
فــمــا أنت بــلّــورٌ ولا أنت من صــدَفْ

ومــا أنت إلاّ كــالأبــاريقِ كــلِّــهــا
تــرابٌ مــهــينٌ قــد تــرقّى إلى خــزَف

أرى لك أنــفــاً شــامــخــاً غــيــر أنهُ
تــلــفَّع أثــواب الــغــبــارِ ومــا أنف

ومــسَّــتْهُ أيــدي الأدنــيــاءِ فــمــا شــكــا
ومــصّــتْهُ أفــواهُ الــطَّــغــامِ فــمــا وجَف

وفــيك اعــتــزازٌ لــيس لــلــديك مــثــلُهُ
ولــست بــذي ريشٍ تــضــاعَف كــالــزّغَف[1]

ولا لك صــوتٌ مــثــلُه يــصــدعُ الــدُّجى
وتــهــتفُ فــيه الــذكــريــاتُ إذا هــتَف

✡✡✡✡✡

وأَنْــصــتُّ أســتــوحــيهِ شــيــئــاً يــقــولُهُ
كمــا يــسكتُ الــزّوّارُ في مــعــرِض الــتُّحَفْ

وبــعــد ثــوانٍ خــلــتُ أني ســمــعــتُهُ
يُــثــرثــرُ مــثلَ الــشــيــخِ أدركَهُ الخَــرَف

فــقــال: «ســقــيتُ الــنــاس»، قــلــتُ له: أجلْ
ســقــيــتَهــمُ مــاءَ الــسَّــحــابِ الــذي وكَف

---

(١) زغفت البئر: كثر ماؤها، وزغف كلاماً كثيراً: زاد فيه بالكذب.

ودمع السواقي والعيونِ الذي جرى

ومـاءَ اليـنـابيعِ الذي قد صفا وشَفْ

فقال: ليذْكُرْ فضلي الماءُ وليُشدْ

بمدحي ألَم أحملْه؟ قلت: لك الشَّرَف!

فقال: ألَمْ أحفظْهُ؟ قلتُ: ظلمتَهُ

فلولاهُ لم تُنقَل ولولاك ما وقَف!

****

٧ ـ أمنيّة إلهة

[مختلط]

أحبَّ إلهٌ في صباهُ إلاهةً
جرى السِّحرُ في أعطافها والترائبِ[1]

تمنّتْ عليه آيةً لم يجئْ بها
إلهٌ سواهُ في العصورِ الذَّواهب

ليُمسي على الأربابِ أجمع سيداً
وتُمسي تُباهي كلَّ ذاتِ نوائب

وكان إلهاً جامحاً متضرماً
هوى، فأتى بالمعجِزاتِ الغرائب

كسا الأرض بالزهرِ البديعِ لأجلها
ورصَّعَ آفاقَ السَّما بالكواكب

وما زال حتى علَّمَ الطير ما الهوى
فحنّتْ وغنّتْ في الذُّرا والمناكب[2]

وأنشأَ جناتٍ وأجرى جداولاً
ومدّ المروج الخضر في كلِّ جانب

وشاء فشاع العطرُ في الماء والضيا
وفي كل صوتٍ أو صدى مُتَجاوب

✡✡✡✡✡

ومسّ الضُّحى فارفضَّ تبْراً على الرُّبا
وسال عقيقاً في حواشي السباسبِ[3]

---

(١) موضع القلادة من الصدر (مفردها تريبة).
(٢) يقصد سفوح الجبال، مايون نراها
(٣) السبسب: الأرض القفر البعيدة.

وقال لأحلامِ البحار: تجسَّدي
مواكب ألوانٍ وجيش عجائب
فكانتْ لآلٍ في الشطوط، وفي الفضا
غُيومٌ، وموجٌ ضاحكٌ في الغَوارب[1]
ولما رأى الأشياءَ أحسن ما تُرى
وتمَّتْ له دنيا بغَيرِ معايب
دعاها إليه كي تُبارِكَ صُنعَهُ
ولم يدرِ إن الحبَّ جمُّ المطالب
فقالت له أحسنتَ! أحسنت مُبْدعاً
فيا لكَ ربّاً عبقَريَّ المواهب
ولكنّ لي أُمنيةً ما تحقَّقتْ
إذا لم تُنلْنيها فما أنت صاحبي!

✡✡✡✡✡

فدنياك هذي على حُسنها
وسحرِ مشاهدها والصورْ
تُشاركني سائرُ الآلهاتِ
لَذاذاتها ونساءُ البشر

✡✡✡✡✡

أريدُ دنيا فيها شُعاعٌ
يبقى إذا غابتِ النجومْ
أريدُ دنيا تُحسُّ نفسي
فيها نفوساً بلا جسوم
أريدُ خمراً بلا كؤوسٍ
من غيرِ ما تُنبِتُ الكروم

(١) غوارب الماء: أعاليه.

أريـــــد عــــــطــــــراً بلا زهـــــورٍ

يـــســـــري وإن لم يـــكُنْ نــــســـيم

٭٭٭٭٭

وزَادتْ فـــقــــالتْ: أريـــدُ أنـــيـــنـــاً

يُـــشـــوِّشْ روحي ولا مُـــحْـــتَـــضـــرْ

ومـــــــاءً يمـــــــوجُ ولا جـــــــدولٌ

ونــــاراً بلا حـــطبٍ تَـــســـتَـــعـــر

فـــــأطــــرقَ ذاك الإلـهُ الــــفــــتيُّ

وفي نـــفـــسه ألمٌ مُـــسْـــتَـــتـــر

وقـــال: أمـــهـــلـــيـــني ثلاثَ لـــيـــالٍ

أذلِّلُ فـــيـــهـــا المـــراد الـــعـــســـر!

٭٭٭٭٭

وراح يـــجـــوبُ رحـــاب الـــفـــضـــاء

يـــحـــدوه شـــوقٌ ويـــدعـــوه ســـر

فـــســـالَ مع الـــشـــمس فـــوق الـــرُّبـــا

وغـــلـــغلَ في الحـــنْـــدسِ[1] المـــعـــتـــكـــر

وأصـــغى إلى نـــســـمـــات المـــروجِ

وأصـــغَى إلى نَـــفـــحـــاتِ الـــزَّهَـــر

وبـــعـــد ثلاثِ لـــيـــالٍ أتـــاهـــا

فـــظـــنَّـــتهُ جـــاء لـــكي يـــعـــتَـــذِر

فـــقـــال: وجـــدتُ الـــذي تـــطـــلُـــبـــينَ

لـــدى شـــاعـــرٍ ســـاحـــرٍ مُـــبـــتَـــكـــر

وأخـــرج خـــيـــطـــاً قـــصـــيـــر المـــدى

بـــلـــونِ الـــتـــرابِ ولِـــينِ الـــشَّـــعـــر

---

(١) الظلمة.

فــــلــــمــــا رأتْهُ عـــرَاهـــا الأسى

وغــــوَّر إيمــــانَــــهــــا وانـــــدثـــــر

فـصــاحتْ بـغـيظ: أتـسـخَـرُ مـنِّي؟

إذن فـاحـملِ الـعـار، أو فـانـتَـحـر!

أجـــاب: رُويـــدَك يـــا رَبَّـــتِي

فـمــا في الـتـعـجُّلِ إلا الـضَّـرر!

وشَـــدَّ إلى آلـــةٍ خـــيــطَهُ

ودغْـــدغهُ صـــامـــتـــاً في حـــذَر

فـــفـــاضتْ خُـــمــورٌ وســـالت دمـــوعٌ

وشـــعّتْ بـــروقٌ ولاحتْ صـــور!

فـــصـــاحتْ به وهي مـــدهـــوشـــةٌ:

ألا إنَّ ذا عـــالَمٌ مُـــخْـــتَـــصـــر!

فـــيـــا لـــيت شـــعـــري مـــاذا يُـــســـمَّى؟

فـــقـــال لـــهـــا: إن هـــذا الـــوتَـــر!

****

٨ - ليل الأشواق

[الخفيف]

رُبَّ لــــيلٍ نجــومُهُ ضــــاحــكــــاتُ
مــثلُ أحلامِ غــادةٍ في صـــبـــاهـــا

لـــستْ إصـبعُ الـسـكـيـنـة أشـوا
قي فَــهـبّتْ مــذعــورةً من كَــرَاهــا

كـطـيـورٍ في الأسْـرِ تـبـغي انـعـتَـاقـاً
قــبلَ أن يُـفـسـد الإســارُ لُـغَـاهـا

أَبِقَ[1] الـنَّـومُ، فـانـطـلـقتُ إلى الـنَّـهْـ
رِ بـنـفسٍ كـادتْ تـسـيلُ دمـاهـا

ومــعي صـاحبٌ رقـيقُ الحـواشي
تجــدُ الــنـفسُ في رُؤاهُ رؤاهـــا

إن دجتْ لــيـلـةٌ أراك ضُـحـاهـا
أو نوتْ زهــرةٌ أراكَ شَــذاهــا

✡✡✡✡✡

قـال: مـا أجـملَ الـكـواكبَ! مـا أحْـ
ـلى سـنـاهـا! فـقـلتُ: مـا أحلاهـا

قـال: لا شـوقَ، لا صـبـابـةَ لــولا
هـا! فـتـمـتـمتُ قـائلاً: لـولاهـا!

قـال: هل تـشـتـهي الـوصـول إلـيـهـا؟
قـلت: إني لا أشـتـهـي إلاّهـا!

✡✡✡✡✡

---

(١) هرب.

كان طرفي يجولُ في العالم الأعـ

ـلى وروحي تجول في مغناها

وجليسي يظنُّ في الشُّهبِ قصدي

وأنا أحسبُ الجليس عناها

قال: والنهرُ كم طوى من صبابا

تٍ! فأطرقتُ استشفُّ المياها

فإذا النهرُ فيه رعشةُ روحي

حين يدْوِي فيها صدى ذكْراها

قال: والليلُ.. قلتُ حسْبُكَ إعنا

تٌ لنفسي وحسْبُ نفسي دُجاها

فانقطَعْنا عن الكلام وبِتنا

كلٌّ نفسٍ لِذَاتها نَجواها

✲✲✲✲✲

خلتُ أني إذا بعُدتُ سأنسا

ها ويطوي الزمانُ سفر هواها

وتَوهَّمتُ أنني سوف ألقى

ألف ليلى، وألف هندٍ، سواها

فإذا الحبُّ كالفَضاء وقلبي

طائرٌ في الفَضاء ضَلَّ وتاها

أنا في عالَمٍ قَصي سحيقٍ

لا أراها لكنّ روحي تَراها

قد نشقتُ[1] الأزهار في كل أرضٍ

يا شذاهُنَّ لست مثلَ شذاها!

---

(١) نشِق: شم.

كـيف أنـسى وأيـنـمـا سـرتُ في الـدُّ
نـيـا أراني أسـيـرُ في دنـيـاهـا
وإذا مـا لمحتُ في الأرض حُـسـنـاً
فـكـأني لمحْـتُـهـا إيـاهـا
وإذا داعب الـنـسـيمُ ردائي
قـلتُ: قـد عـلَّـمـتْهُ هـذا يـداهـا!
هـي أدنى من الأمـاني إلى قـلْـ
ـبي، وقـلبي يـصـيحُ: مـا أقـصـاهـا!
لـستُ أشـكـو الـنـوى مَلالاً ولـكنْ
طَـربُ الـروحِ أن تُـذيع جـواهـا[1]

✡✡✡✡✡

قـال قـومٌ: إنّ المحـبَّـةَ إثمٌ!
ويْح بـعضِ الـنـفـوسِ مـا أغـبـاهـا!
إنّ نـفـسـاً لم يُـشـرقِ الحبُّ فـيـهـا
هي نـفسٌ لم تـدرِ مـا مـعـنـاهـا
خـوَّفـوني جـهـنّـمـاً ولـظـاهـا
أيُّ شـيءٍ جـهـنّـمُ ولـظـاهـا؟
لـيس عـنـد الإله نـارٌ لـذي حب
ونـارُ الإنـسـانِ لا أخـشـاهـا!
أنـا في الحبّ قـد وصـلتُ إلى نـفـسي
وبـالحبِّ قـد عـرَفتُ الـلهَ!

****

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

٩ - عِش للجمال

[البسيط]

عشْ لـلـجـمـالِ تـراهُ الـعـينُ مُـؤتَـلـقـاً

في أنجمِ الـلـيل أو زَهـرِ الـبـسـاتـينِ

وفي الـرُّبـا نـصـبتْ كفُّ الأصـيلِ بـهـا

سُـرادقـاً من نُـضـارٍ لـلـريـاحـين

وفي الجـبـال إذا طـاف المـسـاءُ بـهـا

ولـفَّـهـا بـسـرابـيلِ الـرُّهـابـين[1]

وفي الـسَّـواقي لـهـا كـالـطـفلِ ثـرثـرةٌ

وفي الـبـروقِ لـهـا ضـحْكُ المجـانـين

وفي ابـتـسـامـاتِ «أيّـارٍ» وروعـتـهـا

فـإن تـولّى، فـفـي أجـفـان «تـشـرين»

لا حـينَ لـلـحـسنِ لا حـدٌّ يـقـاسُ به

وإنمـا نـحن أهلُ الحـد والحـين

فـكم تَـمـاوج في سـربـالِ غـانـيـة

وكم تـألَّقَ في أسـمـالِ مـسـكـين

وكم أحـس بـه أعـمـى فَـجُـنّ لـه

وحـولَـهُ ألفُ راءٍ غـيـرِ مـفـتُـون

---

(١) الرهبان.

عشْ لـلـــجـــمـــالِ تـــراهُ هـــهـــنـــا وهـــنـــا

وعشْ له وهـــو ســــرٌّ جِـــدُّ مـــكـــنـــون

خـــيـــرٌ وأفـــضـلُ ممن لا حـــنـــينَ لـــهم

إلـى الجـــمـــالِ، تـــمـــاثـــيلٌ من الـــطِّـــين

****

١٠ - وقائلة

[الوافر]

وقائلةٍ: هجرْت الشِّعر حتى
تغنَّى بالسخافاتِ المُغنِّي
أتى زمنُ الربيعِ وأنت لاهٍ
وقد ولّى ولم تهتفْ بلحنِ
ونفسُك كالصدى في قاعِ بئرٍ
ومثلِ الفجرِ ملتحفاً بدجْنِ[1]
فما لكَ ليس يستهويكَ حُسْنٌ
وأنت المرءُ تعشقُ كلَّ حُسْنِ
أتسكتُ والشبابُ عليك ضافٍ
وحولكَ للهوى جنّاتُ عدْنِ؟
ركودُ الماء يورثُه فساداً!
فقلتُ لها: اسْتَكيني واطمئنّي
فما حطَمتْ يدُ الأيامِ روحي
وإنْ حطمتْ أباريقي ودَنِّي
ولم أعقد على خوفٍ لساني
ولا ضنّاً على الدنيا بفَنِّي
ولكنّي امرؤٌ للناس ضحْكي
ولي وحدي تباريحي وحُزني
إذا أشكو إلى خدْنٍ هُمومي
وفي وُسْعي السُّكوتُ، ظلمتُ خدْني

---

(١) الغيم المطبق في السماء.

وتَأبَّى كبريائي أن يراني
فتًى مُغرورَقاً بالدمع جفني
فأستُرُ عَبرتي عنه لئلا
يضيقُ بها وإنْ هي أحرقَتْني
ويبكي صاحبي فإخالُ أني
أنا الجاني وإنْ لم يتَّهِمني
فأمسحُ أدمعاً في مقلتيهِ
وإنْ حكَتِ اللهيب، وإنْ كَوتْني
لأني كلّما رفَّهْتُ عنه
طربتُ كأنني رفّهتُ عنّي
كذلك كان شأني بين قومي
وهذا بينَ كلِّ الناسِ شأني
أقولُ لكل نوَّاحٍ رويداً
فإن الحُزنَ لا يُغني، ويُضني
وجدتُ الدمع بالأحرارِ يُزري
فليت الدمع لم يُخلَقْ بجفن!

☼☼☼☼

سبيلُ العزِّ أن تَبني وتُعلي
فلا تَقنَعْ بأنَّ سواك يبْني
ولا تكُ عالَةً في عُنْقِ جِد
رميمِ العظمِ أو عبْئاً على ابنِ
فَمنْ يغرِسْ لكي يجني سواهُ
يعشْ، ويموتُ مَنْ يحيا ليجني!

☼☼☼☼

ألائــمــتِي اتــرُكــيــنــي فـي سُــكــونـي
ولُــومـي مـن يـضِـجُّ بــغــيــرِ طــحْـنٍ[1]

إذا صـــار الـــسَّــمـــاعُ بـلا قـــيـــاسٍ
فـلا عـــجـبٌ إذا ســـكَـت الـمــــغـــنـي

أنـــا ولَـــئـنْ ســكـتُّ وقـــال غــيــري
وجــعـــجـع صـــاحـبُ الـــصـــوتِ الأرنّ

إذا أنـــا لـم أجِـــدْ حــقـلاً مــريـــعـــاً[2]
خَـــلـــقـتُ الـحـــقـلَ فـي روحـي وذهـــنـي

فـــكـــادتْ تـــمـلأُ الأثـــمـــارُ كَـــفِّـي
ويـــعـــبَقُ بـــالــشَّــذا الــفــوّاحِ رِدْنـي

****

(١) الدقيق.
(٢) الخصيب.

١١ - موميات

[المجتث]

عرَّج صاحبُ الديوان في إحدى سفراته على فندقٍ فخمٍ، فلم ير إلا عجائز فقال:

لمنْ يضوعُ العبيرُ؟ ... لمن تُغَنِّي الطُّيورُ؟

لمنْ تُصفُّ القناني؟ ... لمن تُصبُّ الخُمورُ؟

ولا جمالٌ أنيقٌ ... ولا شبابٌ نَضير

بل مُومياتٌ عليها ... أطالسٌ وحرير

راحتْ تُقعقعُ حولِي ... فكاد عقلي يطير

ولاذ قلبي بِصدري ... كأنهُ عُصْفُور

لاحتْ له في الأعالي ... بواشقٌ وصُقور

وقال: ضُويِقْت فاهربْ! ... قلتُ: الفرارُ عسير

ما لي جناحٌ ولا لي ... سيّارةٌ أو بعير

صبراً فهذا بلاءٌ ... مقدَّرٌ مسطور

ورحتُ أسألُ ربي
وهو اللطيفُ الخبير
أين الحسانُ الصّبايا
إن كانَ هذا النشورُ؟
ليت الحضور غيابٌ
والغائبينَ حضور
بل ليت كلَّ نسيجٍ
براقعٌ وسُتور
فقد أَضرّ وآذى
عيني هذا السُّفُور

✡✡✡✡✡

هذي العُصورُ الخوالي
تطوفُ بي وتدورُ
من كلِّ شَمطاءَ ولّى
شبابُها والغرور
كأنما الفمُّ منها
مقطَّبٌ مزرور
كأنما هو جرحٌ
مرّت عليه شهور
يا طالب الشُّهد أقصرْ
لم يبقَ إلا القَفير[1]
كأنما الوجهُ منها
قد عضّهُ الزَّمهرير

---

(١) خلية النحل.

كـــــالــــبـــــدرِ حــــين تــــراهُ

يُــــعــــيــــنكَ «الـــنــــاظـــور»

تـــبـــدو لـــعـــيـــنـــيكَ فـــيه

بــــــرازخٌ وبُــــــحـــــــور

وأنجُـــــــــدٌ ووهــــــــادٌ

لـــكـــنّه مـــهـــجـــور!

مـــثلُ المــــسنّ ولـــكن

لا مـــــاءَ فـــــيــه يمــــور

مـــا لـــلـــبـــعـــوضـــة فـــيه

قـــوتٌ بل الـــتَّـــضْـــويـــر

ولا يـــــؤثِّـــــرُ فـــــيــه

نــــابٌ ولا أُظْـــــــفُـــــور

ولـــلـــيـــدينِ ارتـــعـــاشٌ

ولـــلـــعـــظـــامِ صـــريـــر

أمـــا الـــعـــيـــونُ فـــغـــارتْ

ولا تـــزالُ تـــغُـــــور

مـــغَـــاوِرٌ، بل صـــحـــارى

بـل أكــــهفٌ، بـل قـــبـــور

والخـــصـــرُ، عـــفـــواً وصـــفـــحـــاً!

كـــانت لـــهنّ خُـــصـــور!

✡✡✡✡✡

هُنَّ الـــسَّـــعـــالَى[1] ولـــكنْ

سُـــعـــالُـــهنَّ كـــثـــيـــر

---

(١) السِّعلاة: أخبث الغيلان، مما خلقته المخيلة.

حـــديـــثُـــهُنَّ انـــتـــفـــاضٌ
وضـــحـــكـــهنَّ هـــريـــر[1]
ومـــشـــيـــهُنَّ ارتـــبـــاكٌ
وتـــارةً تـــقـــديـــر
يـــغـــضـــبنَ إن مـــال ظلٌّ
وإنْ شَـــدا شُـــحـــرور
وإنْ تـــهـــادتْ غـــصـــونٌ
وإن تَـــســـارى[2] عـــبـــيـــر
وإنْ تـــمـــايـلَ عـــشـبٌ
وإنْ تـــمـــاوج نـــور
فـــكـلُّ شـيءٍ قـــبـــيحٌ
وكـلّ شـيءٍ حـــقـــيـــر
وكـــيف يـــفـــرحُ قـــلبٌ
رجـــاؤهُ مـــدحـــور؟
مـــا لـــلـــرَّمـــاد لـــهـــيبٌ
مـــا لـــلـجـــلـيـد خَـــريـــر

✡✡✡✡✡

مـن حـــولـــهِنَّ الأقـــاحـي
والـــوردُ والمـــنـــثـــور
وهـنّ مـــكـــتَـــئـــبـــاتٌ
كـــأنَّـــهـنّ صُـــخـــور
لا يـــبـــتَـــســـمنَ لـــشـيءٍ
أمـــا لـــهُـنَّ ثُـــغـــور؟

---

(١) صوت الكلب دون نباحه.
(٢) تفاعل من (سرى) !

بـــــلى، لَـــــهُنَّ ثُـــــغـــــورٌ
وإنمّـــــا لا شـــــعـــــورُ!
كـــــأنمَّـــــا الحُـــــسْنُ فـي الأرْ
ضِ كـــــلُّـه تَـــــزويـــــر

✡✡✡✡

فـي فُـــــنـــــدقٍ أنـــــا أم فـي
جـــــهـــــنّمٍ مـــــحـــــشـــــورُ؟
وهـل أنـــــا فـــــيه ضـــــيفٌ
لـــــســـــاعـــــة أم أســـــيـــــر
يـــــا لـــــيـــــتـــــني لم أزُرْهُ
ولـــــيـــــتَهُ مـــــهـــــجـــــور
فـــــلـــــيس يـــــهـــــنَـــــأُ فـــــيه
إلاّ الأصـمُّ الـــــضَّـــــريـــــر!

✱✱✱✱

١٢ - هدايا العيد

[الخفيف]

خـرج الـنـاسُ يـشـتـرونَ هـدايـا الْـ
عـيـد للأصـدقـاء والأحـبـابِ
فـتـمـنَّـيتُ لـو تُـسـاعـفـني الـدُّنْـ
يـا فـأقـضِي في الـعـيـد بـعض رِغـابي
كـنتُ أُهـدي، إذَنْ، من الـصَّـبـرِ أرْطَـا
لاً إلى الْمُـنـشـئـينَ والـكـتَّـاب
وإلى كلّ نـابغٍ عـبـقـريٍّ
أمَّـةً أهـلـهـا ذوو ألـبـاب
وإلى كلّ شـاعـرٍ عـربيٍّ
سـلَّـةً من فـواكه الألـقـاب
وإلى كلِّ تـاجـرٍ حُـرمِ الـتَّـوْ
فـيقَ زِقَّـيْنِ من عـصـيـرِ الـكـذَاب
وإلى كلِّ عـاشقٍ مُـقـلـةً تُـبْـ
ـصـرُ كم من مَلاحـة في الـتّـراب
وإلى الـغـادة الجـمـيـلـة «مـرآ
ةً» تُـريـهـا ضـمـائـر الـعُـزّاب
وإلى الـنـاشئ الـغـريـرِ مـرَانًـا
وإلى الـشـيخِ عـزْمـةً في الـشَّـبـاب
وإلى مـعـشـرِ الـكَـسـالى قُـصـوراً
من لُـجـينٍ وعـسـجـدٍ في الـسـحـاب
عـلَّـني أسـتـريحُ مـنـهم فـقـد صـا
روا كـظـلِّي في جـيْـئـتي وذَهـابي

وإلى ذي الغنى الذي يرْهَبُ الفَقْـ
ر ازديـاد الـذي به من عـذاب

كلّما عدّ مالَهُ مطمئنّاً
أبصر الفقر واقفاً بالباب

وإلى الصاحبِ المُراوغِ وجهاً
أسوداً حالكاً كوجه الغُراب

فإذا لاح فرّتِ الناسُ ذُعراً
من طريقِ المنافقِ الكذَّاب

وإلى المؤمنينَ شيئاً من الشكْـ
ك وبعض الإيمانِ للمُرتَاب

وإلى من يسبُّني في غيابي
شرَفًا كي يصونَه من سبابي

وإلى حاسديَّ عُمراً طويلاً
ليدوم الأسى بهمْ ممّا بي

وإلى الحقلِ زهره وحُلاهُ
من ندى لامعٍ ومن أعشاب

فقبيحٌ أن نرتدي الحُللَ القُشْـ
ـب وتبقى الرُّبا بغيرِ ثياب

لم يكنْ لي الذي أردتُ، فحسبي
أنني بالمنى ملأتُ وِطابي[1]

ولو أن الزمانَ صاحبُ عقلٍ
كنتُ أهدي إلى الزمان عتابي

****

---

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللبن.

١٣ - الفراشة المحتضَرة

[البسيط]

لــو كــان لي غــيــرُ قــلــبي عــنــد مــرآك
لــمــا أضــاف إلى بــلــواهُ بــلــواك

فــيم ارتجــاجُك؟ هلْ في الجــوّ زلــزلــةٌ؟
أم أنــتِ هــاربــةٌ من وجه فَــتّــاك؟

وكم تــدورين حــولَ الــبــيت حــائــرةً
بــنت الــرُّبــا، لــيس مــأوى الــنــاسِ مــأواك

قــالــوا: فــراشــةُ حــقلٍ لا غَــنَــاء بــهــا،
مــا أفــقــر الــنــاس في عــيــني وأغــنــاك!

ســيــمــاءُ غــاويــة، أطــوارُ شــاعــرةٍ،
عــلى زَهــادة عُــبّــادٍ ونُــســاك

طُــغْــراءُ[1] مــمْــلــكــة وشَّى حــواشــيــهــا
من ذوَّب الــشــمــس ألــوانــاً ووشَّــاك

رأيــتُ أحــلام أهــلِ الحــبّ كــلّــهــمُ
لــمّــا مــثَــلــتِ أمــامي، عــنــد شُــبَّــاكي

من نــائــمــينَ عــلى ذُلٍّ ومــتْــربــة
ومــن تجــارٍ وأشــرافٍ ومُــلاّك[2]

وقَص شــكــواك قــلــبي قــصــةً عــجــبــاً
من قَــبْلُ أنْ ســمــعتْ أُذنــاي شــكــواك

---

(١) الطُّغرَاء: الطرّة في أعلى الرسائل، تتضمن نعوت الحاكم وألقابه.
(٢) المتربة: الفاقة والمسكنة.

ألـيس فـيك من الـعُـشَّـاقِ حـيْـرتُـهم؟
فـكـيف لا يـفـهمُ الـعُـشَّـاقُ نجـواك؟

✵✵✵✵✵

حـلـمتِ أن زمـانَ الـصـيف مـنـصـرمٌ
ويلاهُ! حـقَّـقَتِ الأيـامُ رُؤيـاك
فـقـد نـعـاهُ إلـيك الـفـجـرُ مُـرتـعـشـاً
ولـيس مـنـعـاهُ إلاّ بـعض مـنْـعـاك
فـالـزهـرُ في الحـقلِ أشلاءٌ مُـبـعـثَـرةٌ
والـطَّـيـرُ؟.. لا طـائـرٌ إلا جـنـاحـاك
مـدَّ الـنـهـارُ إلـيه كفَّ مـخـتـلسٍ
وفَـتَّح الـلـيلُ فـيه عـينَ سـفَّـاك
شـاء الـقـضـاءُ بـأنْ يـشـقَى فـجـرّدَهُ
من الحُـليِّ وإن تـشْـقَيْ فـأبـقـاك
لـم يـبقَ غـيـرَك شيءٌ من مـحـاسـنه
ولا من الـعـابـدين الحـسْن إلاَّك
تَـزوّدَ الـنـاسُ مـنه الأُنس وانـصـرفـوا
ومـا تـزوَّدَ إلا الـيـأس جـفـنـاك

✵✵✵✵✵

يـا روضـةً في سـمـاء الـرَّوضِ طـائـرةً
وطـائـراً كـالأقـاحِي ذا شـذاً ذاك
مـضـى مـع الـصـيف عـهـدٌ كـنت لاهـيـةً
عـلـى بـسـاط من الأحلام ضـحَّـاك
تُـمـسـينَ عـنـد مـجـاري المـاء نـائـمـةً
ولـلأزاهـرِ والأعـشـابِ مـغـداك
فـكـلَّـمـا سـمـعتْ أذنـاك سـاقـيـةً
حـثـثتِ لـلـسـفحِ من شـوقٍ مـطـايـاك

وكـلّـمـا نـوَّرتْ في الـسـفح زنـبـقـةٌ
صـفّـقْتِ من طَـربٍ واهـتـزّ عـطـفـاك
فـمـا رشـفتِ سـوى عـطـرٍ ولا انـفـتـحتْ
إلا عـلـى الحـسنِ المحـبـوبِ عـيـنـاك
وكم لـثـمتِ شـفـاهَ الـورد هـائـمـةً
وكم مـسـحتِ دمـوعَ الـنـرجسِ الـبـاكي
وكم تـرجّـحتِ في مـهـد الـضـيـاء عـلـى
تـوقـيـعِ لحنِ الـصَّـبـا أو رجْـعه الحـاكي

✡✡✡✡✡

وكم ركـضتِ فـأغـريتِ الـصـغـار ضُـحى
بـالـركض في الحـقل ملـهـاهُمْ ومـلـهـاك!
مـنَّـوا بـأسـرهِمُ إيـاك أنـفـسـهمْ
فـأصـبـحـوا بـتـمـنّـيـهم أُسـاراك
جـروا قُـصـاراهمُ حـتى إذا تـعـبـوا
وقـفتْ سـاخـرةً مـنـهمْ قُـصـاراك
لـولا جـنـاحـاك لم تَـسـلمْ طـريـدتُـهمْ،
قـد نَـجَّـيـاك، ولـكنْ أين مـنـجـاك؟
هـا أنتِ كـالحـقلِ في نـزعٍ وحـشـرجـة
وهتْ قُـواك كمـا اسـترخَى جـنـاحـاك
أصـبـحتِ لـلـبـؤس في مـغـنـاك تـائـهـةً
كـأنه لم يـكن بـالأمسِ مـغـنـاك

✡✡✡✡✡

فـراشـةَ الحـقلِ.. في روحي كـآبـتُه
ممـا عـراهُ وممـا قـد تـولاّك
أحـبـبـتُهُ وهـو دارٌ تـلـعـبـينَ بـهـا
وسـوف تـهـواه نـفـسي وهـو مـثـواك

قــد بــات قــلــبي في دنــيــا مُــشــوَّشــة
مـــنـــذُ الـــتَــفتُّ إلى آثـــارِ دنـــيـــاك
لا يــســتــقــر بـــهـــا إلاّ عـــلـى وجَلٍ
كـــالـــطــيــر بـــين أَحــابــيلٍ وأَشــراك
✡✡✡✡
خَـــلتْ أرائكُ كـــانت أمسِ آهـــلـــةً
غــنّــاءَ، فـــالـــيـــومُ لا شـــادٍ ولا شـــاك
أرضٌ خلاءٌ وجـــوٌّ غـــيـــرُ ذي ألَقٍ
بــلـى، هــنــاك ضــبــابٌ فــوق أشــواك
فــيــا ريــاح الخــريف الــعــاتــيــاتِ كَــفَى
عــصْــفــاً فــقــد كــثُــرتْ في الأرض قــتْلاك
كـــيــف اعـــتـــذارُك إن قـــال الإلــه غــداً:
هل الــفــراشــةُ كــانت من ضــحــايــاك؟
يــا نــغــمــةً تــتلاشى كــلّــمــا بــعُــدتْ
إن غــبتِ عن مــســمــعي مــا غــاب مــعــنــاك
مــا أقــدر الــلــهَ أن يُــحــيــيك ثــانــيــةً
مع الــربــيــع، كـــمـــا من قـــبلُ ســـوّاك
فـــيـــرجعُ الحـــقلُ يـــزهـــو في غلائـــلـه
وتـــرجـــعـــينَ، وأغـــشـــاهُ فـــألـــقـــاك!

****

١٤ - ابتسم

[الكامل]

قال: «السماءُ كئيبةٌ!» وتجهَّما
قلتُ: ابتسمْ، يكفي التَّجهّمُ في السما!

قال: الصبا ولّى! فقلتُ له: ابتسمْ
لن يُرجع الأسفُ الصّبا المُتصرما!

قال: التي كانت سمائي في الهوى
صارتْ لنفسي في الغرامِ جهنّما

خانتْ عهودي بعدما ملّكتُها
قلبي، فكيف أُطيقُ أن أتبسَّما؟

قلتُ: ابتسمْ واطربْ فلو قارنتها
قضَّيت عمرَكَ كلّه مُتألِّما!

قال: التجارةُ في صراعٍ هائلٍ
مثلُ المسافرِ كاد يقتله الظَّما

أو غادةٍ مسلولة محتاجة
لدمٍ، وتنفُث، كلَّما لهثتْ، دما!

قلتُ: ابتسمْ ما أنت جالب دائها
وشفائها، فإذا ابتسمت فربَّما...

أيكونُ غيرُكَ مُجرما وتبيتُ في
وجَلٍ، كأنك أنت صرت المجرما؟

☆☆☆☆☆

قال: العدا حولي علَتْ صيْحاتُهمْ
أأُسرُّ والأعداءُ حولِي في الحمى؟

قلت: ابتسمْ، لم يطلبوكَ بذمّهمْ
لو لم تكُنْ منهمْ أجلَّ وأعظَما!

✡✡✡✡

قال: المواسمُ قد بدتْ أعلامُها
وتعرَّضتْ لي في الملابس والدُّمى
وعليَّ للأحبابِ فرضٌ لازمٌ
لكنّ كفّي ليس تملكُ دِرهما
قلتُ: ابتسمْ، يكفيك أنك لم تزلْ
حيّاً، ولست من الأحبّة مُعدما!

✡✡✡✡

قالَ: الليالي جرّعتني علقماً
قلتُ: ابتسمْ ولئن جرعت العلقما
فلعلَّ غيرَك إن رآك مُرنَّماً
طرح الكآبةَ جانباً وترنَّما
أتُراك تغنَمُ بالتبرُّم درهماً
أم أنت تخسرُ بالبشاشة مغنما؟
يا صاحِ، لا خطرٌ على شفتيك أن
تتثَلَّما، والوجه أن يتحطّما
فاضحكْ فإن الشُّهب تضحكُ والدُّجى
متلاطمٌ، ولذا نحبُّ الأنجُما!
قال: البشاشةُ ليس تُسعدُ كائناً
يأتي إلى الدنيا ويذهبُ مُرغَما
قلتُ: اِبتسمْ ما دام بينك والردى
شبرٌ، فإنك بعدُ لن تتبسَّما!

****

١٥ - لو أستطيع

[مجزوء الكامل]

لــــو أســـتـــطـــيعُ ســـكـــبتُ رو

حي خــمـــرةً في كـــاســـهـــا

حــــتى إذا حـــالَ الـــنَّـــوى

بـــيـــني وبـــين كـــنـــاســـهـــا[1]

وتجـــــاهـــــلتْ أو أنـــــكـــــرتْ

أمـــــري لــــــدى جُـلاّســـــــهـــــا

أطــــلــــلتُ من أجــــفــــانـــهـــا

وجــــريتُ مـعْ أنـــــفـــــاســــهـــــا!

****

(١) بيت تلجه الظباء والبقر، تستكنّ فيه من الحر.

١٦ - يا نفس

[السريع]

يـــا نــفسُ لـــو كــنتِ تـــرين الـــشُّـــؤونْ

كـــمـــا يـــراهـــا ســـائـــرُ الـــنـــاسِ

لـــا رمـــانـي بـــعـــضُـــهمْ بـــالجـــنـــونْ

ولـم أجـــدْ فـي الـــــنـــــاس من بـــاس

✡✡✡✡

بـــالأمسِ مـــرَّ المـــوكبُ الأكـــبـــرُ

فـــيه الـــفـــتى الـــراكبُ والـــنـــاعلُ

واقـــبـــلتْ غـــيـــدُ الحـــمى تـــخـــطـــرُ

يـــهـــتـــفن: عـــاد الـــبـــطلُ الـــبـــاسلِ

مـــا لك يـــا هـــذي لا تـــهـــتـــفـــينْ

لـــصـــاحبِ الـــدولـــة والـــبـــاس؟

فـــقـــلتِ لي ضـــاحـــكـــةً تـــســـخـرينْ:

ويـــلكَ! هـــذا قـــاتلُ الـــنـــاس!

✡✡✡✡

ومـــجـــلسٍ دارتْ به الأكْـــؤُسُ

فـــشـــرب الـــقـــومُ ولـم تـــشـــربي

وامـــتـلأتْ بـــالـــطـــربِ الأنـــفسُ

وأنتِ في صـــمـــتك لم تَـــطـــربي

كـــأنمـــا غـــيَّـــبَكِ الحـــنـــدسُ

أو تـــاهت الـــلـذاتُ في ســـبْـــسب(١)

---

(١) المفازة والقفر.

مـــا لك يـــا هـــذي لا تـــضـــحـــكـــينْ

لـــلـــحـــببِ الـــضـــاحك في الـــكـــاسِ؟

قـــالت: نـــهـــاني أنَّ مـــوج الـــســـنـــينْ

ســـيـــغـــمـــرُ الأقـــداح والحـــاسي!

☼☼☼☼

وســـرْتِ في الـــروضـــة شـــاعَ الجـــمـــالْ

فـــيـــهـــا، وشـــاعَ الحبُّ بـــين الـــطـــيـــورْ

الـــطلُّ فـــيـــهـــا كـــدمـــوعِ الـــدَّلالْ

والـــشـــوكُ فـــيـــهـــا كـــحـــديثِ الـــغـــرور

مـــشـــيتِ في أرجـــائـــهـــا كـــالخـــيـــالْ

يـــطـــوفُ في الـــظـــلـــمـــاء بـــين الـــقـــبـــور

كـــأنَّـــمـــا لا وردَ في الـــيـــاســـمـــينْ

كـــأنّـــمـــا لا عـــطْـــر في الآس

ويـــحك! لا في عُـــزلـــتي تـــطـــربـــينْ

ولا إذا كـــنـــتِ مع الـــنـــاس

☼☼☼☼

كـــان زمـــانُ كـــنت تـــســـتـــأنـــســـينْ

بـــكلِّ وهْمٍ خـــادعٍ كـــالـــسَّـــرابْ

حـــتى إذا أســـفـــر وجهُ الـــيـــقـــين

رأيـــته كـــالـــوهمِ شـــيـــئـــاً كـــذاب

دنـــيـــا الـــورى لـــيلُ وصـــبحٌ مُـــبـــين

ولـــيس في دنـــيـــاك إلاّ الـــضـــبـــاب

مـــا لاحت الأشـــجـــارُ لـــلـــنـــاظـــرينْ

إلا رأيتِ شـــبـــح الـــفـــاسِ!

ولا سمعتِ الكاس ذات الرنينْ
إلا سمعتِ حطْمةَ الكاس!

✡✡✡✡✡

مسخْتِ في عينيَّ لونَ النهارْ
لمّا لمحتِ الليلَ بالمَرصد
ومات في أذْنيَّ لحنُ الهزَارْ
لمّا سبقتِ الصَّمت للمُنْشد
فَررتِ باللَّذّاتِ قبل الفرارْ
فضاعَ يومي حائراً في غدي
خالفتِ مقياس الورى أجمعينْ
فكيف يرضونَ بمقياسي؟
ما برِح الناسُ كما تعلمينْ
ولم أزلْ فرداً من الناس

✱✱✱✱

١٧ - الكنار الصامت

[مجزوء الكامل]

نسِي الكنارُ نشيده
فتعالَ كي ننسى الكنارْ

وليقذفنَّ به الملالُ
من القصور إلى القفَار

ولترمينَّ بريشه
للأرضِ عاصفةُ النِّفار(١)

ولنستعضْ عنه بطيرٍ
من لُجينٍ أو نُضار(٢)

لا، لا، فإن سكَت الكنَا
رُ فلم يزلْ ذاك الكَنارْ

أو كانَ فارقَهُ الصُّدا
حُ فلم يفارقْهُ الوَقار

صمْتُ الكنار، وإنْ قسا
خيرٌ من النَّغَم المُعار

صبراً فسوف يعودُ للتْ
تَغريد إنْ عاد النهار

****

(١) الهرب أو التفرق والمجانبة.
(٢) الفضة أو الذهب.

١٨ - لم يبق غير الكأس

[الكامل]

لم يبقَ ما يُسليكَ غيرُ الكاسِ
فاشربْ، ودعْ للناسِ ما للناسِ!

ذهب الشبابُ على الشجون تبثُّها
لأخٍ مُؤاسٍ أو لغيرِ مُؤاس

وعلى الحياة تحارُ في أطوارها
وتحارُ في تعليلِ كلِّ نطاسي

ثمَّ استفقت وليس في روض المنى
إلاّ الضبابُ، وغيرُ شوك الياس

وجراحُ نفسٍ ينظر الآسي لها
فيعودُ لآخَر آس

الحسُّ مجلبةُ الكآبة والأسى
قُمْ ننطلقْ من عالمِ الإحساس

وأرى السعادةَ لا وصولَ لعرشها
إلاّ بأجنحة من الوسواس

فكأنّما هي صورةٌ زيتّيَّةٌ
للشطّ فيه مراكبٌ ومراسي

تبدو لعينيكَ السَّفائنُ عُوَّمَاً
وتكادُ تسمعُ رعشةَ الأمْرَاس

لكنْ إذا أدنيتَها ولَمَسْتَها
لم تلقَ غير الصَّبْغِ والقرطاس

دنيا مُزيّفةٌ ودهرٌماذقٌ[1]

ما في انفلاتكَ منهما من باس

إنَّ اللَّذاذاتِ التي ضيّعتَها

رجعتْ إليك عُصارةً في الكاس

فاصبِغْ رؤاك بها تَعُدْ ذهبيَّةً

عطريّة الألوانِ والأنفاس

واخلُقْ لنفسكَ بالمُدامة جنّةً

في الأربع المهجورة الأدراس[2]

الحُبُّ فيها بلبلٌ وخَميلةٌ

وندى وأضواءٌ على الأغراس

للقصرِ يخلُقُه خيالكَ روعةٌ

كالقصرِ من جُدُرٍ ومن آساس

✡✡✡✡

يا أيها الساقي! أدرْ كاساتها

كمشاعلِ الرُّهبانِ في الأغلاس[3]

وانس الهموم فليس يسعدُ ذاكرٌ

واسقِ النجوم فإنها جلاّسي

واصرعْ بها عقلَ النديمِ ولُبَّهُ

ما نغَّص الحاسي كعقلِ الحاسي

واهجرْ أحاديثَ السياسة والأُلَى

يتعلَّقون بحبلِ كلَّ سياس

إني نبذتُ ثمارها مذ ذقتُها

ووجدتُ طعم الغدرِ في أضْرَاسي

---

(١) المذْق: قلة الإخلاص.

(٢) الربْع الدارس: العافي بفعل الزمن.

(٣) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

وغسلتُ منها راحتي فغسلتُها

من سائرِ الأوضارِ والأدناس

وتركتُها لاثنين: غُرٍ ساذَجٍ،

ومُشعْوذٍ، وكُذُبْذُبٍ[1] دسّاس

يرضى لموطنه يصيرُ مُوَاطناً

وتصيرُ أمَّتُه إلى أجناس

ويبيعُها بدراهمٍ معدودةٍ

ولو أنَّها جاءتْ من الخُنَّاس[2]

ما للمنافقِ من ضميرٍ رادعٍ

أيُّ الضميرِ لِحيَّة الأجراس؟

ولربَّ قائلة تعاتبُني على

صمتي، وبعضُ القولِ حزُّ مواسي:[3]

اثنانِ ما لاقيتُ أقسى منهما:

صمتُ الدجى والشاعرِ الحسَّاسِ

فأجبتُها: أقسى وأهولُ منهما

في مسْمعي: هذا العتابِ القاسي

لم تعلمي، والخيرُ ألا تعلمي،

كم في السكوتِ فواجِعاً[4] ومآسي

قالتْ: أظنكَ قد نسيت. فقلتُ: لا

ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي

لكنّ جرحاً كلّما عالجتُه

غمر القنوطُ جوارحِي وحواسي

---

(١) تتعدد الصيغ في العربية لتسمية الكاذب، ومنها: الكيذُبان ومكذبان وكُذبذب.

(٢) خنس: تأخر وغاب. والخناس: الشيطان لأنه يغيب عند ذكر الله.

(٣) الموسى الذي يحلق به، وشفرته حادة وجمعه: مواسٍ.

ولــو أنّه في الــرأسِ كــنتُ ضــمــدْتُه
لــكــنّه في الــقــلب لا في الــراس
إن الأُلَى قــد كــنتُ أرمي دونــهمْ
غَــلُّــوا يــديَّ وحــطَّــمُــوا أقــواسي
واستبدلوا سيفي الجُرازَ[1] بأسيُفٍ
خشبٍ، وباعوا عسْجدي بنحاسي
والــطَّلُّ غــيــرُ المــاسِ، إلا أنــهم
خُدعوا برقرقةِ الندى عن ماسي
وإذا حسبت الروض تُغني صورةٌ
عــنه، فــذلك مُــنــتــهى الإفلاس
أسدُ الرُّخامِ وإن حكى في شكله
شكلَ الغضنفرِ، ليس بالفَرَّاس

✡✡✡✡✡

قد كان لي حُلمٌ جميلٌ مُونِقٌ
فأضعتُه لمَّا أضعتُ نُعاسي
فكَّرتُ في ما نحن فيه كأمّة
وضربتُ أخماسي إلى أسداسي
فرجعتُ أخيب ما يكونُ مؤمِّلٌ
راجٍ وأخْسر ما يكونُ الخَاسي[2]
نرجو الخلاص بغاشمٍ من غاشمٍ
لا يُنقذُ النَّخَّاسُ من نَخَّاس
ونقيسُ ما بين الثُّريّا والثَّرى
وأمورُنا تجري بغيرِ قياس

---

(١) القاطع.
(٢) الخيس: التغير والنقص والخيانة والغدر.

نــغــشى بلاد الــنــاسِ في طــلَبِ الــعُلا
وبلادُنــا مــتــروكــةٌ لــلــنــاس!
ونــكــادُ نــفــتــرشُ الــثَّــرى، وبــأرضــنــا
لــلأجـــنـــبي مـــوائـــدٌ وكَــــرَاسِ
ونــلــومُ هــاجِــرهــا عــلى نــســيــانه
والــلائمُ الـــنـــاســـينَ أوّلُ نـــاسِ
ونــبــيتُ نــفــخــرُ بــالــصَّــوارم والــقَــنَــا
ورقــابُــنَــا ممــدودةٌ لــلــفــاس
كَمْ صــيــحــة لــلــدهــر في آذانــنــا
مــرّتْ كــمــا مــرّتْ عــلى أرْمَــاس!

****

١٩ - رأي الأكثريَّة

[البسيط]

لـمّا سـألتُ عن الحـقـيـقـة قـيلَ لي:
الحقُّ مـا اتّـفقَ الـسَّـوادُ عـلـيهِ
فعجبتُ كيف ذبحتُ ثوري في الضُّحى،
والـهـنـد سـاجـدةٌ هـنـاك لـديهِ
نـرضى بـحـكمِ الأكـثـريـة مـثـلـمـا
يـرضى الـولـيـدُ الـظـلم من أبـويه
إمّـا لـغُـنمٍ يـرتَـجِـيه مـنـهـمـا
أو خـيـفـةً من أن يُـسـاء إلـيه

****

٢٠ - كتابي

[الطويل]

وسائلة: أيُّ المذاهب مذهبي
وهل كان فرعاً في الديانات أمْ أصلا

وأيُّ نبيٍّ مُرْسَلٍ أقتدي به
وأيُّ كتابٍ مُنزَلٍ عندي الأغلى؟

فقلتُ لها: لا يقْتَني المرءُ مذهباً،
وإنْ جلَّ، إلاّ كان في عنقه غُلاّ

فما مذهبُ الإنسانِ إلاّ زجاجةٌ
تقيَّده خمراً وتضبِطُه خَلاّ

فإنْ كان قُبْحاً لم يبدِّلْهُ لونُها
جمالاً، ولا نُبْلاً إذا لم يكن نُبلا

أنا آدميٌّ كان يحسبُ أنَّهُ
هو الكائنُ الأسمى وشرْعتُهُ الفُضلى

وأنّ له الدنيا التي هو بعضُها
وأنّ له الأخُرى إذا صام أو صلّى

أمُنٌّ على الصّادي[1] إذا ما سقيتُهُ
وألزمهُ شكري، ولستُ أنا الوبْلا

وأزهى إذا أطعمتُ جوْعانَ لقمةً
كأني خلقتُ الحبَّ في الحقل، والحقلا

تتلمذتُ للإنسان في الدّهر حِقبةً
فلقَّنني غَيّاً، وعلّمني جهلا

(١) الصادي. العطش (والفعل. صديَ).

نهاني عن قتْلِ النفوسِ، وعندما

رأى غرّةً مني تعلَّم بي القتْلا!

وذمَّ إليّ الرِّقَّ ثم استرقَّني

وصوّرَ، ظلماً فيه، تمجيده عدلا

وكان يُريني الإثمَ في كل ما أرى

وكلَّ نظامٍ غير ما سنَّ مُختلاً

فصار الورى عندي: عدوّاً وصاحباً،

وأنفسُهمْ صنفينِ: علياءَ أو سُفلى

وصرتُ أرى بغضاً، وصرتُ أرى هوى،

وصرتُ أرى عبداً، وصرتُ أرى موْلى

ويا رُبّ شر خلتُه الخير كلَّهُ،

ويا رُبَّ خيرٍ، خلتُه نَكْبةً جُلَّى

إلى أنْ رأيتُ النجم يطلُعُ في الدُّجى

لذي مُقلة حسْرى، وذي مُقلة جذْلَى

وشاهدتُ كيف النهرُ يبذُلُ ماءهُ

فلا يبتغي شكراً ولا يدّعي فضلا

وكيف يزينُ الطلُّ ورداً وعوْسجاً

وكيف يُروي العارضُ[1] الوعْر والسهلا

وكيف تُغذّي الأرضُ ألْأمَ نبتها

وأقبحَهُ شكلاً كأحسنه شكلا

فأصبح رأيي في الحياة كرأيها

وأصبحتُ لي دينُ سوى مذهبي قَبْلا

(١) السحاب، لأنه يعترض الأفق.

وصـــار نــبــيّي كلُّ مــا يُــطــلقُ الــعــقْلا

وصــار كــتـابي الـكـونُ لا صـحـفٌ تُـتْـلى

☆☆☆☆☆

فَـدِيـنِي كـدينِ الـروضِ يـعـبقُ بـالـشَّـذا

ولـو لم يـكُنْ فـيه سـوى الـلص مُـنْـسَلاّ

فـلـيـستْ تُـخـومُ المـالـكـيـة تُـخـومَهُ

وإنّ لـه، إنْ يــعـلَــمـوا، غــيــرهـم أهلا

فــكَمْ هشَّ لـلأنــســامِ والــنـورِ والــنَّـدى

وآوى إلــيه الــطــيــر والــذّرَّ والــنــملا

وكم بــعــثَــتْهُ لــلــحــيــاة من الــبِــلى

قــريــحـــةُ فــنّــانٍ، فــأورقَ واخْــضَلاّ

وأصــبح يُـجـلى «طـيـفُهُ» في قـصـيـدةٍ

وفي رُقـعــة أو لـوحــة «وهـو» لا يُـجْـلى

ودِيــني الــذي اخـتـار الـغـديـرُ لـنـفسه

ويـا حُـسن مـا اخـتـارَ الـغديـرُ ومـا أحلى!

تَـجيءُ إلــيه الـطـيـرُ عـطـشى فـتـرتـوي

وإنْ وردَتْـهُ الإبلُ لم يـــــزجُـــــرِ الإبلا

ويـــغـــتـــسلُ الــذئبُ الأثــيـمُ بمــائه

فلا إثمُ ذا يُـمـحى، ولا طُـهْـرُ ذا يــبـلى!

وديــني كــدينِ الــشُّـهبِ تــبــدو لــعــاشقٍ

وقَــالٍ[1]، وفــيــهــا مــا يُـحبُّ ومــا يُـقـلى

فـمـا اسـتـتـرتْ كـيـمـا يـضِلَّ مـسـافـرٌ

ولا بــزغتْ كي يــســتــنــيــر الــذي ضَلاّ

---

(١) من القلى: البغض (قلاه - يقليه).

ولـيس لـهـا أن تـمـنـع الـنـاس ضـوءهـا
ولـو فـتـلـوا مـنه، لـتـكـبـيـلـهـا، حـبْلا
وديــنـي كـدينِ الـغـيث إن سحَّ لم يُـبَلْ
أروَّى الأقاحي أم سقى الشوكَ والدفْلى[1]
فـلـم يـتـخـيَّـرْ في الـفـضـاء مـسـيـرَهُ
ولم يـنـهـمـرْ جـوداً ولم يـنـحـبسْ بُـخلا
وإنْ لم أكنْ كـالـروضِ والـنـجم والحـيـا
فحسبي اعتقادي أنَّ خطَّتها المُثلى

✡✡✡✡✡

يـرى الـنحلَ غيري إذْ يرى الـنحلَ حـائماً
وأُبـصـرُ قرْص الشُّهد إذ أُبصـرُ النَّحلا
وألمح واحـاتٍ من الـنَّـخلِ في الـنَّـوى
إذا جـرَف الإعـصـارُ من واحـتي الـنَّخْلا
وإنْ أشـربِ الـصـهـبـاءَ أعـلـمُ أنـني
شـربتُ بـشـاشـاتِ الـزمـان الـذي ولَّى
ومـا هـمـسـتْهُ الـريحُ في أذُنِ الـثـرى
ومـا ذرفَتْ في الـلـيل نجـمـتُهُ الـثـكـلى
وغَصّاتِ من ماتوا على اليأسِ في الهوى
فـيـا شـاربـيـهـا هل لمحـتم دم الـقـتـلى؟
وإنْ مـرَّ بي طـفلٌ رأيتُ بـه الـورى
من الـمـثَلِ الأدنى إلى المـثَلِ الأعـلى
فـيـا لك دنـيـا حـسـنُـهـا بـعض قُـبـحـهـا
ويـا لك كـونـاً قـد حـوى بـعـضُهُ الـكلاّ

****

(١) الأصل: لم يبالِ

٢١ - كن بلسماً

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية، على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلن - نيويورك

كنْ بلسماً إن صار دهرُكَ أرقَما[1]
وحلاوةً إن صار غيرُكَ علْقَما

إن الحياةَ حبتك كلَّ كنوزِها
لا تبخلنَّ على الحياة ببعض ما...

أحسنْ وإنْ لم تُجْزَ حتى بالثنا
أيَّ الجزاء الغيثُ يبغي إن همى؟

من ذا يكافئُ زهرةً فوّاحةً؟
أو من يُثيبُ البلبلَ المُترنّما؟

عُدَّ الكرام المحسنينَ وقسْهُمُ
بهما تجدْ هذين منهمْ أكرما

يا صاحِ خُذْ علْمَ المحبّة عنهما
إني وجدتُ الحُبَّ علْماً قيّما

لو لم تَفُحْ هذي وهذا ما شدَا
عاشتْ مُذمَّمةً وعاش مُذمَّما

فاعملْ لإسعاد السوى وهنائهمْ
إن شئت تسعد في الحياة وتنعُما[2]

✡✡✡✡✡

(١) الحية التي فيها سواد وبياض.

أيـقظ شـعـورَك بـالمحـبّـة إن غـفـا
لـولا الـشُّعـورُ: الـنـاسُ كـانـوا كـالـدُّمى
أحـبِبْ فـيـغـدو الـكـوخُ كـونـاً نـيِّـراً
أبـغِضْ فَـيُمسي الكونُ سجـناً مُـظلما
مـا الـكـأسُ لـولا الخـمـرُ غـيـرُ زجـاجـةٍ
والمـرءُ لـولا الحبُّ إلا أعـظُـمـا
كَـرِهِ الـدُّجى فـاسـودّ إلا شُـهْـبَه
بـقـيتْ لـتـضـحك مـنه كـيف تجـهَّـمـا
لـو تـعـشقُ الـبـيـداءُ أصـبح رمـلُـها
زهـراً، وصـار سـرابُـهـا الـخـدَّاعُ مـا[1]
لـو لم يـكـنْ في الأرض إلا مـبـغضٌ
لـتـبـرَّمتْ بـوجـوده وتـبـرَّمـا
لاح الجـمـالُ لـذي نُـهى فـأحـبَّه
ورآه ذو جـهـلٍ فـظنّ ورجَّـمـا
لا تـطـلـبنَّ مـحـبّـةً من جـاهلٍ
المـرءُ لـيس يُـحبُّ حـتى يُـفْـهـما
وارفُقْ بـأبـنـاء الـغـبـاء كـأنَّـهمْ
مـرضى، فـإنّ الجـهلَ شيءٌ كـالـعـمى
وَلْهُ بـوَرْدِ الـروضِ عن أشـواكه
وانْسَ الـعـقـاربَ إن رأيت الأنجـمـا

☆☆☆☆☆

يـا من أتـانـا بـالـسلام مُـبـشِّـراً
هشَّ الحـمـى لمـا دخـلـت إلى الحـمى
وصـفُـوكَ بـالـتـقـوى وقـالـوا: جِـهْـبِـذٌ،

---

(١) ماءً.

علاّمةٌ، ولقد وجدتُك مثلما
لفظٌ أرَقُّ من النسيمِ إذا سرى
سحراً، وحلوٌ كالكَرى إنْ هوَّما
وإذا نطقت ففي الجوارحِ نشوةٌ
هي نشوةُ الروحِ ارتوتْ بعد الظَّما
وإذا كتبت ففي الطروسِ حدائقٌ
وشّى حواشيها اليراعُ ونمنما
وإذا وقفت على المنابرِ أوشكتْ
أخشابُها للزهوِ أنْ تتكلما
إنْ كنت قد أخطاك سربالُ الغنَى
عاش ابنُ مريم ليس يملكُ درهما
وأحبَّ حتى من أحبَّ هلاكَه
وأعانَ حتى من أساء وأجْرما
نامَ الرعاةُ عن الخرَاف ولم تنْم
فإليك نشكو الهاجِعين النوَّما
عبدوا الإلهَ لمغنَمٍ يرجونَهُ
وعبدت ربّك لست تطلبُ مغنما
كم روَّعُوا بجهنّمٍ أرواحنا
فتألّمتْ من قبْلُ أن تتألّما!
زعموا الإلهَ أعدَّها لعذابنا
حاشا، وربُّك رحمةٌ، أن يظْلما
ما كان مِن أمرِ الورى أن يرحموا
أعداءَهمْ إلاّ أرقَّ وأرحما
ليستْ جهنّم غير فكرة تاجرٍ
اللهُ لم يخْلُقْ لنا إلاّ السما

✸✸✸✸

٢٢ - الخمر والدنيا

[الرجز]

يشربُ بنت الكرْمِ بعضُ الناسِ
لكُرْبَةٍ في النفسِ أو وِسْواسِ
وبعضُهُمْ لأنه قد ظَفرا
وبعضُهمْ لأنه قد خَسرا
وبعضُهُمْ لأنه في فرحِ
وبعضُهمْ لأنه في ترحِ
وبعضهمْ كي يستردَّ الأمْسا
وبعضهم يجرعُها كي ينسى
وبعضُهمْ ليستفيد قوّهْ
وبعضهمْ لسوْرةِ الفتوَّهْ
وبعضُهمْ كيما يحُلَّ مشكلهْ
وبعضُهمْ لأنه لا شُغْلَ لهْ
وبعضُهمْ عن رغبةٍ وعن هوى
وبعضُهُمْ لعلَّهُ يُرضي السوى
وبعضُهمْ من حُبّه للبائعِ
وبعضُهمْ نكايةً للمانعِ!
وبعضُهمْ يشربُها أحيانا
وبعضُهمْ في أيِّ وقتٍ كانا
وبعضُهُمْ مع صحْبِهِ في الدارِ
وبعضُهمْ في حانة الخَمَّارِ

وبعضُهمْ في زمرةِ النُّدمانِ
وبعضُهمْ في وحدة الرُّهبانِ
وبعضّهمْ في الصيف ذي الرمضاء
وبعضُهمْ في زمن الشتاء
وبعضُهمْ عند انجيابِ الظلمةْ
وبعضُهمْ عند طلوعَ النجمةْ
وبعضُهمْ يذمُّها استهجانا
وبعضُهمْ يمدحُها استحسانا
لكنَّهمْ كلّهُمُ يحْسُوها
المادحُوها والمقبحُوها
فما وجدتُ في زماني رجلا
وقلتُ: هل تحبُّها؟ فقال: لا
وسرٌّ هذا أنها كالدنيا
تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

****

٢٣ - لمّا

عجباً لمن أمسى وكلُّ فخَارِهِ
بنُضارِهِ المخبوءِ في الصندوقِ

ماذا يقولُ إذا اللصوصُ مضوا به
وأقامَ بعد نُضارِهِ المسروقِ؟

إنْ يرفعِ المالُ الكريم فإنه
للنذْلِ مثلُ الحبلِ للمشْنوقِ

لمّا صديقي صار من أهل الغنَى
أيقنتُ أني قد أضعتُ صديقي!..

****

(١) السراب.

٢٤ - تأمّلات

[الكامل]

ليت الذي خلقَ الحياةَ جميلةً
لم يُسدلِ الأستار فوقَ جمالها
بل ليتَهُ سلَبَ العقولَ فلم يكنْ
أحدٌ يعلّلُ نفسَهُ بمُناها
لله كم تُغرِي الفتَى بوصالها
وتضنُّ، حتى في الكرى، بوصالها
تُدنيه من أبوابها بيمينها
وتردُّه عن خدْرها بشمالها
كم قلتُ: هذا الأمرُ بعضُ صوابها
فوجدتُه بالخُبْر بعض مُحالها
ولَكم خُدعتُ بآلها[1] وذممتُهُ
ورجعتُ أظمأَ ما أكونُ لآلها
قد كنتُ أحسبُني أمنتُ ضَلالَها
فإذا الذي خَمَّنتُ كلّ ضلالها
إنَّ النفوس تَغرُّها آمالُها
وتظلّ عاكفةً على آمالها
ذهب الصبا وأنا أعالجُ سرَّها
مُتحيِّراً في كُنهِها ومآلها
حتى رأيتُ الشمس تُلقي نورَها
في الأرض، فوقَ سهولِها وجبالها

---

(١) القُلّة: الذروة.

ورأيتُ أحقَرَ ما بناهُ عنكَبٌ
متلففاً ومطوَّقًا بحبالها
مثلُ القصورِ العاليات قبابُها
الشَّامخاتِ على الذُّرا بقُلالها[1]
فَعلمْتُ أنَّ النفس تخطرُ في الحُلى
والوشيِ، مثلُ النفس في أسْمالها
ليستْ حياتُكَ غير ما صوَّرتَها
أنت الحياةُ بصمْتها ومقالها
ولقد نظرتُ إلى الحمائم في الرُّبا
فعجبتُ من حال الأنام وحالها
للشَّوك حظُّ الوردِ من تغريدها
وشريكُه، من بعْدُ، في إعْوالها
تشدو وصائدُها يمدّ لها الردى
فاعجبْ لمحسنةٍ إلى مُغتالها
فَغبطتُها في أمْنها وسلامها
وودْتُ لو أُعطيتُ راحةَ بالها
وجعلتُ مذهبها لنفسي مذهباً
ونسجتُ أخلاقي على منوالها
من لجَّ في ضيْمي تركتُ سماءَهُ
تبكي علي بشمسها وهلالها
وهجرتُ روضتَهُ فأصبح وَرْدُها
لليأسِ، كالأشواك في أدغالها
وزجرتُ نفسي أن تميلَ كنفسه
عن كوثرِ الدنيا إلى أوحالها

(١) الصلّ: الحية التي تقتل إذا نهشت، من ساعتها

نسْيانكَ الجاني المسيء فضيلَةٌ
وخمودُ نارٍ جدّ في إشعالها
فاربأْ بنفسك، والحياةُ قصيرةٌ،
أن تجعلَ الأضغانَ من أحمالها

✡✡✡✡✡

زمنَ الشباب رحلت غير مُذمَّمٍ
وتركت للحسراتِ قلبي الوَالها
دبَّتْ عقاربُها إليه تنوشُهُ
ورمتْ بقاياهُ إلى أصلالها[1]
لم يبقَ من لذّاته إلا الرؤى
ومن الصبابة غيرُ طيف خَيالها
ومن الكؤوسِ سوى صدى رنّاتها
والرَّاحِ غيرُ خُمارها وخَبالها
يا جنَّةً عُوجِلتُ عن أثمارِها
ولذاذةً عُرّيتُ من سربالها
ما عابها شيءٌ سوى اضمحلالها
والذنبُ للأقدارِ في اضْمحْلالها

✡✡✡✡✡

ومليحة في وجهها أَلَقُ الضُّحى
والسحرُ والصَّهباءُ في أقوالها
قالتْ: أينسى النازحونَ بلادَهُمْ؟
ما هاج حُزنَ القلبِ غيرُ سُؤالها
الأرضُ، سوريّا أحبُّ ربوعها

---

(١) المطر.
(٢) الأسد.
(٣) خيمة الناطور
(٤) الطائر، ومفرده: قطاة.

عنـدي، ولبنانُ أعزُّ جبالها
والناسُ أكرمُهمْ علي عشيرُها
روحي الفداءُ لرهطها ولآلها!
والشُّهبُ أَسطعُها التي في أُفقها
ليس الجلالُ الحقُّ غير جلالها
وأحبُّ غيثٍ ما همى في أرضها
حتى الحيا[1] الباكي على أطلالها
مرحُ الصبا الجذلانِ في أسحارِها
ومُنى الصبا الولهانِ في آصالها
إني لأعرفُ ريحها من غيرِها
بنَوافحِ الأشْذاء في أذيالها
تلك المنازلُ كم خطَرتُ بساحها
في ظلِّ ضيْغَمها[2] وعطْف غزالها
وشدوتُ معْ أطيارها، وسهرتُ مع
أقمارِها، ورقصتُ مع شلاَّلها
وسجدتُ للإلهامِ معْ صفصافها
وضحكتُ للأحلامِ مع وَزّالها[3]
وملأتُ عقلي من حديثِ شيوخها
وأخذتُ شعري من لُغَى أطفالها
تشتاقُ عيني قَبْلَ يُغمضُها الردى
لو أنها اكتحلتْ ولو برمالها
مرَّتْ بي الأعوامُ تقفو بعضها
وثُبَ القَطا[4] تعدو إلى آجالها
وتعاقبتْ صورُ الجمالِ فلم يدُمْ
في خاطري منها سوى تمثالها

---

(١) الكوكب الدرّي: النجم المضيء.

****

٢٥ - شاعر الشهور

[مخلع البسيط]

«أيارُ» يا شاعر الشُّهورِ
وبسمةَ الحبِّ في الدهورِ

وخالقَ الزهرِ في الرَّوابي
وخالقَ العطرِ في الزهور

وباعثَ الماء ذا خَريرٍ
ومُوجِد السحرِ في الخرير

وغاسلَ الأفقِ والدراري(١)
والأرضِ، بالنورِ والعبير

لقد كسوت الثَّرى لباساً
أجملَ عندي من الحرير

ما فيكَ قَرٌّ ولا هجيرٌ
ذهبت بالقرِّ والهجير

فلا ثلوجٌ على الروابي
ولا غَمامٌ على البدور

أتيت فالكونُ مهرجانٌ
من اللذاذاتِ والحُبور

أيقظت في الأنفسِ الأماني
والابتساماتِ في الثُّغور

وكدت تُحْيي الموتى البوالي
وتُنبتُ العُشب في الصخور

وتجعلُ الشّوك ذا أريجٍ

وتجعلُ الصَّخر ذا شعور

فأينما سرت صوتُ بُشْرى

وكيفما ملتُ طيفُ نور

تشكو إليكَ الشتاءَ نفسي

وما جناهُ من الشُّرور

كم لذَّعَ الزَّمهريرُ جلدي

ودبَّ حتى إلى ضميري

فلُذْتُ بالصُّوف أتّقيه

فاختَرَقَ الصُّوف كالحرير

وكم ليالٍ جلستُ وحدي

مُنقَبض الصدرِ كالأسير

يهتزُّ معْ أُنملي كتابي

ويرجُفُ الحبْرُ في السُّطور

تُعْوِلُ فيها الرياحُ حولي

كنائحاتٍ على أمير

والغيثُ يهْمي بلا انقطاعٍ

والرعدُ مستتبِعُ الزئير

والليلُ مُحلَوْلِكُ الحواشي

وصامتُ البدء والأخير

والشُّهبُ مرتاعةٌ كطيرٍ

مُخبئاتٍ من الصُّقور

في غرفتي موقدٌ صغيرٌ

لِله منْ موقدي الصغير!

يكاد ينقدُّ جانباهُ

(١) الالتياح: العطش.

من شدة الغيظ لا السعير

لولا لظاهُ رقصتُ فيها

بغير دُف على سريري

وساعةٌ وجهُها صفيقُ

كأنه وجْهُ مُستَعير

أبطأ في السَّير عقْرباها

فأبطأَ الوقتُ في المسير

حتى كأنَّ الزمانَ أعمى

يمشي على الشَّوْك في الوعور

كنَّا طوينا المُنى وقلنا:

ما للأماني من نشور

فلو يزورُ الصدور حُلْمٌ

عرَّج منها على قبور

لقد تولَّى الشتاءُ عنَّا

فصفّقِي يا منًى وطيري!

****

٢٦ - الكأس الباقية

[الخفيف]

دمعة على جبران خليل جبران

أيّــهــا الــشّــاعــرُ الــذي كــان يــشــدو
بــيــن ضــاحٍ من الجــمــالِ وضــاحكْ
جــلّ أن يــصــيــدَك الــقــدرُ الأعْـ
ـمى ويــمــشي مــقــصُّهُ في جــنــاحك
مــوكبُ الــشِّــعــرِ تــائهٌ في فــضــاءٍ
لــيس فــيــه ســوى حــطــيمِ سلاحك
والــبــســاتــينُ، والــبلابلُ فــيــهــا
تــتــغــنّى، حــزيــنــةٌ لــرواحك
قــنــعتْ بــالــنُّــواحِ مــنك فــلَــمّــا
زالَ عــاشتْ بــذكــريــاتِ نُــواحك
والــدُّجى، والــنــجــومُ تــســطعُ فــيه،
واجمٌ حــســرةً عــلى مــصــبــاحك
تــلــمسُ الــعــينُ أيــنــمــا لمــســتْهُ
جــمــراتِ الــتــيــاحــنــا والــتــيــاحك[1]
قــد تــولّت جلالــةُ الــسِّــحــرِ عــنهُ
واضْــمــحــلَّتْ مُــذْ صــار غــيــر وشــاحك

✡✡✡✡✡

هــبــطتْ ربّــةُ الحــيــاة لــكي تَــسْـ
ـكُبَ خــمــر الجــمــالِ في أقْــداحك
فــإذا أنت في الــسَّــريــرِ مُــســجّى

صـــامتٌ كـــالـــطـــيـــوف في ألـــواحك

فـــتَـــولّت مـــذعـــورةً تـــلـــطمُ الـــوجْـ

ـهَ وتَـــبـــكـــيك، يـــا قـــتـــيلَ ســـمـــاحك!

ســـبـــقَـــتْـــهـــا إلاهـــةُ المـــوتِ كي تَحْـ

ـظَى ولـــو بـــالـــيـــســـيـــرِ من أفـــراحك

ويـــحـــهـــا! ويح حـــبِّـــهـــا من أثـــيمٍ

طَـــردتْـــنـــا ولم تُـــقمْ في ســـاحك

أيـــبـــستْ روضَك الجـــمـــيلَ، ولم تَظْـ

ـفَـــرْ بـــغـــيـــرِ الـــتُّـــرابِ من أَنْواحك

ذهب المـــوتُ بـــالـــكـــؤوس جـــمـــيـــعـــاً

غـــيـــر كـــأسٍ مَلأْتَـــهـــا من جِـــرَاحك!

****

---

(١) الغيم الكثيف.

٢٧ - الشجاع

[الخفيف]

لا أحبُّ الإنسانَ يرضخُ للوهْـ
ـمِ ويرضى بتَافهات الأماني

إنّ حيّاً يهابُ أنْ يلمس النُّوْ
ر كَميْتٍ في ظُلمة الأكفان

وحياةً أمدّ فيها التَّوقِّي
لا توازي في المجد بضع ثوان

الشجاعُ الشجاعُ عندي من أمـ
ـسى يغنِّي والدمعُ في الأجفَان

****

(١) عش الطائر في جبل أو جدار (أقل من الوكر).

٢٨ - أبي

[الطويل]

طَوى بعض نفسي، إذْ طواك الثَّرى عني
وذا بعضُها الثاني يفيض به جفني

أبي! خانني فيك الرَّدى فتقوَّضتْ
مقاصيرُ أحلامي كَبيتٍ من التِّبْن

وكانتْ رياضِي حالياتٍ ضواحكاً
فأقوتْ، وعفّى زهرها الجزَعُ المُضني

وكانت دناني بالسرور مليئةً
فطاحتْ يدُ عمياءُ بالخمرِ والدَّن

فليس سوى طَعْم المنيّة في فمي
ولَيس سوى صوتِ النوادبِ في أُذْني

ولا حسنٌ في ناظريَّ وقلّما
فَتَحتُهما من قبلُ إلاّ على حُسْن

وماصُوَرُ الأشياء بعدَك غيرها
ولكنمّا قد شوّهتْها يدُ الحزن

على منكبي تبْرُ الضُّحى وعقيقُهُ
وقلبي في نارٍ وعيناي في دجْن[1]

أَبحتُ الأسى دمعي وأنهبتُه دمي
وكنتُ أَعدُّ الحزنَ ضرباً من الجُبْن

فَمسْتَنكرٌ كيف استحالتْ بشاشتي

---

(١) ضعف الرأي (ومنه: مأفون).

(٢) العبد القِنّ: هو العبد المملوك هو وأبواه.

كمستنكرٍ في عاصفٍ رعشة الغصن

يقولُ المعزّي ليس يُجْدي البُكا الفتى

وقولُ المعزّي لا يُفيدُ ولا يُغني

☆☆☆☆☆

شخَصتُ بروحي حائراً متطلِّعاً

إلى ما وراء البحرِ أدنو وأسْتَدني

كَذاتِ جناحٍ أدرك السيلُ عشَّها

فطارتْ على رَوْعٍ تحومُ على الوَكْن[1]

فَواهاً لو أنّي كنتُ في القومِ عندما

نظرت إلى العُوّاد تسألهمْ عنّي

ويا ليتَما الأرضُ انطوى لي بساطُها

فكنتُ مع الباكينَ في ساعة الدَّفن

لَعلِّي أفِي تلك الأبوّةَ حقَّها

وإنْ كان لا يُوفَى بكيلٍ ولا وزن

فأعظَمُ مجْدي كان أنك لي أبٌ

وأكبرُ فخري كان قولَك: ذا إبني!

أقولُ: لو أني.. كي أُبرد لوعتي

فيزدادُ شَجْوِي كلّما قلتُ: لو أني!

أحتّى وداعُ الأهلِ يُحْرَمُهُ الفتى؟

أيا دهرُ هذا منتهى الحيْف والغَبْن!

أبي! وإذا ما قلتُها فكأنني

أنادي وأدعو يا مَلاذي ويا رُكني

لمن يلجأُ المكروبُ بعدك في الحمى

فيرجع ريّانَ المُنى ضاحك السِّنّ؟

خلعت الصبا في حوْمَة المجد ناصعاً
ونُزِّهَ فيك الشيبُ عن لُوثة الأَفْن[1]
فذهنٌ كنجم الصيفِ في أوّل الدُّجى
ورأيٌ كحدِّ السّيف أو ذلكَ الذهنِ
وكنت ترى الدنيا بغير بشَاشة
كأرضٍ بلا ماءٍ وصوتٍ بلا لحن
فما بكَ من ضُرٍّ لنفسكَ وحدها
وضِحْكُكَ والإيناسُ للجارِ والخدْن
جريءٌ على الباغي، عَيُوفٌ عن الخَنا،
سريعٌ إلى الداعي، كريمٌ بلا منّ
وكنت إذا حدّثت حدّثَ شاعرٌ
لبيبٌ دقيقُ الفهمِ والذوقِ والفنّ
فما اسْتشعر المُصغي إليك مَلالةً
ولا قلت إلاّ قال من طَربٍ: زدْني!

✡✡✡✡✡

برغْمكَ فارقتُ الربوع، وإننا
على الرَّغم منّا، سوف نلحقُ بالظَّعْن
طريقٌ مشى فيها الملايينُ قبْلَنا
من الملك السَّامي إلى عبده القِنّ[2]
نظنُّ لنا الدنيا وما في رحابها
وليستْ لنا إلاّ كما البحرُ للسُّفن
تروحُ وتغدو حُرّةً في عُبابهِ
كما يتهادى ساكنُ السّجنِ في السّجن
وزَنْتُ بسرّ الموتِ فلسفةَ الورى

---

(١) طير أبيض. والذكر قُمْري.

فـشــالتْ، وكـانـت جـعـجـعـاتٍ بلا طـحْن

فـــأصــــدقُ أهلِ الأرضِ مــــعــــرفــــةً به

كـــأكـــثـــرِهـمْ جـــهلاً يُـــرجّمُ بـــالـــظّن

فـــذا مـــثلُ هـــذا حـــائـــرُ الـــلبّ عـــنـــدَهُ

وذاك كـــهـــذا لـــيس مـــنـه عـــلى أمْن

فـيـــا لك سـفــراً لم يـــزلْ جِـــدّ غــامضٍ

على كثرةِ التفصيلِ في الشّرحِ والـمَتْن

أيـــا رمـــزَ لـــبـــنـــانٍ جلالاً وهـــيـــبـــةً

وحــصـن الـوفــاء المحْضِ في ذلك الحـصْن

ضـــريـــحُك مـــهـــمـــا يـــســـتـــســـرٌّ، وبـلـــدةٌ

أقـمـت بـهـا تـبـني المحـامـد مـا تـبـني

أَحبٌّ من الأبـــراجِ طـــالتْ قِـــبـــابُـــهـــا

وأجـــملُ في عـــيـــني من أجـــملِ المـــدْن

عـــلى ذلك الـــقـــبـــرِ الـــسلامُ فَـــذكـــرُهُ

أريجٌ به نـفـسي، عن الـعـطْـرِ تَـسـتـغـني

****

(١) الصحيح «أحدٌ».

٢٩ - ذكرى

[الكامل]

إنِّي امْـــرُؤٌ لا شيء يُـــطْـــرِبُ روحَهُ
ويــهُـزُّهــا كــالــزهــرِ والألحــانِ

الــلــحنُ من قُــمْــرِيّــة[١] أو مُــنــشــدٍ
والــزهــرُ في حــقلٍ وفي بــســتــان

هــذا يُــحــرِّكُ بي دفــينَ صــبــابــتي
ويــهــزّ ذاك مــشــاعــري وكــيــاني

يــهــوى المَلاحــةَ نــاظــري صــوراً تُــرى
وأحــبُّــهــا في مــسْــمــعيَّ أغــانِ

وأحــبّــهــا نــوراً جــمــيلاً صــافــيــاً
مــتــألّــقــاً في الــنــفس والــوجــدان

وأحــبُّــهــا ســحْــراً يــرِفُّ مع الــنــدى
ويمــوجُ في الألــوان كــالألــوان

وأحــبُّــهــا ذكــرى تُــطــيفُ بــخــاطــري
لأخٍ هــوَيْتُ، وغــادةٍ تــهــواني

أو مــجــلسٌ لــلــحبِّ في ظلّ الــصِّــبــا
إن الحــيــاةَ جــمــيــعــهــا هــذان

أو في خــيــالِ مــنــازلٍ أشــتــاقُــهــا
كم من جــمــالٍ في خــيــالِ مــكــان

ولــقــد نــظــرتُ إلــيــكمُ فــكــأنمــا
أنــا في الــربــيــعِ، وفي رُبــا لــبــنــان

أُصــغي إلى الــنَّــســمــاتِ تــروي لــلــرُّبــا

مـــا قـــالتِ الأشـــجـــارُ لـــلـــغُـــدْران

وإلى الـــسَّـــواقي وهي تُـنـشـدُ لـلـصَّـبـا

والحبَّ، في الـــفـــتـــيـــاتِ والـــفـــتـــيـــان

وإلى الأزاهـــرِ كـــلَّـــمـــا مـــرَّتْ بـــهـــا

عـــــذراءُ ذات مـلاحـــــة وبـــــيـــــان

مُـــتَـــهـــامـــســـاتٍ: « مـــا نـــظنّ (فلانـــةً)

أحـــداً[1] بـــهـــا أولـى من (ابن فلان)

يـا لـيت يـنـثـرُنـا الـغـرامُ عـلـيـهـمـا

من قَـبْلُ يـنـثُـرنـا الخـريفُ الجـاني»

ألـــفَتْ مُـــجـــاورةَ الأنـــامِ فـــأصـــبـــحتْ

وكـــأنّـــهـــا شـــيءٌ من الإنـــســـان

فـــإذا نـــظـــرت إلـــيـــهـــمـــا مـــتـــامِّلاً

شـــاهـــدت حـــولَكَ وحـــدةَ الأكْـــوان

****

٣٠ - يا جنّتي

[الكامل]

لـــــمّــــا رأيتُ الـــورد فـي خــــدَّيك
وشـقـائقَ الـنُّـعـمـانِ في شـفـتـيك
ونـشَـقْتُ من فَـوْديك نَـدّاً عـاطـراً
لــمّــا مـشتْ كـفـاك في فـودَيْك
ورأيتُ رأسك بـالأقـاح مـتـوجّـاً
والـفلَّ طـاقَـاتٍ عـلى نـهْـديك
وسـمـعتُ حـولَك هـمس أرواحِ الـصـبا
عـنـد الـصـبـاحِ، تُـهـزُّ من عـطْـفـيك
أيـقـنتُ أنك جـنَّـةٌ خلاّبـةٌ
فـحـنـنْتُ، من بـعـد المـشـيبِ، إلـيك
ولـذاك قـد صـيَّـرتُ قـلـبي نَـحـلـةً
يـا جـنّـتي، كـيـمـا يـحـوم، عـلـيك
روحي فـداؤك إنـهـا لـو لم تـكنْ
في راحـتـيك هـوتْ عـلى قـدمـيك

****

(١) الذي يعيي الأطباء.

٣١ - الشاعر في السماء

[مخلع البسيط]

رآنـي الـــــــلـهُ ذات يـــــــومٍ
فـي الأرض أبـكي من الـشَّـقَـاءْ

فَـرَقَّ، والـلـهُ ذو حـنـانٍ،
عـلى ذوي الـضُّـر والـعـنـاء

وقـال: لـيـس الـتُّـرابُ داراً
لـلـشِّـعـرِ، فـارجعْ إلى الـسَّـمـاء!

وشـاد فـوقَ الـسـمـاك بـيـتي
ومـدّ مُـلـكِي عـلـى الـفـضـاء

فـالـتـفّتِ الـشُّـهْبُ حـولَ عـرشي
وسـار في طـاعـتي الـضـيـاء

وصـرتُ لا يـنـطـوي صـبـاحٌ
إلاّ بـأمـري ولا مـسـاء

ولا تـسـوقُ الـغـيـوم ريحٌ
إلاّ ولـي فـوقَـهـا لـواء

فـالأمـرُ بـينَ الـنـجـومِ أمـري
لِي الْـحُـكمُ فـيـهـا ولِي الْـقَـضـاء

✡✡✡✡✡

لـكـنَّـنـي لم أزلْ حـزيـنـاً
مُـكـتـئب الـروحِ في الـعـلاءْ

فـاسْـتـغـرب الـلـهُ كـيف أشْـقَى
فـي عـالمِ الـوحيِ والـسـنـاء

وقال: ما زالَ آدميّاً

يصبو إلى الغيْد والطَّلاءْ

ومس روحي واستلَّ منها

شوقي إلى الخمرِ والنِّساء

وظنَّ أني انتَهى بلائي

فلم يزِدْني سوى بلاء

واشتدَّ نَوْحي وصار جهراً

وكانَ من قَبْلُ في الخفاء

وصار دمعي سيولَ نارٍ

وكان قبلاً سيولَ ماء

✡✡✡✡✡

يا أيُّها الشَّاعرُ المعنّى

حيَّرني داؤُك العياءْ[1]

هل تشتهي أن تكونَ طيراً؟

فقلتُ: كلاَّ، ولا غناء!

هل تشتهي أن تكون نجماً؟

أحببتُ: كلاًّ، ولا بهاء!

هل تبتَغي المالَ؟ قلتُ: كلاَّ

ما كانَ من مطلبي الثَّراء

ولا قصوراً، ولا رياضاً

ولا جنوداً ولا إماء

وليس ما بي يا ربُّ داءٌ

ولا احتياجِي إلى دواء

ولا حنيني إلى القنَاني

(١) الجبل.

ولا اشْتياقي إلى الظِّباء

ولا أريدُ الذي لغَيْري

ذا حكمة كانَ أمْ مضاء

لكنّ أمنيّةً بنفسي

يسْترُها الخوفُ والحياء!

فقال: يا شاعراً عجيباً

قُلْ لي: إذن ما الذي تَشَاء؟

فقلتُ: يا رب فصلَ صيفٍ

في أرضِ لبنانَ أو شتاء

فإنني ههنا غريبٌ

وليس في غُربة هناء!

فاستضحكَ اللهُ من كلامي

وقالَ: هذا هو الغَباء

لبنانُ أرضٌ ككُلِّ أرضٍ

وناسُهُ والورى سواء

وفيه بُؤسى وفيه نَعْمى

و أردياءُ وأتقياء

فأيَّ شيءٍ تَشتاقُ فيه؟

فقلت: ما سرَّني وساء!

تحنُّ نفسي إلى السَّواقي،

إلى الأقاحي، إلى الشَّذاء

إلى الرَّوابي تَعرى وتُكسى

إلى العصافير والغناء

إلى العناقيد والدَّوالي

---

(١) الظبة: حدّ السيف.، وجمعها في المعاجم: ظبات (ولامها واو. ظبوتُ).

والمـــــاء والـــــنـــورِ والـــــهــــواء!

فــــــأشـــــــرف الــــــلـهُ مـن عُـلاهُ

يــشــــهـــدُ «لــبــنــانَ» في المـــســـاء

فـــقــــالَ: مـــــا أنت ذا جـــنــــونٍ

وإنمــــــــــــــا أنــت ذو وفــــــــــــاء

فـــإنَّ لـــبـــنـــانَ لـــيس طَـــوْداً،[1]

ولا بـلاداً، لـــــــكنْ ســــــمـــــــاء!

****

(١) السادة والقادة.

٣٢ - كلوا واشربوا

[المتقارب]

كُلوا واشربوا أيُّها الأغنياءُ
وإن مَلأَ السكَك الجائعونْ

ولا تلبسوا الخزَّ إلا جديداً
وإن لَبس الخرَقَ البائسون

وحُوطُوا قصوركُمُ بالرجالِ
وحوطوا رجالَكمُ بالحصون

فلا تُبصرونَ ضحايا الطَّوى
ولا يُبصرونَ الذي تَصْنعون

وإنْ ساءكُمْ أنهمْ في الوجود
وأزعجكمْ أنهمْ يُعْوِلون

مُرُوا فَتَصُولُ الجنودُ عليهمْ
تعلِّمهمْ كيف فَتْكُ المنون

فَهُمْ معتدونَ، وهم مجرمونَ،
وهمْ مقلقونَ، وهم ثائرون

وتلك العصيُّ لتلكَ الرؤوسِ
وتلك الحرابُ لتلكَ البُطون

وتلكَ السُّجُون لمن شدتُموها
إذا لم تَزجُّوهمُ في السِّجون؟

كلُوا للظُّبا(١) حلْقَ هاماتهمْ
فإنَّ الملوك كذا يفْعلون

إذا الجندُ لم يحرُسوكُمْ وأنتمْ

سـراةُ[1] البلاد فمن يحْرُسون؟
وإنْ همُ لم يقْتلوا الأشقياءَ
فيا ليت شعري، منْ يقتلون؟
ولا يحْزُنَنَّكمُ موتُهمْ
فإنهمُ للردى يُولدون
وقولوا كَذا قد أراد الإلهُ
وإنْ قدَّرَ اللهُ شيئاً يكون
ويا فقراءُ لماذا التشكّي؟
ألا تستحونَ؟ ألا تخجلونْ؟
دعوا الأغنياءَ ولذّاتهمْ
فهمْ مثلُ لذّاتهمْ زائلون
سيُمسُونَ في «سقَرٍ» خالدين
وتمسونَ في جنّة تَنْعُمون
فلا تعطشونَ، ولا تسغبونَ،
ولا يرتوونَ، ولا يشبعون
لَكُمْ وحدكمْ ملكوتُ السَّماء
فما بالُكُمْ لستمُ تقنعون؟
فلا تَحزنوا أنكمْ ساهرونَ
فسوف تنامونَ ملء الجفون
ستتَّكئونَ مع الأنبياء
تظلِّلكُمْ وارفاتُ الغصون
يضوعُ السَّنا حولكُمْ بالشَّذا
وتجري الطِّلا أنهُراً وعُيون
وتسقيكمُ الخمر حُوْرٌ حسانٌ
كما يشتهينَ، كما تشتهون

كـــذا وعـــد الــــلهُ أهلَ الـــتُّـــقَى
وأنـــتمْ همُ أيـــهـــا المـــتـــعـــبـــون
ألا تـــؤمـــنـــونَ بـــقـــولِ الـــكـــتـــابِ؟
فـــويـلٌ لـــكمْ إنـــكمْ كـــافـــرون!

****

(١) مزامير النبي داود (الزبور). و(اسحق الموصلي) و(معبد) من مغني التراث الغنائي العربي في العصرين الأموي (معبد) والعباسي (الموصلي).

٣٣. حديث موجة

[الكامل]

قالها في حفلة تكريم سامي الشّوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها.

عـنـدي لـكمْ نـبـأٌ عـجـيـبٌ شـيّقٌ
سـأقـصـُّهُ وعـلـيـكُمُ تـفـسـيـرُهُ
إنـي رأيتُ الـبـحـر أخـرس سـاهـيـاً
كـالـشـيـخ طـال بمـا مـضـى تـفـكـيـرُه
فـسـألتُ نـفـسـي حـائـراً مُـتـلـجْـلـجـاً:
يـا لـيت شـعْـري أين ضـاعَ هـديـرُه؟
«بـالأمسِ» قـالتْ مـوجـةٌ ثـرثـارةٌ
ومـضـتْ، فـأكـمـلَت الـحـديثَ صـخـورُه:
بـالأمسِ مـر بـنـا فـتًى من قـومـكمْ
رقّتْ شـمـائـلُهُ ودقَّ شُـعـوره
مُـتـرنِّحٌ من خَـمـرةٍ قُـدْسـيّـة
فـيـهـا الـهـوى وفـتـونُه وفـتـوره
مـتـرفِّقٌ في مـشْـيِه يـطـأُ الـثَّـرى
وكـأنمـا بـين الـنـجـومِ مـسـيـرُه
يـلـهـو بـأوتـارِ الـكـمـنـجـةِ والـدُّجى
مـرخـيّـةٌ، فـوق الـعُـبـابِ، سُـتـوره
يـهـدي إلى الـوطن الـقـديم سلامَهُ
ويُـنـاشـدُ الـوطن الـذي سـيـزوره
فـشـجـا الـخـضَمَّ نـشـيـدُهُ وهـتـافُهُ
فـنـسـهـا، فـضـاع هـديـرُه وزئـيـرُه

أعـــرفـــتُـــمـــوهُ؟.. إنه هـــذا الـــفـــتى

هـــذا الـــذي ســـحـــر الـخـضـمَّ مُـــرورُه

«داودُ» والمـــزمـــارُ في نـــغَـــمـــاته

و«المـوصـلـيُّ» و «مـعـبـدٌ» وسـريـره[1]

يـــا ضـــيـــفَـــنـــا، والأنسُ أنت رســولُه

وبـــشـــيـــرُه، والـــفنُّ أنت أمـــيـــرُه

لـــو شـــاع في الـــفـــردوسِ أنك بـــيـــنـــنـــا

لَـــمـــشتْ إلـــيـــنـــا ســـافـــراتٍ حـــورُه

ذهب الـــربـــيـــعُ وجـــئـــتَـــنـــا فـــكـــأنمـــا

جـــاء الـــربـــيـــعُ، زهـــورُه وطـــيـــوره

الـــفـــنُّ هشَّ إلـــيـــك في أمـــرائه

وتـــفـــتّـــحتْ لك دُورُه وقـــصـــوره

إنَّ الجـــواهـــر بـــالجـــواهـــرِ أُنـــسُـــهـــا

أمَّـــا الـــتـــرابُ فـــبـــالـــتُّـــرابِ حـــبـــوره

يـــا شـــاعـــر الألحـــان! إنِّي شـــاعـــرٌ

أمـــسى ضـــئـــيلاً عـــنـــد نـــورِكَ نـــوره

أســـمـى الـــكلامِ الـــشِّـــعـــرُ إلا أنه

أسْـمـاهُ[2] مـا أعـيـا الـفـتى تـصـويـره

وأحـبُّ أزهـــارِ الحـــدائقِ وردُهـــا

وأحبُّ من ورد الـــريـــاضِ عـــبـــيـــرُه

أنت الـفـتى، لك في الـنـسـيـمِ حـفـيـفُه،

ولك الـــغـــديـــرُ صـــفـــاؤُهُ وخـــريـــرُه

الـــقـــومُ صـــاغـــيـــةٌ إلـــيك قـــلـــوبُـــهمْ

والـــلـــيلُ مُـــنـــصـــتَـــةٌ إلـــيكَ بُـــدوره

وبـــهـــذه الأوتـــارِ ســـحـــرٌ جـــائلٌ

متململٌ كالوحيِ حانَ ظهورُهُ
إن كنت لا تَهتاجُهُ وتُثيرُهُ
فمنِ الذي يهتاجُه ويُثيره؟
دَغدِغْ بريشتك الكمنجةَ ينْطلقْ
ويدُبَّ في أرواحنا تأثيره
وامشِ بنا في كل لحنٍ فاتنٍ
كالماء يجري في الغصونِ ظهورُهُ
وأدِرْ على الجُلاّسِ أكواب الهوى
في راحتيكَ سُلافُهُ وعصيرُهُ
فيخفُّ في الرجل الحليمِ وقارُهُ
ويراجعُ الشيخَ المسنَّ غروره
وتنامُ في صدْرِ الشَّجيِّ همومُهُ
ويُفيقُ في قَلْبِ الحزينِ سروره
هذي الجموعُ الآن شخصٌ واحدٌ
لك حكمُهُ، وكما تشاءُ مصيرُهُ
إنْ شئت طالَ هُتافُهُ ونشيدُهُ
أو شئت دامَ نُواحُهُ وزفيره
إنا وهبْناكَ القلوب ولم نهبْ
إلا الذي لك قبلَنا تدبيرُهُ!

****

(١) قيدوم كل شيء: مقدّمه وصدره.
(٢) النجر والنجار: الأصل والحسب.

٣٤ - ابسِمي

[الرمل]

ابـسـمـي كـالـورد في فـجـر الـصـبـا
وابـسـمي كـالـنـجمِ إنْ جنّ المـسـاءْ
وإذا مـا كـفّنَ الـثـلـجُ الـثّـرى
وإذا مـا سـتّـر الـغـيمُ الـسَّـمـاء
وتـعـرّى الـروضُ من أزهـارِه
وتـوارى الـنـورُ في كـهف الـشـتـاء
فـاحـلُـمي بـالـصـيف ثم ابـتـسـمي
تـخـلُـقي حـولك زَهْـراً وشَـذاء
وإذا سـرَّ نـفـوسـاً أنّـهـا
تُـحـسنُ الأخـذَ فـسُـرّي بـالـعـطـاء
وإذا أعـيـاك أن تُـعـطي الـغـنى
فـافـرحي أنّك تُـعـطـينَ الـرجـاء

****

(١) السحاب لأنه يعترض في الأفق.

٣٥ - مجاهد

[الكامل]

ألقى هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشُّبَّان المسلمين في مسرح «أكادمي أوف ميوزك» في بروكلين لفقيد الأمة موسى كاظم باشا الحُسيني:

قالوا قضى «موسى» فقلتُ قد انطوى
علَمٌ، وأُغمد صارمٌ بتّارُ
فتَشوَّشتْ صُورُ المُنى وتناثرتْ
كالزهرِ بدَّدَ شملَها الإعصار
وكأنما وَتَرَ الردى كلَّ امرئٍ
لمّا تولّى ذلك الجبّار
جزِعتْ لمصرعه البلادُ كأنّما
قد غاب عنها جحْفَلٌ جرّار
وبكتْ «فلسطينٌ» به قَيْدومها[1]
إنّ الرّزايا بالكبارِ كبار
لمّا نعوهُ نَعوا إلينا سيّداً
شرُفَتْ خلائقُه وطاب نَجار[2]

✲✲✲✲✲

لبِس الصبا ونَضاهُ غير مدنَّسٍ
كالنجمِ لم تعلَقْ به الأوضارُ
ومشى المشيبُ برأسه فإذا به

(١) النضار: الذهب الخالص.
(٢) السراب.

كــالحــقلِ فـــيه الـــزَّهـــرُ والأثـــمـــار

وتَـــــطــــــاولَت أعـــــوامُهُ، فــــإذا بـه

كـــالـــطَّـــود فـــيه صلابــــةٌ ووقـــار

تـــرتـــدُّ عـــنه الــعــاصــفــاتُ كــلــيــلــةً

ويـــزِلُّ عـــنه الـــعـــارضُ[1] الـــمـــدرار

أُوذِي فــلم يــجــزعْ، وضــيْمَ فــلم يــهِنْ

إنَّ الـــكـــريم عـــلـى الأذى صـــبَّـــار

صـقـلتْ مُـكـافَـحـةُ الـشـدائـد نـفـسَهُ

والـــروضُ تجـــلـــو حُـــســنَهُ الأمـــطـــار

فـــله من الـــشَّـــيخ الأصـــالـــةُ، والـــفـــتى

إقـــــدامُهُ، إذ لـــــلـــــفـــــتى أوطَـــــار

يـــتـــهـــيَّبُ الـــفُـــجَّـــارُ صـــدقَ يـــقـــيـــنه

وبـــرأيـهِ يـــســـتـــرشـــدُ الأحـــرار

مـــا زالَ يـــزأرُ دونَ ذيَّـــاكَ الحـــمى

كــالــليثِ ريع فـــمـــا له اســتــقــرار

ويـــجـــشِّمُ الـــنـــفس المخـــاطـــر هـــادئـــاً

كـــيلا تُـــلـمّ بـــقـــومه الأخـــطـــار

حـــتى اســتــقَــر به الـــرَّدى في حُـفـرةٍ

وخلا، لـــغـــيـــرِ جـــواده، المـــضْـــمـــار

فـــاعـــجبْ لمن مـلأ المـــســـامع ذكـــرُهُ

تـــطـــويه في عُـــرضِ الـــثَّـــرى أشْـــبـــار!

✡✡✡✡

---

(١) مبالغة من (ساخر).

(٢) يريد: الطائرة (والعقاب: الطير).

(٣) السم الناقع: البالغ الثابت.

أيّارُ مذكورٌ بحُسنِ صنيعه
ولئن تولّى وانقضى أيّارُ

فاخدُمْ بلادَك مثلَ «موسى كاظمٍ»
تُسبِغْ عليك ثناءَها الأمصار

إنّ السنينَ كثيرُها كقليلها
إن لم تَزِنْ صفحاتِها الآثار

فاصرفْ عنانَك في الشباب إلى العُلا
بُرْدُ الشبيبة كالجمالِ مُعار

لا تقعُدنَّ عن الجهادِ إلى غدٍ
فلقدْ يجيءُ غدٌ وأنت غُبار

ماذا يُفيدُكَ أن يكونَ لك الثَّرى
ولغيرِك الآصالُ والأسْحار

من ليس يفتحُ للنهارِ جفونَهُ
هيهات يكحُلُ مُقلتيهِ نهار

✡✡✡✡

وأحبِبْ بلادَك مثل «موسى كاظمٍ»
حُبّاً به الإخلاصُ والإيثار

تضفرْ لرأسكَ من أَزَاهرِها الرُّبا
تاجاً، وتهتفْ باسْمك الأغوار

إيّاك ترمُقَها بمقلةِ تاجرٍ
إنّ اتِّجارَك بالمواطنِ عار

ودعِ المُنافقَ لا تثقْ بعهوده
وطَنُ المنافقِ فضّةٌ ونُضار[1]

(١) الاسم من الرّوغان: الإقبال والميل، مثل (المراوغة)
(٢) أرج الطيب: فاح (أرج - يأرج).

٣٦ - الكريم

[مجزوء الكامل]

قـــالـــوا: ألا تَـصـفُ الــكـريم لــنــا؟ فــقــلــتُ عــلــى الــبــديهْ:
إنّ الـــكـــريم لـــكـــالـــربـــيـعِ، تحـــبُّهُ لـــلـــحُـــسنِ فـــيهْ
وتـــهَشُّ عـــنـــد لـــقـــائه، ويـــغـــيبُ عـــنك فَـــتَـــشْـــتَـــهـــيهْ
لا يـــرتـــضي أبـــداً لـــصـــاحـــبه الـــذي لا يـــرتـــضـــيه
وإذا الـــلـــيـــالي ســـاعـــفـــتْهُ لا يُـــدلّ[1] ولا يـــتـــيهْ
وتـــراهُ يـــبـــسـمُ هـــازئـــاً في غـــمـــرةِ الخـــطب الـــكـــريه
وإذا تحـــرَّقَ حـــاســـدوهُ بـــكـى ورقَّ لحـــاســـديه
كـــالـــوردِ يـــنـــفَحُ بـــالـــشَّـــذا حـــتى أنـــوف الـــسَّـــارقـيه

****

(١) أصل المعنى. أدلّ به: وثق. وأكسبها هنا معنى التفاخر والتيه.

٣٧ - عَبْد

[المتدارك]

فـــوقَ الجُـــمَّـــيـــزةِ ســـنـــجـــابٌ
والأرنـبُ تـــــمـــــرحُ فـي الحـــــقلِ
وأنـــــا صـــــيَّـــــادٌ وثّـــــابٌ
لـــكنَّ الـــصـــيـــد عـــلى مـــثـــلي
مـــحـــظـــورٌ إذ إنّـــي عـــبْـــدُ
والـــــديكُ الأبـــيضُ في الـــــقن
يـــخـــتـــالُ كـــيـــوسف في الحُـــسْنِ
وأنـــــا أتـــــمـــــنَّى لـــــو أنِّي
أصـــطـــادُ الـــديكَ ولـــكـــنّي
لا أقـــــدرُ إذ إنّـي عـــــبـــــدُ
وفـــتـــاتـي في تـــلك الـــدارِ
ســـوداءُ الـــطُّـــلـــعـــة كـــالـــقـــارِ
ســـيـــجـيءُ ويـــأخـــذُهَـــا جـــاري
يـــا ويـــحـي من هـــذا الـــعـــار!
أفـلا يـــكـــفـي أنـي عـــبْـــدُ؟!

****

٣٨ - لبنان

[الكامل]

في حفل توديع صديق لبناني ، عائد إلى الوطن

اثنانِ أعيا الدهر إن يُبليهما:
لبنانُ والأملُ الذي لذويه

نشتاقُهُ والصّيفُ فوقَ هضابِهِ
ونحبُّهُ والثلجُ في واديه

وإذا تمدّ له ذُكَاءُ حبالَها
بقلائد العقْيانِ تستغويه

وإذا تُنقِّطهُ السماءُ عشيّةً
بالأنجمِ الزهراء تسترضيه

وإذا الصبايا في الحقول كزهرها
يضحكْن ضحْكاً لا تكلُّف فيه

هنَّ اللواتي قد خَلقنَ لي الهوى
وسقَينَنْي السِّحر الذي أسقيه

هذا الذي صانَ الشباب من البِلَى
وأبى على الأيّام أن تَطْويه

✡✡✡✡

ولربما جبلٌ أشبّهُه به
مُسترسلاً مع روعة التشبيهِ

فأقولُ يحكيه، وأعلمُ أنهُ
مهما سما هيهات أنْ يحكيه

يا لذَّةً مكذوبةً يلهو بها
قلبي ويعرفُ أنها تؤذيه

إنـي أذكّـــرُه بـــذيَّـــاكَ الحـــمى

وجـــمـــاله وإخـــالُـــنِي أُنْـــســـيه

وإذا الحـقـائقُ أحـرجتْ صـدر الـفـتى

ألـــقَى مـــقـــالـــدَهُ إلى الـــتَّـــمـــويه

وطـني سـتـبـقى الأرضُ عـنـدي كـلُّـهـا

- حـــتى أعـــود إلـــيه - أرض الـــتِّـــيه

سـألـوا الجـمـال فـقـال: هـذا هـيـكلي

والـــشِّـــعـــر قـــال: بـــنـــيتُ عـــرشي فـــيه

✡✡✡✡

الأرضُ تـــســـتـــجـــدي الخـــضَمَّ مـــيـــاهَهُ

وكـــنـــوزَهُ والـــبـــحـــرُ يـــســـتـــجـــديه

يُـمـسي ويُـصـبحُ وهـو مـنـطـرحٌ عـلى

أقـــدامه طـــمـــعـــاً بمـــا يـــحـــويه

أعـــطـــاهُ بـــعض وقـــارِه حـــتى إذا

اســتــجـداهُ ثـانـيـةً سـخـا بـبـنـيه

لـبـنـانُ صُنْ كـنـزَ الـعـزائمِ واقـتـصـدْ

أخـــشى، مع الإســـراف، أن تُـــفـــنـــيه

✡✡✡✡

غـــيـــري يـــراهُ ســـيـــاســـةً وطـــوائـــفـــاً

ويـــــظلُّ يـــــزعُمُ أنـه رائـــــيه

ويـــروحُ من إشـــفـــاقه يـــبـــكي لـه

لـــبـــنـــانُ أنت أحقُّ أن تَـــبـــكـــيه

لا يـسْـفـرُ الحـسنُ الـنـزيهُ لـنـاظـرٍ

مـــا دام مـــنه الـــطَّـــرْفُ غـــيـــر نـــزيه

✡✡✡✡

قُلْ للأُلى رفعوا التُّخوم لأرضه
ضيَّقتُمُ الدنيا على أهليهِ
ولمن يقولون: الفرنْج حُماتُه
اللهُ قبلَ سيوفِهِمْ حاميه

✡✡✡✡

يا صاحبي يهْنيكَ أنَّك في غدٍ
ستعانقُ الأحباب في ناديهِ
وتَلذُّ بالأرواح تعبَقُ بالشَّذا
وتهزُّك الأنغامُ من شاديه
إنْ حدّثوكَ عن النَّعيمِ فَأطنَبُوا
فاشتَقْتَهُ لا تنس أنك فيه!

****

٣٩ـ أنتِ والكأس

[مجزوء الخفيف]

أنتِ والكأسُ في يدي
فَلِمن أنتِ في غدِ؟
فاسْتَشاطتْ لِقولتي
غضباً في تمرُّد
وأشَاحتْ بِوجْهِها
وادّعتْ أنّني ردِي!
كاذبٌ في صبابتي
ماذقٌ[1] في تَودُّدي
قلتُ: عفواً فإنها
سورةٌ من مُعرْبِد
وجرى الصلحُ والْتَقَى
ثغرُها ثغري الصدي[2]
أذعن القلبُ طائعاً
بعد ذاك التَّمرُّد
فَنعمنا هُنَيهةً
بالولاء المجدَّد
بينَ ماءٍ مصفَّقٍ[3]
وهزارٍ مُغَرِّد

---

(١) لم يخلص في ودّه.(مذق – يمذق)
(٢) صدي صدى: عطش.
(٣) تصفيق الماء: تحويله من إناء إلى إناء.

ثُمَّ عـــــــادتْ وســــــــاوسـي
فــــــأنـــــا فـي تـــــــردُّد
راعـــهـــا مـــنّي الـــسُّـــكـــو
تُ فــــذمّتْ تــــبــــأُّــــدي
قــــــالتِ: الحبُّ ســــرْمـــــدُ
قـــلتُ: لا شـيء ســــرمـــــدي
أتُـــحـــبـــيـــنـــي إذا
زالَ مـــــجـــــديْ وسُــــــؤددي؟
فــــأجــــابتْ لـــــفَــــورِهــــا
أنـت، لا المجــــدُ، مـــقـــصـــدي
قـــلتُ: هـل تحـــفــظـــينَ عـــهْ
ـــــديْ إذا ضـــاع عـــسْــجـــدي؟
فــــأجــــابتْ بــــرِقَّـــــة
أنت، مــــا عـــشت، ســــيِّــدي
كـــنت كـــالـــشـــمس في الـــغـــنى
أم فـــقـــيـــراً كَـــجُـــدْجُـــد
حـــســـنـــاً.. قـــلتُ ضـــاحـــكـــاً:
يـــا مـلاكـي وفَـــرْقَـــدي
إنمــــــا هـلْ يـــــدومُ لـي
حـــبُّك الـــمُـــشْـــرِقُ الـــنَّـــدي
إن حـــنَـى الـــدهـــرُ قـــامـــتي
ومـــحـــا الـــشـــيبُ أسْـــودي
وانـــطـــوى رونـقُ الـــصـــبـــا
مـــثلَ بـــرقٍ بـــفَـــدْفَـــد[1]

---

(١) الفلاة التي لا شيء فيها

قــــــالــت: الــــــشـكُّ آفــــــةُ الْـ
ـــــحبِّ فـــانْـــبُـــذه تـــســـعـــد
لـــيس حُـــبِّـــيكَ لــــلـــصـــبـــا
لـــــســت فـــــيـه بــــــأوحــــــد
بَـلْ لمـــــا فـــيك من صـــــفـــــا
تٍ ومـن طـــــيبِ مـــــحــــــتـــــد
قــــــــلـتُ والـــــــشّـكُّ رائـحٌ
فـي ضــــمــــيــــري ومُــــغــــتــــد:
وإذا غَــــالـــــــنـي الحــــمــــا
مُ وأصـــــبــــحــتُ فـي غــــــد
جُــــثّــــةً لــــفَّــــهـــا الــــثَّــرى
بـــــالـــــظلامِ المـــــؤبَّــــــد
لـــيس فـــيـــهـــا لـــصـــاحبٍ
أرَبٌ أو لحُــــــــــــسَّـــــــــــد
وســـــرى الـــــدودُ حـــــولـــــهـــا
يـــتـــغـــذّى ويـــعـــتـــدي
ومـــــــررتِ الـــــــغـــــــداةَ بـي
فـــمـــررتِ بـــجـــلْـــمـــد[1]
ونَــــــظَـــــرتِ فــــــلـم تَـــــريْ
غــــيــــر عـــــظْمٍ مُـــــجــــرَّد
بـــعـــثـــرتْهُ يـــدُ الـــبِـــلَى
كـــنـــفـــايـــات مـــوقِـــد
هـلْ تحـــبـــيـــنـــي إذنْ
لخـلالـي ومــــــحْــــــتــــــدي؟

---

(١) الجلمد والجلمود. الصخر

ويْكَ! صاحتْ ودمعُها

كجُمانٍ[١] مُبدَّد

كم تظنُّ الظّنونَ بي

أيها الزائغُ اهْتَد

أُشهِدُ الصبح فائضاً

في مروجِ الزَّبَرجد[٢]

أُشهِدُ الليلَ لابساً

طَيلَسانَ التَّمرُّد

أُشهِدُ الغيثَ مُعطياً

أُشهِدُ الحقلَ يجتدي

وذواتِ الجناحِ من

باغمٍ[٣] أو مُغَرِّد

والأزاهير والشذا

في وِهادٍ وأنجُد

أُشهِدُ الأرض والسما

أُشهِدُ اللهَ موجِدي

سوف أحيا كما ترى

للهوى والتوجُّد

فأناجيكَ في الضُّحى

وهو أمراسُ عسْجد[٤]

---

(١) اللؤلؤ.

(٢) الجوهر المعروف (لعله: الزمرّد).

(٣) البغام: الصوت.

وأناجيك في المسا
والأصيلِ المورَّد

في الرُّبا تخلعُ الجما
لَ بُروداً وترتدي

والسَّواقي لها غنا
ءُ كألحانِ (مَعْبد)[1]

والعصافيرِ أقبلتْ
نحوها للتبرُّدُ

أسهرُ الليلَ وحشةً
بفؤادٍ مشدَّد

وإذا نمْتُ نمتُ كي
يطرقَ الطَّيفُ مرقَدي

فيظلُّ الهُيامُ بي
ينتهي حيثُ يبتدي

وبحزنٍ تنهَّدتْ
فاسْتجاشتْ تنهُّدي

فاعتنقنا سُويعةً
مثلَ جفنَيْ مسهَّد

✡✡✡✡✡

أفْلت الأمسُ هارباً
وغدٌ؟ ليس من غد!

صرتُ وحدي وليس لي
أربٌ في التَّوحُّد

يا نديمي إلى الكُؤو
سِ ويا مُنشدُ انْشُد

---

(١) من مغنّي العصر الأموي.

زدْ لي الخمر كأسًا
قلتُ: «يا صاحبي زِد»
لا تقلْ أيُّ موسمٍ
ذا، فذا يومُ مولدي!
أنا، ما زلتُ في الحيا
ة، لي شبابي وسُؤددي
ولُجيني وعسْجدي
وخلالي ومحتدي
إنمّا «تلك» أخلفتْ
قبلَ لَيْلينِ موعدي
لم تَمُتْ لا، وإنما
أصبحتْ في سوى يدي!

✡✡✡✡✡

آفةُ الحبِّ أنه
في قلوبٍ وأكبُد
فهو كالنارِ لم تدُمْ
في هشيمٍ لموقِد!

****

٤٠ ـ الشباب والحب

[الطويل]

بكيت الصبا من قبلِ أن يذهب الصبا
فيا ليت شعري ما تقولُ إذا ولّى؟
توهَّمتَهُ يبقى إذا أنت صُنتَهُ
عن الشفة الحمراء والمُقْلة الكحلا
وخلت الهوى جهلاً فلم يكُنِ الهدى
أخيراً سوى الأمرِ الذي خلْتَهُ جهلا
خشيت عليه أن يطوحهُ الهوى
فألقاك هذا الخوفُ في الهوَّةِ السُّفلى
أتُلجمُ ماءَ النهرِ عن جريانه
مخَافةَ أنْ يفنى؟ إذن فاشربِ الوحلا
سيبلَى الصبا مهما حرصْت على الصِّبا
فدعْهُ يذوقُ الحبَّ من قبْلِ أنْ يبلَى

✡✡✡✡✡

فما ديمةٌ صبَّتْ على الصخرِ ماءَها
فما أنبتتْ زهراً ولا أطلعتْ بقلا
بِأضيع من بُرْد الشباب على امرئٍ
إذا استطعمَتْهُ النفسُ أطعمها العذْلا
فلا تكُ مثلَ الأقحوانة راعها
من الحقل أن تُجْنى فلم تسكُنِ الحقلا
وأعجبها الوادي فلاذتْ بقاعه
فجاءَ عليها السيلُ في الليل واستتلى

فما عانقتْ نور الكواكبِ في الدُّجى

ولا لثمتْ فجراً ولا رشفتْ طَلاّ

وزالتْ فلم يستشْعرِ النورُ والندى

على فَقْدها غمّاً كأنْ لم تكن قبلا

ولا تكُ كالصَّدّاحِ إذ خالَ أنه

إذا ادّخَر الألحانَ أكسبها نُبلا

فضنَّ بها والشمسُ تنثرُ تبْرها

وفضَّتَها والأرضُ ضاحكةٌ جذْلى

فلمّا مضى نورُ الربيعِ عن الرُّبا

ودبَّ إلى أزهارها الموتُ مُنسَلا

تحفَّزَ كي يشدو فلمْ يلقَ حولَهُ

سوى الورَقِ الهاوي كأحلامه القتلى!

****

٤١ - الغابة المفقودة

[السريع]

يا لهفةَ النَّفسِ على غابة
كنتُ وهنداً نلتقي فيها
أنا كما شاءَ الهوى والصبا
وهي كما شاءتْ أمانيها
تكادُ من لُطْفٍ معانيها
يشربُها خاطرُ رائيها
آمنتُ بالله وآياته
أليس أنّ الله باريها؟

✡✡✡✡✡

نُباغتُ الأزهار عند الضُّحى
متَّكئاتٍ في نواحيها
ألوى على الزنْبقِ نَسرِينُها
والتَفّ عاريها بكاسيها
واختلجتْ في الشمس ألوانُها
كأنّها تذكرُ ماضيها
تآلفتْ فالماءُ من حولها
يرقصُ، والطيرُ تُغنِّيها
منْ لقّنَ الطير أناشيدها؟
وعلَّمَ الزهر تآخيها؟
يا هندُ هذي مُعجِزاتُ الهوى
وإنّها فينا كما فيها

لا يستحي الزهرُ بإعلانها
فما لنا نحن نُواريها؟
وتهتفُ الطيرُ بها في الرُّبا
فما لنا نحن نُعميها؟
لله في الغابة أيّامُنا
ما عابَها إلاّ تلاشيها
طوراً علينا ظلُّ أدواحها
وتارةً عطفُ دواليها
وتارةً نلهو بأعنابِها
وتارةً نُحصِي أقَاحيها
تسكتُ إذ نشكو شَحاريرُها
كأنّما التغريدُ يُؤذِيها
وإنْ تَضاحكْنا سمعنا الصَّدى
يضحكُ معْنا في أقاصيها
وإن مشينا فوق كُثْبانها
لاحتْ فَشاقَتْنا أدانيها
وفوقَنا الأغصانُ معقودةٌ
ذوائبُ طالَ تدلِّيها
إذا هزَزْناها على غرَّةٍ
ألقتْ من الذُّعرِ لآليها
نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ
نكتشفُ الأرض ونطويها
والنورُ عطرٌ في تعاريجِها
والعطرُ نورٌ في حواشيها
وتختَبي هندُ فأشتاقها
وأختَبي عنها فأُغْريها

كم أوهـمـتْـني الخـوف من طـارئٍ
تُـشـجي بـذا نـفـسي فـتُـشـجِـيـهـا
فـرُحتُ أعـدو نـحـوهـا مُـشـفـقـاً
فـكـان مـا حـاذرتُ تـمـويـهـا!
فـاعـجبْ لأطـواري وأطـوارِهـا
تـعـبثُ مـنّي وأُجـاريـهـا!

☆☆☆☆☆

الـلـهَ لـو دام زمـانُ الـهـوى
ودام من هـنـدٍ تجـنِّـيـهـا
لا غـابـتي الـيـوم كـعـهـدي بـهـا
ولا الـتي أحْـبـبْـتُـهـا فـيـهـا
ولا تـلالٌ كـنـهـود الـدُّمَى
ولا سـفـوحٌ كـتَـراقـيـهـا[1]
ولا الـنـدى در عـلى عُـشـبِـهـا
ولا الأقـاحي في روابـيـهـا
ولا الـضُّـحى يُـلـقي عـلى أرضِـهـا
شـبـاكَ تـبْـرٍ مِن أعـالـيـهـا
أهـبـطَـنِي أمسِ إلى حـضْـنـهـا
شـوقي إلى سـجْـعِ قُـمـاريـهـا[2]
فـلـم تـخـمـشـني بـأوراقـهـا
ولم تـهـلِّلْ لي سـواقـيـهـا
قـد بـدّلَ الإنـسـانُ أطـوارهـا
واغـتـصب الـطـيـرُ مـآويـهـا

---

(١) الترقوة: العظم بين ثغرة النحر والعاتق.
(٢) القُمري: طائر يشبه الحمام (والجمع: القماري).

وفتّ بـــالـــبـــارود جُـــلـــمـــودهـــا
واجـــتثّ بـــالـــفـــأسِ دوالـــيـــهـــا
وشـــاد من أحـــجـــارِهـــا قـــريـــةً
ســكّـــانُـــهـــا الـــنـــاسُ وأهـــلـــوهـــا
يـــا لـــهـــفـــةَ الـــنـــفسِ عـــلـى غـــابـــة
كـــنتُ وهـــنـــداً نـــلـــتـــقي فـــيـــهـــا
جـــنّـــةُ أحـــلامـي وأحـــلامـــهـــا
ودارُ حـــبي وتـــصـــابـــيـــهـــا
نـــبـــكي من الـــيـــأس عـــلى شـــوكـــهـــا
وكـــان يُـــدمـــيـــني ويُـــدْمـــيـــهـــا
كـــانت تُـــغـــطّـــيـــنـــا بـــأوارقِـــهـــا
فـــصـــارتِ الـــدُّورُ تـــغـــطّـــيـــهـــا!

****

٤٢ - أبو غازي

[الوافر]

أبَا غازِي السَّلامُ عليك منّا
وعفواً أيّها الملكُ الهُمامُ

فما ضاقَ الكلامُ بنا ولكنْ
وجدْنا الحزنَ أرخصُهُ الكلام

وخطبُك لا يفيهِ دَمْعُ باكٍ
ولو أنّ الذي يبكي الغَمام

ونحن أحقُّ أن نُبكَى ونُرثَى
فموتُك من بني العُرْبِ انتقام

خبا نبراسُنا، والليلُ داجٍ،
وموجُ الحادثاتِ له الْتطَام

وكنت لنا الدليلَ، فغبت عنّا
وكنت حُسامنَا، فنَبا الحُسام!

كأنّك قد وتَرْت الموت قدْماً
وهابَك في كنانتك السهام

فدبَّ إليك مثلَ اللصِّ ليلاً
وكان الموتُ ليس له ذمام

طَوى الدنيا نعيُّكَ في ثوانٍ
فريع البيتُ والبلدُ الحرام

و «دجلةُ» كالطعينِ له أنينٌ
وفي «بردى» الْتياعٌ واضْطرام

ورُحــنــا بــين مــصْــعــوقٍ وســاهٍ
كَــمنْ صــرَعَتْ عــقــولَــهمُ الــمُــدام
كــأنّ الأرض قــد مــادتْ وفُــضَّتْ
عن المــوتى الــصــفــائحُ والــرجــام[1]
فَــمْن لــلــبــيضِ[2] والجُــرْد المــذاكي[3]؟
و «فــيــصلٌ» بــات يــحــويه الــرَّغــام[4]
ومن لــلــحقِّ يــنــشــرُه لــواءً
به لــلــنــاس هــدْيٌ واعــتــصــام
تــوارى المجــدُ في كــفَنٍ ولحْــد
وغــابتْ في الــتُّــرابِ مُــنى عــظــام
مــضى وحــديــثُهُ في الــنــاس بــاقٍ
كــعُــمــرِ الــشَّــمسِ لــيس له انْــصــرام
فــيــا جــدَثــاً حــواهُ لــست قــبــراً
ولــكن أنت في الــدنــيــا وِســام

✡✡✡✡✡

حــيــاتُك « يــا أبــا غــازي « حــيــاةٌ
كــفَــصْلِ الــصــيف: زهــرٌ وابــتــســامُ
وقــد تُــحــصى الــكــواكبُ والأقــاحي
ولا تُــحــصى أيــاديك الجِــســام
مــددت إلى مُــنى الــعــربِ الــغَــوافي
يــداً، فــتــفــتّــقَتْ عــنــهــا الــكــمــام
وأمــســى بــنــدهُمْ[5] وله خُــفــوقٌ
وأمــســى عــقــدهمْ وله نــظــام

(١) حجارة ضخام تجمع على القبور.
(٢) البيض: السيوف.
(٣) الجرد المذاكي: الخيل الأصيلة.
(٤) التراب.
(٥) العلم أو الراية.

وكم أسقمت جسمَكَ كي يصحُّوا
وحالفت السُّهاد وهمْ نيام
وكم جازيت عن شرٍ بخيرٍ
وكم جازاك بالغدرِ الأنام
خُذلت فما عتبت على صديقٍ
ولم تحنقْ وقد كثُر المَلام
وكم قد فُزت في حربٍ وسلمٍ
فلم يلعبْ بِعطفيك العُرام[1]
خلائقُ من له عِرْقٌ كريمٌ
وخطّةُ من له قلبٌ عصام
خذوا الخُلُقَ الرفيع من الصَّحارى
فإنّ النفس يُفسدُها الزِّحام
وكم فقَدتْ جلالتَها قصورٌ
ولم تفقدْ مروءتَها الخيام

✡✡✡✡

وقالوا اندكَّ عرشُك في دمشقٍ
كأنّ العرش أخشابٌ تُقامُ
وكيف تهدُّ سُدَّتكَ العوالي
ولم يسلبْكَهَا الموتُ الزؤام
فما كان انتصارهمُ علاءً
ولا كان انكسارُك فيه ذامُ
إذا لم تَنْصُرِ الأرواحُ مُلْكاً
فأحسنُ ما حوى جثثٌ وهام
وما زالتْ لك الأرواحُ فيها
وما زالتْ عشيرتُك الشآم

---

(١) الحدّة والشرس.

تـــصـــفِّقُ لاســمكَ الأمــواهُ فــيــهــا
ويــهــتفُ في خَــمــائــلــهــا الحــمــام
ويـــذكــرُ أهــلُــهــا تــلك الــســجــايــا
فـــيُـــشـــرقُ من تـــذكُّـــرِهـــا الـــظلام
ولـــــيس أحبَّ من حُـــــرٍّ مُـــــؤاسٍ
إلى شـــعبٍ يُــســـاءُ ويُـــسْـــتَـــضـــام

☼☼☼☼

فـقلْ لـلـسـاخـطـينَ عـلى الـلـيـالي
ومَنْ ســكــنــوا عــلى يــأسٍ ونــامــوا
ســيــنــحــســرُ الــضَّــبــابُ عن الـروابي
ويـــبــدو الـــوردُ فـــيــهـــا والخُـــزَام
ويــصـــفـــو جــوُّنـــا بـــعــد انــكــدارٍ
ويــسْــقِي أرضَــنـــا المــطــرُ الــرهــام[1]
ونـــرجِعُ أمَّـــةً تُـــرجى وتُـــخـــشَى
وإنْ كَـــرِه الـــزَّعـــانفُ والـــطَّـــغَـــام

****

(١) الرهمة: المطر الدائم الصغير القطر.

٤٣ - فلسطين

[المتقارب]

ديـــارُ الـــسَّلامِ، وأرضُ الـــهـــنـــا
يـــشقّ عـــلـى الـــكلّ أن تَـــحْـــزَنَـــا
فَـــخـــطْبُ فـــلـــســـطـــينَ خـــطبُ الـــعُلا
ومـــا كـــان رزءُ الـــعُلا هـــيِّـــنـــا
ســـهِـــرْنـــا لـه فـــكـــأنّ الـــســـيـــوف
تَـــحـــزُّ بـــأكـــبـــادنـــا هـــهـــنـــا
وكـــيف يـــزورُ الـــكـــرى أعـــيُـــنـــاً
تـــرى حـــولَـــهـــا لـــلـــرَّدى أعـــيُـــنـــا؟
وكـــيف تـــطـــيبُ الحـــيـــاةُ لـــقـــومٍ
تُـــســـدُّ عـــلـــيـــهـــمْ دروبُ المـــنـى
بلادهـمُ عُـــرْضـــةٌ لـــلـــضَّـــيـــاعِ
وأمّـــتـــهـمْ عُـــرْضـــةٌ لـــلـــفـــنـــا
يُـــريـــدُ الـــيـــهـــودُ بـــأنْ يـــصـــلـــبـــوهـــا
وتـــأبى فـــلـــســـطـــينُ أن تُـــذعـــنـــا
وتـــأبى المـــروءةُ في أهـــلـــهـــا
وتـــأبى الـــسُّـــيـــوفُ، وتـــأبى الـــقـــنـــا
أأرض الخـــيـــالِ وآيـــاتـــه
وذات الجـلالِ، وذاتُ الـــسَّـــنـــا
تـــصـــيـــرُ لـــغـــوغـــائـــهمْ مـــســـرحـــاً
وتـــغـــدو لـــشُـــذّاذهـمْ مـــكْـــمـــنـــا

✡✡✡✡

بـنـفـسي «أردنُّـهـا» الـسـلـسـبـيلُ
ومـنْ جـاوروا ذلـك الأُردُنـا
لـقـد دافـعـوا أمسِ دون الحـمى
فـكـانتْ حـروبُـهمُ حـربـنـا
وجـادوا بـكلّ الـذي عـنـدهمْ
ونـحن سـنـبْـذُل مـا عـنـدنـا
فـقلْ لـلـيـهـود وأشـيـاعـهم
لـقـد خَـدعـتْـكمْ بُـروقُ الـمُـنى
ألا لـيت «بـلـفـور»[1] أعـطـاكمُ
بـلاداً لَـهُ لا بـلاداً لـنـا
«فـلـنـدنُ» أرحبُ من قُـدْسـنـا
وأنـتمْ أحبُّ إلـى «لُـنـدنـا»
ومـنَّـاكُمُ وطـنـاً في الـنـجـومِ
فـلا عـربي بـتـلك الـدُّنـا
أيَـسـلُبُ قـومـكُمُ رشـدهمْ
ويـدعـوهُ قـومُـكمُ مـحـسـنـا!
ويـدفعُ لـلـمـوت بـالأبـريـاء
ويـحـسـبُهُ مـعـشـرٌ ديـنـا!
ويـا عـجـبـاً لـكم تـوغـرونَ
عـلى الـعربِ «الـتـامزَ والـهُدسُـنَـا»[2]
وتـرمـونـهمْ بـقـبـيحِ الـكلامِ
وكـانـوا أحقّ بـضـافي الـثَّـنـا
وكلُّ خـطـيـئـاتـهمْ أنَّـهم
يـقـولـونَ: لا تَـسْـرِقـوا بـيـتَـنـا

---

(١) اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد الذي وجهه إلى الثري اليهودي (روتشيلد).

(٢) نهر التايمز في بريطانيا والهدسُن: في أمريكة.

فليست فلسطينُ أرضاً مشاعاً
فَتُعطَى لمن شاء أن يسكُنا
فإنْ تطلبوها بسُمرِ القنا
نردُّكمُ بطوالِ القَنا
ففي العربي صفاتُ الأنام
سوى أن يخاف وأن يجبُنا
وإن تحجلوا بيننا بالخداعِ
فلن تَخدعوا رجلاً مؤمنا
وإن تهجُروها فذلك أولى
فإنّ «فلسطينَ» مُلْكٌ لنا
وكانتْ لأجدادنا قَبْلَنا
وتبقى لأحفادنا بعْدَنا
وإنّ لكمْ بسواها غنى
وليس لنا بسواها غنى
فلا تحسبوها لكُمُ موطناً
فلم تكُ يوماً لكمْ موطنا
وليس الذي نبْتَغيه مُحالاً
وليس الذي رُمتمُ مُمكنا
نصحناكمُ فارعوُوا وانبُذوا
«ببلفور» نيّالك الأرعنا
وإمَّا أبيتمْ فأُوصيكمُ
بأنْ تحملوا معْكُمُ الأَكْفُنا
فإنّا سنجعلُ من أرضها
لنا وطناً ولكمْ مدفَنا!

****

٤٤ - الغبطة فكرة

[مجزوء الرمل]

أقبلَ العيدُ، ولكنْ ليس في الناس المسرَّةْ
لا أرى إلاّ وجوهاً كالحاتٍ مُكْفَهِرّه
كالرَّكايا[١] لم تَدعْ فيها يدُ الماتحِ قطره
أو كَمثْلِ الروضِ لم تتركْ به النكباءُ[٢] زهره
وعيوناً دنَّقت[٣] فيها الأماني المسْتَحِرَّه[٤]
فهْي حيْرى ذاهلاتٌ في الذي تهوى وتكره
وخدوداً باهتاتٍ قد كساها الهمُّ صُفره
وشفَاهاً تحذرُ الضحك كأن الضّحكَ جمْره
ليس للقومِ حديثٌ غير شكوى مُسْتَمِرَّه
قد تَساوى عندهمْ لليأس نفعٌ ومضرّه
لا تسَلْ ماذا عرَاهُمْ، كلُّهمْ يجهلُ أمره
حائرٌ كالطَّائرِ الخائف قد ضيّع وكْره
فوقَهُ البازيُّ، والأشْرَاكُ في نجْدٍ وحُفره[٥]
فهو إنْ حطَّ إلى الغبراءِ شكَّ السَّهمُ صدره
وإذا ما طار لاقى قَشْعمَ[٦] الجو وصقره
كلُّهم يبكي على الأمس ويخشَى شر «بُكْره»

---

(١) الركيّة: البئر.
(٢) الريح.
(٣) دنّقت العين: غارت، والوجه هزل.
(٤) المرتفعة الحرارة لقوّتها (المستعرة).
(٥) يريد الأرض العالية، والحفرة الغائرة في الأرض.

فهمُ مثلُ عجوزٍ فقَدتْ في البحرِ إبْره

أيُّها الشَّاكي الليالي إنما الغبطةُ فكْره

ربما اسْتوطنتِ الكوخَ وما في الكوخ كَسْره

وخلتْ منها القصورُ العالياتُ المُشْمخرَّه

تلمسُ الغصن المعرَّى فإذا في الغصن نَضْره

وإذا رفّتْ على القَفْرِ استوى ماءً وخُضره

وإذا مسّتْ حصاةً صقلتْها فهي دُرّه

لك، ما دامتْ لك، الأرضُ وما فوق المجرّه

فإذا ضيَّعتَها فالكونُ لا يعدلُ ذرّه

أيها الباكي رويداً لا يسدُّ الدمعُ ثُغره

أيها العابسُ لن تُعطى على التقطيبِ أُجْره!

لا تكن مُرّاً، ولا تجعلْ حياةَ الغيرِ مُرَّه

إنّ من يبكي له حولٌ على الضّحك وقُدْره

فتهلّلْ وترنّمْ فالفتى العابسُ صخره

سكنَ الدهرُ وحانتْ غَفلةٌ منه وغرّه

إنه العيدُ.. وإن العيد مثلُ العُرْسِ مرّه

****

٤٥ ـ الفتى الأفضل (معرّبة)

[المتقارب]

مـــضـى زمـنٌ كــــان فـــيـه الـــفـــتـى
يُـــبـــاهـي بمـــا قـــومُه أثَّـــلـــوا[١]

ويـــرفـــعُهُ في عـــيـــونِ الأنـــامِ
ويـــخـــفضُ من قَـــدرِه الـــمُـــنْـــزِلُ

فلا تـــقـــعـــدنْ عن طلابِ الـــعُلا
وتـــعـــذِلْ بلادكَ إذ تُـــعـــذل[٢]

فــــإنَّ الخلائقَ حـــتـى عــداكَ
مـــتـى مـــا سـبـقـتـهمُ هـلّــلوا

فـثـابـرْ بـجِـد عـلـى نَـيْـلـها
فـلـيس يـخـيبُ الـذي يـعـمل

وكن رجلاً نـاهـضـاً يـنـتـمي
إلى نـفـسه عـنـدمـا يُـسـأل

فـلـست الـثـيـاب الـتي تـرتـدي
ولـست « الأسـامي » الـتي تحـمل

ولـست الـبلاد الـتي أنـبـتـتْك
ولـكـنـمـا أنت مـا تـفـعـلُ

إذا كُـنـت مـن وطنٍ خـامـلٍ
وفُـزت فـأنت الـفـتـى الأفـضـل

****

---

(١) من الأثلة: وهي أصل كل شيء. والتأثيل: التعظيم والتمكين.
(٢) من العذل: اللوم.

٤٦ - مَنْ أنا

[المتقارب]

أنـــا، من أنـــا يـــا تُــرى، فـي الــوجــود؟
ومـــا هُـــو شـــأني ومـــا مـــوضـــعي؟

أنـــا قـــطـــرةٌ لمـــعتْ في الـــضـــحى
قـــلـــيلاً عـــلى ضـــفّـــة الـــمـــشْـــرعِ[1]

ســـيـــأتي عـــلـــيـــهـــا المـــســـاءُ فـــتـــغـــدو
كـــأن لم تُـــرقـــرِقْ ولم تـــلـــمـــعِ

أنـــا نـــغـــمـــةٌ وقّـــعـــتْـــهـــا الحـــيـــاةُ
لمنْ قـــد يـــعـــي ولمنْ لا يـــعـــي

ســـيـــمـــشي عـــلـــيـــهـــا الســـكـــوتُ فـــتُـــمـــسي
كـــأنْ لم تـــمـــر عـــلـــى مـــســـمـــع

أنـــا شـــبـــحٌ راكـــضٌ مُـــســـرعٌ
مـــع الـــزمـــنِ الـــراكـــضِ الـــمُـــسْـــرِع

ســـيُـــرخَـــى عـــلـــيـــه الـــســـتـــارُ ويـــخـــفـــى
كـــأن لم يـــجِـــدَّ ولم يُـــهْـــطِـــعِ[2]

أنـــا مـــوجـــةٌ دَفـــعـــتـــهـــا الحـــيـــاةُ
إلـــى أوســـعٍ فـــإلـــى أوســـع

ســـتـــنـــحلُّ في الـــشـــطِّ عـــمـــا قـــلـــيلٍ
كـــأنْ لم تَـــدفَّـــعْ ولم تُـــدفَـــع

---

(١) يريد. مشرعة الماء، مورد الشاربة.
(٢) أهطع في عدوه: أسرع.

فيا قلبُ لا تغترِرْ بالشَّبابِ
ويا نفسُ بالخُلْد لا تطمعي
فإن الكهولةَ تمضي كما
تولّى الشبابُ ولم يرجعِ
ولكنّ فيها جمالاً بديعاً
وفيها حنينٌ إلى الأبدع
ومن لا يرى الحُسن في ما يراهُ
فما هو بالرجلِ الأَلمعي
بني وطني من أنا في الوجود،
وما هو شَأني وما موضعي؟
أنا أنتمُ إن ضحكتمْ لأمرٍ
ضحكتُ، وأدمعُكمْ أدمعي
ومُطربُ أرواحكُمْ مُطربي
وموجِعُ أكبادكُمْ مُوجِعي
أما نحن منْ مصدرٍ واحدٍ
ألسنا جميعاً إلى مرجِع؟
رفعتمْ مُقامي وأعليتُموهُ
لمّا قد صنعتُ ولم أصنعِ
أحقُّ بإكرامكمْ طائرٌ
يُغرّدُ في الروضِ والبلْقَع
وأولى به كوكبٌ طالعٌ
على سُهّدٍ وعلى هُجَّع
أنا واحدٌ منكمُ يا نجوم
بلادي، متى تَسْطَعوا أَسْطَع
فمن قام يمدحُني بينكمْ
فقد تُمدحُ الكفُّ بالإصبعِ

وما الغيثُ غيرُ الخضم، وليس
الغديرُ سوى السُحُبِ الهُمَّعِ[1]
فلولاكمُ لم أكنْ بالخطيبِ
ولا الشاعرِ السّاحرِ المبدع
أنا الآن في سكْرةٍ لا أعي
فيا ليتني دائماً لا أعي
فذي ليلةٌ بجميعِ الزمانِ
إذا كان في الدهرِ من أَجمع
فيا أيها الليلُ بالله قفْ
ويا أيها الصبحُ لا تطلُع
إذا كنتُ قد بِنْتُ عن مرْبعي
فإني وجدتُ بكم مرْبعي[2]
يميناً سأحملُ في أضلعي
هواكمُ ما بقيتُ أضْلُعي
وأشكرُكمْ بلسانِ النسائمِ
والروضِ والجدولِ المُتْرع
فلا عذر للطير إمّا رأى
جمالَ الربيعِ ولم يسجع
إذا لم أكنْ معكمْ في غَدٍ
فإني سأمضي وأنتمْ معي

****

(١) همع: سال.
(٢) المنزل والمحلّة.

٤٧ - كمنجة الشَّوَّا

[السريع]

كمنجةَ «الشَّوّا» عليك السَّلامْ
بهيكلِ الوحْيِ وعرشِ الغرامْ
فيك التقتْ أرواحُ أهل الهوى
نجوى وشكوى وبُكا وابتسام
وأودعتْ فيك الصَّبا همْسها
وخبّأَ الأسرار فيك الظلام
وذاب فيك الحبُّ ذوب النَّدى
في مبْسمِ[1] الورد وجفنِ الخُزام
رُدِّي إلينا اليوم دنيا الرؤى
فإننا نشقى بدنيا الحُطام
أجنحةُ الأشواقِ مقصوصةٌ
أو موثَقاتٌ، والأماني رِمام[2]
قد انقضى العمرُ وأرواحُنا
مفطومةٌ بالحرصِ، بئس الفطام
ننأى عن الحُسنِ ونشتاقُهُ
ونهجُرُ الماءَ ونشكو الأُوام[3]
ويبعثُ الحقلُ إلينا الشَّذا
ونحن لا نَنشقُ إلا الرَّغام[4]

---

(١) الثغر.
(٢) البقايا
(٣) العطش الشديد.

نسيرُ والأضواءُ من حولِنا
كأنَّنا في هبْوَةٍ أو قَتَام[1]

والماءُ يجري حولنا كوثراً
ونحن نستَسقي السَّحاب الجهام[2]

ونسهرُ الليلَ لغيرِ الهوى
ما تنفعُ اليقظةُ والقلبُ نام

حتى نَسيْنَا كيف لونُ الضحى
ولم نعدْ نذكرُ سجْع الحمام

خيرٌ من اليقظة عندي الكَرى
إن كانتِ الغبطةُ بنت المنام

خلْنا الهوى ترجعُ أيامُهُ
لم يرجعِ الحُبُّ ولا المالُ دام

فيا فتى «الشُّهباء» يا شاعراً
قد رفعَ الفنَّ لأسمى مقام

رجعت بالسحرِ وكان انطوى
وجئتنا بالوحيِ في غيرِ جام

هذا عصيرُ الوحيِ في آلةٍ
خرساءَ يجري فتَناً للأنام

فإن تجِدْنا حولها عُكَّفَاً
فالمنهلُ العذبُ كثيرُ الزِّحام

فدغْدغِ الأوتار لا تكترثْ
أن تذهب الفتنةُ بالإحْتشام

(١) الهبوة: الغبار، والقتام مثله.
(٢) السحاب الذي لا ماء فيه

سعادةُ الأَنفُسِ في نَشْوةٍ
من صورةٍ أو نغَمٍ أو مُدام
وقلْ لمن يحذَرُ أن يشتكي
ويحبِسُ الدمع لئلا يُلام
اسمعْ! فهذا وترٌ نائحٌ
وانظرْ! فهذا خشبٌ مُسْتَهام

✡✡✡✡

نيويوركَ! يا ذات البروجِ التي
سمتْ وطالتْ كي تَمسَّ الغَمامْ
لن تَبلُغي والله باب السَّما
إلا بأوتارِ كنارِ الشَّآم
فاصغِي إلى ألحانه لحظةً
تحتقري كلَّ صنوف الكلام
وتدركي أن قص[illegible]مُغنى
تبقى وتتهدُّ قصورُ الرجام[1]
فرحبي معنا به واهتفي:
هذا أميرُ الفنِّ، هذا الإمام!

****

(١) حجارة ضخام قد تجمع على القبر.

٤٨ ـ إذا

[الهزج]

إذا جـــدّفت جُـــوزِيت عـــلى الـــتَّـــجــديف بـــالـــنَّـــارِ
وإن أحـــبـــبـــت عُـــيـــرت من الجَّـــارةِ والجَّـــار
وإن قـــامـــرت أو راهـــنت في الـــنَّـــادي أوِ الـــدَّار
فـــأنت الـــرجلُ الآثمُ عـــنـــد الـــنـــاسِ والـــبـــاري

✡✡✡✡

وإنْ تَـــســـكَـــرْ لـــكي تـــنـــسى هـــمـــومـــاً ذات أوقـــارِ
خـــســـرت الـــدينَ والـــدنـــيـــا ولم تـــربحْ ســـوى الـــعـــار

✡✡✡✡

وإنْ قـــلـــت: إذنْ فـــالـــعـــيشُ أوزارٌ بـــأوزارِ
وإنَّ المـــوت أشـــهـــى لي إذا لـــم أقْـــضِ أوطـــاري
وأســـرعت إلى الـــسَّـــيف أو الـــسُّـــمّ أو الـــنَّـــار
لـــكي تـــخـــرج من دنـــيـــا ذووهـــا غـــيـــرُ أحـــرار
فـــهـــذا المـــنـــكَـــرُ الأعـــظمُ في ســـرٍّ وإضْـــمـــار
إذن فـــاحْي ومتْ كـــالـــنَّـــاسِ: عـــبـــداً غـــيـــر مُـــخـــتـــار!

****

٤٩ - شبح

[الكامل]

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين، قالها في حفلة.

بــأبي خــيــالٌ لاح لـي مــتــلــفِّــفــاً
بــعــبــاءةٍ من عــهْــد فــخــر الــدينِ
يمــشي عــلى مــهَلٍ ويُــرسلُ طَــرْفَهُ
في حــيْــرةِ المــســتــوحشِ المحــزون
من أنت يا شــبـحـاً كـئـيـبـاً صـامـتـاً؟
قل لـي فــإنّك قــد أثــرت شُــجــوني
أخــيــالُ خَــصــمٍ أتّــقي نَــزواته؟
أم أنت يــا هــذا خــيــالُ خَــدينِ؟
فــأجــابـني مــتــرفّــقــاً مــتــحــبــباً
فــســمــعتُ صــوت أبٍ أبــر حــنــون

✡✡✡✡

يــا شــاعــري قل لـلأُلَى هــجــروني
أنــا مــا نــســيــتــكُمُ فلا تــنــسُــوني
مــا بــالــكمْ طــوّلــتمُ حــبلَ الــنَّــوى
يــا لــيت هــذا الحــبلَ غــيــرُ مــتــينِ
قــد طُــفْــتمُ الــدنــيــا فــهلْ شــاهــدتمُ
جــبَلاً عــلــيه مــهــابــتي وســكــوني؟
أوَرُدتمُ كــمــنــاهــلي؟ أنــشَــقــتمُ
كــأزاهــري في الحُــسنِ والــتــلــوين؟
ولــقــد تــظَّــلــتمْ بــأشــجــارٍ فــهل
رفَّتْ غــصــونٌ فــوقــكمْ كــغُــصــوني؟

وسمعتُمْ شَتَّى الطيورِ صوادحاً
أسمعتمُ أشجى من الحسُّونِ؟[1]

هل أنبتت كالأرزِ غيريَ بُقعةٌ
في مجْده وجلاله الميمونِ؟

أرأيتمُ، في ما رأيتمْ، فتنةً
كالبدرِ حين يُطلُّ من صنِّين؟[2]

أو كالغزالة وهي تنفضُ تبْرها
عند المغيبِ على ذُرا حرْمون؟[3]

مرّت قرونٌ وانطوتْ وكأنَّني
لمحاسِني كُوِّنتُ منذ سنين

أبليْتُها وبقيتُ، إلاّ أنّني
للشوقِ كاد غيابكمْ يُبْليني

✡✡✡✡✡

لبنانُ! لا تعذلْ بنيك إذا همُ
ركبوا إلى العلياء كلَّ سفينِ

لم يهجُروكَ ملالةً لكنّهمْ
خُلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون

وَرَثُوا اقتحام البحرِ عن فينيقيا
أمِّ الثقافة مصْدرِ التَّمدين

لمّا ولدتَهمُ نسوراً حلّقوا
لا يقنعونَ من العُلا بالدُّون

والنَّسْرُ لا يرضى السجونَ وإنْ تكنْ
ذَهباً، فكيف محابسٌ من طين

---

(١) الطائر الحسن الصوت.
(٢) الجبل، في المتن الشمالي من لبنان.
(٣) الجبل (حرمون).

الأرضُ للحشراتِ تزحفُ فوقها
والجوّ للبازيّ والشّاهين[1]

☆☆☆☆☆

فأجابني والدمعُ ملءُ جفونه
كم ذا تسلّيني ولا تُسْليني؟[2]
أنا كالعرينِ اليوم غاب أُسودُهُ
وتفرّقوا عنه لكلّ عرين
الأرمنيُّ على سفوحي والرُّبا
يبني الحصونَ لنفسه بحصوني
وبنو يهوذا ينصبونَ خيامهُمْ
في ظلّ أوديتي وفوق حُزوني[3]
وبنِي عني غافلون كأنّني
قد صرتُ في الأشياء غير ثمين
أنتمْ ديونٌ لي على أميركا
ومن المروءة أن تُردّ ديوني
أو ليس من سُخرِ القضاء وهُزئه
أنْ يأخذَ المُثري من المسكين؟
عودوا فإنّ المالَ لا يُغنيكمُ
عنّي، ولا هو عنكمُ يُغنيني

☆☆☆☆☆

فشجِيتُ ممّا قالهُ لكنّني
لمّا رأيتكمُ نسيتُ شُجوني
لبنانُ فيكمْ ماثلٌ إن كنتمُ
في مصر أو في الهند أو في الصينِ

---

(١) من الطيور التي تُطلق للصيد.
(٢) أسلاه: كشف عن همه.
(٣) الحزْن: ما غلظ من الأرض.

إن بِـــنــتُمُ عــنه فــمـــا زال الـــهــوى

يُــدنــيــكمُ مــنه كــمـــا يُــدنــيــني

وحـــرَاكــكُمُ[1] لـــعَلائه وســكــونُــكُمْ،

وإلى ثَــراهُ حــنــيــنُــكُمْ وحــنــيــني

لــو أمــستِ الــدنــيــا لــغــيــري كــلُّــهــا

ورُبَـــاهُ لي، مـــا كــنــتُ بــالمــغــبُــون

أنـــا في حــمـــاكُمْ طـــائــرٌ مُــتَــرنِّمٌ

بـــين الأقـــاحِ الـــغض والـــنَّــسْــرين

أنـــتمْ بـــنـــو وطـــني وأنـــتمْ إخـــوتي

وأنـــا امـــرؤٌ دِينُ المحـــبـــة دِيـــني

****

---

(١) الحركة.

٥٠ - أنا وابني

[مجزوء الرمل]

قـــالَ إبـــني وهْـــو حـــيـــرانُ بمـــا يُـــحـــكى ويُـــقـــرا
كـــيف كـــان الـــلـهُ؟ إنّي قـــد وجـــدتُ الـــلـهَ ســـرّا
أســـمعُ الـــنـــاس يـــقـــولـــون به خـــيـــراً وشـــرّا
فـــأفـــدْني قـــلـتُ: يـــا ابـــني أنـــا مـــثْلُ الـــنـــاس طُـــرّا
لـي في الـــصـــحـــة آراءُ وفي الـــعـــلّـــة أخـــرى
كـــلّـــمـــا زحـــزحتُ ســـتـــراً خـــلـــتُـــني أُســـدلُ ســـتـــرا
لـــســـت أدرى مـــنك بـــالأمـــر ولا غـــيـــري أدرى!

☆☆☆☆☆

أَحْـــسبُ الـــلـهَ الـــذي صـــاغ من الـــذرّات صـــخـــرا
والـــذي شـــاء فـــصـــارتْ قـــطـــراتُ المـــاء بـــحـــرا
والـــذي شـــاءَ فـــضـــمّ الـــبـــحـــرُ أصـــدافـــاً ودُرّا
وأراد الـــضـــوء أجـــرامـــاً فـــصـــار الـــضـــوءُ زُهـــرا[1]
إنّ هـــذا الـــلـهُ لمّـــا شـــاء هـــذا كـــان « فـــكـــرا»

☆☆☆☆☆

ثمّ لـــمّـــا نـــظم الألـــوانَ في الأرض زهـــورا
ورأى أن يـــعـــلـن الحُبّ غـــنـــاءً وحُـــبـــورا
فـــتـــمـــشّى في حـــواشي الأرض ســـحـــراً وعُـــطـــورا
وتـــهـــادى في حـــواشي الأفقِ أطـــيـــافـــاً ونـــورا
عـــنـــدمـــا أوجـــد هـــذا كـــان « حـــسّـــاً وشُـــعـــوراً»

☆☆☆☆☆

(١) الأنجم الزهر. والزُّهرة هي الكوكب الأبيض.

من أحبَّ الــــلهَ جـــبّـــاراً وفـــتّـــاكـــاً وقـــاهـــرْ

فـــأنـــا أهـــواهُ رسّـــامـــاً وفـــنّـــانـــاً، وســـاحـــر

وأراهُ في الـــنـــدى والـــزهـــرِ والـــشـــهّبِ الـــسّـــوافـــرْ

فـــإذا الأنجمُ غـــارتْ وانـــطـــوتْ كلُّ الأزاهـــر

وتلاشى كلُّ مـــا أنـــشـــا وســـوّى من مـــنـــاظـــر

لاح لي في حـــســـنـــه الأكـــملِ في ديـــوان شـــاعـــر!

****

٥١ - عبد الله البستاني

[السريع]

يا ميتاً فيه جمالُ الحياةْ
ما حازَ منك اللحدُ إلاّ الرفاتْ
أنت الفتى الباقي بآثارهِ
ما أنت بالمرء إذا مات مات!
وكيف يمتدُّ إليك الردى
وذاتُكَ الحسناءُ في ألف ذات؟
إذا اختفى في الورد لونُ الضحى
فالذنبُ ذنبُ الأعينِ الناظرات
يصوِّحُ الزهرُ ويبقى الشَّذا
ويذهبُ المرءُ وتبقى الصفات

✡✡✡✡✡

يا نائماً أغفى عن التُّرّهاتْ
إني وجدتُ الموت في التُّرّهات
أإنْ مضى الشيءُ نقولُ انقضى
إذن فمنْ أين تجيءُ الحياة؟
أليس دنيا الصحْوِ دنيا الكرى
ومثلُ ظلّ العيش ظلُّ الممات؟
تُقسِّمُ الأشياءَ أفهامُنا
وليست النخلةُ إلا النواة
وفي الغد الأمسُ، ولكنّنا
للجهل قلنا: الدهرُ ماضٍ وآت

بـــعضُ الـــردى فـــيه نجـــاةُ الـــفـــتى
وربمـــا كـــان الـــرَّدى في الـــنـــجـــاة

✡✡✡✡✡

يـــا قَـــرويّـــاً عـــظُـــمتْ نـــفـــسُهُ
حـــتى تـــرضَّـــتـــهـــا نـــفـــوسُ الـــعُـــتـــاة
وحـــســـدتهُ الـــصـــيـــدُ في كـــوخه
وحـــســـدتْ قـــريـــتَهُ الـــعـــاصـــمـــات
تـــلك الـــســـجـــايـــا لم تـــزل بـــيـــنـــنـــا
ســـاطـــعـــةً كـــالأنجمِ الـــزاهـــرات
وعـــلـــمُك الـــزاخـــرُ بـــاقٍ لـــنـــا
مـــا بـــقـــيتْ في الأرض أمُّ الـــلـــغـــات
في أنـــفُسِ الـــنـــاسِ وألـــبـــابِـــهمْ
وفي بـــطـــونِ الـــسِّـــيـــرِ الخـــالـــدات
وفي تـــلامـــيـــذك أهـــلِ الحـــجـــا
والأدبِ الجمِّ الجـــمـــيلِ الـــســـمـــات
من شـــاعـــرٍ كـــالـــروضِ أشـــعـــارُهُ
تـــســـمعُ هـــمْس الحبِّ فـــيه الـــفـــتـــاة
وســـامـــرٍ تحـــســـبُ أقـــوالَه
مـــســـروقـــةً من مُـــقَل الـــغـــانـــيـــات
وكـــاتبٍ تُـــشـــرقُ ألـــفـــاظُه
كـــالـــدُّررِ المخـــتـــارةِ الـــمُـــنْـــتـــقـــاة
وصُـــحَّبٍ[1] أخـــلاقـــهمْ كـــالمـــنى
يـــروونَ عـــنك الحـــكَمَ الـــغـــالـــيـــات

---

(١) مثل عُجَّز وقُصَّر..

لم يـخـتَـرمْك المـوتُ يـا دوحـةً

بـاسـقـةً قـد خَـلَّـفتْ بـاسـقـات

✡✡✡✡✡

يـا حُـجّـةَ الـفُـصحى ودهـقـانَـهـا[1]

وبـحـرهـا الـطَّـامي وشـيخَ الـثِّـقـات

«الـضـادُ» من بـعـدك في مـأتَمٍ

حـاضـرُهـا والأعـصُـرُ الـغـابِـرات

فـلـيس في لـبـنـانَ غـيـرُ الأسى

ولـيس غـيـرُ الحـزنِ حـولَ الـفُـرات

فـمن يـعـزّي جـبلاً واحـداً

عـزّى الـرواسي في جـمـيع الجـهـات

✡✡✡✡✡

سـلـخـتَـهـا سـبـعـينَ من أجـلـهـا

في عـالـمِ الـطِّـرسِ ودنـيـا الـدُّواة

الـنـاسُ من حـولِكَ في قـيـلـهِمْ

وأنت كـالـعـابـد وقت الـصَّلاة

غَـنـيت (بـالـضَّـادِ) وأسـرارِهـا

عن الـغـواني والـطِّلا والـسُّـقـاة

أنت الـذي ردّ إلـيـهـا الـصِّـبـا

إنّ الـهـوى يـجـتـرحُ المـعـجِـزات

فـاخـتـلـجتْ أوضـاعُـهـا بـالمـنى

وجـاء مـاءُ الحُـسنِ في المـفـردات

ولَـهـجتْ بـاسـمك آفـاقُـهـا

وردّدتْـهُ في الـبـوادي الحُـدَاة

---

(١) التاجر (فارسي معرب).

وحنّت النوقُ إلى سمْعه
وطَربتْ من ذكرهِ الصافنَاتْ[1]

فيا شباباً يطلبونَ العُلا
إنّ العُلا للأنفُسِ الماضيات

ويا فقيراً يتمنّى الغنى
هلاّ تمنّيْت غنَى المكرُمات؟

ويا سرَاةً[2] يبذُلونَ اللُّهى[3]
هذا فقيرٌ كان يعطي السرَاة!

من روحه لا فيضِ أمواله
إنّ هباتِ الروحِ أسمى الهبات

لا يقتضي قاصده حمده
ويشكرُ العافي[4] الذي قال: هات

وإنْ مضى العافونَ عن بابه
سارتْ عطاياهُ وراء العُفاة

فكان كالكواكب يمشي على
ضيائه الركْبُ وذئبُ الفَلاة

وكان كالغيثِ إذا ما همى
أصاب في الأرض الحصى والنَّبات

وكان كالينبوعِ يرتادُهُ
ذو الشّيمِ الحسنى وذو السيِّئات

(١) يريد الخيل (والصافن منها: القائم على ثلاث).
(٢) السريّ: الرئيس (والجمع: سراة).
(٣) اللُّهوة: العطية، (والجمع: اللُّهى)
(٤) السائل: (عفا الرجل سأله).

وكـــالـــفـــضـــاء الـــرحبِ في حِـــلـــمه
يـــضـــطـــربُ الـــبـــازي به والـــقَـــطـــاة

يـــا صـــاحب «الـــبـــســـتـــانِ»[1] نمْ آمـــنـــاً
فـــإنّ في المـــوت زوالَ الـــشُّـــكـــاة

مـــا غـــاب مـــاءٌ غـــاب تحت الـــثَّـــرى
فـــأَطـــلع الـــنـــبْت وأحـــيـــا المـــوات

****

(١) معجم (البستان) لعبد الله البستاني.

٥٢ - كم تشتكي

[الكامل]

قالها في مهرجان (بردجفيل)

كم تشتكي وتقولُ: إنك مُعْدِمُ
والأرضُ ملكُك والسماءُ والأنجمُ

ولك الحقولُ وزهرُها وأريجُها
ونسيمُها والبلبلُ المترنِّم

والماءُ حولَك فضّةٌ رَقراقةٌ
والشمسُ فوقَك عسْجدٌ يتضرَّم

والنورُ يبني في السُّفوح وفي الذُّرا
دُوراً مزخرفةً، وحيناً يهدِم

فكأنَّهُ الفنَّانُ يعرضُ عابثاً
آياته ، قُدّام من يتعلَّم

وكأنَّه لصفائه وسنائه
بحرٌ تعومُ به الطيورُ الحُوم

هشَّتْ لك الدنيا فمالك واجِماً،
وتبسّمتْ فعلام لا تتبسَّم؟

إن كنت مُكتئباً لعزٍّ قد مضى
هيهات يُرجعُهُ إليكَ تندُّم

أو كنت تُشفقُ من حلولِ مُصيبةٍ
هيهات يمنعُ أنْ تَحُلّ تجهُّم

أو كنت جاوزت الشباب فلا تقلْ
شاخَ الزمانُ فإنه لا يهْرم

انظرْ فما زالتْ تَطُلُّ من الثَّرى
صورٌ تكادُ لحسنها تتكلَّم
ما بين أشجارٍ كأنَّ غصُونَها
أيدٍ تُصفِّقُ تارةً وتُسلِّم
وعيونِ ماءٍ دافقاتٍ في الثَّرى
تشفي السَّقيم كأنما هي زمزم
ومسارحٍ فُتِنِ النَّسيمُ بحسْنها
فسرى يدندنُ تارةً ويُهمهِم
فكأنهُ صبٌّ ببابِ حبيبهِ
متوسِّلٌ مستعطفٌ مُسترحِم
والجدولُ الجذلانُ يضحكُ لاهياً
والنرجسُ الولهانُ مُغْفٍ يحْلُم
وعلى الصعيد مُلاءةٌ من سُندسٍ
وعلى الهضابِ لكلِّ حُسْنٍ مبْسم
فهنا مكانٌ بالأريجِ معطَّرٌ
وهناك طودٌ بالشعاعِ مُعمَّم
صُوَرٌ وآياتٌ تفيضُ بشاشةً
حتى كأنَّ اللهَ فيها يبسِم
فامشِ بعقلكَ فوقَها متفهماً
إن الملاحةَ مِلْكُ من يتفهَّم
أتزورُ روحُكَ جنَّةٌ فتَفُوتَها
كيما تزورَكَ بالظُّنونِ جهنَّم
وترى الحقيقةَ هيكلاً متجسداً
فتعافُها لوساوسٍ تُتَوهَّم

يـــا منْ يـــحـنُّ إلى غـــدٍ في يـــومه

قــد بِــعت مـــا تــدري بمـــا لا تــعــلَم!

✡✡✡✡✡

قم بــادرِ الـــلـــذّاتِ قــبلَ فـــواتـــهـــا

مـــا كلُّ يـــومٍ مـــثلِ هـــذا مـــوسمُ

وأشــرْ بــســرّ الـحـصْنِ ســرَّ شـبــابهِ

وارْوِ أحـــاديثَ المـــروءة عـــنـــهم

المـــعـــرضـــينَ عن الخَـــنـــا، فـــإذا عَلا

صـــوتٌ يــقــول: «إلى المــكـارم» اقــدمــوا

الــفــاعــلــينَ الخــيــر لا لــطَــمــاعــة

في مـــغـــنمٍ، إنّ الجــمـــيلَ المـــغـــنم

أنت الـــغـــنيُّ إذا ظــفــرت بــصـــاحبٍ

مــنــهمْ وعــنــدكَ لــلــعــواطف مــنــجم

رفـــعـــوا لـــديـــنـــهمُ لـــواءً عـــالـــيـــاً

ولـــهمْ لـــواءٌ في الـــعـــروبـــة مُـــعْـــلَم

إنْ حـــازَ بـعضُ الـنـاس سـهـمـاً في الـعُلا

فـــلـــهم ضـــروبٌ لا تُـــعـــدُّ وأســـهم

لا فــضــلَ لي إن رحتُ أعــلنُ فــضــلَــهمْ

بــقــصـــائـــدي. إنّ الــضّــحى لا يُــكــتم

لـــكـــنَّـــنِي أخــشى مــقـــالـــةَ قـــائلٍ

هــذا الــذي يُــثـــني عـــلـــيــهمْ مــنــهمُ!

أحــبـــابَـــنـــا مـــا أجـــملَ الـــدنـــيـــا بــكم!

لا تَــقْـــبُحُ الـــدنـــيـــا وفـــيـــهـــا أنـــتم!

✱✱✱✱

٥٣ - فلوريدا

[البسيط]

يا جنَّةً قَبلَما حلّتْ بها قدمي
أحببتُها قصّةً واشتقتُ راويها

كانت لها صورةٌ في النَّفس حائرةٌ
مثلُ القصيدة لم تُنسجْ قوافيها

وددْتُ لو أنّها تَمّتْ فيُبصرها
غيري، وتُسكرُه مثلي معانيها

وكيف تَكْمُل في ذهني ولم أرَها
وما لصورتِها شيءٌ يُحاكيها؟

وأيُّما نغمة أدّى عذوبتَها
كلامُ راوٍ ولا شادٍ يغنِّيها

أأنشُقُ العطر لم أهبطْ خمائلَها؟
وأشربُ السّحر لم أسمعْ قَماريها؟[1]

وتصعدُ النفسُ منّي للسَّماء ولا
حبالُ نُورٍ تدلّتْ من دراريها؟

كانت سعادةُ نفسي في تصوُّرِها
والنفسُ يُسعدُها وهْمٌ ويُشْقيها

بالوهمِ توجدُ دنيا لا وجود لها
وتنطوي عنك دنيا أنت رائيها

فكم ظَمئْتُ وفي روحي جداولُها
وكم رويتُ وغيري في سواقيها

---

(١) القُمْري. طير أبيض يشبه الحمام، (والجمع: القماري).

قد كنتُ من قبلُ مثلَ الناس كلِّهمُ
أقولُ: إنّ إلهَ الكونِ باريها
حتى نظرتُ إليها في جلالتها
فصار كلُّ يقيني أنّه فيها!
لمّا رأيتُ الجمالَ الحقَّ أدركني
زُهْدُ بكلّ جمالٍ كان تمويها
كأنّما الحُورُ مرّتْ في شواطئها
في ليلة طَفْلة[1] رقّتْ حواشيها
ففي الرمالِ سناءٌ من تضاحُكها
وفي المياه أريجٌ من أغانيها
أتيتُها بشبابٍ ضاع أكثرُهُ
وغيّبتْهُ الليالي في مطاويها
فاستَرجع الحبَّ قلبي فهو مُغتبِطٌ
وعادتِ الروحُ خضراءً أمانيها

✡✡✡✡✡

سئلتُ ما راقَ نفسي من محاسنها؟
فقلتُ للناس: باديها وخافيها
وما حببْت من الأشجار؟ قلت لهم:
إنّي افتُتنْتُ بكاسيها وعاريها
وما هوِيت من الأزهارِ؟ قلتُ لهمْ:
الحبُّ عندي لناميها وذاويها
قالوا: وما تتمنّى؟ قلت مبتدراً:
يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها
فرُبَّ أنشودةٍ من بلبلٍ غَرِدٍ
حوتْ حكايةَ حبٍّ خِفْتُ أحكيها

(١) الرخصة الناعمة.

وربَّ روحٍ كروحي في بنفسجة
وسْنَى، أطلّتْ على روحي تُناجيها
وربَّ قطرةِ ماءٍ لا غَناءَ بها[1]
شاهدتُ مصرعَ دنيا في تلاشيها
كلُّ الذي لاح لي في أرضها حَسَنٌ
وأحسنُ الكلِّ في عيني أهاليها
إلا ذوي السحنِ السَّوداء واعجباً
أجنَّةٌ وذُبابٌ في نواحيها؟
إني لَبِكتُ روحي أنْ ألاحظَهمْ
بمقلة أبصرتْ فيها غوانيها
دعِ المساوئَ في الدُّنيا فما برِحتْ
فيها محاسنُ تُنسينا مساويها
كم حاولَ الليلُ أن يطوي كواكبَهُ
فكان ينشرُها من حيثُ يطويها
واذكرْ أكارم قومٍ طاب عنصرهُمْ
وأشبهوا بسجاياهم أقاحيها
بني بلادي! وفيكمْ من خَمائلها
جمالُها والتّسامي من روابيها
تسلَّتِ النفسُ عن أحبابِها بكمُ
لولاكمُ لم يكنْ شيءٌ يُسلِّيها
أكرَمْتُمُوني فشكراً غير منقطعٍ
دوامُ شُكرِك للنَّعماء يُبقيها

****

(١) لا تفي بشيء.

٥٤ - بين مد وجزر

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم صديقه الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك.

سيّرْتُ في فجر الحياة سفينَتي
واختَرْتُ «قلبي» أن يكونَ إمامي

فجرتْ على الأمواج قصْراً من رؤىً
ملِء الفضا، ملء المُدى المُترامي

وأقلَّ منها البحرُ حين أقلَّها
دنيا من الأضواء والأنغام

ومشى الخيالُ على الحياة بسحرِهِ
فإذا الهوى في الماء والأنسام

وإذا الرمالُ أزاهرُ فوّاحةٌ
والشَّطُّ هيكلُ شاعرٍ رسَّام

وإذا العُبابُ ملاعبٌ ومراقصٌ
وإذا أنا من صبْوةٍ لغَرَام

أتلَقَّفُ اللذّاتِ غيرَ مُحاذرٍ
وأعُبُّ في الزلاّت والآثام

لا أكتفي وأخافُ أنّي أكتفي
فكأنّما في الإكتفاء حمامي

وكأنّ هديي أن تطولَ ضلالتي
وكأنّ ريي أن يدوم أُوامي[1]

---

(١) حرّ العطش.

مـرّتْ بي الأعـوامُ تـتـلـو بـعـضـهـا
وأنـا كـأنّي لـستُ في الأعـوام
كـالموجِ ضـحـكي، كـالـضـيـاء تـرنُّـحِي،
كـالـفـجـرِ زَهْـوي، كـالـخـضـم عُـرامي[1]
حـتى إذا هـتف المـشـيبُ بـلُـمّـتِي
ودنتْ يـدُ المـاحـي إلى أحـلامي
صـرخَ «الحـجـا» بي سـاخـطاً مُـتهكمّاً:
«هـذا الـغـنَى شـرٌّ من الإعـدام»
«أسـلَـمـتَـني لـلـقـلـبِ وهـو مُـضـلَّلٌ
فـأضـرَّني وأضـرّك اسـتـسـلامي»
«يـا صـاحـبي! أطـلـقـني من سـجن الـرؤى
أنـا تـائهٌ! أنـا جـائعٌ! أنـا ظـامي!»
وأراد «عـقـلـي» أن يـقـود سـفـيـنـتي
لـلـشطِّ في بـحـرِ الحـيـاة الـطَّـامي
فـطـويتُ أعلامَ الـهـوى وهـجـرتُـهـا
ونـسـيتُ حـتى أنّـهـا أعلامي!
وحـسـبتُ آلامـي انـتـهـت لـمّـا انـتـهى
فـإذا الـنِّـهـايـةُ أعـظـمُ الآلام
وإذا الـطـريقُ مـخَـاوِفٌ ووسـاوِسٌ
وإذا أنـا من هـبْـوَةٍ لـقَـتَـام[2]
أبـغي الـثـراءَ ولم يـكنْ من مـطـلـبي
وأرى الجـمـالَ بـنـاظـرٍ مُـتَـعـام
وأَشـيـدُ، مـثلَ الـنـاسِ، مـجـداً زائـفـاً
وأشـدُّ حـولَ الـروحِ ثـوب رَغَـام[3]

---

(١) الشدة والقوة والشراسة.

(٢) الهَبْو والقتام. الغبار المختلط بالغبار.

فـإذا أنـا والأرضُ مـلـكي والـسَّـمـا،
قـد صـرتُ عـبد الـنـاس، عـبـد حُـطـامي
فـتـضـايقَ الـقـلـبُ الـسـجـينُ وقـال لي:
«يـا أيّـهـا الجـاني! قـتـلت هُـيـامي!»
«الـقـفـرُ بـالأحلام روضٌ ضـاحكٌ
فـإذا تلاشتْ فـالـريـاضُ مـوامي»[1]
«أين الـعـيـونُ تُـذيـبُـني حـركـاتُـهـا
وتـمـوتُ في سـكَـنـاتـهـا آلامي»
«وأُطلّ من أهـدابـهـا الـسَّـكْـرى عـلـى
ظـلٍّ، وأنـداءٍ، وزهـرٍ نـام»
«لـمّـا عـصـاني أن أشُبَّ ضـرامـهـا
أعـيـا عـلـيـهـا أن تـشُبَّ ضـرامي»
«الخـمـرُ ملءُ الجـامِ لـكن قـد مـضى
شـوقي إلى الخـمـرِ الـتي في الجـام»
«أسـلَـمـتْـنـي «لـلـعـقلِ» وهـو مُـضـلِّلٌ
فـأضـرّني وأضـرّك اسـتـسلامي»
«انـظـرْ، ألـست تـراك في أوهـامه
أشـقى وأتـعس مـنك فـي أوهـامي»
«المـالُ! من ذا يـشـتـريه كـلَّهُ
مـنّي بـلـيلِ صـبـابـة وغـرام؟»
«يـا صـاحـبي أطـلـقـني من سـجن الـنُّـهى
أنـا تـائهٌ! أنـا جـائعٌ! أنـا ظـامي»

✲✲✲✲✲

(١) الموماة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

لا تـسـألـوني الـيـوم عن قـيـثـارتي

قـيـثـارتي خـشـبٌ بلا أنـغـام!

يـا شـاعـراً غـنَّى فـردَّ لي الـصِّـبـا

فـإذا مـواكـبُهُ تـسـيـرُ أمـامي

إنّـا الـتـقـيـنـا في الـشـبـابِ وفي الـهـوى

في حـوْمَـتَـيْنِ ـ الـشِّـعـرِ والإلـهـام

وسـنـلـتـقي وإن افـتـرقـنـا في غَـدٍ

في حُبِّ لـبـنـانٍ وحُبِّ الـشَّـام

وسـتـلـتَـقِي روحي وروحُك بـعـدمـا

تـفـنَى الـهـيـاكلُ في الإله الـسَّـامي

أهلاً بـذي الأدبِ الـصُّـراحِ المـصـطـفى

بـالـفـاتحِ الـروحي بـالمـقـدام

بـالـشـاعـرِ الـغـريـد في ألحـانه

عـبقُ الـربـيعِ ونَـضْـرةُ الأكْـمـام

هـو إنْ ذكـرت الـشِّـعـر من أُمـرائه

وإذا ذكـرت المجـد فـهـو عـصـامي

****

٥٥ - مستشفى تل شيحا

[الوافر]

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة المستشفى في مدينة دترويت.

أباعثةَ المطايا من حديدٍ
كأسراب القطا للعالَمينا

ركائبُ في فجاجِ الأرض تَسري
تُقلُّ الذاهبينَ الآيبينا

تقصُّ على المدائن والقرايا[1]
حكايةَ قومك المسْتَنبِطينا

وكيف العقلُ يُخلَقُ من زريٍّ
مهينٍ، لا زريَّ ولا مهينا

وينفخُ في الجماد قُوىً وحسّاً
فيركضُ تارةً ويطيرُ حينا

ويهتفُ بالقصائد والأغاني
وقد ذَهب الرَّدى بالمنشدينا

لقد حسدتْك أمّ الفَنِّ «روما»
كما حسدتك ضرَّتها «أثينا»

فمجدك فوق مجدهما علاءً
وحُسنك فوق حسنهما فُتونا

نزلْنا في حماك فقربينا
وباركْنَا ثراك فباركينا

فما لطَماعة[2] بنضارِ «فوردٍ»

(١) تجمع القرية في معاجم اللغة، على: قرىً.
(٢) الأصل في المعجم: طماعية.

وفضَّته إليكَ اليوم جينا

فما هو في سماحته «كمعنٍ»[1]

وليستْ نُوقُه للذَّابحينا

ولكنْ فيك إخوانٌ هَوِينا

لأجلهمُ جميع السَّاكنينا

أحبُّونا كأنَّهمُ ذوونا

وأنسونا بلُطفهمُ ذوينا

وعاهدناهمُ إذْ عاهدونا

فلم ننكُثْ ولا نكَثُوا يمينا

إذا غَضبوا على الدنيا غَضبْنا

وإنْ يرضوا على الدنيا رضينا

دعاهمْ للعُلا والخيرِ داعٍ

من «الوادي» فلبُّوا أجمعينا

أيخذُلُ «جارةَ الوادي» بنوها؟

معاذَ الله! هذا لن يكونا

فما لاقيتُ «زحْليّاً»[2] جباناً

ولا لاقيتُ «زحْليّاً» ضنينا

تأمَّلْ كيف أضحى «تلُّ شيحا»

يُحاكي في الجلالة «طُور سينا»

فعنْ هذا تحدَّرتِ الوصايا

وفي هذا وجدْنا المُحْسنينا

على جنباته وعلى ذُراهُ

جمالٌ يبهرُ المتأمِّلينا

فلم أر مثلَهُ للخير دنيا

(١) معن بن زائدة أحد كرماء العرب في التاريخ.

(٢) نسبة إلى زحلة في لبنان.

ولم أر مــثــلَه فــتـــحـــاً مــبـــيـــنـــا

فـــيـــا أشْــبـــالَ «لــبــنــانَ» الْــمُــفـدّى

ويـــا إخـــوانَـــنـــا وبـــني أبـــيـــنـــا

تـــرنّح عـــصـــرُكمْ فـــخـــراً وهـــشَّتْ

لــصــنــعــكمُ عــظــامُ المــائــتــيــنــا

تـــبـــارى الـــنـــاسُ في طـــلب المـــعـــالي

فـــكـــنـــتمْ في المجـــال الـــسَّـــابـــقـــيـــنـــا

بـــنَـى الأهـــرام «فـــرعـــونٌ» فـــدامتْ

لـــتـــخـــبـــر كـــيف كـــان الـــظَّـــالمـــونـــا

وكم أشــقى الجُــمــوعَ الــفــردُ مــنــهمْ

وكم طَــمس الألُــوف لــكي يــبِــيــنــا

وشـــدْتمْ مـــعـــهـــداً في «تلّ شـــيـــحـــا»

ســيــبــقى مــلــجــأً لــلــبــائــســيــنــا

يُـــطلّ الـــفـــجـــرُ مُـــبـــتَـــســمـــاً عـــلـــيه

ويـــرجعُ مـــطـــمـــئـــنّـــاً مُـــسْـــتـــكـــيـــنـــا

ويمـــــضـــي يمــلأُ الـــــوادي ثـــــنـــــاءً

عـــلـــيـــكمْ والأبـــاطح والحُـــزونـــا

أرى غَــيْــثَــيْنِ يــســتــبــقــان جُــوداً

هــمــا مــطــرُ الــسَّــمــا والــغــائــثــونــا

لــئنْ حــجب الــغــمــامُ الــشَّــمس عــنّــا

فــلــم يــطــمسْ ضــيــاءَ الــلــه فــيــنــا

ولــم يــســتــرْ ســبــيلَ الخــيــرِ عــنــكمْ

ولــم يُـــقْـــبِضْ أكفَّ الـــبـــاذلـــيـــنـــا

وجـــدتُ المـــرء حبُّ الخـــيـــرِ فـــيه

فـــإنْ يـــفـــقـــدْه صـــار المـــرءُ طـــيـــنـــا

تَـــكـــمّش في الحـــقـــول الـــشـــوكُ بُـــخلاً

فــذلَّ وعــاش مُــكْــتــئــبــاً حــزيــنــا

وأســــنى[1] الــــوردُ، إذ أعـــطى شـــذاهُ،

مــكــانــتَهُ، فــكن في الــواهــبــيــنــا

ســألتُ الــشِّــعــر أن يُــثــني عــلــيكمْ

فــقــالتْ لي الــقــوافي: قــد عــيِــيــنــا

ســيــجــزيــهمْ عن الــبــؤســاء ربٌّ

يــكــافئُ بــالجــمــيلِ الــمُــحــســنــيــنــا

****

(١) أسنى الورد مكانته: رفعها (أسناه: رفعه).

٥٦ - أفاتحة أم ختام

[السريع]

قالها في رثاء الأسقف عمانوئيل أبو حطب

مـــا وعظَ الإنــســـانَ مـــثلُ الحِـــمـــامْ
فـلـيـتَّـعظْ بـالـصَّـمتِ أهلُ الـكلامْ

أفــــصحُ من كلّ فـــصـــيحٍ بـــنـــا
هـــذا الـــذي أعـــيـــاهُ ردُّ الـــسَّلام

إنّـي أراهُ وهـــــو في صـــــمْـــــته
أروع من جـــيشٍ كـــبـــيـــرٍ لُـــهـــام[1]

نـــامتْ جـــفـــونٌ ســـهـــرتْ لـــلـــعُلا
من قَـــبلِ أن يـــنـــجـــاب جـــنحُ الـــظلامْ

وســـــكنَ الـــــوثّـــــابُ في صـــدرِه
من قَـــــبْلِ أن يُـــــدركَ كلَّ المـــــرام

يـــا لـــهـــفـــةَ الـــقـــومِ عـــلى كـــوكبٍ
لاح قـــلـــيلاً واخـــتـــفَى في الـــغَـــمـــام

ولـــهـــفـــةَ الـــدينِ عـــلى ســـيِّـــدٍ
كـــان يُـــرجَّى في الخَـــطـــوب الجِـــســـامْ

وصـــــاحبٍ قـــــد كـــــان في صـــحْـــبِه
كـــالـــروضِ فـــيه أرَجٌ[2] وابـــتـــســـام

مـــــا غـــــاب عـــــنّـــــا وكـــــأنّي به
يـــفـــصِـــلُهُ عن صـــحْـــبِهِ ألفُ عـــام!

---

(١) الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء.
(٢) انتشار فوح الطيب (أرج - يأرج)

من الـــــذي يُـــطـــفـئُ من بـــعـــده

في الـــمُـــهجِ الحـــرَّى ذكيَّ الـــضـــرام؟

مـن الــــــذي يمـــــســـحُ دمـع الأسـى

ومـــــاسحُ الأدمعِ تحت الـــــرَّغـــــام؟[1]

يـــا نــائـمـاً مُـســتـغـرِقـاً في الـكَرى

خـــطـــبُكَ قـــد أقـــلـقَ حـــتى الـــنـيـــام!

خـــبـــرٌ فـــإنّ الـــقـــوم في حـــيـــرةٍ

هل الـــــردى فـــــاتحــــةٌ أم خــــتـــام؟

وهل صـــــحــــيحٌ أنّ كلّ الـــــمُـــــنى

يـطـحـنُـهـا صـرفُ[2] الـردى كـالـعـظام؟

وهـل حـــــقـــــيقٌ أنّ أهـلَ الــــعُـلا

والـفـضلِ بـعـد الموتِ مـثلُ الـطَّـغَـام؟[3]

أم بـــعـــد هـــذا يـــقـــظـــةٌ حـــلـــوةٌ

يـنـسى بـهـا المـرءُ الـشَّـقـا والـسَّـقـام؟

ويـــصـــبحُ الـــنَّــــابِهُ في مـــأمنٍ

من عـــنَتِ المـــال وعـــيْشِ الحُـــســـام؟

وتـــســـتـــوي الحـــالاتُ في حـــالـــة

لاحـــيْف فـــيـــهـــا، لا أذى، لا انْـــتـــقـــامْ؟

خـــبـــرْ، وحـــدث، كـــلّـــنـــا حـــائـــرٌ

ذو الجـــهلِ مـــنّـــا والأَرِيْبُ الـــهُـــمـــامْ

---

(١) التراب.

(٢) صرف الدهر: نوائبه.

(٣) أوغاد الناس.

لأيِّـــمـــا أمـــرٍ يـــعـــيشُ الـــورى؟

لأيِّـــمـــا أمـــرٍ يمـــوت الأنـــام؟

وأين دارٌ لـــيس فـــيـــهـــا شـــقَـــا

إن لم تـــكنْ هـــاتـــيك دار الـــسَّلامْ؟

نم آمـــنـــاً، فـــالمـــرءُ بـــعـــد الـــردى

كـــالـــفـــكـــرِ، لا يُـــزرى به، لا يُـــضـــامْ

****

٥٧ - الأسطورة الأزليّة

[السريع]

توطئة:

كان زمانٌ لم يزلْ كائناً
وحالةٌ ما برحتْ باقيَهْ
مَلَّ بنو الإنسانِ أطوارَهُم
وبرموا بالسُّقمِ والعافيَه
فاستَصرخُوا خالقَهمْ واشتَهوا
لو أنه كوَّنَهمْ ثانيه
وبلغتْ أصواتُهمْ عرشَهُ
في ليلة مُقمرَةٍ صافيَه
فقال إنّي فاعلٌ ما اشتَهوا
لعلّ فيه حكمةً خافيه
وشاهدوهُ هابطاً من علٍ
فاحتشَدوا في السَّهلِ والرابيَه
من القرى القانعة الطاويهْ
والمدُنِ الجامحة الغاديه
تألّبُوا من كلّ صوبٍ كما
تجتَمعُ الأمطارُ في الساقيَه
يُسابقُ الصُّعلوكُ ربَّ الغنَى
والأبلَهُ الباقعةَ[1] الداهيهْ
ويدفَعُ الشَّيخُ الْتَوى عودُهُ
وصار مثلَ الرِّمَّة الباليَه

---

(١) الداهية.

فـتى مـضى الـفـجـرُ ولـمّـا تـزلْ
روعـتُه في وجـهِهِ بـاقـيه
وتَـزحمُ الحـسـنـاءُ ممـكـورةً[1]
خلاّبـةً كـالـروضـة الحـالـيه
دمـيـمـةٌ تُـشـبهُ في قُـبـحـهـا
مـديـنـةً مـهـجـورةً عـافـيَه[2]
فـصـاح ربُّ الـعـرشِ: مـا خـطـبُـكُمْ
مـا بـالُـكُمْ صـرخـاتُـكُمْ عـالـيه؟
هل أصـبـحتْ أرضـكُمُ عـاقـراً؟
أم غَـارتِ الأنجـمُ فـي هـاويـه؟
أم أقـلـع المـاءُ فلا جـدولٌ؟
ومـاتـتِ الـطَّـيـرُ فلا شـاديه؟
أم فـقـدتْ أعـيـنُـكمْ نـورهـا؟
أم غـشـيتْ أرواحـكمْ غـاشـيَه؟
أين الـهـوى؟ إنْ لم يـكنْ قـد قـضى
فـكُلُّ جُـرحٍ واجِـدٌ آسـيه[3]

الفتى

قـال الـفـتى: يـا ربِّ إنّ الـصـبـا
مـصـدَرُ أحـزاني وآلامـي
ألـبـسـتَـنـيه مُـونِـقـاً بـعـدمـا
أبـلاهُ أخـوالي وأعـمـامـي

---

(١) المستديرة الخصر، المحفوفة.
(٢) عفا الرسم: زال وامّحى.
(٣) الآسي: الطبيب.

وصار، في مذهبِهِمْ، عصرُهُ
فترَةَ زلاّتٍ وآثام
فاختلفَتْ حالي وحالاتُهمْ
كأنّني في غيرِ أقوامي
وصرتُ كالجدولِ في فَدْفَدٍ[1]
أو شاعرٍ ما بين أصنام
والأخضرِ المُورقِ في يابسٍ
أو مثلِ صاحٍ بين نُوَّام
دنياهُمُ دنياي لكنّما
أعلامُهمْ ليستْ كأعلامي
عندهمُ الرَّوضةُ أشجارُها
والروضُ عندي الزَّهَرُ النّامي
والطَيرُ لحمٌ ودمٌ عندهمْ
وليس عندي غيرُ أنغام
سُكرِي بها أو بالنَّدى والشَّذا
وسكْرُهُمْ بالخمر في الجام
يسخَرُ قلبي بلياليهمُ
ويسخرُ الدَّهرُ بأيّامي
كأنّني جئتُ لتَبكيتهمْ
كأنّهمْ جاءوا لإيلامي
عبءٌ على نفسي هذا الصبا
ألجائشُ المستوفِزُ الطّامي
يزرعُ حولِي زَهَراتِ المُنى
وشَوكُها في قلبي الدّامي

(١) الفدفد. المفازة الواسعة.

فـــــانٍ لـه فـي كـلِّ فـــــانٍ هــــوى

فـــانٍ، ولا يـــنـــجُـــو من الــــذَّام

خُـــذهُ، وخـــذْ قـــلـــبي وأحـلامَهُ

فـــإنّـــني أشـــقَى بـــأحـلامي

ومُـــرْ يـــمُـــرُّ الـــدهـــرُ في لحـــظـــة

كـــالـــطـيفِ أو كـــالـــبـــرقِ قُـــدَّامي

وازرعْ نجـــوم الـــشَّـــيبِ في لـــمَّـــتى

فـــيـــنـــجـــليْ حـــنـــدسُ أوهـــامي

فَـــأُبـــصـــرُ الحـــكـــمـــةَ في ضـــوئه

إنـي إلـــيـــهـــا جـــائعٌ ظـــامي

الشيخ

وجـــاء شـــيخٌ حـــائـــرٌ واجفٌ

مُـــشـــتَـــعلُ الـــلِّـــمَّـــة بـــالي الإهـــابْ

كـــأنَّـــمـــا زلـــزلـــةٌ تحـــتَـــهُ

لمـــا به من رَعْـــشَـــة واضْـــطـــراب

فـصـــاح: يـــا ربَّـــاهُ! خُـــذ حـكـمـتي

واردُدْ عـلـى عـبـدك عـصْـر الـشَّـبـاب

إنَّ أمـــــاني الـــــرُّوحِ أزهــــارُهـــــا

وإن روحـي الـــيـــوم قَـــفـــرٌ يـــبـــاب

لا جـــدولٌ لا بـــلـــبلٌ مُـــنـــشـــدٌ

بـلـى، بـهـــا الـوحـشـــةُ والإكـتـئـاب

تـــلك الأمـــانيُّ عـــلـى كـــذْبـــهـــا

لم تـــكـن الـــلـــذَّةُ فـــيـــهـــا كـــذَاب

زالتْ ومـــــازلتُ ، وإنَّ الـــــشَّـــــقـــــا

أن تُـــطـمس الآيُ ويـــبـــقي الـــكـــتـــاب

وتُسلَبُ السَّرْحةُ أوراقَها

ولم تزلْ أعراقُها في التُّراب

كنتُ غنياً في زمان الصبا

وكنتُ صفْر الكَف صفْر الوِطَاب[1]

صحوتُ من جهلي فأبصرتُني

كأنني سفينةٌ في العُباب

قيل لها: في البحر كلُّ المُنى

فلم تجدْ في البحر إلا الضَّباب

نأتْ عن الشَّطِّ ولم تقتربْ

شبراً من السرِّ الذي في الحجاب

ولو تُرجَّى أوبةٌ لاشتَفَتْ

لكنَّما عزَّ عليها الإياب

مُرْ تقف الأيامُ عن سيرِها

فإنَّها تركضُ مثلَ السَّحاب

وضعْ أمامي، لا ورائي، المُنى

وطوِّلِ الدرب وزِدْ في الصعاب

ما لذّتي بالماء أُروى به

بل لذّتي في العدْوِ خلف السَّراب

الحسناء

وقالتِ الحسْناءُ: يا خالقي!

وهبتَني الحُسن فأشقَيتَني

وجهي سنيٌّ مُشرِقٌ إنّما

مرْعى عيونِ الخَلْقِ وجهي السَّني

---

(١) الوطاب: آنية اللبن (سقاؤه).

حظِّي منه حظُّ وردِ الرُّبا
من عطرِه الفوّاحِ والسَّوسنِ
ومثلِ حظِّ السَّروْ في فيئه
والطَّيرِ من تغريدها المُتقَن
ومثلِ حظِّ النجمِ من نوره
في الحندس المُعتكرِ الأدْجن
للقائلِ الفيءُ، وللسامعِ التْـ
ـتَغريدُ، والزهرةُ للمُجتني
والنورُ للمدلجِ والمجتَلي
والدرُّ للقانصِ والمُقتَنِي
كم ريبة دبّتْ إلى مضجعي،
وتهمة حامتْ على مسكني
كأنّما لا أدبٌ ممكنٌ
مع الجمالِ الرائعِ الممكن
إن عشقَتْ نفسي فويلٌ لها
والويلُ لي إنْ رجُلٌ حبَّني
السّمُّ والشوكُ وجمرُ الغَضا
أهونُ من كاشحة الألسُن
كم تقتَفيني نظراتُ الخَنا
ويلي من خائنة الأعين
لم يبقَ في روحي من موضعٍ
يا ربُّ لم يُخدشْ ولم يُطعن
إنّ الغنَى في الوجه لي آفَةٌ
يا ليتني دميمةٌ ليتني!

وسكتَتْ، فصاحتِ الجاريهْ
باكيةً من بُؤسها شاكيهْ
ذنبي إلى هذا الورى خلْقَتي
فهلْ أنا المجرِمةُ الجانيه؟
إن أخطأ الخزّافُ في جبْله الطْ
طيْن فأيُّ الذنبِ للآنيه؟
أليس من يسخرُ بي يزدري
بالقوّةِ المُوجِدَة الباريه؟
لو كنتُ حسناءَ بلغتُ العُلا
فللجمالِ الرتْبةُ العاليه
وبات من أَسجُدُ قدّامَهُ
صاغرةً يسجدُ قدّاميَه
فإنّني في ملأٍ ظالمٍ
أحكامُهُ جائرةٌ قاسيه
ليس لذاتِ القُبحِ من غافرٍ
وفيه من يغفرُ للزانيه
نفسي جُزءٌ منك يا خالقي
وإنها عاقلةٌ راقيه
أليس ظُلماً، وهْي بنتُ العُلا،
إن تكُ بالقُبحِ إذنْ كاسيه
فليكُنِ الحُسْنُ رداءً لها
ترفُلْ به أو فلتَكُنْ عاريه

الفقير

وأقبلَ الصُّعلوك مُسترحماً
في مُقلَتيهِ شبحُ اليأسِ
يصرُخُ: يا ربّاهُ حتى متى
تُحكِّمُ الموسر في نفسي؟
وتضعُ التاج على رأسه
وتضعُ الشَّوكَ على رأسي؟
ويشربُ اللَّذاتِ من كأسه
وأشربُ الغصَّاتِ من كأسي
وتَتَجلَّى الشُّهبُ في ليله
ضاحكةً كالغيد في عُرس
ويتوارى في نهاري السَّنا
أو يتبدّى حانقَ الشَّمس
يا ربِّ لا تنقلْهُ عن أُنْسه
وإنّما انقُلني إلى الأُنس
فإن تَشَأْ ألا يذوقَ الهنا
قلبي، فجرّدْني من الحس
لو لم يكن غيري في غبطة
ما شعرتْ روحي بالبؤسِ

الغني

وقال ذو الثروةِ: ما أشتَهي
لا أشتَهي أنّي ذو ثروةِ
أنفقتُ أيّاميْ على جمعها
وخلتُني أدركتُ أمنيّتي

فاستَعبدتْني في زمان الصبا
وأوقرتْ بالهمّ شيخُوخَتِي
قد ملَكتْني قبلَما حُزتُها
وملَكتْني وهي في حوزَتي
كنحلة أمسكَها شَهدُها
من الجناحينِ فَلمْ تُفلَتِ
حسبتُها تُكسبُني قوّةً
فافترستْ قوّتُها قوّتي
جنَتْ على نفسي وأحلامها
جنايةَ الشَّوك على الوردَة
ينمو فَتَذوي فهي عُلّيقَةٌ
يحذَرُها الطَّائفُ بالرَّوضة
من قائلٌ عنّي لمن خَالَني
أمرحُ مِن دنياي في جنّة
لا تَنظُرِ الأضواءَ في حُجرَتي
وانظُرْ إلى الظلماء في مُهجتِي
ولا يغُرَّنّك قَصري فما
قَصْري سوى سجنٍ لحريّتي
إنّي في القصر الرفيع الذُّرا
كطائرٍ، في قفصٍ، ميت
كم في عبابِ البحر من سابحٍ
قد مات ظمآناً إلى قَطرَةِ
موتُ الطَّوى شرٌّ، ولكنّما
أفظعُ منه الموتُ بالتُّخْمة
كم من فقيرٍ مر بي ضاحكاً
كأنّما يسخرُ من كُربتي

رأيــــتُـهُ بـــــالأمسِ من كُـــــوَّتي
فــخـلــتُــني أنــظــرُ من هُــوَّةِ
وكـــنتُ كـــالحـــوت رأى مـــوجـــةً
ضـــاحـــكـــةً تـــرقصُ كـــالـــطِّـفـلـــة
أو حـــيَّـــةً تـــدبّ في مـــنـــجمٍ
تـــرنـــو إلى فَـــرَاشـــة حُـــرّة
قـــد اخـــتـــفتْ ذاتي في بُـــردتي
فـــمـــا يـــرى الخَـــلقُ سوى بُـــردَتي
فـــهمْ إذا مـــا ســلّـمـوا سـلّـمـوا
عـــلى خـــيـــوط الـــبُـــردِ والجُـــبّـــة
ربّـــاهُ أطـــلقْ من عـــقـــالِ الـــغـــنى
رُوحي، فـــإنّي مـــنه في مـــحـــنـــة!
وانـــزعْ مع الـــديـــنـــارِ من قـــبـــضـــتي
صَلابـــةَ الـــديـــنـــارِ من ســحْــنَــتي
وحـــــولّـِ المـــــالَ إلـى راحـــــة
وحـــولّـِ الـــقـــصـــر إلى خـــيـــمـــة

الأبلَه

وصـــرخَ الأبْـــلَـهُ مـــســـتـــفـــســـراً:
مـــا الـقصـدُ من خَـلْـقي كذا مـا الـمُـرادْ؟
ألـم يـــكنْ يـــكـــمُلُ هـــذا الـــورى
إلاّ إذا أوجـــدتَـــني فـي فـــســـاد؟
لي صـــورةُ الـــنـــاسِ وحـــاجـــاتـــهمْ
من مـــطـــعمٍ أو مـــشـــربٍ أو رُقـــاد
لـــكنّ لُـــبي غـــيـــرُ ألـــبـــابـــهمْ
فـــإنّه مُـــكـــتـــنَفٌ بـــالـــســـواد

يُعجزني إدراكُ ما أدركوا
كأنّ عقلي فَحمةٌ أو رماد
إن كنتُ «إنسانًا» فلمْ يا ترى
لستُ بإدراكي كباقي العباد؟
أو لم أكن منهم فَمُرني أكن
جرادةً أو أرنباً أو جواد
فالنِّدُّ لا يعدَمُ من نده
ذريعةً للسلم أو للجهاد
لا تسخَرُ النملةُ من نملة
وليس يُزري بالقُراد القُراد[1]
أم أنت كالحقل على رغمه
ينمو مع الحنطة فيه القَتاد؟

الأرِيب

وجاء بعد الأبله المُستريبْ
الألمعيُّ العبقريُّ اللبيبْ
فقال: إنّي تائهٌ حائرٌ
أنا غريبٌ في مكانٍ غريب
أبحثُ عن نفسي فلا اهتدي
وليس يهديني إليها أَريب
أنا عليمٌ حيثُ لا عالمٌ
أنا لبيبٌ عند غَيرِ اللبيب
لو أنّني كنتُ بلا فطنة
سرتُ ولم تكثُرْ أمامي الدُّروب
وكان عقلي كعقول الورى
وكان قلبي مثلَ باقي القُلوب

---

(١) دُوَيِّبَة تعض الإبل.

وصار عندي كالنُّجومِ الورى
فلا عدوٌّ فيهمُ أو حبيب
ولم أجدْ في ضحْكهمْ والبُكَا
شيئاً سوى الضحْك وإلا النَّحيب
ولم أسائلْ كوكباً طالعاً:
ما لكَ تبدو ولماذا تَغيب
ولم أقفْ في الرَّوضِ عند الضَّحى
يُذهلُني لونٌ وشكلٌ وطيب
ولم أقلْ ما كنت من قبلَما
كنت ولا ما في سجلّ الغُيوب
ما العقلُ يا ربُّ سوى محنة
لولاهُ لم تُكتَبُّ عليَّ الذنوب

الخاتمة

لمّا وعى الله شكايا الورى
قال لهم: كونوا كما تشتهونْ
فاستبشر الشيخُ، وسُرّ الفتى
والكاعبُ الحسناءُ، والحيْزبون
لكنّهم لمّا اضمحلّ الدُّجى
لم يجدوا غير الذي كانا!

✡✡✡✡

هُمْ حدّدوا القبح فكان الجمالْ
وعرّفوا الخير فكان الصلاحْ
وليس من نقصٍ ولا من كمالْ
فالشَّوكُ في التحقيق مثلُ الأَقاح
وذَرّة الرمل ككلّ الجبالْ
وكالذي عزَّ الذي هانا!

✱✱✱✱

المحتوى

الديوان الرابع (الخمائل)

****

الديوان الخامس

(تبر وتراب)

الطبعة الأولى (دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦٠).

يضم تسعة وخمسين نصاً شعرياً، جمعها الشاعر المهجري جورج صيدح، صديق أبي ماضي، من المجلات والصحف التي نُشرت فيها، وكثير منها يتكون من أبياتٍ قليلة، أُلحقت بدواوين الشاعر الأربعة، وكوّنت ديوانه الخامس ـ الأخير. وما تبقى من شعر الشاعر، خارج هذه الدواوين الخمسة، ألحقناه بها، بعد أن وُثِّقتْ مصادره

****

١ - وطن النجوم

[مجزوء الكامل]

وطن النُّجومِ.. أنا هنا حدِّقْ.. أتذكرُ من أنا؟
أَلَمحت في الماضي البعيد فتى غريراً أرعنا؟
جذلانَ يمرحُ في حقولك كالنَّسيمِ مُدَنْدنا
المُقتني المملوكُ ملعبُهُ وغيرُ المقْتَنَى!
يتسلَّقُ الأشجار لا ضجراً يُحسُّ ولا ونَى
ويعودُ بالأغصانِ يبريها سيوفاً أو قَنا
ويخوضُ في وحْلِ الشِّتا مُتهلِّلاً مُتَيمنا
لا يتقي شرَّ العيونِ ولا يخافُ الألسُنا
ولكَمْ تشيطن كي يقولَ الناسُ عنه: «تَشيْطنا»
أنا ذلك الولدُ الذي دنياهُ كانت ههنا!
أنا مِن مياهكَ قطرةٌ فاضتْ جداولَ من سنا[1]
أنا من تُرابك ذرّةٌ ماجتْ مواكب من مُنى
أنا من طيورِك بُلبلٌ غنّى بمجدكَ فاغْتنَى
حملَ الطلاقةَ والبشاشةَ من ربوعك للدُّنا
كم عانقتْ روحي رُباك وصفّقتْ في المنحنى؟
للأرزِ يهزأُ بالرياحِ وبالدُّهورِ وبالفَنَا
للبحرِ ينشرُه بنوكَ حضارةً وتمدُّنا
لليلِ فيك مُصلِّياً للصبح فيك مُؤذّنا
للشمسِ تُبطئُ في وداعِ ذُراك كيلا تحزَنا

(١) النور.

للبدرِ في نيسانَ يكحَلُ بالضياء الأعيُنا
فيذوبُ في حدَقِ المها سحْراً لطيفاً ليّنا
للحقل يرتجلُ الروائع زنبقاً أو سوسنا
للعُشبِ يرتجلُ النَّدى للغصنِ أثقلَهُ الجنى
عاش الجمالَ مشرّداً في الأرض ينشدُ مسْكنا
حتى انكَشفت له فألقى رحلَهُ وتوطّنا
واستعرض الفنُّ الجبالَ فكنت أنت الأحْسنا
لله سرٌّ فيك يا لبنانُ لم يُعلنْ لنا
خلق النجوم وخاف أن تُغوِيَ العقولَ وتفتنا
فأعار أرزكَ مجده وجلالَهُ كي نؤمنا
زعموا سلَوتُكَ.. ليتَهُمْ نسبوا إليّ الممُكنا
فالمرءُ قد ينسى المُسيء المفتَرِي والمحسنا
والخمر والحسناءَ والوتر المرنَّح والغنَا
ومرارةَ الفقر المُذلّ بلى، ولذّاتِ الغنى
لكنّه مهما سَلا هيهات يسلو الموطنا

****

٢ - تحية الشام

[الكامل]

حيِّ الـــشـــآم مُـــهـــنَّـــداً وكـــتـــابـــا
والـــغـــوطـــةَ الـخـضـــراءَ والمحْـــرَابـــا

لـــيـــستْ قـــبـــابـــاً مـــا رأيتُ وإنمـــا
عـــزمٌ تـــمـــرَّدَ فـــاســـتـــطـــالَ قـــبـــابـــا

فـــالـــثُمْ بـــروحك أرضـــهـــا تـــلـــثمْ عـــصُـــو
راً لـــلـــعُلا ســـكـــنتْ حـــصـى وتـــرابـــا

واهـــبِطْ عـــلـى بـــردى يُـــصـــفِّق ضـــاحـــكـــاً
يـــســـتـــعـــطفُ الـــتـــلـــعـــاتِ[1] والأعـــشـــابـــا

روحٌ أطلّ من الـــسَّـــمـــاء عـــشـــيَّـــةً
فـــرأى الجـــمـــالَ هـــنـــا فـــحـــنَّ فـــذابـــا

وصـــفَـــا وشفَّ فـــأوشـــكَتْ ضـــفّـــاتُهُ
تـــنـــســـابُ من وجْـــدٍ به مُـــنـــســـابـــا

بل أدمعٌ حـــورُ الجـــنـــانِ ذَرفْـــنَـــهـــا
شـــوقـــاً، ولم تـــمـــلكْ لـــهُنَّ إيـــابـــا

بـــردى! ذكـــرتُك لـــلـــعطَـــاشى فـــارتـــووا
وبـــني الـــنُّـــهى[2] فـــتـــرشَّـــفُـــوك رُضـــابـــا

مـــــرَّتْ بك الأدهـــــارُ لم تـــــخـــــبُثْ ولم
تَـــفـــســـد، وكم خَـــبُـــثَ الـــزمـــانُ وطـــابـــا

✡✡✡✡

(١) التلْعة: ما ارتفع أو انخفض من الأرض (من الأضداد).

(٢) النهية: العقل (والجمع: نهى).

بـــأبي وأمـي فـي الـــعـــراء مـــوسَّـــدُ

بـعثَ الحـيـاةَ مـطـامـعــاً ورِغــابـا

لـــمّــا ثَـوى فـي مـيـسـلـونَ تـرنّـحتْ

هـضـبـاتُـهـا وتـنـفَّـستْ أطـيـابـا

وأتـى الـنـجـوم حـديـثُهُ فـتـهـافـتتْ

لـتـقـوم حــرّاســاً له حُـجَّــابــا

مــا كـــان يـوسفُ واحــداً بل مـــوكبُ

لـلـنـورِ غـلـغلَ في الـشّـمـوسِ فَـغَـابـا

هـذا الـذي اشـتـاقَ الـكرى تحت الـثَّرى

كي لا يــرى في جـــلَّقَ الأغْـــرَابـــا

وإذا نـبـا الـعـيشُ الـكـريمُ بمـاجـدٍ

حُـــرٍّ رأى المـــوت الـــكـريم صـوابـا

إنـي لأُزهـى بـــالـــفـــتى وأُحـــبُّهُ

يـهـوى الحـيـاةَ مـشـقّـةً وصـعـابـا

ويـضـوعُ عـطـراً كـلـمـا شـدّ الأسى

بـيـديه، يـعـرُكُ قـلـبَهُ الـوثَّـابـا

ويـســيل ُمــاءً إنْ حــواهُ فَـدْفَـدٌ[1]

وإذا طـــواهُ الـــلـــيلُ شعَّ شـــهـــابـــا

وإذا الـعـواصفُ حـجّبتْ وجهَ الـسَّـمـا

جـدَلَ الـعـواصف لـلـسَّـمـا أسـبـابـا

وإذا تـــقـــوَّض صـــرحُ آمـــالٍ بـــنَـى

أمـلاً جـديـداً من رجـــاءٍ خـــابـــا

فــابْنُ الـــكـــواكبِ كلُّ أفقٍ أفــقُه

وابنُ الـضَّـراغمِ لـيس يـعْـدمُ غـابـا

✡✡✡✡

---

(١) الفلاة لا شيء فيها

عـجـبـاً لـقـومي والـعـدوُّ بـبـابـهمْ
كـيف اسـتـطـابـوا الـلـهـو والألـعـابـا؟
وتـخـاذلتْ أسـيـافُـهُمْ عن سـحـقه
في حـينَ كـان الـنـصـرُ مـنـهمْ قـابـا[1]
تـركـوا الحـسـام إلى الـكلام تـعـلُّلاً
يـا سـيفُ لـيـتك مـا وجـدْت قـرابـا!
دنـيـاك يـا وطن الـعُـروبـة غـابـةٌ
حـشـدتْ عـلـيك أرَاقـمـاً[2] وذئـابـا
فـالـبسْ لـهـا مـاءَ الحـديـد مـطـارِفَـاً
واجـعلْ لـسـانَك مـخـلـبـاً أو نـابـا
لا شـرْعَ في الـغـابـاتِ إلا شـرعُـهـا
فَـدعِ الـكلام شـكـايـةً وعـتـابـا
هـذي هي الـدنـيـا الـتي أحـبـبـتَـهـا
وسـقـيت غـيـرَك حُـبَّـهـا أكـوابـا
وضـحـكت معْ أحلامـهـا وبـكـيت في
آلامـهـا، وجـرعت مـعـهـا الـصـابـا[3]
وأضـلَّ روحك في الـسُّـرى وأضـلَّـهـا
مـا خـلْـتَه مـاءً فـكـان سـربـا
ونـظـرت، والأوصـابُ تـنـهشُ قـلـبـهـا
فـرأيت كلَّ لـذاذةٍ أوصـابـا[4]
شـاءَ الـظّـلـومُ خـرابَـهـا فـإذا الـورى
لا يُـبـصـرونَ سـوى نُـهـاهُ خَـرَابـا

---

(١) قريباً (قاب الرجل: قرُب).
(٢) الأرقم من الحيات: ما فيه بياض وسواد.
(٣) عصارة شجر مرّ.
(٤) الوصب: المرض.

دنـيـا تـألَّقَ أمـسُـهـا فـي يـومـهـا
فـاسـتـجـمع الأنـسـاب والأحـسـابـا
وسـرى سـنـاءُ الـوحيِ من آفـاقـهـا
يـغـشـى الـعـصـور ويـغـمـرُ الأحـقـابـا
الحقُّ مـا رَفـعتْ بـه جـدرانَـهـا
والخـيـرُ مـا زانتْ به الأبـوابـا
فـاسـتـنـطقِ الـتَّـاريخَ هل في سـفـرِهِ
مـجـدٌ يُـضـاهي مـجـدهـا الخلاَّبـا؟
شـابتْ حـضـاراتٌ، ودالتْ وانـطـوتْ
أممٌ، ومـجـدُ أمـيَّـة مـا شَـابـا
الأمسُ كـان لـهـا وإنّ لـهـا غـداً
تـتـلـقَّتُ الـدنـيـا له إعـجـابـا
غَـنـيّت من قـبلُ الـمُـحُـولـة والـعـرَا
أفلا تـغـنـي الـروضـةَ الـمـخـصـابـا؟[1]
عـطَـفتْ لـيـالـيـهـا عـلـيكَ بـشـاشـةً
فـانـس الـلـيـالي غُـرْبـةً وعـذَابـا
وانـشـرْ جـنـاحَك فـالـفـضـاءُ مـنـوَّرٌ
واملأْ كـؤوسَك قـد وجـدْت شـرابـا
فَـلـشـدْوِ مـثـلكَ كُـوِّنتْ، ولـمـثـلـهـا
خـلَقَ الإلهُ الـبُـلـبلَ الـمـطْـرابـا

☼☼☼☼☼

لـيت الـريـاض تُـعـيـرُني ألـوانَـهـا
لأصُـوغَ مـنـهـا لـلـرئـيس خـطـابـا

---

(١) الـمُحُولة: الجدْب، وانقطاع المطر ويبوسة الأرض.

وأقولَ: إني عاجزٌ عن شكرِهِ
عجْزَ الأناملِ أن تَلُمّ عُبابا
أشكو إلى نفسي العياءَ، فتشتكي
مثلي، وتصمُتُ لا تَحيرُ جوابا
فلقد رأيتُ البحر حينَ رأيتُهُ
فوقفتُ مضطرب الرؤى هيَّابا
أعميد سوريّا وكاشف ضُرَّها
خَلقتْ يداك من الشيوخ شبابا
وبلابلٌ كانت تَئنُّ سجينةً
أطلقتَها وأطَرْتَها أسرابا
يا صاحب الخُلُق المصفّى كالنَّدى!
لو لم تكنْ بشراً لكنت سحابا
أمَلُ الشبيبة في يديكَ وديعةٌ
فارفعْ لها الأخلاقَ والآدابا
فالجهلُ، أنّى كان، فهو عقوبةٌ
والعِلْمُ، أنّى كان، كانَ ثَوابا
يا ويح نفسي كم تطاردُني النَّوى
وتهدُّ مني القلب والأعصابا
ودَّعْتُ خلف البحرِ أمسِ أحبةً
وغداً أودِّعُ ها هنا أحبابا

****

٣ - الشاعر والكأس

[مجزوء الخفيف]

بـــات، والـــكـــأسُ في الـــظلامْ،
فـي حـــــديـثٍ، ولا كـلامْ

هـي فـي صـمـتـهـا تـضـيءْ
وهـو فـي صـمـتـه يُـضـام

شـاعـرٌ أنـفقَ الـصِّـبـا
مـن غـرامٍ إلـى غـرام

ذاهـلُ الـنَّـفـسِ بـالـرؤى
عن حُـطـامٍ وذي حُـطَـام

وعـنِ الـفـقـرِ والـغـنـى
وعـن الـحـربِ والـسَّـلام

بـالـشـفـاه الـتي طـفـا
بـيـن أهـدابِـهـا الأُوام[1]

بـالـغـواني تُـطـيـعُـهُ
والـغـواني لـهـا احـتـكـام

بـالـشَّـذا وهْـو فـائحٌ
والـشَّـذا وهـو بـالـكـمـام[2]

بـالـسَّـحـابِ الـذي يـسُـحْ
ـحُ وبـالـخـادعِ الـجـهـام[3]

---

(١) حرارة العطش.

(٢) الكمّ: وعاء الطلع وغطاء النَّوْر، في الزهر.

(٣) السحاب لا ماء فيه.

بـــــالأغـــــاريـــــد والـــــبلا

لِ والــــــنَّـــــورِ والخُـــــزام

حــــولَــهُ الـــكـــونُ فـي وغـى

وهْـــو والـــكـــونُ فـي وِئـــام

✡✡✡✡✡

مـــــا لـهُ الآنَ وحـــــــدَهُ

ســاكنُ الــعــرْقِ كــالــنِّــيــام

ســـاهـــرٌ غـــيـــر أنـه

خـــادِرُ الـــروحِ والـــعـــظَـــام

صـــامـتٌ مـــثـلُ كُـــتْـــبِهِ

وكَـــدنـــيـــا بـلا أنَـــام

أتُـــرى عـــضَّـهُ الـــطَّـــوى؟

لا! فـــفـي بـــيـــتـه طـــعـــام

لـم تـــزلْ كـــأسُهُ لــــديْـ

ـهِ وفـي كـــأسـه مُـــــدَام

ولَـهُ تـــضـــحكُ الـــبُـــرو

قُ وُ يـبـكي الحـيـا الـسـجـام(١)

ولَـهُ تـــرتـــعي الـــكـــوا

كبُ في مـــســـرحِ الـــظلام

ولـهُ تـــلـــبس الـــرُّبَـــا

بُـــرُدَ الـــنُّـــورِ والـــغَـــمـــام

ولـه ُيـــعـــبقُ الـــشَّـــذا

ولـه تُـــعْـــصـــرُ الـــمُـــدام

---

(١) الحيا: المطر والخصب. وسجم سجاماً: سال.

وله يلمعُ النَّدى
وله يسجعُ الحمام
وله الغادةُ المليْـ
ـحةُ والفارسُ الهُمام
كلُّها. كلُّها له
وعلى غيرِه حرام
وهو ساهٍ كأنَّما
بسواها له مرام
وجهُهُ غيرُ وجهِهِ!
أمْ على وجهِهِ لثام
كالتماثيلِ حولَهُ
من نُحاسٍ ومن رُخام
لا اكتئابٌ ولا رِضاً
لا بكاءٌ ولا ابتسام
ليلةٌ ما أمرّها
ليلةُ اليأسِ ألفُ عام
بقي الحُسْنُ إنَّما
مات في الشَّاعرِ الهُيام
فإذا الكونُ عنده
جدثٌ كلُّه رِمام[1]

****

(١) الرمّة: القطعة البالية من الحبل، والجمع رُمم ورِمام.

٤ - موكب التراب

[الكامل]

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له، أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرادق. وكان في مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية

من أين جِئتَ؟ وكيف عُجْت ببابي؟
يا موكب الأجيالِ والأحقابِ
أمِن القبورِ؟ فكيف من حلّوا بها؟
أهناك ذو ألَمٍ وذو تَطْراب؟
ولهم صباباتٌ لنا؟ أم غودروا
في بلْقَعٍ ما فيه غيرُ خَراب؟

✡✡✡✡✡

أمررت بالأعشاب في تلك الرُّبا
وذكرت أنك كنت في الأعشاب
حوْل الصخورِ النائمات على الثَّرى
وعلى حواشي الجدول المُنساب
وعلامَ تصعدُ كالسَّحابة في الفضا
وإلى التراب مصيرُ كلَّ سحاب؟
لما طلعت على الشّعاع موزَّعاً
مُتَرجرجاً كخواطرِ المُرتاب
وذهبت في عرْض الفضاء كخيمة
رُفعتْ بلا عمدٍ ولا أَطناب[1]

---

(١) الطنُب: حبل الخباء.

قال الصحابُ لي استترْ، وتراكضوا
للذُّعر يعتصمونَ بالأبواب
وهبِ اتَّقيتُك بالحجاب فإنَّني
لابدَّ خالِعهُ وأُنت حجابي!
كم سارحٍ في غابة عند الضُّحى
جاء المساءُ فكان بعض الغاب!
ومصفِّقٍ للخمرِ في أكوابه
طرباً، وطيفُ الموتِ في الأكواب
أنا لو رأيتُ بك القَذَى، محض القذَى،
لسترتُ وجهي عنك مثلَ صحابي
لكنْ شهِدتُ شبيبةً وكهولةً
ومنى، وأحلاماً بغيرِ حساب
والشاربينَ بكلِّ كأسٍ، والأُلَى
عاشواً على ظَمأٍ لكلِّ شراب
والضاربينَ بكلِّ سيفٍ في الوَغى
والخانعينَ لكلِّ ذي قرْضاب[1]
والصارفينَ العمر في سُوقِ الهوى
والصَّارفينَ العمر في المحْراب
والغيد بين جميلة ودميمة
والعاشقينَ الصبَّ والمُتَصابي
والعبد في أغلاله وحباله
والملْكَ في الديباجِ والأطْياب
آبوا جميعاً في طريقٍ واحدٍ
الخاسرُ المسبيُّ مثلُ السَّابي

---

(١) آلة القرْض، وهو القطع.

فضحكتُ من حرصي على مُلْك الصبا

وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي

ووقعت أنت على ترابٍ ضاحكٍ

لمّا وقعت عليّ في جِلْبابي

وكذاك أشواقُ التراب: مآلها

ولئن تقادم عهدُهَا، لتُراب

****

٥ - أين عصر الصبا

[السريع]

مــــا لـي ومـــا لـــلــرشَـــأ الأغْـــيــد
خـــــلـتْ من الحُب ومـــــنه يـــــدي

نَـــأى فـــمـــا فـي قـــربه مـــطـــمعُ
لا تَـــصـلُ الـــكفُّ إلى الـــفَـــرْقَـــد

قــطّــعتُ بــالــيــأسِ خــيــوطَ الــمُــنى
وقــلـت لــلــســُّــلــوانِ لا تــبــعُــد

وصـــرتُ لا يُـــطـــربــنـي مُـــنــشــد
ولا أنـــا أصـــبـــو إلى مُـــنــشــد

أســيــرُ في الــروضــة عــنــد الــضُّــحى
حــيــرانَ كــالــمُــدلِج في فَــدْفَــد[1]

أمـــــامـي المـــــاءُ ولا أرتـــــوي
وحــــولِي الـــنُّـــورُ ولا أهــتــدي

يــا لــيت شــعْــري: أين عــهــدُ الــصــبــا؟
وأيـن أحـلامُ الـــفـــتـى الأمـــرد؟

ولّــى وولّــتْ كـــخـــيـــال الـــكـــرى
يـــلـــوحُ في الـــذِّهــنِ ولـم يُـــوجــد

فــيــا قــلــوب الــكــاشــحـينَ اسـكُـني
ويــا عــيــونَ الحــاســدينَ ارقُــدي

---

(١) المفازة الواسعة لا شيء فيها

ويـــا شـــيـــاهـــاً تـــتـــقي صـــولـــتي
قـــلَّـــمتُ أظـــفـــاري فـــاسْـــتـــأسَـــدي!

✡✡✡✡✡

يـــا ســـائـــلي عن أمسٍ: كـــيف انـــقـــضى؟
دَعْهُ، وســـــلْـــــنِي يـــــا أخي عن غـــــد
أروح لـــــلـــــنـــــفسِ وأهْـــــنَـــــا لـــــهـــــا
إن تحـــــســـبِ المـــــاضي لم يُـــــولـــــد

****

٦ - الصيف

[الرَّمل]

عــاد للأرضِ مع الــصــيف صــبــاهــا
فــهْي كــالخَــوْد[١] الــتي تــمَّتْ حُلاهــا

صُــورٌ من خُــضْــرةٍ في نَــضــرةٍ
مــا رآهــا أحــدٌ إلا اشْــتَــهــاهــا

ذَهبُ الــشَّــمسِ عــلى آفــاقــهــا
وســوادُ الــلــيل مــسْكٌ في ثَــراهــا

ونــســيمُ الــفــجــرِ في أشــجــارهــا
وشْــوَشــاتٌ يُــطــرِبُ الــنــهــر صــداهــا

والــســواقي فــتَنٌ راقــصــةٌ
ضــحْــكُــهــا شــدوٌ وتــهــلــيلٌ بُــكَــاهــا

والأقــاحي صُــورٌ خلابــةٌ
وأغــاني الــطــيــرِ شــعْــرٌ لا يُــضــاهى

إنــهــا الجــنــةُ فــاعــجبْ لامــرئٍ
هــو فــيــهــا وقــلــيلاً مــا يــراهــا

أيــهــا الــمُــعــرِضُ عن أزهــارِهــا
لك، لــو تــعــلَمُ يــا هــذا، شــذاهــا

أيــهــا الــنــائمُ عن أَنجُــمــهــا
خــلَقَ الــلــهُ لــعــيــنــيْك ســنــاهــا

أيــهــا الــكــابحُ عن لــذّاتــهــا

---

(١) الحسناء الشابة.

نـفـسَهُ، هـيـهـات لن تُـعـطى سـواهـا

لا تُــــؤجِّـلْ لـــــغـــــدٍ لـــــيس غـــــدٌ

غـيــر يـومٍ كـــالــذي ضــاع وتــاهــا

وإذا لـم تُـــبــصـــرِ الـــنـفسُ الـــمُـنى

في الـضّحى كـيف تَـراهـا في مـسـاهـا

هـــذه الجـــنـــةُ فَـــاسْــرحْ في رُبـــاهـــا

واشـــهــد الـــســحـــر زهــوراً ومــيــاهــا

واســتـمعْ لــلــشِّــعــر من بُــلــبــلــهــا

فــهْـو الــشّـعــرُ الـذي لـيس يُـضـاهى

✡✡✡✡

مــا أُحــيــلى الــصــيفَ! مـــا أكــرمَهُ!

مـلأ الـــدنـــيـــا رخـــاءً[1] ورَفَـــاهـــا

عـــنـــدمـــا ردَّ إلى الأرض الـــصِّـــبـــا

ردّ أحلامـي الـــتـي الـــدهـــرُ طــواهـــا

كـنت أشـكـو مـثـلـمـا تـشـكـو الـضَّنى

فــشـــفَى آلامَ نـــفـــسـي وشـــفَـــاهـــا

✱✱✱✱

---

(١) سعة الحال.

٧ - الغد لنا

[الطويل]

تَبدَّل قلبي من ضلالَته رُشْدا
فلا أرَبٌ فيه لهندٍ ولا سُعْدى

ولم تَخْبُ نارُ الوجْد فيه ولا انطوتْ
ولكن هُيامي صار بالأنفعِ الأجْدى

وما الزُّهدُ في شيءٍ سوى حب غيرِه
أشدُّ الورى نُسْكاً أشدُّهمُ وجْدا

أَحبَّ سواي العيش لهواً وراحةً
وأنكرته لهواً فأحببتُه كَدّا

وما دام في الدنيا سُموٌ ورِفعةٌ
فما أنا من يرضى ويقنعُ بالأَرْدا

☆☆☆☆☆

هو الموُت أن نحيا شياهاً وديعةً
وقد صار كلُّ الناسِ مِن حولنا أُسدا

وأن نكتفي بالأرض نَسرحُ فوقها
وقد ملكوا من فوقنا البرْقَ والرَّعدا

وأن ينشروا في كلِّ أُفْقٍ بُنودَهُم[1]
وألا نرى فوق السماك[2] لنا بنْدا

☆☆☆☆☆

(١) الرايات.

(٢) أحد النجمين النيِّرين في السماء.

تأملتُ ماضينا المجيد الذي انقضى
فزَلزلَ نفسي أنه انهار وانْهدّا
وكيف امّحتْ تلك الحضاراتُ كلُّها
وصارتْ بلادٌ أنبتَتْها لها لَحْدا
وصِرْنا على الدنيا عيالاً وطالما
تعلّم منا أهلُها البذْلَ والرِّفدا
ونحن الألى كان الحريرُ بُرودَهُمْ
على حينَ كان الناسُ ملبسُهمْ جِلدا

✡✡✡✡

إذا الأمسُ لم يرجعْ فإنَّ لنا غداً
نُضيء به الدنيا ونملؤها حمْدا
وتُلبِسُنا في الليل آفاقُهُ سناً[1]
وتَنشرنا في الفجر أنسامُهُ نَدّا
فإنَّ نفوس العُرْبِ كالشُّهبِ، تنطوي
وتَخفى، ولكن ليس تَبلَى ولا تَصْدا
ومثلُ اللآلي لا يخيسُ جمالُها
وإنْ هي لم تُرْصَفْ ولم تَنتظم عقْدا
إذا اختَلفتْ رأياً فما اختلَفتْ هوى،
أوِ افترقتْ سعْياً فما افترقتْ قَصْدا

✱✱✱✱

(١) النور.

٨ - قنبلة الفناء

[المتقارب]

إذا سحقتْ أرضنا القُنبُلَهْ
كما يسحقُ الحجرُ الخَرْدَلَهْ

وقوَّض مفعولُها الراسيات
فصارتْ غُبَاراً له جلْجله

ودبّ الفنا في ذواتِ الجناح
وغَلْغل في النَّبْتِ فاسْتأصله

وفي الماشياتِ وفي الزاحفات
عليها، إلى آخر السلسله

فلا زَهْر يأرَجُ[1] في روضة
ولا ديكَ يَصدحُ في مزْبله

وضاع الزمانُ ومقياسُهُ
وأشبهَ آخرُه أوَّلَه

ولم يبق حيٌّ على سطحها
وأصبح عزريلُ لا شُغلَ لهْ

فذلك خطبٌ يهولُ النُّفوس
تصورُه قبل أن تَحمله

ولكنّ أمراً يعزّي الجميع
إذا سحقت أرضنا القنبله

فلنْ يدع الموتُ حيَّاً يلوم
سواه على هذه المقْتلهْ!

****

---

(١) أرج الطيب: فاح (أرَج - يأرِج).

٩ ـ تلك السنون

[الكامل]

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة «السمير»

تلك السنونَ الغارباتُ ورائي
سِفْرٌ كتبتُ حروفَهُ بدمائي

ما عشتُها لأَعُدَّها، بل عشتُها
لتبينَ في سيمائها سيمائي

سيَّانِ، لو أني قنعتُ بِعدها،
عمري وعمرُ الصخرةِ الصَّمّاء

ولَبذَّني يوم التَّفاخرِ شاطئٌ
ما فيه غيرُ رماله الخرساء

لاحتْ لي العلياءُ في آفاقها
فَأَردْتُها دربأً إلى العلياء

ومحبةً للخيرِ تَسري في دمي
ورعايةً للضَّعف والضُّعفاء

وعبادةً للحق أين وجدتُهُ
والحسنِ في الأحياء والأشياء

لتدور بعدي قصةٌ عن شاعرٍ
رقصتْ به الدنيا جناح ضياء

نَشر الطيوب على دروبِ حياته
وسرى هوى في الطيب والأَنْداء

وأطلَّ من قلب البخيلِ سماحةً
وشجاعةً في السلْم والهيجاء

ومشى إلى المظلوم بارقَ رحمة
وهوى على الظُّلاّمِ سوْطَ بلاء
فتعزّ دنيا قد طوتْ آبائي
وتهشُّ دنيا أطلعتْ أبنائي

✲✲✲✲✲

تلك السنونَ ببؤسها ونعيمها
مالتْ بعودي وانطوتْ برُوائي[1]
أين الشَّبابُ ألفُّ أحلامي به
ليس الشَّبابُ الآن لي بِرداء
نفسي تُحسُّ كأنما أثقالُها
قد خُيِّرتْ فتخيَّرتْ أعضائي
كم من رؤى طلعتْ على جنَباتها
رَكْباً من الأضواء والأشذاء
قلَّبتُ فيها، بعْد لْأيٍ، ناظري
فتَعثَّرتْ عيناي بالأشلاء
يا لَلضحايا، لا يرِفُّ لموتها
جفنٌ، ولا تُحصى مع الشهداء
ودَّعتُ لذّاتِ الخيال وعفْتُها
ورضيتُ أن أشقى مع الحُكماء
فعرفتُ مثلهمُ بأني مُوجِدُ
بؤسي، وأني خالقُ نَعْمائي

✲✲✲✲✲

إني أراني بعد ما كابدتُهُ
كالفُلْك خارجةً من الأنْواء

(١) الرُّواء: حسن المنظر.

وكسائحٍ بلغَ المدينةَ بعدما
ضلَّ الطريق وتاه في البيداء
شكراً لأصحابي فلولا حبُّهمْ
لم اقتربْ من عالَم اللألاء
بهمُ اقتحمتُ العاصفات بمركبي
وبهمْ عقدتُ على النجوم لوائي

✡✡✡✡✡

شكراً لأعدائي فلولا عيْثُهمْ
لم أدر انهمُ من الغَوغَاء
نهش الأسى لما ضحكتُ قلوبهمْ
عرْسُ المحبة مأتمُ البغضاء
ذنبي إلى الحُسّاد أني فُتُّهم
وتركتهمْ يتعثَّرونَ ورائي
وخطيئتي الكبرى إليهم أنهم
قَعدوا ولم أقعدْ على الغَبْراء[1]
عفو المروءة والرجولة، إنني
أخطأتُ حين حسبتُهمْ نُظَرائي

✡✡✡✡✡

شكراً لكلٍّ فتًى مزجتُ بروحه
روحي، فطاب ولاؤُهُ وولائي
من كان يحلُم بالسماء فإنني
في قلب إنسانٍ وجدتُ سمائي
ليس الجمالُ هو الجمالَ بذاته
الحُسنُ يوجدُ حين يوجدُ راء

---

(١) الأرض.

مـا الـكـونُ؟ مـا في الـكـونِ لـولا آدمٌ
إلا هـبـاءٌ عـالقٌ بـهـبـاء
وأبـو الـبـريَّـة مـا أبـانَ وجـودَهُ
وأتمّ غـايـتَهُ سـوى حـوَّاء
إني سـكـبتُ الخـمـر حـين سـكـبـتُّـها
لـلـنـاس، لا لـلأنجُـمِ الـزَّهـراء
لا تـشـربُ الخـمـرَ الـنجـومُ وإن تـكُنْ
مـعـصـورةً من أنـفُسِ الـشُّـعـراء

✡✡✡✡✡

تـلك الـسُّـنونَ. عـقـيـمُـها كـولَـودها
حـلْـوٌ لـديَّ. كـذا يـشـاءُ وفـائي
فـالـلـيـلـةُ الـعـسـراءُ من عـمـري وعُـمْـ
ـرِ الـدهـر مـثل الـلـيـلـة الـسَّـمـحـاء
يـا من يـقـول: « ظـلـمت نـفـسَك فـاتّـئـدْ»
دعـني فـلـست بـحـاملٍ أعـبـائي
إن الـحـيـاةَ الـروحُ بـعضُ عـطـائـهـا
وأنـا ثـمـارُ الـروحِ كلُّ عـطـائي
مـا الـعـمـرُ؟ إنْ هُـو كـالإنـاء، وإنـني
بـالـطـيب الـغـالي ملأتُ إنـائي
فـإذا بـقـيتُ فـلـلـجـمـالِ بـقـائي
وإذا فـنـيتُ فـفي الجـمـالِ فَـنَـائي

✡✡✡✡✡

لـلـه مـا أحـلـى وأسـنى لـيـلَـتي
هي في كـتـابِ الـعـمـرِ كـالـطُّـغَـراء[1]

(١) الطّرّة في رأس الكتاب، تتضمن النعوت والألقاب.

يـا صــحبُ لن أنـسى جـمـيلَ صـنـيـعـكُمْ
حــتى تــفــارقَ هــيــكــلي حــوْبــائي[1]
وتــقــول عــيــني «قــد فــقــدتُ ضــيــائي»
ويــقــول قــلــبي « قــد فــقــدتُ رجــائي»

****

(١) النفس.

١٠ - امتنان

[الخفيف]

في حفلة ميلاد ديوانه (الخمائل)

ما لقلبيْ يلِجُّ في الخفَقَانِ
لا أنا عاشقٌ ولا أنا جانِ

ابتغي أن أقولَ شيئاً فيعْصا
ني لساني، والسِّحرُ تحت لساني

أنا كالطائر الذي اندفق السحـ
ـر عليه، فغَص بالألحان

أو كفُلْكٍ في البحر أوفى عليها
عارضٌ[1] بعد عارضٍ هتّان

غلبتني عواطفُ الصَّحْبِ حتى
صرتُ في حاجة إلى تَرْجمان

أين في موكب القريضِ لوائي
قد طواهُ بيانُهُمْ وطواني

أيُّها المادحونَ خَمري رويداً
منكمُ الخَمرةُ التي في دناني

من أنا؟ ما صنعتُ كي تعصبوا بالتْـ
ـتَاجِ رأسي، وأيُّ شانٍ شاني؟

لا افْتخارٌ لنَحلة وجدتْ حقْـ
ـلاً فعادت من زهره بالمجاني(٢)

(١) العارض. السحاب يعترض الأفق.

أنَـــا من روضـــكُمْ قـــطـــفتُ أزاهـــيـ
ـــرِي، ومن بـــحـــرِكُمْ غـــرفتُ جُـــمـــاني
إنْ أكنْ فـــرقَـــداً فـــأنـــتمْ ســـمـــائي
أو هـــزاراً فـــأنـــتمُ بُـــســـتـــاني
أيُّ بِـــدْعٍ إن أخـــرج الحـــقلُ لـــلـــنَّـا
سِ صُـــنـــوف الـــنـــبـــاتِ في نَـــيْـــسـان؟
لـــيس لي من قـــصـــائـــدي غـــيـــرُ أوزا
نٍ، ولـــيـــســـت أصـــيـــلـــةً أوزاني
أصـــدقُ الـــشِّـــعـــرِ في الحـــيـــاة وفـــيـــكُمْ،
لـــيس غـــيـــرُ الأظلال[1] في ديـــواني

✡✡✡✡

مـــا هـــو الـــشِّـــعـــرُ؟ إنـــني مـــا رأيت اثْـ
ـــنـــيـنِ إلا وفـــيـــه يـــخـــتـــصـــمـــانِ
قـــال قـــومٌ: « وحـــيٌ يُـــنـــزِّلُهُ الـــلـــ
ـهُ »، وقـــومٌ: « نَـــفْـــثٌ من الـــشَّـــيـــطـــان»
ضَلَّ هـــذا وذا، فـــمـــا حـــفَـــزَ الإنـ
ـســـانَ شـــيءٌ لـــلـــشِّـــعـــر كـــالإنـــســـان
يـــعـــشـــقُ المـــرءُ ذاتَه في ســـواهُ
ويـــحـــبُّ « الإنـــســـانَ في الأكـــوان
أنـــا من أجـــلـــه بـــنـــيـــتُ قُـــصـــوري
وفـــرشْـــتُ الـــدروبَ بـــالـــرَّيـــحـــان
أنـــا من أجـــلـــه ســـكـــبتُ خُـــمـــوري
وشـــددتُ الأوتـــار في عـــيـــداني
أنـــا من أجـــلـــه رجـــعـــتُ من الـــرَّو
ضـــة، في راحـــتـــيَّ، بـــالألـــوان

(١) يجمع الظل على ظلال وأظلال وظلول.

واستعرتُ التهليلَ من جدول الوا
دي، وضحْك الرِّضا من الغُدران

ومن الشَّمسِ في الأصائلِ والأصْ
باحِ(1) ذوب اللُّجينِ والعقيان(2)

وحملتُ الجلالَ من أرضِ (سوريْ
يا) إليه، والسِّحر من (لبنان)

نحن أهل الخيالِ أَسْعدُ خلق اللـ
ـه، حتى في حالة الحرمان

كم زهدنا بثروةٍ من نُضارٍ
وقنعنا بثروةٍ من أماني

وانطوينا في موكبٍ من ضياءٍ
وسطَعْنا في غمرةٍ من دُخان

نتراءى على الصَّعيد صعـ
ـاليك ولكنْ أرواحُنا في العنان(3)

إن ظَمئنا وعزّ أن نَرِدِ الما
ء روانا تصوُّرُ الغُدران

وإذا غابت النجومُ اهتدينا
بالرُّؤى، بالرجاء، بالإيمان

لا يعُد الورى علينا الليالي
نحن قومٌ نعيشُ في الأزمان

✡✡✡✡✡

رُدَّ عني الكؤوس يا أيُّها السّا
قي، فَرُوحي نشْوى بخمرِ المعاني

---

(1) جمع (الصبح)

(2) اللجين: الفضة، والعقيان: الذهب الخالص.

(3) الصعيد: الأرض المرتفعة أو الأرض إطلاقاً والصعلوك: الفقير الذي لا اعتماد له. والعنان هنا: السحاب.

بـــالــــقـــوافي (جـــداولاً) من وفـــاءٍ
والأغـــاني (خَــمـــائلاً) من حــنـــانِ
زَهــد الــنــاسُ حــين دارتْ عــلــيــهمْ
بـــالَّــتِي في كـــؤوســـهمْ والــقَــنــاني
أيُّــهــا الــلـيلُ! أنت أبــهى من الــفَــجْـ
ـــرِ وإن كــنت أسْـــود الــطَّــيــلــســان
بــالــوجــوهِ الــزهــراء، بــالأنــفسِ الــسَّمْـ
ــحــاء، من يــعْــرُبٍ ومن غــسَّـــان
بمـــلـــوك الـــبـــيـــان، بـــالأدبِ الـــرَّا
ئـعِ، بـــالمُــــنـــشـــدين، بـــالألحـــان
بــالــغَــواني، فــديــتــهنّ، فــأســمى الــشْـ
شــعْــرِ والــفنِّ في الحــيــاة الــغــواني
هــذه الــشَّــمسُ هل رأى الــنــاسُ وجــهــاً
مــثــلَــهــا في الــبــهــاء والــلــمــعــان
تــتــجــلَّى لــنــا عــلى الــيُــسْــرِ والــعُــسْـ
ـــرِ ونمـــشي في نـــورهـــا الــفَــتَّـــان
قــد نــســيــنــا شــعــاعــهــا وســنــاهــا[1]
عـــنـــدمـــا أشـــرقتْ وجـــوهُ الحـــســـان
قُـــسم الـــدهـــرُ: أنت يـــا لـــيلُ شــطـــرُ
من حـــيـــاتي، والـــعُـــسْـــرُ شـــطـــرٌ ثـــان
أنت عــصــرٌ مُــسْــتَــجــمَعٌ في سُــويــعــا
تٍ، ودنـــيـــا رحـــيـــبـــةٌ في مـــكـــان
قــد تــلاقت فــيك الــقــلــوبُ عــلى الحُــبْـ
ـبِ تلاقي الأجـــفـــان بـــالأجـــفـــانِ

(١) الضوء والنور.

لا تـــقـــولـــوا دقـــائقٌ وثـــوانٍ

ذاهـبـاتٌ فـالـعـمـرُ هـذي الـثَّـواني

✡✡✡✡✡

أنـا مـا عـشـتُ سوف أذكـرُ بـالـشُّـكـر

رِ جـمـيـلَ الـرفـاقِ والإخـوان

وإذا متُّ في غـدٍ فـسـيـأتـيـ

ـكمْ ثـنـائي من ظُـلـمـة الأكـفـان

****

١١ - اسألوها

[الخفيف]

اسْألوها، أو فاسألوا مُضْنَاها:
أيَّ شيءٍ قالت له عيناها؟
فهو في نشوةٍ وما ذاقَ خمراً
نشوةُ الحبِّ هذه إياها
ذاهلُ الطَّرف شاردُ الفكرِ، لا يلـ
ـمح حسناً في الأرض إلا رآها
السَّواقي لكي تحدِّثَ عنها
والأقاحي لكي تذيع شَذاها
وحفيفُ النَّسيم في مسْمع الأو
رَاقِ نجوى تبثُّها شفتاها
يحسبُ الفجر قبْسةً من سناها
ونجوم السَّماء بعض حُلاها
وكذاك الهوى إذا حلّ في الأر
واح، سارت في موكبٍ من رؤاها
كان ينهى عن الهوى نفسه الظَّمْـ
ـأى، فأمسى يلومُ من ينهاها
لمس الحبُّ قلبه فهو نارٌ
تتلظَّى ويستلذُّ لَظاها!
كلُّ نفسٍ لم يشرقِ الحبُّ فيها
هيَ نفسٌ لم تدرِ ما معناها

****

١٢ - أم القرى

[الرمل]

هذه « ملفردُ[١] » قد لاحتْ رُبَاها
فانس يا قلبُ الليالي وأذاها

واشهد الفنَّ سُفوحاً وذُرًا
والهوى الصَّافي أريجاً ومياها

ههنا أودعتُ أحلامَ الصبا
أفَما تلمحُ نوراً في ثراها؟

ههنا بالأمسِ في دارتِها
كنتُ مثلَ النَّسْرِ حُراً في ذُراها

أتلقى الوحي عن بلبلها
وهو ولهانُ يغني لرُباها

وتُحسُّ الوحي روحي هابِطاً
من سماها، في ضحاها ومساها

ذهبتْ عشرون في فُرقَتِهَا
ليتها فيها انقضتْ لا في سواها

كم جلسنا تحت صفصافتها
اشتكي وجْدي، وتشكو لي هواها

والسَّواقي استترتْ إلاّ غناها
والروابي هجعتْ إلا شذاها

والصَّدى في الغاب لم ننبِسْ معاً
نبْسةً إلا وعاها وحكاها

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه، وخطب فتاة أحلامه، وعاد إليها في فصل الشتاء.

نـــتـــنَـــاجى ويـــدي في يـــدهـــا
فـــإذا لاح خـــــيـــــالٌ نـــــتَـلاهى

أنـــا دنـــيـــا من شـــبـــابٍ وهـــوى
وهـي كـــالــروضـــة قـــد تــمتْ حَـلاهـــا

أحـــسنُ الأيـــامِ في الــعـــصـــر انـقـضتْ
آه لـــو يـــنـــشـــرُهَـــا من قـــد طـــواهـــا

صـــرتُ في نـــيـــويـــوركَ طـــيـــفـــاً شـــارداً
مع طـــيـــوفٍ حـــائـــراتٍ في سُـــراهـــا

طـــرحتْ عـــنـــهـــا رؤاهـــا ومـــضتْ
تـــنـــشـــدُ المجـــد الـــذي فـــيه شـــقـــاهـــا

كـــنـــعـــاجٍ عـــمـــيتْ أبـــصـــارُهَـــا
ووهتْ في طـــلـــب الـــعُـــشبِ قُـــواهـــا

كـــلَّـــمـــا جـــدَّتْ لـــكي تـــدركَهُ
وجـــدَتْهُ صـــار في الأرض وراهـــا!

أين في نـــفـــسي رؤى تُـــســـعـــدُهَـــا؟
ســـرقتْ (نـــيـــويـــوركُ) من نـــفـــسي رؤاهـــا

في يـــدي أمـــري ولا أمـــلـــكُهُ
ومـــعـــي ذاتي وأخـــشـــى أن أراهـــا!

هـــذه « أم الـــقـــرى » قفْ في حـــمـــاهـــا
تـــســـترحْ نـــفـــسي من بـــعض جـــواهـــا

هـــهـــنـــا الإنـــســـانُ يـــلـــقَى ذاتَهُ
هـــهـــنـــا لا يـــحـــجُبُ المـــالُ الإلـــهـــا

لا تـــقلْ لي جـــئـــتَـــهـــا عـــاريـــةً
فَـقْـرُهـــا عـــنـــدي جـــمـــيلٌ كـــغـــنـــاهـــا

لم يـــزلْ لـــلـــصـــيف فـــيـــهـــا عـــبَقٌ
وســـمـــاءُ الـــصَّـــيف مـــا زالتْ ســـمـــاهـــا

لا يـــــزالُ الحـبُّ فـي شـلاّلـــــــهـــــا

وبـــواديـــهـــا حـــديــثـــاً وانـــتـــبـــاهـــا

لـم يـــجـــردْهـــا الـــشَّـــتـــا من وَشْـــيِـــهـــا

بل كـــســـاهـــا روعـــةً فـــوق بـــهـــاهـــا

فـــهـي في ديـــبـــاجـــة من صـــبْـــغـه

مـــا رآهـــا أحـــدٌ إلا اشـــتَـــهـــاهـــا

****

١٣ - «من اشتهى الخمر فليزرع دواليها»

[البسيط]

خُذْ ما استطعت من الدنيا وأهليها
لكنْ تعلَّمْ قليلاً كيف تُعطيها

كُنْ وردةً طيبُها حتى لسارقها
لا دمنةً[1] خُبْثُها حتى لساقيها

أكانَ في الكون نورٌ تستضيءُ به
لو السماءُ طوتْ عنّا دراريها

أو كان في الأرض أزهارٌ لها أَرَجٌ
لو كانت الأرضُ لا تُبدي أقاحيها[2]

إن الطيور الدُّمى سيَّانِ في نظري
والوُرْقُ إن حُبستْ هذي أغانيها

إن كانت النفسُ لا تبدو محاسنُها
في اليُسرِ صار غناها من مخازيها

✡✡✡✡✡

يا عابد المالِ قُلْ لي هل وجدت به
روحاً تؤاسيك أو روحاً تؤاسيها

حتّامَ يا صاحِ تُخفيهِ وتَطمرُهُ
كأنما هو سوءاتٌ تُواريها؟

وتحرِمُ النفس لذاتٍ لها خُلقتْ
ولم تصاحبْك يا هذا لتُؤذيها

---

(١) من معاني الدِمنة: الأثر، والضغينة، وبقية الماء في الحوض.

(٢) الأرَج: توهج ريح الطيب (أرِج - يأرج).

انـظـرْ إلى المـاء إنّ الـبـذلَ شـيـمـتُهُ

يـأتي الحـقـولَ فـيـرويـهـا ويُـحـيـيـهـا

فـمـا تـعـكَّـر إلا وهـو مُـنـحـبِسٌ

والـنـفسُ كـالمـاء تَـحـكـيه ويـحـكـيـهـا

الـسّـجنُ لـلـمـاء يـؤذيه ويُـفـسـدُهُ

والسّـجنُ لـلـنفس يـؤذيـهـا ويُـضْـنـيـهـا

وانـظـرْ إلى الـنَّـارِ إنّ الـفَـتْكَ عـادتُـهـا

لـكنّ عـادتَـهـا الـشـنـعـاءَ تُـرديـهـا

تُـفـني الـقُّرى والمـغـاني وهي ضـاحـكـةٌ

لجـهـلـهـا أن مـا تُـفـنـيه يُـفـنـيـهـا

أرسـلتُ قـولي تـمـثـيلاً وتـشـبـيـهـاً

لـعلَّ في الـقـول تـذكـيـراً وتـنـبـيـهـا

لا شـيء يُـدركُ في الـدنـيـا بلا تـعبٍ

منِ اشـتـهى الخـمـر فـلـيـزرعْ دوالـيـهـا

****

١٤ - ستعود دنيانا أحبَ وأجملا

[الكامل]

لم أنس حين مشتْ إليّ تَلُومُني
لمّا رأتني باسماً مُتَهلّلا

قالتْ: أتطربُ والمنايا حُوَّمٌ
في الأرض، كيف رمتْ أصابتْ مقْتَلا

انظرْ فقد خَلَتِ البيوتُ من الشَّبا
بِ ولا جمالٌ لمنزلٍ منهم خلا

فسألْتُها: أو ليس من أجل العُلا
وهنائنا خاضوا الوغى؟ قالت بلى

يا هذه أإذا بكيتِ لبُعْدهمْ
يتبسمونَ؟ أجابت الحسناءُ لا

كُفِّي المَلامَ إذن، فما أنا جاهلٌ
ما تعلمينَ، وكيف لي أن أجهلا

لكنْ بعثتُ الفكر في آثارهمْ
في البحر، في الأجواء، في عُرْضِ الفلا

فرأيتُ نور المجد فوق بنودهمْ
ورأيتهمْ يمشونَ من نصرٍ إلى

سدّوا على الباغي المسالكَ كلَّها
فالموتُ إنْ ولّى وإن هو أقبلا

فـإذا شـمـمتِ الـيـوم رائـحـةَ الـدمـا

ءوطـالـعتْ عـيـنـاك آثـار الـبِـلـى

فـاسْـتـبـشـري فـغـداً إذا الـنَـقْـعُ[1] انجلى

سـتـعـودُ دنـيـانـا أحبَّ وأجـملا

****

---

(١) الغبار

١٥ - رؤيا

[الكامل]

رؤيا منامٍ.. ربَّ حُلْمٍ في الكَرى
فيه تلوحُ حقائقُ الأشياء

إني حلَمتُ كأنَّما أنا سائرٌ
في روضةٍ خلاّبةٍ غنَّاء

النورُ مفروشٌ على طُرقاتها
والعطرُ في النسماتِ والأفياء

والعشبُ فيها سُندسٌ متموِّجٌ
والجوُّ أضواءٌ على أضواء

وإذا بصوتٍ كالهرير[١] يطنُّ في
أذني، وأنيابٍ تُصرُّ ورائي

فأدرتُ طَرْفِي باحثاً مُتعجباً
ممَّا سمعتُ. ولستُ في بيْداء

فإذا ورائي في الحديقة نابحٌ
ضاري المَحاجرِ ضامرُ الأحشاء

كادتْ تُطلُّ عُروقُه من جِلْده
وتُطلُّ معْها شهوةٌ لدمائي

أشفقتُ يعلَقُ نابُه بردائي
فرفَسْتُه غَضباً فطار حذائي

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباحه.

فـــطـــوى نـــواجِـــذَه عـــلـــيه كـــأنمـــا

عــضّتْ نــواجِــذُهُ عــلــى الــعــنــقــاء[1]!

ومـــضـى به لـــرفـــاقه فـــتـــهـــلّـــلـــوا

وتــقــاســمُــوُه فــكــان خــيــر عــشــاء!

لا يــعــجـــبنْ أحـــدٌ رآني حـــافـــيـــاً

أبـــلَتْ نـــعـــالي ألـــسُنُ الـــسُّـــفـــهـــاء!

****

(١) طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ! أو الداهية عموماً

١٦ - رؤيا ثانية

[الكامل]

وحلَمتُ ثانيةً، وكان الكونُ لم
تبرحْ عليه كَلاكلُ[١] الظَّلماء
أني رأيتُ جرادةً مطْروحةً
في سبْخَة[٢] منهوكةَ الأعضاء
ترنو إلى الأُفُق البعيد بمُقلة
كلْمى، وتشتمُ أنجم الجوزاء
فسألتُها: ماذا عراك فلم تُجبْ
فسألتُ عنها زُمرَة الرُفقاء
قالوا: رفيقَتُنا شهيدةَ هُزئِها
بنصائحِ العُقلاء والحكماء!
كانت إذا جاعتْ فحبّةُ خردَلٍ
تكفي، وإن عطِشتْ فنقطةُ ماء
سمعتْ بنهرٍ في السماء وجنَّة
ليست لتَصويحٍ[٣] ولا لفناء
العطرُ في أثمارها، والشَّهْدُ في
أنهارها، والسِّحر في الأنداء
فاستنكَفتْ أن تستمر حياتُها
في الأرض جاثمةً على الأقذَاء

---

(١) الكلكل والكلكال: الصدر.
(٢) الأرض السبخة: ذات ملح ونزّ.
(٣) صوّح النبت: تمّ يُبسه.

فـمـضـتْ تحـلِّقُ في الـفـضـاءِ، ولـم تـزلْ

حـتى وهتْ، فـهـوتْ إلى الـغَـبـراءِ[1]

رجـعتْ إلى الـدنـيـا الـتي خُـلـقَتْ لـهـا

لـم تُـخْـلـقِ الـحـشـراتُ لـلأجـواءِ

هـذي حـكـايـتُـهـا وفـيـهـا عـبْـرةٌ

لـلـطـائـشـينَ كـهـذه الـحـمـقـاءِ

****

---

(١) الأرض.

١٧ - أيلول الشاعر

[الكامل]

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال

الحُسْنُ حولكَ في الوهاد وفي الذُّرا
فانظرْ، ألست ترى الجمالَ كما أرى؟
«أيلول» يمشي في الحقول وفي الرُّبا
والأرضُ في أيلولَ أحسنُ منظرا
شهرٌ يوزِّعُ في الطبيعة فنَّهُ
شجراً يُصفِّقُ أو سناً مُتَفجرا
فالنَّوْرُ[1] سحْرٌ دافقٌ، والماءُ شعرٌ
رائقٌ، والعطرُ أنفاسُ الثَّرى
لا تحسبِ الأنهار ماءً راقصاً
هذي أغانيه استحالتْ أنهُرا
وانظرْ إلى الأشجار تخلعُ أخضراً
عنها، وتلبسُ أحمراً أو أصفرا
تَعْرى وتُكسى في أوانٍ واحدٍ
والفنُّ في ما ترتديه وفي العرا
فكأنَّما نارٌ هناك خفيَّةٌ
تنحلّ حين تهُمُّ أن تستَشعرا[2]
وتذوب أصباغاً كألوان الضُّحى
وتموجُ ألحاناً وتَسري عنْبرا

(١) زهر الشجر الأبيض.
(٢) تهم أن تنعقد وتشبّ.

صــــورٌ وأطــيـــافٌ تـــلـــوحُ حـــفـــيـــفـــةً

وكـــأنـــهـــا صـــورٌ نـــراهـــا فـي الـــكـــرى

لـــلـــه من « أيـــلـــولَ « شـــهــــرٌ ســـاحـــرٌ

ســـبقَ الـــشـــهـــور وإنْ أتـى مـــتـــأخـــرا

من ذا يُـــدبِّجُ أو يـــحـــوكُ كَـــوَشْـــيِهِ

أو من يـــصـــوِّرُ مـــثـــلـــمـــا قـــد صـــوّرا؟

لـــستْ أصـــابـــعُهُ الـــســـمـــاءَ، فـــوجـــهُـــهـــا

ضـــاحٍ ومـــر عـــلـى الـــتـــرابِ فـــنَـــوّرا

ردَّ الجــلالَ إلـى الحـــــيـــــاة ورَدَّنـي

من أرضِ نـــيـــويـــوركٍ إلـى أمِّ الـــقُـــرى[1]

****

(١) هي (ملفرد) في ولاية بنسلفانيا انظر النص السابق رقم ١٢

١٨ - يا رفاقي

[الرمل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة.

جُعتُ والخبزُ وفيرٌ في وِطَابي[1]
والسَّنا حولي، وروحي في ضبابِ
وشربتُ الماءَ عذْباً سائغاً
وكأني لم أذُقْ غيرَ سراب
حيرةٌ ليس لها مثْلٌ سوى
حيْرَةِ الزورقِ في طاغي العُباب
ليس بي داءٌ ولكني امرؤٌ
لستُ في أرضي ولا بينَ صحابي
مرّت الأعوامُ تتلو بعضها
للورى ضحْكي، ولي وحْدي اكْتئابي
كلّما استَولدتُ نفسي أملاً
مدَّتِ الدنيا له كفَّ اغتصاب
أفلَتتْ مني حلاوات الرُّؤى
عندما أفلت من كفّي شبابي
بتُّ لا الإلهامُ بابٌ مُشرعٌ
لي، ولا الأحلامُ تمشي في رِكابي

---

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللبن. يريد: وعاء الزاد.

أشـتـهي الخـمـر وكـأسي في يـدي
وأحسُّ الـروح تَـعـرى في ثـيـابي
يـا رفـاقي! حـطِّـمُـوا أقـداحـكُمْ
لـيس في دَنّي خـمـرٌ لانْـسـكـاب
جَفَّ ضـرْعُ الـشِّـعـرِ عـنـدي ونوى
ولـكَمْ عـاش لـمـرْيٍ[1] واحْـتلاب

✡✡✡✡✡

أيـهـا الـسـائلُ عـنِّي من أنـا؟
أنـا كـالـشـمسِ إلى الـشّـرقِ انـتـسابي
لـغـةُ الـفـولاذ هـاضتْ[2] لـغـتي
لا يـعـيشُ الـشـدْوُ في دنـيـا اصْـطـخـاب
لـست أشـكـو إن شـكـا غـيـري الـنَّوى
غـربـةُ الأجـسـامِ لـيست بـاغـتـراب
أنـا كـالـكَـرامـة لـو لم تـغـتَـربْ
مـا حـواهـا الـنـاسُ خـمـراً في الخـوابي
أنـا كـالـكَـرمـة لـو لم تـغـتـربْ
مـا حـواهـا الـنـاسُ خـمـراً في الخَـوابي
أنـا كـالـسَّـوسنِ لـو لم يـنـتـقلْ
لم يُـتـوَّجْ زهـرُهُ رأس كَـعـاب[3]
أنـا في نـيـويـوركَ بـالجـسم وبـالـرْ
رُوحِ في الـشـرق عـلى تـلك الـهـضـاب
في ابـتـسـامِ الـفـجـرِ، في صمت الـدُّجى
فـي أسـى تَـشـرين، فـي لـوعـة آبِ

---

(١) مرى الضرع: مسحه ليدرّ.
(٢) هاض الشيء هيضاً: كسره.
(٣) المرأة كَعَب ثديها (ظهر)، فهي كاعب وكَعَاب.

أنا في الغُوطة زَهرٌ ونَدى
أنا في « لبنانَ » نَجوى وتَصابِ
رب هبْني لبلادي عودةً
وليكنْ للغير في الأُخرى ثوابي

✡✡✡✡✡

أيُّها الآتُونَ من ذاك الحمى
يا دُعاةَ الخيرِ يا رمزَ الشَّباب
كم هشَشْنا وهشَشتُمْ للمنى
وبكَيتمْ وبكينا في مُصاب!
واشتركنا في جِهادٍ أو عذابٍ
والْتَقينا في حديثٍ أو كتاب
وعرفتمْ وعرَفنا مثلَكُمْ
أنَّما الحقُّ لذي ظُفْرٍ وناب
كلُّ أرضٍ نام عنها أهلُها
فهي أرضٌ لاغْتصابٍ وانتهاب
إنني ألمحُ في أوجهكُمْ
دفْقَةَ النُّورِ على تلك الرَّوابي
وأرى أشباح أعوامٍ مضتْ
في كفاحٍ ونضالٍ ووِثاب
وأرى أطياف عصرٍ زاهرٍ
طالعٍ كالشمس من خلْف الحجاب
ليتَه يُسرِعُ كي أُبصرُهُ
قبلَ أن أغدو تراباً في التُّراب

****

١٩ ـ لوس أنجيلوس

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت على شرفه في لوس أنجيلوس، برعاية الجمعية السورية اللبنانية، في فندق أمباسادور.

أنا لستُ في دنيا الخيالِ ولا الكرى
وكأنني فيها لروْعَة ما أرى
يا قومُ هل هذي حقائقُ أم رؤى
وأنا؟ أصاحٍ أم شربتُ مُخدرا؟
لا تعجبوا من دهشتي وتَحيُّري
وتعجَّبوا إنْ لم أكنْ مُتَحيرا
كيف التَفَتُّ رأيتُ آيةَ شاعرٍ
لَبِقٍ تعمَّد أن يُجيد ليبهرا
مسحتْ بإصبعها الحياةُ جفونَهُ
فرأى المحاسنَ فانتقى وتخيَّرا
ما « لوس أنجيلوس » سوى أنشودةٍ
اللهُ غنَّاها فَجُنَّ لها الورى
خلع الزمانُ شبابَهُ في أرضها
فهو اخضرارٌ في السُّفوحِ وفي الذُّرا
أخذتْ من المدنِ العواصمِ مجدها
وجلالها وحوتْ حلاواتِ القُرى
هي واحةٌ للمتعبين، وجنَّةٌ
للعاشقينَ، وملعبٌ لذوي الثَّرا
كَفَّنتُ في نيويورك أحلام الصِّبا
وطويتُها. وحسبتُها لن تُنشرا

لـــكـــنَّـــنِي لـــمَّـــا لمحتُ زهـــورهـــا
شـــاهـــدتُ أحلامـي تُــطلُّ من الـــثَّـــرى
تـتـنـفسُ الـهـضـبـاتُ في رأد[1] الـضُّحى
تـبْـراً وفي الآصـــالِ مـسْـكـاً أذفـرا[2]
فـالـسـحـرُ في ضـحْك الـنَّدى مُـترقـرقاً
كـالـسـحـر في رقْصِ الـضـيـاء مُـعـطَّرا
قُلْ لـلأُلَى وصـفـوا الجِـنـانَ وأطـنَـبـوا
لـيستْ جـنـانُ الخُـلـد أعـجب مـنـظـرا
كلُّ الــفـصـــولِ هــنـــا ربـيـعٌ ضــاحكٌ
فــإذا تـــرى شـــهـــراً رأيت الأشـــهـــرا
إنْ كـنـت تجـهـلُ مـا حـكـايـاتُ الـهـوى
فـانـصتْ لـوشْـوَشـة الـنَّسـيمِ إذا سـرى
وانـظـرْ إلى الـغَـبـراء تُـنـبتُ سُـنـدساً
وتـــأملِ الـــغُـــدْرَانَ تجـــري كـــوثَـــرا
واشـــربْ بـــعـــيـــنـيـك الجـــمـــالَ فـــإنه
خـمـرٌ بـغـيـرِ يـد الـهـوى لن تُـعـصـرا
حـــاولتُ وصـف جـمـــالـــهـــا فـكـــأنـني
وَلَــدٌ بـــأُنْـــمـــله يـــحـــوشُ الأبـــحـــرا
واسـتـنـجـدتْ روحي الخـيـالَ فـخـانـني
وكَـبـا جـوادُ فـصـــاحـتي وتَـعـثَّـرا
أدركتُ تـقـصـيـري وضـعـفي عـنـدمـا
أبـــصـــرتُ مـــا صـــنع الإلـهُ وصـــوَّرا
إني شـــهـــدتُ الحُـسْن غـيـر مُـزيَّفٍ
بـئس الجـــمـــالُ مُـــزيَّـــفـــاً ومُـــزوَّرا

(١) رأد الضحى: رونقه، أو ارتفاعه حين يعلو النهار.
(٢) الذَفَر: كل ريح منتشرة من طيب أو غيره.

أحببتُ حتى الشَّوك في صحرائها
وعشقتُ حتى نخلَها المُتكبرا
اللابس الورَقَ اليبيس تنسُّكاً
والمُشْمخرَّ إلى السماء تَجبُّرا
هو آدمُ الأشجارِ أدركَهُ الحيا
لمّا تبدى عُرْيُه فَتَستَرا
ابنُ الصَّحارى قد تحضَّر وارتقى
يا حُسْنَه مُتَبدياً مُتَحضرا
وبدتْ غياضُ البُرتقالِ فأشبهتْ
جلباب خَوْدٍ بالنُّضارِ[1] مُزرَّرا
من فوقها انتشر الضِّياءُ مُلاءَةً
من فوقه جوٌّ صفا وتبلْورا
وكأنَّما تلك القصورُ على الرُّبا
عقْدٌ لغانيةٍ هوى وتبعثرا
لما تراءتْ من بعيدٍ خلْتُها
سُفُناً وخلْتُ الأرض بحراً أخضرا
نَفَض الصباحُ سناهُ في جُدرانها
وأتى الدُّجى فرأى منائر للسُّرى
مُتألقاتٍ كابتساماتِ الرِّضا
تُنسيكَ رؤيتُها الزمان الأعسرا
أنا شاعرٌ ما لاح طيفُ ملاحةٍ
إلا وهلّلَ للجمالِ وكبَّرا
وزّعتُ نفسي في النفوس محبةً
لا شاكياً ألماً ولا مُتضجرا

---

(١) الخود. الحسناء الشابة. والنضار: الذهب الخالص.

ومشيتُ في الدنيا بقلبٍ يابسٍ
حتى لقيتُ أحبتي فاخْضوضرا
قد كنتُ أحسبُني كَياناً ضائعاً
فإذا أنا شخصٌ يعيش مكرَّرا
فكأنَّني ماءُ الغَمامِ إذا انطوى
في الأرض ردَّتْهُ نباتاً مُثمرا
ما أكرم الأشجار في هذا الحمى
فيها لقاصدها البشاشةُ والقرى[1]
تَقري الفقير على خصاصة حاله
كَرماً كما تَقري الغنيَّ المُوسرا
البذلُ دَيْدَنُها، سواءٌ جئتَها
مُتقدماً أم جِئتَها مُتأخِّرا
فكأنَّها منكمْ تعلَّمتِ النَّدى
كيما تُغيثُ الناس إنْ خطْبٌ عرا[2]

****

(١) الإحسان إلى الضيف (قراه - يقريه).
(٢) عراه - يعروه: غشيه.

٢٠ - عصر الشبيبة

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت - هوليوود بكاليفورنيا.

يـا لـيـتَـمـا رجع الـزمـانُ الأولُ
زمنُ الـشـبـاب الـضـاحكُ الـمُـتـهـللُ

عـهـدُ تـرحّـلَـتِ الـبـشـاشـةُ إذ مـضـى
وأتـى الأسـى فـأقـام لا يـتَـرحَّل

ولّـى الـصـبـا وتـبـددتْ أحلامُه
أودى به وبـهـا قَـضـاءُ حُـوّل[1]

حـصـدتْ أنـامـلُه الـمُـنى فـتـسـاقـطتْ
صـرْعَى كـمـا حـصـد الـسـنـابلَ مـنـجَل

فـالـروحُ قـيـثـارُ وهتْ وتـقـطـعتْ
أوتـارُهُ، والـقـلـبُ قـفْـرُ مُـمْـحل

والـشـيب يُـضـحـكُ بـرْقُهُ في لـمَّـتِي
هـذي الـضّـواحكُ يـا فـؤادي أنـصُلُ

أشـتـاقُ عـصْـرَك يـا شـبـيـبةُ مـثـلـمـا
يـشـتـاقُ لـلـمـاء الـنَّـمـيـرِ الأيَّلُ[2]

إذ كـانت الـدنـيـا بـعـيـني هـيـكلاً
فـيـه إلاهـاتُ الجـمـالِ تُـرتِّلِ

---

(١) يتحول ويتغير

(٢) ذكر الوعل.

من كلِّ حسناءٍ كأنّ حديثَها السْـ
ـسلْوى أوِ الوحيُ الطَّهورُ المُنَزَل

وأنا وصحْبي لا نفكِّرُ في غدٍ
فكأنَّ ليس غدٌ ولا مُستقبَل!

نلهو ونلعبُ لا نُبالي ضمَّنا
كوخٌ حقيرٌ أمْ حوانا منزل

نتوهَّمُ الدنيا لفَرْط غرورِنَا
كملتْ بنا وبغيرنا لا تكمُل

ونخالُ أن البدر يطلُعُ في الدُّجى
كيما يسامرُنا فلا نتململ

ونظنُّ أنّ الرَّوض ينشرُ عطرَهُ
من أجلنا. ولنا يُغنِّي البُلبل

فكأنَّما الأزهارُ سرْب كواعبٍ
وكأنَّما هو شاعرٌ يتغَزَّل

في كلِّ منظورٍ نراه ملاحةً
وسعادةً في كلِّ ما نتَخَيَّل

لا شيء يُزعجُ في الحياة نفوسنا
لا طارئٌ، لا عارضٌ، لا مُشكل

فكأننا في عالَمٍ غيرِ الذي
تَتَزاحمُ الأيدي به والأرجُل

وكأننا رَهْطُ الكواكبِ في الفَضا
مهما جرى في الأرض لا تَتَزلزل

الناسُ في طَلبِ المعاشِ وهمُّنَا
كأسٌ مُشعشَةٌ وطرْفٌ أكْحَل
كم عنَّفُونَا في الهوى واسْتَرسلوا
لو أنَّهم عرَفوا الهوى لم يعذُلوا
ولو أنَّهُمْ ذاقُوا كما ذُقنا الرُّؤى
شبِعتْ نفوسُهُمُ وإنْ لم يأكلوا
زعموا تبذُّلَنا ولم يتبذَّلوا
إن الحقيقةَ: كلُّنا مُتَبذِّل!
حُرِموا لَذاذاتِ الهُيام وفاتَنا
دركُ الحُطام، فأيُّنا هو أجهل؟
إني تأملتُ الأنامَ فَرَاعني
كيف الحياةُ بهم تجِدُّ وتهزِل
لا يضبطونَ مع الصُّروف قيادَهُمْ
إلا كما ضبطَ المياهَ المُنخُل
بينا الفتى ملءُ النواظرِ والنُّهى
فإذا به رقْمٌ خفيٌّ مُهمَل
يا صاحبي والعمرُ ظلٌ زائلٌ
إن كنت تأمُلُ فيه أو لا تأمُل
الذِّكْرُ أثمنُ ما اقتنيت وتقتني
والحبُّ أنفسُ ما بذلت وتبذُل
قيل: اغْتَنَى زيدٌ، فليتكَ مثلُهُ
أنا مثلُه، إن لم أقُلْ: أنا أفضل!
الشَّمسُ لي وله، ولألاءُ الضُّحى
والنيراتُ، ومثلُنا المُتسوِّل

أمــا الــنُّــضــارُ فــإنَّه يــا صــاحــبي

عــرضٌ يــزولُ وســلْــعــةٌ تــتــنــقَّل

مــا دُمتُ في صــحــبي ودام وفــاؤهُمْ

فــأنــا الــغــنيُّ الحقُّ لا الــمُــتــمــوِّل

أنــا لــستُ أعــدلُ بــالمــنــاجمِ واحــداً

وأبــيعُ من عــقَــلــوا بمــا لا يــعْــقل

****

٢١ - عطش الأرواح

[الرمل]

زَحــزَحتْ عن صــدرهــا الـغَـيم الــسَّـمـاءْ
وأطلّ الــنُّـورُ من كــهْف الــشِّــتـاءْ
فـــالـــرَّوابي حُـــلَلٌ مـن سُـــنــدُسٍ
والـــسّـــواقـي ثــرثــراتٌ وغـــنـــاء
رجع الــصَّــيفُ ابــتــســامــاً وشــذاً
فـمـتى يـرجعُ لـلـدنـيـا الـصّـفـاء
فـــأرى الـــفـــردوس في كلِّ حـــمى
وأرى الــنــاس جـمــيـعــاً سُـعــداء
زالـت الحـــــــربُ وولـتْ إنمــــــا
لـيس لـلـذعــرِ من الحـربِ انـقـضـاء
إنْ صــحـــونَـــا فـــأحــاديثُ الـــوغَى
في الحـــمى الأهلِ والأرضِ الـــعـــراء
وإذا نمـــنَـــا تَـــراءتْ في الـــكَـــرى
صُـورُ الــهـولِ وأشـبــاحُ الـفَـنـاء
فـــهْي في الأوراق حـــبْـــرٌ هـــائجٌ
وعـلى « الـراديـو» فَـحـيحُ الـكـهـربـاء
نَـــتَّــقِي في يـــومـــنـــا شـــر غـــدٍ
وإذا الـصُّـبحُ انـطـوى خـفـنـا المـسـاء
عـــجـــبـــاً! والحـــربُ بـــابٌ لـــلــردى

---

(١) عفا المنزل: درس.

وطـــريقٌ لـــدمـــارٍ وعـــفَـــاء[1]

كـيف يـهـواهـا بـنـو الـنـاسِ، فـهلْ
كَـرِهـوا في هـذه الـدنـيـا الـبـقـاء؟

إن يـكُنْ عـلْمُ الـورى يُـشـقـيـهمُ
يـا إلـهي ردَّ لـلـنـاسِ الـغَـبـاء

ولـيـجئْ طُـوفـانُ نُـوحٍ قـبـلَـمـا
تَـغـرقُ الأرضُ بـطـوفـانِ الـدمـاء

واعـصِمِ الأسـرار واحـجُبْ كُـنـهـهـا
عن ذوي الـعـلـمِ وأربـابِ الـذَّكـاء

فـلـقـد أكـثـرت أسـبـاب الأذى
عـنـدمـا أكـثـرت فـيـنـا الـعُـلـمـاء

كـم وجـدنـا آفـةً مُـهـلـكـةً
كـلَّـمـا زَحْـزحت عن سـرٍ غـطـاء

قـد تَـرْقَى الخَـلْقُ لـكن لم تـزلْ
شـرْعـةُ الـغـابـة شـرْع الأقـويـاء

حُـرم الـقَـتلُ، ولـكن عـنـدهُمْ
أهـونُ الأشـيـاء قـتلُ الـضُّـعـفـاء

لا تـقلْ لي هـكـذا الـلـه قـضـى
أنت لا تـعـرفُ أسـرار الـقـضـاء

جـاءني بـالمـاء أروي ظَـمـئي
صـاحبٌ لي من صـحـابي الأوفـيـاء

يـا صـديـقي! جـنِّبِ المـاءَ فـمي
عـطَشُ الأرواحِ لا يُـروى بمـاء

أنـا لا أشـتـاقُ كـاسـاتِ الـطِّلا
لا ولا أطـلـبُ مـجْـداً أو ثـراء

إنمـا شـوقي إلى دنـيـا رِضـاً

وإلى عـــــصـــــرِ سلامٍ وإخـــــاء

لا تــعـدْني بـالــسَّـمـا يـا صــاحـبي

الــسّــمــا عــنــدي قــربُ الأصــدقــاء

وأراني الآن فـي أكــــنــــافــــهمْ

فـــأنـــا الآن كـــأني في الـــسَّـــمـــاء!

****

٢٢ - بلادي

[الكامل]

إنِّي مـــررتُ عـــلى الــريـــاض الحـــالـــيَهْ
وســمــعتُ أنــغــام الــطــيــورِ الــشَّــاديَه
فــطـــربتُ، لـــكن لم يُـــحـبَّ فـــؤاديه
كـــطـــيـــور أرضـي أو زهـــورِ بلادي

✡✡✡✡✡

وشـــربتُ مـــاءَ الـــنِّـيل شـيـخِ الأنـــهـــرِ
فـــكـــأنـــني قـــد ذُقتُ مـــاء الـــكـــوثـــرِ
نـــهـــرُ تـــبـــاركَ من قـــديمِ الأَعـــصُـــرِ
عـــذْبُ، ولـــكنْ لا كـــمـــــاء بلادي

✡✡✡✡✡

وقـــرأتُ أوصـــاف المـــروءة في الـــســـيـــرْ
فـــظـــنـــنـــتُـــهـــا شـــيـــئـــاً تلاشى واندثـــر
أو إنـــهـــا كـــالـــغُـــول لـــيس لـــهـــا أثـــر[١]
فـــــإذا المـــــروءة في رجـــــال بلادي

✡✡✡✡✡

ورســـمتُ يـــومـــاً صـــورةً في خـــاطـــري
لـــلـــحُـــسْنِ، إن الحـــسن ربُّ الـــشـــاعـــرِ
وذهـــبتُ أُنـــشـــدهـــا فـــأعْـــيـــا خـــاطـــري
حـــتى نـــظـــرتُ إلى بـــنـــات بلادي

✡✡✡✡✡

---

(١) إشارة إلى كونه من السَّعالى المتخيلة (توصف بالخبث والسلاطة).

قـــالـــوا ألـــيس الحُـــسْنُ في كلٍّ الـــدُّنـــا
فـــعلام لم تَـــمـــدحْ ســـواهـــا مـــوْطـــنـــا
فـــأجـــبـــتـــهمْ: إنـي أُحبُّ الأَحْـــســـنـــا
أبـــــداً، وأحـــــسنُ مـــــا رأيتُ بلادي

✡✡✡✡✡

قـــالـــوا: رأيـــنـــاهـــا فـــلم نـــر طـــيـــبـــا
ولّى صـــبـــاهـــا والجـــمـــالُ مع الـــصِّـــبـــا
فـــأجـــبـــتـــهمْ: لـــتـــكن بلادي ســـبْـــســـبـــا
قَـــفـــراً، فـــلـــستُ أُحبُّ غـــيـــر بلادي

✡✡✡✡✡

قـــالـــوا: تـــأملْ أيَّ حـــالٍ حـــالَـــهـــا
صـــدع الـــقـــضـــاءُ صُـــروحـــهـــا فـــأمـــالَـــهـــا
ســـتـــمـــوتُ.. إنِ الـــدَّهـــر شـــاء زوالَـــهـــا
أتـــــمـــــوتُ؟ كلا لـن تـــــمـــــوت بلادي

✡✡✡✡✡

هـي كـــالـــغـــديـــرِ إذا أتى فـــصلُ الـــشِّـــتـــا
فَـــقـــد الخَـــريـــر وصـــار يـــحـــكي الـــمـــيِّـــتـــا
أو كـــالـــهـــزارِ حـــبـــســـتَه.. لـــكن مـــتى
يـــعُـــد الـــربـــيعُ يـــعُـــدْ إلى الإنـــشـــاد

✡✡✡✡✡

الـــكـــوكبُ الـــوضـــاحُ يـــبـــقى كـــوكـــبـــا
ولـــئنْ تـــســـتَّـــر بـــالـــدُّجى وتـــنـــقَّـــبـــا
لـــيس الـــضَّـــبـــابُ بـــســـالبٍ حُـــسْن الـــرُّبـــا
والـــبـــؤسُ لا يمـــحـــو جـــمـــالَ بلادي

✡✡✡✡✡

لا عـــزَّ إلا بـــالـــشـــبـــاب الـــراقي
الـــنـــاهضِ الـــعـــزَمـــاتِ والأخـلاق
الـــثـــائـــرِ الـمـــتـــفـــجِّـــر الـــدفّـــاق
لـــــولاهُ لـم تـــشْـــمخْ جـــبـــالُ بلادي

****

٢٣ - روعة العيد

[البسيط]

يا شاعر الحُسْنِ هذي روعةُ العيد
فاستنجد الوحي واهتفْ بالأناشيد

هذا النعيمُ الذي قد كنت تَنشدُهُ
لا تلْهُ عنه بشيءٍ غيرِ موجود

محاسنُ الصَّيف في سهلٍ وفي جبلٍ
ونشوةُ الصيف حتى في الجلاميد

ولست تُبصرُ وجهاً غير مُؤتلقٍ
ولست تسمعُ إلا صوت غرّيد

قُمْ حدثِ الناس عن لبنانَ كيف نجا
مِن الطغاة العُتاة البيضِ والسُّود

وكيف هشَّتْ دمشقُ بعد محنتها
واسترجعتْ كلَّ مسلوبٍ ومفقود

✡✡✡✡

فاليومُ لا أجنبي يستبدُّ بنا
ويستخفُّ بنا استخفاف عرْبيد

يا أرزُ صفِّقْ، ويا أبناءَهُ ابتهجوا
قد أصبح السِّربُ في أمْنٍ من السيد(١)

ما بلبلٌ كان مسجوناً فأطلقَهُ
سجَّانُهُ، بعد تعذيبٍ وتنكيد

---

(١) الذئب.

فـراح يـطـوي الـفـضـاءَ الـرحب مـنـطـلـقـاً
إلى الــرُّبـا والــسَّــواقي والأَمَــالــيـد[1]
إلى المـروجِ يُـصـلّي في مـسـارِحِـهـا
إلى الـكُـروم يُـغـنّي لـلـعـنـاقـيـد
مـنِّي بـأسـعـد نـفْـسـاً قـد نـزلتُ عـلـى
قـومي الـصَّـنـاديـد أبـنـاء الـصَّـنـاديد[2]
سـمـاءُ لـبـنـانَ بِـشْـرٌ في مـلامـحـهِمْ
وفـجـرُه في ثـغـور الخُـرَّدِ الـغـيـد[3]
إنْ تسـكـنوا الطَّود صـار الطَّودُ قِبلـتَنا
أو تهـبِطوا الـبِيد لم نـعشقْ سوى البيد

****

(١) الأملود من النساء: الناعمة المستوية القامة.
(٢) الصنديد: السيد الشجاع.
(٣) الخريدة: الحسناء الشابة

٢٤ - يا أنشودتي انطلقي

[البسيط]

أنـشـودةٌ فـي ضـمـيـري كم أُواريـهـا
وما شـفَـائي إلا أنْ أُغَـنِّـيـهـا

ولّى الـشـتـاءُ ونـفـسي في كـآبـتـهـا
واستْضحْك الـصيفُ إلا في نـواحِيها

كـأنـهـا زَهـرةٌ في الـظلِّ نـابِـتـةٌ
لا نـور يـغـمُـرُهـا، لا مـاءَ يـسـقـيـهـا

كـأنَّـهـا الحـربُ في قـلـبي زلازلُـهـا
وبـعضُ أهـلي أقـوامٌ تُـعـانـيـهـا

حـكـايـةٌ أتَـقـلَّى حـين اسـمعُـهـا
ويـأكلُ الحُـزنُ قـلـبي حـين أَرويـهـا

وارحـمـتـاهُ لأوربّـا فـمـا فَـتَـكَتْ
أفـعى بـأفـعى كـأهـلـيـهـا بـأهـلـيـهـا

لم يـبقَ غـيـرُ الـضَّـواري في خلائـقـهـا
ومِن حـضـارتِـهـا إلاّ مـخَـازيـهـا

كـانت تُـعـدُّ الـدَّواهي في مـصـانـعـهـا
لـغـيـرِهـا، فـأصـابـتْـهـا دواهـيـهـا

وكلُّ طـابخِ سُمٍّ سـوف يـأكـلُـه
وكل حـافـرِ بِـئـرٍ واقعٌ فـيـهـا

لـو دام إيمـانُـهـا لم تـنـطـلقْ سـقَـرٌ
بـدُورِهـا، والأفـاعي في مـغَـانـيـهـا

لــكنْ أكــبّتْ عــلى الآلات تــعــبُــدُهــا

وتــســتــعــينُ بــهــا مِن دونِ بــاريــهــا

فــصــار مــالـكُــهـا عـبـداً لـسُـلـطَـتـهـا

وصــار كلُّ ضــعـيفٍ من أضــاحـيــهـا

وصــار إنــســانُــهــا لــلــحــلْبِ آونَــةً

والــذّبحِ، مــثلَ المــواشي في مــراعــيــهـا

يـا نفسُ سرّي[1]، ويـا أنشودتي انطلقي

من عـالَم الـصَّمت، إنَّ الـصَّمت يُـؤذيـهـا

أيُــشــرِقُ الأفقُ لم يُــطــلِعْ كــواكــبَه

وتجـملُ الأرضُ لم تُـخـرِجْ أقــاحـيــهـا

الـيـوم يـومُ الـقَـوافي تـهـتِـفـينَ بـهـا

لا يـشـربُ الـنـاسُ خـمـراً لـم تَـصُـبِّيـهـا

هــذا هــو الــعـيــدُ قــد لاحت مــواكــبُهُ

يـا قـلبُ هـلِّل لـهـا، يـا شـعرُ حـيـيِّـهـا

****

(١) سَرّي عنك.

٢٥ - في قلبك الله

[البسيط]

مرّت ليالٍ وقلبي حائرٌ قلقٌ
كالفُلْك في النَّهر هاج النوءُ مجراهُ
أو كالمسافرِ في قَفْرٍ على ظمأ
أضنَى المسيرُ مطاياهُ وأضْناه
لا أدرُكُ الأمر، أهواه وأطلبه
وأبلغُ الأمر، نفسي ليس تهواه!
عجِبْتُ من قائلٍ: إني نسيتكمُ،
من كان في القلب كيف القلبُ ينساه؟
إن كنتُ بالأمسِ لم أهبِطْ مرابِعكُمْ
فالطَّيرُ يقعدُ موثوقاً جناحاه
فلا يُقرِّبُه شوقٌ إلى نَهرٍ
وليس تنقلُهُ في الرَّوضِ عيناه
وليس يشكو ولا يبكي مخافةَ أنْ
تؤذي مسامع من يهوى شَكَاواه
إني لأعجبُ منّا كيف تخدعُنا
عن الحقائقِ أمثالٌ وأشباه
إذا بنى رجلٌ قصراً وزخرفَهُ
سُقنَا إليه التّهاني وامتَدحناه
وما بنى قصرَهُ إلا ليحجُب عن
أبصارِنا في زواياهُ خطاياه

ونمـــــدحُ المـــــرء من خَـــزٍّ ملابـــسُه
وذلك الخـــزُّ لم تـــنـــسُـــجْهُ كـــفَّـــاه
وإنْ أتـــانــا أخـــو مـــالٍ يـــكـــاثـــرُنــا
بـالـتِّـبْـرِ تـيـهـاً رجـونَـاهُ وخـفـنـاه
وقـــد يـــكـــونُ نُـــضـــارُ في خـــزائـــنه
دمــاً سـفـكـنـاهُ أو جُـهـداً بـذلـنـاه
لا َتحـسبِ المجـد مـا عـيـنـاكَ أبـصـرتـا
أو مـا مـلـكت هـو الـسـلـطـانُ والجـاه
المـالُ مـولاك مـا أمـسـكـتُهُ طـمـعـاً
فـانـفـقْهُ في الخـيـر تُـصـبحْ أنت مـولاه
مـــا دام قـــلـــبُك فـــيه رحـــمـــةٌ لأخٍ
عـــانٍ، فـــأنت امـــرؤٌ في قـــلـــبك الـــله

****

٢٦ - الرأي الصواب

[الكامل]

يـــا نـــفسُ هـــذا مـــنـــزلُ الأحـــبـــابِ
فـــانْـــسي عـــذابك في الـــنَّـــوى وعـــذابي
وتـــهـــلَّـــلـي كـــالـــفـــجـــر في هـــذا الـحـمى
وتـــأَلَّـــقِي كـــالـــخـــمـــر في الأكـــواب
ولْـــتـمـسـحِ الـبُـشـرى دمـوعك مـثـلـمـا
يـمـحـو الـصـبـاحُ نـدى عن الأعـشـاب
واسـتـرجِـعي عـهـد الـبشـاشَـة والـرِّضـا
فـالـدهـرُ عـاد تـضـاحُـكـاً وتَـصـابي
أنـــا بـــين أصـــحـــابي الـــذين أحـــبُّـــهمْ
مـــا أجـــملَ الـــدنـــيـــا مع الأصْـــحـــاب!
قـد كـنـتُ مـثْلَ الـطـائـر المحـبـوسِ في
قَـفَـصٍ، ومـثْلَ الـنـجـمِ خـلف ضـبـاب
يمـــتـــدُّ في جُـــنـح الـــظلام تـــأَوُّهي
ويـــطـــولُ في أُذْن الـــزمـــان عـــتـــابي
وأهُـــزُّ أقلامـي فـــتـــرشحُ حـــدَّةً
وأسى، ويـــنـــدى بـــالـــدمـــوع كـــتـــابي
حـــتى لـــقـــيـــتُـــكمُ فـــبِتُّ كـــأنـــني
لـمـسـرَّتي، اسـتـرجـعتُ عـصـر شـبـابي
لـيس الـتـعـبُّـدُ أن تـبيت عـلى الـطَّوى
وتـــروح في خـــرَقٍ من الأثـــواب

لـــكـــنه إنـــقـــاذُ نـــفسٍ مـــعـــذَّبٍ

من رِبـــــقَـــــة الآلام والأوصـــــــاب(١)

لـيس الـتـعـبُّـدُ عـزلـةً وتـنـسُّـكـاً

في الـديـر، أو في الـقـفـرِ، أو في الـغـاب

لـــكـــنه ضـــبْطُ الـــهـــوى في عـــالَمٍ

فـيه الـغَـوايـةُ جـمّـةُ الأسـبـاب

وحـــبـــائلُ الـــشـــيـــطـــانِ في جـــنـــبـــاته

والمـــــالُ فـــــيه أعـــــظمُ الأربـــــاب

هـــذا هـــو الـــرأي الـــصَّـــوابُ وغـــيـــرُهُ

مـــهـــمـــا حلا لـــلـــنـــاس، غـــيـــرُ صـــواب

****

---

(١) الوصب: الوجع والمرض (وصِب - يوصب وصباً).

٢٧ ـ ليس السرُّ في السَّنوات

[الكامل]

قُلْ للذي أحصى السنينَ مُفَاخراً
يا صاحِ ليس السرُّ في السَّنواتِ

لكنه في المرءِ كيف يعيشُها
في يقْظةٍ أم في عميقِ سُباتِ

قُمْ عُدَّ آلاف السنينَ على الحصا
أتعدُّ شبه فضيلةٍ لحصاة؟

خيرٌ من الفَلَواتِ لا حدَّ لها
روضٌ أغنُّ يُقاسُ بالخطواتِ

كنْ زهرةً أو نغمةً في زهرةٍ
فالمجدُ للأزهارِ والنغَماتِ

تمشي الشُّهورُ على الورود ضحوكةً
وتنامُ في الأشواك مكتئباتِ

وتموتُ ذي للعُقْم قبلَ مماتها
وتعيشُ تلك الدَّهر في ساعاتِ

تُحصى على أهلِ الحياة دقائقٌ
والدهرُ لا يُحصى على الأمواتِ

العمرُ ـ إلاّ بالمآثر ـ فارغٌ
كالبيت مهجوراً وكالموماة[1]

جعلَ السنينَ مجيدةً وجميلةً
ما في مطاويها من الحسناتِ

****

(١) المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.

٢٨ - إليكَ عنّي[١]

[الكامل]

كم تستثيرُ بي الصَّبابةَ والهوى
عنِّي إليك، فإنَّ قلبي من حجرْ
ما لي وللحسناء أُغري مُهجتي
بوصالها، والشَّيبُ قد وخَطَ الشَّعر
كم « بالجزيرةِ » لو يتاحُ لي الهوى
من غادةٍ تحكي بطلعتها القمر
ولَكَمْ بها من جدولٍ وحديقة
من صنْعة الرحمن لا صُنعِ البشر
فيها اللواتي إنْ رمتْ ألحاظُها
شلّتْ يد الرَّامي وقطَّعتِ الوتر[٢]
قد كان لي في كل خَوْدٍ مطمعٌ
ولكل رائعة المحاسنِ بي وتَر[٣]
أيامُ شعري كالدجى مُحْلولكٌ
أيامُ عيْشي لا يُخالطُه كدر

✡✡✡✡

ذرني وأشجاني، وجسمي، والضَّنى
ويدي، وأقلامي، وطَرْفِي، والسهرْ

---

(١) النص مجتزأ من نص طويل موجه إلى (شكري أبي صالح). انظر في شعر الشاعر (خارج الدواوين)، النص رقم (٢) وانظر ما قلنا فيه.
(٢) واحد من أوتار القوس.
(٣) يعني هنا وتراً من أوتار العود.

أأبـيـتُ ألــهـو والــهـمـومُ تُــحـيط بي

وأنــامُ عن قــومـي، وقــومي فـي خـطـر!

صـوتُ المـصــفِّقِ مـوعـدٌ مـا بـيـنـنـا

مــاذا أقـول لـهم، إذا الـديكُ اسْـتَـحـر؟[1]

****

(١) استحر الطائر: غرّد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

٢٩ - دودة وبلبل

[الخفيف]

نـــظَــــرتْ دودةٌّ تـــــدِبُّ عـــــلى الأرْ
ضِ إلى بُــلـــبلٍ يــطــيــرُ ويــصـــدحْ

فـمـضتْ تـشـتـكي إلى الـوَرَقِ الـسَّـا
قط في الحــقل: أنَّـــهـــا لم تُـــجـــنَّح

فـــأتتْ نمـــلـــةٌ إلـــيـــهـــا وقـــالت
اقـــنَـــعي واســكُـتِي فـمــا لك أصـلَح

مـــا تـــمـــنّـــيتِ إذ تـــمـــنـــيتِ إلا
أن تـــصـــيـــري طـــيـــراً يُـــصـــاد ويُـــذبح

فـــالـــزَمي الأرض فـــهي أحـنَى على الدُّو
د وخَـــلِّي الــــكلام فــــالــــصَّـــمتُ أريح

****

٣٠ - هديّة العيد

[الخفيف]

أيَّ شيءٍ في العيد أُهدي إليك
يا ملاكي، وكلُّ شيءٍ لديك

أسواراً؟ أم دُمْلُجاً من نُضارٍ؟[1]
لا أُحبُّ القُيود في معْصميْك

أم خُموراً؟ وليس في الأرض خَمرُ
كالتي تسكبينَ من لحظَيْك

أم وروداً؟ والوردُ أجملُهُ عنْـ
ـدي الذي قد نَشقْتُ من خدَّيك

أم عقيقَاً كمُهجتي يتَلظّى؟
والعقيقُ الثمينُ في شفتيك

ليس عندي شيءٌ أعز من الرُّو
حِ وروحي مرهُونةٌ في يديك

****

(١) الدُمْلُج والدملوج: السوار من الحلي، ويغطي العضد. والنضار الذهب الخالص.

٣١ - إن الحياة قصيدة!

مـا لـلـقـبـورِ كـأنَّـمـا لا سـاكنٌ
فـيـهـا وقـد حـوت الـعُـصـور المـاضـيهْ
طَـوت الملايـينَ الـكـثـيـرةَ قـبـلَـنَـا
ولـسـوف تَـطـويـنـا وتـبـقَى خـالـيه
أين الـمـهـا وعـيـونُـهـا وفـتـونُـهـا
أين الجـبـابِـرُ والمـلـوكُ الـعـاتـيه
زالـوا من الـدُّنـيـا كـأنْ لم يُـولَـدوا
سـحـقَـتْـهُمُ كفُّ الـقـضـاء الـقـاسـيه
إنَّ الحـيـاةَ قَـصـيـدةٌ أعـمـارُنـا
أبـيـاتُـهـا، والمـوتُ فـيـهـا الـقـافـيه
مـتِّعْ لـحـاظَك في الـنُّـجـوم وحُـسـنـهـا
فـلـسـوف تـمـضـي والـكـواكبُ بـاقـيه

****

٣٢ - ليالي بوسطن

[الرمل]

إنْ أَغبْ يــا صــحبُ عن ذاك الحِــمى

لم أزلْ مــعْــكُمْ كــمــا أنــتمْ مــعي

فــإذا الأنجمُ شــعَّتْ في الــسَّــمــا

قــلتُ هــذي أنــتمُ في مــجْــمع

وإذا الــشَّــادي بــلــحنٍ رنَّــمــا

خــلــتُهُ أصــواتَــكُمْ في مــسْــمــعي

✡✡✡✡

آه لــو يُــغــنِي خَــيــالُ عن عــيــانِ

كــان كــالــمــنْــهلِ، رسم المَــنْــهلِ

ولــعــاش المــرءُ في دُنــيــا الأمــاني

يــقــطعُ الــدُّنــيــا ولم يــنــتَــقل

وســلَــوْنــا عن مــكــانٍ بمــكــانِ

ولأغْــنَــى آخــرُ عــن أوّل

✡✡✡✡

ولَــنــابتْ عن نجــومٍ نَــيــراتٍ

صُــوَرٌ مــطــبــوعــةٌ في الــورَقِ

واكــتــفــيــنــا بــخــريــرِ الــسَّــاقــيــاتِ

في الــدُّجى عن مــائــهــا المُــنــدَفِقِ

✡✡✡✡

يــا لــيــالي « بــوســطُنْ » هل تــرجــعــينْ

فــأرى صــحــبِي الــكــرامَ الــبــررَهْ

ويـــزولُ الـــهمُّ عن قـــلـــبي الحـــزينْ
بـالـوجـوه الـمُـشْـرقَـاتِ الـنّـضـرهْ
إنـه يـــســـــألُـــــني في كلِّ حـــينْ:
أين تـــلك الجـــنَّـــةُ المخـــتَـــصـــره؟

✡✡✡✡✡

ذهـــبتْ يـــا قـــلـبُ إلا ذكـــريـــاتْ
كـــبـــروقٍ ضـــحـــكتْ في الـــغَـــسَقِ[1]
تَـــأنسُ الـــعـــينُ بـــهـــا فـي الـظُّـلـمـاتْ
وهـي تـــــفـــــنى فـي رحـــــابِ الأفُق
يـــا لـــيـــالي بـــوســـطُنْ لـــيت الحـــيـــاةْ
عـــدلَتْ فـــيـــنـــا فـــلـم نَـــفْـــتَـــرِق

✱✱✱✱

(١) الغسق. أول ظلمة الليل.

٣٣ - صوت من سوريّاً

[مجزوء الرمل]

صـــوتُ ســـوريَّـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُك الـــعـــذبِ الـــرخـــيمْ
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــلَهْ
لاعبٌ مـــثلَ الـــنَّـــســـيـم

✡✡✡✡✡

يـــا أخَـــا الـــورْقَـــاء[1] غن
فـــالـــغـــنَـــا شـــعـــرُ الـــســـمـــاءْ
فـــهْـــو في الـــغُـــصن تَـــثَنِّ
وهـــو في الـــنَّـــجم بـــهـــاء

✡✡✡✡✡

صـــوتُ ســـوريـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُك الـــعـــذبُ الـــرخـــيم
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنـــســـيمْ

✡✡✡✡✡

غـــنِّـــنـــا حـــتى نَـــمـــيلا
مـــثلَ أغـــصـــانِ الأَراك[2]
كم بِـــنـــا صـــبّـــاً عـــلـــيلا
لا يـــداويـــه ســـــواك

✡✡✡✡✡

---

(١) الحمامة في لونها بياض وسواد.
(٢) شجر أغصانه طيبة الرائحة، يُتخذ منها السواك.

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرّخـــيم
ضـــاحـكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنَّـــســـيمْ

✡✡✡✡✡

أيـــهـــا الـــمـــحـــزونُ هـــيّـــا
واســـمعِ الـــيـــوم الـــكَـــنـــارْ[1]
ســـاجِـعـــاً ســـجْـعـــاً شَـجـيّـا
ذاكـــراً تـــلـــك الـــديـــار

✡✡✡✡✡

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرخـــيم
ضـــاحـكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنّـــســـيمْ

✡✡✡✡✡

لـــيـــتـــنـــا كـــنَّـــا طـــيـــورا
حـــولَ عـــيْـنٍ أو غـــديـــرْ
نـــرشفُ المـــاءَ نَـــمـــيـــرا[2]
نـــلـــقُطُ الحبَّ الـــنـــثـــيـــر

✡✡✡✡✡

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــله
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرخـــيم

---

(١) الكناري طائر حسن الصوت، منسوب إلى جزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي.
(٢) الماء النمير: الماء الناجع.

ضـــــاحـكٌ مــــثلَ الخَـــمـــيــــلـه
لاعـبٌ مـــــثلَ الــــــنَّــــســـــــيمْ

✡✡✡✡

مــــوطنٌ نــــهـــوى سُـــهــــولَهْ
مــــثــلــمـــا نـــهـــوى رُبـــاهْ
الـــصَّـــبـــا فـــيه عـــلـــيــلَهْ
تَـــتَـــــداوى بِـــــنـــــداه

✡✡✡✡

كم بـــدا الـــبـــدرُ ضـــحـــوكًـــا
راقـــصـــاً فـــوق الـــكــــرومْ
واسْـــتَـــوى الـــلـــيلُ مـــلـــيْـــكـــا
لابـــســـاً تـــاج الـــنُّــجـــوم
صـــوتُ ســـوريـــا الجـــمـــيـــلَهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذْبُ الـــرخـــيـم
ضــــاحـكٌ مـــثلُ الخـــمـــيـــلـه
لاعـبٌ مـــــثلَ الــــنَّـــســــــيم

****

٣٤ - حكمة المتنبي

[الطويل]

جلستُ أناجي روح أحمد في الدُّجى
وللهم حولي كالظلامِ سُدولُ

أُفكِّر في الدنيا وأبحثُ في الورى
وعيني ما بين النجومِ تَجُول

طويلاً، إلى أن نال من خاطري الونى[1]
ورانَ على طَرْفي الكليلِ ذُبول

فأطرقتُ أمشي في سطورِ كتابهِ
بطرفي، فألفيتُ السطور تقول

« سوى وجعِ الحُسَّاد داوِ فإنه
إذا حلّ في قلبٍ فليس يحول»

« فلا تطمعَنْ من حاسدٍ في مودةٍ
وإن كنتَ تُبديها له وتُنيل»

****

(١) الضعف والفتور والإعياء.

٣٥ - أنفُس العُشّاق

[مجزوء الكامل]

بـــالأمسِ بـــادَرَني صـــديقٌ حـــائـــرٌ يـــســـتَـــفـــهِمُ
أجـــهـــنَّمٌ نـــارٌ، كـــمـــا زعم الـــهُـــداةُ وعـــلّـــمـــوا؟
أم زمـــهـــريـــرٌ قـــارِسٌ قـــاسٍ وكَـــونٌ مُـــظـــلم؟
فـــأجـــبـــتُه: مـــا الـــزَّمـــهـــريـــرُ ومـــا الـــلّـــظى الـــمـــتـــضـــرِّم
بـــجـــهـــنَّمٍ..! لـــكـــنَّـــمـــا ألا تُـــحـــبَّ: جـــهـــنَّم
يـــا صـــاحـــبي إنّ الخَـــواءَ هـــو الـــعـــذابُ الأعـــظم
الـــقـــلبُ، إلاّ بـــالمحـــبـــة، مـــنـــزلٌ مُـــتـــردِّم[1]
هي لـــلـــجـــراحـــة مـــرْهَمٌ، هي لـــلـــســـعـــادة سُـــلَّم
هي في الـــنُّـــجـــوم تـــألقٌ، هي في الحـــيـــاة تـــرنُّم
هي أنـــفسُ الـــعُـــشّـــاقِ في غَـــسَقِ[2] الـــدُّجى تَـــتَـــبـــسَّم

****

(١) متهدم (يملؤه الردم).

٣٦. روحي فداك

[الكامل]

لـــمّـــا رأيتُ الـــورد في خــــدَّيْك
وشــقــائقَ الــنُّــعــمــانِ في شــفَــتــيك
وعــلــى جــبــيــنك مــثلُ قَــطْــراتِ الــنَّــدى
والــنَّــرجسُ الــوســنــانُ في عــيــنــيك
ونــشــقــتُ من فَــوْدَيْك[1] نــدّاً عــاطــراً
لـــمّـــا مــشتْ كــفّـــاكِ في فَـــوْديك
ورأيتُ رأسَك بـــالأقـــاحِ مُـــتـــوَّجـــاً
والـــفُلُّ طـــاقـــاتٍ عـــلـــى نــــهـــديك
وســمعتُ حــولَك هــمس نــسْمــات الــصَّبا
عــنــد الــصــبــاح، تــهــزّ من عِــطْــفــيك[2]
أيـــقــــنــتُ أنك جـــنّــــةٌ خَلاّبـــة
فــحــنــنتُ من بــعْــدِ الــمــشــيبِ إلــيك
ولــذاكَ قــد صــيّــرتُ قــلــبي نَــحْــلــةً
يـــا جــنَّــتي، حــتّى يــحــوم عــلــيك
روحي فـــداؤُك إنَّــــهـــا لـــو لم تـــكن
فــي راحــتــيك، هــوتْ عـــلــى قــدمــيك..

****

(١) جانبا الرأس.
(٢) العطفان: الجانبان عن يمين وشمال.

٣٧ - لو

[السريع]

لــو أنــني يــا هــنــدُ بــدرُ الــسّــمــا
نــــزلتُ من أفْــقي إلى مـــخــدعكْ(١)
وصـــرتُ عـــقـــداً لك أو خـــاتَــمـــا
في جِـيـدك الــنّــاصعِ أو إصــبــعك
أو بُــلــبلَ الـــروضِ مـــا لـــذَّ لِي
الإنــشــادُ إنْ لم يــكُن في مــســمـعك
ولـــو أكـــونُ الأرج الـــذاكي
لمـــا هـــجــرتُ الــرَّوْض لــولاك
ومـــا حــوانِي غــيــرُ مــغْــنــاك
ولم أَفِحْ حــتى تــكــوني مــعي

✡✡✡✡

فــيك وفي الــوردة ســرٌّ الــصــبــا
وفي الــصــبــا ســرٌّ الــهوى والجــمــالْ
فــإنْ تَــرَيْــني واجــمــاً بــاهــتــاً
حــيــالَــهــا أخــشى عــلــيــهــا الــزَّوال
فــإنَّــني شــاهــدتُ طــيف الــرَّدى
يــنــسلُّ كــالــسّــارقِ بــين الــظّلالْ

---

(١) المخْدَعُ: الحجرة في البيت.

ولاح لـي فـي الـــــورَقِ الـــــنَّـــــامـي

مُـــــنــــطـــــرِحـــــاً فـي الأرض قُـــدّامـي

أشـــــبـــــاحُ آمـــــالـي وأحـلامـي

أحـلامُ مـن؟ أحـلامُ مُـــــضْـــــنـــــاك

****

٣٨ - مقلتان

[السريع]

رأيتُ في عــيــنــيكِ ســحــر الــهــوى
مُــنــدفــقــاً كــالــنُّــورِ من نَــجــمــتــينْ

فــــبتُّ لا أقـــوى عــــلــى دفـــعــه
من ردّ عــنه عــارضــاً[1] بـــالــيــدين؟

يـــا جــنَّـــةَ الحُبِّ ودنـــيـــا الـــمُـــنى
مــا خــلْــتُـني ألــقــاك في مُــقْــلَــتــين

****

٣٩ - فردوسي

بــــنـــيتُ فــــرْدوسي وزَخْـــرفــــتُهُ
حــــتى إذا مــــا تمَّ ضــــيّــــعــــتُه
أجـــــريتُ في أنــــهـــاره كـــــوثـــــراً
فــــذاقَهُ الـــــنـــــاسُ ومـــــا ذُقــــتُه

****

(١) العارض هنا: ما يعترض المقدم على الأمر.

٤٠ - ثقيل

[الخفيف]

وثـــقـــيلٍ كـــأنه بــــرْدُ كـــانـــو
نَ قـــلـــيلِ الحـــيـــاء جم الـــكلامِ

لـــيس يـــدري بـــأنه لـــيس يـــدري
إنَّ بـــعض الأنـــامِ كـــالأنـــعـــام

يـــتـــمـــنى يـــا بُـــعْـــد مـــا يـــتـــمـــنَّى
لـــو جـــرى ذكـــرُهُ عـــلى الأقلام

والـــذي أطـــمع الـــلـــئـــيم وأغـــرا
هُ بـــســـبِّ الـــكـــرام حـــلْمُ الـــكـــرام

والـــذي صـــيِّـــر الـــكـــريم حـــلـــيـــمـــاً
كُـــرْهُـــه أن يُـــعـــدَّ صـــنـــو الـــطَّـــغَـــام[1]

مـــنَـــع الـــبـــوم أن يُـــصـــاد ويُـــرمى
كـــونُهُ غـــيـــر صـــالحٍ لـــلـــطـــعـــام!

****

(١) أوغاد الناس.

٤١ - وداع

[الكامل]

ذهب الربيعُ ففي الخمائل وحْشةٌ
مثلُ الكآبة من فراقكَ فينا
لو دُمت لم تحزَنْ عليه قلوبُنا
ولئن أضعْنا الورد والنَّسْرينا
فلقدْ وجدْنا في خلالك زهرَهُ الْـ
مُـفْـتر والماءَ الذي يروينا
ونسيمَهُ السَّاري كأنفاسِ الرضا
وشعاعَهُ يغشى المروج فُتونا
حُزت المحاسن في الربيع وفُقْتَهُ
إذْ ليس عندك عوْسجٌ[1] يُدمينا

☆☆☆☆

يا أشهراً مرَّتْ سراعاً كالمُنى
لو أستطيعُ جعلتكنَّ سنينا
وأمرتُ أن يقف الزمانُ عن السُّرى
كيلا نمر بساعة تُبكينا
ونمدّ أيدينا فترجعُ لم تُصِبْ
وتعودُ فوقَ قلوبِنا أيدينا
خوفاً عليها أن تَساقطَ حسرةً
أو أن تَفيض لواعجاً وشُجونا

---

(١) شجر من شجر الشوك (المفرد عوسجة).

قـد كـنتُ خـلْتُ الـدهـر حـطّمَ قـوسَهُ

حـتى رأيتُ سـهـامهُ تُـصـمـيـنـا

فـكـأنّـمـا قـد سـاءَهُ وأمـضَّه

أنّـا تـمـتّـعْـنـا بـقـرْبِك حـيـنـا

****

٤٢ - تحيَّة الشاعرِ

[الرمل]

قالها في بعض الشُّعراء وأهل الفكر في الوطن والمهجر «في يوبيل شكيب أرسلان»

امنحيني يا نجومُ الألَقا
وهبيني يا زهورُ العبقا
أبعثُ الشِّعر إلى الدنيا هوى
وضياءً وغناءً شيقا
فإذا خامر نفساً طَرِبتْ
وإذا لامس قلباً خَفَقا
وإذا يُتلَى لمُشتَاقٍ سَلا
وإذا يُروى لباكٍ صفّقا
فَمِنَ الشِّعرِ لقومٍ حكمةٌ
ومن الشّعرِ لأقوامٍ رُقى[1]
أنا لا أستعذبُ الشّعر إذا
لم أجِدْهُ روضةً أو أُفُقا

☼☼☼☼☼

حبَّذا ليلتُنا من ليلة
يُكْرِم الأحرارُ حُرّاً لَبِقا
شاعرٌ ما إنْ جرى في حلْبة
أبداً إلاّ وكان الأسبقا
كاتبٌ لا بلْ سحابٌ هتنٌ[2]
كم روى الأرواح خَمراً وسقى!

---

(١) الرُّقية: العوذة.

(٢) هتن المطر. هطل.

قُلْ لمن حـــــاولَ أن يـــــلــــــحــــــقَهُ
إنَّ هـــذا عـــارضٌ[1] لن يُـــلْـــحــــقـــا
قـــــلمٌ يــــهْـــمِي عـــلــى أمَّـــته
رحــمـــةً إذ تُـــمـــطــر الـــدنــيــا شَــقَــا
وإذا مـــــــا أوذِيَتْ أو ظُـــــلِـــــمتْ
أمْـــطــر الــدُّنــيــا شُــواظـاً[2] مُــحْــرقِـا
ودوتْ زعْـــقَـــاتُه كـــابن الـــشَّـــرى
رِيع في عـــرِّيـــسه أو ضــــويـــقـــا[3]
هـــو لـــلـــحقِّ إلى أن يـــنــجــلي
وعـــلى الـــبـــاطل حـــتى يُـــزهـــقـــا
أنـــفَق الـــعُــمــر عــلى خــدمــتــهــا
آه مـــا أغـــلى الـــذي قـــد أَنـــفَــقـــا!
قُلْ لمن أَرجف كي يُـــــقـــــلـــــقَهُ
في حـــمــــاه: إنَّه لن يُـــقْـــلَـــقـــا
ولمن حـــــاولَ أن يُــــغـــضــــبهُ:
إنَّه أعــــلى وأســـمى خُـــلُـــقـــا
أأمـــــيـــــرٌ تـــتَّـــقـــيه دولـــــةٌ
يـــتـــوقَّى كـــاشــحـــاً مــخــتــلــقـــا؟
وهــو مـــثلُ الـــشـــمس لن يـــبــلــغَــهـــا
صـــاعـــدٌ مـــهـــمـــا تـــعـــالى وارتـــقى
إنَّ يـــوبـــيـــلَك يُـــوبِـــيلُ الـــنُّـــهى
هـــنَّـــأتْ (بـــغـــدادُ) فــــيه (جِـــلَّـــقـــا)[4]

****

(١) السحاب يعترض الأفق.

(٢) القطعة من النار.

(٣) الشرى. موضع تنسب إليه الأسود، ويقال: للشجعان: هم أسود الشَّرى. وعرِيسة الأسد (دون تشديد) ما يجمعه في مأواه لأشباله، كالعش للطائر.

٤٣ - أخو الورقاء

[الكامل]

رسالة إلى الشاعر القروي أُلقيت في الحفلة الوداعية التي أُقيمت في ولاية تكساس وقد تعذَّر على النَّاظم حُضورها.

للهِ من عبثِ القضاءِ وسُخْرِهِ
بالناسِ والحالاتِ والأشياءِ
كم دُرَّةٍ في التَّاجِ، ألفُ مثيلُها
في القاعِ، لم تخرُجْ من الظلماءِ!
ولكم تعثَّر بالغبارِ سمَيْدعٌ[1]
واندَاحتِ الأطوادُ للجُبناءِ
ولكَم جنَى علْمٌ على أربابِهِ
وجنَى الهناءَ جماعةُ الجُهلاءِ
أرأيت أعجب حالة من حالنا
أَزِفَ الرحيلُ ولم نَفُزْ بلقاءِ!
عاشتْ شُهوراً بالرجاءِ قلوبُنا
وبلحظةٍ أمستْ بغيرِ رجاءِ
ماتتْ أمانينا الحسانُ أجنَّةً
لم تَكتَحلْ أجفانُها بضياءِ
فكأنَّها برْقٌ تألَّقَ وانطوى
في الليل، لم تلْمحْهُ مُقلةُ راءِ
وكأننا كنَّا نُحلِّقُ في الفضا
صُعُداً لنلمس منكب الجوزاءِ

---

(١) السيد الكريم السخي الشجاع السريع (جمعه: سمادع وسمادعة)

حتى إذا حانَ الوصولُ.. رمتْ بنا
نكْباءُ عاتيةٌ إلى الغبراء[1]!
وكأنَّ « تكْسس» وهي في هذا الحمى
صُقْعٌ[2] « كسانبولٍ » قَصِيُّ ناء
طُوبى لها، إن كان يعلم أهلُها
أنَّ النزيلَ بها أخو الورْقاء[3]
كانتْ مسارح « للرُّعاة » فأصبحتْ
لمَّا أتاها، كعبةَ الشُّعراء
هو بلبلٌ عبَقُ النُّبوّةِ في أغا
نيه، وفيها، نَكْهةُ الصَّهْباء
وجلالُ لبنانٍ وقد غمر المسا
هضباته، وانسالَ في الأوداء
غنَّى، ففي النَّسماتِ والأوراق والـ
غُدرانِ أعراسٌ بلا ضوضاء
وبكى، فشاع الحزنُ في الأزهار والـ
أظلالِ والألوان والأضْواء
هو نفحةٌ قُدْسيَّةٌ هبطتْ إلى
هذا الثَّرى من عالَمِ اللألاء
لو عاد للدنيا البُراقُ وحُزتُهُ
ما كان إلا نحوَهُ إسْرائي[4]
أشكو البِعاد وليس لي أن أشتكي
فسماؤهُ موصولةٌ بِسمائي

(١) الأرض.

(٢) الناحية والجهة والمحلّة.

(٣) الحمامة الورقاء: الرمادية اللون.

(٤) البراق: مركب الرسول (ص) ليلة الإسراء والمعراج.

ما حالَ بين نفوسنا: ما حالَ بيْ
نَ جُسومنا من أجْبُلٍ وفضاء

فلكَمْ نظرتُ إلى الرُّبا فلمحتُه
في الأقْحوانِ الخَيرِ المعْطاء

وسمعتُ ساقيةً تَئنُّ فخلْتُني
لبُكائه أوطانَه إصغائي

وإذا تلوحُ لي الجبالُ ذكرتُهُ
فالشاعرُ القَرويُّ طَودٌ إباء

من كان يحلُمُ بالغدير فإنَّه
يبدو له في كلِّ قطرةِ ماء

إنْ كنتُ لم أرَهُ فقدْ شاهدتُهُ
بعُيونِ أصحابي، وذاك عزائي

✵✵✵✵

أفَتَى القَوافي كالشُّواظ على العدا
وعلى قلوبِ الصَّحْبِ كالأنداء

سارت إليك تحيَّتي ولو أنَّني
خُيِّرتُ، كنت تحيتي ودُعائي

****

٤٤ - شاعر الدّير

[البسيط]

أُلقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة.

عادتْ رياضُ القوافي وهي حاليةٌ
وكان صوَّح فيها الزهرُ والعُشُبُ

واسْترجعتْ دولةُ الأقلام نخوتَها
وكان أدْركَها الإعياءُ والتَّعب

بشاعرٍ عبقريٍّ، في قصائده
عطْرٌ وخمرٌ وسحرٌ رائقٌ عجب

فاشربْ بروحك خَمراً كلّها أَرَجٌ
وانشَقْ بروحك عطراً كلُّهُ طَرب

وامرحْ بدنيا جمالٍ من تصوُّره
فإنَّها السِّحرُ إلا أنَّه أدَب

والبسْ مطارف حاكَتْها يراعتُهُ
تَبقى عليك ويبلَى الخَزّ والقَصب[1]

كم دُرّةٍ يتمنّى البحرُ لو نُسبتْ
إليه، باتتْ إلى مسعود تَنْتسب

لو أنَّها فيه لم تهتَجْ غَواربُه[2]
لكنَّها لسواهُ فهو يصطَخب

فلا جُناحٌ إذا ما قال شاعرُنا
للبحر: يا بحرُ أغلى الدُّرِّ ما أَهَب!

✡✡✡✡✡

---

(١) الخزّ: الحرير، والقصب: أنابيب من جوهر. والمُطْرف: الرداء من الحرير (والجمع: مطارف).

(٢) غرب كل شيء حدّه.

يا شاعر «الدَّيرِ»[1] كم هلْهَلت قافيةً
غنَّى الرواةُ بها واخْتَالتِ الكُتبُ
طلاقَةُ الفجرِ فيها وهو منبثقٌ
ورقَّةُ الماء فيها وهو مُنسكب
مرَّتْ على هضباتِ الدَّير هائمةً
فكاد يورقُ فيها الصَّخرُ والحطب
إذا تَساقَى النَّدامى الراح صافيةً
كانت قَوافيك في الرّاح التي شربوا
فأنت في ألسُنِ الأشياخِ إنْ نطقوا
وأنت في هممِ الشُّبان إنْ وثبوا

✡✡✡✡✡

مسعودُ عيدُك والشّهرُ الجميلُ[2] معاً
قد أقبلا وأنا في الأرضِ أضْطَرب
يحزُّ نفسي أنِّي اليوم مبتعدٌ
وأنت من حولكَ الأنصارُ والصَّحبُ[3]
البيدُ «والناس» ما بيني وبينكمُ
ليت المَهامهَ[4] تُطْوى لي فأقتربُ
ما كان أسعدَني لو كنتُ بينكمُ
كيما يؤدي لساني بعض ما يجب
لصاحبٍ أنا تيَّاهُ بصُحْبته
وشاعرٍ طالما تاهتْ به العرب

✱✱✱✱

---

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماحة.

(٢) شهر أيار ١٩٣٩

(٣) الصحْب: (على الأصل) وجمعها أصحاب.

(٤) المهمه: المفازة البعيدة، وجمعها (مهامه).

٤٥ - لا يُدرِكُ الهرمُ النجوم

[مجزوء الكامل]

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر المرحوم مسعود سماحة.

يا شاعراً حلو المودّة في الحضورِ وفي الغيابْ
شَهْدٌ ولاؤكَ والأنامُ ولاؤهُمْ شَهدٌ وصاب[1]
أنا إن شكوتُ إليك منكَ، وسالَ في كُتُبي العتابْ
فحكايتي كحكايةِ الظمآنِ في قَفْرٍ يباب
لم يروِهِ لمعُ السَّرابِ فراح يستسقِي السَّحاب
فهمى فكان الخيرُ فيه للأباطحِ والهضاب
« مسعودُ » أهونْ بالمشيبِ فما امّحى إلا الخضاب
ماذا عليك من الثلوجِ وفي ضلوعك حرُّ آب
الكأسُ أجملُ في النواظر إذ يرصعُها الحباب[2]
إنْ شاب منك المفْرِقَانِ فما أظنّ القلب شاب
لا تزعُمنَّ له المتاب فإنّ توبته كذاب
ما زالَ يخفُقُ بالهوى، ويفيضُ بالسّحر العُجاب
ويُريك دنيا لا تُحدُّ، ومن ورائك ألف باب
دنيا من اللذّاتِ والأفراح في دنيا عذَاب
ويُريك جنّاتِ الجمالِ وأنت في الطَّللِ الخَراب

✡✡✡✡✡

أفَتى القوافي الشادياتِ كأنها أطيارُ غاب

---

(١) الصاب. عصارة شجر مرّ (واحدته صابة).

(١) الفقاعات التي تعلو سطح الشراب (اليعاليل).

إنْ قيلَ إنَّك صرت شيخاً قُلْ: أجلْ شيخَ الشّباب
أتُرى إذا العنوانُ ضاع يضيعُ مضمونُ الكتاب؟
السَّيفُ ليس يعيبُه مشيُ الخُلوقة في القراب[1]
والخمرُ خمْرٌ في إناءٍ من لُجينٍ أو تراب
وحياةُ مثلك ليس تدخلُ في قياسٍ أو حساب
فغدٌ زمانُكَ مثلُ أمسِ وإنْ مضى عصرُ الشَّباب
لا يدركُ الهرمُ النجوم وأنت في الدنيا شِهاب
وإذا يُعابُ على المشيب فتى فَمن ذا لا يُعاب
أو كان يُمدحُ بالسّواد فمن تُرى مدح الغُراب؟

✡✡✡✡✡

يا نفحةً من شاعرٍ
أرِج الكتابُ بها وطابْ
الفجرُ أهدى لي السَّنَا
والروضُ أهدى لي المَلاب[2]

****

(١) قِراب السيف: غمده. والخلوقة بفعل القدم والاستعمال.

(٢) السنا: النور. والمَلاب: ضرب من الطيب كالخَلوق والزعفران.

٤٦ـ بنت القفر

[الوافر]

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكميَّة من البُنْ الفاخر.

أدِرْهـــا قـــهـــوةً كـــعـــصـــيـــر بِـــكـــرِ
تجـــلَّتْ في الـــكـــؤوسِ بـــكفِّ بِـــكـــرِ[1]

كـــأنَّ الـــمـــسْكَ يـــغـــلي حـــينَ تـــغـــلِي
ويـــجـــري في الأواني حـــينَ تجـــري

تُـــعـــيـــدُ إلى الـــضَّـــعـــيف قـــوى وتُـــهـــدي
إلـــيه غـــبـــطـــةً وصـــفـــاءَ فـــكـــر

تَـــعـــشَّـــقُـــهـــا الـــشـــعـــوبُ فـــكلُّ شـــعْبٍ
أعـــدَّ لـــهـــا الـــثـــغـــور وكلَّ قُـــطـــر

تَـــلـــوَّح حـــبُّـــهـــا في كلِّ كـــوخٍ
ولاح حـــبـــابُـــهـــا في كلَّ قَـــصْـــر

يـــضُـــوعُ عـــبـــيـــرُهـــا بـــرمـــالِ نَـــجْـــد
ويـــعـــبقُ عـــطـــرُهـــا بـــقـــصـــورِ مـــصْـــر

تـــمـــشـــي عـــنـــبـــراً في كلّ أنف
وتـــنـــزلُ قـــرقـــفـــاً[2] في كلِّ ثَـــغْـــر

ويـــزري طـــعـــمُـــهـــا حُـــلْـــواً ومُـــرّاً
بمـــا في الأرض من حُـــلْـــوٍ ومُـــر

✡✡✡✡✡

(١) القهوة البكر، والفتاة البكر.

(٢) الخمر.

وســــمـــــراءٍ إذا زادتْ صـــبـــاحـــاً
أحبُّ إلـي من بـــيـضٍ وسُـــمـــر
يــحــوكُ لــهـــا الــبـخـــارُ رداءَ نَــدٍّ[1]
ويــكــســوهـــا الحُــبـــابُ وشـــاح دُرّ
كَــســرْتُ الــدّنَّ من عـــهــدٍ بــعــيــدٍ
فــأمــستْ بــعــد خــمــرِ الــدن خــمــري
فـــإنْ حــلَّت قُــواك جــيــوشُ ضــعْف
وهـــالَك عـبءُ همٍّ مُــســْبــطــرّ[2]
عـــلـــيك بـــقـــهـــوةٍ رقّتْ وراقتْ
كــشــعــرِك لا يُــجـارى أو كــشــعْــري
(مسعود)

فأجابه بالقصيدة التالية:

شـــرِبْــنَـــاهـــا عـــلـى سِـــرِ الـــقـــوافي
وســـرِّ الـــشـــاعـــرِ الـــســمْحِ الأَبَـــر
ســقـــانـــا قـــهــوتَــيْنِ (بــغــيـــرِ منٍّ)
عــصــيــرِ شُــجــيــرةٍ وعــصــيــرِ فــكْــر
فــنـــحن اثـــنـــانِ: ســـكْــرانٌ لحــيــنٍ
عـــلـى أمْنٍ، وســــكـــرانٌ لـــــدهـــر
فَــمنْ أمـــســى يــهــيمُ بــبــنتِ قَــصْــرٍ
فـــإنّـــا هـــائـــمـــونَ بـــبـــنتِ قَـــفْـــر
إذا حـــضـــرتْ فـــذلكَ يـــومُ ســـعْـــدٍ
وإن غـــابـتْ فـــذلـك يـــومُ قــــهـــر
لـــهـــا من ذاتـــهـــا ســـتْـــرٌ رقـــيقٌ
كــمـــا صـــبَغَ الحــيـــاءُ جــبــينَ بِــكْــر

---

(١) ضرب من الطيب يدخّن به.
(٢) اسبطرّ: اضطجع وامتد.

إذا دارتْ عــــلى الجُلاّس هــــشُّــوا
كــأن كَــؤوســهــا أخــبــارُ نــصْــر
ونــرشــفُــهــا فــنــرشفُ ريقَ خَــوْدٍ[1]
ونــنــشَــقُّــهــا فــنــنـشقُ ريح عــطــر
ولا نـــخـــشى من الحُـــكّـــامِ حـــدّاً
وعـــنــــد الـــلـهِ لم تـــوصَمْ بـــوِزْر
فـــمـــا في شـــربـــهـــا إثمٌ ونُـــكـــرٌ
وشـــربُ الخـــمـــرِ نـــكـــرٌ أيُّ نُـــكـــرِ
ولـــيـــستْ تـــســـتـــخفُّ أخَـــا وقـــارٍ
وبـــنـــتُ الـــدنِّ بـــالأحلامِ[2] تُـــزري
وتحـــفظُ ســـر صـــاحـــبِـهـــا مـصـونـاً
وبـــنتُ الـــكـــرم تـــفـــضـحُ كلَّ ســـر
ولـــلـــصَّـــهـــبـــاء أوقـــاتٌ، وهـــذي
شـــرابُ الـــنـــاس في حـــرٍّ وقَـــر
وتَـــصـــلـحُ أن يُـــطـــاف بـــهـــا مـــســـاءً
وتَـــحُـــسنُ أن تـــكـــونَ شـــراب ظُـــهْـــر
فـــلـــو عـــرفتْ مـــزايـــاهـــا الـــغـــواني
لـــعُـــلِّقَ حـــبُّـــهـــا في كلِّ نَـــحْـــر
كـــأن حـــبـــوبـــهـــا خُـــضْـــراً وصُـــفْـــراً
فـــصُـــوصُ زُمُـــرُّدٍ وشـــذور[3] تـــبْـــر
كـــأن الجنَّ قـــد نـــفـــثتْ رُؤاهـــا
عـــلى أوراقـــهـــا في ضـــوْءِ فـــجـــر
ألـــست تـــرى إلـــيـــهـــا كـــيف تـــطـــغى
وكـــيف تـــثـــورُ إن مُـــسّتْ بـــجـــمـــر

(١) الحسناء الشابة
(٢) العقول.(الحِلم: العقل).
(٣) الشذرة: هي، في الأصل، القطعة من الذهب.

كـأنَّ نـخـيلَ مـصـرٍ قـد حـسـاهـا
وإلا مـا اهـتـزازُ نـخـيلِ مـصـر؟
جـلَـوْتُ بـهـا من الأكـدارِ ذهْـني
كـمـا أنِّي غـسـلتُ هـمـوم صـدري
ومـا هي قـهـوةٌ تُـطـهى وتُـحْـسى
ولـكن نَـفـحـةٌ من روح حُـر
حـوى في شـعـره عـبثُ (ابنِ هـاني)
وزاد عـلـيه فـلـسـفـةَ (الـمـعـرّي)[1]
فـيـا لكَ شـاعـراً لـبِـقـاً لَـعُـوبـاً
كـأنّ يـراعَهُ أُنـبـوبُ سـحْـر
يـفـيضُ سَلاسـةً في كلِّ لـفظ
ويـجـري رقّـةً في كلِّ سـطـر
حـوتْ دارُ «الـسـمـيـرِ» هـديـتَـيْهِ
وتَـحْـوي هـذه الأوراقُ شُـكـري

****

(١) ابن هانئ هو أبو نواس، والمعري هو أبو العلاء.

٤٧ - تلك المنازل

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم الأستاذ كمال جُنبلاط.

تـلـك المـنـازلُ.. كـيـف حـالُ مُـقـيـمـهـا[1]
إنّـا قـنـعْـنَـا بـعـدهـا.. بـرسُـومـهـا

تـمـشي عـلى صُـورِ الـطـيـورِ لـحـاظُـنـا
نَـشْـوى، كـمنْ يُـصـغي إلى تـرنـيـمـهـا

ونـكـادُ نـعـشـقُ في الأزاهـيـرِ الـدُّمى
أزهـارهـا ونُـحسُّ نَـفْح شَـمـيـمـهـا

نَـشـتَـاقُـهـا في بـؤسـنـا ونـعـيـمـنـا
ونُـحـبُّـهـا، في بـؤسـهـا ونـعـيـمـهـا

لـولا الخـيـالُ يُـعـينُ أنـفـسـنـا لمـا
سـكـنتْ ولم يـهـدأْ صُـراخُ كَـلـومـهـا

ولـكـان شُـهْـدُ الأرضِ في أفـواهـنَـا،
وهـو الـلـذيـذُ، أمـر من زَقُّـومـهـا[2]

يـا حـاملاً في نـفـسـه وحـديـثه
أحلام أرْزتـهـا ولُـطْف نـسـيـمـهـا

حـدثْ بـنـيْـهـا شـيـخَـهُمْ وفـتـاهُمُ
عن لـيثِ غـابـتـهـا وظَـبْي صـريمـهـا[3]

---

(١) يريد السؤال عن المقيمين فيها.

(٢) كل طعام يقتل (في المعاجم: طعام أهل النار).

(٣) الصريم: أرض لا تنبت شيئاً والقيصوم: نبات قريب منه، كثير في البادية.

خَبرهمُ أنَّ الكواكب لم تزلْ
تَحنُو على العشاقِ بين كُرومها
مازال بُلبلُها يُغنّي للرُّبا
والسّحرُ تنفُثُه لواحظُ رِيمها
والريحُ تلتقطُ الشَّذا وتُذيعُهُ
من شيحها طَوراً ومن قَيْصُومها[1]
وهضابُها يلبسْنَ عسْجد شمسها
حيناً، وأحياناً لُجينَ نجومها[2]
والفجرُ يرقصُ في السُّهول وفي الذُّرا
متهللاً فتهشُّ بعد وُجومها
إن بُدلّتْ منها التُّخومُ فإنَّها
ما بدلّتْ والله غير تُخومها
حدّثهُمُ عن ليلها ونجومها
وعن الهوى في ليلها ونجومها
وعن الشُّطوط الحالماتِ بعوْدةٍ
للغائبينَ، ورجعة لنعيمها
وعن الرّوابي الشّاخصاتِ إلى السَّما
العالقاتِ رؤوسُها بغيومها
فكأنَّها سُحُبُ هوتْ من حالقٍ
ورستْ على وجه الثّرى بهمومها
وعن الحياة جميلها وقبيحها
وعن النفوس صحيحها وسقيمها
وعن الأُلَى ملَكوا فلمْ يتورّعوا
عن سلْبِ أعزلِها وظُلْمِ يتيمها

(١) الشيح: نَبْت سُهْليٌّ رائحته طيبة قويّة.
(٢) العسجد: الذهب. واللجين: الفضة

وعن الشعابينِ التي في أرضها
وعن الذئابِ العُصْلِ[1] خَلْفَ تُخومها
الجاهليةُ، آه من أصنامها
بوركت يا منْ جدَّ في تحطيمها
والطائفيَّةُ أنت أوَّلُ معْوَلٍ
في سورها، ثابرْ على تَهديمها
حتى تعود وواحدُ أُقْنومُها
ويحلُّ روحُ الله في أُقنومها[2]
قل للشَّبيبة أن تُبينَ وجودها
وتُعزَّ أنفسها بِهوْنِ جسومها
كم ذا تَشِعُّ ولا تُضيءُ علومُها
سُرُجُ الظلامِ إذنْ جليلُ علومها
يا واحداً منها يُحمِّلُ نفسَهُ
آلامَ عانيها وليلَ سليمها[3]
إنْ أكرمتْكَ نفوسُنا في ليلة
فلكمْ قَضيْت العمر في تَكريمها

****

(١) العصل. الالتواء والاعوجاج والصلابة (أعصل، عصلاء) يشير إلى الأنياب.
(٢) الأقنوم. الأصل.
(٣) العاني. الأسير، يريد هنا: المتعب والمعاني. والسليم. اللديغ (السلّم. لدغة الحية).يريد هنا: المصاب.

٤٨ـ دمعة الشاعر

إلى روح الشاعر خليل مطران

[مجزوء الرمل]

(مرات يتفجع فيها صاحب الديوان على الراحلين من زملائه الشعراء).

عـــنـــدمـــا أبـــدعَ هـــذا الـــكـــونَ ربُّ الـــعـــالمـــيـــنـــا
ورأى كلَّ الـــــذي فـــــيه جـــــمـــــيلاً وثـــــمـــــيـــــنـــــا
خـــلَقَ الـــشـــاعـــر... كي يـــخـــلُقَ لـــلـــنـــاس عُـــيـــونـــا
تُـــبـــصـــرُ الحُـــسن...وتـــهـــواه حـــراكـــاً وســـكـــونـــا
وزمـــانـــاً، ومـــكـــانـــاً، وشُـــخـــوصـــاً وشـــؤونـــا
فَـــارْتـــقَى الخَـــلْقُ...وكـــانـــوا قَـــبـــلَـهُ لا يـــرتَـــقُـــونـــا
واســـتـــمـــرَّ الحُـــسْنُ في الـــدنـــيـــا ودام الحبُّ فـــيـــنـــا

✡✡✡✡✡

إنه روحٌ كـــريمٌ لـــبِس الـــطـــينَ الـــمـــهـــيـــنـــا
ونـــبـــيٌّ بـــهـــر الخَـــلقَ ومـــا أعـــلن ديـــنـــا
يـــلـــمحُ الـــنَّـــجم خـــفـــيّـــاً، ويـــرى الـــعـــطـــر دفـــيـــنـــا
ويُـــريـــنـــا الـــطُّـــهـــر حـــتى في الجـــنَـــاة الآثـــمـــيـــنـــا
ويُـــحسُّ الـــفـــرح الأســـمى جـــريـــحـــاً أو طَـــعـــيـــنـــا
كـــلَّـــمـــا شـــاعت دمـــاه أملاً في الـــبـــائـــســـيـــنـــا

✡✡✡✡✡

من ســـواه ثـــائـــرٌ فـــيه وقـــارُ الـــنـــاســـكـــيـــنـــا
من ســـواه عـــابـــدٌ فـــيه جـــنـــونُ الـــثـــائـــريـــنـــا
من ســـواهُ عـــانق الـــله يـــقـــيـــنـــاً لا ظـــنـــونـــا

مـن تُــــرى إلاّهُ يـــحـــيـــا نـــغَـــمـــاتٍ ولحُـــونـــا
مـن تـــــرى إلاّه يُـــفـــنِي ذاتـه.. في الآخَــــريـــــنـــا

✡✡✡✡

لــــو أبى الـــلـهُ عـــلـــيـــنـــا وعـــلـــيه أن يـــكـــونَـــا
عـــادت الأرضُ وِهــــاداً شـــاحـــبـــاتٍ وحُــــزُونـــا[1]
تـــرتـــدي الــوحْــشــةَ والـــهـــول ضـــبـــابـــاً ودُجـــونـــا[2]
وأقـــاحـــيـــهـــا هـــشـــيـــمـــاً لا أريـــجـــاً وفُـــتُــونـــا
وســـواقـــيـــهـــا ســـرابـــاً هـــازئـــاً بـــالـــظَّـــامـئـيـنـــا
وشـــواديـــهـــا[3] دُمـى خـــرســـاءَ تـــؤذي الـــنَّـــاظـــريـــنـــا
واسْـــتَـــفـــاقَ الجـــدولُ الحـــالِمُ غَـــيـــظـــاً وجُـــنـــونـــا
واســـتـــوى الـــنـــهـــرُ عـــلى وجه الـــثَّـرى جُـرحـــاً ثَـــخـــيـــنـــا
وانـــطـــوتْ دنـــيـــا الـــرؤى فـــيـــهـــا.. ومـــات الحـــالمـــونـــا

✡✡✡✡

أي وربي، لـــو مـــضـــى الـــشـــاعـــرُ عـــنَّـــا لـــشَـــقـــيـــنـــا
ولـــعـــشـــنـــا بـــعـــده في غُـــصـصٍ لا يـــنـــتـــهـــيـــنـــا
ولأمـــســـى الـــلـهُ مـــثْلَ الـــنـــاس مـــغـــمـــومـــاً حـــزيـــنـــا!

✡✡✡✡

زعـــمـــوا ولّى ولن يـــرجِـع... ويح الجَّـــاهـــلـــيـــنـــا
لم يمُتْ من كـــان لـــلـــه خـــلـــيـــلاً وخَـــديـــنـــا
عـــاش حـــيـــنـــاً، وســـيـــحْـــيـــا بـــعـــدمـــا غـــاب قُـــرونـــا

****

(١) الأرض فيها حزون غليظة.
(٢) الدجن. الغيم المطبق في السماء.

٤٩ - مازال في الأرض حيّاً

[الخفيف]

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه نبأ وفاة صديقه الأديب أمين الريحاني، وقد تأثر بالنبأ المفاجىء.

أيُّ خَـطْبٍ دهـا فـبـات الـمـهـجـرْ
مـثْلَ حـقلٍ مـرَّتْ عـلـيه صـرْصـرْ[١]
ضـربتْ عـقْـد زهـرِه فـتـبـعْـثَـر
ومـشت فـوق عُـشـبه فـتـنـكَّـر
بـعْـد أن كـان عـبـهـريّـاً[٢] نَـديّـا

✡✡✡✡✡

قـد سـمـعـنـا يـا لـيـتَـنـا لم نـسـمعْ
نـبـأً زعـزع الـقـلـوب وضـعـضـعْ
فـجـزِعـنـا وحـقُّـنـا أن نجـزَعْ
لـفـراقِ الـفـتـى الأديبِ الألَـمَعْ
وذرفـنـا دمـعـاً سـخـيـنـاً سـخـيّـا

✡✡✡✡✡

قـد بـكَـيـنـا كـمـا بـكى لـبـنـانُ
وحـنَـتْـنـا كـأرزِه الأحـزانُ
لـيس بـعْـد الأمـينِ ثَمّ مـكـانُ
غـيـر مُـسـتـوحشٍ ولا إنـسـان
ذو وفـاءٍ لم يـبْـك ذاك الـوفـيّـا

✡✡✡✡✡

---

(١) باردة.

(٢) العبهر: الياسمين أو النرجس..

ألـــمعيٌّ قـــد غـــاب تحت الـــرَّغَـــامِ[1]

إنَّـــمــــا لـم يـــغب عن الأفـــهـــامِ

فـــهـــو بـــاقٍ فـــيـــنـــا مـــدى الأيـــام

فـــعـــلـــيه تحـــيـــتي وسلامي

عـــاش حـــراً ومـــات حُـــراً أبـــيّـــا

☆☆☆☆☆

لم يُـــعـــفِّـــرْ جـــبـــيـــنَهُ في الـــتـــرابِ

لم يـــواربْ في مـــوقفٍ، لم يُـــحـــابِ

لـم يـــبِـــعْ قـــومَهُ من الأغـــرَابِ

لم يـــســرْ في ســوى طـريقِ الـصَّـواب

لم يـــكن خـــائـــنـــاً ولا إمَّـــعـــيّـــا[2]

☆☆☆☆☆

عـاش في الأرض مـثلَ زهـرِ الـبـنـفـسجْ

كـــلّـــمـــا زاد فَـــرْكُهُ يـــتـــأرَّجْ[3]

وكـــنـــجـمٍ في بُـــرْجِه يـــتـــوهَّجْ

لا يـــبـــالي أحـــبَّهُ من أدلَجْ[4]

أمْ أحبَّ الـــليلَ الـبـهـيم الـدَّجـيّـا[5]

☆☆☆☆☆

فـــابـــســـمي فـــوقَ قـــبـــرِه يـــا نجـــومُ

وتـــرنَّمْ منْ حـــولِه يـــا نـــســـيمُ

---

(١) التراب.

(٢) الإمعة: الذي لا رأي له، يتابع كل أحد، ولا يثبت على شيء.

(٣) الأرج: نفحة الطيب، ويتأرّج: تنتشر رائحته.

(٤) الدُّلجة: سير السحر أو سير الليل كله.

(٥) دجا الليل: هدأ وسكن، مع انتشار سواده وخفوت نجمه. والبهيم من الإبهام.

فـــالـــدفـــينُ الـــذي هـــنـــاك يُـــقـــيمُ

بـــطَلٌ مُـــصـــلِحٌ وروحٌ كـــريم

ولـــســـانٌ تـــخـــالُه نـــبـــويّـــاً

وتـــنـــصَّتْ إذا رأيت الأقـــاحي

جـــاثـــيـــاتٍ في هـــيـــكلِ الأرواحِ

قـــائلاتٍ بـــلـــهـــجـــة الـــنُّـــصّـــاحِ

أيـــهـــا الـــنـــاسُ! بـــعض هـــذا الـــنُّـــواحِ

« فـــأمـــينٌ » مـــا زال في الأرضِ حـــيّـــا

****

٥٠ - يا قائد القوم

[البسيط]

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد ألقاها في الحفلة التأبينية.

يا أيها الشِّعرُ أسعفْني فأرثيهِ
ويا دموعُ أعينيني فأبكيهِ

بحثتُ لي عن مُعزٍّ يوم مصرعه
فلم أجِدْ غير محزونٍ أُعزِّيه

وما سألتُ امرءاً فيما تَفَجُّعُهُ
إلا وجاوب: « إني من مُحبِّيه »

كأنَّما كلُّ إنسانٍ أضاعَ أخاً
أو انطوتْ فجأةً دنيا أمانيه

فذا أساهُ لهيبٌ في أضالُعه
وذا أساهُ دموعٌ في مآقيه

فهل درى أيَّ سهْمٍ في القلوب رمى
لمّا نعاهُ إلى الأسماع ناعيه؟

يا شاعر الحُسْنِ هذا الرَّوضُ قد طلعتْ
فيه الرَّياحينُ وافترَّتْ أقاحيه

وشاع « أيار » عطْراً في جوانبِهِ
ونَضْرةً واخضراراً في روابيه

فأين شعرُكَ يسري معْ نسائمه؟
وأين سحْرُك يجري في سواقيه؟

هجرْتَهُ فامّحتْ منه بشاشتُهُ
مات الهوى فيه لمّا مات شَاديهِ

أغنى عن الدرِّ في القيعان مُختبئاً
دُرٌّ يساقطُهُ الحدّادُ من فيه

وكان للسحر تأثيرٌ فأبطلَهُ
بالسِّحرِ يجري حَلالاً في قوافيه
بلاغةُ «المتنبي» في مدائحه
ودَمْعُ «خنساءَ صخْرٍ»[1] في مراثيه
لا يعْذُبُ الشِّعرُ إلا حين ينظمُهُ
أو حينَ يُنشده أو حينَ يرويه
ويا طبيباً يداوي الناس من علَلٍ
داءُ الأسى اليوم فيهمْ منْ يُداويه؟
أمسى الذي كان يُشجينا ويُطربنا
لا شيء يُطربُهُ لا شيء يُشجِيه
لقد تساوى لديه شدْوُ ساجِعة
وصوتُ نائحة في الحيِّ تَبكيه[2]
صارتْ لياليهِ نَوماً غير منقطِعٍ
ولم تكنْ هكذا قبلاً لياليه
قد كان نَبْراسنا في المُعْضلات إذا
ما ليلُها جنّ وارْبَدَّتْ نواصيه[3]
فَمن لنا في غدٍ إن أزْمةٌ عرَضتْ
وليس فينا أخَو حزْمٍ يُضاهيه
مَنْ للحزينِ يُواسيه ويُسعدُهُ
وللمريضِ يُداويه فَيشْفيه
يا قائد القومِ إن تسألْ فإنَّهمُ

(١) (الخنساء) الشاعرة التي بكت (في صدر الإسلام) أخاها (صخراً) في مراثٍ ذائعة.
(٢) سجع الحمامة، يريد: الغناء والشدو.
(٣) الناصية: مقدّم شعر الرأس.
(٤) تيه اليهود في سيناء، أربعين عاماً، بعد خروجهم من مصر، مع موسى عليه السلام.

باتوا حيارى كإسرائيلَ في التِّيهِ[٤]

لمّا رأوكَ مُسجًّى بينهمْ علموا

ما العيشُ غيرُ أخابيلٍ[١] وتَمويه

يا رزقُ قلبي عليك اليوم منفطرٌ

وكلُّ قلبٍ كقلبي في تَشَظّيه

لم يحوِ نَعْشُكَ جسماً لا حراكَ به

بل أنت آمالنا موضوعةً فيه

غداً يُواريك عن أبصارِنا جدثٌ

لكنّ فضلَك لا شيءٌ يُواريه

****

(١) الخبال: الفساد، والأخابيل جمع (أخبولة).

٥١ - ليتهم عرفوه!

[الكامل]

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة (الأخلاق).

يــا نــفسُ قــد ذَهب الــرفــيقُ الألــمعي
فَــتَــجــلَّــدي لــفــراقه أو فــاجــزَعي

هــذي الــنــهــايــةُ لا نــهــايــةَ غــيــرُهــا
لــلــحــيّ إن يُــســرعْ وإن لــم يُــسْــرِعِ

لــلــموتِ مَنْ مــلَك الــبــســيــطــةَ كــلَّــهــا
أو حــازَ من دنــيــاه بــضــعــةَ أذرُع

فــازرعْ طــريــقَك بــالــورود وبــالــســنــا[1]
لا يــحــصــدُ الإنــســانُ إن لم يــزرع

واعــملْ لــكي تــمــضي وتــبــقى رقــةٌ
في مــبْــسمٍ أو نــغــمــةٌ في مــسْــمع

أو صــورةٌ مــثلُ الــربــيعِ جــمــيــلــةٌ
في خــاطــرٍ أو نــاظــرٍ مُــســتَــمــتِع

✡✡✡✡✡

يــا صــحْب يــعــقــوبٍ ويــا عُــشــراءَهُ
منْ مــنــكمُ أبــكي ولا يــبــكي مــعي؟

إنّــا تَــســاويــنــا فَــبــين ضــلــوعــكمْ
نــارٌ ومــثلُ ســعــيــرِهــا في أضــلُــعي

✡✡✡✡✡

---

(١) النور.

لبنانُ! هذا من رياضكَ زهرةٌ
ذهبتْ كأنْ[1] في الأرضِ لم تتضوَّعِ
لبنانُ! هذا من سمائك كوكبٌ
غرّبْتَهُ حتى انطوى في بلقَع[2]
لبنانُ! هذا من مُروجِك قطعةٌ
فيه بشاشَةُ كلِّ مرْجٍ مُمْرِعِ[3]
قُلْ للبنفسجِ في سُفوحك والرُّبا:
ولّى شبيهُك في الوداعة فاخْشَعِ
وأمُرْ طيورَك أن تنوح على فتى
قد كان يهواها وإنْ لم تَسجعِ
قد عاش مثلُك للمروءة والعُلا
مُتعفِّفاً كالزَّاهد المُتورع
مُترفِّعاً في قوله وفعاله
عمَّن غَوى وهوى ولم يترفَّع
كم حرَّضتْهُ النفسُ في نَزَواتها
ليكونَ صاحب حيلة أو مطْمع
فأجابها يا نَفْسُ لا تتورَّطي
صدأُ النفوسِ هي المطامعُ فاقنَعي
ليس المُحاربُ في الوغَى بأشدَّ بأ
ساً من مُحارِبِ نَفسه أو أشْجعِ

☆☆☆☆☆

يا صاحبي! أضنكْتَ[4] جسمَك فاسترحْ
وأطلْت يا يعقوبُ سُهدك فاهجعِ

---

(١) مخففة من (كأنها).

(٢) المفازة لا شيء فيها

(٣) مرُع الوادي وأمرع: انتشر فيه الكلأ أو أخصب، فهو مريع ومُمرع.

(٤) من الضنك: الضيق.

حـدَّثت قـومَكَ حـقـبـةً فـتَـسـمَّـعـوا
والآن دورُ حـديـثـهمْ فـتـسـمَّعِ
هـجـروا الـكلام إلى الـدمـوع لأنـهُمْ
وجـدوا الـبلاغـةَ كـلَّـهـا فـي الأدمُع
كـيف الْـتَـفـتُ وسـرتُ لا ألـقى سـوى
مُـتَـوجعٍ يـشـكـو إلى مُـتـوجع
حـتى الأُلَى نَـفَـثـوا عـلـيك سُـمـومـهُمْ
حـزّ الأسى أكـبـادهُمْ كـالمـبْـضـع[1]
عـرفـوا مـكـانكَ بـعْـد مـا فـارقـتَـهُمْ
يـا لـيـتَـهُمْ عـرفـوه قـبل الـمـصـرع
ولـكمْ تـمـنَّـوا لـو تـعـودُ إلـيـهمُ
أنت الـشـبـابُ، إذا مـضى لم يـرجعِ

✡✡✡✡✡

حـنُّـوا إلى أرجِ الأزاهـرِ بـعـدمـا
عـبـثَتْ بـهـا أيـدي الـريـاحِ الأَربع
واسـتـعـذبـوا المـاءَ المـسَلْـسَل بـعـدمـا
نـضـب الـغـديـرُ وجفَّ مـاءُ الـمـشْـرع[2]
يـا لـوعـةَ الأحـبـابِ حـين تَـسـاءلـوا
عـنـه، وعـادوا بـالجـوابِ المـوجِع
إن الـذي قـد كـان مـعْـكُمْ قـد مـضى
من مـوضـعٍ أدنى لأرفـعِ مـوضـع

(١) مبضع الجرّاح.
(٢) مشرعة الماء: مورد الشارب.

من عـــالَمٍ مـــتـــكـــلِّفٍ مـــتـــصـــنِّعٍ
تـــشـــقى نـــفـــوسٌ فـــيه لم تـــتـــصـــنَّعِ
لـــلـعــالَم الأســمى الـطَّـهـورُ، ومن مُـجـا
وَرَةِ الأنـــامِ إلى جِـــوارِ الـــمُـــبْـــدِعِ

****

٥٢ ـ سكت الشادي وبُحّ الوتر!

[الرمل]

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد وقد فاجأته المنيّة في حفلة عرس.

لا تَسَلْ أين الهوى والكوثرُ
سكت الشّادي وبُحّ الوَترُ

فجأةً.. وانقلب العُرسُ إلى
مأتَمٍ ماذا جرى؟ ما الخبر؟

ماجت الدارُ بمن فيها، كما
ماج نهرٌ ثائرٌ مُنْكدر

كلُّهمْ مُستَفسرٌ صاحبَهُ
كلُّهمْ يؤذيه من يستَفسر

همس الموتُ بهم همستَه
إنّ همس الموتِ ريحٌ صرصرُ

فإذا الحيْرةُ في أحْداقهمْ
كيفما مالوا وأنّى نظروا

علموا... يا ليتهم ما علموا
أن دنيا من رُؤًى تُحتَضر!

والذي أطربهمْ عن قُدْرةٍ
بات لا يقْوى ولا يقْتَدِر

يبِس الضحْكُ على أفواههمْ
فهو كالسُّخْر وإن لم يسخَروا

وإذا الآسي.. يدُ مخذولةٌ
ومُحيّا.. اليأس فيه أصفَر[1]

(١) الآسي: الطبيب.

شــاع في الــدار الأسى حــتى شــكتْ
أرضُـــهــــا وطــــأتَـه والجُــــدُرُ
فــعـــلى الأضـــواء مـــنه فــتْــرةٌ
وعــــلى الألـــوانِ مــــنه أَثَــــر
والــــقــــنــــاني صـــورٌ بـــاهـــتـــة
والأغــــاني عــــالَم مُـــنـــدَثــــر
الـــهــــنـــا أفــلـت من أيـــديـــهمُ
والأمـــاني..؟ إنـــهــا تَــنــتَــحــر
ذُبــحتْ أفــراحُــهمْ في لَــمــحــة
قــــوةٌ تَــجــنــي ولا تَــعــتَــذِر
تَــقْــلعُ الــنَّــبت الــذي تَــغــرسُه
والــشَّــذا فــيه. وفــيه الــثَّــمــر
اعــبــثي مــا شــئتِ يــا دنــيــا بــنــا
وتحــكَّمْ مـــا تَــشَـــا يـــا قَــدر
إن نـــكنْ زهْـــراً فـــمـــا أمـــجــدَنــا
أو نــكُن شــوكــاً فــهــذا الخَــطَــر
فــلــنــعشْ في الأرض زهــراً ولــيــطُل
أجلُ الــشَّــوك الــذي لا يُـــزهـــر

*****

رحلَ الـــشــــاعــــرُ عن دار الأذى
وانــقــضــتْ مــعه الــلــيــالي الــغُــرر[1]
كم حـــوته وحـــواهــا مـــلـــكــاً
دولـــةُ الـــرُّوحِ الـــتي لا تُـــقـــهـــر

---

(١) الأغر. الأبيض.

عـــــاش لا يُـــــنـــــكـــــرُ إلا ذاتَه
إن حبَّ الـــذاتِ شيءٌ مُـــنـــكَـــر

شـــاعـــرٌ أعْـــجبُ مـــعـــنى صـــاغَه
لـــلـــبـــرايـــا.. مـــوتُه المـــبْـــتَـــكَـــر

الجـــمـــالُ الحق مـــا يـــعْـــبُـــده
والجـــمـــالُ الـــزُّور مـــا لا يُـــبْـــصـــر

والحـــديثُ الـــصـــفْـــو مـــا يـــنـــشُـــرُه
والحـــديثُ الـــسُّـــوء مـــا يـــخـــتـــصـــر

إنه كـــــان مـلاكَـــــاً بـــــشَـــــراً
فـــمـــضـى عـــنَّـــا الـــمَلاكُ الـــبـــشـــر

ونـــفـــوسُ الخَـــلقِ إمـــا طـــيـــنـــةٌ
لا سـنـــا فـــيـــهـــا، وإمـــا جـــوهـــر

✡✡✡✡✡

يـــا رفـــيـــقي! مـــا بـــلـــغت الـــمُـــنـــتَـــهى
لـــيـــستِ الحـــدَّ الأخـــيـــر الحُـــفَـــرُ

فـــاعـــبُـــرِ الـــنـــهـــر إلى ذاك الحـــمى
حـــيث «جـــبـــرانٌ»[1] الـــعـــمـــيـــدُ الأكـــبـــر

«ورشـــيـــدٌ» نـــغـــمـــةٌ شـــاديـــةٌ
«ونـــســـيبٌ» نـــغمٌ مُـــســـتـــبـــشـــر

«وجـــمـــيلٌ» فـــكـــرةٌ هـــائـــمـــةٌ
«وأمـــينٌ» أملٌ مُـــخـــضـــوضـــر[2]

قُلْ لـــهمْ إنّـــا غـــدونـــا بـــعـــدهمْ
لا حـــديثٌ طـــيبٌ لا ســـمـــر

(١) جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية، وكان الشاعر عضواً فيها

كـــســـمـــاءٍ لـــيس فـــيـــهـــا أنجُمٌ

أو كــــروضٍ لـــــيس فــــيه زَهَـــــر

كـــلُّــــنــــا مـــنـــتـــظـــرٌ ســـاعـــتَهُ

والـــمـــصـــيــرُ الحقُّ مـــا نـــنـــتـــظـــر

****

٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

[البسيط]

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه.

لم يبرحِ الروضُ فيه الماءُ والزَّهَرُ

ولم يزلْ في السماء الشمسُ والقمرُ

لكنَّها الآن في أذهاننا صُوَرُ

شَوهاءُ، لا القلبُ يهواها ولا النَّظَر

قد انطوى حُسنُها لما انطوى الشاعرْ

✡✡✡✡✡

قل للمغنِّي الذي قد غَص بالنَّغَمِ

إنِّي نظيرُك قد خانَ الكلامُ فمي

ومثلُ ما بك بي من شدَّةِ الألمِ

أمَّا العزاءُ فشيءٌ زال كالحُلُم

كيف السَّبيلُ إلى خمرٍ ولا عاصرْ!

✡✡✡✡✡

مضى الذي كان في البلوى يُعزِّينا

وكان يُحيي - إذا ماتتْ - أمانينا

ويسكبُ السحر أنغاماً ويسقينا

مضى « نسيبُ » النبيُّ المصطفى فينا

وصار جسماً رميماً في يد القابرْ

✡✡✡✡✡

كم جـاءنـا في الـلـيـالي الـسُّـود بـالأَلَقِ
وبـالـنّدى من حـواشي الـقـفْـر والـعـبَقِ
وبـالأغــاني ومــا من صــادحٍ لَــبِقِ
وإنّــمــا هــو ســحــرُ الحـبْـرِ والـورَقِ
الـسـحـرُ بـاقٍ ولـكن قد مـضى الـسّاحرْ!

✡✡✡✡

كالشمسِ يستُرها عند المسا الغَسَقُ[1]
ونــورُهــا في رحــابِ الأرضِ مُــنـطـلِقُ
تَـذْوي الـورودُ ويـبـقى بـعـدهـا الـعـبَقُ
حـتى لمن قـطـفـوا مـنـهـا ومن سـرقـوا
كــعــالَمٍ غــابــرٍ في عــالَمٍ حــاضــرْ

✡✡✡✡

إن كــان مــات « نــســيبُ » كــالملايــينِ
من الــعــبــيــد المَــوالي والــسّلاطــينِ
فــالحيّ في هــذه الــدنــيــا إلى حــينِ
لــكنْ نــســيبُ إلى كل الأحــايــينِ
وإن نــأى وســمــا لــلــعــالم الـطـاهــرْ

✡✡✡✡

لــســوف يــرجِعُ عــطــراً في الــريــاحــينِ
أو نــســمــةً تــتــهــادى في الــبــســاتــينِ
أو بــســمــةً في ثُــغــور الخُــرّد الــعــينِ[2]
فــالمــوتُ مَــا هــدّ إلا هــيــكلَ الــطّــينِ
لا تحــزنــوا، فــنــســيبٌ غــائبٌ حــاضــرْ

****

---

(١) أول ظلمة الليل.

(٢) المرأة الخريدة: الحسناء التي لم تُمسس قط. والعيناء، الواسعة العين. والعِين: أرادها للجمع.

٥٤ . ريح الرّدى

[الرمل]

عـصـفَتْ ريحُ الـرّدى بـالمـشْـعَلِ

فخَبا

☼☼☼☼☼

أيـهـا الـنَّـائمُ عـنَّـا والـعـيـونْ

في سهرْ

نـحن مِن بـعـدك أسـرى لـلـشُّـجـونْ

والكدرْ

تـشـتـكي أرواحُـنـا ظـلـمُ الـمـنـون

والقدرْ

لـلـسَّـمـا. لـلـيل. لـلـفـجـرِ الجـلي

للرُّبا

☼☼☼☼☼

لـلأقـاحي الـذابلاتِ الـذاويهْ

كالأماني

لـلـسَّـواقي الـنـائـحـاتِ الـبـاكـيهْ

كالغواني

سـلَب الـدهـرُ حُلاهـا الـغـالـيهْ

في ثوانِ

وبـشـاشـاتِ الـزَّمـانِ الأوّلِ

والصِّبا

☼☼☼☼☼

يـــا ربــيـــعـــاً مـن وفـــاءٍ وكَـــرَمْ
في بَدَنْ
من رأى قـــبــلَك دنـــيـــا من شـــيم
في كفَنْ
خـــلَـــصـتْ روحُكَ مـن ســـجنِ الألَـم
والشَّجَنْ
ومـــضـى لـــلـــبـــحـــرِ مـــاءُ الجـدولِ
طَربا

✡✡✡✡

يـــا كـــريم الأصـل قـــد زانك فـــعـــلُكْ
وصفاتُكْ
عـــشـت لـــلـــنـــاس كـــأنّ الـكلَّ أهـــلُك
ولِداتُكْ
لـــهم كلّ الـــذي تحـــوي وتـــمـــلك
وحياتُكْ!
كـنت في دنــيــا الــضَّــبــاب الــمُــسـدَل
كوكبا

✡✡✡✡

عـــصـــفتْ ريحُ الــرَّدى بـــالـــشْـــعل
فخبا
فـــــإذا كلُّ قـــــصُـــــورِ الأمـل
كالهبا

✱✱✱✱

٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه

الماهدون في المهجر

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها المجلس الملّي في مونتريال كندا بمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه.

الأربعونَ لو انها تتكلّمُ
لروتْ لنا قصصَ العظائمِ عنكمُ

ولحدّثتْنا كيف عن أعشاشكُمْ
طرتُمْ بأجنحة المُنى إذ طرتم

يوم الفراقِ كظمتمُ آلامكُمْ
وأخفُّ من ألم الفراق جهنَّم

وبكى الأحبَّةُ حولَكُمْ، وجفونُكُمْ
تعصي البكا، حُزْنُ الجبابرِ أبْكَم

أيدٍ تودِّعُ موطناً وعشيرةً
ومطامحُ خَلْفَ البحار تُسلِّم

ضاقتْ على أحلامهم تلك القُرى
فاخترتمُ الدنيا الوِساع لتحلُموا

وغزوتمُ الآفاقَ لا زادٌ لكُمْ
إلا الصِّبا المتوثِّبُ المتضرم

كالليث ليس له سلاحٌ في السُّرى
إلا مخالبه التي لا تُثلم

تتخيلونَ البحر شُقَّ لتعبُروا
وانداح بين الشاطئينِ لتسلَموا

والدر مخبوءاً لكُمْ في قاعه
كي تُخرِجُوه وتغنَموا ما شئتمُ

والموجُ إذ يطغى ويهدُر حولكُمْ
جوقاً لطرد همومكُمْ يترنَّم
وإذا النجومُ تألَّقتْ تحت الدُّجى
خلتمْ لأجلكمُ تُضيءُ الأنجم
وحسبتُمُ شُمَّ الجبال سلالماً
نُصبتْ لكمْ كي تصعدوا فصعدتم
والشمسُ منجمُ عسْجدٍ[1] متكشِّفٌ
لذوي الطّموحِ وأنتُمُ أنتمْ همُ
ولكَمْ تلثَّمتِ الحقائقُ بالرُّؤى
كالأرض يغشَاها السَّرابُ الموهِم
لتطلَّ من أرواحنا أشواقُها
فنطوفُ حولَ خُدورِها ونحوم
لم تقنعوا كالخاملينَ بأنَّكُمْ
لكمُ شرابُ في الحياة ومطعم
لو أن تكونَ حياتُكُمْ كحياتهِمْ
عبثَاً، يموتُ به الوقارُ ويُعدم
وتَأفُّفاً في الليل وهو منوَّرٌ
وتبرُّماً في الصبح وهو تبسُّم
لو أن يكونَ تُراثكُمْ كتراثهْم:
قَصْرٌ عفا أو هيكلٌ مُتردِّم[2]
وحديثُ أسلافٍ قد التحفوا الفَنا
فهم سواءُ في القياس وجُرْهم[3]

---

(١) العسجد: الذهب.
(٢) جرى فيه الإصلاح (تردم ثوبَه: رقّعه وأصلحه).
(٣) قبيلة كانت تقطن مكة المكرمة.

من يــقــتــربْ من أمسٍ يــبــعُــدْ عن غــدٍ
ويـــعشْ مع المـــوتـى ويُــصْـــبحْ مــنـــهمُ!!

وكـــرهـــتُمُ أن تـــنـــقـــضـي أيـــامُـــكُمْ
شـــكـــوى لمن يـــرثي ومن لا يـــرْحم

أو أنْ يـبـيت عـلـى الحـضـيضِ مُـقـامكُمْ
والـــدودُ يـــزحفُ فـــوقَه والأرقم[1]

فـنـفـرتمُ كـالـنَّـحل، مـا من زهـرةٍ
فـيـهـا جـنى، إلا وفـيـهـا مـغـنَم

في كلِّ شطٍّ مـــاردٌ، في كل طَـــود
قَـــشـــعَمٌ، في كل وادٍ ضـــيْـــغم[2]

المجـدُ مـطـلـبُـكُمْ وأنـتم سُـهَّـدُ
والمجـدُ حُـلـمـكُمُ وأنـتم نُـوَّم

لا شيء صـعبٌ عـنـدكُمْ حـتى الـرّدى
الـصعبُ عـنـد نفـوسكُمْ أن تُـحـجـموا

مـا بـضـعـةً من أمـة، هي أمّـةٌ
في ذاتـهـا، ولـهـا طـرازٌ مُـعْـلَم

فـيكُمْ جـمـيعُ صـفـاتـهـا وخلالـهـا
والـرَّوضُ يـحـويه عـطـوراً قُـمـقُم

إن الألى عـابـوا الجـهـاد عـلـيـكُمُ
عـلـكوا مـداركَـهـمْ ولم يـسـتـطـعـموا!

طـلـبوا الـسَّلامـةَ في الـقـعـود فـفـاتَـهُمْ
دركُ الـثـراء وبـعـد ذا لم يـسْـلـموا!

هـؤلاء دودُ الـقَـزّ أحـسنُ مـنـهمُ
وأجلُّ في نـظـر الحـيـاة وأفـهم

(١) الحيّة فيها بياض وسواد.

(٢) الضيغم: الأسد. والقشعم: من أسمائه.

قـالـوا: كـهـولٌ قـد تـصـرَّمَ عـصـرهُمْ
لـيت الـشَّـبـاب من الـكـهـول تـعـلَّـمـوا
إن لـم تَـشـيـدوا كـالأوائلِ «تـدمُـراً»
أو « بـعـلـبكَّ » فـإنَّـكم لم تَـهـدموا
ولـكُمْ غـدٌ وجـمـالُهُ وبـهـاؤُه
ولـكُمْ من الأمسِ الـنَّـفـيسِ الـقـيم

*****

حـدثتُ نـفـسي والـقـطـارُ يـخبُّ بي
عـجْلانَ يـخـتـرقُ الـدُّجى ويُـدمـدم
فـسـألـتُـهـا مُـسـتـفـهِـمـاً. ولـربمـا
سـألَ الـعـلـيمُ سـواهُ عـمَّـا يـعـلم:
مـا أحـسنُ الأيـامِ؟ قـالت: يـومُـكُمْ!
والـنـاسِ؟ فـابـتـدرتْ وقـالت: أنـتمُ
والـدُّورِ؟ قـالت: دُوركُمْ. والمـالُ؟
قـالت: إن أحـسـنه الـذي أنـفـقـتمُ
والحُـسْنِ؟ قـالت: كلّ مـا أحـبـبـتمُ
والأرضِ؟ قـالت: أيـنـمـا اسـتـوطـنـتمُ
مـا كـان أكـملَ يـومـكُمْ وأتـمَّهُ
لـو لم يـكن في مـهـد عـيـسى مـأتَم
وكـذا الحـيـاةُ قـديمُـهـا وحـديـثُـهـا:
ذكـرى نُـسـرُّ بـهـا، وذكـرى تُـؤلِم

****

٥٦ ـ قف يا قطار بنا

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو.

مــنــذُ افْــتــرقــنــا لم أذُقْ وســنَــا
لــلــه مــا صــنَــع الــفــراقُ بــنــا!

قُلْ لــلــخــلــيّــيْن: الــهــنــاءُ لــكم
الحبُّ قــد خــلــقَ الــعــذاب لــنــا

لم أنس قــولَــتَــهــا الــتي ملأتْ
نــفــسي أسىً وجــوانــحي شَــجــنــا

مــاذا جــنــيــنَــا كي تُــفــارِقَــنَــا
أمــلَــلْــتَــنــا وســئــمت صُــحــبــتَــنــا؟

فــأجــبــتُــهــا بــلــســانِ مُــعــتــذرٍ:
لم تجــنــي أنتِ ولا مــلَــلْــتُ أنــا

لــكن رأيتُ المــاءَ مــنــطــلــقــاً
ريّــاً، فــإنْ هــو لم يــســرْ أَجــنــا[١]

والــســّــيفُ إن طــالَ الــثّــواءُ به
يــصــدأْ ويــصــبحْ حــدُّهُ خَــشــنــا

والــسُّــحبُ إن وقــفتْ ومــا هــطــلتْ
لم تَــروِ أوديــةً ولا قُــنَــنَــا[٢]

إن الحــيــاةَ مع الجــمــود قَــذى
ومع الحــراك بــشــاشــةٌ وهــنــا

---

(١) أجن الماء يأجِن: تغير طعمه ولونه.

لا تــعــذُلــيــنـي فــالــقُــرى أرَبي
حــيث الحــيــاةُ رغــائبُ ومُــنى

حــيثُ الــنـجـومُ تــلـوحُ ســافــرةً
لم تــلــتــحفْ ســتْــراً ولا كــفَــنَــا

والــفــجــرُ ملءُ جــيــوبه أرَجٌ
والــطــيــرُ يملأ شـدْوُهــا الــوُكُــنـا[1]

وعــلـى الــرُّبــا الأظلالُ راقــصــةٌ
ويــدُ الــنَّــسـيمِ تُــداعبُ الــغُــصُــنـا

ويح المــدائنِ إنَّ ســاكــنَــهــا
كــالمــيْتِ لم يُــطــمــرْ ولا دُفــنـا

كم رُحْتُ اســتــســقي ســحــائــبــهـا
فَــهــمتْ ولــكن مــحــنــةً وضــنى

ولــكمْ ســهــرتُ فــلم أجــدْ قــمــراً
ولــكمْ شــدوتُ فــلم أجِــدْ أُذُنــا

لــو كــان يــألَفُ بــلــبلٌ غَــردٌ
قــفـصــاً، أحبَّ الــشــاعــرُ الــمُــدُنـا

كــرِه الــورى طــولَ الــمُــقــام بــهــا
فــاسـتــنـبـطـوا الــعـجلاتِ والــسُّــفُــنـا

ولــقــد ظــفــرتُ بمــركبٍ لَــجِبٍ
فــخــرجتُ أطــوي الــســهلَ والحــزَنـا[2]

والــشــوقُ يــدفــعُه ويــدفــعــني
حــتى بــلــغتُ المــنــزلَ الحــســنـا

✡✡✡

(١) الوكن: عش الطائر في حديقة أو جدار (الوكر: عش الطائر).
(٢) الحزْن: ما غلُظ من الأرض (الحُزونة).

قفْ يـــا قـــطــــارُ عــــلـى ربـــوعــــهمُ
إنَّ الأحـــبــــة يــــا قـــطـــــارُ هُــــنــــا
هـــذي مـــنــــازلُـــهُمْ تـــهشُّ لـــنـــا
أخـــطـــأتُ.. بل هـــذي مـــنــــازلُـــنــــا!
مـــا حلّ مـــنـــهمْ مـــوضــعـــاً أحـــدٌ
إلا وصـــــار لـــكـــلّـــنـــــا وطَـــنــــا
«ســـوريّـــــةٌ» في «كـــانـــــتنٍ» نـــغمُ
عــذْبٌ، «ولـــبـــنـــانٌ» شـــذاً وسَـــنَـــا[١]
إنْ تـــنــطــفئْ زُهْــرُ الـــنــجــومِ فــفي
هـــذي الـــوجـــوه عن الـــنـــجـــومِ غـــنى
وإذا الحـــيـــاةُ طـــوتْ مـــحـــاسـنَـــهـــا
عـــني وصـــار نـــعـــيـــمُـــهـــا مـــحـــنـــا
مـــثَّـــلْـــتُــــهمْ في خــــاطـــري فـــإذا
دنـــيـــاي فـــيـــهـــا لـــلـــســـرورِ دُنـــا
✡✡✡✡
يـــا قـــومُ هـــذا الـــيـــومُ يـــومـــكمُ
من يـــنـــتـــهـــزْهُ يـــنلْ رضـــاً وثَـــنـــا
فـــلـــتـــنـــبـــسطْ أيـــديـــكمُ كَـــرمـــاً
الـــسُّــحبُ أنـــفـــعُـــهـــا الـــذي هـــتَـــنـــا
أنـــا لا أرى مـــثلَ الـــبـــخـــيـلِ فـــتًى
يـــضـــوى ويُـــهـــزَلُ كـــلَّـــمـــا ســـمـــنـــا
من لا يـــشـــيـــدُ بمـــالــه أثـــراً
أو يـــســـتـــفـــيـــدُ بمـــالـه مـــنَـــنـــا
ويـــعـــيشُ مـــثلَ الـــعـــنـــكـــبـــوتِ يـــعشْ
في الـــنـــاس مـــذمـــومـــاً ومُـــمـــتَـــهـــنـــا

---
(١) السنا: النور.

فـــابــنـــوا وشـــيْـدوا تُـــكــرِمـــوا رجُلاً
كم قـــد ســـعى من أجـــلـــكُمْ وبـــنى

وطـنٌ وأهـلٌ لاتـــــــــذونَ بـــــــــكُمْ
أفـــتـــخـــذُلـــونَ الأهلَ والـــوطَـــنَـــا؟

« قَـطَـنـا » بـنـوك الـيـوم قـد نـهـضـوا
فَـتَـمـجَّـدِي بـبـنـيك يـا « قَـطَـنـا »

****

٥٧ - «ميامي فلوريدا»

[البسيط]

ألقاها في المأدُبة التي أقامها النادي السُّوري اللبناني الأميركي في ميامي فلوريدا تكريماً له.

ما طائرٌ كان في بيداءَ مُوحِشةٍ
فساقَهُ دَرُّ نحو البساتينِ

فباتَ تُسعِدُهُ فيها بلابلُها
حيناً ويُسعدُها بعض الأحايين

مني بأسعد حظّاً مُذْ نزلتُ بكُمْ
يا معشر السَّادة الغُرِّ المَيامين

فررتُ من بَرْد كانونٍ فقابلَني
في أرضِكُمْ بالأقاحي شهرُ كانون

أنسامُ «أيار» تَسرِي في أصائلها
وفي عشيّاتها أنفاسُ « تَشرين »

تُوزِّعُ السحر شطراً في مغارسها
وآخرٌ في لِحاظ الخُرَّد العين[1]

كلُّ الشتاء ربيعٌ في شواطئها
وكلُّ أيامها عيدُ الشَّعانين[2]

لكنْ ميامِي وإنْ جلَّتْ مفاتنُها
لولا وجودُكُمْ ليستْ لتُغرِيني

إني لأشهدُ دنيا من عواطفكُمْ
أحبَّ عندي من دنيا الرياحين

---

(١) العيناء: الواسعة العين.

(٢) عيد عند المسيحيين، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس.

وكلَّما سمعتْ نجواكمُ أُذُني
ظَننْتُ أنِّي في دنيا تَلاحين
لأنتمُ النُّورُ لي والنُّورُ مُنطَمسٌ
وأنتمُ الماءُ إذ لا ماءَ يرويني
أحببتكُمْ حُبَّ إنسانٍ لإخوته
إذ ليس بينكمُ فوقِي ولا دوني
إن كان فيكُمْ قويٌّ لا يُقاهرني
أو كان فيكُمْ ضعيفٌ لا يُداجيني[1]
قل لامرئٍ مثلِ قارونٍ بثروته
إني امرؤٌ بصحابي فوق قارون[2]
من يكتسبْ صاحباً تبقَى مودَّتُهُ
فهو الغنيُّ به لا ذو الملايين
فاخترْ صحابك وانظرْ في اختيارهمُ
إلى الطَّبائع قبلَ اللّونِ والدين
ليس الوِدادُ الذي يبقَى إلى أبدٍ
مثلَ الوداد الذي يبقى إلى حين
والمرء في هذه الدنيا عواطفُه
إن تندرسْ، فهو بيتٌ غيرُ مسكون
وإنّ عاطفةً هذي مظاهرُها
من عالَمِ الرُّوح لا من عالَمِ الطِّين
لو فاتَني كلُّ ما في الأرض من ذهبٍ
ولم تَفُتْنِي فإني غيرُ مغبون
لو القوافي تُؤاتيني شكرتُكُمُ
كما أريدُ، ولكنْ لا تؤاتيني

---

(١) المداجاة: المداراة.

(٢) من وزراء أحد فراعنة مصر. يضرب مثلاً في الغنى والغرور، وإليه تُنسب البحيرة في الفيوم.

لا يـــمـــدحُ الـــورد إنـــســـانٌ يـــقـــول لـه:

يــــا وردُ إنَّك ذو عـــطـــرٍ وتَـــلـــويـن

فـاسـتـنـطـقـوا الـقـلب عـني فـهـو يُـخـبركُمْ

فـــالحُبُّ والـــقـلبُ مـــكـــنـــونٌ بمـــكـــنـــون

لـــولا المحـــبَّـــةُ صـــار الـــكـــونُ أجـــمـــعُهُ

طـــوبى الأفـــاعي وفـــردوس الـسَّـــراحـــين[1]

إني ســـأحـــفـظُ في قـــلـــبي جـــمـــيـــلَـــكُمُ

وســـوف أذكـــرُهُ في الـــعُـــسْـــرِ والـــلِّـــين

****

(١) السِّرحان: الذئب.

٥٨ - ضَرَّةُ جلِّق

[الكامل]

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال.

لا تـقـلَـقي يـوم الـنَّـوى أو فَـاقـلَـقِي
يـا نـفسُ كلُّ تجـمُّعٍ لِـتَـفـرُّقِ

الـلـهُ قـدَّرَ أنْ تـمس يـدُ الأسى
أرواحـنـا كـيـمـا تـرقُّ وتـرتـقي

أوفَى عـلى الـشُّـهبِ الـدُّجى فـتـألَّـقْت
لـولا اعـتـكـارُ الـلـيل لم تـتَـألق

والـفـحمُ لـيس يُـضيء إن لم يـضـطـرمْ
والـنـدُّ لـيس يـضـوعُ إنْ لم يُـحـرَق

لا أضـرِبُ الأمـثـالَ مـدحـاً لـلـنَّـوى
لـيت الـفـراقَ ويـومه لم يُـخـلَق

مـا في الـوداعِ سـوى تَـلـعـثُمِ ألـسنٍ
وذهـولِ أرواحٍ وهَـم مُـطْـبِق

✡✡✡✡✡

عـنَّـفتُ قـلـبي حـين طـال خُـفُـوقُهُ
فـأجـاب: بل لُـمْـني إذا لم أخـفِق

أنـا طـائـرٌ قـد كـان يمـرحُ في الـرُّبـا
وعـلـى ضـفـاف الجـدولِ المـتـرقـرق

فـطـوى الـقـضـاءُ مـروجَهُ وفـضـاءَهُ
لـيُـزَجَّ في قَـفَصِ الحـديـد الـضَّـيِّق

لا، بل أنــا مــلكُ صــحــوتُ فــلم أجِــدْ
عــرشي ولا تــاجي ولا إســتَــبْــرقي[1]
هــانتْ مــعــاذيــري وضــاعتْ حِــكْــمــتي
لــمــا ســمــعتُ حــكــايــةَ الــقــلبِ الــشَّــقي
لــو تــعــدلُ الــدنــيــا بــنــا لم يــنــتــثــرْ
شَــمْلُ نــظــمــنــاهُ، ولــم نــتَــفَــرَّق

✡✡✡✡✡

لــلــه مــونــتــريــالُــكُمْ ذاتُ الحُــلي
ومــديــنــةُ الــطَّــود الأشمِّ الأبْــلَق
كَمْ وقــفــة لي عــنــد شــاطئِ نــهــرِهــا
لا أســتــقي مــنــه، وروحِي تَــسْــتَــقي
مُــتــعــلــمــاً مــنه الــتَّــواضع والــنَّدى
والــصــفح عن عــبث الجــهــولِ الأحْــمَق
أعــطى الحــقــولَ حــيــاتَــهــا ومــضى كــأنْ
لم يُــعْــطــهــا شــيــئــاً ولم يــتَــصــدَّق
من كــان لا يــدري فَــيــقــظــةُ زَرْعــهــا
من فَــضْلِ هــذا الــهــاجعِ المــســتــغــرِق
ضــيِّــعتُ عــنــد الــواعــظــينَ ســعــادتي
ووجــدتُــهــا في واعظٍ لم يــنْــطُق
مــلءُ المــدائــنِ والــقُــرى آلاؤُهُ
وهِــبــاتُه، ويــعــيشُ عــيْش المُــمْــلِق
لــولاهُ لم يــخــضــرَّ قــاعُ مُــجــدِبٌ
لــولاكُمُ شــجــرُ المُــنى لم يُــورِق

---

(١) الإستبرق: الديباج (معرب).

عـرضـتْ مـحـاسـنَـهـا الـحـيـاةُ عـلـيـكُمُ
فـــأخـــذتُمُ بـــأحـــبـــهـــا والألْـــيق
أنـــا مـــنــكمُ في روضـــة مـــعـــطـــارةٍ
مِن مُـــونقٍ فـــيـــهـــا الـــلِّـــحـــاظُ لـــمُـــونق
الـــعـــطـــرُ يـــعـــبَقُ من جـــمـــيـع وُرودِهـــا
مـــا إن مـــررتُ بـــزهـــرةٍ لـم تَـــعْـــبَق

✡✡✡✡✡

لـــلـه مـــونـــتـــريـــالُـــكُمْ وجلالُـــهـــا
هـي رومـــةُ الـــصُّـــغـــرى وضـــرَّةُ جِـــلَّق
رَقَّتْ عـــلـيّ نجـــومُـــهـــا وتـــواضـــعتْ
حـــتى لـــكـدتُ أحـــسَّـــهـــا في مـــفـــرِقي
فـــكـــأنمـــا هي أنـــتمُ وكـــأنمـــا
أرواحـــكُمْ من نُـــورهـــا المـــتـــدفِّق
رجع الـــشـــبـــابُ إلـي حـــين هـــبـــطـــتُـــهـــا
والـــيـــوم أخـــرجُ من شـــبـــابي الـــريِّق
ســأطـيُـر عـنـهـا في غـدٍ بـحُـشـاشـة
مـــكـــلُـــومـــةٍ وبـــنـــاظـــرٍ مُـــغـــرورقِ
ويـــغـــيبُ عـــنّي طَـــودُهـــا وقِـــبـــابُـــهـــا
وقـــصـــورُهـــا خـــلـف الـــفـــضـــاء الأزرق
وتـــظلُّ صـــورتُـــهـــا تـــلـــوحُ بـــخـــاطـــري
بـــعـضُ الـــرؤى ســـلـــوى وإنْ لـم تَـــصْـــدُق

✱✱✱✱

٥٩ - الشباب أبو المعجزات

[المتقارب]

سلامٌ عليكُمْ رجالَ الوفاء
وألفُ سلامٍ على الوافياتْ
ويا فرح القلبِ بالناشئين
ففي هؤلاء جمالُ الحياة
هُمُ الزَّهْرُ في الأرض إذ لا زهور
وشُهبٌ إذ الشُّهب مُستخفيات
إذا أنا أكبرتُ شأنَ الشبابِ
فإنَّ الشباب أبو المعجزات
حصونُ البلاد وأسوارُها
إذا نام حُرّاسُها والحُماة
غدٌ لهمُ وغَدٌ فيهمُ
فيا أمسِ فاخرْ بما هو آت
ويا حبَّذا الأمَّهاتُ اللواتي
يلدنَ النوابغ والنابغات
فَكَمْ خَلَدتْ أمّةٌ بيراعٍ
وكم نشأتْ أمّةٌ في دواة

✡✡✡✡✡

أنا شاعرٌ أبداً تائقٌ
إلى الحُسْنِ في الناس والكائنات
أُحبُّ الزُّهور وأهوى الطُّيور
وأعشق ثرثرةَ السَّاقيات

ورقْص الأشــــعـــــة فــــوقَ الــــرَّوابي
وضــحك الجــداولِ والــقَــهــقَــهــاتْ
تـــطـــالعُ عـــيــنـــاي في ذا المـــكـــانِ
روائع فــــاتــــنــــةٍ ســــاحــــرات
كــأن الـــفــضــاءَ وفــيه الـــطــيــورُ
بــحــورٌ بــهــا ســفنٌ ســابــحــات
كــأن الـــزهـــور تُـــرقـــرقُ فـــيـــهـــا
ســقــيطَ الــنــدى أعــينٌ بــاكــيــات
ومن بـــلـــبلٍ ســـاجعٍ لِـــمُـــغنٍّ
من زهـــرة غـــضـــة لـــفـــتـــاة

✡✡✡✡✡

فــمــا أجــملَ الــصــيف في الخَــلَــوات
وأروع آيــــاته الـــبــــيــــنــــاتْ!
نــضــا الــســتــر عن حــســنــات الــوجــود
وكـــانتْ كـــأســـرارِه الـــمُــضــمــرَاتْ
وأحــيــا رغَـــائـــبـــنـــا الـــذابلاتِ
فَـــعـــاشتْ وكـــانت كـــأرضٍ مـــوَاتْ
فــفي الأرض ســحــرٌ، وفي الجــو عــطــرٌ
فـــيـــا لَـــكـــريمٍ ويـــا لَـــلـــهِــبـــاتْ
أمـــامـــكُمُ الـــعـــيشُ حـــر رغـــيـــدٌ
ألا فــاغْــنَــمــوا الــعــيش قــبْلَ الــفَــواتْ

✱✱✱✱

المحتوى

الديوان الخامس (تبر وتراب)

****

(ما لم تجمعه الدواوين)

جمعه الدكتور جورج ديمتري سليم من الصحف والمجلات العربية والمهجرية، التي نشر فيها، في كتاب سماه «إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٧»، دراسات عنه، وأشعاره المجهولة - ووثّقها بالرجوع إلى مصادرها، فسمّاها وحدّد تواريخها وأعداد أبياتها.

الطبعة الأولى (دار المعارف. القاهرة ١٩٧٧).

تضم المجموعة خمسة وستين نصاً شعرياً، بين طويل ومعتدل وقصير. وهي سَعَة ديوان كامل من دواوين الشاعر، أو تزيد على بعضها، وتكوّن ما يزيد على خُمس مجموع شعره في الدواوين الخمسة، وتُكمله، في تغطية المناسبات والأحداث والمواقف، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأمريكة

****

١ - إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش[1]

[الوافر]

لــئن حــجـبُـوك عن مُــقَلِ الــبــرايــا
فــمــا حــجـبـوا هــواك عن الــصُّــدورِ

وإن تَـكُ قـــد حُـــبْـــست وأنت حُـــر
فــكم في الحــبس من أســدٍ هــصُــور

كــبـيــرُ الــقــوم أكــبــرُهُمْ خــطــوبــاً
لــذاكَ رُمــيت بــالخــطب الــكـبــيــر

لــقــد أَعــلــيت قــدْرَ الــســجنِ حــتى
أحبَّ الــســجن ســكــانُ الــقــصــور

ولا عـــجبٌ إذا أُســــكـــنت فـــيه
فــكَمْ في الــلــيل من قــمــرٍ مُــنــيــر

تَــعــددتِ الــطــيــورُ فلا حــبــيسٌ
ســوى الــغَــرِدِ الجــمــيلِ من الــطــيـور

يــقــول الــشَّــامــتــون: الــســجنُ يُــزري
لــئن صــدقــوا فــبــالجــاني الــكَــفُــور

ومـــا في صُــحــبـــة الأشــرار عــيبٌ
عــلــى الــداعي إلى تـــرك الـــشُّــرور

---

(١) رأس تحرير جريدة (اللواء) لسان حال الحزب الوطني الذي أنشأه زعيمه مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) قبضت عليه سلطات الاحتلال الإنجليزي أكثر من مرة وأودع السجن لأسباب متعددة تتعلق بمواقفه الوطنية ومقالاته في

فصبراً، يا نزيلَ السجنِ، صبراً

فما عرَف الهناءَ سوى صبورِ

وحسْبُك عطفُ هذا الشعب فخراً

وحسْبُ عداك توبيخُ الضمير

****

٢ - مصر والاحتلال

[الرمل]

خَلِّني أستصرخُ القوم النِّياما
أنا لا أرضى لـ « مصرٍ « أن تُضاما

لا تلُمْ في نُصرةِ الحقِّ فتى
هاجَه العابثُ بالحقِّ فلاما

أو فلُمنِي إنَّ قلبي كلّما
زدت في تعنيفه زاد هُياما

سوف أشكو الهمّ إن أحْرجني
رُبَّما خَفَّفَت الشكوى السقاما[1]

وقفةً في شاطئ « النيل « معي
نُقرِئُ «النيلَ» التّحايا والسلاما

وأناجِيه أمّاني أمّةٍ
منعوها ماءَه إلا لماما

علّه يبعثُ من أسرارِه
قوةً تبعثُ في الشعبِ اعْتزاما[2]

قسماً بـ «النيلِ» لو أن به
ما بنفسي من جوىً[3] سال ضراما

لستُ أنسى ليلةً بتُّ بها
والأسى يدفع عن عيني المناما

---

(١) المرض.
(٢) العزيمة.
(٣) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من الحزن أو غيره.

أرقبُ الأقمار في أفلاكها
مثلما يرقبُ راعيها السواما[1]

لم يُؤرِّقْني اشْتياقٌ أو هوى
ما الهوى بُغيةُ من بالمجد هاما

راع نفسي أن «مصراً» رُوِّعت،
بأبي «مصر» ومن فيها أقاما!

حسْبُ «مصرٍ» أنها الأرضُ التي
إمّن اللهُ بها «البيت الحراما»

وبنيها أنهمْ نسلُ الأُلَى
عركوا الدهر فتيّاً وغلاما

كَرُمت «مصرُ» وأهلوها فما
نقَضتْ عهداً ولا خانوا ذماما

كان للأحرار فيها موئلٌ
يعصمُ الحُرَّ فلا يخشى اهتضاما

ثم هاض الدهرُ من جانبها
إنما يهْتَضِم[2] الدهرُ الكراما

أَرَبي «مصرُ» على رغم العدا
لستُ أعني بالعدا إلا الطَّغاما[3]

لستُ مصريّاً ولكنْ نسبةٌ
بيننا تجمعُ «مصراً» و «الشآما»

أمّةٌ ترتقبُ استقلالَها
مثلَما يرتقبُ الصّادي[4] الغَماما

---

(١) سامت الماشية: رعت، فهي السائمة والسُّوام.
(٢) هاضه: كسره. وهضمه حقه واهتضمه، فهو مهتضم (مظلوم).
(٣) الغوغاء وأرذياء الناس.
(٤) العطشان (صدي – يصدى).

مـــا لـــهم يـــســـعـــونَ في إيـــذائـــهـــا؟
مـــا رمتْ ســـهـــمـــاً ولا ســلّت حـــســـامـــا
زعـــمـــوا إصـلاحـــهـــا وهـي الـــتي
مـــا شـــكَتْ غـــيـــر همُ داءً عـــقـــامـــا[1]
حـــبـــســـوا «الـــنـيل» عـــلى نـــفـــعِـــهِمُ
وأعـــاضُـــوهـــا[2] من الـــرِيِّ الأُوامـــا[3]
فـــإذا مـــا صـــرختْ تـــشـــكـــو الـــصَّـدى
جـــعـــلـــوا الـــقـــانـــونَ في فـــيـــهـــا لـــجـــامـــا
أنـــكـــروا خَـــطـــوتَـــهـــا نـــحـــو الـــعُلا
« رُبَّ ذي لُبٍّ عن الحقِّ تَـــعـــامـى»
ورمـــوهـــا بـــالـــتَّـــواني، ويـــحـــهُمْ
أخـــمـــولٌ أنـــهـــا تـــهـــوى الـــسَّلامـــا؟
قـــد خَـــلتْ تـــســـعـــةُ أعـــوامٍ عـــلى
شـقـوة «الـنـيل»، سـوى عـشـرين عـامـا
وانـــقـــضـى الـــعـــمـــرُ ولـــمَّـــا تـــنـــجـــلـــوا
فـــإلام أيـــهـــا الـــقـــومُ، إلا مـــا؟

✡✡✡✡✡

كـــبـــلـــوا أقلامـــنـــا جُـــهـــدكمُ
وامـــنـــعـــوا الألـــسُنَ والـــصُّحْف الـــكلامـــا
وإذا عـــزّ عـــلـــيـــكمْ أنَّـــنَـــا
في وئـامٍ، فـانـشـروا فـيـنـا الـخـصـامـا
وإذا عـــزَّ عـــلـــيـــكمْ أنـــنـــا
في حـيـاةٍ، فـابـعـثـوا فـيـنـا الـحـمـامـا

(١) لا شفاء منه (العقيم).
(٢) أعطوها العوض (عاضه وأعاضه).
(٣) حر العطش (آم - يؤوم).

يـــنـــزِعُ الأرواح من أجـــســـادهـــا،

أو فـــكـــونـــوا أنـــتمُ المـــوت الـــزُّؤامـــا

إنمـــــا يـــــنـــــقـــــلـــبُ الأمــــرُ إلى

ضـــدّه إن جـــاوزَ الأمـــرُ الـــتّـــمـــامـــا

****

٣ - روزفلت[١] ومصر

[الوافر]

خطيب الأمسِ ما أنصفت «مصراً»
ولا أنصفت ماضيَك القريبا

ولكنْ كنت للباغي علينا
أقومي! إنَّ للباغي ضريبا

لعمرُك ما حللت بنا صديقاً
ولكن كنت طوّافاً مُريبا

أطعت بنا الوشاةَ، وما عهدْنا
- وحقِّك - واشياً إلا كذوبا

كأني بـ «العميد»[٢] إليك أوحى
بما أوحى، فقمت بنا خطيبا

تحاولُ أن تُحبِّبهمْ إلينا
متى ألفَيتَنا نَهوى الخُطوبا؟

وتأمُلُ أن نَبيت على قُنوط
كأنّ اليأس ما قتَل الشُّعوبا

أيا ضيف «الكنانة»! جُرْت فاقصدْ[٣]
فما شعبُ « الكنانة « دون « كوبا»

أنرجو أن تكونَ لنا نصيراً
وترجو لو تكون لهم حبيبا؟

لقد خَدعتْكَ، يا « روزفلتُ» منهم
زخارفُ تَخدعُ الفَطنَ الأريبا

****

---

(١) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها (١٩١٠). خطب في الجامعة المصرية خطبة لم ترض عنها مصر.
(٢) عميد السلطة الإنجليزية المحتلة (غورست) والشاعر يأتي على ذكره أكثر من مرة.

٤ - عيد الحرية العثماني[1]

[البسيط]

هــذا مــجــالُ، فــهل في الحيِّ قــوّالُ؟
إني، على العجْزِ، في المضمارِ جوّالُ
مــا أجــملَ الــقــولَ والآذانُ صــاغــيــةٌ
والصَّمت، حيثُ على الأسماع إقفالُ!
حسْبي وحسبُك أن الشَّملَ مُلتئمُ
والصفو دانٍ وللأيام إقبال
وحسْبُ شعرِك هذا العيدُ، من سببٍ
إذا نَبتْ بك أسبابٌ وأوصال
لم يبقَ في الشَّرقِ من قُطْرٍ ولا بلدٍ
إلا وفيه احتفالاتٌ وحُفَّال[2]
فانشرْ قوافيكَ في الآفاق، فهْي على الـ
أكباد ماءٌ وفي الأذواقِ جِريال[3]
إني أراك مُطاعاً في شواردها
ما أنت ممَّن على الأشعارِ يحتال
إن القوافي إذا أحكمت عُقْدَتَها
فما يعيبُك إكثارٌ وإقلال
وإنْ أجْدتْ فلا تعبأْ بذي سفَه
فحيثُما كان مجدٌ كان عُذّال

(١) بمناسبة مرور سنة على إعلان هذا الدستور (١٩١٠).
(٢) حفل القوم: اجتمعوا واحتشدوا، فهم حافلون وحفّال.
(٣) جريال: الخمرة.

فـــفـــيـم صـــمـــتُك، لا واشٍ ولا رصــدُ

يُـخـشى، ولا ظـالمٌ لـلـحُـر يـغـتَـال؟[1]

إن كـنـت تـبـخلُ بـالأقـوالِ تـمـلـكُـهـا

فـكـيـف جـودُك بـالـدنـيـا ولا مـال؟

✲✲✲✲✲

طـالَ الـسُّـكـوتُ، ومـا لـي فـيه من أربٍ

وإنـمـا بي لـهـذا الـعـيـد إجْلال

عـيـدٌ إذا عُـدَّ في الأعـيـاد زَيَّـنَـهـا

كالشمس في الشُّهب، هل للشمسِ أمثال؟

عـيـدٌ رآه ذوو الـحـاجـاتِ، فـابـتَـسـموا

شـوقـاً، وكم لـذوي الـحـاجـات آمـال

تـفـاءلـوا أن «تـمـوزاً» يـكـون لـهم

عـيـداً كـغـيـرهـمُ، قـد يـصـدُقُ الـفـال

«تـمـوز» أنت مـنـيلُ الـشَّـرقِ بُـغْـيـتَهُ

في حـينِ أسـمحُ[2] قـومٍ فـيـه بُـخَّـال

بـتـنـا نـودُّ شـهـور الـعـام أجـمـعـهـا

«تـمـوز » أو أنّ يـوم الـعـيـد أجـيـال!

✲✲✲✲✲

بـاد الـزمـانُ الـذي تُـخـشَى غـوائـلُه

فـيـنـا، وبـدلّت الأحـوالَ أحـوالُ

وبـات طـاغـيـةُ الأملاك مـعـتـقَلاً

لـه مـن الـهـمّ أصـفـادٌ وأغلال

لم أنـسَهُ، وهـو في « يـلـديـزَ» ممـتـنعٌ

خـوف الـمـنـيـة، إن الـخـوف قـتَّـال

(١) الرَّصد. الراصدون (يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث).

(٢) سمح وأسمح: جاد وأعطى عن كرم وسخاء.

والشعبُ قد جاش كالبركانِ من غضبٍ
أوِ الغَضنفر بانتْ عنه أشبال
والجيشُ مندفعٌ كالسيل من حنَقٍ
والبِيضُ مشرعةٌ والرُّمحُ عسَّال[1]
وللقذائفِ حولَ القصرِ فرقعةٌ
يكاد يحدثُ منها فيه زِلزال
وللبنادقِ أصواتٌ إذا طَرَقتْ
أذْنيه، أيقن أن الشعب فَعَّال
لمّا رأى الموت أمسى منه مُقترِباً
بكى بكاءَ صغيرٍ ما له آل
أمسكْ عليك دموعاً غير مُجدية
دمعُ المُضيِّع دمع الشَّعب إذلال
نَقضْت عهدَك لما صرت مؤتمناً
لو عاهد الذئبُ أوفى وهو خَتَّال
قُمْ فانزعِ التَّاج طوعاً قبل تنزعَه[2]
عنك العوالي، فقد ضاقتْ بنا الحال
وَدّعْ سرير «بني عثمان» عن كَثَبٍ
ما أنت أهلٌ له، للمُلْك أقْيال[3]
المُلْكُ لاقَ به من كـ «الرشاد» حجاً
هيهات ما لـ «رشاد» المُلْك أمثال
به المنازلُ أضحتْ وهي عامرةٌ
وكنت فيها وكانت وهي أطلال

✵✵✵✵✵

(١) عسل الرمح: اهتز.
(٢) على تقدير: أن تنزعه.
(٣) القَيل في الأصل: الملك من ملوك حمير، وجمعه أقيال.

«دار السلامِ»! سقتْك السُّحبُ هامية
ما دام للسُّحب في الأكوانِ تجْوالُ
إني أرى فيك «بغداداً» وأُبصرُ في
بُرْدِ «الرشيد» «رشاد» المُلك يختال
يعُدُّني القومُ من نُزّال «مصر» ولي
قلبٌ على البُعد ممن فيك نزّال
إمّا ثَنتْ بصري عنك الجبالُ فما
كانت لتحجُب سمعي عنك أجبال
يا درّةَ الشَّرقِ، دمتِ الدهر حاليةً[1]
فالشَّرقُ لولاك أمسى وهو معْطَال[2]

****

(١) الحالي: ذو الحلية (حلي - يحلى).
(٢) العطل: فقدان الحلي، والمرأة عاطل ومعطال.

٥ - نفثة مصدور

[الوافر]

سـوى «لـبـنـانَ» يمـقُـتُه فـؤادي
وغـيـرُ بـنـيه أمـنـعُـهمْ ودادي

بـلادُ الـلـه واسـعـةٌ ولـكنْ
تـضـيقُ لـديَّ إن ضـاقتْ بلادي

بلادٌ قـد طُـبِـعتْ عـلى هـواهـا
كـمـا طُـبِعَ الـزمـانُ عـلى عـنـادي

فـمـا أنـفكُّ أطـمحُ لـلـمـعـالي
ولا يـنـفكُّ يـبـخلُ بـالـمُـرَاد

يـصـوِّبُ كلَّ حـين كلَّ سـهمٍ
إليّ فلا يُـصـيبُ سـوى فـؤادي

لـقـد كـثُـرتْ خـطوبُ الـدهـرِ عـنـدي
ولم تـبـرحْ لـديّ عـلى ازديـاد

لَـعـمـرُ أبـيك لـو كـانت نُـضـاراً[1]
أمـنْتُ عـلـيه من داء الـنَّـفـاد

نَـحـلْتُ من الـهُـموم، فـلـو تَـراني
لَـمـا مـيَّـزْت طـيـفي من سـوادي[2]

ولا أدري وقـد طـال اغـتـرابي
لمن أشـكـو وقـد طـال انـفـرادي

---

(١) الذهب الخالص.

فلولا يشمتُ الأعداءُ مني
جرى دمعي فأزرى بالسُّهاد
أضنُّ به ولي قلبٌ كريمٌ
جوادٌ لا يضن بمستَفاد
شعوبٌ لا تُعدُّ، ولا كقومي
تَساوى باعْتقادهمُ اعتقادي
أحنُّ إلى لقائهمُ وأصبو
كما حنَّت إلى الماء الصَّوادي[1]
يكادُ الشوقُ ينقلُني إليهمْ
لو ان الشَّوقَ ينقل غير باد
ترى، هل عندهمْ أني ودهري
لأجلهمُ أبيتُ على جهاد؟
ففي أرَقٍ إذا غفلوا وناموا
وفي خوفٍ ولو أمنوا العوادي
كرامٌ في زمانٍ ليس فيه
كريمُ الكفِّ في الكُرب الشِّداد
يزينُونَ النِّجاد إذا احتبوه
ويزدانُ العوالمُ[2] بالنِّجاد
شُموسٌ يُستَضاءُ بهم، غُيوثٌ
إذا سُئلوا، ليوثٌ في الطِّراد
ولكن ساءتِ الأحكامُ فيهم
فساؤوا سُمعةً في كلِّ ناد
تمادوا في التساهلِ معْ أناسٍ
تمادوا في النقائصِ والفَساد

(١) الصادية: العطشى، وجمعه: الصوادي (صدِي – يصدى).

فَــرَاج الــظــلــمُ حــتـى بـــات ســـــهلاً
وإنَّ الـــظـــلـم أجـــدَرُ بـــالـــكــســـاد
وبــات الــعــدلُ مــضــطــهــداً لــديــهمْ
وهـمْ أولـى بـــذاك الإضْـــطـــهـــاد
فـيـا لـهـفي عـلـى « لـبـنـانَ « يُـمـسي
وأهـــلُـــوه عـــلـى وشْك الحـــداد
عـــلـيلٌ يـــســـتـغـيـثُ ولا طـبـيـبٌ
ومـــأســـورٌ ولـــيـس هـــنـــاك فـــاد
يـــســـومُ الـــسَّـاكـنـيه الخـسف غـرٌّ
غَـــويٌّ ضـلَّ عـن نـــهْـج الـــرَّشَـــاد
وأحـــزابٌ كـــمـــا أدري وتَـــدري
تُـــنـــادي بـــالـــوِفـــاقِ ولا تـــنـــادي
رأوْا فـي الـــشَّـــعب راحـــلـــةً ذلـــولاً
عـــلـى وهْنٍ، فـكـانـوا كـالـقُـراد(١)
وفي «لـبـنـانَ» مُـرتـبـعـاً خـصـيـبـاً
عـــلـى ضـعفٍ، فـكـانـوا كـالجـراد
فـمـا تـركـوا لـنـا مـجـداً طـريـفـاً
ولا أبـــقَـــوا عـــلـى مـــجـدٍ تِلاد(٢)
ســـتـــأتـــيـــهمْ شـــواردُ مُـــقْـــلِـــقَـــاتُ
تـــقـــيم الـــهـــاجـــعـــينَ عن الـــوِســـاد
أشـــدُّ عـــلـى الـــنـــفـــوسِ من المـــنـــايـــا
ومِن وقْعِ الــســيـوف عــلـى الــهـوادي(٣)

---

(١) القُراد: دويبة تعض الإبل.
(٢) القديم الأصلي، ضد الطارف.
(٣) الهوادي: أوائل الخيل.

يُـحـبِّـرُهـا فـتـى في الـشّـعـر فـذٌّ

«حـبـيـبٌ» دونـه و«أبـو دؤاد»[1]

يـغـرُّهـمُ سـكـوتُ الـشـعـب حـيـنـاً

ولا يـدرونَ مـا تحت الـرَّمـاد

ولا يـدرونَ أن الـشَّـعـب سَـيْلٌ

إذا مـا انْـصـبَّ أفـعـم كلَّ واد

وبـحـر لـيـس يـسـلـم راكـبُـوه

فـإنّ الـبـحـر صـعـبُ الإنـقـيـاد

فـإن يـرقُـدْ فـإنّ لـكلِّ جـفنٍ

ولا نُـكـرٌ، نـصـيـبـاً في الـرُّقـاد

لـنـا دينٌ عـلـيـهم غـيـرُ نـذْرٍ

وإن الـدَّين أحـرى بـالـسـداد

فـإن دامتْ عـمـايـتُـهُمْ وداموا

ودام الـظـلمُ يـجـري في الـعـبـاد[2]

فـأنـذرْهمْ بـيـومٍ مـسـتـطـيـرٍ

يـطـيـرُ لـهـولـه قـلـبُ الجـمـاد

تـنـوبُ به عن الـقـلـم الـعـوالي

وأنـهـارُ الـدمـاء عن المـداد[3]

****

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (الشاعر العباسي). وأبو دؤاد الإيادي (الشاعر الجاهلي).
(٢) عَمايتهم: الغِواية واللجاج في الباطل.

٦ - نجوى لبناني[١]

[الكامل]

لا الـغـيـدُ تُـصْـبِـيـنـي[٢] ولا الأقـداحُ
مـهـمـا تَـغـالـى فـيـهـمـا الـمُـدّاحُ

إنـي امـرؤٌ كـلـفٌ بـإدراك الـعُـلا
دأبـي الـجـهـادُ وغـايـتـي الإصلاح

أهـوى بـلادي دانـيـاً أو نـائـيـاً
أُعَـلـيَّ فـي حـبِّ الـبـلاد جُـنـاح؟

«لـبـنـانُ»، لـسـت أبـي، ولـسـتُ فـتـاكَ، إنْ
صـرَفـتْ فـؤادي عـن هـواكَ رداحُ[٣]

زعـم الـعـواذلُ أنْ سـلـوتُك، ويـحـهـم
غـيـرُ الـسّـلـوّ لمن أحبّ يُـتـاح؟

مـا إن هـجـرتُكَ عـن قـلـى لـكـنـمـا
قـلـبٌ إلـى نـيـلِ الـعُـلا طَـمّـاحُ

«لـبـنـانُ» حـسـبـي أنـنـي لـك أنـتـمـي
وكَـفـاك أنّـي الـبـلـبـلُ الـصـدّاح

أشـدو بـذكـرك مـا بـقـيـتُ، ومـرقَـمـي
تـجـري بـه فـوقَ الـطُّـروسِ الـرّاح[٤]

قـالـوا: سـكـتّ فـقـلـت: لـيـس بـضـائـري
بـعـضُ الـسـكـوت كـأنـه إفْـصـاح

---

(١) أول قصيدة تنشرها له (مرآة الغرب) بعد نزوله سَنسَناتي.
(٢) صبا: مال إلى الجهل. وأصباه: أماله.
(٣) امرأة رداح: تامة الخَلق.

فـلـربمـا صـمـتتْ شـفـاه ذوي الـهـوى
عــمــداً، لــكي تَــتَــخـــاطب الأرواحُ

✡✡✡✡✡

شـيخَ الـرواسي[1]! مـا لأهـلك أصـبـحـوا
لا الحـــزنُ يـــجـــمـــعُـــهُـمْ ولا الأفـــراح
كـالـغـصنِ يسـكن كلّـمـا سـكن الـصَّبـا
ويمــــــيل أنّى مـــــــالت الأريـــــــاح
عـــبـــثتْ بـــهم أهـــواؤُهم فـــتـــفـــرَّقُـــوا
شـــيـــعـــاً، ولـــيس مع الخلاف نجـــاح
لا يمــلــكــونَ مع الــزمــان قــيــادهمْ
كـــالـــفُـــلك تجـــري مـــا لـــهـــا مَلاّح
لـــلـــه أنت إذ الـــــزَّمـــــانُ مُـــســـــالمُ
وبـــنُـــوكَ كـــوكبُ ســـعـــدهمْ وضـّــاحُ
أيـــامَ كـــان عـــلـــيك من صُـــنع الـــعُلا
حُـــلَلٌ، ومن نـــسْجِ الـــفَـــخـــار وِشـــاح
بـــالأمسِ يـــرهـــبُك الـــزمـــانُ وصـــرفُهُ
والـــيـــوم بـــات حـــمـــاكَ وهـــو مُـــبـــاح
لم يـــبقَ شـيءُ فـــيك لم تَـــعْـــلَقْ به الْـ
أكـــــدارُ، إلا المـــــاءَ فـــــهـــــو قَـــــرَاح[2]
أضـحى صبـاحـاً لـيلُ «مصـر» بـ «يوسفٍ»
فـــعلام لـــيس لـــلـــيـــلـــنـــا إصْـــبـــاح؟[3]
ســـعـــدتْ به وبـــعـــهـــده، في أرضـــنـــا
يـــشـــقى الأمـــيـــرُ ويُـــرهَقُ الـــفلاح

(١) الجبال.
(٢) الماء القراح: الزلال الصافي.
(٣) يقصد النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام)

وتنالُ كفُّ الظلمِ كلَّ أخي نُهى
حُرٍّ، ويخفى الحقُّ وهو صُراح
فكأن «بيت الدين» أصبح «يلدزاً»
وكأنما هو ذلك السَّفّاح[1]
نرجو الصلاح من الفساد جهالةً
هيهات، ليس مع الفساد صلاح

✡✡✡✡✡

أبناءَ ذا الجيل الأشمِّ! تحيةً
تزكو ويزكو نشْرُها الفيّاح[2]
حتّام أنتم مغمضُونَ على القَذى
لا تنهضون، كأنكم أشباح؟
أجهلتُمُ أن البقاءَ تَنازُعٌ؟
أنسيتمُ أن الحياةَ كفاح؟
فمتى أراكمْ طارحينَ خمولكم
ولكم غدوٌ للعُلا ورواح؟
بالعلْم فاعتصموا فلم أر سُبّةً
كالجهل، فهو لأهله فَضّاح
فالعلمُ في الرجل القويِ فضيلةٌ
والعلمُ في الرجل الضعيف سلاح
هؤلاء أهلُ «الغرب» قد بلغوا «السُّها»
مجداً، وما غير العلوم جناح[3]
«فتشبهوا إن لم تكونوا مثلَهم
إنّ التشبُّهَ بالكرامِ فَلاح»

****

---

(١) بيت الدين. قصر الرئاسة في لبنان آنذاك، ويلدز قصر السلطان عبد الحميد في استانبول.
(٢) النشر. الريح الطيبة. وفاح - يفوح - ويفيح.
(٣) السُّها. كويكب خفيّ الضوء في بنات نعش الكبرى.

٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله

[البسيط]

يـــا روح «إلـــيـــاس» بـــالأرواح نـــفـــديك
إن الـمـــلـــيـــكـــةَ تُـــفـــدى بـــالـمـــمـــالـــيك

لـــولا تجـــنـــيّك لم أحـــســـُـدْ أخـــا ولَعٍ
مـــا كـــان أســـعـــدني لـــولا تجـــنّـــيك

لم الـــصّـــدودُ ومـــا قـــلـــبي بمـــنـــصـــرفٍ
إلى ســـواكَ، ولا ســـري بمـــهْـــتـــوك؟

« كـــاتَـــبْـــتـــنـــا مـــرّةً في الـــعُـــمـــرِ واحـــدةً
ثَـــنِّي ولا تجـــعـــلـــيـــهـــا بـــيـــضـــةَ الـــدِّيك»

✡✡✡✡

«نـــيـــويـــورك»، يـــا من فَـــتَـــنتِ الخـــلقَ كـــلَّـــهمُ
مـــا كـــنتِ فـــاتـــنـــتي لـــولا فـــتى فـــيك

أخـــو ســـجـــايـــا، لَـــو انَّ الـــلـــهَ فـــرّقـــهـــا
في الـــنـــاس، مـــا أبـــصـــرتْ عـــيـــني بـــصـــعـــلوك

هـــلالُ لـــطفٍ وظـــرفٍ غـــيـــرِ مـــنـــخـــســـفٍ
وطـــودُ حـــلـــمٍ وحـــزمٍ غـــيـــرِ مـــدْكـــوك

يـــجـــودُ لـــلـــنـــاس بـــالـــعـــقْـــيـــانِ مـــرْقَـــمـــه[1]
إن شـــاء مـــنـــســـبِـــكـــاً أو غـــيـــر مـــســـبُـــوك

فـــاقتْ كـــتـــابـــتُـــه الـــكـــتّـــاب قـــاطـــبـــةً
وفـــــاقَ إعـــلانُـــه إعـــلانَ «مـــــــلّـــــــوك»![2]

---

(١) المِرقَم: القلم. والعقيان: الذهب الخالص.

لـو كـان يـكـتبُ لـلـ «إفـرنج» كـان له
رسمٌ يُـمـثِّـلُه في كلٍّ مـسـلـوك[1]

لـو كـنتُ ذا نَـشـبٍ أهـديـتُه نـشَـبي
لـكنّ لا ذهبٌ عـنـد المَـفَـالـيك[2]

شـاء الـزمـانُ - ومن يـعصي مـشـيئَتَهُ؟-
ألا يُـرى الحـرُّ فـيـنـا غـيـر مـأفُـوك[3]

لـو لم يك الـدهـرُ فَـدْمـاً لا كَـفـاء به
مـا بـات يـنـعُم فـيه كلُّ بـاروك[4]

يمـشي إلـيـنـا عـلى تـيه يـكـاثـرنـا
بـالمـال مـا بـين مـطـبـوعٍ ومـسْـكُـوك

حـتى لَـتـحـسب «كـسـرى» من بـطـانـته
وقـد تـخـالُ عـظـيـمـاً قـدْرَ «مـنـليك»[5]

وكـان يـهـتـزُّ قـبلَ الـيـوم من طـربٍ
لـو قد رأى بـالـنوم أشـبـاحُ «الـمـتَـاليك»[6]

دنـيـاي! قـدْ ضـاع فـيك كلُّ ذي أدبٍ
كمـا يـضـيعُ الـشّذا في أنف مـضْـنوك[7]

✡✡✡

يـا نـفسُ، إن الـلـيـالي غـيـرُ عـاقـلـة
فـإنْ شـكَـوتِ أذاهـا بتُّ أشْـكُـوك

---

(١) درباً مسلوكاً
(٢) المفلوك: الفقير (والجمع: مفاليك).
(٣) المأفوك: المأفون. الضعيف الرأي والعقل.
(٤) الفَدْم: العيي عن الحجة والكلام، مع الثقل. و باروك: صاغها من برك: جثا على ركبتيه، بمعنى الخائر الكسول.
(٥) منليك الثاني: امبراطور الحبشة (١٨٩٦) له صلات بالسطان عبد الحميد الثاني.
(٦) من مفردات العملة، في أصغر صورها، في العصر العثماني.
(٧) الضنك: الضيق من كل شيء. وأضنكه: ضيّق عليه.

صــبـراً، فـإن تـنـقُـمي أركَـبـتـني خَـشـنـاً

أو تــقـنَـطي فــلــقـد أَشْــمت شَـــانــيك

لَـعلَّـمـا رقـعـةٌ تحـظى الـعـيـونُ بــهـا

من الحـبـيب فـتَـشْـفـيـهـا وتَـشْـفـيك

****

٨ - اليهودي التائه

[مجزوء الرجز]

أكلُّ يـــــومٍ مـــــخـــــرقـهْ
وقـــصـــــةٌ مـــــلـــــفَّـــقهْ؟
مـن أحـــــمـقٍ ذي غُـــــررٍ
أو جـــاهـلٍ ذي فَـــيـــهـــقَه[1]
وكـلُّ يـــــومٍ طـــــارقٌ
يـــأخــذُكمْ بـ « الـــهـــيـــبـــقَه»[2]
كـــذا الـــذي طـــاف عـــلـــيْـ
ــــكُمْ يــســتَــدرّ الــصَّـــدقَه
ويـــســـتـــثـــيـــرُ الـــدين فــيْـ
ــــكم، وهـــو ربُّ الـــزَّنـــدقه
فـــمـــا تـــراءى شـــبحٌ
مـــنـــكمُ إلا لَـــحـــقَه
ومـــا أصـــاب مُـــوصـــداً
فـي الحـي إلا طَـــــرَقَـه
ومـــا رأى مـــائـــدةً
إلا أمـــالَ عُـــنـــقَـه
أعـــجـــبه ســـمْـــنَـــكُمُ
فـــصـــار مـــثْلَ الـــعـــلـــقَه

(١) تفيهق في مشيته أو كلامه: تبختر وتعالَم وتشدّق.
(٢) من اللغة المحكية: أخذ الأمور بالمشاغلة وضجيجها

يمـــــــتصُّ أمــــــوالـــــكُمُ

مص الـــهـجـيــرِ[1] الـــزنــبــقَه

يمـلأُ مـن جـــيــــوبِـــكُمْ

جـــيــــوبَهُ الـــمُـــخَـــرَّقه

إنْ تــســـتـحـــوا لا يــســتـحي

كـــــذا الإلـهُ خَـــــلَـــــقه

جــارى «الـــيــهــودي» تــائــهــاً

بلْ بــــزَّه، بل ســــبــــقه

فـــالـــيـــوم في مـــنْــطــقـــة

وفـي غـــدٍ في مـــنـــطــــقَه

يــا حــاملَ «الــكـشـكـولِ» في الـ

ـــعـــاتقِ أين «المــنــطــقـــة»[2]

✡✡✡✡✡

مـــــا عـــــجــــبي مـن رجلٍ

صــــار قـــفـــاه مـــفْـــرِقَه[3]

بـل عـــجـــبي من مـــفْـــرقٍ

قــد صـــار خـلف الــعـنْـقَـقةْ[4]

فـــيـــا لـــهـــا من قَـــرْعـــة

بل يـــا لـــهـــا من مـــزلـــقَه!

دائـــــرةً مـــــثلَ الــــرحى

بـــيـــضـــاءَ مـــثل «الــشّــرنَــقه»

في الـــبـــردِ تـــغـــدو جـــمــداً

وفـي الـــهـجِـيـــرِ مــبْــصــقه

---

(١) الهجير والهاجرة: نصف النهار، عند الزوال إلى العصر.

(٢) ما بين المنكِب والعنق. والمنطقة: كل ما شُدَّ به الوسط، مثل (النطاق).

(٣) مفرِق الرأس: حيث يُفرق فيه الشعر.

رأسٌ تُـــــــــــــظـلُّ أرجـلَ الْـ

ــــبُـــرْغُـــوثِ فـــيه قَـــلــقه

فـــلـــو تـــراه حـــاســـراً

ظـــنــنـــتَهُ قـــد حـــلَـــقَه

هـــذا هـــو « الـــســنــدان» والـ

أنف الـــكـــبـــيـــرُ «المـــطـــرقه»

☼☼☼☼☼

عقَّ بـــــنــــاني قـــلَـــمِي

أضـــاع شـــعـــري رونـــقَهْ

ولا أطـــاعـــتـــنـي الـــقَـــوا

فِي الـــشَّـــاردات الـــمُـــونِـــقه

إنْ كـــــــنـتُ لا أرعـــــاكُمُ

رعى الجـــفـــون الحـــدَقه

إلامَ يـــســـتـــجـــهـــلُـــكمْ

أجـــهلُ من «هـــبـــنَّـــقَه»؟[1]

دمُ الـــقـــلـــوبِ مـــالُـــكمْ

فـــحــــاذروا أن يُـــهْـــرقَه

أتجـــعـــلـــونَ عـــرقَ الـ

أجْـــســـاد مـــنـــكم «عـــرقَهْ»؟

أَراقــــكُمْ مـــنـــطـــقُهُ؟

وقـــد عـــرفـــتم مـــنـــطـــقَه

أمْ صـــــوتُـه؟ وصـــــوتُهُ

أحـــسنُ مـــنه الـــنـــقـــنـــقه

أمْ وجـــــهُـهُ؟ ولـــــو رآ

هُ الـــقـــردُ «طـــاح الحـــلَـــقه»!

---

(١) الهبنّق: الأحمق (والتاء للمبالغة). وقد أصبح مثلاً يُضرب.

قوموا اقْرؤوا تاريخَهُ

هل فيه إلا مُوبِقَه؟[1]

في كل يومٍ يبتغي

ضريبةً أو نفقه

كأنكمْ بُعولةً

كأنه مطلّقه

بل كلّما أحس بالْـ

إملاق أبدى ملَقه

فصوّر البحر لكم

وهو أُجاجٌ[2] «مرقَه»

وصوَّر الأرض على اتّـ

ـتساعها كـ «البندقه»

وحولَه عصابةٌ

تجهلُ إلا الشَّقْشقَه

ضمائرٌ ميّتةٌ

وألسنٌ مفرَّقه

يرعى لها عهودها

كما تُراعي موْثقه

قد وافقتْه مثلما

«وافقَ شنٌّ طبقه»

لكنها لعلَّة

قد نزعتْ منه الثِّقه

---

(١) الموبق: من المعاصي الكبائر المهلكة.
(٢) ملْح مر.

والـــلـه، لــو كـــان قـــصـــا

صُ «الــنَّــصـبِ» مــثلَ الــسَّــرقه

لأصـــبـــحتْ أيــديـــهِمُ

مــقــطــوعـــةً مــعــلّــقه

وأبـــصـــرتْ أعـــيُـــنُـــكمْ

أتـــقـــاهمُ في المـــشـــنـــقَه!

****

٩ - وقْفٌ عليك الشعر

(إلى كل حامل كشكول)

[الكامل]

أسفي على الكشكولِ كيف تمزَّقَا
يا صاحب الكشكولِ، طالَ لك البقَا

لا يحزُننْك اليوم أنك مُخفِقٌ
ما أنت أوَّلُ ذي رياءٍ أخفَقَا

عقبى الحماقة ما علمت، وإنما
هيهات أن تعظَ الحوادثُ أحمقا

أعيَيْت كلَّ مهذّبٍ ومؤدّبٍ
حتى العصا، وعييت أن تتَخلَّقا

كم ذا تطوَّف في المدائن والقُرى
متبجحاً، مُتَنطعاً، مُتَفيهقا

مُتوعداً كلَّ امرئٍ مُستضعَفٍ
مُتملقاً من يعشق المتملقا

خلَت السنونَ وأنت تستجدي الورى
فمتى أراك على الورى مُتَصدقا؟

جادوك بالموفور حتى أملقُوا
وتلفَّتُوا فرأَوك منهم أملقا

أنفقت مالهمُ كما أنفقتَهُ
اللهُ أعلَمُ كيف باد وأُنفِقَا

لو كان شعراً كنت صاحب لِمّة
أو كان لفظاً كنت أغزر منطقا

بـــــددتَـه وعـــــفـــــوت عن أرواحـــــهمْ

لـــلـه قـــلـــبُك مـــا أرقَّ وأشـــفـــقـــا!

مـــالُ الـــشَّـــحـــاذة لا يــدومُ، وإن يــدُمْ

فـقـدْ اقـتـنـيت بـه سـعـيـراً مُـحْـرِقـا

✡✡✡✡✡

كم ذا تَـشـيـدُ الـبـاخـراتِ وتـبـتـني!

مـهلاً، فـإن الـبـحـر أصـبح ضـيّـقـا

أقـلـقْت حـتَّى «الإنـكـلـيـز»، وطـالمـا

ظـنـوا الـعُـبـاب لـهـم حلالاً مُـطـلَـقـا

هـلاً - وقــد هـيـجْت كـامن حـقـدهمْ -

صـافـيـتَـهم وعـقـدت مـعـهم مـوْثـقـا؟

لا، لا، فـــإن همْ أغــرقــوهـــا كـــلَّـــهـــا

بـقـيتْ لـديك «سـفـيـنـةٌ» لن تَـغـرقـا

أعـني المـدرَّعـةَ المـصـفـحـةَ الـتي

تـخشى الـعواصف حولَـها أن تُـخـفـقـا

هـي طـاسـةٌ سـحـريـةٌ، مُـرْهَـا تـكنْ

في المـاء فُـلْـكـاً، في الـفـضـاء مُـحـلِّـقـا

قـد قـال قـومٌ: مـغـنـطـيسٌ تحـتَـهـا

ويـقـول قـومٌ: إن فـيـهـا زئـبـقـا

كَـذَب الـذين تـقـوّلـوا: يـا سـيـدي

الحقُّ أن بـهـا الجـنـونَ الـمُـطـبِـقـا!

✡✡✡✡✡

جفَّ الـقَـذالُ[1]، وبـات أجـرد عـاريـاً

لـو كـنـت تحـفظ مـاء وجـهك أورقـا

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس (الجمع: أقذلة وقُذُل)..

طـــار الـــســـوادُ عن الـمــفـــارقِ وامّـــحـى

فـــالـــيـــوم أصـــبـح كلُّ رأسـك مـــفْـــرِقـــا

لـــو حـــاولَ الـــبُـــرغـــوثُ يمـــشـي فـــوقَهُ

لم يـــأمن الـــبُـــرغـــوثُ أن « يـــتـــزحْـــلَـــقـــا »

ضـــيَّـــعت عـــمـــرَك في الـمــعـــاصـي كـــلِّه

فـمـــتـى تحنّ إلى الـــفـــضـــيـــلـــة والـــتُّـــقى؟

✲✲✲✲✲

وقْفٌ عـــلـــيك الـــشِّـــعـــرُ حـــتى تَـــرعـــوي

وعـــلـــى الـــضُّلال الحقُّ حـــتى يُـــزهـــقـــا

أنّـى حـــلـــلـــت وجـــدت ثَمَّ شَـــوارداً

تُـــلـــهـــيك إنْ تـــلـــهـــو وإنْ تـــتـــشـــدَّقـــا

ملء الـــشِّـــفـــاه، فـــإن هـــمـــمْت بـــلـــفـــظـــة

نـــطـــقتْ بـــهـــا الأفـــواهُ كي لا تـــنـــطـــقـــا

تـــغـــري بـــقـــلـــبك كلَّ همّ مـــقـــلِقٍ

وتـــذودُ عـــنك الـــنـــوم حـــتى تـــأرقـــا

وتـــكـــونُ إمّـــا ســـرت غـــربـــاً مـــغـــربـــا

وتـــكـــونُ إمـــا ســـرت شـــرقـــاً مـــشـــرقـــا

فـــإذا رآك إلى لـــقـــائـك شـــيّقٌ

أمـــسـى إلى الـــتـــوديعِ مـــنه أشـــوقـــا

لا «مـــرحـــبـــاً» إمّـــا نـــزلت، ولا إذا

أزمـــعـت تـــســـمـع من يـــقـــول: «إلى الـــلـــقـــا»

يـــا ســـاكـــني «كـــنـــدا»، الـــسلام عـــلـــيكمُ

إنّ الـمـــنـــافقَ بـــيـــنـــكم لن يـــنْـــفُـــقـــا

وافَـــاكمُ ذاك الـــغـــرابُ مُـــبـــكّـــراً

فـمـــنـــعـــتـمـــوه بـــيـــنـــكم أن يـــنـــعـــقـــا

لـو لـم تـكـونـوا الأُسْـد أو أشـبـالَـهـا

مـا خـاف أن يـعْـوي ولا أن يـنْـهـقـا

مـا مـرَّ ذكـركمُ عـلـى ذي مـسْـمـعٍ

إلا تـمـلَّـكَهُ الـسُّـرورُ فَـصـفَّـقـا

****

١٠ - ماذا؟

[البسيط]

ما الطَّيرُ ضاقتْ بها الأوكارُ فاضطربتْ
في الأرض باحثةً عن مرتَعٍ خَصبِ
تغالبُ الريح في الأجواء صاعدةً
وتتقي الناس عند الحسْوِ والنَّغَب[١]
حتى إذا هبطتْ في السفح مزدرعاً
فيه الفواكهُ من نخْلٍ ومن عنب[٢]
وأودعتْ زُغْبها الأعشاش، وانطلقتْ
تقتاتُ بالبُسْرِ أحياناً وبالرُّطَب[٣]
ساقَ القضاءُ إليها كل محتَبِلٍ
فلم تجُزْ عطَباً إلا إلى عطَب[٤]
أشقى وأتعسُ حظّاً من مُهاجِرةٍ
في «الغرب» شرقيةِ الأنسابِ والحسب
كأنما البؤسُ خُلْقٌ من خلائقها
فكلّما غالبتْهُ فازَ بالغَلَب
طلْبُ النوائبِ في حَلٍّ ومرتحَلٍ
في دارةِ الأرض أو في دارةِ الشُّهُب
إنْ تركبِ البحر فالسِّمسارُ يرصُدُها

(١) حسْوُ الطائرِ الماء، والنَّغْب مثله. (نغَب - ينغَب - نغْباً)
(٢) المزدرع: موضع الزرع، مثل (المزرعة).
(٣) من مراحل نضج التمر. البسْر والرُّطَب، والتمرُ آخرها

أو تــطـلـبِ الـبِّـرَّ فـالـدلاّلُ في الـطَّـلب

حـامـوا عـلـيـهـا كـمـا حـام الـنـسُّـورُ عـلى

جـرحـي الـلـهـاذِمِ[1] والـهـنـديّـة الـقُـضُبُ

أو كـالـذّبـاب عـلـى صـحـنٍ من الـضـرب

أو كـ «الـيـهـود» عـلـى عـجْلٍ من الـذهب[2]

كـأنـهـا الـشّـاةُ، غـالَ المـوتُ راعـيـهـا

فـكلُّ ضـرْعٍ عـلـيـه كلُّ مُـحـتَـلب

هـنـاك يـسـلُـبـهـا حـكّـامُـهـا، وهـنـا

أهلُ الـكـشـاكـيلِ والأكـيـاسِ والحُـقُب

بـاسمِ المـسـاكـينِ أحـيـانـاً، وآونـةً

بـاسمِ الـهـيـاكلِ والإصلاحِ والأدب

مـوتى الـضـمـائـر، مـوتى كلِّ عـاطـفـة

فـلـيس فـيـهمْ - وكم بـين الـلـصـوص - أبي

إن يُـرهـقُـوهـا، وهم مـنـهـا، فلا عـجبُ

لا يـعـرفُ الـسـوسُ غـيـر الـفـتْك بـالخشب

فـي كلِّ يـومٍ لـهـم في قـتْـلـهـا أَرَبٌ

ومـا لـهـا أربٌ في قـتْلِ ذي أرَب

تَـغـرَّبتْ في سـبـيل المجـد، واغـتـربـوا

طَـمـاعـة بمـجـاني كلِّ مُـغـتـربِ

يـا لـيت من شـاطـروهـا مـالَـهـا حـمـلـوا

شـطـراً من الـظـلم، أو شـطـراً من الـتـعب

✡✡✡✡✡

يـا أمّـةً هـاضـت الأيـامُ جـانـبـهمْ

---

(١) لهْذَمَه: قطعه. واللهذم: السنان القاطع. وقضب: قطع (يعني: السيوف الهنديّة القاطعة).

(٢) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

وطَمّعَ الضَّعفُ فيهمْ كلَّ مُغتَصب

لا تأخذوا بأمانيٍّ مزوَّقة

ما دُرُّ أهل الأماني غيرُ مُخشَلَب[1]

أموالكمْ، أنتمُ أولى الأنامُ بها

فراقبوا اللهَ في مُستحدثِ النَّشَب

هذا السلاحُ الذي يُشرى السلاحُ به

هذا المسمَّى بحقٍ كاشف النُّوب

هذا المنجي من الآفاتِ صاحبَه

إنْ تفقدوهُ فقدتمْ أنفع الصَّحب[2]

لا تحسبُوا أنني بالشُّح آمُركمْ

إن المواطر عندي أفضل السُّحُب

وإنما رَفدُكُمْ من لا خَلاقَ لهمْ

كمُلْبِسِ الخزِّ ذات الظّلف والغبب[3]

جُودُ الكريمِ على من يستخفّ به

مُضيَّعٌ، كالحيا[4] في الموضع الخرِب

ماذا؟ أيَعْجُمُ أهلُ اللؤم عُودَكُمْ

وأنتم النُّجْبُ نسلُ السَّادة النُّجُب؟[5]

وتطربون، وسيفُ الموتِ منصلتٌ؟

وتلعبون، وشرُّ الناسِ ذو اللعب؟

إن كان صوتي لم يبلغْ مسامعكُمْ

فذاكَ من حُسنِ حظِّ البُومِ والخُرب

---

(١) الدرّة الزائفة.

(٢) جمع الصاحب: صحب.

(٣) ذوات الأظلاف: المجترة من الحيوان. والغبب والغبغب: الجلد تحت الحنَك.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) عجَمَ: اختبر وجرب وراز ومافي معناها

٭٭٭٭٭

ثلاثةٌ لا أصابتْ غيرَ أوّلها
أهلُ النِّفاقِ وداءُ السُّلِ والجرب

يقول قائلُهم: مهلاً إلى «رجبٍ»
كأنني سوف أُبقيه إلى «رجب»!

إن يعجبِ الناسُ من فَدْمٍ توعّدني
فإنه عجبٌ أدعى إلى العجب[1]

إن الغريقَ إذا ضاقتْ مذاهبُه
لا يحمدُ البحر ذا التيار والعُبُب[2]

تبَّ النُّحاةُ، وتبَّ المؤمنون بهم
أهلُ السخافاتِ والتَّضليلِ والكَذب[3]

كم جوزّوا من كلامٍ لا جواز له
وأوجبوا من أمورٍ قطُّ لم تجِب

وكم رووا من أحاديثٍ ملفَّقَة
وزوّروا من حكاياتٍ ومن خُطَب

النحوُ والصرفُ والإعرابُ أجمعُها
سفاسفٌ، لم تكن من قبلُ في « العرب»

هذي تعاليمُ كَسلَى ما يُدل بها
إلا فتى «أعجميٌّ» الحلْق والنَّسب

فلا حبا اللهُ نحْوياً برحمته
أولى برحمته منه « أبولهب»

لولا أكاذيبُهمْ ما بات منتصباً

(١) الفَدْم: العييّ عن البيان، الثقيل في الكلام.
(٢) العُبُب: المياه المتدفقة.
(٣) تبَّ: هلك.
(٤) الرماح.

بـين الـعـوالي[٤] الـغـوالي فـارغُ الـقَـصب

«مـا كـنتُ آمَلُ أن يمـتـدَّ بي زمـني»

حـتى يـطـاولَـني قـرْدٌ بلا ذنَب[١]

يـا أجـهلَ الخـلْقِ - حـتى نـاقلِ الـقُربِ -

اِربـأ بـنفسك أن يـهتـاجني غـضبي

أو تَـطـلَـعنَّ عـلـيكمْ كلُّ آكـلـةٍ

تـرعى الـهشيم ولا تُبقي على الـعُشُب

تـنقضُّ مـثلَ نجـوم الـرجْم هـاويـةً

في إثـر كل رجـيمٍ غـيـر ذي أدب

فـمـا تُـغـادرُ قـلبـاً غـيـر مـنخـلعٍ

ولا تُـغـادر حـبلاً غـيـر مـضـطـرب

فـإن جـنَحـتم إلى كـهفٍ لـيـحجُبكمْ

وجـدتمُ المـوت في الأسـتـارِ والحُـجُب

حـتى إذا ظنَّ أن الـسـاعـةَ اقـتـربتْ

جـعـلتُ كل قـريبٍ غـيـر مـقـتـرب

ومـا أنـا بـالـذي يـهـوى الـبـقـاءَ لـكم

لـو أنّ في المـوت مـا في الـعيش من كُرب

****

(١) لأسعد رستم معارضة شعرية للنص بعنوان (فإنه مثله في الذنْب والذنَب) (انظر كتاب جورج سليم ص٢٩٢).

(١) الوعل: تيس الجبل.
(٢) العِلج: الرجل الشديد الغليظ.

١١ - حكاية

[المجتث]

ربّيتُ كلباً صغيراً
وكان ذلك نَذْرا
وقلتُ: يحرسُ داري
إذا أتى اللصُّ سرّا
فكنت آتيه صُبحاً
باللحمِ، والشَّحم عصرا
حتى إذا اجتاز ستاً
من الشهور، وأخرى
وأشبهَ الوعلَ[1] ساقاً
وأشبهَ البغلَ ظَهرا
وصار كالعلْجِ[2] عُنْقاً
وصار كالفيل صدرا
وافَى إلي صحابي
وأنت بالصَّحب أدرى
فأبصروا الكلب عندي
عيناه تقدحُ جمْرا
فقال منهمْ ظريفٌ:
قنوت، والله، مُهرا!

(١) هرّ الكلب: صوّت دون نباح.

بـــــحُـــــــرمـــــــة الـــــود إلا

ســمَّـــيت ذا الـــكــلـب «نــمْــرا»

✲✲✲✲✲

أطَـــعتُ أمــــر صـــديـــقي

وقـــــــد سُــــــــررتُ وسُـــــــرَّا

لــكــنــمــا الــصّــقْــرُ صــقْــرٌ

وإنْ دعـــونـــــاه تـــــبْــــــرا

✲✲✲✲✲

تـــرعــــرعَ الـــكــلـبُ «نــمْــرٌ»

فـــــصـــــار أعـــظـم شـــــرّا

يـــعــوي إذا الـــنــاسُ نــامــوا

فـــيُـــســـمعُ الـــنـــاس نُـــكـــرا

ويـــــنــــبحُ الـــــبـــــدر لـــــيلاً

ويـــنــــبحُ الـــشـــمس ظـــهـــرا

وكـــــلَّـــــمـــــا مـــــر ســـــارٍ

أو هــــبَّتِ الــــريحُ هــــرّا[1]

ويـــتـــبع الـــضَّـــيف حـــتى

إذا اســـتـــقـــرّ اســـتـــقـــرا

ويـــتـــركُ الـــعـــظْمَ مُـــلـــقَى

ويـــســـرِقُ الـــخـــبـــزَ جـــهـــرا

فـــــروّعَ الـــــنشء حـــــتى

مـــا تَـــطـــلب الـــدار ذُعـــرا

ونـــفّـــر الـــطَّـــيـــر حـــتى

مـــا تـــألفُ الـــطَّـــيـــرُ وكـــرا

---

(١) السحت: الحرام.

فـــأقـــبلَ الحيُّ يـــشـــكـــو
فـقـلـتُ: يـا قـومُ، صـبـرا
لـــو كـــنـتُ أكـــسبُ أجـــراً
أو كـــنتُ أُحـــرِزُ فـــخـــرا
خـنـقتُ بـالحـبل «نـمْـرا»
لـكنّ لـلـكـلبِ عُـمـرا

✡✡✡✡

«مـديـنـةُ الـعـلْم» كـانت
لأهـلـه مُـسـتـقـرًّا
فـخـانـهـا الـدهـرُ حـتى
بـنى بـهـا الجـهلُ جُـحـرا

✡✡✡✡

يـا مـنـشئ الـفُـلك، مـهلاً
لا تَـمـخُـرِ الـفُـلْك بـرّا
ويـا كـثـيـر الأمـاني،
شـيـدت في الجـوِّ قَـصْـرا
أضـاقت الأرضُ حـتى
ولّـيت وجـهَك بـحـرا؟
أتـأكلُ المـالَ سُـحْـتـاً[1]
وتـقـتـضي الـشَّـعب أجْـرا؟
أتحـسبُ الـنـاس حـمـقَى؟
يـا أحـمقَ الـنـاسِ طُـرّا
لا تَـلـبسِ الـدِّين ثـوبـاً
عـصـرُ الجـهـالـة مـرّا
ولا تـقـاتلْ بمـكْـرٍ

فـــالـــلـهُ أعـــظـمُ مـــكْـــرا

✡✡✡✡

وأنـت يــــا واو «عـــــمـــــرٍو»

حـــتّـــام تــتـــبعُ «عــمْـــرا؟

ولـــست تجـــلبُ نـــفـــعـــاً

ولـــــست تـــــدفـعُ ضُـــــرّا

إن الـــبــــلـــيـــةَ غـــرٌّ

أمـــسـى يـــنـــاصــر غـــرا

لا تـــعـــذُلِ الـــشِّـــعـــر إمّـــا

جـــنَـى عـــلـــيك الأمَـــرّا

قـــد كـــنـت قـــبـل الـــقـــوافي

أقـلَّ عــــــقـلاً وقـــــــــدرا

✡✡✡✡

مـــا في ضـــلـــوعي حـــقـــدٌ

ولـــــستُ أطــــــلـبُ ثــــأرا

لـــكـــنـــمـــا الحُـــر يــأبى

أن يـــخـــدع الـــنـــذلُ حُـــرّا

وأهـلُ «لـــبـــنـــان» أهـــلي

وكـــــنـتُ بـــــالأهـلِ بـــــرّا

✱✱✱✱

---

(١) نفطويه: من نحويي العرب.

(٢) الداء العضال: الشديد الذي يعيي الأطباء.

(٣) الآل: السراب.

١٢ - أيا عجل اليهود

[الوافر]

تــوعّــدَني مُــقــلِّــدُ «نــفْــطــويه»
كــمــا تــتــوعــدُ الأنــثى الــرجــالا[١]

ويــــعــــلم أنه دوني مــــقــــامــــاً
ولــكن يــنــبحُ الــكــلــبُ الــهلالا

ولــــو أغــــفَى ولاح لــه خَــــيــــالي
لــظنَّ المــوت بــاغــتَه خــيــالا

مــعــاذَ الــلــه يــخــلُقُ غــيــر شيءٍ
فــمنْ هــذا الــذي خــلقَ المُــحــالا؟

ويــــكــــذبُ «آدمٌ» إمــــا ادّعــــاه
فــإن الــنــاس لا تــلــدُ الــبِــغَــالا

أبَــعْــد الــيــومِ أعــجبُ من عــجــيبٍ
ومــقــلــوبُ اسْــمه يــبــغي الــنــضــالا؟

أظن حــــيــــاتَه هــــانتْ عــــلــــيه
وإلا لاتّــــقى الــــداءَ الــــعُــــضــــالا[٢]

وإمّــــا الــــلــهُ شــــاءَ هلاك نــــفسٍ
عــــلى ظــــمــــإ، أراهــــا المــــاءَ آلا[٣]

شَــحــا فــاهُ فــلــمَّــا مــرّ ذكــرى
بــطــرْف لَــهــاته أمــسى سُــعــالا[٤]

وكــــنتُ نــــســــيتُ أهلَ الــــلــــؤمِ حــــتى

---

(١) المذَل والمذال: القلق والضجر (مذِل بالشيء: ضاق به).
(٢) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان (والجمع:جِلال). والسحال: اللجام.

نظرتُ اليوم ألأمَهم خصالا

وما فَكَّرتُ بالغوغَاء حتى

سمعتُ اليوم أسخفَهم مقالا

إذا عُدَّ الأفاضلُ كان صِفْراً

وصفراً يلزم الجنْب الشمالا

فواعجباً، أمات الخَلْقُ حتى

يمارس حرْفةَ الأدبِ الكُسُالى؟

ويا لَهْف البلاغة كيف ذلَّتْ

ولهْف الشعرِ كيف غدا مذالا[1]

ويا لَهْف الصحافة يدَّعيها

حمارٌ طالما لبس الجِلالا

متى فارقت، يا هذا، المَراعي؟

وكيف قطعت، يا هذا، الحبالا؟

أتنهقُ، والغضنْفر قيدُ باعٍ

وتحسبُه وما عاف القتالا؟

فما زالتْ مواضغُه حداداً

وما برحتْ مخالبُه طوالا

بلى، أنت الذي بالأمس شدّتْ

عليك يداي في السَّفر الرحالا

فلستُ بنابغِ الشُّعراء إن لم

أردَّ عليك جُلَّك والسحالا[2]

أما، والله، لو طُلْت «الثُّريَّا»

---

(١) الشسْع: أحد سيور النعل.

(٢) الفوِدان: جانبا الرأس، والقذال: جماع مؤخر الرأس.

(٣) الدحل: حفرة ضيقة من فوق، واسعة من أسفل (الجمع: دِحال ودُحول).

وجاوزت المناكب والقلالا

لمّا أمسيت إلا دون شسْعي
ينالُكَ كيف ملْت وكيف مالا(1)

فإمّا تَستر الفَودينِ عنه
فلست بساترٍ عنه القَذالا(2)

ودعوى الفضلِ لا تُجديك شيئاً
فقد كنت الحقير ولن تَزالا

أيا عجلَ «اليهود»، ولست تبْراً
وإلا كنت أحسن منك حالا

إذا هزَّ العصا «موسى» وأهوى
فليس يقيكَها قَرْنان طالا

أتهربُ من أمامِ الليثِ ذُعْراً
وتَزعُم أنه لزِم الدحالا؟(3)

وتجبُن ثم تدعوه جباناً؟
لقد أضحكت، يا هذا، الثَّكالى

ومن تكن الحماقةُ فيه طبعاً
يكنْ هذا المآل له مآلا

يدافعني «اللئيمُ» بكل غر
فلم أرحمْ، ولا رحم السخَالا

زعانفُ لست أرضاها مطايا
ولا أرضى رؤوسهُمُ نعالا

لقد فرستْ نفوسهُمُ القوافي
وإن الحقّ يفترسُ الضَّلالا

إذا حرُم الهجاءُ على حرامٍ

---

(1) السُلّ والسُّلال: الداء يضني ويقتل.

فـــلــــيس يـــكـــون في شيءٍ حَلالا

ومن يــدري ويُـــغـــضـي عن فــســـادٍ

فـقـد خـان الـفـضـيـلـةَ والـكَـمـالا

لَــتــذرُوَهمْ عـــواصـــفُـــهـــا رِمـــالا

وتَـــنـــســـفَـــهمْ ولـــو صـــاروا جـــبـــالا

وتــرمـــيـــهُمْ أوائـــلُـــهـــا ســـهـــامـــاً

وتـــقـــرعـــهمْ أواخـــرُهـــا نـــصـــالا

وتُـــمـــسي في حـــنـــاجـــرهمْ جِـــراحـــاً

وتَـــمـــشي في دمـــائـــهمُ سُلالا[1]

فـإن سـلـمـوا فـقـد سـلـمـوا لـيـومٍ

تـــوقّـــاهُ الأجـــنّـــةُ والحـــبـــالى

****

(١) الفَسْل: الرديء من كل شيء. والجُعَل: من دواب الأرض، أسود اللون.
(٢) البقاع: أراض من لبنان تجاور الحدود السورية اليوم.
(٣) الباء، لغة، تدخل على الذاهب، على غير مافي البيت.

١٣ - يا نوح

أين دلائل الطوفان؟

[الكامل]

أهلَ الفسادِ وزمرةَ الشَّيطانِ
كم تدَّعونَ محبةَ الأوطانِ!

خلّوا النُّواح على الرُّبوع وأهلها
ما ثَمّ من خطرٍ على «لبنان»

أنّى يضيعُ، وأهلُه أُسْدُ الشَّرى
وله من الدّولاتِ خيرُ ضمانِ

وإذا الضراغمُ لم تَصُن أجماتها
أيصونُها فَسْلٌ من الجُعْلان؟[1]

أمّا «البقاعُ» فلا يُردّ بألسُنٍ
ثرثارةٍ، بل بالنَّجيع القاني[2]

رُدّوا على الشَّعبِ المُهاجر مالَه
لا تُبدلوه حقائقاً بأماني[3]

فالقومُ حاجتُهمْ إلى أموالهمْ
مثلُ احتياجِهِمُ إلى العرْفانِ

تعس الذي رضي الأماني ثروةً
إن الأماني ثروةُ الكسلانِ

☆☆☆☆☆

قلتمْ: نذودُ الضيم عن إخواننا

---

(١) يشير إلى العلَم الأمريكي.
(٢) السلطان العثماني.

إخــوانــكمْ في غِــبْــطــة وأمــان

يــحــمــيــهِمُ عــلَم الــنُّــجــومِ، ولم يــزلْ

عــلَمُ الــكــواكبِ مُــكْــرم الــضــيــفَــان[1]

همْ بــين أهــلــيه وفي أكْــنــافــهمْ

وكــأنــهم في الأهل والإخــوان

وزعــمــتمُ بــالــنــازحــينَ غــرامُــكمْ

وغــرامُــكمْ بــالأصــفَــرِ الــرنّــان

لــو صحَّ زَعــمــكمُ وكــنــتمْ قــوةً

لــوقَــيْــتُــموهمْ سطوة «الــعــبْــدان»

جــارُوا عــلــيــهم، لم يــبــالــوا زاجــراً

جور الــقــوي عــلى الــضــعــيف الــعــاني

لــهــفِي عــلــيــهمْ، كــيف رُوِّعَ ســربُــهم

وتــبــدّلــوا من عــزّهم بــهــوان

ولــقــد أتــتــكمْ صــرخــةُ اســتــنــجــادهمْ

فــكــأنــهــا مــرَّت عــلى حــيــطــان

بــاتــوا يُــســامُــون الــعــذاب، وبــتُّمُ

تَــدعــون بــالإعــزازِ لــلــسُّــلــطــان[2]

نــمــتمْ فــخــلْــتمْ كلَّ طَــرْفٍ نــائــمــاً

مــا أجــهلَ الــوســنــان بــالــيــقــظــان!

رُفــع الــســتــارُ، وبــانَ كلُ مُــكــتَّمٍ

أتــقــاتــلــونَ الحقَّ بــالــبُــهــتــان؟

لا غــرو إمــا ســبَّــني سُــفــهــاؤكم

---

(١) يقصد: يعوق (العتق. خلاف الرق).

(٢) قلاه: أبغضه. والسَّنا: الضوء.

(٣) اللوى: منقطَع الرمل وادٍ بعينه أكثر الشعراء القدامى من ذكره في مواطن الشجن. والعُقاب: من الجوارح (جمعه: عُقبان).

(٤) الهِميان: منطقة تشد على الوسط وتجعل فيها النفقة.

إن الجـــريح يـــسُبُّ كلَّ سِـــنــان

ذمَّ الخـــفـــافــيشُ الـــضـيـــاءَ لأنه

يـــعـــتـــاقُ أقـــواهـــا عن الـــطَّـيـــران[1]

ومن الـــعـجـــائب أنـــهـــا تـــقـــلـي الـــسَّـنـــا

وتـــظلُّ حـــائـــمـــةً عـــلـى الـــنِّـــيـــران[2]

خُـــلـقَ الـــورى، ولـــكل نـــفسٍ غـــايـــةٌ

وخُـــلـــقـــتُم لـــلـــهـــذر والـــهـــذَيـــان

أنّى نجـــاتُك، يـــا عـــصـــافـــيـــر الـــلِّـــوى

ولـــقـــد أتـــاك كـــاســـرُ الـــعُـــقْـــبـــان؟[3]

✡✡✡✡✡

قُلْ لـــلـــذي ملأَ الـــيـــبـــاب ســفـــائـــنـــاً:

يـــا نـــوحُ! أين دلائلُ الـــطُّـــوفـــان؟

من ذا يـــســـيـــرُ بـــهـــا إلـى غـــايـــاتـــهـــا؟

بل كـــيف تـــحـــمـــيـــهـــا من الـــقُـــرصـــان؟

الآن أيـــقَـــنـــتِ الـــبـــريّـــةُ أنـــهـــا

- وإن ارتـــقـــتْ - فـــرعٌ من الـــسَّـــعْـــدان

لا تـــعـــذِلِ الـــصـــبـــيـــانَ في سُـــخْـــفٍ، فـــقـــد

تـــحـــوي الـــكـــهـــولُ ســـخـــافـــةَ الـــصـــبـــيـــان

يـــضـــعُ الـــمـــســـلِّـــمُ كـــفَّـــهُ في كـــفِّـــه

وتـــظلُّ عـــيـــنـــاه عـــلـى الـــهِـــمْـــيـــان[4]

والـــلـــه، لـــولا أنه فـــي مـــثْـــلـــه

---

(١) الكشكول: (كلمة فارسية) الحقيبة التي تحوي كل شيء، وتعلّق بالكتف.

(٢) السرطان: من حشرات الماء.

(٣) الدجْن: امتلاء السماء بالغيوم.

(٤) الغول: كل ما اغتال الإنسان، والجمع (غيلان).

(٥) سجَر التنور: أوقده وأحماه فلعله أراده.

أوَ مـــا تـــراه حـــاملاً كَـــشــكـــولَه
مـــا كـــان إلا ســـائقَ الأظـــعـــان

خَـبـلـتْه شـاردةُ الـقـوافي فـانـثَـنَى
مـتـنـقلاً من مـوضعٍ لمـكـان؟[1]

مُـتَـخـبِّطٌ والـشـمسُ في كـبـد الـسَّـمـا
لـلـذعـر يـمـشي مـشْـيـةَ الـسَّـرطان[2]

أَمـسـى يُـسـمي الـنـائـبـاتِ قـصـائـداً
فـكـأنه في حـالـك الأَدْجـان[3]

فـإذا تُـطـيفُ به اقـشَـعـرّ فـؤادُه
وفـتى الـقـصـائـد طـارقَ الـحـدْثـان

ويـظـنُّـهـا في أكـلِـه وشـرابه
خـوف الـصَّـغـيـرِ طـوائف الـغـيلان[4]

يـا قـومُ! أخـشى أن يـضـيع رسـولُـكمْ
وتـخـالُـهـا الأجـفـانُ في الأجـفـان

إن كـان في أكـبـادكُمْ من رحـمـة
من «عـنـزةٍ»، قـد ضـاع قـبلُ اثـنـان!

فـتـداركُـوه بـالـرسـول الـثـاني

✡✡✡✡✡

مـا بـالُ مـصـفـوعِ المـفَـارقِ والـقـفـا
يـهـذي، كَـمنْ قـد بـات في سـجـران[5]

لا تحـسـُـدا، يـا أخـدعـيْه، قَـذالَه

---

(١) العَيْر: الحمار الوحشي والأهلي.
(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(٣) الأبيات الستة التي تنتهي بهذا البيت كان الشاعر استلّها من النص بعنوان آخر (العَيْر المتنكر) وصدرت في ديوانه الثالث (الجداول) (النص ٧).
(٤) الشِسع: أحد سيور النعل.

عــنـدي لــكلٍ مــنــكــمــا نَــعْلان[٦]

بل مــا لمقــلــوبِ اسْـمه يُـخـفِي اسْـمَه

والحُــسْنُ لا يـــخـــشى من الإعلان

إن الـتَّـحـجُّب لـو يـكـون فـضـيـلـةً

لم يـبْـد من خـدْريـهِـمـا الـقـمـران

وإذا هـتـكت الـسـتـر عن مُـتَـكَـتِّمٍ

لم تـلـقَ إلا خـائـفـاً أو جـاني

زعـم المـؤدِّبُ أن عـيْـراً سـاءَه

ألاّ يُـسـار به إلى المَـيْـدان[١]

فـمـضى فـقـصرتِ الـقـواطعُ ذيـلَهُ

وسـطتْ مـواضـيـهـا عـلى الآذان

حـتى إذا جـاء المُـرَوِّضُ واعـتـلى

مـتْـنـيه راب الـفـارس الـكَـشْـحان[٢]

لـكـنه مـا زال غـيـر مُـصـدِّقٍ

حـتى علا صـوتٌ كـصـوت الجـان

فـاسـتلَّ صـارمَهُ فـطـاح بـرأسه

ورمى بـجـثَّـتـه إلى الـغـربـان

مـادام يـصـحَبُ كلَّ حيٍّ صـوتُه

فـالـعـيْـرُ لا يُـخـفـيه جِـلْـدُ حـصـان[٣]

إن تـسـتـترْ هـيـهـات تَـسـتُـرُ مـفْـرِقـاً

آثـار شـسْـعي فـيه كـالـعُـنـوان[٤]

يـا أيـهـا الـغـرُّ الـذي من أجـلـه

---

(١) الأخمص. باطن القدم وخصره.

لـــــعن الـــــقـــــريض مـــــؤلّفُ الأوزان

مــا أنت بــالغُ مـــا وطــأتُ بــأخـــمــصي

حـــتى تـــنـــالَ الـــفَـــرقَـــدين يـــدان[1]

****

(١) السفير العثماني في واشنطن.
(٢) الموماة: المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.
(٣) يقصد ما طلع به رستم بك على الناس (الطلْعة).
(٤) السائمة: الإبل الراعية (سامت - تسوم: رعت)

١٤ - توديع رستم بك(١)

[الخفيف]

زُلت عـنّـا، فـلم نُـبَل، مـثـلـمـا زا
لَ، مع الـلـيـلِ، طـارقُ الأحلامِ

مـا كـرهت المُـقـام فـيـنـا، ولـكنْ
يـأنفُ الـذئبُ غـيـر سُـكـنى الـموامي(٢)

كـنت ضـيـفـاً فـلم يـزلْ بك سـوءُ الـطْ
ـطَـلعِ(٣) حـتى خـسـرت عـطف الـكـرام

خُـلُقُ الـسُّـوءِ في الـفـتى لـيس يُـخْـ
ـفـيه جـمـالُ الـرداء والـهِـنْـدام

وإذا الـمـرءُ كـان غـيـر كـريمٍ
فَـضـحـتْه مـظـاهـرُ الإكـرام

لـقـنـتْك «الإسلام» عـصـبـةُ شـرٍ
لـيـتـهـا لـقـنـتْك عـلْمَ الـكلام

جـئت تـنـفي الإجـرام عـنـهمْ، فـأجرمْـ
ـت إلى الـصـدق أيَّـمـا إجـرام

كـيف أنـكـرت ذبْـحـهمْ أُمَّـةَ «الأرْ
منِ»، ذبحُ الجـزّارِ بـعض الـسَّـوَام(٤)

---

(١) الكأس الدهاق: المترعة الممتلئة (دهق الماء: أفرغه بشدة).

(٢) الداهية، والأمر الفظيع.

(٣) الغادية: السحابة، وجمعها: الغوادي.

(٤) طما الماءُ طُمياً، فهو طام. إذا ارتفع وملأ النهر

(٥) أرض فروق. استانبول.

ودمُ الأبـــريـــاء مـــا جفّ، لا جـــفْـ

ــفَتْ عــلــيــهم مــدامعُ الأيــتــام؟

ســلَــبــوا الــطــفلَ أمَّهُ وأبــاهُ

ورمــوهُ في الــنــار ذات الــضــرام

أحــرَقُــوا الــدُّور، روّعُــوا ســاكــنــيــهــا

وأتَــوْا كلَّ مُــنــكَــرٍ وحــرَام

جــرّعــوهمْ كــأس الحِــمــامِ دهــاقــاً

واسْــتــســاغــوا دمــاءَهم كــالــمُــدَام[١]

مــا أثــاروا حــربــاً، ولا ارتــكــبــوا إدْ

دَاً[٢] ولم يــبــسُــطــوا يــداً لــحُــســام

ولــئن صحَّ أنــهم أحــدثــوا إثْـ

ــمــاً أتُــنْــفى الآثــامُ بــالآثــام؟

زلّــةٌ لــو وُقــيــتَــهــا، لم تُــحــقَّــرْ

من كــبــارِ الــنــفــوسِ والأحلام

فَــتَــحــمَّلْ، لا شــيّــعــتْك الــغــوادي

لا، ولا عــدْت نــحــونــا بــسلام[٣]

هــكــذا يــقــذف الــنّــواةَ فمُ الآ

كلِ، والجــيــفــةَ الخــضــمُّ الــطَّــامي[٤]

وإذا مــا بــلَــغْت أرض « فَــروقٍ»

مــرتــعِ الــظُّــلمِ، مــربعِ الــظُّلاّم[٥]

حــيث يــقــضي الحــيــاةَ فــيــهــا «ضــيــاءُ»

بــين عُــودٍ وقَــيــنــة وغلام[٦]

حــيث يــشــقَى الحُــرُّ الأبيُّ، ولا يــنْـ

عَــمُ إلا زعــانــفُ الأقــوام

قُلْ لمن أرّقوا العِباد وناموا:

إنّنا ساهرونَ غيرُ نيام

نحن لا نمقُتُ الحكومةَ، لكن

نَمْقُتُ المستَبِدَّ بالأحكام

إنَّ دين «الإسلام» يبرأُ منكمْ

أيها العابثون بـ «الإسلام»

قدْ سلَبتمْ مالَ الرّعايا وكدتمْ

تسلُبونَ العيونَ طَيْفَ المنام

كُشف الخيرُ عنكمُ، فإذا أنْـ

ـتُمْ لصوصٌ في صورةِ الحكّام

****

(١) المجلة التي كان يصدرها عبد المسيح حداد، وأصبحت تنطق بلسان الرابطة القلمية.

(٢) الشَّنَب: برودة وعذوبة في الأسنان.

(٣) الحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

١٥ - إلى شاعر «السائح»[1]

[المتدارك]

بـــالــقَــدِّ الأهــيَف، بـــالــنَّــهــد
بـــالــثــغــر الأشــنَبِ[2]، بـــالخــد
بـــالــمــفــرقِ، بـــالــشَّــعــرِ الجــعْــد
بــعــيــونِ الحُــور[3] الــسَّــحَّـــارهْ

مـــا شــدْو الــقَــيْــنــة في الــسَّــحــرِ
وهُــتــاف الــطــيــرِ عــلــى الــشَّــجــرِ
في الــفــجــرِ، ورَنَّـــاتُ الــوتَــرِ
أحـــلـى من صـــوت الــنَّــقَّـــارهْ

ذو الــبــلــوى يــعــشقُ ذا الــبــلــوى
فـــانــشُــدْ، فــغــنــاؤك لي ســلْــوى
لــو يــعــطي الــشــاعــرُ مــا يــهــوى
لــتــمــنَّى تُــنــشِــدُ أشــعــارهْ

أفــــديك بــــروحي، يـــا صـــاحِ،
وبــــكلِّ هــــزارٍ صـــــدّاحِ
فـلأنـت حـــــيـــــاةُ الأرواحِ
فـــاشــدُدْ لــلــمــزْهَـــر أوتـــارهْ

ضـع كـــفّك، يـــا ذا، فـي كـــفّي

فــــكلانـــــا يـــــبـــــحثُ عن إلْف

حـــــلـــــوِ الأخلاقِ، أخي لــــطْفٍ

مــــــا بــــــدّل شيءٌ أطـــــوارهْ

كم تـــشـــكـــو هـــمَّك لــلـــنـــاس

وبلاؤك مـــــنـــــهمْ، يـــــا نــــــاسِ

كن قــاسي الــقــلبِ عــلى الــقـــاسي

فـــالحـــازمُ يُـــخـــفي أســـرارَهْ

صُنْ دمــعكَ عــنــهم في الــطَّــرف

لا تُــغــزَى الــقــوةُ بــالــضــعف

مــــا تــــرجــــو، يــــا ربَّ الــــدُّف،

من شـــــعبٍ يـــــكـــــرَهُ أحـــــراره؟

قــد شــئت وشــئت به الــيُــســرا

وأراد الـــلـــهُ بـه الـــعُـــسْـــرا

فــعــلــيه أن يــجــني الــوِزْرا

وعــلــيــنـــا أن نَــجــني عــارهْ

يــا مــلَــكـاً بــين شــيــاطــين

صـــرّحْ بـــالحقِّ المـــكـــنــــونِ

لا تـــرهب لَـــوْمـــة مـــأْفـــونِ

ثــــرثـــارٍ يـــخـــدُم ثـــرثـــارهْ

قـــد آن بـــأن يـــبـــدو الـــنـــورُ

ويبينُ الحقُّ المستورُ
فليخرسْ ذاك المأجورُ
من قَبلِ نُمزِّقَ أستارهْ

ما شاء اللهُ فقد كانا
لا تبغي الملّةُ شيطانا
الملّةُ تطلب مطرانا
لا يؤذي الجار ولا الجارهْ

مطراناً تعرفُه الأمّةْ
مطراناً يُخلصُ في الخدمَةْ
مطراناً لم يحصرْ همّهْ
في جمع الدرهمِ والبارهْ

مطراناً تُغمضُ عيناهُ
إلا عن خدمة مولاهُ
يعصي الضّلّيل ودنياه
ويحب العلْمَ وأنصاره

يا شعباً بات بلا أملٍ
إنْ ضاقَ عليك الأمرُ سَلِ
كم ذئبٍ في ثوب الحملِ
قد سنّ لقتلك أظفارهْ!

(١) الصنارة: رأس المغزل (في الأصل).

فـــارغَبْ بـــالــصـــبــرِ عن الـــيـــاسِ
واحـــذر نَـــزعـــاتِ الخـــنّـــاس

ووســـــاوس أهـلِ الــــوســــواسِ
فـــوراء الـــطُّـــعم الـــصـّــنّـــارهْ[1]

****

(١) الجُعَل: دويبة سوداء.

(٢) الغسَق: أول ظلمة الليل.

١٦ - انقر يا دف على الطارة

[المتدارك]

بـــالحقِّ، بـــأحـــرارِ الـــبــــلـــد
مـــا دام يـــراعـي طـــوع يـــدي
وفـــؤادي يـــخـــفُقُ في جـــســـدي
لا أنـــــصـــــرُ إلا أنـــــصـــــارهْ

يـــا قـــومي، قـــد طـــفح الـــكـــيلُ
وتـــعـــالَى لـــلـــقـــمم الـــســـيلُ
وتـــنـــكّـــر لـــلـــصـــبح الـــلـــيلُ
واســـتـــأســـد جُـــعلانٌ[1] الحـــارهْ

فَـــدعـــوا « أيـــار» وأطـــيـــارَهْ
والخـــمـــر وربَّ الخَـــمـــارهْ
ولـــيـــنـــفخْ كلُ مـــزمـــارهْ
لـــنـــشُنَّ عـــلى الجـــهلِ الـــغـــارهْ

ونـــقـــاتلَ بـــالـــصـــبح الـــغَـــســـقَـــا[2]
ونـــســـدَّ عـــلى الـــشـــرِّ الـــطُـــرُقَـــا
ونـــضـــايـــقَهُ كي يـــخـــتَـــنـــقَـــا

---

(١) الشُفر: واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان تنبت عليها الهدب.
(٢) الجبل.
(٣) نهر في أمريكا

وتَفُكُّ يداهُ أزرارهْ

ما أثقلَ ذيّاكَ الضَّيْفَا
أرأيتمْ «كانوناً» صيفا؟
لا حلَّ على طَرْفي طَيْفا
أخشى أن يسلُب أشْفاره[1]

إنْ مر على حُسْنٍ شانَهْ
أو طَوْدٍ[2] زعزعَ أركانهْ
أو قصرٍ روّعَ سكانهْ
أو روضٍ أذبلَ أزهارهْ

لو تدري الأرضُ به انقلبتْ
أو تدري الشمسُ به احتجبتْ
ومياه «الهُدسُن»[3] لاضطربتْ
والليل لَساقَطَ أقمارَهْ

تمساحٌ يخطُر في حُلّةْ
شَرٌّ في القلب من العلّةْ
ظِلُّ الطّاعونِ ولا ظِلَّه
لا جاور إلا سُمْسارهْ

يا هذا، أولى بك السَّفرُ

---

(١) المِرقَم: القلم. وانصلت القلم: مضى وسبق.
(٢) الدمنة: آثار الناس وما سوّدوا والجمع: دِمن.

فــي لـــــيلٍ لـــــيس بـه قـــــمـــــرُ
أو فـــاســكتْ يــحــمــدْكَ الــبــشــرُ
وتُــــصـــــالحْ جـــارتَـــهـــا الجـــارهْ

صـــمــتـــاً، أو يــنــطقُ من ســكــتــا
فَـــوحقّ الـــشّـــعــــر إذا رمـــتـــا
كَــفــاهُ، ومـــرْقـــمُهُ انــصــلَــتــا[1]
هـــيـــهـــات يُـــفـــيـــدُك ثـــرثـــارهْ

يـــا حـــاملَ مـــكـــروبِ الـــفـــتَنِ
قـــد طـــال وقـــوفُكَ فـي الـــدمنِ[2]
لا تُـــــلـــقِ الأمـــــةَ فـي المــــحـن
يـــكـــفـــيك الـــشـــاعـــرُ إنـــذارهْ

****

(١) عبدالمسيح حداد صاحب مجلة (السائح)، وزميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) وكان من المقرّبين إليه قبل أن تسوء العلاقة بينهما
(٢) طالب رِفْد.
(٣) لعلها: «العضب» وهو السيف القاطع.

١٧ - وقائلة

[الوافر]

أيا «عبد المسيحِ»(١) عليك مني
سلامٌ كلّما ذُكر المسيحُ

حببْتُكَ لا لأنك ربّ وفرٍ
تجودُ به، ولا أنا مُسْتميح(٢)

ولا أنا من يسيرُ به هواهُ
ويخفُقُ كلّما هزّتْهُ ريح

ولكنْ شَاقني الأدبُ المصفّى
وتيَّمني بك الصدقُ الصَّريح

وأنك والوفاءُ على اتصالٍ
وبينك والرياء مدى فسيح

ومنْ عجبٍ، ولم أصحبْك عمري
أحسُّ كأننا جسدٌ وروح

لك القلمُ الذي ما اهتزّ إلا
تهيّب سطوَهُ القصبُ الصَّفيح(٣)

لئن أمسيت من قومٍ بغيضاً
فمكروهٌ من الجربى الصحيحُ

وإنَّ الشمس، وهي أحبُّ شيءٍ
يذمُّ ضياءَها الجفنُ القَريح

وهذا الملحُ يدخلُ كلَّ جوفٍ
ويخشى مسَّه العضوُ الجريحُ

وكَمْ في الناسِ من مُثْرٍ كبيرٍ

ولكن ليس كالسَّمحِ الشحيحُ

وقائلةٍ: أعاد غرابُ نوحٍ؟

نعم، عاد الغرابُ، فأين نوحُ؟

غرابٌ ريشُهُ سرقٌ وخزٌّ

وصوتُ الناعقاتِ به فحيح

ينوحُ على الصّروحِ وساكنيها

وما ماتوا، ولا خلَت الصُّروح

ولكنْ في الغُرابِ النَّوحُ طبعٌ

وأيُّ غرابِ سُوءٍ لا ينوح؟

قبيحٌ أن يذُمَ الحُسن فينا

قبيحٌ كلُ ما فيه قبيحُ

وأقبح أن يظلَ اليوم حيّاً

ويحوي البلبلَ الغرِد الضَّريحُ

دخيلٌ لو حواه الخُلدُ أمسى

جحيماً ليس فيه مُستريح

أتى، لم يدْعُهُ أحدٌ إلينا

أيا هذا الثقيل، متى تروح؟

قد اشتاقَ الذين نزحت عنهم

وملَّ مُقامَك القومُ النُّزوح

أهُمُّ بأن أحدّثُ عنه قومي

ويُمسكُني الإباءُ فلا أبوح

فأقنعُ بالأشائر، وهي نزْرٌ

لأن القوم أكثرُهمْ فَصيح

وإنَّ وراءَها ووراءَ صمتي

سهاماً لا تُميتُ ولا تُريح

وصيحاتٍ تزعزعُ كل طَودٍ

وتُنكرُ بعدها الضيف المُسوح

****

(١) عمد: جمع العمود.

(٢) قوم حِلّة: حلوا في مكان ونزلوا فيه (المحلّة).

(٣) الرذْل من الرجال.

١٨ - يا قومي!

[المتدارك]

إنَّ المُعتزَّ بأموالهْ
مثلُ المعتزِّ بأخوالهْ
فخرُ الإنسان بأعمالهْ
لا بالدينار ولا البارهْ

ما هذي القصَّةُ، يا عمدُ؟[1]
أرجالٌ يرأسهم ولدُ؟
لم ينظرْ قبلكمُ أحدُ
أُسْداً تتصيدها فاره!

وجبالاً تسحبها نملَهْ
وبِحاراً تُخزن في سلّهْ
مثلاً أصبحتم في الحلّةْ[2]
يتناقلُه أهلُ الحارهْ

أيهاجمُ كاهنَكمْ نَذْلُ؟
ويسُبُّ أديبكمُ فَسْلُ؟[3]
أجمودٌ فيكمْ أم جهلُ؟
أمْ تلك النفسُ الأمّارةْ؟

---

(١) التب: الهلاك والخسران (تبت يداه).

يا قومي، دعوةُ لا واه
يوم الهيجاء ولاَ لاه
بالخَالقِ، بل بابنِ الله
لا تؤذوا اللهَ وأنصارهْ

تَبَّ[1] الشيطانُ وتُبّاعُهْ
والشرُّ ونفسٌ تبتاعُهْ
شجرٌ ملعونٌ زُرّاعهْ
من منكم يعشقُ أثماره

بل غَرْسٌ يأكلُ غارسهُ
ولباسٌ يجرح لابسهُ
ولهيب يحرِق قابسَهُ
ومزارٌ يهتكُ زُوّارهْ

إن تغسلْ بالوحل الثوبا
يزدَدْ إثماً، تزدَدْ عيبا
إنْ تَخضبْ بالليل الشَّيبا
لا تُخْفِ الليلَ وأقمارهْ

من يطلبْ من غرٍ نصرا
كالمطفئ بالزيت الجمرا
من يحضُنْ، يا قومي، الهِرّا
لا يجْني إلا أقذارهْ

(١) سماء مدرار: تدر بالمطر.
(٢) المناطق الآهلة بالناس.

يـــا قـــومي، خـــلـــوا الأغـــراضـــا
يـــا قـــومي، صُـــونـــوا الأعـــراضـــا
وتـــوقَّـــوا ذاك الـــعـــضّـــاضـــا
من قـــبلِ يُـــحـــمـــلَـــكُمْ عـــارهْ

أوَ مـــا فـــيـــكمْ ذو إحـــســـاسِ
يـــنـــهـــاهُ عن شـــتْمِ الـــنـــاسِ؟
أنـــســـيـــتمُ عـــامَ الإفلاسِ؟
فـــنـــقُّص عـــلـــيـــكم أخـــبـــاره

ونـــقـــيمُ المـــيِّت من لحـــدهْ
ونـــسلُّ الـــصـــارم من غـــمـــدهْ
إن عـــاد الـــبـــحـــرُ إلى مـــدّه
لا يمـــســـكْ شـــيءُ تـــيّـــارَهْ

ونـــســـيِّـــرهـــا صـــحـــفـــاً صُـــحُـــفـــا
تحـــكـــي المـــدرار[1] إذا وَكَـــفـــا
إن نـــرْمِ الـــطَّـــود بـــهـــا رجـــفَـــا
أو حـــصـــنًـــا دكّتْ أســـوارَهْ

فـــتـــزور المـــنـــزلَ والـــقـــصـــرا
وتَـــرُودُ الآهـلَ[2] والـــقـــفْـــرا
ويـــطـــالـــعُـــهـــا ســـطـــراً ســـطـــرا
من لـــيـــس يُـــطـــالـعُ أســـطـــارهْ

ويـــرددهـــا أهـلُ الأدبِ

ويغنّيها أهلُ الطربِ
وتدارُ بها بنتُ العنبِ
ويحيّي الجارُ بها جارهْ

عندي أسرارٌ لو تُنشرْ
لتَمنّى صاحبكم يُقْبرْ
كحديثِ الفسطانِ الأحمرْ!!
فليحذرْ ذاك الدوّارهْ

ما دامتْ دارُك من خَشبٍ
لا تقذفْ غيرَك باللهبِ
إن هجت الليثَ بلا سببٍ
لم يأمنْ جسمُك أظفارهْ

****

(١) الفَدْم: العييّ الثقيل.
(٢) المِقْول: اللسان.

١٩ - يا هذا!

[المتدارك]

خُذْها أبياتاً مشهورةْ
كصُراخِ النفسِ المقهورهْ
ودموعِ البكرِ المذعورهْ
قد حمّلها الجاني عارهْ

يا هذا الضاربُ في الأرضِ
في غيرِ مُفيدٍ أو فرْضِ
كم يُغضِي الشعبُ ولا تُغضي
إلا لتحارب أحرارهْ

أيُفرَّقُ مالُ الإحسانِ
ما بين فلانٍ وفلانٍ؟
من فَدْمٍ ميْتِ الوِجدان
أو غرٍّ يجهل مقداره[١]

أو أحمقَ من ذي الخُفَّيْنِ
شريرِ المِقْوَلِ[٢] والعينِ
لا يعرفُ إلا شخصين:
دلاّلَ الشر وسمساره

---

(١) يبدو أن القصيدة تدور حول مشروع مريب يقوم على جمع أموال الإحسان، وصرفها في إحياء أرض قفراء،

إنْ تُقْبِلْ هزَّ شواربَهُ
أو تدبرْ هزَّ حواجبَهُ
وأدار عليك عقاربَهُ
وأهانَ اللهَ ومختارَهْ

أدماءُ قلوبِ العمّالِ
ما بين نساءٍ ورجال
تُعطَى لغبيٍّ بطّالٍ
ما فارقَ باب الخمّارَهْ؟[1]

عجبٌ، بل أعجبُ من عجبِ
أن يحمل شيخٌ عقلَ صبي
وجهولٌ يفخرُ بالذهب
فَخْر الأعمى بالنظّاره

ما هذا شأنُ الزهّاد
ما هذا شأنُ العُبَّاد
أضحكت الرائح والغادي
والجار وأبناء الجاره

لله، فؤادُك ما أقسا
نَنساك وتأبى أن نَنسى
أُرْدُدْ للأرملة الفَلْسا
واترك للعاملِ دينارَهْ

فالشعبُ أحقٌّ بأموالهْ

من ذاك الفَقْرِ ومن آلهْ
ومن السلطان وعمّاله
وذئابِ «التُّرك» الغدّارهْ

أولى بالمال المجموعِ
عندي من ذاك «المشروعِ»
شعبٌ في الشرقِ، من الجوعِ
قد أوشك يأكلُ أطْمارهْ

يا قومي، أرواحُ البشَرِ
أولى بالعطف من الحجرِ
فسلوا الطوّاف، أخا السفرِ
أن يرفع عنكمْ أوزارهْ

يكفيكم بذلُ الآلاف
يكفيكم حمْلُ الأضياف
من كل بغيضٍ أو جاف
لا يعرف محتاجُ داره

ذاك المعدومُ إذا وجُدا
لا يحيا الشعبُ إذا فُقدا
أنبيعُ الوالد والولَدا

(١) البيت من قصيدة لابن زُريق البغدادي (من أصحاب الواحدة) ت ٤٢٠ هـ.
(٢) أرض هيعة: واسعة ومبسوطة
(٣) المِقْوَل: اللسان.
(٤) الرَبْع. الدار، وجمعها: ربوع وأربع.
(٥) أضالعه الأولى أي بما يخفي صدرُه. (أضالعُه الثانية) تضلّع من الطعام: ملأ أضلاعه به، وهو ما يعنيه في هذه الفقرة: ما يأكل مما أخذ من الناس.
(٦) حبالة القانص: أداة قنصه. والعافي: طالب المعروف، وجمعه: العفاة.

كي نُحيي القفر وأشجارهْ؟

****

٢٠ - ماذا تقول؟

[البسيط]

« كأنما هو في حَلٍّ ومُرتحَلٍ
موكّلٌ بفضاء الله يذرعُهُ»(١)

تخالُه في فجاجِ الأرض مضطرباً
في قبضة الريح تَلويه وتدفعُه

كأنه الزئبقُ الرَّجراجُ منفلتٌ
أو مهْيَعُ الزئبقِ الرجراجُ مهْيعُه(٢)

فما يمُر بشخصٍ لا يسائلُه
ولا يمرُّ ببابٍ ليس يقرعُه

ولا يحركُ غيرُ المال مقْولَه
ولا يحركُ إلا الشرَّ إصبعُه(٣)

لا يسألُ الناس عذراً عن لَجاجته
كأن أربُع هذا الخلْق أربُعُه(٤)

ليس البلاءُ بما يُخفي أضالعَه
لكنه في الذي تُخفِي أضالعُه(٥)

---

(١) أقضّ المضجع: خشن ونبا (الفعل يتعدى ويلزم).
(٢) القطاة: طائر كالحمام. وجمعه القطا
(٣) الداحية: الأرض المبسوطة.

لو يقنُص البدر أمسى في حبالته
لكن حماهُ من العافي ترفّعُه[٦]
إني لأغبِطُ شخصاً ليس يعرِفُه
ولا أهنّئ إلا من يُودّعُهُ

✡✡✡✡

يا جامع المالِ آلافاً مؤلّفةً
لمن - ولا وارثٌ للمال - تجمعُه؟
هل أنت طابخُهُ يوماً فآكلُه؟
أم أنت جاعلُه في الماء تجرعُه؟
أُردُدْ على العامل المسكين فضّتَهُ
فقد أقض على المسكين مضجعُه[١]
لا ينفعُ المرءُ ما جادتْ به يدُه
حتى يكون لمحتاجٍ تبرعُه
أليس في الأرض غيرُ القفر تعشقُه؟
وغيرُ صوت القَطا[٢] في القفر تسمعُه؟
أما ترى الشيخ كاد الحزن يقتلُه؟
أما ترى الطفلُ كاد الجوُ يصرعُه؟
حتّام تُمسك شيئاً لست صاحبَه
وصاحبُ الشيء ما ينفكُّ يتبعه؟
أَولى بما بذل الجائُون أهلُهمُ
فكم تضنّ بما جادوا وتمنعُه
ما البِرُ أن تبتني داراً بداحية
لا يُبصرُ المرءُ فيها من يشيّعه[٣]
وإنما هو إطعامُ لذي سغَبٍ
الماءُ حلْوٌ على العطشان موقعُه

فجُدْ عليه بما جُدْنا عليك بِهِ
يجزيك خيراً ويرضى عنك مبدعُه

لا تجعل المالَ فوق الدِّين مرتبةً
للمال موضعُهُ، والدينِ موضعُه

أودعْت ما أُودع المملوكُ في يده
فكن أميناً على ما أنت مُودعه

دعِ التَّصنّع فيما أنت قائلُه
فربما فضح الجاني تصنّعه

إن كان غرّك ثوبٌ أنت لابسُهُ
فانظر إليك مليّاً حين تخلعُه

لا تنصُرِ البغي إن الله يكرهُه
جهنّمُ مرْتع الباغي ومضجعُه

ماذا تقول إذا جئت الإله غداً
وخبَّر الناس عما كنت تصنعُه؟

****

(١) اختار جورج صيدح من هذا النص المقطعين الأخيرين في (تبر وتراب)، بعد أن أغفل الأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأخير، ووضع لهما عنواناً غير عنوان هذا النص (إليك عني). انظر النص رقم ٢٨ في (تبر وتراب). ولم نغفل المقطعين هنا حتى تكتمل صورة النص كما أرادها أبو ماضي، وينتظم السياق فيه.
(٢) النميقة: الكتاب (نمق الكتاب: يَنمُقه: كتبه وحسّنه وجوّده).
(٣) نار إبراهيم الخليل (عليه السلام) التي هي برْد وسلام.
(٤) سقر: جهنم.
(٥) دياركم. (الربْع: الدار).

(١) إشارة إلى المثل المعروف: أصبح أثراً بعد عين.

٢١ - إلى شكري أبي صالح[١]

[الكامل]

وردتْ نَمِيقَتُك الجميلةُ والصُّوَرْ
فلكِ الثناءُ من البصيرةِ والبصرْ[٢]

وعليك مني ألفُ ألف تحية
وعلى الأحبة في الإقامة والسَّفر

إنْ تَحملوا من شوقكُمْ وحنينكُمْ
نار «الخليل»[٣]، فإنَّ في قلبي سقَر[٤]

«ما لاح برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ»
إلا ذكرتكمُ، ومثلي من ذكَر

فسلو الدُّجى عني إذا رق الدُّجى
عند الدجى، عني وعن وجدي خَبر

وسلوا السماءَ وما بها من أنجُمٍ
وسلوا الغَمائم والنسائِم، والشجر

وسلوا الحمائم حين تشدو في الضحى
فأنا الذي علّمتها تلك السُّور

أشتاقكُمْ، وأحبُّ من يشتاقُكمْ
وأحبُّ أربُعكمْ[٥] ومن فيها استقرْ

تالله لم يشغَلْ فؤادي شاغلٌ

---

(١) وتر القوس.
(٢) الخود: الحسناء.
(٣) استحر الطائر: غرد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.
(٤) من يحملون الكشكول ويسألون الناس. والنوَر (في الأصل) جيل من الناس، دأبهم الترحال، لهم لغة خاصة، ويعيشون على الكدية والسرقة.

عـنـكمْ ولـكن عـاقَـني صـرْفُ الـقـدرْ

لـولا الحـوادثُ مـا قـعـدتُ عن الـلِّـقـا

ورضـيتُ، بـعـد الـعـين مـنـكم، بـالأثـر[1]

شـكـريإوقـد عـبثتْ بـنـا أيـدي الـنَّوى

صـبـراً فـإن الـلـهَ يـجـزي من صـبـر

يُـغـنـيك صـوتُ الـعود عن جسِّ الـوتـرْ

فـاعـذرْ أخـاكَ فـإنَّ مـثـلَك من عـذر

✡✡✡✡✡

كم تـسـتـثـيـر بي الـصَّـبـابـةَ والـهوى

عـني إلـيك، فـإن قـلـبي من حـجـر

مـا لي ولـلـحـسـنـاء أُغـري مُـهـجـتي

بـوصـالـهـا والـشَّـيبُ قـد وخَطَ الـشَّـعـر

في الـشَّـيب مـتّـعظ وفـيه مـزدجـرْ

وبمـا مـضـى عـظـةٌ وفـي الآتي عـبـر

كم بـ «الجـزيـرةِ» لـو يُـتـاح لي الـهـوى

من غـادةٍ تحـكي بـطـلـعـتـهـا الـقـمـر

مـثلِ الـغـزالِ إذا رنـا، مـثلِ الـقَـضـيْـ

ـبِ إذا انـثـنى، مـثلِ الـصـبـاح إذا سـفَر

وبـ «سـنـسـنـاتي» من مـسـارح لـلـمـهـا

من صـنـعـة الـرحـمن لا صـنـعِ الـبـشـر

ولـكَم بـهـا من جـدول وحـديـقـة

تُـنـسـيك هـاتـيك الخـمـائلَ والـنـهـر

فـيـهـا الـلـواتي إن رمتْ ألحـاظُـهـا

---

(١) زمّله: لفّه في ثوبه. في الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: «يا أيها المزمّل».

شلّتْ يد الرامي، وقطّعتِ الوتر[1]

قد كان ليْ في كلِّ خَوْدٍ مطمعُ

ولكل رائعة المحاسنِ بي وطَر[2]

أيام شَعْرِي كالدّجى مُحْلَولِكُ

أيام عيشي لا يخالطُه كدر

✡✡✡✡✡

ذرني وأشجاني وجسمي والضنى

ويدي وأقلامي وطَرْفي والسهرْ

أأبِيْتُ ألهو والهمومُ تُحيط بي؟

وأنام عن قومي وقومي في خطر؟

صوتُ المصفِّقِ موعدُ ما بيننا

ماذا أقول لهم إذا الدّيكُ اسْتَحر؟[3]

أقسمتُ بالله العظيم ثلاثةً

لتُمزِّقَنَّ يدي كشاكيلَ النَّور[4]

من كلِّ أحمقَ بيننا متجولٍ

إن غاب غاب الهمُ أو يحضُرْ حضر

لا أنثني، لا أنثني، لا أنثني،

حتى يفوزَ العاملون على البقر

****

٢٢ - و...

[البسيط]

وزاهـــدٍ هـــمُّهُ في المـــدح يـــســـمـــعُهُ
من كلِّ من هـمُّهُ أن يـخـلُقَ الـكَـذِبـا
يُـعـلِّم الـنـاس ألا يـعـبُـدوا أحـداً
إلا الإلهَ، ويُـمـسي يـعـبُـد الـذَّهـبـا
وأنْ يـجُـودوا بمـا تحـوي خـزائـنُـهمْ
ولا يـجـودُ بـديـنـارٍ لمن نُـكـبـا
ضـيفُ يـتـيهُ عـلى الـمُـثري وصـاحـبِهِ
كـمـا يـتـيهُ عـلى المـغـلـوب من غـلَـبـا
ذنبُ المُـقلِّ لـديه غـيـرُ مـغـتـفَـرٍ
ومكثـرِ البذلِ يـقضي بعض ما وجبا!
كـأنه دائنُ طـالَ المـطـالُ بِه
كـأنه يـهب الإنـسـانَ مـا وهـبـا
يـا ذا المـزمِّلَ إنَّ الـدِّين والـنـشَـبـا
ضـدّان مـا اتـفـقـا يـومـاً ولا اصـطَحـبـا(١)
إن كـنت من يـبـتـغي الـدنـيـا ويطـلـبُـهـا
فـارغبْ عن الـدين واطـرحْ ذلك الـلَّـقَـبـا
احـفظْ لـنـفسكَ بـين الـنـاس حُـرمـتَـهـا
مَنْ يـكـسبِ الـذمّ في مـالٍ فـمـا كـسـبـا
لا تـنـفـخِ الـنـار، لا تـدفـعْ سـواك لـهـا
إنـي لأُشـفق أن تـغـدو لـهـا حـطَـبـا

✡✡✡✡✡

ما إنْ رأيتُ كقومي في سماحتهِمْ

كالغيثِ يسقون حتى الموضع الخَرِبا

لو كان للذئب أن يغشى منازلَهُمْ

ما عاد إلا وفي فكيّه ما طَلَبا

ضعفُ يُسميه من يُمنى به: «كرماً»

كما يسمى الخُمار المُحتَسي «طَربا»

هذا الذي أوجد الكسلانَ بينهمُ

وأوجد اللهو للكسلان واللّعبا

✡✡✡✡✡

وجاهلٍ يدّعي علْماً ومعرفةً

شرُّ البليات غرٌّ يدّعي الأدَبا

إذا يساقُ إليه «العُرف» نَكَّرَهُ

وإن رأى «الخفض» في أحواله نَصبا

من «الأعاربِ» إلا أن منطقَهُ

ممّا يبغِّضّ فيه «العُجْمَ» و «العربا»

أمسى يُشبَّهُ من يحْكي بسيرته

«يهوذا»، بالذي من أجلنا صُلبا

لو كان يعرف رأي العارفين به

لراح يُنكرُ ما أُملي وما كُتبا

✡✡✡✡✡

وسافلٍ في حضيض الأرض ملتصقٍ

يحوك من أعظم الموتى له نَسبا

---

(١) هو الحدْس. الظن والتخمين. (٢) الغلس. أول ظلمة الليل.

(٣) العالم بالأمور، الحاذق بالطب (ومثله: نطيس ونطاسيّ).

(٤) اللعس. امتلاء مستحسن في باطن الشفة، لامتلائها بالدم.

فـي كـلِّ يـــــومٍ لـه دِيـنٌ يُـــــدِلُّ بـه
ســاء الـمُـتـاجِـرُ بـالأديـان مُـنْـقَـلـبـا

✡✡✡✡

وأبـــلَـه ســـائـــرٍ مـع كـلِّ ذي أربِ
سَـيْـرَ الـذَّلـول، ولا تـدري لـه أَرَبـا
لـم يـضـحـك الـنـاسُ لـو أمـسى لـه ذَنَب
لـذاك لـم يـخـلُـقِ المـولى لـه ذَنَـبـا!

✡✡✡✡

قـد أكـثـر الـدهـرُ فـي عـيـنـي عـجـائـبَهُ
حـتـى غـدا عـجـبـاً ألا أرى عـجـبـا
من عـاشـر الـنـاس لـم يـأمَنْ دسـائـسـهمْ
فـاخـتـرْ لـنـفـسـكَ مـن غـيـر الـورى صـحـبـا

****

(١) عجز البيت من قصيدة ابن سينا (العينية) المعروفة. ساقه في تحية ضيف نيويورك راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا، الذي تولى حفلة (التعميد)
(٢) نزع: اشتاق (نزوعاً).
(٣) الشهاب الثاقب. المضيء.

٢٣ - ما كان أحوجَني

[البسيط]

مـا كـان أحـوجـني يـومـاً إلى لـقَبٍ
يـقـاتلُ الـشكَّ عـني في نوي الحـدسِ(١)

وطـيـلـسـانٍ به نـقشٌ وزركَـشـة
وصـولجـانٍ كـرمحِ الـفـارسِ الـشَّـكس

إذنْ لـصـدّقَـنِي من لا يـصـدّقُـني
ولـو جـعلتُ الـضـحى جزءاً من الـغَلَس(٢)

وودَّ من كـنتُ قـبلَ الـيـومِ خـادمَهُ
لـو أنه خـادمي، أو أنـه فَـرسي

فـإنْ مـشَـيْتُ رأيتُ الـغـيـد شـاخـصـةً
ومن هـنـا وهـنـاك الـنـاس كـالحـرس

وإن تـكـلـمتُ قـالـوا: لـيس ذا بـشـراً
وإنمـا هـو وحي الـروحِ ذي الـقُـدُس

فـهـانَ عـنـدَهُمُ بـذلُ الـنـفـائس لي
إن كـان في بـذلـهـا إدراكُ مُـلـتـمـسي

وأيـدوا كلَّ مـشـروعٍ يـؤيـدُني
فـيـهم، وإن كـان مـشـروعـاً بلا أُسُس

وبـات لـثمُ يـدي في عُـرْف بـعـضـهمُ
أشـفى له من دواء الـعـالِمِ الـنَّـطس(٣)

يـحـنو فـيـمـلـؤهـا تـمـراً، وظـاهـرُهَا
لـثماً، كـتـقـبـيل ذي وجْـدٍ لـذي لَـعسٍ(٤)

وقـد يـكـون كلامي بـالـيـاً خَـلَـقـاً
لا روح فـيـه، وكَـفِّي كفَّ مُـخـتَـلسِ

لـو كـان ذلك لي، أو كـنت صـاحـبَه
مـا احـتَـجتُ يـومـاً إلى سـيفٍ ولا تُـرُس

---

(١) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه يتردد ذكره في الشعر القديم.

٢٥ - النكبة في سوريا

[السريع]

لــــلــه مـــا أحــــلَى، ومـــا أجــــمَلا
أن تــنــصــر الــمــســكــينَ ذاتُ الحــلى[1]!
إن الـــتـي تَـــقــــتلُ أجــفــانُـــهـــا
أبتْ عـــلى الــبـــائسِ أن يُــقـــتَلا[2]
فـــأقـــبـــلـتْ تــبـــذلُ أمـــوالَــهـــا
وتــســـأل الـــمُـــثـــري أن يـــبْـــذُلا
في الــلـه مــســعــاهــا وإحــســانُــهــا
فـــهـــكـــذا الـــغـــيـــدُ وإلا فَلا

****

(١) و الحَلي. وجمعه: الحُليّ. والأبيات في الثناء على السيدات السوريات اللواتي خرجن إلى شوارع نيويورك لجمع الإعانات لإغاثة الجائعين المنكوبين بالوباء في سورية.
(٢) أجفانها: يريد العيون.

٢٦ - انقر يا دَفّ على الطارة

[المتدارك]

قد عاد النَّقْرُ على الطَّارهْ
والشاعرُ حرّك أوتارهْ[1]
ليُعينَ الحقَّ وأنصارَهْ
الآخذَ مالَ المحتاجِ

يا سيدَنا ربَّ التاجِ
ما أحلى الحقَّ وأنصاره !
لا تلعبْ بين الأمواجِ
وتَوَقَّ البحر وتياره

أوَ ليست نفسُ المسكينِ
أولى بالمال من العينِ؟[2]
أو ليست قاعدةُ الدينِ
أن يعطي ذو النُّعمى جاره ؟

إن كنت حقيقاً تُرْكيّا
فبربكَ صرح رسميّا

---

(١) كان المهجريون يتناشدونها وأمثالها في سهراتهم.
(٢) يريد الحسناوات واسعات الأعين (عيناء).

أَذِعِ المكتومِ المَخْفيّا
وأزحْ عن وجهكَ أستاره

لو يلقى صخْرُ ما تلقى
من وخزِ يراعٍ لانْشقَا
لا تغضبْ إنْ قلنا الحقّا
وذَممْنا الجهلَ وأضراره

إن كانت وخَزاتُ الدّاعي
لم تُدْمِ جِلْد الطمّاعِ[1]
فتنكّبْ، يا هذا الراعي
نار الحدّاد ومسْماره

****

(١) الذي هو القاتل نفسه (الشاعر).

٢٧ - توديع أمين الريحاني[1]

[الكامل]

كم ذا يـلـومُ عـلـى الـهـوى الـمُـتـشـدِّقُ
غـيـرُ الـغـرام يـجـوزُ فـيـه الـمـنـطقُ

وإلى مـتـى يُـلـحى المحبُّ عـلـى الـهـوى
وأحقُّ بـالـلـوم الـذي لا يـعـشَق ؟

يـا صـاحـبي!هـو ذا الـغـرامُ، مـريـضُهُ
لا يُـرتجى، وأسـيـرُه لا يُـعْـتَق

لـي مـهـجـةٌ تـأبى الـرضـوخَ لأمـرٍ
رضـخَتْ لـه، وهـو الملـيك الـمُـطـلَق

ضـحك الأُلى جـهـلـوا الـغـرام وبـطـشَه
لـمّـا رأوني في دمـوعي أَغـرَق

مـاذا عـلـى اللاحـين ؟ لا أجـفـانُـهمْ
سـكْـرى، ولا أحـشـاؤهمْ تـتـمـزَّق

مـا شـارك الـعـشـاقَ في آلامـهم
إلا عـلـيـمٌ بـالـهـوى أو شـيِّق

يـهـوى أخـو الـبـلـوى أخـا الـبـلـوى، كـمـا
يـهـوى الـوريقَ[2] من الـغـصـون المُـورِق

إنْ عـنَّف الخـالـي الـشَّـجيَّ فـربمـا
لام الـذكي عـلـى الـذكـاء الأحـمـق

---

(١) في مناسبة سفره إلى فرنسة (١٩١٦).

(٢) الغصن الوريق: الأخضر المكتسي بالورق. وأورق الشجر - يورق: اكتسى بالورق.

فُطر الأنامُ على الأذى، فَقَويُّهم
متصلّفٌ[1]، وضعيفُهم مُتَملِّق

أخذت نحائزُهم عليهم موْثقاً
ألاّ يدوم لهم ليومٍ موْثق[2]

ألفوُا الرياءَ، فلا يسوءُ نفوسهم
مثلُ امرئٍ حُرٍّ يقول فيصدُق

كم لفّقوا أكذوبةً، واسترسلوا
في الغَيّ[3] حتى صدّقوا ما لفّقوا

لو أنهم نظروا لغير مَعاشهم
وجدوا أضرَّ الخَلقِ من يتخلَّق

والدهرُ أهلُوه، كذلك دهرنا،
غيرُ الأديب الحُرّ فيه موفَّق

لكنْ على رغم الغَويّ وخَبْطه
سيدومُ في هذي الحياة الأْليق

والحقُّ منتصرٌ على أعدائه
ولَو اَنهم خلف الكواكبِ خَنْدقُوا

✡✡✡✡✡

لا أرمُق الدنيا بمُقلة ناقدٍ
إلا وددْتُ بأنني لا أرمُق

دنيا يحارُ المرءُ في أطوارِها
ويضيعُ في أسرارِها المتَعمِّق

في الصدرِ همٌّ لا أحاولُ بثَّه
هذا مجالُ مثلُ صدري ضيّق

---

(١) متكلف الصلف، وهو تجاوز القدر.
(٢) النحيزة: الطبيعة (وجمعها: نحائز)
(٣) الضلال (غوى – يغوي).

لا تحسبوا هذا المشَعْشَعَ خمرةً

هذي نفوسُ ذوي الهوى تَتَرقْرق[1]

لم تكتسبْ لونَ العقيقِ كؤوسُها

لو لم تكن من مُهجتي تتدفق

فإذا انصرفتُ عن الرحيق فإنني

أخشى تُذكِّرَني الحبيب فأَشْرَق[2]

وإذا بكَيتُ من الفراق ووقعه

لا تعجبوا، هذا عدوّي الأزرق

✡✡✡✡

ما بالُ نفسي عندما أزَف النوى

فرِقَتْ[3] وكنتُ أظنُّها لا تَفرَق

بل ما لقلبي خافقاً في أضلُعِي

أمن السُّرورِ أم الكآبة يخفُق ؟

إني أرى حولَ «الأمين» صحابةً

كالنيِّرَاتِ وجوههمْ تتألّق

فأكاد من فرحي بأنصار الحجا

وذوي المُروءة والوفاء أُصفّق

فإذا ذكرتُ غداً وقُرب مجيئه

ضغط الأسى نفسي فكادت تُزهَق

في ذمة الله الكريمِ وحفظه

رجلٌ يباهي الغرب فيه المشرقُ

---

(١) المشعشع: غير الكثيف من الشراب والظلال.

(٢) في التقدير: «أن تذكرني...» والشرَق: الغُصَّة (شرِق - يشرَق).

(٣) خافت (الفَرَق).

هــذا الــذي إن قــيل ذا رجلَ الــنُّــهى

لا يــزدهي عُــجْــبــاً ولا يــتَــفَــيــهق[1]

دلّ الــعــيــونَ عــلــيه صــدقُ مــقــاله

ولــكَمْ يــدُلّ عــلى الــنــفــوسِ المــنــطِق

مــا زالَ يــسْــتَــنْــدي الأكفَّ لــذي الــطَّوى

حــتى لــكــاد بــنــفــسه يــتــصــدَّق[2]

هــو زهــرةٌ يُــحــيي الــنــفــوس أريــجُــهــا

هــو كــوكبٌ أنــواره لا تُــمــحــق

شــتَمَ المــقــصــرُ عــنه كلَّ مــبــرّزٍ

لمــا رآه غــبــاره لا يُــلْــحــق

لم يــدْرِ أن الــبــدر يُــعــرَفُ في الــدجى

والــعُــود يــظــهــرُ طــيــبُه إذ يُــحــرَق

يــا صــاحــبي! وأخــو الــعَلاء مُــحــســدٌ

ولأنت أعــرفُ بــالأمــورِ وأصْــدَق

مــا من يــكــرّسُ لــلــبلاد يــراعَهُ

مــثلُ الــذي بــيــراعه يــسْــتــرْزِق

ســامحْ عــداتَك واغــتــفــرْ زلاّتــهم

فــالــصــفحُ أجــدرُ بــالــكــريم وأخْــلق

مــا أنت أولُ عــبــقــريّ نــابغٍ

كــاد الــطَّــغَــامُ له فــفــازَ وأخْــفَــقُــوا

✡✡✡✡✡

يــا قــاصــد الــبــلــد الــبــعــيــد، تــرفُّــقــاً

مــا دام هــذا الــدهــرُ لا يــتَــرفَّق

---

(١) المتكبر، المتوسع في الكلام.

(٢) استندى الاكف: استعطاها (الندى: الكرم والعطاء).

إن كـان بـعضُ الـودِّ يُـخلـقُه[1] الـنّـوى

ويـبـتُّه[2]، فَـودادُنـا لا يـخـلُق

فـإذا رأيت الـبـحـر يـعـلـو مـوجُهُ

فـاعـلَمْ بـأن دمـوعـنَـا تـتـدفَق

وإذا رأيت الـنـجم يـنـظـرُ سـاهـياً

فـاعـلمْ بـأنّـا في الـنـجـومِ نُـحـدِّق

وإذا سـمعت الـطـير تـهتفُ في الـضـحى

فـاعـلمْ بـأن قـلـوبـنـا تـتـشـوَّق

إنّـا سـنـحـفظُ لـلـ «أمـينِ» ولاءَهُ

مـهـمـا أثـار المـفـسـدون وأقـلـقـوا

وإذا الجـسـومُ عن الجـسـوم تـفـرَّقَتْ

فـنـفـوسُ أهلِ الـوُدّ لا تـتـفَـرَّق

****

---

(١) يُبليه. (خلُق الثوب - يخلُق. بليَ).
(٢) يقطعه (البتّ: القطع).

٢٨ - إكليل توفيق خوري

[الكامل] و[الوافر]

قد قال «ندرا» واصفاً «ميماسكُمْ»
فأثار بي شوقاً إلى «الميْماسِ»[١]
ما كنتُ حمصيّاً، ولكني فتى
في سر «حمص» الآن أشربُ كاسي[٢]

✡✡✡✡✡

أيا ابن مدينة «العاصي»[٣] الجميلهْ
تهانئ شاعرٍ يهوى الفضيلهْ
وألفاظٌ تنمُّ على وفاءٍ
وإخلاصٍ وإن كانت قليله
جعلتُ إلى محبتكم دليلي:
فؤادي، والهوى الصَّافي دليلَه
ملكتمْ مُهْجتي لا بالعوالي
ولكنْ بالسجيّاتِ النبيله[٤]
متى أروي من «العاصي» غليلي ؟
ويروي كل حمصي غليله ؟
فإني مثلَكم أهوى رُباها
كما أهوى نسائمها العليله

---

(١) الميماس. من متنزهات حمص المعروفة.
(٢) ارتجل البيتين في بيت صاحب الإكليل في التعقيب على قصيدة ألقاها ندرة حداد (وهو في حمص) زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) والأبيات بعدها ألقيت في الحفلة نفسها
(٣) الخطاب لتوفيق خوري نفسه (في النص السابق).

فلا يـفـخـرْ عـلى «حـمصٍ» قَـبِـيلُ
بمـحـتـده[1]، فـواحـدُكم قَـبـيـلهْ
نـفـوسُ رجـالـكُمْ فـيـهـا شـبـابٌ
وفي شُـبّـانـكم حـزمُ الـكُـهـوله
لـنـا ولك المـسـرَّةُ والـتـهـاني
فـقـد عـاشتْ أمـانـيـنـا الـقـتـيله
«وأعط الـقـوس بـاريـهـا» بـيـومٍ
قـطـفت أحبَّ أزهـارِ الخـمـيـله
بـقـيت مع «الـنـبـيـهـةِ» في صـفـاءٍ
تـرفُّ عـلـيـكـمـا الـنـعَمُ الجـزيـله[2]

****

(١) المحتد: الأصل.
(٢) النبيهة: اسم العروس.

٢٩ - حاملات الطيب(١)

[الرمل]

«حـاملاتُ الـطـيب» تـشـدو طـرباً
بـلـقـاكمْ، يـا كـرامْ
وتُـحـيِّي حـبْـرنـا الـمـنـتـخَـبـا
مـن لـه أسـمـى مـقـام
فـانشُـري عـطـرَك، يـا ريح الـصَّـبا
وتَـغَـنَّ، يـا حـمـامْ
فـلـقـد نـلـنـا الـمُـنى والأرَبـا
وظـفـرنـا بـالـمـرام

✡✡✡✡✡

نـحـمـدُ الـلـهَ الجـزيلَ المـنَنِ
من نـفـى عـنـا الـكُـربْ
وحـبـانـا بـعـد طـول الـزمنِ
بـالـرئـيس المـنـتـخب
ذي المعالي، صاحب القدْرِ السَّني
خـيـرِ راعٍ، خـيـرِ أبْ
عـزَّ فـيـه الـدين بـعـد الـوهنِ
وعـلا صـرحُ الأدب

✡✡✡✡✡

---

(١) نشيد أنشده أعضاء (جمعية حاملات الطيب) في الحفلة التي أقامها تكريماً لأسقف (بروكلن)

ولْـــنـحي بـــعـــد ذاك الـــعـــلَـــمـــا

عــــلَمَ الــــعــــدلِ الجـــمـــيلْ

عــلـــمـــاً في ظــلــه الحقُّ ســـمـــا

فــــهــــو لــــلــــحقّ كـــفـــيل

رافـقت فـيه الخـطـوطُ الأنجـمـا(١)

ولـــه ظِـلٌّ ظـــــــــــلــــــــــيـل

فـلـتـعش «أمـيـريـكـا» خـيـرُ حمى

ألف جـــيلٍ بـــعـــد جـــيل

****

(١) علَم أمريكا

٣٠ - ولقد ذكرتكِ

[الكامل]

ولـقـد ذكـرتك، يـا بلادي، بـعـدمـا
ذهب الـشَّـبـابُ، ومـرّتِ الأعـوامُ

فـتـمـثّـلتْ تـلـك الـربـوعُ لـنـاظـري
خـربـاً[1]، عـلـيـهـا وحـشـةٌ وظَلام

ورأيت قـومي سـاقـطـينَ عـلى الـثّرى
جُـثَـثـاً تـلـوح كـأنـهـا أصـنـام

يمـشي عـلـيـهـا الـظـالمون بـخـيـلـهمْ
ويـنـال مـنـهـا الـذئبُ والـضـرْغـام

بـالأمس كـانـوا والـطـيـورُ طـعـامُـهمْ
والـيـوم هم لـلـكـاسـراتِ طـعـام

وهـنـا، نـرى إخـوانَـهم، أجـفـانُـهمْ
مـفـتـوحـةٌ، لـكـنّـهم نُـوّام

لاهـين عـنـهمْ بـالجِـدال كـمـا لَـهـا
بَـبـوات[2] «رومـةَ» قـبلُ، والأروام

فـبـكـيتُ، ثم بـكـيتُ، من فـرط الأسى
يـا لـيت شـعـري، هل بـكى «الـلـمّـام»؟[3]

لم يـبك، بل أرخى الـعـنـانَ لـصـوته
يـشـدو ويـرقصُ حـولَه الأقـزام

غـنّى، وفي تـلـك الـبلاد مـنـاحـةٌ
فـعـلى الجـمـاد تحـيـةٌ وسلام

****

(١) الخرْبة: موضع الخراب، والجمع. خرِب.
(٢) باباَوات، وخُطفت لسلامة الوزن.

٣١ - تنصير ابن حنا نحاس

[الوافر]

تــكـــاثــرتِ الــــكـــواكبُ والأهـــلَّةْ
لــذلك غــابت الـــشــمسُ المُــطــلَّةْ
كـــواكبُ لا يُــلـمُّ بــهـــا خـــســـوفُ
ولا تُـــخـــفي أشــعــتَــهـــا الأكـــلَّه[١]
أُرانـي بـــــين إخــــوانٍ وصــــحْبٍ
بــــهم يــنــسى غــريبُ الأهل أهـــلَه
أتــيــنـــا الــيــوم نــفــرحُ معْ صــديقٍ
جــعــلــنـــا في جــوانــحــنـــا مــحــلَّةْ
يُـــرجَّى في الحـــيـــاة كـــكلِّ حُـــر
لــنــصــر فــضــيــلــة ولــدفـع عــلَّه
وحـــبْـــرٍ[٢] هـــام فـــيه عـــارفـــوه
ولـم يُــنــكـر عــلــيه الــضـدُّ فـضــلَه
به وبمـــــــثـــــــله في كـل نـــــادٍ
نـــفـــاخـــرُ كلَّ طـــائـــفـــة ومـــلَّه
فـــمـــا ضـــرَّ الـــذي عـــمــلتْ يـــدا
عــلـى تــفــريــقــنــا لــو كــان مــثــلَه
أيـــا مـــولَى الـــقـــلـــوب، بلا نـــزاعٍ
وأكـــرم نـــازلٍ في ذي المَـــحـــلَّه

---

(١) يبدو أرادها جمعاً (للإكليل) أو (للكلّة) بمعنى الستر، وجمعهما في المعاجم (أكاليل) و(كِللْ)
(٢) أُسقف (بروكلن) جنوبي (نيويورك) الذي تولى عملية التعميد

لــقـــد خـــافتْ عـــلـــيك ســـمــــاءُ «أزلن»

فـــحـــاكَتْ من غـــمـــائـــمـــهـــا مـــظَـــلَّه

و «حـنًّـــا» عـــمّـــد «الـــفـــادي» قـــديمـــاً[1]

وأنت الـــيـــوم قـــد عـــمَّـــدت نجـــلَهْ

****

(١) أفاد أبو ماضي من اسم أبي الطفل المعمّد (حنّا) فذكر معه النبي يحيى (يوحنا) الذي عمّد المسيح (الفادي) في مياه الأردنّ.

٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية[١]

[الكامل]

إنَّ الصَّليب وكان آلةَ نقْمة
أمسى شعار الخيرِ والتهذيبِ
لا تعجبوا مما به من حُمرةٍ
هذا - وحقكمُ - دمُ المصلوب
لا بِدْع أن ظهرتْ عجائبُهُ لنا
فلكَمْ أتى بعجيبة وعجيب
هذا لواءٌ[٢] ضامنٌ كشَفَ الأذى
عن قلب كلِّ معذَّب منكوب
لمَّا شهدتُ، كما شهدتمْ، صُنعَه
طرِب الفؤادُ وكان غير طَروب
إني أحيي الناهضاتِ إلى العُلا
باسم الجنود، وباسمِ كلِّ أديب
هنّ الكواكبُ في الشروق، وإنما
هيهات يؤذِن نورُها بمغيب
لو كلُّ فاضلة تخاطبُ قومها
قالت لكلِّ لبيبة ولبيب:
«أبناءَ «سوريا»، احملوا صُلْبانكمْ
للخير، إني قد حملتُ صليبي»!

****

(١) ألقاها في حفلة أقامتها جمعية الصليب الأحمر السورية (١٩١٧) وجُعل ريعها لإعانة الجنود الأمريكيين والسوريين.
(٢) يقصد: الراية.

٣٣ - توديع نعمة تادرس[1]

[الكامل]

زمنُ الربيعِ مضى وكنتُ أحبُّهُ
فجلستُ بعد ذَهابه أبكيهِ

واليوم يهجرُني حبيبٌ آخرٌ
فكأن ما في القلب لا يكفيه

اثنان ما للشِّعْر بعد نَواهُما
معنى يلوحُ له فَيستهويهِ

فصْلُ الربيعِ لأنه الفصْل الذي
يجدُ الفتى كلَّ اللذاذة فيه

وأخٌ يسوقُ العُرْفَ[2] نحو صديقه
عفواً، ولا يؤذي الذي يُؤذيه

وإذا يلوذُ به امرؤٌ في نَكبة
فكأنما هو لائذٌ بأخيه

هذا الذي تأسى القلوبُ لبُعده
عنها، وتَصحبُه لكي تَحميه

ما للكناية والإشارةِ موضعٌ
يا صاحبي أنت الذي أعنيه

شاء الذي خلقَ السماح وأهلَهُ
فَبرَاكَ كي تعلو وكي تُعْليه

---

(١) تاجر السجاد الشرقي في (نيويورك) الذي أهداه أبو ماضي ديوانه الثاني (سماه: الجزء الثاني) وطبعه في نيويورك ١٩١٩ (وهو الذي تبرع لأبي ماضي بتكاليفه).

(٢) المعروف والجود والإحسان والنَّصَفَة وحسن الصحبة.

فـإذا يـجـود ذوو الـنُّـضـارِ[1] بـبـعـضـه
جـادتْ يـداك بـكـلِّ مـا تَـحـويه
لك في الـقـلـوب مـكـانـةٌ لـو أنَّـهـا
كـانت لـغـيـرِك هـزَّ عـطْفَ[2] الـتِّـيهِ
كلٌ يـودّع فـيك صـاحـبه الـذي
بـنـفـيـسه وبـنـفـسه يـفـديه
سـيُـحـبُّك الـبـحـرُ الـذي تجـتـازه
ويـحـبُّك الـبَّـرُّ الـذي تـطـويه
ويـحـبُّكَ الـبـلـدُ الـذي تـخـتـاره
إن كـنت أو مـا كـنت من أهـلـيه
كلّ المَـواطنِ لـلـكـريم بلادُهُ
والـنـاسُ مـنه كـلُّـهمْ كـذَويه
سـافـرْ تـرافـقْك الـسَّلامـةُ ولْـتـعُـدْ
بـالـيُـمْن والإقـبـالِ والـتَـنْـويه
لـكن بـربِّك لي إلـيك وصـيـةٌ
لـيـست بـأمـرٍ، لا، ولا تَـنْـبـيه
هي إنْ تـزُرْ وطـنـاً نـقـدسُ ذكـره
ونُـجِـلُّه ونَـصُـونُه ونَـقـيه
فـانـظـرْ بـأعـيـنـنـا الـبلاد وأهـلَـهـا
لـيـرى بك الـوطنُ الـقـديمُ بـنـيه

****

(١) النضار. الذهب الخالص.
(٢) أحد الجانبين، عن يمين وشمال.

٣٤ - دار رشيد أيوب[1]

[السريع]

كـيف تـركت الـدار، يـا صـاحـبي
مـفـتـوحـةَ الـبـابِ لمن يـطـرقُ؟
ألـيس في هـذا الحـمى سـارقٌ ؟
ألـيس في بـيـتك مـا يُـسـرَق؟
أم عـلم الـقـومُ عـلى جـهـلـهِم
أنك ذاك الـشّـاعـرُ الـمُـفْـلِق؟[2]
جـمـيـلـةٌ دارُك، يـا سـيـدي
ودربُـهـا، والـشـجـر الـمُـورِق
لـكـنـهـا عـمـيـاءُ صـمـاءُ لا
عـينٌ ولا سـمعٌ ولا مـنـطق
جـئتُ إلـيـهـا آملا شـيّـقـاً
وعـدتُ مـنـهـا وأنـا أشْـوَق!

****

(١) زار الشاعر داره في ميلفورد (بنسلفانيا) فلم يجد فيها أحداً، ووجد الأبواب مفتّحة (١٩٢١)
(٢) شاعر مُفلق. مُجيد، يجيء بالأعاجيب.

٣٥ - رثاء المَطران أثناسيوس عطا الله[١]

[مجزوء الكامل]

زُرتُ الحديقةَ في الضُّحى لأرى الغصونَ المورقهْ
فإذا الطيورُ صوامتٌ، وإذا الأزاهر مُطرِقهْ

وإذا النسيمُ له أنينٌ كالجريح أو الطعينْ
ويلاهُ من ذاك السكوتِ، وآهٍ من هذا الأنينْ

ماذا أصاب الأقْحُوانَ، فإنه لا يبْسمُ
ماذا دها طير الأراكة؟ فهو لا يترنَّمُ!

أيٌّ المصائبِ بالرياض ؟ فقيل لي: نضب الغديرْ!
فالطيرُ والأزهارُ حائرةٌ تفكّر في المصيرْ

فعرفتُ أني في الحديقة حاضرٌ في مأتمِ
وشعرتُ أن الحزنَ يسرُبُ[٢] في عروقي معْ دمي

الجنةُ الغنّاء، يا أبناءَ «حمصٍ»، أنتمُ
أما الغديرُ فإنه هذا الفقيدُ الأعظمُ

«أثناسيوس»، علّمتَنا ووعظتَنا حياً وميْتا
أشرقت إشراقَ الصباح، ومثلما يمضي مضيْتا

---

(١) مطران حمص.
(٢) سرب: مضى وذهب.

اللهُ باركَ «حمص» حين سكنت في أرجائها
وديانةً قد كنت في دنياك من رؤسائها

كم مهْمه[1] لليأس كنت به دليلَ التَّائهينا
كم حوْمة للبؤس كنت بها مُقيلَ[2] العاثرينا

قد كنت مصباحاً إلهيّاً يضيء لكل سارْ
وقد انطفأت فكلّنا للحزن يعثُر في النهارْ

علمتَنا أن التنسُّك ليس في سُكْنى السَّباسبْ[3]
بل في مقارعة الخُطوب، وفي مصارعة التجاربْ

ليس الفضيلةُ والتقى ألا يضُرّ المرءُ غيرَهْ
ويصونَ منه نفسَهُ، بل أن يسوقَ إليه خيرَهْ

خالفت كل الناسكينَ، من الأوائل والأواخرْ
خُضت المَعاثر[4] عندما خافوا التعرُّض للمعاثرْ

قد كان نُسكُك جرأةً عظمى ونسكُهمُ فرارا
يا ويحهمْ لم ينفعوا في نُسكهم حتى القفارا

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة.
(٢) أقاله من عثرته: أقامه منها
(٣) السَبْسب: الأرض القفر البعيدة.
(٤) العثرة: الزلّة. والمعاثر: حيث يعثُر المرء.

قــد كــنت تَــزهــد بــالجــواهــر وهي أكــوامٌ لــديــكــا
وتُــســرُّ إذ تــســعى إلى المــســكــين أو يــســعى إلــيــكــا

مــا أحــقــر الــتِّــيــجــانَ عــنــدي، إن ذكــرتُك، والأرائكْ
إن المــلــوك مـن الأَنــام، وأنـت من جــنسِ الــمـلائك

شــادوا عــلى الجـثث الــعـروش وشـدْت عـرشك في الــنـفـوسْ
فــمــضت عــروشُــهمُ، وعــرشك خــالــد مــثلُ الــشُّــمـوسْ

لــله كــيف حــواكَ لَــحْــدٌ، أيــهــا الــبــحــرُ الــكــبــيــرْ
لــله كــيف خــبــا ســنــاؤك، أيــهــا الــقَــبس الــمُــنــيــرْ

قــد كــنت كُــلَّك، أيــهــا الــراعي الأمــينُ، لــكُــلِّــنــا
«أثــنــاســيــوس»، نم هــانــئــاً فــلــكمْ ســهــرت لأجــلــنــا

****

٣٦ - جمعية الاتحاد السوري[١]

[البسيط]

مـا طـائـرٌ كـان في قـفْـرٍ عـلى ظـمـأ
فـسـاقَهُ قـدَرٌ نـحـو الـبـسـاتـينِ

فـاعـتـاض من لـفـحـاتِ الـقـيظ وارفـةً
ممـدودةَ الـظِّلِ خـضـراءَ الأفـانـين

وبـات تُـنـشـده فـيـهـا بلابـلُـهـا
حـينـاً ويُـنـشـدُهـا بـعض الأحـايـين

مـنِّي بـأسـعـد نـفْـسـاً مـذ نـزلتُ بـكم
يـا مـعـشـر الـسـادة الـغُـرِّ المـيـامـين

فـإن روحي لـتـمـشي من عـواطـفـكم
مـغـمـورةً بـالأقـاحي والـريـاحـين

ومـقـلـتي تـتـمـشى، من وجـوهـكمُ،
في أنجمٍ تـتـجـلّى لي فـتَـهـديـني

أرنـو فـيُـشـرقُ في نـفـسي جـمـالُـكمُ
كـالـوحي في خـاطـرٍ بـالـوحي مـفـتـون

إن المـروءةَ لـو شـادتْ أريـكـتَـهـا
كـانت قـوائـمُـهـا شُمَّ الـعـرانـين[٢]

تـرقُّ أخلاقُـكمْ كـالـخـمـر آونـةً
وتـارةً تـمـزُجـون الـبـأس بـالـلـين

---

(١) ألقيت في الحفلة التي أقامتها الجمعية لتكريمه (١٩٢٥) بصفته رئيسها السابق. اختار منها جورج صيدح ثلاثة عشر بيتاً في الديوان الذي أصدره من شعر الشاعر (تبروتراب) النص ٥٧

ومن يـجـرّبـكمْ في الحـالـتـين يـجـدْ
لُـطف الملائك أو حـزْمَ الأسـاطـين[1]

بـكُمْ أَصـولُ عـلى الأيـام ثـائـرةً
خـطـوبُـهـا، وأُبَـاهي من يُـبـاهـيـني

لأنـتمُ المـاءُ لي والـنـفسُ ظـامـئـةٌ
وحُـبـكمْ قـمـري في لـيل «كـانـون»

أحـبـبْـتُـكمْ حبَّ إنـسـانٍ لإخـوتِه
إذ لـيس بـيـنَـكمُ فـوقي ولا دوني

إنْ كـان فـيـكمْ ضـعـيفٌ لا يـحـاذرني
أو كـان فـيـكم قـويٌّ لا يُـقـاويـني

ولا أُداجـي لأمـرٍ مـنـكمُ أحـداً
ولا أرى أحـداً مـنـكمْ يُـداجـيـني[2]

نـحـلـتـموني فـضلاً لـستُ صـاحـبَه
ولم يـكن قطُّ في ظـني وتَـخـمـيـني

لـكن رأيـتمْ خـيـالاً من فـضـائـلـكمْ
فـخـلـتمُ أنه خُـلْـقي وتـكـويـني

والـشـمسْ إن نـظـرتْ في المـاء صـورتَـهـا
رأتْ هـنـالكَ شـمـسـاً ذات تـلـوين

✡✡✡✡✡

قُلْ لامـرئٍ مـثلِ «قـارونٍ» بـثـروتِه:
إني امـرؤٌ بـصـحـابي فـوقَ «قـارون»[3]

من يـصـطـنعْ صـاحـبـاً تـبـقَى مـودتُه
فـهْـو الـغـنيُّ به لا ذو الملايـين

(١) الأساطين: السواري، المفرد: أسطوانة، وهي السارية
(٢) المداجاة: المداراة.
(٣) من وزراء الفراعنة. يُضرب به المثل في الغنى والغرور، وإليه تنسب البحيرة في الفيوم.

فـاخـتـرْ صـحـابك وانـظر في اخـتـيـارِهمُ

إلى الـغـرائـز قـبلَ الـلـونِ والـدين

✡✡✡✡

المـرءُ في هـذه الـدنـيـا عـواطـفُه

إن تـنـدرسْ فـهـو بـيتٌ غـيـرُ مـسـكـون

وإنّ عـاطـفـةً هـذي مـظـاهـرُهـا

مِن عـالَم الـروح لا من عـالَم الـطـين

لـو فَـاتـني كلُّ مـا في الأرض من ذهبٍ

ولـم تـفُـتْـني فـإني غـيـرُ مـغـبـون

✡✡✡✡

لَـوِ الـقَـوافي تُـؤاتـيـني شـكـرتـكمُ

كـمـا أريـدُ، ولـكنْ لا تـؤاتـيـني

فاستنطقُوا القلب أو جُسّوه يخبرُكم[1]

فـالحبُّ والـقـلب مـكـنـونٌ بمـكـنـون

وفي زوايـاه شـعْـرٌ لا وِزان لـه

ورُبَّ شـعـرٍ جـمـيلٍ غـيـرِ مـوزون

إني سـأحـمـدُ يـا صـحـبي صـنـيـعكمُ

حـمْـداً إلى الـدهـر لا حـمْـداً إلى حـين

****

---

(١) وقعت جواباً للطلب، ولكنه ساقها على هذا النحو، حفاظاً على الوزن.

٣٧ - نشيد يوسف بك كرم[١]

[البسيط]

يـا من هـزمت الـعـدا في كل مُـعْـتـرَكٍ
في مـهـجـتي جـيشٌ حـزنٍ غـيـرُ مـنـهـزمِ

لـفّوك بـالـعـلَم الـقـاني، ومـا عـلـمـوا
أن الـتُّـقَى والـنُّـهى والمجـد في الـعـلَم

وغـيـبـوا الـبـطلَ الـصِّـنـديـد في جـدثٍ
وأودعـوا في الـثّـرى طَـوداً من الـشَّـمم

لا «يـوسفٌ» آخـرٌ يـحـمي مـرابـعـنـا
مـضى الـردى بـالـشـجـاع الـطـاهـر الـشِّيم

ولا فـوارس حـول الأرز رابـضـةً
كالأُسْد في الغاب، كالعقبان[٢] في القمم

«لـبـنـانُ» بـعـدك في لـيلٍ بلا قـمـرٍ
وأرزُ «لـبـنـانَ» في جـو من الألم

لـه عـهـدُك من عـهـدٍ نـقّـدسُه
وتَـسْـتـلـذُّ به الأرواحُ في الحُـلُم

لم يـبقَ غـيـرُ خـيـالاتٍ تـطـوفُ بـنـا
فـيـا نـفـوسُ إذا مـرَّتْ بك ابـتـسـمي

يـا راقـداً في ضـريحٍ كـلُّه شـرفٌ

---

(١) زعيم لبناني تزعم حركة تمرد مسلحة ضد الوالي العثماني. دفن في (اهدن) حيث ولد، بعد أن نفي إلى فرنسا (١٨٢٣ - ١٨٨٩). ابتاعها أحد الموسيقيين (اسكندر المعلوف) ولحّنها وسجّلها على اسطوانة صارت تباع في الأسواق.

(٢) العُقاب: من جوارح الطير (أنثى) وجمعها: عِقبان.

قـــام الأسُـــودُ إلى أســـيـــافـــهم، فـــقُمِ

يا صـاحب الـسَّيف، كـاد الـسَّيفُ يُهلكُنا

يـــا لـيثَ «لـبـنـان»! عـاثَ الـذئبُ بـالـغَـنَم

أشْــرِفْ بــروحك من أَوْج الــسَّــنـــاء عـلـى

ســهـولِ «لــبـنــانَ» والــغــابــات والأكَم[1]

يـــدعـــوك لــــلــــجـــود «لـــبـــنـــانٌ» وأرزتُه

يـــا ابن الأكـــارمِ، هـــذي ســـاعـــةُ الـــكَـرم

****

(١) الأكمة: التلّ، وجمعها: أكم وآكام.

٣٨ - إلى ندره حداد[١]

[مجزوء الكامل]

إنَّ العيونَ وطالما أودعت شعرَك سحرها
حملَتْ عليكَ فأدركتْك، وأدركتْ بك ثأرها
قد كنت تَخشى أسْرها، فغدوت تحمد أسْرها
وإذا الفتى عرَف الهوى، عرف الحياةَ وسرَّها
فأحبَّها تسقيهِ حازرَ[٢] خلِّها أو خَمرِها
وإذا رأى أشواكَها أغضى ليلمح زهرها
ويظلُّ يرجو فجرها، والليلُ يطمُس فجرها

☆☆☆☆

قدْرُ الفتى في حبِّه، فارفعْ لنفسك قدْرها
«ندره»، صبرْتَ على زمانك طائعاً لا مُكْرها
الغيدُ حولَك كالنجوم، وأنت تؤثرُ هجرها
ولك الشبابُ وكلُّ ما خدع النفوس وغرَّها
لا النفس زاهدةٌ، ولست كمن تكلَّف قهرها
لكنْ شُغلت بغادةٍ تَخذتْ قريضَك خدْرَها
ما زلت تنعتُها وتجهلُ مثلَ غيرِك أمرها
حتى جفَتْ قَصْر الخيال، وصار قلبُك قصرها
فاشكُرْ لدهرِك جُوده واحمدْ لنفسكَ صبْرها
ونَعمْتُما وأمنتُما مدَّ الحياة وجزْرَها

****

---

(١) أرسلها إلى زميله في (الرابطة القلمية) يهنئه فيها بخطبته عام ١٩٢٥ وتلا القصيدة التي بعدها (النص ٣٩) في حفل زواجه.

(٢) الحزْر من اللبن: فوق الحامض.

٣٩ - في عرس ندره حداد

[مجزوء الخفيف]

شاعرٌ كان حائراً

أذهب الحبُّ حيرتَهْ

طائرٌ كان تائهاً

وجد الآن جنّته

صولةُ الحُسْن والهوى

تسلُبُ المرء صولَته

إنّ «نَدْرَةَ» الذي بغى

أن يُعاصي مشيئَتَه

أسلَمَ اليوم قلبَهُ

بيديه ومهجتَه

لم يكن زاهداً ولا

جاهلاً قطُّ قوته

فلكَمْ هدّ قلعةً

قبلما هدّ قوتَه

بلْ لأمرٍ مقدَّرٍ

أخّر الدهرُ قُرعتَه

يا أسيراً كأنه

آسرٌ نال بُغيته

ليس بالعاشقٍ امرؤٌ

خاف في الحب محنته

إنمـــــا الحـبُّ ضـــــلّـــــةً

لــو عــرفــنــا حــقــيــقــتَه

أنت يـــا صـــاحِ بـــلـــبلُ

يـــعـــشقُ الــكلُّ نــفــحــتَه

جـــدَّدتْ دولـــةُ الـــهـــوى

بك لـــلـــشِّـــعـــرِ دولــتَه

دمت في الـــعـــيش صـــاحِ لا

يُـــخـــلِقُ[1] الـــدهـــرُ جِـــدَّته

✲✲✲✲✲

نــــــصـب الحـبُّ فـــــخَّـهُ

وهـــو يـــدري قَـــنـــيـــصــتـه

وكـــــمـــــا صـــــادَ «نـــدرةً»

ســوف يــصــطـــادُ إخـــوتَه

فـ «جـــــواداً» و «ثُــــريّـــــا»

و «خـــلـــيـــلاً» وزمْـــــرَته

وغـــــداً، وهــــو مُـــقْـــبلٌ،

يـــعْـــلَقُ الـــكلَّ عـــلْـــقَـــتَه!

✲✲✲✲

(١) أخلق الدهر جدّته: أبلاها (خَلُق الشيء: بَلِيَ).

٤٠ - كذا الإله خَلَقَهْ[1]

[مجزوء الرجز]

إلى متى تُضأُّكمْ
يا قومُ تلك الورقهْ؟
إلام يستجْهِلُكمْ
أجهلُ من «هبنَّقهْ»؟[2]
أراقكُمْ منطقُهُ؟
وقد عرفتمْ منْطقَه
أم صوتُه ؟ وصوتُهُ
أحسنُ منه النقْنَقَه
أم وجهه ؟ ولو رآ
هُ القردُ «طاح الحلَقه»
هو الذي طاف عليْ
كمْ يستدرُّ الصدَقه
فما ترى شبحٌ
منكمُ إلا لَحقَه
وما أصاب مُوصداً
في الحي إلا طرَقه

---

(١) (جريدة مرآة الغرب ٩ / ١ / ١٩٢٦) ردّ بها على أبيات ظهرت في جريدة (الهدى) أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل سنة ١٩٢٦ وعارضها أسعد رستم في أربعين بيتاً (جريدة الهدى ١٥ / ١ / ١٩٢٦) بعنوان. «هل يستحق المشنقة ؟» وهو عجز بيت كان أبو ماضي أتى به في أبيات من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ ونقل منها هنا (على عادته أحياناً) جملة أبيات (انظر النص رقم ٨: اليهودي التائه).

(٢) يُضرب به المثل في الحمق.

ومـــــا رأى مــــــائـــــــدةً

إلا أمــــــالَ عُــــــنُـــــــقَـه

أعـــــجــــبَهُ ســـمْــــنُــــكمُ

فـــــصـــــار مـــثل الـــعــــلَــــقه

يـــــمـــــــتصُّ أمــــــوالَـــــكمُ

مص الـــهــجــيــرِ الـــزَّنـــبــقه

يمـلأ مـن جـــــيـــــوبـــــكمْ

جـــيـــوبه الــــمُـــخَـــرَّقه

في كل يـــومٍ يـــبـــتـــغي

ضـــريـــبـــةً أو نَـــفَـــقه

كـــأنـــكمْ بُـــعُـــولَـــةٌ

كـــأنه مُـــطَـــلَّـــقه

بل كـــلّـــمـــا أحس بـــالْ

إمـلاقِ أَبْـــدى مـــلَـــقه

فـــصـــوّرَ الـــبـــحـــر لـــكم

وهـــو أُجـــاجٌ(١) «مـــرَقه»

وصـــوّر الأرض عـــلـــى اتْـ

تـــســـاعـــهـــا كـــالـــبُـــنْـــدُقه

إن تَـــســـتـــحـــوا لا يـــســـتـــحي

كـــذا الإلـهُ خَـــلَـــقه!

****

(١) شديد الملوحة.

٤١ - النار أشره آكل[1]

[الطويل]

ويـــــا رُبّ عـــــاوٍ ظنَّ أن عــــــواءَهُ
يــقــيه - ولــكن مــا وقــاهُ - غـوائـلـي

يــصــيحُ، وفــرطُ الـخـوف يُـرجفُ روحَهُ،
صيـاح صـغـارِ الـطـيـر خوف الأجـادل[2]

ويـبـكي ولـم تـضـغطْ عـلـى عـنْـقه يـدي
فـكـيف إذا فَـارتْ عـلـيه مـراجـلـي؟

جـهـولٌ، وبـعضُ الجـهلِ يُـهـلكُ أهـلَهُ
غـبيٌ رأيـنـا فـيه صـورةَ «بـاقل»[3]

نـصـحـتك ألا تجـعل الـنَّـصْل مـرْكـباً
فـإن المـنـايـا فـي ركـوبِ الـمـنـاصل

وإنـي نـارٌ لـيس يـخـبـو سـعـيرُهـا
فلا تـصـطَـلي، فـالـنـارُ أشْـرهُ آكلِ

****

(١) ردّ بها على مقالة ظهرت في جرية (الهدى) بعنوان (النسناس القوّال).
(٢) الأجدل: الصقر.
(٣) يضرب به المثل في الغباء، في تراثنا

٤٢ - إلى النابح العاوي[1]

[البسيط]

يـا أيـهـا الـنـابحُ الـعـاوي بلا سـببٍ
أمـا لـنـفـسك ذو ودّ فـيـنـهـاهـا؟

إن كـان غـرّك أن الحـلْم شـيـمـتـنـا
فـربمـا خـالـفتْ نـفسٌ سـجـايـاهـا

نـحن الـنـجـومُ الـتي تـهـدي أشـعـتُـهـا
من ضلَّ، بل نـحن أسـمـاهـا وأسـنـاهـا

لـكـنـنـا نـغـتـدي إن ثـار ثـائـرُنـا
نـيـازكـاً تـتـقِي الـدنـيـا شـظـايـاهـا

مـا حـدَّثـتْـنـا بـغـيـرِ المجد أنـفـسُـنـا
ولم نـنشأْ غـايـةً إلا بـلـغـنـاهـا

هل يـزعجُ الـشُّـهب نـبـاح بلا ذَنَبٍ؟
وهل يـعـوقُ في الأفلاك مـسْـراهـا ؟

إذا سـكَـتْـنـا فـإنَّ الـلـيثَ يـأنفُ من
قـتلِ الـبـعـوضـة مـهـمـا طـال قَـرْنـاهـا

إذا نـظـرنـا إلى الجِـعْلانِ[2] سـارحـةً
ولم نـطـأْهَـا فـإنـا قـد حـقَـرْنـاهـا

وفي الحـدائقِ ذاتِ الـزهـر مـشـغـلـةٌ
عن رؤيـة الجُـعْل يمـشي في زوايـاهـا

---

(١) كتبها ردّاً على قصائد نشرها أسعد رستم ونشرتها جريدة (الهدى) ١٩٢٦، وعارضها هذا بعد نشرها، بقصيدة أخرى جعل عنوانها (هاها، الدور لي) !

(٢) المفرد. جُعَل: من دويبات الأرض.

فـيـا غـبـيَّـاً عـلـى جـهلٍ يـطـاولُـنـا
ورّطت نـفـسَك فـانـظـرْ كـيف عُـقـبـاهـا

من أنت ؟ هل أنت ذو قـدْرٍ فـنـخـفـضَه
أو حُـرمـة تـتـأذى إن هـتـكْـنـاهـا ؟

مـا أنت إلا الـهـبـاءُ المُـسـتـطـارُ، فـهل
نَـفـري الـهـبـاء بـأسـيـافٍ حـمـلـنـاهـا ؟

☆☆☆☆☆

يـا كـلـب سـوقٍ ويـا خـنـزيـر مـزْبـلـة
يـا جـيـفـةً مـا تـحـامـى الـنـاس إلاّهـا

عـلـى الـدروبِ كلابٌ مـا لـهـا عـددٌ
لاشك أنك أعْـداهـا وأعْـواهـا

وإنمـا الـنـاسُ في أمـرٍ قـد اخـتـلـفـوا:
هل أنت «أسـعـدُهـا» أم أنت أشـقـاهـا ؟

إن الـسَّـفـالـةَ لـو تـ[illegible] سـكَنٍ
كـالخَـلْقِ، لم يكُ إلا أنت مـأواهـا

أعـيـاك أن تـرتـقي حـتى تـرى بـشَـراً
فـصـرْت كـالـتـيسِ نَـطّـاحـاً وتَـيّـاهـا

خـبِّئْ قُـرونَك، واحـذَر أن تـتـيهَ بـهـا
فـكم قـرونٍ كـهـذي قـد حـطَـمـنـاهـا

في «الأخـطـبـوط» الـذي صـاحـبتَه عـظـةٌ
لـو كـنت تـفـهـمُ مـعـنـاهـا ومـغـزاهـا

كم مـرةٍ قـرُبتْ مـنـا كـتـائـبُه
فـلـم تـكنْ لحـظـةٌ حـتى هـزمـنـاهـا

فـارتـدّ يُـعـولِ من يـأسٍ ومن ألمٍ
عـويلَ جـاريـة قـد مـات مـولاهـا

ألم تكُنْ كقرونِ الوعْلِ، شائكةٌ

قرونُه السُّودُ كُبْرَاها وصُغْرَاها ؟

اليوم ليس لها عيْن ولا أثرٌ

نحن الذين بأيدينا كَسرْناها

إنْ يستعنْ بك فالغَرْقانُ لو نظرتْ

عيناه في البَّرِّ سعلاةً(١) لناداها

وإن تكن نفسُه في الجسم باقيةً

فإنما خُبثها في الجسم أبقاها

فما نجت بُومةٌ يوماً بقوّتها

وإنما قُبْحها المشهورُ نجّاها

نفسٌ لو انتشرتْ يوماً نقائصُها

لعمّت الأرض أدناها وأقصاها

نفسٌ يشُكّ الورى في الله إن زعموا

أن الذي خلقَ الأرواح سوّاها

فإنَّ «عزريل» يخشى أن تدنسهُ

والأرض إن أصبحت في الأرض مثواها

ما ضر من وُصمتْ بالعار جبهتُهُ

لو أنه بسوى الأوحالِ غطّاها

أتيتُه بعدما شالتْ نعامتُهُ

وغيّب البرُّ يُمناها ويُسرَاها(٢)

فكان مثلَ الذي ماتت كرامتُه

وكنتُ مثل الذي قد جاء ينعاها

✲✲✲✲✲

---

(١) السعلاة: الغول (والجمع السَّعالي)

(٢) شالت نعامته: كناية عن التفرق وزوال النعمة، أو الغياب والموت.

يا نذلُ!والنذل إنسان بلا شَممٍ
ما سيم من خطّة إلا ويرضاها

زعمت خطف الظباء الغيد عادتَنا
هل أخبرتْك بأنا قد خطفناها ؟

بالله يا نجلَ «... [1]» معذرةً
إذا ذكرنا لُبانات قضيناها

كنا نسينا، ولكن ما برِحت بنا
حتى ذكرنا التي كنا نسيناها

فاغفرْ خطيئتنا، نغفر خطيئتَها
واستغفرِ اللهَ كي نستغفر الله

✡✡✡✡✡

ورُبَّ طاهرةٍ في البيت آمنة
جشَمتَها خطّةً شنعاءَ تأباها

حسبتَها كالتي ساءت خلائقُها
بل كدت تحسَبُها يا وغدُ إياها

دنوت للورد في الخدين تقطفه
فراح يرتعُ في خدّيْك نَعلاها !

✡✡✡✡✡

سلِ السُّجونَ التي جاورتَها زمناً
كم ليلة بتّ مُلْقى في زواياها

وفي قفاك نعالُ الجُند راقصةٌ
كأنما هو ناديها وملْهاها

شدّوا عليك، وقد خالوا نعالهمُ
تُدمي قَفاك فآذاها وأدماها !

---

(١) ينبغي أن يكون ذكر أمّه على صفةٍ لا تليق.

فـــانــظـــرْ قـــذالَكَ[1] في «المـــرآة» إنّ به

آثـــارهـــا وكـــثـــيـــراً من بـــقـــايـــاهـــا !

إن كـــان هـــاج بك الـــشـــوقُ الـــقـــديمُ لـــهـــا

فـــعـــنـــدنـــا ألفُ نـــعلٍ قـــد حـــفـــظـــنـــاهـــا

✡✡✡✡✡

مـــا ثَـمَّ في الأرض من عـــيـــبٍ نـــزيـــدُكَهُ

أنت المـــعـــائـبُ أولاهـــا وأُخـــراهـــا

ومـــا هـــجـــونـــاك يـــا «لا شيء» نـــعـــرفُه

بـــذي الـــقـــوافي، ولـــكـــنّـــا هـــجـــونـــاهـــا!

****



---

(١) جماع مؤخر الرأس.

٤٣ - دعهُ ينبح

[الخفيف]

قــد سـكـتْـنـا عن الـلـئـيم طــويلاً
حــين كــان الــسـكــونُ أولى وأصــلـحْ
وصــفــحْــنــا عن ذنــبه وعــفــوْنــا
عــفْــو حُــر، والحُــرُّ يــعــفــو ويــصــفَح
وحــســبــنــاه يــرعــوي، فــتــمــادى
وظــنــنّــاهُ يــنــتــهي، فــتــنــطّح
فــصــفــعــنــاه صــفــعــةً بــات مــنــهــا
يــتــلــوّى، وتــارةً يــتــرجّح[1]
قُلْ لمن سـبَّه لـئـيمٌ كـهـذا:
شبّ بل شــاب وهــو في الــلــؤم يــســبح
عــرِّف الــكــلب أنه الــكــلبُ لــلــنــا
سِ ودعْهُ من بــعــد ذلك يــنــبح!

****

(١) يتثاقل (رجح - يرجُح: ثقل)

٤٤ - خطبة ميشيل حداد

[مجزوء الكامل]

إنَّ الحياةَ خميلةٌ والعاشقين زهورُها

الحبُّ في أكبادنا خَفَقانُها وشُعورُها

والحبُّ في زهر الرُّبا ألوانُها وعبيرُها

هو في الجداول شدْوها، هو في الكواكب نورُها

من حبَّ كان له الحياةُ: سرُّها وسرورُها

ونفوسُ أبناء الغرام إلى الخلود مصيرُها

فاشربْ على ذكرى الهوى كأساً هواك مُديرها

«ميشالُ»، مملكةُ الشبابِ اليوم أنت أميرُها

زارتْك مثلَ الشَّمسِ في زمن الربيع سُفورُها

حسناءُ كالظبي الغَريرِ دلالُها ونُفورها

قد طاب خُلقُك واستوى وصفا، ورقّ ضميرها

ولها الجمالُ وعرشُه . ولك المُنى وقُصورها

فَرِحتْ لحبكُما السَّما ونجومُها وبُدورُها

****

٤٥ - الجدول الطروب

[مجزوء الكامل]

من علّم الإنشاد هذا الراقص المتَبختِرا ؟

إني اهتديتُ به إليه، وكان سرّاً مُضْمرا

يجري طَروباً وهْو لا يدري لماذا قد جرى

الدوحُ حانيةٌ عليه تخاف أن يتكدَّرا

ويلَذُّ للأزهار أن ترنُو إليه وتنظُرا

ولقد سمعتُ الطّير تدعوه الحبيب الأكبرا

فوقفتُ أرمُقُه وأسألُ حائراً مستفسرا

ما حبَّب الأطيار والأشجار فيه يا تُرى ؟

أحصاهُ؟ إن البحر يحوي في حشاه جوهرا

أمْ ماؤهُ ؟ إني رأيتُ السيلَ منه أغزرا

أو طُهرُه ؟ إني وجدت الطلَّ منه أطهرا

ما السرُّ في هذي ولا في كونه يسقي الثرى

بل كونُه يُسدي الجميلَ ويستحي أن يظهرا

****

٤٦ - صوت بلادي[١]

[الكامل]

مـا الـروضُ وشّـاهُ الـربـيعُ بـزهـره
وكـسـا ثَـراهُ مُـفَـوَّفُ الأبـراد[٢]

عـنـدي بـأجـملَ مـنـكمُ في نـاظـري
وأحبَّ من أرواحـكـم لـفـؤادي

أبـصـرتـكمْ فـرأيتُ صـورةَ أمّـتي
وسـمـعـتـكمْ فـسـمـعتُ صـوت بلادي

«لـبـنـانُ» زوَّدَ بـالـطـموحِ نـفـوسـكمْ
لمـا رحـلـتم في طلابِ الـزَّاد[٣]

وحـبـتْـكمُ «سـوريّـةٌ» بـجـمـالـهـا
وجـمـالُـهـا فـوق الجـمـال الـعـادي

فـأنـا أُحـيي في كـهـولـكمُ الـنُّـهى
والـطُّـهـر والأحلامَ في الأولاد[٤]

والحُـسْنَ في فـتـيـاتـكم، والـعـزم في
فـتْـيـانـكم، ومـروءةَ الأجـداد

الـنـاسُ عـنـدي كـالـشـهـورِ، وإنـكم
في الـنـاس كـالآحـاد والأعـيـاد

فـإذا سـكـتُّ فـكَيْ أنـاجـيـكم وإن
أُنـشـدْ فـلـيس لـغـيـرِكمْ إنـشـادي

****

(١) استهل بها خطبة ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في توليدو أوهايو (١٩٢٧)
(٢) الفوف: الزهر. والأبراد: جمع البُرد.
(٣) يقصد: طلب العيش.
(٤) النُّهية: العقل، لأنه ينهى. وجمعها: النُّهى.

٤٧ - يا ليتني...[١]

[السريع]

إذا أطلَّ البدرُ من خدرِهِ
فإنما يطلُعُ كي تنظريهْ
وإن شدا البلبلُ في وَكرِهِ
فإنما يشدو لكي تَسمعيه
وإنْ يفُحْ عطرُ زهور الرُّبا
فإنما يعبقُ كي تنشَقيه
يا ليتني البدرُ الذي تنظرينْ !
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين !
أواه لو تصدُق «يا ليتني»!

****

(١) نشر في ملحق الجداول (دار اليقظة) بعنوان (عروس الجمال).

٤٨ - الزمهرير[١] في نيسان

[الخفيف]

رجع الـــزمـــهـــريـــرُ أمسِ إلـــيـــنـــا
ورجـعـنـا نـشـكـو من الـزمـهـريـرِ

جـاء «نَـيـسـانُ» كـالـح الأفق، عـارِي الـ
أرض، حـيـرانَ كـالـيـتـيم الـفـقـيـر

أو كـمـلْكٍ داس الـغـزاة حـمـاهُ
فـهـو في حـيْـرةٍ وفي تـفـكـيـر

أو فـتـاةٍ مـفـجـوعـة بـحـبـيبٍ
مـات في وجـهـهـا ضـيـاءُ الـسُّـرور

إيه «نَـيْـسـانُ «قـد أتـيت، ولـكن
بمـحـيّـا إفْكٍ[٢] وحـالـة زُور

لا دلـيلٌ عـلـى وجـودكَ يـا شـهْـ
ـر الأقـاحي سـوى غـنـاء الـطـيـور

لـيت شـعـري مـاذا دهـاك فـلـم
تُـخـرجْ لـنـا الـزهـر من وراء الـسُّـتـور؟

نـحن لـولا الـحـسـابُ خـلْـنـاك لم تُـو
لَـدْ، وأنّ الـشـهـور غـيـرُ الـشـهـور!

****

(١) شدّة البرد

٤٩ـ النجمة الهاوية[١]

[مخلع البسيط]

هـــذا هـــو المـــنـــزلُ الأخـــيـــرُ
إلى هـــنـــا يـــنـــتـــهي الـــمـــســـيـــرُ
ويـــنـــطـــوي الخـــوفُ والـــتـــرجّي
ويـــنـــقـــضي الحـــزنُ والـــسُّـــرور
مـــا كـــان أحـــلى الحـــيـــاةَ لـــو لم
يـــكنْ إلى الحُـــفـــرةِ الـــمـــصـــيـــر
كم من عـــصـــورٍ مـــضتْ وغـــابتْ
فـــيـــهـــا ولم تـــشـــبعِ الـــقـــبـــور

*****

مـــررتُ بـــالـــزهـــورِ ذابلاتٍ
كـــأنمـــا مـــســـهـــا الـــسَّـــعـــيـــرُ
فـــقـــلت: مـــاذا عـــراك حـــتى
فـــارقك الـــزَّهـــو، يـــا زُهـــور؟
فـــلـــم تجـــاوبـــنـي الأقـــاحي
وإنمـــا جـــاوب الـــغـــديـــر
فـــقـــال: «ســـلـــمى» مـــضتْ، وكـــانت
زنـــبـــقـــةً مـــا لـــهـــا نـــظـــيـــر
فـــغَـــاض نـــهـــرٌ وجفَّ روضٌ
وغـــاب نجم وانـــدكّ سُـــور

---

(١) في رثاء (سلْمى ملّوك)، قرينة (عزيز عطية). وتليت في مدفنها في نيويورك (١٩٤٠)

يــا وحــشــةَ الــدار بــعــد «ســلــمى»

فــقــد خَــبــا بــدرُهــا المــنــيــر

«ســلــمى» الــتي صــمــتُــهــا وقــارٌ

وفي أحــاديــثــهــا عــبــيــر

فــلــيس في مــشْــيــهــا اخْــتــيــالٌ

ولــيس في نُــطــقــهــا غــرور

كم بــائسٍ لاذ في حــمــاهــا

وكم رجــا رفــدهــا فــقــيــر

ألــيس جــوراً من الــلــيــالي

أن تحــتــوي الــلــؤلــؤَ الــقــبــورُ ؟

✡✡✡✡✡

يــا قــبــر «ســلْــمى»، مــا أنت قــبــرٌ

بل عــالَم نــيِّــرٌ طــهــور

فــفــيك مــثلَ الــريــاض عــطــرٌ

وفــيك مــثلَ الــســمــاء نــور

حــويت دنــيــا نُــبلٍ وفــضلٍ

يــاأيّــهــا الحــيِّــزُ الــصَّــغــيــر

لم أر من قــبــلــهــا ثــريّــا

شــعّــاعــةً في الــثَّــرى تــخــور[1]

وقــبل إخــوانــهــا نــســوراً

تــبــكي، أجل قــد بــكى الــنُّــســور

✡✡✡✡✡

---

(١) خار - يخور. صاح. يريد هنا: أرسلت نورها

«عـزيـزٌ»، يـا ضـيـغـمـاً[1] جـريـحـاً
وطـائـراً جـنـحـهُ كـسـيـر
الـدمع في مـقـلـتـيه يـطـغى
والحـزنُ في صـدره يـغُـور
الخَـطبُ يـا صـاحـبي كـبـيـرٌ
وأنت يـا صـاحـبي كـبـيـر
فـكنْ صـبـوراً عـلـى الـرزايـا
فـإنمـا يُـؤجـرُ الـصـبـور

****

(١) الضيغم: الأسد.

٥٠ - رثاء رشيد أيوب

[الرمل]

نــــام لـــمّـــا تـــعـــبتْ أجـــفـــانُهُ
وإذا مـــا تـــعب الإنـــســـانُ نـــامْ

خـــرج الـــشّـــاعـــرُ من دنـــيـــا الأسى
مـــثـــلـــمـــا يـــنـــسلُّ نـــورٌ من قَـــتـــام

ومـــضـى عـــنـــا إلى مـــوطـــنـه
وطـنُ الـــشّـــاعـــر أمْـنٌ وسـلام

لا تـــقلْ: هـــذا الـــذي كـــان انـــطـــوى
مـــا انـطـوى، يـا صـاحـبي، إلا الـرُّغَـام[١]

ســـائـــلـــو الجـــدولَ عن ألحـــانه
فـــهي في الجـــدول وجْـــدٌ وهُـــيـــام

وســـلـــوا الأزهـــار عن أحـلامه
فـــهي في الـــزهـــر أريجٌ وابـــتـــســـام

وســـلـــوا «صـــنّـــين»[٢] عن شـــاعـــره
إنـه فـــيـــه جـلالٌ واحـــتـــرام

هـــو في قـــمّـــتـه عـــزّتُـــهـــا
وهـــو في الـــوادي اتّـــضـــاعٌ واحـــتـــشـــام

لـم يـــزلْ مـــا بـــيـــنـــنـــا أســـطـــورةً
يـــتـــلـــقـــاهـــا كـــرامٌ عن كـــرام

✡✡✡✡✡

(١) الرُّغام: التراب.
(٢) الجبل في المتن الشمالي من لبنان. والمرثي من قرية (بسكنتا) في سفحه. وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية).

أيـــهـــا الـــشَّـــاعـــرُ لا تـــخش الأذى
لـــست بـــعـــد الـــيـــومِ جـــاراً لأنـــام[١]
جـــهـــلـــوا قـــيـــمـــةَ أرواحـــهـــمُ
فـــغـــدا الجـــوهـــرُ عـــبـــداً لـــلـــحُـــطـــام
لا هـــنـــاءٌ لـــنـــفـــوسٍ صُـــوِّرتْ
من ســـنـــاءٍ[٢] معْ نـــفـــوسٍ من ظلام
أُعـــتـــقتْ روحُك من أغلالـــهـــا
وأنـــاشـــيـــدُك من أســـرِ الـــكلام
أنت بـــعـــد الـــيـــومِ لا يـــشـــكـــو الـــطَّـــوى
جـــســـمُك الـــعـــاني، ولا تـــخش الـــسَّـــقـــام[٣]
أنت في الـــدنـــيـــا الـــتي أحـــبـــبـــتَـــهـــا
وهي دنـــيـــا الحُـــر فـــيـــهـــا لا يُـــضـــام
لـــيـــس فـــيـــهـــا قـــيَمٌ زائـــفـــةٌ
تـــخـــدعُ الـــعـــقل وآمـــالٌ جـــهـــام[٤]
لـــيـــس فـــيـــهـــا كـــالـــتي فـــارقـــتَـــهـــا،
أعـــيـــنٌ يـــقـــظـــى وأرواحٌ نـــيـــام
رويتْ نـــفـــســـك من كـــوثـــرهـــا
وبـــقـــيـــنـــا لـــلـــعـــنَـــاءٍ وأُوام[٥]
نمْ هـــنـــيـــئـــاً، إن أحـــلـــى غـــبـــطـــةٍ
ـ مـــثـــلـــمـــا تـــعـــرفُ ـ رؤيـــا في مـــنـــام!

****

(١) لم تعد جاراً لأحد من الناس.
(٢) السناء: الرفعة، وأرادها للنور (السنا).
(٣) السقام: المرض. والعاني: المتعب.
(٤) الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه.
(٥) الأوام: العطش. ودُوار في الرأس.

٥١ - إنه الشاعر[١]

عــنــدمــا أنــشــأ الــوجــود الــلــهُ
في زمــانٍ في الــدهــر مــا أقــصــاهُ
وبــدتْ في الــنَّــبــات والمــاء والأحــيــا
ء والــصــخــرِ يــقْــظــةٌ وانــتــبــاه
فــأطــلّت من الــســمــاء الــدَّراري
وتجــارتْ عــلــى الــصَّــعــيــد المــيــاه
وتــرامى الــنَّــســيمُ في صــفــحــة الــنــهْـ
ـــرِ بــأســرارِ وجْــده وهــواهُ
وســرى الــفــجــرُ يــوقظ الــروضــةَ الــوسْـ
ـــنى ويُــذري عــلــى المــروج نَــداه
ومــشى الــلــيل بــعــده يــطــمُس الأشـ
ـــيــاء إلا أحــلامــه ورؤاه
والــورود الحــســنــاءَ إلا شــذاهــا
والــغــديــر الــطــروب إلا صــداه
نــظــر الــلــه في الــســمــاء وفي الأر
ضِ طــويلاً فــتــمــتــمتْ شــفــتــاه:
« إنــني قــد خــلــقت كــونــاً بــديــعــاً
كلُّ شيءٍ فــيــه كــمــا أهــواه
غــيــر أني نــســيتُ أخــلُقُ شــيــئــاً
لازمــاً لا يُــتــمّــه إلاه

(١) يبدو أن المعني فيها: الشاعر الحمصي نسيب عريضة، وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية)

وهـو «عـينٌ» تـرى الـوجـود كـعـيـني
ولـسـانٌ يـقـول: مـا أحـلاه »!
وإذا الـلـه شـاء أمـراً قـضـاهُ
أو تـمـنّى وجـود شيءٍ بـراه
فـإذا كـائنٌ له هـيـكلُ الـطـيـ
ـن وفـي هـيـكلِ الـتـراب إلـه!
ذو فـؤادٍ تـظلُّ فـيه الأمـاني
في صـبـاهـا، وإن تـقـضّى صـبـاه
كلُّ من يـعـشقُ الجـمـالَ أخـوهُ
كل أرضٍ فـيـهـا الـهـوى مـغـنـاه
هـو لـلـحقِّ غـيـظُه ورضـاهُ
وهـو لـلـحب ضـحْـكُه وبُـكـاه
من تُـراه هـذا الـذي صـاغه الـلـ
ـه كـمـا يـشـتـهـيه لـمّـا اشـتـهـاه ؟
إنه الـشّـاعـرُ الـذي كلُّ دنـيـا
تـنـطـوي قـبلَ تـنـطـوي[1] دنـيـاه
كم سـقـانـا خـمـراً بـغـيـر كـؤوسٍ
فَـسـكـرنـا ولم تَـذُقـهـا الـشّـفـاه
وأرانـا الـصَّـبـاح والـلـيلُ يـغـشـا
نـا بـأكـفـانه كـمـا يـغـشـاه
يـعـشقُ الـروض في حُلاه، ويـهـْـ
ـواهُ مـعـرّى مـجـرّداً من حُلاه
يـرتـوي الـنـاسُ بـالمـيـاه ويـرويْـ
ـه خـريـرٌ تُـصـغي لـه أُذْنـاه

(١) في التقدير: « قبل أن تنطوي.

أيـــهـــا الـــســـائـــلـــون عـــنـــه: لمـــاذا
لـــيس يـــســـعى لـــلـــغـــنى كـــســـواه ؟
مـــا الـــغـــنَى عـــنـــدكمْ ؟ فـــإني أخـــشى
أن تـــكـــونـــوا جـــهِـــلـــتمُ مـــعـــنـــاه
أهـــو المـــال ؟ مـــا وجـــدتُ غـــنـــيّـــاً
قـــطُّ إلا ومـــــــــــالُـــهُ مـــــــــــولاه
أفَـــمَنْ كـــان كـــوكـــبـــاً يـــهـــجُـــرُ الأُفْـ
ـقَ لـــتُـــمـــسي زجـــاجـــةٌ مـــثـــواه ؟
والـــذي الـــكـــونُ دارُه، كـــيف يُـــرضـــيـ
ـه انـــزواءٌ في حـــفـــنـــة من ثَـــراه ؟
وجـــد المـــالَ عـــاتـــيـــاً مـــســـتـــبـــداً
فـــــأبى أن يـــــكـــــونَ من أَســـــراه
لا تـــقـــولـــوا: مـــاذا اقـــتـــنى وحـــواهُ ؟
أيُّ شيءٍ خَـــــيـــــالُـــه مـــــا حـــــواه ؟
إنه الـــشَّـــاعـــرُ الـــذي ازدادتِ الـــدُّنْـ
ـــيـــا بـــهـــاءً لَمّـــا غـــدتْ مـــأواهُ
فـــاشـــربـــوا، يـــا رفـــاقُ، سـرَّ فـــتى «الـــعـــا
صـي» وحـــــيُّـــــوه، إنـــه إيّـــــاه!

****

٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان[١]

[الكامل]

لم أنس حين مشتْ إليَّ تلومُني
لما رأتْني باسماً مُستَهلّلا
قالتْ: أتطربُ، والمنايا حُوّمٌ
في الأرض، كيف رمتْ أصابتْ مقتلا ؟
انظر، فقد خلَتِ البيوتُ من الشَّبا
بِ ولا جمالَ لمنزلٍ منهم خلا
فسألتها: أوَليس من أجل العُلا
وهنائنا خاضوا الوغى ؟ قالت: بلى
يا هذه، أإذا بكيتِ لبُعدهمْ
يتبسَّمونَ ؟ أجابت الحسناء: لا
كُفّي الملام إذنْ، فما أنا جاهلُ
ما تعلمينَ، وكيف لي أنْ أجهلا ؟
لكن بعثتُ الفكر في آثارهمْ،
في البحر، في الأجواء، في عُرْض الفلا
فرأيت نور المجد فوق بُنودهمْ
ورأيتُهمْ يمشونَ من نصرٍ إلى..
سدّوا على الباغي المسالكَ كلها
فالموتُ إنْ ولّى وإنْ هو أقبلا

(١) اقتصر جورج صيدح، من النص على أحد عشر بيتاً الأولى، ونشرها في الديوان الخامس الذي أشرف على إصداره بعد موت الشاعر، باسم (تبر وتراب النص ١٤)، وجعلها بعنوان عجز البيت الحادي عشر: (ستعود دنيانا أحب وأجملا).

فـإذا شـمـمتِ الـيـوم رائـحـةَ الـدمـا
ءِ وطـالـعتْ عـيـنـاك آثـار الـبِـلى
فـاسـتبشـري، فـغداً إذا الـنقْع[1] انجلَى
سـتـعـودُ دنـيـانـا أحبَّ وأجـملا
بـالـطـامـحـين إلى الـكـمـال، الـعـامـلـيـ
ـن عـلى الإخـاء، الـنـاهـضـين إلى الـعُلا
كـ «الإسـطـفـانـي »الـذي لا يـأتـلـي
حـربـاً عـلى الـبـاغي وعـونَ الـمُـبـتَـلى
مـسـتـهـديـاً بـ «الـنـاصـريّ»[2]، مـبشّـراً
بـالحبِّ والـغـفـران مـا بـين الـمَلا
حـلـوُ المـودة، لا يـشـوبُ ولاءَه
كَـلَفٌ، ولا يـسـلـو الـصـديقَ وإن سَلا
مـا إنْ دعـا داعٍ لـنُـصـرةِ بـائسٍ
إلا وكـان هـو الـمُـغـيثَ الأوَّلا
إن لـم يـشـيِّـد هـيـكلاً من مـرمـرٍ
فـلـقـد بـنى في كل قـلب هـيـكلا
خُـلُق كـمـاء الُمـزْن عـذب طـاهـرٌ
وسـجـيّـةٌ تَـحكي الـرحـيقَ الـسَّلـسَلا
يـا ابْن الألى مـا دار يـومـاً ذكـرهمْ
في مـحـفلٍ إلا أضـاءَ الـمـحـفلا
كـانـوا ربـيـعـاً زاهـراً في جـيـلـهم
ومـضـوا، ومـا زالـوا ربـيـعـاً مُـقْـبِلا
لـبِس الحُـلى[3] قـومٌ فـمـا شـرُفـوا بـهـا
وغُـنـيت بـالخُـلُقِ الـرفـيـعِ عن الحُـلَى

---

(١) الغبار
(٢) السيد المسيح (عليه السلام) وقد ولد في الناصرة.
(٣) يريد: الحلْي، وجمعه: الحُليّ.

عـبـثـاً يـحـاولُ طـمْس فـضـلك مُـرْجِفٌ[1]

لا يـبـلـغُ الـنـجـم الـغـبـارُ وإنْ عَلا

كم هـاجـمتْ «لـبـنـانَ» ريحٌ صـرصـرٌ[2]

لـتـدكَّه، أرأيـتـمـوه تَـزلْـزلا ؟

زعم الـقـصـائـد لـيس تُـشـبع جـائـعـاً

لم يـخـلُقِ الـلـهُ الـورود لـتُـؤكلا !

الأنـبـيـا - والـوحي شـعـر رائع -

شـبعوا، ومـا أكَلـوا الـكتـاب الـمُنْزلا !

الـشِّـعـر رَيْـحـانُ الـنـفـوسِ إذا صـفَتْ

أمّـا إذا كَـشـفتْ طـبـيـعـتَـهـا فَلا

فـاغـفـرْ مـسـاءَتَهُ، فـإن الحُـر من

يـعـفـو عن الجـاني الأثـيمِ تَـفـضُّلا

✲✲✲✲

سُـقتُ الـثـنـاءَ إلـيكَ حـلـواً سـائـغـاً

لـو لم يـكن في مـدْحِ شـخـصك مـا حَلا

هـؤلاء قـومُك، يـا حـبـيب قـلـوبِـهم،

وافَـوا كـمـا تـردُ الـطـيـورُ الـمـنْـهلا

لم يُـكـرمـوا الـعـشـرين والخـمس الـتي

مـرَّتْ، بل الأدَب الـصـحـيح الأنْـبلا

عش، يـا صـديقي، مـثـلَـهـا في مـثـلـهـا

لـلـعـلم رُكـنـاً، لـلـفـضـيـلـة مـوئلا

✲✲✲✲

---

(١) أرجف: خاض في الأخبار الكاذبة

(٢) ريح صرِ وصَرْصر: شديدة البرد، وشديدة الصوت.

٥٣ - رثاء إلياس عطا الله [1]

[الكامل]

دنـيـا من الآمـال والأحلامِ
زالتْ وغابتْ مثلَ طيف منامِ

عصَفَ الردى بورودها فتناثرتْ
ومضى بشاديها وبالأنغام

لم يبقَ فيها دوحةٌ تحنو على
تعبٍ، ولا ماءٍ يفيضُ لظامي

أرسلتُ صوتي في جوانبها فلم
يرجعْ إلى أذني غيرُ كلامي

«إلياس» إنك أنت دنياي التي
ضيعتُها، ورجعتُ بالآلام

يا صاحبا قد كنت أستهدي به
إن ضاع مصباحي، وجنَّ ظلامي

لا تسألني عن فؤادي، إنني
سلّمتُ للأحزان قلبي الدامي

أرفيق روحي، قد أتيت مسلما
«إلياس» ما لك لا تردّ سلامي؟

عجبا، كأنك في زمان غابرٍ
أو موضعٍ قاصٍ وأنت أمامي

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.

أنـــا مع رفـــاقك تـــائـــقـــونَ لــــقـــولـــة

أو لـــــفـــظـــة، فـــانـــطقْ ولـــــو بملام

يـــا عـــظْمَ خَـــيـــبـتـنـــا، فـــإنـــا نـــبـتـــغي

خــــمـــراً، ولا من خـــــمـــرةٍ في الجـــام

إن الـــذي قـــد كـــان مـــعـــنـــا قـــد ســـمـــا

عـــنـــا، وصــــار مع الإلـه الـــسّـــامي

ومن اســـــتــــوى في عــــالم الأرواح لا

يــــدنـــو إلـــيه عـــالمُ الأجـــســـام

****

٥٤ - دار «السمير» الجديدة[1]

[الرجز]

يا مرحباً بالأصدقاء، مرحبا
ملأتمُ الدار وروحي طَربا

ضحكتُ لمّا قيل لي: الصيفُ انقضى
وأنتمُ حولِي كأزهار الرُّبا

صيَّرتموها فَلَكاً مؤتلقاً
لما طلعتَمْ في ذُراها شُهُبا

وصارتِ الدنيا بعيني جنةً
وصار مائي كوثراً، بل أعْذَبا

لو جئتكمْ من «عبقرٍ»[2] بسحْرِها
وسُقتُ في شعري الدَّراريْ[3] موكبا

لمّا وفَيتُ بعض بعضِ دَيْنكم
ولا قضيتُ اليوم شكراً وجبا

من يستفدْ مثلي صحاباً مثلَكمْ
قد استفاد أدباً ونَسبا

ما كانت «السمير» إلا وَرَقاً
لولاكمُ، والدارُ إلا خَشَبا

إن كان من حُسْنٍ فمنكم قد أتى
ما قيمةُ المصباح لولا الكهربا

---

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.

(٢) أرض الجن التي توحي بالشعر (ولكل شاعر شيطان يتبعه ويوحي إليه)، في الأسطورة المتناقلة. وإليها ينسب الشعراء فيقال (العبقري، والعباقرة).

(٣) نجوم السماء التي تضيء.

لـو كـانت «الـسـمـيـر» من أهل الـغـنى

ســاقتْ تحـايـاهـا إلـيـكم ذَهَـبـا

أو روضـةً، أهـدتْ إلـيـكمْ زهـرهـا

أو عـطـرهـا مع الـقَـبـول والـصَّـبـا[1]

أو فـلَـكـاً، رفّتْ عـلـيـكم وحـنَتْ

وعـلّـقتْ في كل بـيـتٍ كـوكـبـا

أو جـدولاً، غـنّتْ لـكم مـيـاهُه

مـا دمـتمُ تُـصـغـونَ حـتى تَـنـضُـبـا

لـكـنـهـا جـريـدةٌ قـد أنـشـئت

لـتَـخـدُمَ الـعـلْم وتُـعـلي الأدبـا

تـريـد لـلـنـاس الحـيـاةَ حـرّةً

لـلـنـاس طُـرّاً «عـجـمـاً» و «عـربـا»

تـنـفقُ ممـا عـنـدهـا وإنـهـا

لـتـنـفق الـعـمـر الـلـذيـذ الـطـيّـبا

لا تـطـلـبـوا مـنـهـا سـوى مـا مـلـكتْ

لا تـمـلكُ الـصـهـبـاء إلا الـطّـربـا

****

(١) الريح الندية التي تهبّ من نجد.

٥٥ - إلى عازر داود

[الرمل]

أيـــهـــا الجـــالسُ بـــين الـــنـــجـــمـــتـــينْ
غـــنِّـــنـــا، يـــا صـــاحـــبي، أُنـــشـــودتـــينْ
قـــد شـــربـــنـــا خـــمـــرةَ الـــكَـــرْمِ، وإنْ
أنت أنـــشـــدتَ شـــربـــنـــا خـــمـــرَتَـــين

****

٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان[١]

[الكامل]

هـــذي تحـــيَّـــتُـــنـــا إلى «المـــنـــصـــورِ»
مـــشـــفـــوعـــةً بـــتـــحـــيَّـــة الجـــمـــهـــورِ
مـع أنـفُس الـشُّـعـراء نـرسلُ شـوقَـنـا
فـــاســـمـع بـــأُذن الـــروحِ لحن شـــعـــور
وانـشَقْ أريج قـلـوبِـنـا، فـقـلـوبُـنـا
من وجـدهـا كـمـجـامـرِ الـبـخُّـور
يـا نـسـر «لـبـنـانَ» المحـلِّقَ في الـفـضـا
المجـدُ تحت جـنـاحك المـنـشـور
فـاسـلمْ لأمـتك الـتي تـبـني لـهـا
لـتـزيـدهـا من سـعـيك المـبـرور

****

(١) أحد الأنباء (انظر النص ٥٢). وألقيت الأبيات في حفلة أقيمت لتدشين كنيسة لبنان (ألقاها سعيد عقل عريف الحفلة).

٥٧ - رثاء نجلاء صباغ[١]

[الكامل]

رجع الربيعُ إلى المدائنِ والقُرى
نوراً وعطراً في السُّفوح وفي الذُّرا
لَمستْ يداه العُود أجرد يابساً
فإذا به قد صار رَطْباً أخضرا
لله منه ساحراً ومصوِّراً
بهرتْ عجائبُه العقول وحيّرا
عرض الجمالَ وقال للناس: انظروا
فاللهُ قد خلقَ العيونَ لتنظرا
لكنّما العينُ التي كانت ترى
ألَقَ الربيعِ وحسنَه ليست تَرى
الموتُ أغمضها على غير الرُّؤى
ما في الردى شيءٌ كأحلامِ الكَرى
لكنما القلبُ الذي يهوى الشّذا
والنور، قد أمسى دفيناً في الثَّرى
إن لم نرحب بالربيع ولم نَهِمْ
بالحُسنِ فيه، فحقُّنا أن نُعذرا
فلقد أضعنا حين جاء إلى الحمى
في بنت «مطرانٍ» ربيعاً أنورا
سكتتْ لكي تتحدثَ الدنيا بها
وغفتْ لكي تَبكي العيونُ وتسهرا

(١) زوج أحد أصدقائه (قيصر صباغ). وألقيت الأبيات في حفلة دفنها، في ميلفورد ببنسلفانيا

« نجلاءُ «إنك روضـــةٌ مـــعـــطـــارةٌ

عـصف الحـمـام بـهـا، فـعـاثَ وبـعـثَـرا

رحلتْ عن الـقـصـر الـبـشـاشـةُ وانـطوى

عـهـد الـصَّـفـا والأنسِ في «أمّ الـقُـرى»[1]

فـالـيـوم لا الأرواحُ تـبـسـمُ لـلـمُـنى

فـيه، ولا الـلـذاتُ تجـري كـوثـرا

أفـنـيتِ نـفـسَك كـالـشـمـوع تـوقُّـداً

وقـطـعتِ عـمـرَك كـالـكـواكب في الـسُّرى

فـازددتِ مـجـداً في الـزمـان وشـهـرةً

وازداد قـومُكِ رفـعـةً بـين الـورى

زانـتْك في الـدنـيـا شـمـائلُ حُـرّةٍ

هي كـالجـواهـرِ إنمـا لا تُـشْـتَـرى

فـعـلـيك، يـا فـخـر الـنـسـاء وفـخـرَنـا،

مـنّـا الـسلامُ ممـسَّـكـاً ومـعـطَّـرا

ولـ «قـيـصـرٍ» مـنـا الـعـزاءُ، فـ «قـيـصـرُ»

كـالـنَّـسْـرِ هـيض جـنـاحُه وتـكـسَّـرا

بل صـار بـعـدك، يـا رفـيـقـةَ عـمـرِه،

وتـراً، يـغَـص بـلـحـنه مُـتَـعـثـرا

إنّـا نـودّع نجـمـةً وضـاءةً

زالت، ونـدفِنُ كـنـز فـضـلٍ في الـثَّـرى

****

(١) لقب ميلفورد ببنسلفانيا (انظر النص ٣ من الديوان الثاني، والنص ١٢ من «تبر وتراب»).

٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت(١)

[مجزوء الكامل]

المـــرءُ لـــيس يُـــقَـــاسُ فِي الــــدْ
ــــدنْـــيـــا بـــعـــلْـمٍ أو بـــجـــهـلِ

بل بـــــالــــــذي في طــــبـــــعه
الـــــفــــطـــــري من كــــرمٍ ونُـــبْلِ

فـــــلــــربّ ذي عــــلْـمٍ أســــــا
ء لأهــــــلـه ولــــــغـــــيـــــر أهـلِ

ولَـــــربَّ ذي جـــــهـلٍ أفــــــا
د الـــنـــــاس في خـــصْبٍ ومـــحْلِ

لـــولا ارتـــفـــاعُ نـــفـــوســــكمْ
لم يـــــرتــــفعْ أبـــــداً مــــحـــــلّي

لـــولا عـــيـــونُـــكمُ المحـــبَّـــةُ
مــــا تـــــراءى قطُّ فَـــضْـــــلي

دامتْ مــــكـــــــارِمُـــــكمْ لـــــكي
يـــشـــدو بـــهـــا الـــشُّـــعـــراءُ مـــثـــلي

****

(١) الأبيات الختامية للقصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التي علّق فيها مدير خارجية لبنان وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط.

٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق(١)

[الكامل]

أنــا إن شــكــرتُك يــا «أبــا حــســانَ»
أعــلــيتُ من قــدري وقــدْرِ بــيــاني

أشـرقت في نـفـسي سـنـاً فـأريـتَـنِي
وجهَ الـربـيـعِ ولـستُ في «نَـيـسـان»

ســأتــيَهُ أنّـي في زمــانك عــائشٌ
ومــعي يـتـيهُ - كـمـا أتــيه - زَمـاني

****

٦٠ - في صالة منصور

[مجزوء الرمل]

شــربتْ عــيــنــاك روحي
فــهْي في عــيــنــيك ســحــرُ

وأذاب الـحـبُّ قــلــبي
فــهــو في كــأسي خــمــر

هــذه الــلــيــلــةُ دنــيــا
كلُ مــا فــيــهــا يــسُــر

لا تــقــلْ لــيــلٌ ويمــضي
لــيس لــلّــذة عُــمْــر

****

(١) الخطاب في الأبيات لرئيس جمهورية سورية يومذاك (١٩٤٩) شكري القوتلي.

٦١ - في بيت فخري البارودي(١)

[السريع]

يـــا صـــاحـــبي!قـــد كـــمَلَ المجـــلسُ
ونـــــحن نـــــحن المـلأُ الأقـــــدسُ
لـــتـــنـــعسِ الأنجُمُ فـي أفلاكـــهـــا
ســنـســهـــرُ الـــلـــيلَ ولا نَـــنْـــعس!

****

٦٢ - إلى توفيق فخر(٢)

[الرجز]

رافـــقَكَ الـــهـــنـــاءُ، يـــا رفـــيقُ
وعُـــدْت بـــالـــتـــوفـــيقِ، يـــا «تـــوفـــيقُ»
يـــا شـــاعـــراً أخلاقُهُ كـــشـــعـــرِهِ
مـــتـــانـــةً، كـــقـــلـــبه رقـــيقُ
أنـت صـــــديقٌ لا يـــــحـــــول ودُّه
فـي زمـنٍ قـلّ بـه الـــــصـــــديـق

****

(١) في سهرة موسيقية، في بيته. وقد داهم الندامى النعاس.
(٢) كان يعاون الشاعر في تحرير جريدة (السمير)، وكان على أبواب رحلة إلى جمهورية الدومينيك.

٦٣ - إلى رشيد أيوب[١]

[الطويل]

رأيــتُك تحت الـلـيل كـالــلـيلِ ســاكـتـاً
وعـنـد ضـفـاف الـبـحـرِ تـهـدُر كـالـبـحـرِ

تــئنُّ من الــدنـيــا الــتي طــال جــورُهــا
وتـشـكـو من الـدهــر الخَـؤونِ إلـى الـدهـر

بـكـيت فــأبـكـيت الجلامـد في الـثَّـرى
ونُــحت فــحـرّمت الـرُّقــاد عـلـى الـبـدر

فــأصــبح في هــذي الـسَّـمـوات حــائــراً
كـصــاحب إيمــانٍ يمــيل إلى الــكـفــر

أراه بــعــيــني مُــصــغــيــاً كل لــيـلــة
لأنك قــد عـــوّدته رنّـــة الـــشِّـــعـــر

أرى فــيك من «شــيخ المـعـرّة «نـفـحـةً
وفي نفـحـاتِ «الشيخ»[٢] شـيءٌ من السـحـر

وهــبــتُك من شــعــري وعــنــدك مــثــلُه
ولــو كــنتُ ذا تــبــرٍ وهــبــتُك من تــبْــري

وإن لم يــكـن هـــذا ولا ذاك شـــافـــعـــاً
فـإني قـد ألـقـيتُ حـمـلي عـلـى «شـكـري»[٣]

****

(١) إثر صدور ديوانه (الأيوبيات). وكان يلقب بالشاعر الدرويش. انظر رثاء أبي ماضي إياه (النص ٥٠).
(٢) أبو العلاء المعري.
(٣) شكري أبو صالح الذي كتب له الشاعر (النص ٢١).

٦٤ - «زحلة الفتاة»

[الرمل]

لي فتاةٌ مَلأتْ صدري جوىً[١]

ذاب فيها القلبُ شوقاً واحترقْ

كلَّ يومٍ لي منها موعدٌ

في صباحٍ، في مساءٍ، في غَسَق[٢]

لا تظنوني أثيماً في الهوى

فـ «فتاتي» من مدادٍ وورق

****

٦٥ - شعار «السمير»[٣]

[الرمل]

أنا لا أُهدي إليكمْ وَرَقاً

غيرُكمْ يرضى بحبْرٍ وورقْ

إنما أُهدي إلى أرواحكمْ

فكَراً تبقى متى الطِّرس[٤] احترقْ

****

---

(١) الحرقة وشدة الوجد (جوِي - يجوى).

(٢) أول ظلمة الليل.

(٣) جريدة أبي ماضي التي أصدرها ابتداءً من سنة ١٩٢٩

(٤) الورق.

المحتوى

(ما لم تجمعه الدواوين)

****

المحتوى العام

****

الناشـــر
مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
الكويت 2008